

١٢ رسالة ماجستير

بمعدن وان

صورة الصليبيين في الأدب العربي

إعداد

عبد القادر شريف عبد الله أبو شريف

١٩٧٨ / ١٩٧٧

بإشراف

الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في
اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب في الجامعة الأردنية.

١٠٠٣٠٧٩



(بسم الله الرحمن الرحيم)

(مقدمة)

قسم الأدب العربي تقسيماً تاريخياً إلى عصور مختلفة ، كل قسم يُدرّس من خلاله فترة قائمة بنفسها ، لها مميزاتها وخصائصها الفنية ، بدءاً بالمصر الجاهلي وانتهاءً بالمصر الحديث .

وقد كان لهذا التقسيم أثر غير محمود في فهم الأدب العربي ، إذ جُمّد نصي إطار تاريخية مفصلة ، تبدأ بسنة كذا وتنتهي بسنة كذا

وفي إطار هذا التقسيم التاريخي للأدب ، وصفت بعض العصور بالقوة والازدهار ، وصفت عصور أخرى بالجمود والانحطاط ، ولو حاولنا معرفة السبب في هذه الأحكام ، لكان في تصور من قالوا بهذا - مرتبطاً في الغالب بالأوضاع السياسية للدولة الإسلامية .

هذا الربط بين السياسة والأدب هو الذي كان من وراء بعض التفسيرات الخاطئة وهو الذي أبعد أدب الحروب الصليبية عن منطقة الضوء ، علماً بأن أدب هذه الفترة أدب خصب ، ذو أهمية خاصة نظراً لما يرتبط به من صراع طويل مبرهن أمتين وحضارتين .

وهنا نتساءل ، حتى لو سلمنا بأن هذا المصير مترق سياسي ، هل كل ضعف سياسي ينتج عنه ضعف في الإنتاج الأدبي ؟ والجواب - بالطبع - لا ، ويمكن تقديم الشواهد على ذلك من أدب الشرق وأدب الغرب على السواء .

والحقيقة ، أن الذين وصفوا هذا المصير بالجمود ، إنما أطلقوا أحكامهم بناءً على تصور نظري ، ولم يحنوا أنفسهم بأحتمال مشاق البحث والتثبت ، حتى كأن الظاهرة أشهر من أن تعمل أو يبين لها سبب ، ولورجعوا إلى ما وصلنا من أدب هذه الفترة لتبينوا ما في أحكامهم من خطأ ، وذلك لأنهم أصدروا حكماً دون التثبت من صحته . مخالفين أصول المنهج العلمي السليم ، مما نتج عنه تصور بقي مقبولاً حتى وقت قريب .

وقد كان للجامعة الأردنية الفضل في طرح مساقات يُدرّس فيها أدب هذه

الفترة وذلك منذ عام ١٩٧٣ ، حين أعتمد قسم اللغة العربية تدريس مادة : أدب

الحروب الصليبية ، ضمن المواد الأدبية التي يدرسها . وقد لاقت هذه المادة أقبالا

جيداً من الطلاب وذلك لأنها مادة جديدة ، ومرتبطة بأوضاع قائمة في زماننا هذا .

وتبين من دراسة هذه المادة خصب الانتاج الأدبي في هذه الفترة ما جعل الطلاب

يتمنون أن تضاء جوانب الحياة فيها ، لتتال من العناية ما نالته الفترات الأخرى .

ومعد دراسة تاريخ القرنين السادس والسابع الهجريين ، وما دار فيهما من

صراع مرير ، وجدت رغبة ملحة في نفسي - لا سيما بعد نصيحة أستاذي :

الدكتور عبد الكريم خليفة * والدكتور محمود إبراهيم - بأن استقصى مصر هذا المصراع *
 صورة المحتلين * فكانت هذه الدراسة بعنوان : " صورة الصليبيين في الادب العربي " .

ومما قوى هذه الرغبة في نفسي * هذا التشابه بين الاوضاع القاسية التي مرت بها
 أممنا * والاضاع التي تمر بها حاليا * فقد تعرضت الامة فيما مضى لنزوة استعماري استيطاني
 استهدف الارض والانسان * وحاول بكل ما أوتي من قوة وجبروت * أن يخلق جذور حسنة
 الامة من الارض المقدسة * وقد أحرز فعلا نجاحا كبيرا فيما حاوله * فاحتل أجزاء كبيرة
 من أرض المشرق الاسلامي * وبقي خطره يتفاقم الى أن بدأت ردة الفصل الاسلامي للنزوة
 التي أنهت بخروج الصليبيين نهائيا من ديار الاسلام .

وفي الزمن الحاضر * غرس في مشرقنا الاسلامي * كذلك * جسم غريب * أبتلع
 أرض فلسطين * ثم تجاوزها الى أرض عربية أخرى * وما زالت أطماع التوسعية تهدد في
 كل تصرف من تصرفاته .

على أن عاملا آخر قد شجعتني على دراسة هذه الفترة أيضا * ذلك هو أنها لم
 تهتم بدراسات كافية شاملة في وقتنا الحاضر * وقد يكون من المفيد أن أقدم استعراضا
 سريعاً لهذه الدراسات لكي يبين موقع هذه الدراسة منها :

الدراسة الأولى * هي دراسة الدكتور عبد اللطيف حمزة بعنوان " أدب الحروب
 الصليبية " وقد بين المؤلف في مقدمته أن الكتاب جاء استجابة لرغبة المجمع الملكي
 للغة العربية في مصر سنة ١٩٤٨ * إذ دعا الكتاب والمؤرخين الى الكتابة في هذا
 الموضوع الجليل * وقد احتوى هذا الكتاب عرضاً تاريخياً لمراحل الحروب الصليبية *
 ثم ركز على دور مصر في هذه الحروب * وقد أثبت المؤلف عدداً من القوائد قيلت في
 الممارك المشهورة * وهذا يعني أن المؤلف قد سار على النهج التقليدي في كتابة التاريخ
 الأدبي * وقد قام المؤلف نفسه * كذلك * بدراسة أخرى أسماها " الادب المصري من
 قيام الدولة الأيوبية الى مجيء الحملة الفرنسية " (٢) وجاء هذا الكتاب ملخصاً للكتاب
 الأول * ولكنه تجاوز الفترة الى ما بعد الحروب الصليبية حتى الحملة الفرنسية على مصر .

والدراسة الثانية * هي : كتاب محمد سيد كيائني " الحروب الصليبية وأثرها
 في الادب العربي في مصر والشام " (٣) * وقد احتوى الكتاب عرضاً تاريخياً موجزاً *
 ودراسة مبسطة عن الحالة الاجتماعية المتولدة من هذه الحروب في مصر والشام * ثم
 تعريفاً موجزاً بأشهر شعراء هذه الفترة وكتابها .

- (١) د . عبد اللطيف حمزة * أدب الحروب الصليبية * مطبعة الاعتماد * نشر دار الفكر
 المصري * مصر * سنة ١٩٤٩
- (٢) د . عبد اللطيف حمزة * الادب المصري من قيام الدولة الأيوبية الى مجيء الحملة
 الفرنسية * مكتبة شهضة مصر * مصر * ؟
- (٣) محمد سيد كيائني * الحروب الصليبية وأثرها في الادب العربي في مصر والشام
 دار الكتاب العربي * مصر * سنة ١٩٤٩

وفي هذا الكتاب استنتاجات لا تستند الى دليل ، ومنها ما هو مغالطات تحتاج الى برهان (١) ، ولكنه مع هذا ينقل مادة أدبية غزيرة ولو أنه لا يذكر مصادرها .

والدراسة الثالثة ، قدمها د . محمد كامل حسين ضمن كتابه " أدب عصر الفاطمية " (٢) وقد أشار إشارة سريعة الى دور الفاطميين في هذه الحروب .

والدراسة الرابعة ، قدمها د . أحمد أحمد بدوي بعنوان : " الحياة الأدبية بمصر والشام " (٣) وفيها عرض للحياة الأدبية والسياسية والاجتماعية في مصر والشام ، وإلمامة بسيطة بحياة الصليبيين جاءت تحت عنوان : " تصوير الفرنج " وقد أخذ على كتاب الاعتبار لأسامقن منقذ ، فذكر الصفات التي أوردها أسامة باختصار شديد .

والدراسة الخامسة ، قام بها ، ايضاً د . محمد كامل حسين بعنوان " دراسات في الشعر في عصر الايوبيين " (٤) وفيها تركيز على الأدب في مصر زمن الايوبيين ، ودور مصر في الحرب ، مع إثبات نصوص شعرية ونثرية عن المعارك التي جرت مع الصليبيين .

والدراسة السادسة قام بها د . عبد العزيز الأهواني بعنوان " ابن سناء الملك ومشكلة المقم والابتكار في الشعر " (٥) ، وقد وصف هذا العصر بالجمود ، معللاً أياه بأسباب عامه قد لا تتطابق كلها على العصر ، ومنها ما لا ينطبق حتى على شعر ابن سناء الملك نفسه .

والدراسة السابعة ، قام بها ، محمود مصانفي ، بعنوان " الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي الى نهاية العصر الأيوبي " (٦) وفيها ميل عاطفي يتمثل بالإعجاب المفرط بالأدب في هذه الفترة ، وإبراز دور مصر فيه .

-
- (١) الحروب الصليبية في الأدب العربي في مصر والشام ٩ ٣٩٦٢١٥ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٠ .
- (٢) د . محمد كامل حسين ، أدب مصر الفاطمية ، دار الفكر العربي ، مصر ، ١٩٥٠ .
- (٣) د . أحمد أحمد بدوي ، الحياة الأدبية بمصر والشام ، مكتبة نهضة مصر ، مصر ، ١٩٥٤ .
- (٤) د . محمد كامل حسين ، دراسات في الشعر في عصر الايوبيين ، دار الكتاب المصري ، مصر سنة ١٩٥٧ .
- (٥) د . عبد العزيز الأهواني ، ابن سناء الملك ومشكلة المقم والابتكار في الشعر ، مكتبة الانجلو مصرية ، مصر ، سنة ١٩٦٢ .
- (٦) محمود مصانفي ، الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي الى نهاية العصر الأيوبي ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، مصر ، سنة ١٩٦٧ .

والدراسات الثلاثة والطبعة قام بها د . محمد زغلول سائم ، بعنوان " الأدب في العصر الأيوبي " (١) و " الأدب في العصر المملوكي " (٢) وقد تحدث فيها عن النواحي السياسية والاجتماعية ، وحالة الأدب والأدباء ، وأورد تعريفات سريعة ببعض الأدباء والشعراء .

والدراسة العاشرة قام بها د . عمر موسى باشا ، بعنوان " الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك " (٣) وهي دراسة مسطحة شاملة لفترة الحروب الصليبية وما اكبتها من شعراء أو نثر مع تقويم فني لهذا الأدب .

والدراسة الحادية عشرة قام بها فاروق جرار ، بعنوان " محمد بن نصر القيسراني حياته وشعره " (٤) وفيها ترجمة للشاعر ودراسة لقصائده .

والدراسة الثانية عشرة قام بها د . محمود إبراهيم ، بعنوان : " صدى الفخزوي الصليبي في شعر ابن القيسراني " (٥) وفيها تحليل لشعره ، ونظر مستفيض في فنه الأدبي .

والدراسة الثالثة عشرة قام بها هادي نهر ، بعنوان : " مبارك نور الديين في شعر الحروب الصليبية " (٦) وهي رسالة ماجستير لم تلين بعد ، وفيها دراسة للشعر الذي مهد نور الدين محمود في حروبه من الفرنج من نظر عربي في السمات الفنية لهذا الشعر .

مما ينبغي أن يبين أن مجموع الدراسات التي تناولت الفترة بلغ ، فيما أعلم ، ثلاث عشرة دراسة ، كان معظمها يركز على دور مصر في الأحداث ، في حين عرض بعضها للمادة الأدبية في إطار الأحداث التاريخية . وقد ركزت هذه الدراسات على تصوير الجانب الإسلامي ، أما الفرنج فلم تلمس لهم دراسات خاصة ، باستثناء إشارات غير مستقصية .

وقد يتبادر إلى الذهن أن أدب هذه الفترة قد رسم صورة قائمة للصليبيين ، لأن العلاقات التي كانت قائمة بين المجتمعين هي علاقات دموية ، يسودها الحقد والكراهة والامتناع .

(١) د . محمد زغلول سائم ، الأدب في العصر الأيوبي ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٢ .

(٢) د . محمد زغلول سائم ، الأدب في العصر المملوكي ، دار المعارف ، مصر سنة ١٩٧٠ .

(٣) د . عمر موسى باشا ، الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك ، دار الفكر الحديث ، دمشق ، سنة ١٩٦٧ .

(٤) فاروق جرار ، محمد بن نصر القيسراني حياته وشعره ، الطبعة التعاونية ، عمان سنة ١٩٧٤ .

(٥) د . محمود إبراهيم ، صدى الفخزوي الصليبي في شعر ابن القيسراني ، المكتسب الاسائي وكتبة الأقصى ، دمشق ، عمان سنة ١٩٧١ .

(٦) هادي نهر ، مبارك نور الدين في شعر الحروب الصليبية ، بجامعة القاهرة ، رقم ١٩٧٥ سنة ١٩٧٥ .

ولكن ، بعد دراسة المادة ، ظهر لي أن هذا الصراع الدموي ، الذي صورته أدب هذه الفترة قد قدّم في صور متعددة ، منها ما يتعلق بمظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للفرازة ، ومنها ما يتعلق بالعلاقات بينهم وبين المسلمين خلال فترات الهدنة المؤقتة التي كانت تتعقد بين الطرفين .

وبعد جمع المادة الشعرية والنثرية من المصادر الأساسية تمت بدراستها وتحليلها ثم تصنيفها الى فروع تشكل الانظار التي لصورة الصليبيين في الادب العربي .

ولما كانت المادة واسعة ، والشواهد كثيرة ، فقد أوردت بعض الشواهد وأحسنت القارئ الى مصادر الشواهد الاخرى خفية الامثلة .

وقد قسمت الرسالة الى ثلاثة أبواب وخاتمة ، أما الباب الاول فقد تحدثت فيه عن الشرق الاسلامي قبيل الغزو الصليبي وأوضحته فيه الحالة السياسية في العراق وسفاح الشام ومصر . . . ودور كل منها في الحروب الصليبية ، كما أوجزت أوضاع الغرب الأروبي قبيل الغزو ، والاحباب التي دفعتهم الى مهاجمة الشرق الاسلامي . . . وحددت في هذا الفصل الضائقة التي تعرضت للغزو ، وما نتج عن هذا الغزو من آثار . وأما الباب الثاني فقد بينت فيه لشدة الاسلامية للصراع ، ووردت فيها نظرة دينية للصراع حربي ، أهمسب الادب في توضيح عناصره ، فوصف الجيش الصليبي وقوته وأمداداته ، وأسلحته ومعداتة ، وتآزمه وتحصيناته ، ومشاركه وخطة . . . كما أوضح خدائره هؤلاء الفرازة على الاسلام والمسلمين والبلاد الاسلامية جميعها .

وقد صور الادب كذلك ، حياة الصليبيين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وكانت صورة الحياة الاجتماعية فيه أوضح من صورة الحياتين السياسية والاقتصادية .

وأما الباب الثالث فقد اشتمل على دراسة غنية للشعر والنثر ، وما احتواه من خصائص ثم مقارنة بين أسلوب الشعر والنثر في تقديم صورة الفرازة . وأما الخاتمة فقد لخصت فيها نتائج البحث ، وما توصلت اليه من حقائق ، ثم أتممتها بمقدمة ملحق :

١ . ملحق شعري : وقد رتبته حسب وثائق الشعراء ما أمكن ، وإن تضررت معرفة سنة الوفاة كنت أدرك الشعر حسب السنة التي قيلت فيها القصيدة أو القصائد . وفي الملحق هذا النظام أوردت القصائد مرتبة حسب التوافي ترتيبا أبجديا .

٢ . ملحق بمقاني المصطلحات الحربية المستعملة آنذاك .

٣ . قوائم بحكام المسلمين والصليبيين في فترة الصراع .

٤ . جدول بتحويل السنوات الهجرية الى ميلادية .

٥. الخرائط وهي أربع : توضح الأولى منها الحروب الصليبية بشكل عام ، وتوضح الثانية الإمارات الصليبية الأربع ، وتوضح الثالثة معارك الصليبيين بعد معركة حطين ، وتوضح الرابعة أسماء الأماكن التي جرت فيها المعارك أو التي ورد ذكرها في الشعر أو النثر .

أما المصادر التي اعتمدت عليها في هذه الرسالة فهي كثيرة ، بسبب طول الفترة واتساع ميدان الصراع ، ولذلك سأقتصر على المهم منها ، والباقي يجده القارئ في فهرس المصادر والمراجع :

١. الدواوين الشعرية :

١. **ديوان ابن الخياط** : - ٥١٧ هـ وفيه قصيدة تسجل الأحداث الأولى للحروب الصليبية .

٢. **ديوان ابن القيسراني** : - ٥٤٨ هـ وفيه عدد من القصائد التي تصف المعركة الاجتماعية وما زان الديوان مخطوطا .

٣. **ديوان طلائع بن رزيق** - ٥٥٦ هـ وفيه قصائد عن عروبه من الفرنج ، واستحداث لنور الدين محمود على تعاون مصر والشام في الصراع القائم ضد النزاة .

٤. **ديوان أسامة بن منقذ** - ٥٨٤ هـ وفيه مراسلات بينه وبين طلائع بن رزيق حول الحروب والمحت على الشام بين مصر والشام .

٥. **ديوان ابن الساعاتي** - ٦٠٤ هـ وفيه قصائد عن الفتح الكبرى زمن صلاح الدين

٦. **ديوان ابن سناء الملك** - ٦٠٨ هـ وفيه قصائد عن الفتح الكبرى زمن صلاح الدين .

٧. **ديوان فتيان الشافري** - ٦١٥ هـ وفيه قصائد عن الفتح الكبرى زمن صلاح الدين .

٨. **ديوان ابن النبيه** - ٦٢٠ هـ وفيه قصائد عن معركة دمياط زمن الملك الكامل بن الأيوبي .

٩. **ديوان ابن مطروح** - ٦٤٩ هـ وفيه قصيدة عن حصار دمياط سنة ٦٤٧

١٠. **ديوان ابن دنيير** - ٦٥٠ هـ وفيه عدة قصائد عن حصار دمياط سنة ٦١٤ وما زال الديوان مخطوطا في المكتبة الظاهرية بدمشق .

١١. **ديوان البهاء زهير** - ٦٥٦ هـ .

١٢. **ديوان البوصيري** - ٦٩٦ هـ وفيه قصائد طويلة تحمل طابعا دينيا وأخيا هذا بالإضافة إلى ثمانية دواوين أخرى أحبر إليها في قائمة المصادر والمراجع .

المصادر الأدبية والتاريخية مرتبة حسب وفيات أصحابها :

ب.

١. **الإيجب** - لأخامة بن مقلد - ٥٨٤ هـ ، وقد صور فيه بعض النواحي الاجتماعية غسي حياة الصليبيين والمسلمين في عصره ، وتمتاز كتابته بالصدق والواقعية ، نظرا لمعاشرته للفرنج مدة طويلة .
٢. **التقسيم القدي في الفتح القدسي** للمصماد الأصفهاني - ٥٩٧ هـ ، وقد جرى تاريخ سبعة أعوام ابتداء من عام ٥٨٣ هـ وفيه وصف دقيق لبعض عادات الفرنج بلغة بدوية مخرقة .
٣. **موسم** - الناصر وجريدة العصر للمصماد الأصفهاني - ٥٩٧ هـ ، وتقع في خمسة مجلدات مقسمة على بيئات مختلفة منها الشام ، مصر والعراق ، وتحتوي هذه المجلدات تراجم أنباء القرن السادس من عصر المؤلف ، ومنتخبات من إنتاجهم .
٤. **رحل** - ابن جبير - ٦١٤ هـ ، وقد وصف فيها حال بعض بلدان الشام زمن صلاح الدين ، ما كان منها في حكم المسلمين ، وما كان منها تحت الاحتلال الصليبي وأورد وصفًا حيًا لبعض عادات الصليبيين كما شهد لها في الأرض المحتلة .
٥. **الكامل** لابن الأثير - ٦٣٠ هـ ، ويحتوي تاريخًا لأحداث الحروب الصليبية ، وبعض القصائد التي قيلت في الحروب .
٦. **النسب** - السلطانية والمحسن اليوسفي ، ليهاء الدين بن شداد - ٦٣٢ هـ ، وقد ألفه عن صلاح الدين ، وقسمه إلى قسمين : الأول : في مولده ونشأته وخصائصه والثاني : في تقلبات الأحوال به ووقائعهم ، وفيه وصف للصليبيين وأدواتهم القتالية وخططهم الحربية .
٧. **رسالة حلب** من تاريخ حلب لابن المديم - ٦٦٠ هـ ، ويحتوي تاريخًا لأحداث الحروب الصليبية .
٨. **كتاب** الروضتين في أخبار الدولتين وكتاب الذيل على الروضتين لابن شامة القدسي - ٦٦٥ هـ ، ويحتويان مادة شعرية ونثرية شخصية جدا . ويستخدم المؤلف في أخباره على المؤرخين الذين سبقوه وعلى دواوين السرايا ، وقد حُفَّت كثيرا من النصوص من الضياع .
٩. **الفوائس** الجليلة في الفرائد الناصرية للملك الامجد الحسن بن داود - ٦٧٠ هـ ، وهو مخطوط في دار الكتب المصرية ، ويحتوي عدة رسائل لوالده ، ومنها تلك التي يمشيها إلى الملك الصالح أيوب يحرضه على قتال الفرنج .

١٠. تشريف الايام والمصور لابن عبد الله العر - ٦٩٢ هـ ، وهو في حيرة الطلح المنصور وفيه توضيح للسنوات الاخيرة من الحروب الصليبية .
١١. مفرج الكروب في اخبار بني أيوب لابن واصل - ٦٩٧ هـ ويقع في أربعة مجلدات ، يتحدث فيها عن الملوك من بني أيوب ، وفيه شعر مرتبط بالاحداث الهامة .
١٢. نهاية الارب للنويري - ٧٣٢ هـ وهو في ثلاثين مجلدا وقد اعتمدت على الاجزاء التالية : الخامس ، والسادس ، والثامن ، وهي مطبوعة والبحر السابع والعشرين وهو مخطوط ، وفي هذه الاجزاء بعض الرسائل والمجاهدات المرتبطة بالحروب الصليبية .
١٣. تاريخ ابن الفرات - ٨٠٧ هـ وهو في عدة مجلدات ، وفيه تاريخ للحوادث وذكر للاشعار التي ترتبط ببعض هذه الحوادث .
١٤. عقد الجمان للمبضي - ٨٥٥ هـ وهي أجزاء كثيرة ما زالت مخطوطة بدار الكتب وفيها ، بعض القصائد التي لا توجد في المؤلفات الاخرى هذه بعض المصادر الاساسية التي اعتمدت عليها ، ويجد القارئ مجموعة كبيرة في قائمة المراجع والمصادر ، وهناك مصدران فرنسيان معاصران للحروب الصليبية ، لا بد من الاشارة اليهما وهما كتاب مؤرخ مجهول حقته د . حسن حبشي وفيه وصف لبعض الاحداث والكتاب الثاني هو مذكرات كتبها جوفانفيل أحد مرافقي الملك لويس التاسع الفرنسي في حملته على مصر .
- ومما يجدر ذكره أن المصادر العربية تتميز بدقتها ودقتها وقد نوه كل من هاملتون جب وقلوب حتي بدقة هذه المصادر .
- هذا ، وقد اعترضني بعض الصحبات في هذه الدراسة ، أهمها : أنها لا تشمل الشعر والنثر مما ، وتستغرق فترة الحروب الصليبية كلها في بلاد الشام ومصر مع أن الزمن المحدد يضيّق عن الوفاء بما تتطلبه دراسة واسعة كهذه ، لا سيما أن بعض المخطوطات لم يتيسر لي الحصول عليها في الأردن ، مما اضطرني الى السفر الى سوريا ولبنان ومصر ، وكان من فضل الله علي أن اقترن السعي بالتوفيق فله الحمد على ذلك .
- ولا يفوتني أن أشكر أستاذي القابل د . محمود ابراهيم الذي أشرف على هذه الرسالة ، فأبدى توجيهاته وأرشاداته وأمني النشار والزلل ، وقدم لي بعض المصادر التي تذكر الحصول عليها لولاه .

وأخيرا ، أقول ما قال العماد : " إنني رأيت أنه لا يكتب لنفسه كتابا في يومه إلا قال في غده ، لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذه أعظم المبر ، وهو دليل على استيلاء النقي على جملة البشر " .

فأحمد الله إن أصبت ، وأعتذر للقاري إن أخطأت ، وط توفيقسي إلا لله
عليه توكلت وإليه أنصبت ...

عبد القادر أبو شرف

الجامعة الاردنية

١٩٧٧ / ١٩٧٨ م

المصباح الأول

توثيق تاريخية

- الفصل الأول : الحشر الإسلامي قبيل النزول الصليبي
الفصل الثاني : الحشر الأوروبي قبيل النزول الصليبي
الفصل الثالث : الصراع : مداه وزيانته
-

الفصل الأول

الشرق الاسلامي قبيل الفتح الصليبي

شهد القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، صراعا غنيا بين الروم والمسلمين تمكن الروم خلاله من السيطرة على أجزاء من بلاد الشام ، ولم تقف الدولة الفاطمية في وجهه الفتح البيزنطي لاحتلوا بلاد الشام حتى القدس (١) ، وقد ساعد على وقف هذا الفتح كذلك انشغال الامبراطور البيزنطي باسل الثاني بشؤون أرمينية ، إذ كانت تمر بمحلة ضعف أخرى الامبراطور بها ، فضمها الى ممتلكاته ، وأقام فيها الحاميات وأنفق عليها الاموال الطائلة ليجنبها مخاطر القوى الاسلاميّة ، ولكن صارتها الشاميّة ، وضعفها الذي ساعد على تمكن الروم من احتلالها ، جعل هذه الخطوة غير مضمونة السواقب بالنسبة الى الدولة البيزنطية ، فقد ظهرت مخاطر تهدد كيان الدولة البيزنطية من الشيطان بسبب الفترات المتكررة التي تقام بها الهنار ، مما سبب درجة المواطنين في البلقان ، وترك الاراضي الزراعية ، فتمسك بالامبراطور عدّة حملات ايوتف بهجمات تلك القبائل (٢) ، وفي الوقت نفسه ظهرت قوة أخرى في الشرق من اخلاط القبائل التركية ، كانت تعتد في مسيحتها على الاغارة والنهب ، حتى دخلت ديار الاسلام فأسلم زعيمهم سلجوق بن دقاق ، وأقام بنواحي بخارى حتى مات ، خلفه ابنه ميكائيل ، ويحمد موته تولى الأمر ابنه طغرل بك (٣) .

انتهم طغرل بك صراخ القوى في فارس والسران ، فطام نحو الفزنويين لقرينهم إليه ، ضد الهويين ، وقد حقق الفزنويون انتصارات وسعت مملكتهم ، لكن طغرل بك لم ينله منها شيئا ، فعمد الى استمالة التركمان في نواحي خراسان مما زاد من قوته ، وحدثته نفسه بالانفصال عن الفزنويين ، فأحسن السلطان محمود الفزنوي - خليفة السلطان محمود الفزنوي - هذه النوايا ، وجنّز جيشا لايقاء الاعتداءات السلجوقية على مملكته ، فالتقى مع السلجوقية فسيح داندانقان ٤٣١ هـ / ١٠٤٠ م ، وكانت الدائرة عليه ، فاستولى السلجوقية على مملكتهم (٤) ، وانحصر نفوذ الفزنويين في أفغانستان (٥) .

(١) سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ط ١ ، مكتبة الأنجلو المصرية

القاهرة سنة ١٩٧٥ ، ج ١ ص ٦٥ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٦٨ ، ص ١١٩ .

(٣) ان له من الابناء : أرمان ، وميكائيل ، ويوس ، أنظر السلوك المبررة دون المسموع ج ١ ص ٣٠ .

(٤) كان له من الابناء : بيغو ، طغرل ، ينان ، جغور ، بيا ، داود ، أنظر المصدر السابق ج ١ ص ٣٠ .

(٥) ابن بطيحا ، الفخرى في الاداب السلطانية ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٢٩٣ .

(٦) الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية تحقيق محمد أتبال ، أنور سنة ١٩٧١ ، ص ١٩٤ .

(٧) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ج ١ ص ٧٦ .

اندفع السلاجقة حينئذ بزعامة طغرل بك يتوسعون على حساب دولتي المسلمين والبيزنطيين ، اللتين كانتا تعيشان مرحلة تفكك وصراع داخلي ، بينما اجتمع للسلاجقة عدة محركات منها القيادة الطموح ، والقوة الضاربة ونشوة الانتصارات القتالية .

وحدث أن تجبر البوسنيون وأرغوا أهل السنة على الاشتراك في أعياد الشيعة مما أدى الى الفتن في العراق (١) ، فأسس طغرل الى بغداد وأزال دولة بني بويه ، وقدم الولاء الرمزي للخليفة الذي أنضم عليه بلقب أمير المسلمين ونائب وصي أمير المؤمنين (٢) وحده أن أستقر الأمر في بغداد توجه الى نصيبين " وديار بكر " ، فضمها الى ملكه ، واستولى على الموصل وولى عليها أخاه (يقال إبراهيم) (٣) ، وكان قد سيطر على أجزاء واسعة من فارس وشمالي العراق ، وأخذ أصبحها عاصمة له (٤) .

لكن أئصار بني بويه في بغداد لم يفتوا مكتوفي الأيدي بعد تدمير دولتهم ، إذ قام أحد تادتهم ويدعى " البساسيري " بتكوين جماعة تدعو الى الثورة على الخليفة العباسي وأتمت مع الخليفة الفاطمي كي يساعده في إعلان الحكم الفاطمي في بغداد . . . وحسين أنس في نفسه القدرة عزل الخليفة العباسي ودعا للخليفة الفاطمي ، فعادت الفتنة الى بغداد (٥) .

وحين علم طغرل بك بفتنة البساسيري ، قدم ثانية الى بغداد وقضى عليه سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م وأعاد الخليفة العباسي الى كرسي الخلافة ، مما جعل الخليفة ينعم عليه بلقب ملك الشرق والغرب ، كما دعاه بالسلطان مكافأة له على ما أسداه من مصروف (٦) لكن طغرل بك كان بعيد النظار ، فأراد أن يسبغ على حكمه شرعية أكثر ، فطالب من الخليفة أن يزوجه ابنته ، وما كان الخليفة يستلبي أن يرد طالب الحاكم الفعلي لبغداد حتى تسي المسائل الشخصية ولكن موت الفشل أنهى أخراج الخليفة وعادت ابنته من " الرزي " بمعد وفاة طغرل سنة ٤٥٥ هـ (٧) .

وبعد موت طغرل بك بالنزى خلفه ابن أخيه - عند الدولة أبو شجاع محمد ألب أرسلان* وقد سار على نهج عمه طغرل بك في التنظيم الداخلي والفتوحات الخارجية ،

- (١) ابن الأثير ، الكامل ، دار صادر ، ودار بيروت سنة ١٩٦٦ ج ٩ ص ٥٩٣ .
 - (٢) عبد القادر يوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ، بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ، المكتبة المصرية ، صيدا سنة ١٩٦٩ ص ١٧ .
 - (٣) القريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ت محمد مصطفى زيادة ، دار الكتب المصرية القاهرة سنة ١٩٣٤ ج ١ ق ١ ص ٣٦ .
 - (٤) المصدر السابق ص ٣٦ (٥) الكامل ١٠ / ١٠٤٠ - ٦٤٢ .
 - (٦) علاقات بين الشرق والغرب ص ١٨ .
 - (٧) السلوك ج ١ ق ١ ص ٣٣ ، وأندرسون رنيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، نقله السيد الباز الحريثي ، دار الثقافة ، بيروت سنة ١٩٦٧ ج ١ ص ١١٥ .
- * ألب أرسلان هو ابن جفري بن داود بن ميخائيل من سلجوق ، وسبب توليته هو أنجساب طغرل ورثا .

مستفيدا من قوته التي ازدادت بسبب الفتوحات السابقة وضمف البلدان المجاورة • كما تابع فتوحاته في أرض أرمنية فأحتل "آني" و"قارس" وهما السامتان القديمتان لأرمنية ما جعل الطريق مفتوحة الى الأناطول • كل ذلك وأمبراطور بيزنطة تصد لنفوس الماشر دوقاس لا يحاول صد الهجمات (١) مما أتاح الفرصة للسلطان ألب أرسلان لأن يولد قدميه في المناطق التي يحتلها مناكنا بذلك ما كان يحدث في عهد سلفه من الأباطرة •

وفي سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م تولى العرش البيزنطي أمبراطور جديد عمل على تقوية الجيش وإمداده بالمرتزقة من التركمان والنورمان أملا في أن يستطيع درء الخطر السلجوقي الذي أضفى يهدد عاصمة بلاده • وقد تمكن الأمبراطور رومانوس ديوجين الرابع من ذلك فصد الهجمات السلجوقية • بل وتمكن من استرجاع بعض المدن (٢) مما شجعه على الاستمرار والمضي قدما لاسترجاع أرمنية • فخرج بجيش قوامه مئة ألف مقاتل (٣) وفي تلك الاثناء كان الامير ألب أرسلان منهكاً في مواصلة ضم الاراضي في بلاد الشام حيث أخضع حلب • وأمر عليها صاحبها محمود بن نصير المرداسي • ثم بحث جيوشه بقيادة "اتسز" فاستولت على القدس والرملة وأنتزعتها من أيدي الفاطميين (٤) • كما واصلت زحفها لتستولي على مكة والمدينة بينما قام بمحاصرة دمشق بنفسه (٥) • وفرغ عليها محيشة اقتصادية سيئة • فقلع عنها الميرة ورعى الزرع وازداد غلاء الاسعار فغضب ونزع أكثر سكانها عنها (٦) • ولكنه حينما سمع بتحركات الأمبراطور البيزنطي كثر راجعا الى أرمنية • والتقى الجيشان السلجوقي والبيزنطي في "ملاذكرد" • وكان أن انسحبت الفرق التركمانية من الجيش البيزنطي • مما نتج عنه ضعف روح البيزنطيين المعنوية • لكن ذلك لم يوهن من عزيمة الأمبراطور بل بقى مصمما على القتال الى أن دارت الدائرة عليه • وقتل معظم جنده وتمكن أرسلان من القبض عليه أسيرا (٧) •

وقد كان لهذه الواقعة آثار متعددة : منها تردي الروح المعنوية عند الروم مما اضطرهم الى الاستنجاد باللاتينيين (الفرنج) رغم ما بينهما من عدا • وهذا كانت سببها مباشرا من أسباب الحروب الصليبية (٨) • ومنها • تدخل السلاجقة في شؤون الدولة البيزنطية • ومنها • ازدهار دولة السلاجقة واتساعها • وقد نتج عن هذا الاتساع فيما بعد انقسامها الى ثلاث دول هي : دولة سلاجقة الروم • ودولة سلاجقة الشام • ودولة سلاجقة فارس

(١) الحركة الصليبية ج ١ ص ٨٦ (٢) الكامل ج ١ ص ٦٠

(٣) رنسيان • تاريخ الحروب الصليبية ج ١ ص ١١٥

(٤) الفارقي • تاريخ الفارقي • ت بدرى عبداللطيف • بولاق • القاهرة ١٩٥٩ ص ٤٧٣

وانظر أبو الفداء • مختصر في تاريخ البشر • المطبعة الحسينية مصر ٩٠٠ ج ٢ ص ١٨٧

(٥) تمارا تالوت رايس • السلاجقة • تاريخهم وحضارتهم • ترجمة لطفي الخوري وإبراهيم

الداقوقي • مطبعة الارشاد • بغداد ١٩٦٨ ص ٢٣

(٦) ابن القلانسي • ذيل تاريخ دمشق • مطبعة الاباء اليسوعيين • بيروت ١٩٠٨ ص ٩٨-٩٩

(٧) الكامل ٦٦/١٠

(٨) The Ency. of Islam, Malazgird

وقد ازدهرت الدولة السلجوقية في عهد ملكشاه بن ألب أرسلان حتى بلغت الذروة بفضل هذا الملك، ويشغل وزيره نظام الملك الذي عرف بحسن إدارته وسنة أفقه، وفضل علمي أيجاد نهضة علمية وعمرانية لم تشهد لها المنطقة منذ مدة طويلة.

أما ملكشاه فقد نذر نفسه لاستكمال الفتوحات، حتى بلغ به الطموح أن ينكر بقتلهم أقاليم الدنيا (١)، ولذلك اعتمد على قادة أقوياء أوكل لكل منهم منطقة معينة، فجعل الأمير برسق المنطقة الروم، فتعايقها وأقر على قسطنطينية جزية بلغت "ثلاثمئة ألف دينار للسلطان وثلاثين ألف دينار يؤديها الرومي بالصفار والهوان" (٢) كما جعل أخاه تاج الدولة تنكش صؤولاً عن أقاليم الشام يساعده في ذلك أمير الرها "بوزان"، وأمير حلب "آق سنقر"، حتى إذا استكملوا أقاليم الشام توجهوا نحو ديار مصر ثم بلاد المغرب (٣).

ولعله فضل ذلك بناءً على تصور لماضي العالم الإسلامي زمن طغرى الرشيد، فأراد أن يسيد مجد الدولة الإسلامية من الناحية السياسية على يد قاداته النظام، ومن الناحية العسكرية على يد وزيره نظام الملك (٤).

أما عن توسعات السلطنة في الجهات الغربية من أرض الروم (٥)، فقد تولى سليمان بن قتلش بن إسرائيل بن سلجوق "أحد أقاربه بحيث أصبحت الدولة السلجوقية تضم ما يقرب من ثلاثة أرباع آسيا الصغرى" وأمدت دولة السلطنة بذلك في منطقة تقع بين حدود الصين شرقاً إلى بحر مرمرة غرباً (٦).

وأنفذ سليمان بن قتلش مدينة نيقية مركزاً له، وضم إليها ولاية نيقوبديا، ومنها راج مهاجم أرض الروم، يساعده في ذلك أمير أزمير، وقد استلح بعد أن أنشأ أسطولاً أن يهدد القسطنطينية وأن يحتل بعض الجزر القريبة من "واطى" آسيا الصغرى، وما سهل على سليمان هذا التوسع التخلي السياسي الذي كانت تمر به الدولة البيزنطية، حتى بلغ الأمر ببعض الأباطرة أن يستجدوا بالسلطنة مقابل السكوت عن ضم بعض الأراضي البيزنطية (٧).

(١) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ملهمة الموسوعات، مصر ١٩٠٠ ص ٦٥.

(٢) المصدر السابق ص ٦٥، ٦٦.

(٣) المصدر السابق ص ٦٦.

(٤) رشيد الجميلي، دولة الأتابكة في الموصل بعد عباد الدين زنكي، دار النهضة/بيروت ١٩٧٠ (ص ٣١٣).

(٥) سعيد عبدالفتاح، عاشور، الحركة الصليبية ج ١ ص ٨٧.

(٦) ابن المبرق، تاريخ مختصر الدول، طبعه أنطوان سالخاني، الملهم الكاثوليكية/بيروت ١٩٥٨ ص ١٨٦، وأنظر حامد غنيم، الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، مكتبة الشباب القاهرة ١٩٧١ ج ١ ص ٩٥.

(٧) سعيد عاشور، الحركة الصليبية ج ١ ص ٨٩، ٩٠.

إلا أن هذا التوسع حمل معه بذور التمرد السياسي ، فقد تشكل من الميسسيات السلجوقي ثلاث دول هي : دولة سلاجقة الروم بقيادة سليمان بن قتلش ، ودولة سلاجقة الشام بقيادة قتلش بن ألب أرسلان ، ودولة سلاجقة فارس بقيادة ملكشاه بن ألب أرسلان .

وفضلاً عن هذا الانقسام فقد دب الخلاف بين أمراء السلاجقة ، إذ اتجه سليمان بن قتلش إلى التوسع على حساب أبناء عمومته في الشام ، فأصدام من قتلش قرب حلب ، حين أراد سليمان ضمها إلى ممتلكاته ، فأستنجد صاحبها بقتلش ، فأجده وتكن من قتل سليمان سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م (١) ، وقد كان يقتل سليمان بداية أضمحائل سلاجقة الروم ، إذ إنهم ترك طفلاً صغيراً اسمه تلي أرسلان ، لا يقدر على أعباء الحكم ، وحين قدم ملكشاه ليتسلم حلب من أهلها أخذ معه هذا الطفل وعاد إلى فارس ، ليقيم تحت رقابته ، مما أفسح الفرصة لبعض أمراء التركمان للظهور (٢) .

ومن الإمارات التي ظهرت : إمارة نيقية ، وإمارة أزمير ، وإمارة كبادوكيا وقد حاول أمير نيقية التوسع على حساب سلاجقة فارس ، فجدد له ملكشاه حملة تدميرية فأحتشد بأمرها طيور الروم " ألكسيوس كومنين " الذي أغتم الفرصة ليبدأ الفتنه اشتتالاً بها لتألي يخلو له الجسر لينتقم منهم جميعاً ويستعيد بلاده ، حتى بلغ به الأمر أن رفض عرضاً من سلاجقة فارس ، يقضي بأن ترد له بعض الأراضي على أن يتخلى عن مساعدة أبي القاسم أمير نيقية (٣) ، وما لبثت النزاع أن نشب بين سلاجقة فارس والشام ، وسبب ذلك أن أهل حلب أعتصموا عن تسليم بلد لهم لتتشر بعد انتصاره على سليمان بن قتلش ، وأنها أرسلوا إلى ملكشاه ، فسلمها منهم جميعاً ، وضجها لحاجته تسيم الدولة آتسنقر ، ثم تابع سيره إلى أنطاكية وتسلمها من الحصن من طاهر وزير سليمان بن قتلش ، وولى عليها مؤيد الدولة ياغوسيان ومقيم لها تحت أمرة تايمة القاشد بوزان ، وبذلك لم يبق لقتلش سوى دمشق وشمسليين التي كان يحكمها الأمير ارتق ، ثم أبنه سكان الأول (٤)

ولما أدرك تشر أن الصدام المسلح لن يجدي ، ذهب إلى أخيه ملكشاه في بغداد سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م ، وسأله التوسع في بلاد الشام على حساب الفاطميين فأمره بمراء حلب وأنطاكية والرها (٤) ، ولم يتوقف الخلافات عند هذا الحد ، إذ أن وازود السلطان ملكشاه شكك من حديثها ليس إلا ، إذ أنه عني على أرضاء أخيه تشر ، كما عدل على استنطاب أبناء شويته غسي الاناضول ، ولكن تفكك الدولة السلجوقية تهدد للمسيان بعد وفاة ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م

(١) أبو الفداء ، المختصر في تاريخ الإسلام ج ١ ص ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١

(٢) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ج ١ ص ١٠٣

(٣) المصدر السابق ص ١١٥

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ١٠٤ ، ١٠٥

وخلب ملكه أرملة أمه هم محمود وركساروق ومحمد وسنجر . وقد تمكن بركساروق من الاستيلاء على معظم أجزاء الدولة (١) .

وعندما علمت شيوخ أرملة ملكه طعن في أن يكون له نصيب في تركته ، فجهز نحو حلب ، وفيها الأمير آتسقر ، فسامها إليه ، وحذا عذوه كل من أمير أنطاكية وياغيسيان وأمير الرها بوزان ، ثم جهز جيشا وسار به شرقا يريد أرض فارس التي يحكمها ابن أخيه ، وفي طريقه أخذ بعض المدن ، ثم دخل أرض فارس ، وهناك تعرض له بركساروق ، وكان أن انحاز كل من أمير حلب والرها إلى جيش بركساروق ، مما اضطر تنش إلى العودة إلى الشام لمعاينة الأميرين ، وحاول بركساروق أن يجند الأميرين ، فجهز جيشا كان على رأسه كوشس ، لكن تنش تمكن من إيقاع الهزيمة بهم (٢) .

وبعد أن أخذ تنش هذا الحركة الانشغالية ، أعاد الكرة إلى فارس ، واستولى فسي طوق على الجزيرة ، وديار بكر ، وخلال عودته إلى أنطاكية في أغسطس (٢) ، ثم تابع زحفه إلى فارس فاحتل همدان وأدي ، فقصده له بركساروق ، وقد انضم إليه جيش ابنه محسن ، واستطاع أن ينزل بجيش تنش هزيمة ساحقة ، تمكن من قتله هو وخوادمه (٣) ، وبعد هزيمته ترددت الأحوال في الشام بسبب ذلك أن تنش خلفه ولدين هما رضوان ودقاق ، فأشذ الأول حلب (١٠٦٥ / ٤٨٨ - ١١١٣ / ٥٠٧) وأشذ الثاني دمشق (١٠٦٥ / ٤٨٨ - ١١١٤ / ٥٠٨) لكن رضوان حاول أخذ دمشق لنفسه ، فحصل على تكوين حلف من حلفاء دمشق ، فحدثه عن شجاعة لهذه الحفوات ، فأنقسم الشام إلى ست دويلات هي : حلب وأميرها رضوان ، دمشق وأميرها دقاق ، القدس وأميرها سكان بن الأرق ، وأنطاكية وأميرها ياغيسيان ، وهذه الإمارات سلجوقية ، وطرطوس وأميرها القاضي ابن طغر الذي استقل عن الفاطميين ، وشيزر وأميرها علي بن منقذ ، وقد أسسها سنة ٤٧٤ / ١٠٨١ م .

وتفكك من هذا لامارات نتيجة الصراع بين الأخوين حلفاء متصارعان ، تزعم الحليف الأول حلب بقيادة رضوان ، واثنت حوله أراتقة ، بار بكر ، ونبائل بني كذاب ، وأمارة شيزر ، وتزعم الحلف الثاني دمشق بقيادة دقاق ، واثنت حوله أراتقة القدس ، وياغيسيان أمير أنطاكية ، وبينما هم على وشك الالتقاء عند شيزر كانت طلائع الحملة الصليبية الأولى قد شارعت الشام ، فانسحب رضوان إلى حلب وياغيسيان إلى أنطاكية ليحرف على السلطات العسكرية ، أما دقاق فلم يكثر للقوات النازية ، بل راجع مهاجما ديار بكر ، كما انتهر الفاطميون أنشغال السلجوقيين بعضهم بعضا فأحفلوا القدس ، وقد خطب رضوان للمستقليين بأمر المماليك الفاطمي أرس بجي ، ثم غشي طائفة ذلك فقطعها وأعاد الخطبة الصليبية (٤) .

- (١) الكامل ج ١٠ سنة ٤٨٥ ص ٦١٤ وابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٧ وأنظر الحسيني أخبار الدولة السلجوقية ص ٧٥ ، أبو الفداء ، المختصر ج ٢ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ابن الوردي ج ٢ ص ٨ ، ٩ .
(٢) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٠ ، أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ١٠ .
(٣) ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، المطبعة الوهبية ، القاهرة ١٨٦٨ ، ج ٢ ص ٩ .

وهكذا نجد أن السلاجقة أمدوا الدولة العباسية بفترة نشاط بلغت نصف قرن تقريباً لكن تقسيم الدولة على الورثة وما تبعه من منازعات أغنتها الامراء طور الكيسوس كوغين جـمـسـلـ الاوضاع تتردى ، وتتهيء الظروف المواتية للغزو الخارجي .

ولم يكن التمزق الذي أصاب بلاد الشام بأقل من التمزق الذي أصاب الدولة العباسية والدولة الفاطمية . .

اوضاع الدولة العباسية :

خضعت الدولة العباسية للبويهيين مدة قرن تقريباً (١) ، عملوا خلالها على إضعاف سيطرة الخليفة حتى أصبح أسماً لا مضمون له ، ولم يتوقفوا عند هذا الحد بل تهموا الخليفة الشيعي ، وقهروا الرعية ، وبذلك عمت المييبة ، فلا قيمة للخليفة ولا للرعية ، مما أدى إلى أعمال نار الفتنة ، أيجرت أحداث جسام كان ابتداءها أواخر سنة ٤٤٤ هـ ، فلما كانت سنة ٤٤٥ هـ هزم الشير (٢) ، وكان قد ظهر في فارس قوة تركية ، تمكن زعيمها محمود الفزنوي (٤١١ / ١٠٣٠) من احتلال إقليم خراسان كما أنتزع من البويهيين جزءاً من عراق المجمع ، حتى شملت رقعة مملكته المساحات الممتدة من آسيا الوسطى شرقاً حتى السراق غرباً ومن بلاد فارس شمالاً حتى الهند جنوباً (٣) .

لكن السلاجقة تمكنوا بقيادة طغرل بك من السيطرة على معظم مملكة الفزنويين ونظموا إلى الأحداث الدائرة في العراق ، إذ كان أمير الأمراء البويهيين الملك الرحيم خسرو غيسرور (١٠٤٨ / ٤٤٠ - ١٠٥٥ / ٤٤٧) قد أرضى لقادته السنان ، فنجسوا خاندان الديار ، حتى فكر البساسيرين بأن يقضي على الخلافة العباسية ويعلن الخلافة الفاطمية في بغداد لتكون تابعة للفاطميين في مصر (٤) ، كما سبوا أن أوردنا ، وحينئذ ، تدخل طغرل بك رسمياً ، وقضى على ثورة البساسيرين ، وأعاد الخليفة ثانية إلى كرسيه ، فأعقد عليه الخليفة اللقب التي لا يملك غيرها ، بما أتاح الفرصة للبساسيرين أن يتمكن جذوره في بغداد لا سيما بعد ما أحرزه من نصر معنوي ، إذ ازدادت ثقة الرعية به لأطاعته الخليفة لما للخليفة من احترام ديني ، فأعلن اسمه في الخطبة ، وقدم أبنة أخيه البارسان زوجة للخليفة ثم طلب يد أبنة الخليفة لتكون زوجة له (٥) ، لكن موته أوقف نفوذه وخططه فأكملها البارسان (١٠٦٣ / ٤٥٥ - ١٠٧١ / ٤٦٥) الذي سار على نهج أخيه فحصل على ترسيخ السلطة في يده بحيث لم يمسد للخليفة حكمه (٦) .

- (١) سميد عاشور ، الحركة الصائبية ج ١ ص ٢٧٧
- (٢) ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ سنة ٤٥٥ هـ ص ٥٩٣
- (٣) تاجار تالوت واين ، السلاجقة ص ٦٣
- (٤) ابن بطاطنا ، الفتن في الآداب السلطانية ص ٣٩٣
- (٥) ابن الأثير ، الكامل ج ١٠ ص ٢١٦
- (٦) الفارقي ، تاريخ الفارقي ص ١٢٥ وانظر ابن الأثير ج ١٠ ص ٦١٦

وفي عهد ملكشاه قوى سلطان السلجوقية وتنفذوا في بغداد وغيرها ، حتى أن الخليفة شكاه عبد المراءى إلى السلطان ملكشاه (١) ، وقد اتفق السلطان المذكور ببغداد مقرا شتويما له ، بينما جعل مقره الصيفي في أصفهان ، ومن خلال هاتين العاصمتين أدار ملكه ، واتصل باتباعه وتواد مني الشمال والجنوب ، حتى اتسعت دولته وقويت شوكتها وعززت مملكتها وأستولت في الواقع على الخلافة (٢) ، وبالأخص هنا أن ملكشاه قد طور نفوذ السلجوقية ، فلم يسجد عمن سلطان من قبل أنه اتخذه عاصمة له ، بل فعل ملكشاه أكثر من ذلك ، إذ حاول نقل الخلافة إلى واحد من نسله (٣) .

وموت ملكشاه فتكثرت الدولة السلجوقية - كما بينا - وظهرت مخاطر جديدة ، وقوى قبلية ، نخرت جسم الدولة العباسية ، وسالت دون اضطرابها بدورها في الحياة الإسلامية . أما المخاطر الجديدة ، فهي ما حصل بين السلطان بركياروق وأخيه السلطان محمد ، فبعد أن هدأت الفتنة بموت تثنى في الري ، سيطر بركياروق على فارس والعراق ثانية ، لكن أخاه محمد لم يحجبه ما ناله من أرض أذربيجان وأرمينية وديار بكر والموصل (٤) ، فثار على أخيه وتمكن من الانتصار عليه في سنة ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م ولكن بركياروق ، بجمع جموعها عظيمة وأوقع بأخيه محمد هزيمة قاسية ، مما اضطره إلى الصلح سنة ٤٩٨ / ١١٠٤ .

وكان العراق وفارس مسرحا لهذه العمليات ، مما أدى إلى انتشار الفساد والأوبئة والخراب وزاد في فقر الناس وعدم تحملهم للحطاب التي جابهتهم مع قدوم الحملة الصليبية الأولى التي وصلت إلى الرها . وأما القوى القبلية ، فقد ظهرت منها قوتان ، أولاها قوة بني مزيد وهي قبيلة عربية عاشت على الضفة الغربية لنهر الفرات ، وقد تزعمها صدقة بن منصور ابن دهم بن مزيد الأسدي ، واتخذ من منزلة الحلة التي بناها سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م مقرا له ، وفيها أعلن انفصاله عن الدولة السلجوقية التابعة لبركياروق وأخذ يتوسع في فترة الأحداث على حساب الدولة العباسية والدولة السلجوقية ، حتى أمتدت دولته من هيت إلى الكوفة وواسط (٥) .

وكثيرا ما وقعت الفتن في العراق ، حتى وصل بهم الأمر غيما بسد إلى أن استنجدوا بالصليبيين للمحافظة على كياناتهم .

-
- (١) أبو الفداء ، المختصر في تاريخ البشر ، ج ٢ ص ١٦٤
 - (٢) ابن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية ص ٢٩٢
 - (٣) ابن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية ص ٢٩١
 - (٤) ابن الصبري ، تاريخ مختصر الدول ص ١٢٧
 - (٥) سعيد عبد الفتاح ، عاشور ، الحركة الصليبية ج ١ ص ١١٢

والقوة الثانية هي قوة الاسماعيليات* ، وزعيمها الحسن بن صباح ، وقد تفاقم خطرنا في عهد المستنصر فامتدت على الحصون والمنقل بمصر اسان ، واتصل زعيمها بالفاطميين في مصر ، وعملت على تهيبه الناس للثورة في بغداد ، وقد استنجد الاسماعيليون من حالة الفوضى التي تمر بها الدولة العباسية والدولة السلجوقية واخذوا يهاجمون الضياع ويشتون الخوف في نفوس الناس ، يقول الحنبلي (١) في أحداث سنة ٤١٤ : " كثرت الباطنية بالمصرق والجبل ، وملكوا القلاع وقطعوا السبيل وأهزم الناس من شأنهم واستفحل أمرهم لا يقتل أولاد ملكهم بنوهم بنفوسهم " ، ويقول في موضع آخر (٢) : " وعظم الخطب بنو لاء الملاحين ، وشاغهم كل عالم وأمر لهمجوتهم على الناس " ، وهذا يدل على أنهم لم يقتصروا بأعمالهم الإجرامية المخالفة للحكم فحسب ، بل هددوا كل من خالف دعوتهم ، ولذلك كانوا عوناً لم يكن مثله للصليبيين في تهيبه الأوضاع وهذا ما عبر عنه : ستيفن رنيمان . بنوله (٣) : " أنهم اجتمعوا عامة في الميادين الإسلامية للمسيحيين أنفسهم لا تقديروا " ويهين أنهم تعدوا لكل محاولة مسيحية من شأنها بجمع شتات الامة ، وذلك بسدة دار ، أهمها اغتيال القادة وهو من أهم أسلحتهم .

هذا مجمل لما كان عليه الوضع في العراق والشام ، خيلاف مستمر ، وغروب ونساد ، وخوف المولاة بعضهم من بعض ، مما نشق عنه أعمال الرعية ، وزيادة تجزؤ بلاد الشام حتى لا يخيل للمصافح أن كل بلدة منها تشكل دولة .

وفي هذه الأوضاع المتردية قدمت الحملة الصليبية الأولى ، ولكن كيف كانت الحالة في مصر ؟ ، وما هو دورها في الحملة الاولى ؟ ، هذا ما سنحاول الاجابة عنه في الصفحات القادمة .

- (*) الاسماعيليات : فرقة تدين بمبادئ الشيعة المتطرفة ، وتنسب الى مؤسسها الحسن بن صباح ، وكانت تنادي بأمامة اسماعيل بن : جعفر السادس ، ففرقوا بالاسماعيليات ، وكذلك أطلق عليهم اسم الحشيشية لاستعانتهم بالحشيش ، في حوادث القتل ونشر بذلتهم في الشام على قلعة الموت وهي من أحصن قلاعهم ثم ظهر حروفي مناطق مختلفة من بلاد الشام مثل حلب ، دمشق ، نزاربل ، بانياس ، . . . وقد تعرضوا لعدة عمليات إبادة لسوء أعمالهم (انظر : المختصر في تاريخ البشر ج ٤ ص ١٢٠ ، ودولة الانطاكية في الموصل لرشيد الحنبلي ص ٤٣ ، ابن الأثير ، الكامل ج ١ ص ٤٢٢ و ٢٧٥)
- (١) الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتب التجاري ، بيروت ١٩٠٠/٣
- (٢) المصدر السابق ج ٤ ص ٤
- (٣) رنيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ج ١ ص ١١٤
- (٤) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٠
- (٥) رنيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ج ١ ص ١١٠

بسط الفاطميون نفوذهم في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي على مناطق واسعة من بلاد الشام ، تمتد من دمشق الى جنوب فلسطين ، وحاولوا احتلال حلب التي كانت تحت أمرة الحمدانيين فأصل أميرها ساعد الدولة بالدولة البيزنطية وبين لهم خطر الفاطميين عليهم اذا احتلوا حلب ، مما جعلهم يتحتمون لمساعدته ضد أية محاولة من جانب الفاطميين لاحتلال حلب (١) ، وقد كان لسعة الدولة الفاطمية وضمف السلطنة المركزية وظهور قوة جديدة في الشرق الاسلامي ، أثر كبير في توجيه الاحداث واضعاف الدولة الفاطمية ، إذ من المعروف أن السلاجقة قد سيطروا على فارس والمراق ثم تحركوا نحو بلاد الشام وأملاكهم معظمها ، وقد خضعت حلب بعد الحمدانيين لسيطرة بني مرداس ، الذين حافظوا على استقلالهم مدة نصف قرن ، وسعد أن استولى عليها السلاجقة استطاع صاحبها " أنسر بن أوق " أن يستولي على الرملة والقدر ومعظم فلسطين وما جاء عام ١٢٠٥ / ٤٦٧ حتى استولى على دمشق (٢) ، لكن الفاطميين لم يسكتوا عن أعماله ، لأنها أفضت الحكم الفاطمي من فلسطين وهددت كيانتهم في مصر ، فوقف بدر الجبالي أمير الجيوش في وجه هذه القوة الجديدة ، وقد نجح فعلاً في إقصاء صاحب حلب عن فلسطين ، كما حاول عزيمه في دمشق ، لكن صاحب حلب ، وقد كان من أتباع السلطان ألب أرسلان ، استنجد بالحاكم السلجوقي تنش فقدم الى دمشق في الوقت الذي كان بدر الجبالي يحاصرهما ، فأثر بدر الرجوع عنهما ، وتسلمها تنش من صاحب حلب ، ثم ما لبثت حلب نفسها أن وقعت في يد الأمير مسلم ابن قريش صاحب الموصل وأنطاكية ، وحين حارب سليمان بن قتلمش احتلال أنطاكية ، هب الأمير مسلم ابن قريش لانجاده لانها له ، فوقع عدام بينهما ١٠٨٤ / ٤٧٨ كانت نتيجة قتله مقتل الأمير مسلم وسقوط أنطاكية بيد سليمان ، ومنها ثابن سيره نحو حلب التي كان فيها نائب الأمير مسلم الشريف حسن بن هبة اللطالطشي المعروف بالحنثي (٣) ، فاستنجد بتنش ، فأنجده وقضى على محاولة سليمان ، وبذا قويت شوكت تنش وتوسع على حساب الفاطميين في الجنوب ، وولى على القدر ، ارتق التركمان ، هبت بيد الارائقة حتى سنة ١٠٩٨ / ٤٩١ م حيث قام الفاطميون بانزعاجها منهم ، بعد أن أقتل السلاجقة فيما بينهم .

(١) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٦٥

(٢) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج ٩٨ ص ١١٦ وأنظر ،

Stanley Lane-Poole, A History of Egypt in the Middle Ages :
Frank Cass and Co. LTD. 1968. p. 161

(٣) ابن المديم ، زبدة الحلب ، من تاريخ حلب ، سامي الدحان ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٥ ، ج ٢ ص ١٩١

ولم يكن الخليفة الفاطمي بأحسن حالا من الخليفة المماليكي ، فكانت لا كان حول له ولا قوة ، وكلاهما أنحسر نفوذه ، فذا يستطعن القصور حتى في الشؤون البسيطة ، وسبب ذلك تنفذ الوزراء ، وما يدل على ذلك أن الخليفة الفاطمي المستنصر أوصى لابنه نزار ، لكن الأفضل بن بدر الجمالي لم يجبه ذلك فأوصى للمستعلي بالله بدل أخيه ، مما أدى بالتالي الى فتنة عامة سنة ١٠٩٥/٤٨٨ انتهت بمصر نزار (١)

وقد عهد الوزراء الى تولية الخلفاء الأحداث ، حتى تكون السيطرة لهم تامة ، وقصد ظهرت آثار هذه السياسة على الديار المصرية والشامية معا : أما بالنسبة الى الديار الشامية فقد انقطعت دعوتهم فيها ، وتمددت أطرافها حتى بلغت سنا ، ففازت عن القوى الاخرى ، وأما بالنسبة الى الديار المصرية ، فقد اختلت دولتهم وضعف أمرهم (٢) .

وبعد ما تبين من الحال الذي كانوا عليه ، ليس من العريب أن يكون دورهم بسيطاً في التصدي للحملات الصليبية الاولى ، وان تكون عملياتهم تجرودة سكما يصبها ابن تنسرى بردي " لا يتجاوز عدد رجالها ثلاثمائة الى اربعمائة " (٣) .

وليس هذا فحسب ، بل تذكر بعض المصادر أن الفاطميين في مصر أرسلوا المسلمين الصليبيين يدعونهم الى الخروج الى الشام ليملكوه ، ويكونوا بينهم وبين المسلمين ، ويذكر رنسيمن أنهم أرسلوا سفارة اليهم بتقسيم أمان الدولة السلجوقية فيما بينهم (٤) .

ومن هنا لا نستغرب الحملة الشواء التي شنّها بعض الشراء على الفاطميين (٥) .

-
- (١) الكامل ، ج ١ ص ٢٣٧
 (٢) مجير الدين الحنبلي ، الأئمة الجليلين بتاريخ التدوين والخليل ، دار الجيل بيروت ١٩٧٣ ، ج ١ ص ٣٠٣
 (٣) النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ٢٤٤
 (٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٢٧٣ ، وأنظر الحروب الصليبية ، ج ١ ص ٣١٦
 (٥) أبو شامة المقدسي ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، محمد علي أحمد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦ ، ج ١ ص ٢ ص ٤٩٦

الفصل الثاني

الحرب الأوروبية قبل الغزو الصليبي

تبين لنا فيما مضى وكيف أن معركة ملاذكرد قد دفعت أباطرة الدولة البيزنطية إلى التوجه نحو أوروبا رغم العداء المذهبي والتاريخي بين الجانبين (١) . إذ جرت مفاوضات في عهد الإمبراطور البيزنطي ميخائيل السابع (١٠٧١/٤٦٤ - ١٠٧٦/٤٧٢) مع البابا جريجوري السابع والإمبراطور هنري الرابع الإمبراطور المقدسة . وكانت المفاوضات تنجح لولا اختلاف البيزنطيين واللاتينيين حول اتحاد الكنيستين الشرقية والغربية (٢) . إلا أن البابا نهى الرأى العام الأوروبي إلى ضرورة أنجاد الإمبراطورية البيزنطية التي تقف وحيدة أمام خطر السلاجقة .

بقي الخلاف مستحكماً زمن ميخائيل السابع وخليفته الإمبراطور نففور الثالث ولكن بعد أن خلع الأخير ، وتولى العرش ألكسيوس كومنين * ١٠٨١/٤٧٤ - ١١١٨/٥١٢ * اتخذت المفاوضات طابعاً حماسياً ، لما عرف عن ألكسيوس من حنكة سياسية حاز بسببها على رفعة قرار الحرمان الذي كان البابا ، أوربان * قد أصدره بحقه ، مما أدى إلى تقارب بين الكنيستين . تبهمه مفاوضات بين الطرفين ، كان أهمها سفارة أرسلها ألكسيوس ، ١٠٩٥/٤٨٩ إلى البابا أوربان يحثه فيها على أنجاد الدولة البيزنطية ضد أعداء المسيحية ، الذين باتوا يهددون روما فضلاً عن القسطنطينية (٣) . فأستجاب البابا إلى طلبه وحث على العمل لانجاده .

وتدجأت هذا لدعوة أنقاداً لما تعانيه أوروبا من مشاكل وتحققاً لما ترجوه من آمال أما المشاكل التي كانت تعانيها أوروبا فمنها أنها كانت تعيش وفق نظام أقطاعي * دمر الحياة الاجتماعية والسياسية معا ، فعندما نجح الأمراء الاقطاعيون في حماية رعاياهم من الهجمات الخارجية ، تحتم هؤلاء الأمراء بالناس فجلسوهم عندما وأقتانا .

- (١) فيشر ، تاريخ أوروبا المصور الوسطى ، نقله محمد مصطفى ، زيادة والهاز العربي ط ٥ دار المعارف ، مصر ١٩٦٩ ، ج ١ ص ٣٧٩ .
 - (٢) عبد القادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ، ص ٢٥ .
 - (٣) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ١٢٨ .
 - (٤) خدم نظام الاقطاع أوروبا خدمة جليلة في أول عهده ، إذ لم يستطع نظام الإباطورية الوفوف أمام غارات اللاتينيين الذين أوغلوا في وسط القارة حتى شرق ألمانيا . فكان نظام الاقطاع الوسيلة الوحيدة للقضاء على هذه الغارات ، إذ أعطى كبار الفرمان أقطاعاً يدافعون عنه . وكان الرجل السادي إما أن يصبح جندياً يدافع مع غيره عن الاقطاع ، وأما أن يصبح قنصاً يعمل في الأرض .
- أنظر سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ١٢٠ وسعيد عاشور ، حضارة ونظم أوروبا ، دار النهضة العربية ، بيروت سنة ١٩٧٤ ص ٢٨١ .

ولم يلبث رجال الدين أن أنجزوا مع الفتيار الاقطاعي ، فاعتمدوا على الفرسان وجعلوا لهم قدرا عظيما يظهر في طقوس تأهيل الفارس ، اذ يجرى تطهيره في الكنيسة بما " مارك " ثم يتناول العشاء الرباني ، ويترك ليحيى ليملكه بالصلاة ، فما ينتهي منها حتى تغفر له ذنوبه (١) ،

وقد انقسم المجتمع في ظل هذا النظام الى ثلاث طبقات : طبقة رجال الدين ، وطبقة النبلاء الفرسان ، وطبقة الفلاحين ، وعلى الطبقة الأخيرة كانت تقع أعباء هذا النظام ، أما طبقة رجال الدين ، فقد انغمس أفرادها في ملاذ الحياة ، وأنخرطوا فيها ، مما نتج عنه مشكلات جديدة ، اتخذت مظهرين : مظهر صراع داخلي في الكنيسة بين رجال الدين أنفسهم ، ومظهر صراع خارجي بين الكنيسة والسلطة الزمنية ، وأما طبقة الفرسان والنبلاء فقد دفنهم حياة الترف والهدوء الى البحث عن مصادر للدخل تضمن العيشة التي يتوقنون اليها ، مما أدى الى المصادم بين الاقطاعيات ، فاهتم الامراء ببناء الحصون والقلاع ، وحشدوا فيها المبيد والأنواع ، تحسبا لأي هجوم أو استمدادا للهجوم .

وقد استنزفت هذه الحروب الداخلية طاقة الامراء والاباطرة ، وكذلك طاقة رجال الكنيسة مما جعل غوستاف لوبون يصف هذه الفترة بأنها أشد أحوار تاريخ أوروبا ظلاما (٢) ، وشخصية الكنيسة أن تتفاهم الامور وتخرج من يدها ، ولذا حرمت الحروب الداخلية في أوقات معينة أطلقت عليها اسم " هدنة الله " (٣) ، لكن ذلك لم يكن ليحل المشكلة ، فاغتنم البابا أوربان الثاني دعوة الدولة البيزنطية لحرب المسلمين ، وراح يخطط لتشكيل حملة واسعة تستهدف القضاء على المسلمين في المشرق ، وتنتهي كما اعتقد ، مشكلات أوروبا ، ولذا فقد سلك كل الطرق لانجاحها أما الطرق التي سلكها فهي استغلال الدعايات التي نشرها الحجاج المسيحيون الغربيون عن معاملة المسلمين القاسية لهم ، اذ قيل إن الفاطميين منسوا قسما منهم من الدخول الى كنيسة القيامة ، وطردوا عددا آخر من البيت المقدس ، فأتخذ البابا من هذه الأقوال ذريعة ليهب رحى العداء والانقام ، ووعد بالمغفرة كل من سافر الى فلسطين ليقاثل المسلمين ، علما بأن توانسين التوبة كانت سارية وثقيلة ، وقد خاطبهم بقوله " . . . إن القدس تناسدكم الآن المساعدين " ، فأقصدوها بكل شوق تغفر لكم ذنوبكم وجزاؤكم دار الشلود (٤) ، كما استغل حطاس الفرسان وراح يحرضهم على النار ، ويسود قلوبهم بالحق ، يقول " . . . يا أمة الفرنج ، يا أبناء المسألة التي أحبها الله وأصطفىها ، وصلتنا من جهات القدس والقسطنطينية أنباء مفرجة ، مفادها أن أمة من الأمم امتنعت عن السبيل فعاشت في الديار المسيحية سلبا وعرقا وثقلا . . . على من فتح ترحمة النار واستمادة الديار ؟ ألا تنهضوا أنتم بهذا الامر (٥) ؟ " .

- (١) فيشر تاريخ أوروبا ، ج ١ ص ١٨١
- (٢) غوستاف لوبون ، حياة العرب ، نقل عادل زعيتر ط ٣ دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٣٦
- (٣) سعيد عاشور حضارة ونظم أوروبا ص ٣٦٦
- (٤) مكسيموس مورند ، من تاريخ الحروب المقدسة وترجمة مكسيموس معلوم ، مطبعة دير الرهبان الفرنسيين ، القدس ١٩٦٥ ، ص ١٧ وأنظر علاقات بين الشرق والغرب ص ٤٥
- (٥) الأحيى ط ١ ، المكتبة المعاصرة ، بيروت ، ص ٨٦
- (٥) علاقات بين الشرق والغرب ص ٤٥

إلا أن الضيق الذي اقتدبه عامة الناس لم يكن ليفلج كثيراً في لقناع المشاة ، لذلك طلب منهم بهذبة وقوة الفاظه أن يوجهوا السلاح ضد المسلمين ، فذلك غير من استخدام بعضهم السلاح ضد بعض وقال لهم : " أربأوا بالناسكم عن الضغائن ، وانتزعوا الحق من قلوبكم وأسلكسوا صيل الله (١) " .

وإذا كان قد استولى على غنول السامة والفرسان ، فلا بد أن يفتح الباب ليكونوا قادة لهذا الحملة ، وما يتبعها من حملات ، فاستغل الظروف الاقتصادية السيئة التي تمر بها أوروبا (١) ، ووعدهم بالأرض التي تفيض لبناً وعسلاً ، قال " خلصوا الأراضي المقدسة من أيادي المخلفين ، وأنتم ما لكمها لذواتكم ، فهذا الأرض حسب الفاظ التوراة ، تفيض لبناً وعسلاً ، فإذا أنتم انتصروم على أعدائكم فالملك الشرقي يكون لكم قسماً ومهراتاً (٢) " .

ومن الآمال الكبار التي كانت تراود الكنيسة الغربية ، أخضاع الكنيسة الشرقية ، فلا بد أن كان من ذلك في نفس البابا أي شيء كثير ، ويحق فيه رسالته ، ويرضى حب التسالي المنهزم في نفوس اللاتينيين تجاه اليونانيين (٤) ، لذلك تحرك رجال الدين ، بل خرجوا أبناء ملتهم في أنحاء أوروبا على المشاركة وقد أفلح البابا في تكوين رأي عام ، اشتراه فيه الامراء والنهار والفرسان ورجال الدين ، وعامة الناس من العبيد والاتحاح الذين راجوا يهتثون " ... أنها إرادة السرب ... (٥) " وهذا حيل للعبيد أنهم سيخلصون من ظلم الأشراف ، في حين طمع الأشراف في أراض جديدة يملكونها ، وأمل البابا أن يحقق مدعاه في ضم الكنيسة الشرقية إلى الكنيسة الغربية . ولكن المسافة بين الشرق والغرب بعيدة ، وتفصل ما بينها مياه البحار ، فلا بد للفسزاة من سفن تقلهم ، ولذا اقترح أمير تولوز على البابا أن يستعين بسفن مدينة جنوا ، فلبس الجنويون الدعوة صرعين ، آمين أن تفتح لهم أسواق الشرق فتشط حركتهم التجارية ... ثم شاركهم في حملاتهم وأمالهم تجار مدينتي بيزا والبندقية .

وبذلك تمهيات الظروف المادية والمعنوية ، لا نطالع الحملة الصليبية الأولى ...

-
- (١) عبد القادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ، ص ٤٥
 (٢) من تاريخ الحروب المقدسة ج ١ ص ١٨
 (٣) المصدر السابق ، ج ١ ص ١٣ ، ١٤ ، ٧١
 (٤) فيشر ، تاريخ أوروبا ، ص ١٧٩
 (٥) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ج ١ ص ١٣١

ذكرنا فيما مضى أن نداء الكسيوس قد أحدث صدى واسعا في أوروبا ، خاصة بعد أن
 بنى البابا " أنسان " مشروع إيجاد الدولة البيزنطية ، ففقد عدة أبحاث كان آخرها
 مجمع كيرنت في أواخر صيف ١٠٩٥ / ٩٦ هـ وقد حضره ثمانية من رجال الديمن
 وجنح حاشده من طامة الناس . وقد بين البابا البطار التي تسترعى سبيل الحجاج ، كما
 بين ضعف أعضائهم في الشرق أمام السلاجقة الأقوياء (١) ، فأتى به جماعة من الجهاديين ، ودوى
 النفير " هكذا أراد الله " وقد كانت المصاحبة مسيطرة على القول العامة فصعدت أتوال المحرضين
 وراحت تحتشد من كل أصقاع أوروبا (٢) يقودها القوطي بطرس الناسك ، ثم أتجهت ههنا
 الجوع في فترة حصار ، متقد إلى الشرق عن طريق قسطنطينية ، والأراضي البيزنطية ، وعند ما
 دخلت أرض السلاجقة ، واجهها السلطان تلج أرسلان وكانت قد أشرفت على مدينة نيقية
 بعد صير أيام ، ففضى على رجالها قضاء ظن معه أن لن تقوم لهم بقية ، إذ لم يستطع
 الهرب إلا ثلاثة آلاف من أصل خمسة وعشرين ألفا (٣) ، ولكن لما لبثت الحملة المنظمة (حملة
 الأبراء) أن وصلت بعد ذلك إلى نيقية ، بعد أن تخلصت من مصاعب جمة في القسطنطينية ،
 وفي الطريق (٤) ، ثم حاصرت الجيوش الصليبية نيقية حصارا شديدا ، فصعدت في وجوشهم
 ولكن هذا الصمود أصبح متعذرا بعد أن حاصر الكسيوس من البحر والجيوش الصليبية من البر
 فاستسلمت المدينة ، وسقطت زوجة السلطان وبناؤه أميرات إلى القسطنطينية .

أحدث سقوط نيقية أصداء واسعة في أوروبا بما قام به العائدون من دطيات أعاليهم
 فذكروا أن الشرق بحاجة إلى صاريين ومستعمرين ليواصلوا عمل الله ، وأن في الشرق من الثروة
 والضياع الكثيرة ما ينتظر قدوم النصارى " " وجاءت حملة مكونة من الفرنسيين والألمان يرأسها
 رينوند (٥) .

وقد تابع الصليبيون سيرهم بحسنة بالغة ، بسبب تعرضهم لهجمات السلاجقة ، ولكنهم
 نجحوا في السيطرة على مضائق واسعة من الأناضول وأرمينية ، كما نجح بلديين ، أحد قادتهم
 في تأسيس أول إمارة للسلبيين في الجزيرة التراتية سنة ١١٢٣ / ١١٢٤ هـ وهي إمارة الرها ، وبعد
 ذلك ، أتجهت الجيوش الصليبية إلى أنطاكية ، وظال حصارهم لها وقد حاول صاحبها ياغسي
 سيان اقتحام الفرعة ليدفعهم عنها ، ولكنه لم ينجح ، وبعد حصار حصة أشهر دخلها الفرنسيون
 سنة ١١٦١ / ١١٦٢ هـ وفعلوا بالمسلمين الأتاجيب (٦) ، " إذ هججوا على البيوت والأزقة يقتلون
 المسلمين خلوا من استثناء " (٧) .

- (١) رنسيطان ، تاريخ الحروب الصليبية ج ١ / ١٦١
- (٢) مونروند ، من تاريخ الحروب المقدسة ج ١ / ٣٤٦
- (٣) سعيد عبدالفتاح ، عاشور ، الحركة الصليبية ١٣٦ / ١
- (٤) ابن الأثير ، الكامل ١٠٤٤ / ٢٧٤ (٥) رنسيطان ، الحروب الصليبية ج ٢ / ٣٧
- (٦) ابن السديم ، زبدة الخلب ج ٢ / ١٣٥ وانظر أبو النداء المختصر ١١٠ / ٢
- وتاريخ ابن الوردي ١٠ / ٢
- (٧) طوموس مونروند ، من تاريخ الحروب المقدسة ج ١ / ١٣٧

وسقوط أنطاكية أنفتح المارّة، ألهم الصليبيين إلى يثند الشام ، فاتجهوا إلى معصرة النعمان ، فاستنجد أهلها بالملك رضوان وجنّاح الدولة صاحب حصن فلم ينجدها هم غدّخلها الفرنج وأعملوا فيها السيف فقتلوا ما يزيد على مائة ألف (١) أحدثت هذا لاعتلال الوحشية حالة ذعر عند المسلمين ، ولكن هذا الذعر لم ينتج عنه اتحاد ومقاومة ، ولذلك لم يكن من الصعب على النزاة متابعة سيرهم إلى أن وصلوا شمال طرابلس ، وفيها جاءتهم رسل صاحب طرابلس ، ثم احتلوا طرطوس (٢) ، بما سهل عليهم مهمة الامدادات الخارجية من أوروبا ، بالإضافة إلى ما تحويه المنطقة من خيرات (٣) ، وعلى أثر ذلك ، تدهر موقف المدن الإسلامية وأسرت كل مدينة تعلن استسلامها ، ومن تخلفت عن ذلك أنلفت مزارعها ، وقتلت أنعامها ، ومن وجدوه من أهلها فتكوا به كما حدث مع صور ، وهكذا تابع الصليبيون سيرهم إلى قيسارية ثم أرسوف والرملة والملد واحتلوا بيت لحم (٤) .

وأحاطت الجيوش الصليبية بالقدس ، وجاءتهم امدادات من أوروبا عن طريق مينا يافا فأصبحت القدس منقطعة عن امدادات الدولة الفاطمية التي كانت قد سيطرت عليها سنة ٤٩٨ ، ونصب الفرنج عليها برجين ، وتكنوا منها ، ولو لم ينشب خلاف بينهم حول ملكية القسوس لاحتلوها في مدة تقل كثيرا عن المدة التي استغرقتها الحصار وهي ٤٠٠ ، أثنان وأرميسون يوط (٥) ، وبعد الاستيلاء عليها قام النزاة بمذبحة رهيبة لم تفرق بين زاهد وطالم ، فقد قتلوا ما يزيد على مئتين ألف نفس ، منهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين وعلماؤهم وعبادهم وزهادهم (٦) ، كما قاموا بعملية سطو على الصخرة فأخذوا نيفا وأرميسين قنديلا فضة ، ونيفا وعشرين قنديلا من ذهب (٧) .

ويذكر مونرو نقلا عن تقرير رايوندد ه أجيلاس ، أحد المراقبين للحملة ، أن الجامع قد طاف بالدماء حتى أحترقن الدم تحت القنطرة عند بابه ، وعلا إلى حد الركب إلى حد الجُم الخيل (٨) .

-
- (١) تاريخ ابن الوردي ١١/٦ ، تاريخ الأيوبيين ١٠/٢٧٨ ، الأنصار الجليل ١/٣٠٧
 - (٢) المختصر ٢/٢١٦
 - (٣) مرآة الجنان ٣/١٧٦ ، تاريخ الأيوبيين ١٠/٤٧٥ ، النجوم الزاهرة ٥/٧٩
 - (٤) ابن الأثير ، الكامل ١٠/٣٦٥ ، المختصر ٢/٢١٤ ، رنسيان ، الحروب الصليبية ١/٣٩١
 - (٥) ذيل تاريخ دمشق ٢٣٦ ، تاريخ مختصر الدول ١٩٢
 - (٦) الكامل ١٠/٢٨٣ ، ٢٨٤ ، الأنصار الجليل ١/٣٠٧
 - (٧) الشذرات ٣/٣٩٧
 - (٨) من تاريخ الحروب المقدسة ، ص ١٧٩

ويقول غوستاف لوبون * ولم يبد سلوك الصليبيين في الحملة الثانية بأحسن من سلوك رجال الحملة الصليبية الأولى ، ويؤكد توليه ما يرويه عن الكاهن " انكتيل " قلما يورد صليبي يحير بحج ديني ، فلم يترك أولئك الصليبيون جرائم وحشية ونهباً من قتل الحرق ، وغنائم مزينة إلا أقرعوها " (١) .

وهام المسلمون على وجوههم يهكون ويهكون ، ويستعصمون المشقة في بغداد ، فأجتنع أهلها في البوامع ، وبكوا ، حتى أنهم أظهروا من عظم ما جرى لهم ، وقال أبو المظفر البيهقي :

مرجنا دماء بالدموع السواجس	فلم يبق منا عضة للمراجم
وشر سائح المرء من يفيض	إذا الحرب عبت نارنا بالصوارم
وكيف تنام العين ملء جفونهم	على هفوات أيقظت كل نائم

وفي هذا الجو المكفهر استقرت أمور الفزاة في بيت المقدس ، وأقيمت الصلوات والأيدي ملبحة بالدماء البريئة . . . وانتخب جود غري حاكماً للقدس ، بعد أن حاز على ثقة الكنيسة والأمراء معا لما يتسم به من قبول دينية ، ولم يرش أن يسمي ملكاً وإنما أسمى نفسه حامي القبر المقدس (٢) ، ولكن انتخاب جود غري وفشل البحارة كان يعني انتشار السلطانية على الكنيسة ، وقد كان هذا لصالح المملكة الجديدة ، ولو كان الأمر غير ذلك لما استطاعت الكنيسة حماية هذه المملكة من الهجمات الصليبية (٣) .

وبدأت الدولة الجديدة - وهي الإمارة الصليبية الثالثة - تتأرجح حياتها السياسية فتكون في القدس فرقتان دينيتان عسكريتان اسمون *Templars* أي فرسان الهيكل وعرفت عند المسلمين بالداوية ، وأخرى اسمون *Hospitallars* أي فرسان المستشفى وعرفت عند المسلمين بالاسبتارية (٤) ، ثم أخذت هذه الدولة بالتوسع حتى استطاعت في سنوات قليلة أن تضم معظم أجزاء فلسطين (٥) ، وكان بأركانها السيطرة على فلسطين جميعها لسولا المنافسة بين ريووند الصنجيلي وجود غري (٦) .

- (١) حضارة العرب ، ص ٣٦٦ ، وأنظر رنسيطان ، الحروب الصليبية ٤٠٤/١
- أخصاء عبد القادر اليوسف في أسما الشاعر ، أنظر علاقات بين الشرق والغرب ص ٧٢
- (٢) المختصر ٢١١/٢ تاريخ ابن الوردي ١١/٨ ، النجوم الزاهرة ١٥٢/٥ ، البكامل ، سنة ٤٩٧ هـ ، ١٠/١٨٥
- (٣) رنسيطان ، الحروب الصليبية ٤١٢/١
- (٤) عبد القادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ص ٧٢ ، والحياة السياسية الاجتماعية عند الصليبيين ، رسالة طجستير ، أعداد عبد الحفيظ محمد علي سنة ٩٧٥ هـ ، ص ٨٠
- (٥) طارف المعارف ، تاريخ القدس ، دار المعارف ، مصر ١٩٥١ ، ص ٧٥
- (٦) ابن لاثير ، الكامل ، ١٠/٣٦٥
- (٧) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ١/٢٤٩

وأما حلب فقد حكمها بعد وفاة صاحبها رضوان ابنه الب أرسلان حتى تتسلسل سنة ٥٠٨/١١١٤ ، وعندئذ تولاهما بدر الدين أولو (٥٠٨ هـ / ١١١٤ - ١١ هـ / ١١١٧) وقد تعرضت خلالها لهجوم من الفرنج ، فتعايقوها وتاسموها على أملاكها ولكنهم لم يحتلوها كما وهم ابن كثير (١) .

وأزاء هذا التحديات قام أيلغازي صاحب طردين بهجوم على الفرنج ، وقتل منهم مقتله عظيمة ، وقد مدحه الصرا ومنهم العظيمي في قصيدته ، منها :

قل ما تشاء فقولك المقبول ————— عليك بعد الخالق التوفيق ————— (٢)

وقد انقسمت الدولة الأرتقية بعد وفاة أيلغازي فأخذ ابنه الأكبر الجزء الشمالي من ديار بكر ومهاقارتين ، وأخذ ابنه الثاني الجزء الجنوبي منها وطردين ، ونيت حلب تحت أمرة سليمان بن عبد الجبار .

وحاول الفرنج اغتنام الفرصة ، فقام بلدوين الثاني بهجوم على الأرائقة في الجزيرة النراتية لينفذ جوسلين ولكنه هزم وأسر .

وقد تعرضت حلب فيط بعد لهجوم مشترك من الصليبيين وبعض المنشقين من المسلمين ولكنها صمدت لهذا الهجوم والحصار الذي رافقه، بعد أن ثقلت نجدة من صاحب الموصل (٣) .

وكان خطر الباطنية قد ازداد في حلب بسبب اعتقاد الملك رضوان بن تنش عليهم . فتنفذوا في الهلاك ، فصخط عليهم ابنه الذي تولى الحكم بعده ، وحاول القضاء عليهم فتوجه من نجا منهم إلى دمشق حيث أقامهم وزير طغتكين المزدغاني حصن بانيس ، ولكنهم قاموا بأعمال تخريبية هناك (٤) .

ومن أبرز أعمالهم التخريبية ما قاموا به في شيزر سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٩ م ، فملكوا الحصن وأخرجوا أهله منه (٥) ، وفي سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م قتلوا صاحب حمص، جناح الدولة (٦) . وفي سنة ٥٠٤ هـ / ١١١١ حاولوا قتل طغتكين ، وفي سنة ٥٠٦ هـ / ١١١٣ قتلوا مودود أتابك الموصل (٧) كما قتلوا آتسنغر سنة ٥٢٠ هـ / ١١٣٠ ، ورأسوا الفرنج بتسليم دمشق على أن يأخذوا صور بدلها ، وقد كان من المتوقع أن يبدأ تنفيذ المؤامرة وقت صلاة الجمعة ، فملكوا عليها الدولة بورى بن طغتكين المؤامرة قتل الوزير وعددا كبيرا من أصحابه ، ولكن الباطنية أغتالته في النهاية سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣٣ (٨) .

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٤٨ هـ ، ج ١٢ ص ١٨٤

(٢) تاريخ ابن الوردي ٢٥/٢

(٣) الكامل ٦٦٤/١٠

(٤) عبد القادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ، ٩٤

(٥) اسامة بن منقذ ، الاعتبار ، حرره فليب حتي ، مطبعة جامعة برنستون ، الولايات المتحدة ، ١٩٣٠ ص ٧٧

(٦) المختصر ٢١٦/٢

(٧) ديل تاريخ دمشق ١٨٧ هـ ، ٢٢٣

ويصور ابن الاثير قوة الفرنج حين تولى عاد الدين زنكي الهاذم فيقول " وكانت مملكة الفرنج حينئذ قد امتدت من ناحية طردمين وسجستان الى عريش مصر ، ولم يتخلله من ولايسة المسلمين غير حلب وحماة ودمشق ، وكانت سراياهم تبلغ ديار بكر الى آق ، فلم يُيقوا على موحد ولا جاحد ، ومن ديار الجزيرة الى نصيبين وراوس السين ، ثم يصف الهاذم الاسلامة فيقول " وأما الرقة وحران فقد كان أهلها معهم في ذل وصغار واستضعاف وانتشار ثم يبين خطورة توتهم " وأنقطعت الطرق إلا على الرحبة والبر ، فكان التجار والمسافرون يلقون من المخاوف وركوب الضامة تعباً ونسباً وأما حلب فأنهم أخذوا مضاعفة أعطاهم حتى في الرعي التي على بابها الجنان وبينها وبين المدينة عشرون خطوة ، وأما باقي بلاد الشام فكان حالها أشد من هذين البلدين (١) .

إلا أن هذا الظالم أثبت منه الفجر ، منذ أن ظهر على مسرح الأحداث عماد الدين زنكي صاحب الموصل ، وهو حاكم اجتمعت له صفات حميدة ، فقد عرف عنه حبه للجهاد (٢) وأخلاصه وشجاعته ، فبدأ عملية توحيد القوى الاسلامية ، فانتزع جزيرة ابن عمر من مملكتهم البرستي ، ثم استولى على مدينة أربل سنة ٥٢١ هـ ، ثم سار الى نصيبين فغلبها ، صاحبها حسام الدين تمرناش ابن ايلغازي واستولى على الشاير وسنجار وحران ثم استولى على الانبار ثم على حلب (٣) ، فاصبح الحارث مفتوحاً أمامه الى الشام (٤) .

لقي هذا السمل أعجاباً من السلطان السلجوقي محمود غزنه فثوفاً بحكم الموصل والجزيرة والشام (٥) ، مما شجعه على الاستمرار في عملية ضم البلاد الإسلامية وتوحيد هسما فبعد أن استولى على حلب سنة ٥٢١ هـ (٦) ، أعلن أمير شيزر سلطان بن منقذ وأمير حمص تهيتها له ، وفي سنة ٥٢٣ هـ ضم حماة الى ملكه (٧) ، وبذلك تم له ملك الشام تقريباً ، ولم يبق أمامه الا دمشق التي كان يحكمها بوري بن طغتكين (٨) ، فأتصل معه بشأن الشرى للجهاد وقد أثارت انتصارات زنكي الروم فتحالفوا لكسر شوكته ، وأرادوا الاستيلاء على حلب سنة ٥٢٣ هـ / ١١٣٨ هـ فساروا اليها ولكنهم أنشلوا بحصن بزاعة ، بين حلب ونسج (٩) ، مما جعل زنكي يأخذ الحيطة ويفشل حصار الروم والفرنج فتوجه هو لا الى شيزر (١٠) ، فأنجدها زنكي بقواته القليلة ، وبعث السلطان محمود السلجوقي وقد أبحثه على إرسال المدد

- (١) ابن الاثير ، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل ، عبد القادر دليبات ، دار الكتب الحديثه ، القاهرة ١٩٦٣ ص ٦٩ - ٣٤ ، وانظر ابن قاضي شهبة ، الدر الثمين في سيرة نور الدين ، مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٢٢٧ تاريخ ورقه ٦١
- (٢) ابن واصل ، فتح الكروب في أخبار بني ايوب ، جمال الدين الشيال ، الاميرية ١٩٥٣ ، ٢٦٩ / ١ ، ٢٧٩ ، زبدة الحلب ٢ / ٢٨٣ ، الكامل ١٠ / ٦٥٨
- (٣) ابن الكروب ١ / ٢٦٩ ، ٢٧٩ ، زبدة الحلب ٢ / ٢٨٣ ، الكامل ١٠ / ٦٥٨
- (٤) ابن الاثير ، الباهر ٣٦ ، المختصر في أخبار البشر ٢ / ٢٣٨ ، الكامل ١٠ / ٦٥٨
- (٥) ابن المديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ٢ / ٢٤٤
- (٦) القريري ، السلوة ج ١ ق ١ ص ٣٦ ، الباهر ٢٧ - ٣٨
- (٧) المختصر في أخبار البشر ج ٣ ص ٤ (٨) المختصر ٦ / ١٤٠ (فيه تورى بدل بوري)
- (٩) ذيل تاريخ دمشق ، ٢٦٠ (١٠) الاخبار ١١٣ - ١١٤

ولكنه تفاقم عن ذلك ، فأغتم الوفد وقت اجتماع الناس لصلاة الجمعة واستفاثوا " وأسماءه " وادين محمداه " ، فتمسك السلطان بأرسال حملة عاجلة ، كما أرسل الأمير داود الأرمني خمسين ألفاً من التركمان (١) ، ثم نجح زنكي في التفريق بين الروم والفرنج ، بأن شكك كسل غريق بنوايا الاشرار (٢) ، فانسحب الفرنج وتركوا ملك الروم وحده ، واستغل زنكي النزاع بين الروم والفرنج فهان عليه أمر الفرنج ، إذ صاروا يطمنون أن يحفظوا ما بأيديهم بسند أن كانوا قد طمعوا في البلاد (٣) ، فاستولى على عدد من الحصون المهمة مثل حصن بارس ، كما استولى على مصر النعمان وكفر بطاب وأعمالها ، وهي بلاد كبيرة وقرى عظيمة (٤) ، وفي ذلك يقول ابن القيسراني (٥) :

حذارِ منا وأنى بنفسِ الحَسَنَ سَدَرٍ وهي الصَّوَامِ لَا تَبْقَى وَلَا تَسْمَدَرُ

وبعد أن قويت شوكت زنكي حاول مرة أخرى أن يستولي على دمشق ، وبسطي حاكمها جمال الدين محمد بن بوري حمير بوملح فرفض (٦) ، وبذا لم يبق أمام زنكي سوى استخدام القوة ، فحاصر دمشق لكن معين الدين أنر الذي زاد ثبوته بعد وفاة جمال الدين استنجد بالفرنج في القدس (٧) ، مهينا لهم سخاوة الموقف إذا سقطت دمشق بيد زنكي " فصار ملكها لم يبق لهم منه بالشام مقام (٨) " ، ثم أغراهم بأن يقدم لهم نفقات الجيوش الصليبي (٩) وتقدم الجيوش الصليبي بينا لقد سوطوا بلدروا شرف على دمشق ، فانسحب زنكي ، بينما قام الفرنج باحتلال بانياس التابعة لزنكي وأخذوا فيها مذبحة شنيعة (١٠) ، ولم يكتف معين الدين بهذا الفصل بل ذهب إلى القدس يومعه أسامة بن منقذ (١١) ليقدّم الشكر للفرنج ويقوى أواصر الصداقة بينه وبينهم ، وبذلك يقضي على نشاط زنكي في المنطقة بل سمح لهم ببناء قلعة صند ، وغيرها من المقاتل في جنوب فلسطين مثل الكرك والشوبك (١٢) .

-
- (١) الطبرج ٧٩/١ - ٨٠
 - (٢) ابن الاثير ، الكامل ٥٧/١١
 - (٣) ابن الاثير ، الكامل ٦٦٣/١٠
 - (٤) أبو شامة ، الروضتين ج ١ ق ١ ص ٨٨
 - (٥) أبو شامة ، الروضتين ج ١ ق ١ ص ٨٨
 - (٦) ابن الاثير ، الباهر ٥٩
 - (٧) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ١٣٩
 - (٨) ابن الاثير ، الكامل ٧٤/١١
 - (٩) ابن القلائس ، ذيل تاريخ دمشق ٢٧٤
 - (١٠) المصدر السابق ٢٧١
 - (١١) الاعتبار ١٢٥
 - (١٢) الحركة الصليبية ٦٠١/١

لكن ملك بيت المقدس توفي سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م بعد أن ثبت أقدام الفرنج في فلسطين فأنصح المجال لزكي كي يسترد الرها ، وقد استولى عليها فعلاً سنة ٥٣٩ / ١١٤٤ م دون أن يستخدم الأسلوب التخريبي الذي استخدمه الفرنج بل أعاد ما غنمه الجيش ، ولم يخذ إلا القاذ النادر (١) .

وتابع زكي فتوحاته في شمال الرها ٠٠٠ ثم أتجه إلى قلعة جيمر التي يحكمها بنو عقيل ليصفي الجزيرة من هذا ملاطرات المتنوعة ويتجه نحو دمشق ويجاهد الفرنسي (٢) ولكنه وقع فريسة الاغتيال عام ٥٤١ هـ وبعد مقتله ، اتصل الارمن من أهل الرها بجوسلوسين الثاني ، وطلبوا منه القدوم لتسليمه المدينة ، إذ أن الحامية السلجوقية فيها قليلة ، وعصاة الدين زكي قتل ، فأمر جوسلوسين اليهم وتسلم المدينة ، وبقي يعالج الحامية المستحكمة في القلعة ، ولكن نور الدين تمكن من الوصول إليها قبل أن تيا من حامية المدينة ، فأصبح جيش جوسلوسين محاصراً من الداخل والخارج ، ففضل الانسحاب بجيشه على البقاء في الخطر ، فدخلها نور الدين ، وطارده جيش جوسلوسين وقتل معظمه ومنهم حاكم دمشق ، أما جوسلوسين نفسه فقد جرح (٣) .

من ذلك يتبين لنا قدرة نور الدين الحثيثة على الانتطاع بالحكم ، إذ يعتبر عمله استمراراً طيباً لمسيرة والده ، فإذا كان عماد الدين زكي " جباراً عسوقاً ينكب النكبات عسوقاً نمرى الخلق ، أسدى الحنق ، لا ينكر العرف ولا يحرف الصرف (٤) " فإن نور الدين أخذ الجانب المضي من سلطاته ، واستبدل بالبناب الخشن التقوى فهو كما وصفه الشاعر :

ما أحسن المحراب في المحراب
جميع الشجاعة والخشوع لرئيسه

وقد عمل نور الدين على أرضه أخيه سيف الدين غازي حاكم الموصل (٥) ، كما عقد اتفاقاً مع معين الدين أنروتنج بأبنته (٦) ، وتفرغ لمهاجمة إمارة أنطاكية ، واستطاع أن يحرر معظم الاراضي الواقعة شرقي نهر العاصي (٧) .

-
- (١) ابن الاثير ، التامل ٤٠ / ١١
 - (٢) ابن القلائسي ، ذيل تاريخ دمشق ٢٨٧
 - (٣) مفرج الكروب ١١١ / ١ ، ابن القلائسي ١٨٨ ، ابن الاثير ، الباهر ٨٧
 - (٤) الانشاهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق ، القاهرة ١٣١٨ هـ ص ١٨٦
 - (٥) النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٤٩ ، مزارع طاب ٢٥٥ ورقة ٨٠ ، مفرج الكروب ١١١ / ١ - ١١٢ ، البروغتين جاتي ١ ص ١٢٧
 - (٦) حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون القاهرة ١٩٦٣ ص ٤٣
 - * أنار سغاته في تاريخ الحروب المقدسة ، ٦٥ / ١
 - (٧) سميد عاشور ، الحركة الصليبية ٦١٤ / ٢

ومما يدل على عظمته ، تصديه للحملة الصليبية الثانية التي جاءت لتستعيد الرها ، ولكنها انحرفت عن هدفها الى دمشق * فتوجه نور الدين نحو صرخد ولم يشاهد أحسن من عسكره وحيثته ووفور عدته (١) ثم سار الى بصرى فأنهزم الفرنج ، وحين عادت الجيسوش الفرنجية ومعهها الامدادات الكثيرة ، استنجد صاحبها معين الدين بنوابه ، كما أرسل الى سيف الدين طازي وأخيه نور الدين ، في حين حين يتسدى للقوات الصليبية التي احتلست المزة والمروة (٢) ، منتظما كثرة الاشجار فأوقع فيهم خسائر كبيرة ، مما جعلهم ينتقلون الى الجهة الشرقية (٣) ، فصادفوا الماء مقلوطا (٤) ، في حين وصلت النجدات الاساطية من الموصل وحلب ، فأتروا الانسحاب على البقاء ، لا سيما بعد أن أغراضهم معين الدين بحصن بانياس (٥) .

وشكدا فشلت الحملة الصليبية الثانية ولم تحقق لها أي هدف ، وإنما رشتت مصنويات المسلمين الذين كانوا ينشون قدوم مثل هذه الحملة ، واستغل نور الدين حالسمة الضعف التي تحدثها الامارات الصليبية ، على أن يعود في وقت مناسب ، غاوق بالفرنج ككرة قبيحة في يثرى (شمال شرق ، بحيرة الصق) ، وأرسل الى الشليفات العباسي والى أخيه بعض الفنائم ، ثم أثار سنة ٥٤٤ / ١١٤٩ على حصن حارم رصاص قلعة " أنب " وتشمسل رجوند ، ثم تفرغ نور الدين لدمشق ، وحكامها الذين لم يجاهدوا ، ولم يسمحوا لغيرهم بالجهاد ، وقد كان حرم نور الدين على الاستيلاء على دمشق ناشئا عن كونها تقع بمسعين أراضيه وبين الفرنج ، فكان كلما حاول التصدي للفرنج وجد من الصعب المصاراة على الوقف لتعاون معين الدين أنر مع الفرنج ، وقد بقي الامرك ذلك حتى توفي أنر سنة ٥٤٢ ، وشيئله مجير الدين أيت بن محمد بن بوري بن شنتكين ، وكان أن ملك الفرنج عسقلان سنة ٥٤٨ ، وفي مدينة فلسطين حسنا وصيانة ٠٠ ولما كانوا يحاصرونها ، كان يتلف على أنجادها ولا يقدر على أزواجهم لأن دمشق في طريقه (٦) .

ولم يرتدع أيت عن أعماله المشينة فلم يلبث الفرنج في دمشق وتابسوا النارات عليهم كما وأكثروا القتل والنهب والسبي ، وجعلوا على أنبلها تحمية سنوية ، يأخذونها بأنفسهم ، فخلع الناس طائفة وأصلوا مع نور الدين (٧) .

- (١) أبو شامة الروميين ج ١ ق ١ ص ١٢٠
- (٢) ولاية دمشق في العهد السلجوقي ، نصوص مستخرجة من تاريخ دمشق ، حققها د ٠ صالح الدين المنجد ج ١١ وأنظر الباب ٦٧
- (٣) الحركة الصليبية ٦٣٦/٨
- (٤) الحركة الصليبية ٦٣٤/٢
- (٥) زيد تالخلب من تاريخ حلب ٧٧٣/٨
- (٦) الميني ، عقد البطان من تاريخ أهل الزمان ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥١.٤ تاريخ ج ١٢ ق ١ ورته ٢٥٠
- (٧) المصدر السابق ج ٢٢ ق ١ ورته ١٨٠ ١٩٦٤

وحين أهل نور الدين من مرضه هاجم مضائق سيدا والجليل ، فوقع معركة بين الطرفين قرب بحيرة طبرية رجعها الفرنج ، فقتلوا نحو دشرة ، فقتل لهم نور الدين وتقتل منهم شاقا كثيرا وأسرا منهم جماعة قتل فيهم :

تأهل الحصن غاية في البهيمية
قيلة الأسرى واللى والنفساء (١)

ما رأينا غيما تقدم يوم
مثل يوم الفرنج حين عليهم

وحين لم يفلح الفرنج في خربهم من نور الدين لتجهوا نحو الدولة القاطية التي أصبحت تعاني النصف والتمزق بسد قتل وزيرها طلائع بن رزيك * ثم أبته العادل ، إذ تولى الأمر شاور سنة ٥٥٩ / ١١٦٣ لكن شوقا ناعسه وانتصر عليه (٢) .

وفي هذا لاثناء تام عوري (مصري) يشترع مصر سنة ٥٥٩ / ١١٦٣ ، فوصل إلى بلبيس وحاصرها ولكن فيضان النيل لم يمكنه من احتلال مصر ، فعاد ليهمز حملة كبيرة - يحتل بها مصر بسد أن بأن كثرة خيراتها (٣) .

وتقدم شاور إلى الشام مستنجدا بنور الدين بأذ لاله ثبت أحوال مصر أن فتنه منها ، فأرسل محمد أسد الدين شيركوه وصاحبه الدين سنة ٥٦٠ / ١١٦٤ فغشى على شوقا الذي استنجد بالفرنج ، وسيدار على الدولة تأهل وصول الفرنج ، ولكن لما لبث شاور أن تنكر لأسد الدين ، فاحتل أحد الدين بلبيس والفرقة ، فاستنجد شاور بالفرنج ، فقدم جيش عوري واشتراء من جيش شاور في حاصرة أحد الدين في بلبيس ، وأذ ذاك تام نور الدين يتجهز على جهنمات السليبيين في الشام (٤) ، فآثر عوري الرجوع عن مصر ، حيث جنمز جيشا عظيما من الفرنج والروم والأرمن لقتال نور الدين ، ولكن نور الدين أوقف بالسليبيين هزيمة ساحقة سنة ٥٦٠ / ١١٦٤ (٥) ، وأسر عدة من أمرائهم وأستولى على حارم وبانيها ، ثم على شقيف تيرون وحصن المنيرة فهدم حصنه الحصراء ومنهم ابن التيسراني بقسيدة ملاحها :

وذي الحكارم لا ما قالت الكسب (٦)

هذي العزائم لا ما تدعي القسب

(١) عهد الجطان ق ٢ ج ١٢ ص ٢٨٢

(٢) أبو الفداء ، المختصر في تاريخ البشر ٤١/٣

• ماتت أحوال الدولة القاطية في حين ميظرو الوزير عمار الصنهاجي على دار الخلافة وتقتل الخليفة الظاهر وأخويه ، فحدثت فتنه عظيمة بالقاهرة ، ثم أتاها طلائع بن رزيك وقام بجيشه بسدة غارات ظاهرة كما طلب من نور الدين أن يشتره الفرنج ، لكن اختلاف مذهبيهما لكون الأول شيعة والثاني سنيا حال دون اتفاقهما على ذلك .

(الديوان جمن بدوى ص ٦٥ ، وديوان أسامة بن منقذ ص ١٧٧)

(٣) حميد شاور ، الحركة الصليبية ٦٨٦

(٤) تاريخ ابن الوردي ٦٧/٢

(٥) مغز الكروب ١٤٤/١ ، عهد الجطان ق ٢ ج ١٢ ص ٣٦٦

(٦) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٥٢ ، وأنظر ابن لاثير ، الكامل ٢٠٨/١١

والباهر ١٠٦

لم ينزع نور الدين من وطن الفرنج فيها، وضعف شاور، ولكنه تحين الفرص، فحسب دعه المعاهد لمخلصه من استبداد شاور لم يتأخر في طلبية دعوته، فأرسل شيركوه وصالح الدين للمرة الثانية (١) فاستنجد شاور بالفرنج ثانية، فلبوا دعوته وتقدوا معه اتفاقاً يغولهم من الدخول إلى القاهرة ويضمن لهم الأموال الكافية، ثم سار الجيشان الفرنجي والمصري لمهاجمة شيركوه، فانسحب إلى جهة الصعيد في الصحراء، وهناك تمكن من هزيمة الفرنج وشاور (٢)، فعاد الفرنج إلى القسطنطينية سار شيركوه وصالح الدين إلى الاسكندرية، فحرب بسببه أهلها (٣)، وأبقى شيركوه فيها صالح الدين، ثم عاد إلى الصعيد (٤).

استعد كل من شاور والفرنج بقيادة عموري لمهاجمة الاسكندرية، فحصر أهلها وذاق صالح الدين الأمان في هذا الحصار (٥) فاستنجد بسببه سنة ١١٦٧/٥٦٣، بينما قام نور الدين بحماجة مملكة طرابلس، وبيت المقدس (٦)، ولما علم الفرنج ذلك خافوا على ممتلكاتهم في بلاد الشام، وأثروا المهادنة بعد أن عقد شاور معهم اتفاقاً مهيئاً يدفع بموجبيه مالا سنوياً لهم، لكن شاور تناقض عن دفع المال وكان نتيجة ذلك أن طعن الفرنج في ملك مصر، وتدد وجدوا الفرصة ملائمة لتحقيق أهدافهم، فهم يحرقون ضعف مصر، من جهة وأنشغال نور الدين في حلب من جهة أخرى، وعلموا أن تأخر ذلك يعني وقوع مصر في يد نور الدين، وقائد أحد الدين شيركوه، وإن صار فيها مثل أحد الدين فهو ذلك الفرنج ونهايتهم من أراخي الشام (٧)، فقدم الفرنج سنة ٥٦٤ بأعداد دافعة واحتلوا مدينة بلبيس، وجاءوا القاهرة من باب الشرقية، بينما قام بعض الأعراب بالهجوم على البر الغربي وساقوا المواشي والابتار وحاصروا البلاد، فصار حصاراً، وكما جاء في كتاب القاضي الفاضل، "فلا نهضم المسمى المنصورة ولا قدمت عن المنصورة" (٨)، فأمر شاور بحرق مدينة بلبيس، ثم سار إلى القاهرة (٩)، فأرسل المعاهد يستنجد بنور الدين، ومن الكتاب شيركوه، فأنجده على وجه السرعة خوفاً على مصر (١٠)، فعاد الفرنج إلى بلادهم غاضبين (١١).

- (١) ابن تقي بري، والنجوم الزاهرة ٣٤٨/٥٥
- (٢) ابن قاضي شهبة، الدر الثمين ١٣٠
- (٣) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٦٦، والنجوم الزاهرة ٣٤٩/٥
- (٤) السيوطي، حسن المعاصرة في أخبار مصر والقاهرة، ط ٠ إدارة لوطن مصر ١٢٩٩ هـ ج ٢ ص ٢٣
- (٥) ابن الأثير، الكامل سنة ٥٦٤
- (٦) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٧٤ والنوادر السلطانية ٣٨
- (٧) تاريخ ابن الفرات، حسن الخطاط مطبعة حداا المنصورة، ١٩٦٧ هـ ج ٤ ص ١٩-٢٠
- (٨) محي الدين بن عبد الظاهر، الدر النظيم، ط ٠ أحمد بدوي مطبعة الرسالة، مصر ١٩٥٩ ص ٣٤
- (٩) تاريخ ابن الفرات ج ٤ ص ١٤
- (١٠) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٩١ خط الطبريزي ج ١ ط ١ بولاق ١٢٣١
- (١١) تاريخ ابن الفرات ج ١ ص ٣٣

وقد أثار تلاعب شاور بأسد الدين شيركوه وصالح الدين الجند فأثفق صلاح الدين مع الجند على قتله ، وكان ذلك سنة ٥٦٤ / ١١٦٨ ، فخلع الماضد على شيركوه خلع الوزارة ولقبه بالمنصور . وضم مصر عليها إلى دولة نور الدين ، أصبح أمل المسلمين كبيرا بثبوت صلاح الدين (١) ، وما لبث شيركوه أن توفي بعد شهرين من وزارته فخلفه صلاح الدين (٢) ، وقد عظم مركز نور الدين بفتوحاته ، وعمله للموحدة (٣) ، حتى كأن ذلك بداية انهيار الامارات الصليبية ، وقد طلب من صالح الدين أن يعلن عودة مصر إلى الخلافة العباسية ، لكن صالح الدين رأى أن ينظم الأمور في مصر أولاً ، ففرض على ثورة الجند السودان سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ (٤) ، وسد نداهم على مصر ، فأثفر هذا العمل مضجع الفرنج في بيت المقدس ، وعلموا أن وحدة مصر والشام تعني القضاء عليهم ، فاستجدوا بمقومهم في أوروبا وعرفوهم ما تجد من ملك مصر وأنهم خائفون على البيت المقدس (٥) ، ثم طلبوا الصون من الدولة البيزنطية ، فاجتمع الجيش الفرنجي والبيزنطي وحاصروا دمياط ، لكن صالح الدين سمعها بالسلاح والبال والدخائر ، فساد البيزنطيون وتبعهم الفرنج دون أن يحققوا نجاحاً (٦) ، ومعهما أعاد نور الدين الطلب من صالح الدين إعلان الخلافة العباسية ، وألزمه بذلك الزاماً لا فسخة فيه (٧) ، فأعلنها سنة ٥٦٧ هـ ، وكان الماضد على فراش الموت ولم يحاربه أحد ، ولم ينتح في عسوان (٨) .

وبذلك أصبحت مملكة نور الدين تشكل "تكي كاهنة" على الفرنج ، وما لبث نور الدين أن توفي ، فأختتم الفرنج موت نور الدين وحاولوا احتلال بانياس ، لكن ابن المقدم وصي الملك اسماعيل بن نور الدين خلع اليهم وراسلهم ولا يفهم وقدم لهم عرضاً مشرياً ، وبين لهم خطورة استعانةه بصالح الدين فتركوها (٩) ، وعندما علم صالح الدين بهذا العمل ساء سلوك ابن المقدم وأرسل إلى الملك الصالح وأمره يتبع لهم ما فعلوه (١٠) . ثم قدم الاسطول الصقلي إلى الاسكندرية في ستائة قطعة ما بين شينى وطرادة وحاسة وغير ذلك ، وكانوا في ثلاثين الف (١١) ، وضائقوا الثغر وأطلقوا السفن التجارية ولكن أهلها تآمروا الفارين ، حتى جاء ثم مدد صالح الدين ، فانسحب الفرنج وخرب أهل البلد يحرقون خيامهم ويتلون من دأقروا به فسادوا غائبين (١٢) .

- (١) الروضتين ج ٢ ص ٤٠٣ - ٤٠٤
- (٢) ابن الاثير ، الباهر ١٤١ ، الأنس الجليل ١٠ / ٣١٣ (٣) الباهر ١٦
- (٤) الروضتين ج ١ ص ٤٩٢ ، المغن ١ / ١٧٦ - ١٧٧ (٥) ابن الاثير ، الباهر ١٤٣
- (٦) ابن الاثير ، الكامل ١١ / ٣٥١ ، مغن الكروب ١ / ٢٠٠ (٧)
- (٨) ابن الاثير ، الباهر ١٥٦ ، الأنس الجليل ١ / ٣١٣
- (٩) مغن الكروب ٢ / ٧ ، ابن السديم ، زبدة العلب من تاريخ حلب ج ٣ ص ١٢
- (١٠) الروضتين ج ١ ص ١ ، ٥٨٩
- (١١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، جمال الدين الأشبال ، مطبعة الدار المصرية للترجمة والتأليف والنشر ، ١٩٦٤ ص ٤٨ - ٤٩ ، مغن الكروب ٢ / ١٢
- (١٢) النويري ، كتاب الالمام بالاعلام ، د . د . آئين كرم وعزيز عطية ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ١٩٦٨ ج ١ ص ٢٩٣

وبعد ذلك تنزع السلطان لأمر الشام ، فحينئذ حدث نزاع بين الاوصياء على الملك الصالح ، اتصل أحدهم وهو ابن المقدم بصالح الدين ، حتى يفتح على الظالمين من الفرنج ، فرصة ضعف الشام (١) ، فلبى صالح الدين الدعوة ، ورحبت به دمشق أجمل ترحيب ، تسال وحيث الاسدي :

رأيت جلت شئرا لا نظير لـــــــه
فأدناه بالذن اما قل ناصرهمـــــــا
فجئتها طمرا منرا الذي مرمـــــــا
وأزعم الخلق من أوطانها هرمـــــــا (٢)

أزال صلاح الدين ما كان فيها من البدع والمفكرات ، والضرائب التي ظهرت بعد موت نور الدين كما أصلح من أحوالها ، وأعاد الحقوق إلى أصحابها (٣) ، ثم توجه إلى حلب ، فاستنجد المتنفذون فيها بالفرنج ، لأنجدهم صاحب نابلس (ريموند الثالث) ، وهاجم حمص وحماه ، فأضطر صالح الدين إلى الرحيل (٤) ، ثم وقع صاف بينه وبين الزنكيين من الموصل وحلب ، عند قرون حماة سنة ١١٢٥/٥٧١ ، انتصر فيه صالح الدين وشتم بعض بلاده (٥) ، وقسمه حاولت إليها ثانية قسلة أكثر من مرة ، كانت أولاها أثناء حصار حلب سنة ١١٢٥/٥٧١ والثانية أثناء حصار حصن عزاز التابع لحلب سنة ١١٢٦/٥٧٢ ، والثالثة أثناء حملته على ديارهم في الشام نفسه (٦) ، لكنه نجى فخر ديارهم وأخوة بلدهم (٧) ، ووجه صالح الدين بصره إلى الجناح الثاني من دولته ليقوم بالتحصينات اللازمة ، فبنى حول القاهرة ومصر صورا عظيما (٨) ، وكذلك أهتم بالاستدريه (٩) ، ثم قام بأعمال تربية هجومية على جنوب مملكة بيت المقدس ، وتمكن من حصار ملكها بلدوين الرابع وجيشه في غزة ، ثم انتشر في رقعة واسعة من فلسطين ، هاجم خلالها الرملة واللد ، ووصل إلى جهات نابلس ، ثم توجه صوب الساحل ، فأعترضه نهسر عليه تل الصافية ، فلم يتمكن من اجتيازه إلا بصعوبة لتزاحم الجنود ، وأثناء ذلك فوجيء بجيش مجهز من الفرنج (١٠) ، تمكنوا به من المسلمين فقتلوا منهم جماعة كبيرة ، ثم طرد إلى القاهرة وقد حاول المشرك أن يهزئوا أمر هذا ما كسره عليه .

- (١) أنظر الخريدة ، قسم الشام ص ١٢ ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج ٣ ص ٣٩٢ ،
الشدات ٢٣٦/٤ ، أحمد مختار الحادي ، قيام دولة المماليك في مصر والشام ٨٢٣-٨٥٠
- (٢) عند الجنان ج ١٣ ق ٣ ر ٥٧٠
- (٣) المساد الاضنهاني ، الخريدة ، بداية قسم شعراء الشام والامراء من بني أيوب ص ١٢
- (٤) ابن الوردي ، تاريخه ٨٣/٦ ، الكامل ٤١٧/١١
- (٥) تاريخ ابن الوردي ٨٦/١٠
- (٦) عبد القادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ١٣٨
- (٧) تاريخ ابن الوردي ٨٧/٢
- (٨) تاريخ ابن الوردي ٨٧/١٠ ، مرآة الجنان ٣٩٧/٣ ، الشذرات ٢٤١/٤٠
- (٩) أبو شامة ، البروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٨٧
- (١٠) البروضتين ج ١ ق ٢ ص ٧٠٠

اغتم الفرنج هذا النصر ، فقاموا ببناء قلعة عظيمة قرب بانياس تعرف ببوسست
 الاحزان * ، لتراقب التحركات الاسلامية وتمقبها ، فعاد السلطان الى الشام لتدارك أمر
 الاسلام ثم قام بهجوم على بانياس وكان يضرب به المثل في الشجاعة والرأي في الحرب (١)
 فقتل عددا من الفرنج ومنهم صاحب بانياس (٢) ثم هاجم حصن بيت الاحزان سنة ٥٧٥ هـ
 وغنم جميع ما فيه اذ كان فيه مقدار كبير من السلاح بلغ مائة الف قطعة ، كما كان فيه مؤن
 كثيرة ، وأسر سبعمائة مقاتل ، فأثنى الشعراء والكتاب عليه لما قام به من حفظ الديار
 الشامية (٣) ، كما كتب اليه الخليفة تقيدا بالبلاد المصرية واليهضية ، سهلا وجبلا ،
 مع ما تحتويه من جند ورعية ، وأضاف اليها بلاد الشام باستثناء ما كان بيد ابن نور الدين
 اسماعيل (٥٧٧ هـ) الذي كان يحكم حلب وأعمالها (٤) ، وقد كتب ابن التمايذي اليه
 قصيدة أرسلها من بغداد مخلصها :

إن كان دينك في السبابة ديسني فقف الماي برطستي يرين *
 ومنها :
 أضحت دمشق وقد حلت بهجوها مأوى الفريد وموئل المسكين

-
- * جاء في معجم البلدان ، مادة بيت " بلد بين دمشق والساحل .. وكان الإفرنج
 عمروها ، ونوا به حصنا حصينا ، قال النشوبن نقادة فيه :
 هلاك الفرنج أتى عاجسلا وقد آن تكسير صلبانها
 ولولم يكن قد أتى حينها لما عمرت بيت أحزانها
 (١) محمد بن تقي الدين عمير شاحنشاه الأيوبي ، مزار الحقائق وسر الخلائق
 دار البنا ، القاهرة ، سنة ١٩٦٨ هـ ، تاحسن حبشي ، ص ٢٠
 (٢) الروضتين ١١/٢ ، ٢/٢ ، ١٠/٢
 (٣) الروضتين ١١/٢ - ١٣ ، ابن الوردي ٨٩/٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية
 ٣٠٣/١٦
 (٤) السيوطي ، حسن المعاينة ٢٧/٢
 (٥) الروضتين ١٠/٢ ، مزار الحقائق ٢٢
 * في الروضتين (١٠/٢) بيرين ولم يذكر هذا الموضع في معجم البلدان ، وفي
 المزار (بيرين) ولسل الصحيح (بيرين) لأن الشاعر قصد الأرض الكثيرة
 الرمل وهذا المكان هو بيرين وليبريرين ، وهو من أعتاق البعيرين ، (معجم
 البلدان مادة بيرين ، بيرين)

وأزاء هذا ما انتصارات المماليكية ، طلب بلدوين الرابع عقد هدنة ، فوافق صلاح الدين سنة ٥٧٦ / ١١٨٠ وذلك تفرغ لمهاجمة طرابلس ، فأغضط صاحبها (رينولد الثالث) الذي عقد هدنة في العام نفسه ، مما أتاح له فرصة طيبة لتوحيد العالم الإسلامي ، إذ بدأ اشتطابه وأضحا بحلب لأنها مركز الحكم وقاعدته (١) ، لكن تخشعا جديدا أخذ يهدد قلب مملكته ، إذ اتخذ أرنات (زينودي شاتيون) حصني الترك والشوك مركزين لمهاجمة قوافل الحجاج والتجار بين مصر والشام والحجاز ، وكان أرنات قد تولى الأردن بعد نكاحه من أسر مكث فيه مدة طويلة تغيرت فيها أحوال المسلمين نحو الأفضل ، ولكنه بقي على لؤيه وغدره ، فخرق هدنة صلاح الدين مع ملك بيت المقدس ، وتام بالهجوم على قلعة ذابية إلى مكة سنة ٥٧٧ / ١١٨١ ، فأرسل صلاح الدين إلى ملك بيت المقدس يطلب منه إعادة ما نهب ولكن أرنات تطدى في غيبه ولم يذعن لأحد (٢) ، وقد حاول صلاح الدين أن يضغط عليه بالامر الحجاج الذي يسكن تدفهم البحر عند دمياط ، رغم كثرتهم - فلم يرتدع (٣) ، وفي هذا ما لا تناء شاح الخبر بفارة فرنج أنحاكية على حارم ، إذ نهبوا وسبوا عددا كبيرا ، بينما رحول حلب يقوم بالتفاوض مع الفرنج ويستنجد بهم ويخبرهم (٤) ، وما كان المواسلة بأحسن حالا منهم ، وأما الخليفة فمشغول بأن لا تكون السفينة المعروثة (بالزيرب) بدجلة أزاء التاج الشريف لترقب مسن يموت ... لأنه كلما رآها تذكرت عليه الحياة (٥) .

وأستفصل صلاح الدين الهدنة المستقودة بينه وبين الفرنج في استكمال الوحش والاسلحة ، فحاد لمحاصرة حلب ، ولكنه لم يستطع السيطرة عليها ، فذهب إلى الموصل وحاصرها أياما ، لكن لم يفلح في فتحها ، إذ كانت محصنة ومحاطة بقلاع لا سبيل إليها إلا بأخذ هذه القلاع وط حولها من البلاد (٦) ، فساد إلى حلب حيث أرسل الخليفة بأمره بترك أمر الموصل وحلب ، فرد عليه صلاح الدين بأنه لا يمكنه الجهاد والتفرغ للسدد دون خطيئته وطمانينة وإلا فالأولى أن يتنازل عن أملاكه لهؤلاء على أن يقوموا بواجب الجهاد ، ثم حاول أن يقنعه ويخبره بأن حكام حلب والموصل أطقوا مطابعتة للجهاد ، وبين له أن الهدنة مما عدها من الفرنج إلا بسببهم (٧) .

(١) ابن العديم ، زبدة الحلب ٢٠ / ٣ - ٢٥ ، الكامل ٤٩٦ / ١١

(٢) Stanley Lane Poole, A History of Egypt in the Middle Ages p. 267

(٣) ابن واصل ، مفرج الكرب ١٤ / ٢٥ ويذكر أن عدد هم ألف وستمئة وتسعون .

(٤) الروضتين ٢٣ / ٢

(٥) الأيوبي ، مضمار الحقائق وسر الخفايا ، ت حسن حبشي ، دار الهنا والقاهرة ، ١٩٨٨ ص ٥٩

(٦) ابن شداد ، النوادر السلطانية ٥٧

(٧) الروضتين ٢٣ / ٢

وعاد السلطان الى الجزيرة الفراتية ، وعمل على ضم كثير من البلاد اليه (١) ثم عيّر
الفرات سنة ٥٧٩ وسير المسكر الى حلب ، فغاجها وحين علم صاحبها (عماد الدين زنكي)
ان لا قبل له به ، اتصل به على ان يسلمه البلد مقابل أعطائه سنجا و ذلك تشي على معظم
الممالك الضعيفتوا لملوك الذين يقول فيهم ابن اسعد الموصلي :

ملوك جلمهم مفرى بثلثهم
ومشغول بلمو أو مسسزان

أو ط قاله فيهم ابن سناء الملك :

مطالعة لم يدبرها مدبرها
حتى اتاها صالح الدين فأصلحت
الآن برأي خصي أو بقتل صبي
من الفساد كما صحت من الوصب (٢)

وبذلك أيضا ضمن توة كبيرة يقف بها أمام الفرنج ، فكان فتح حلب بداية فتح القدس
كما أشار الى ذلك ابن الزكي قاضي دمشق قبل فتح القدس :

وفتحكم حلبا بالسياف في صفر
مهر بفتح القدس في رجب (٣)

* * *

وكان ان اقدم أرناط على مشروح خطير دون أن يفكر بالسواقب - وشوانه جهز
أسطولا وأوكل له مهمتين : الأولى : نهب السفن الاسلامية التجارية ، والثانية : احتساب
المدينة المنورة ونقل جسد الرسول الكريم الى بلادهم ليدفنوه عندهم ، ولا يكتفوا المسلمين
من زيارته الا بهجمل (٤) .

ولذا عبر الحادل أخو صالح الدين أسطولا أرسله من حسام الدين لؤلؤ ، وأوقع
بمحاصري أيلة هزيمة نكراء ، ثم طالب الفرقة الثانية وقد عزوا على دخول المدينة وككة ، فأدركهم
بمحاصر حوراء ، فقتل أكثرهم وأسر الباقين (٥) ، ولم يكتف أرناط بهذا بل غدر بالمسلمين ،
بعد ان أضهم ، فهاجم تافلة قادمة من مصر الى الشام ، وحين ذكره صالح الدين بالعهد ،
وطالب منه إطلاق الأسرى والتافلة رد بقوله " قولوا لعمد يخلصكم " (٦)

زالت الحوائق التي أعترضت صالح الدين في تأديبه لارناط على أعماله ، وبالإضافة
الى ذلك تدهورت أوضاع مملكة بيت المقدس ، إذ توفي بلدوين الرابع ، وخلفه " جياي لوزجنان "
غراسل صالح الدين وطلب منه المساعدة على أهل ملته (٧) .

(١) أنظر مضمار الحقائق ١٠٤ - ١٠٥ ، ١١٠ - ١١٥ ، والكامل ٤٨٨ - ٤٨٩ ، وزبدة

الجيل ٢٠ / ٣ - ٢٥

(٢) البروشين ٢ / ١٧ ، ٤٣ ، ٤٤

(٣) الانس الجليل ٣١٧ ، وأنظر مضمار الحقائق ٩٣ ، تاريخ ابن الوردي ٩٣ / ٢٠

(٤) ابن الاثير ، الكامل ٤٩١ / ١١ ، ١٠٠ - ١٠١ ، الانس الجليل ٣١٦

(٥) تاريخ ابن الوردي ٩٢ / ٧

(٦) ملحق الكروب ١٩٤ / ٢ ، ابن شداد ٧٨

(٧) البروشين ٧٤ / ٢

وهنا أمر صالح الدين بتعبئة المحاكم من حلب ومصر والجزيرة ، وروكل أبنة الأفضل باستقبالها في مندقتا التجمع بدمشق ، بينما قام بنارة على الكرك والشوبك وقرى شغلها أراضيها وقطن أشجارها (١) ثم عاد إلى الشام فوجد أمورها مهتأة ونظمته فجهز البيهقير وسيرها يريد دخول الساحل ، وعندما سمع الفرنج بأجتماع كلمة المسلمين ، اجتمعوا وتسلحوا ثم أقاموا غي صفورية بجيهر توامه خمسون ألفا ، فاستهدف صالح الدين أراحتهم عن مراكزهم حتى يصلوا إليه مقببين ، فغدا عن أنه بهذا العمل يحرمهم من الماء بأحاطته ببخيرة طبرية ، ولكنهم بقوا حيث هم ، فاحتل طبرية لعلهم أنهم لن يهدأوا لذلك ، فلما وعلمهم الخبر ثارت ثائرتهم ، فغضب السلطان ، وقال : "جاءنا ما نريد ، ونحن لهم بالمصاد ، فلا قبل لهم بنا ، فإذا نزلناهم مناخذ طبرية وتجمع الساحل" (٢)

عسكر الفرنج على سلاح جبل طبرية بحديد من الماء ، فاشتد بهم المطر ، وأندفعوا إلى ماء طبرية فيرمية ، ولكن المسلمين كانوا يردونهم ، ولم تنزل الحرب تستمر ويشد أوارها حتى دارت الدائرة على أهل الشرك ، إذ أن المسلمين قد أشعلوا النيران في الأعشاب فازدادت عليهم الحرارة اللاهبة ، وحرارة النور وحرارة النار ، والتديد الذي به يتخوذون ويدعون إضافة إلى المطر الشديد ، فكانت الخيبة للمسلمين ، فغسل الغلبة بالحكمة لقائدهم صالح الدين . ولما رأى صاحب طرابلس أمارات النذلان قد نزلت بأهل دينه بادر إلى الهرب ثم أصابته ذات الجنب ، فكانت سببا في هلاكه بمشيئة الله (٣) .

أما بقية الجيش فقد اشتد قتالهم حين أيقنوا بالهلاك ، لكنهم لم يستطيعوا الاستمرار فقتل منهم عدد كبير ، كما أسر الكثير ، وقد عامل المسلمون الأسرى معاملة كريمة ، وأحضر السلطان الماء الصالح لملكهم ، أما أرنؤك فقد تم تنله وغاء بئذ السلطان (٤) .

تابع صالح الدين فتوحاته ، فتوجه نحو عكا ، بغية القضاء على قواعدهم البحرية ، بينما قامت بعض الفرق باحتلال الناصرة ، وتيسارية وحيفا و صفورية . . . وغيرها كما احتل بيروت وجبيل ، ثم سار نحو عسقلان ، وفي طريقه إلى القدس تسلم مواضع كثيرة كالرملة ، وبينما والداروم ، كما تسلم أصحابه غزة وبيت جبيل والدارون بنير قتال (٥) ، ثم توجه إلى بيت المقدس ولم يلبث من فيها أن استسلموا ، وسمح لهم بمصادرة القدس ، بمصانم مقابل فدية مسمومة بصيغة (٦) وهنا نلاحظ الفرق الشاسع بين معاملة المسلمين ومعاملة الفرنج .

- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ص ٧٤ ، ٧٥ ، الروضتين ٧٥ / ٧
- (٢) المصدر السابق ، ٧٦ ، ٧٧ ، وابن الأثير ، الكامل ٣٥ / ١١
- (٣) النوادر السلطانية ٧٨
- (٤) فتح الكرب ٢٠١ / ١ ، حسن المحاضرة ٣٤ / ١١ ، النوادر السلطانية ٨٠
- (٥) ابن شداد ، النوادر السلطانية ص ٨٠ ، الكامل ٥٤٠ / ١١ ، ٥٤١
- (٦) ابن الأثير ، رسائل ابن الأثير ، أنيس المقدسي ، دار الكتب للطابعين ، بيروت

سنة ١٩٥٩ ص ١٥٤

بهذا الفتح العظيم تحسنت أحوال المسلمين ، بينما انحصر ظل الصليبيين وقد مجند
الشعراء والكتاب هذه الفتوحات ، وطلبوا باستكشاف الفتح ، كما عملوا على تحريك الهمم لطرد
الغزاة ، ولم يبق أمام المسلمين إلا صور ، واربلا ، وأنطاكية ، وبيضاء السويدية ، وحصن
المرتب ، وقد حاول صلاح الدين احتلال صور ولكنها امتنعت عليه لشعائنها الطبيعية ، وكثرة
من فيها من الفرنج الذين جاءوا من المناطق التي احتلها المسلمون (١) .

* * *

أحدث سقوط القدس في أواخر القرن الثاني عشر في أوروبا ، لا سيما بعد أن وصل بنجر الرعيان
يحملون صورًا للصليب ، وقد أدركوا الحروب ، فنهروا الفرنج إلى فلسطين بأعداد شائلة ، إذ خرج
ملك اللان بطاشي ألبوتيل طائين وستين ألفا (٢) ، وقد وصلت هذه الحملة الصليبية إلى
القسطنطينية ، تريد البلاد الإسلامية ، فأبغى عن جاء عن طريق قبرص ، أو من صور .

وإن ذلك أرسل صلاح الدين ابن هداد إلى خليفة بغداد ، وصاحب سنجار ، وصاحب
الجزيرة ، وصاحب الموصل ، وصاحب اربل ، يطلب منهم الخروج إلى الجهاد (٣) ، فوعده
كل منهم خيرا ، كما قام بطلب الجند من مصر والشام للوقوف في وجه الهجوم الثاني .

وقد كان لتحسن العلاقات بين الصليبيين والمسلمين أثر مهم في وقوف صلاح الدين على اختيار
الحملة الألمانية ، فقد بحث ملك القسطنطينية له بمقالة أشهر فيها عن التزامهم من القسطنطينية
ووعده بأن لا يتركهم من الصور (٤) ، وخين وطلب الحملة أرض القسطنطينية وفتح العراق فمسل
أمامها ، لكن كثرتهم أرغفت على أخطائهم ، فطلبهم أمام قدرتهم المجهزون عبر الأناضول ، كما أرسل
إلى صلاح الدين يشعروا من خسائرتهم (٥) ، وقد تابع اللان وحفهم عبر آسيا الصغرى
يخربون وينهبون العرب ، فقاتلهم السلطان السلجوقي (تقي أرسلان) ، فقدم لهم الأدلة حتى
وصلوا أرض الأرمن ، فاستقبلهم ابن لاكون (لاون) وزودهم بالمواد والأدلة حتى وصلوا إلى
طرشوس ، فألقوا على نهر ، أصيب ملكهم عنده بمرض ، بعد أن سبغ فيه فكانت نهايته (٦) .

ضاق الخناق على الصليبيين ، إذ أصبحت الحملة الألمانية على مشارف الشام .
والحملة الفرنسية والانجليزية تراهل في حقله تنتشر بدو البحر ، تحفزا للهجوم ، وترسج
صور يهاجمون ، وكما والمسلمون يقتلون منهم العدد الكثير ، لكن ما أن يقضي على مجموعة خبيثي
تظهر مجموعات آتية من البحر (٧) .

(١) الإمبراطور ريتشارد الأول ، الحملة الصليبية ١١٧٧/٨ ، الثاني ١١٨١/٢

(٢) ابن هداد ، النوادر السلطانية ١١٥

(٣) لاحظ قول د . بدرى محمد فهد ، أنه لم يطلب المسلمون من الشليفة ، وانظر

ابن هداد ١١٥

(٤) الروشدين ١٥١/٢

(٥) النوادر السلطانية ١٢٢

(٦) النوادر السلطانية ١٢٤ ، ابن السديم ١١٤/٣

(٧) الروشدين ١٥٧/٢

اكن الاخبار وصلت بحوت ملك اللطمان ومعظم جيشه بسبب الامراض التي نكبت بهم (١)
ولذلك رآب السلطان من أراء الجند منهم من وصول عكا ، ولم ينتظر وصول أعدادات
القوات الاسانديه ، وانما قام بهجوم على الجيش الصليبي قتل فيه عددا كبيرا منه ، وانتشر الرعب
بينهم مما اضطر صانع الدين الى الرحيل عنهم ، بينما اتبع لهم المجال لزيد مـــــــــــــــــ
الاستعدادات ، وفي هذه الاثناء وصلت الحملة الفرنسية والانجليزية ، وأحكم الفرنج الحصار
على عكا ولم تخرج محاولات صانع الدين لاعدادهم بالميرة والسائح (٢) ، فخرج حامي المدينة
الى الفرنج ، وفاوضهم بالتسليم ، ولكن الفرنج مكادتهم بـ غدروا بالمسلمين ، وقتلوا
الاسرى البالغ عددهم ثلثة آلاف مسلم ، عبروا ، ثم احتلوا حيفا وبيسارية بعد أن احتلها
الحامية الصليبية ، ثم ساروا نحو أرسوف ، وهزموا المسلمين فيها ، فأخرج صانع الدين الى
عسقلان وخربها وسك جوامع بالحزن والبكاء (٣) .

اكن الفرنج توتغوا بسبب ما نشب بينهم من نزاع على ملكية الاراضي المفتوحة والقصد من
بعد احتلالها ، بما اتاح لصانع الدين ان يحصن القدس ، وان يسم الابار على المرتفعات
وحين وصلت الحملة مضائق القدس ، ورأت ما تحله صانع الدين فضل ريمارد التوتفـــــــــــــــــ
مهاجمة القدس ، والدخول معه في مفاوضات ، لا سيما بعد ما علمه من ثورة أخيه محمد ، فسمي
أنجلترا (٤) فاقترح على صانع الدين تزويج أخته بالحادي أخى صانع الدين ، وقد دامت
المحادثات طويلا ولكن دون جدوى ، وأخيرا عقد صلح الرطة سنة ٥٨٧ / ١١٩٦ . ونسودى
في الناس : " ان الصلح قد أنتظم ، من يشاء " (هكذا) من بلادهم يدخل بلادنا فليقتل
وهن شاء من بلادنا يدخل بلادهم فليقتل (٥) .

وتوفي المجاهد الكبير صانع الدين سنة ١١٩٧ / ٥٨٩ تاركا ملكة واسعة وأمانسة
ثقيلة تحملها أبنائه من بعده ، بالإضافة الى أخيه " الحادل " ، وقد تولى ابنه الأختل على
دمشق والساحل وبيت المقدس . . . وأشد " العزيز عثمان " مصر ثم أخذ " الظاهر غازي " حلب
أما أخوه الحادل فقد تولى إمارة الاردن والكرات ، ولم يلبث الخلفاء أن دب بين ورثة صانع
الدين الايوبي وأستمر فترة من الزمن (٦) .

-
- (١) مفتي الكروب ٣٣٦ / ٢ ، النوادر السلطانية ١١٨
 - (٢) النوادر السلطانية ١٥٦ - ١٥٧ ، ١٦١
 - (٣) الروشدين ١٩٢ / ٢
 - (٤) مفتي الكروب ٣٧٥ / ٢ ، الروشدين ١٩٦ / ١ ، وأنظر سعيد شـــــــــــــــــ
 - السرقة الصليبية ٨٨٥ / ٢
 - (٥) تاريخ ابن الفرات ، مجلد ٤ ، ٣٧ / ٢ - ٣٧ ، ٨٦ ، الروشدين ٢٠٤ / ٢
 - (٦) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ٨٧ / ٢ ، الروشدين ٢٢٨ / ٢

وسعد أن هدأت الأمور في البيت الأموي وانتهت مدة الهدنة ، أرسل الفرنج حملة جديدة ، فانتشروا في الساحل وكثروا فيه واعتدوا على بعض المسلمين في منطقة القسند من أسروا وغنموا (١) ، فتصدى لهم العادل مع أمراء بني أيوب وكسرهم بمصر عكا ثم احتل ياغسا بالسيف ، لكن الفرنج احتلوا بيروت بعد أن هرب عنها واليهما عز الدين أسامه ، ثم غنموا صلح بين الطرفين لمدة ثلاث سنوات ، عمل العادل خلالها على توحيد الدولة الأيوبية تحت زعامته ، وقد تمكن من بسط سيطرته على مصر فأصبح سلطان المسلمين في مصر والشام ، واعتمد في تصريف أمور الولايات على أبنائه بينما يتنقل هو بين بغداد ولولايات (٢) .

* * *

وسعد أن نشأت الحملة الصليبية السابعة في استرداد بيت المقدس ، رأت البابوية أن تغرب مصر أولا ، باعتبارها السبب الأكبر في سقوط مملكة بيت المقدس (٣) ، وقد تقرر ذلك فعلا ، وبقي أمر نقل الجند إليها ، فتمتلك الفرنج مع أسطول البندقية لتزويدهم ، ولكنهم استنجدوا بالقسطنطيني البيزنطي بهم لاختطاف التورتالداخية ، أطمعهم في السيطرة على الطريق الذي عانى منه الفرنج قديما ، كما أطمعهم في استنقاذ الكنيسة الشرقية للبابوية (٤) . ولذا فقد استولى الفرنج على القسطنطينية سنة ١٢٠٤ / ١٢٠٤ ، واحتلوا السيف في أهلها ثلاثة أيام ، وتتلوا الأساقفة والرهبان الذين خرجوا إليهم وبأيدهم الأناجيل والسلبان ، يتوصلون بها ليقيموا على حياتهم ، فلم يفتحوا إليهم وتفاوضهم أجمعين ونهبوا الكنيسة (٥) .

ثم وصلت بعض جموع الفرنج إلى الشام ، وقاموا بمدة عمليات لم تكن حاسمة كسكان منها هجومهم على حماة ، وقد هزموا فيها ، يقول عنها الدين أسعد بن يحيى النجاري في ذلك (٦) .

تترك لهم أجناس يبقَى إلى أجسـل
وأرضي لجدك ألقاها على بـجـسـل

عاجلتهم بالأمنايا والحتوف فـلـسـسـم
فأكسر صليبهم عن صلب جـنـنـم

(١) مشق الكروب ٧٤/٣

(٢) لمزيد من التفاصيل أنظر مشق الكروب ٧٨/٣ ، وأرونشين ٢/٢٣٥ ، ٢٣٣ وتاريخ

ابن الوردي ١١٣/٧ وابن الصبوي ، تاريخ مختصر الدول ٢٦٥ ، وسعيد طاشمور
السرقة الصليبية ١٩٦/١ .

Stanley Lane Poole, *History of Egypt in the Middle Ages*, p. 213, 241 (٣)

(٤) فشر ، تاريخ أوروبا الصغرى الوسطى في ١٤١٠

(٥) ابن الصبوي ، تاريخ مختصر الدول ٢٦٨ ، ابن الصبوي ، التاريخ المختصر لشمس مصطفى

جواد ، الصليبية الصليبية الكاثوليكية ، بغداد سنة ١٩٣٤ ، ٤٧ - ٥٠

(٦) تاريخ ابن الفرات مجلد ٤ ج ٢ ص ٢٥٦ وانظر ص ٢٥٥ - ٢٥٧ ومجلد ج ١ ص ١٢٤

وأراد هذا الفضل ، واجتمع ، فقاتلوه ، وأغاروا بقصد مصر أيضا ، وبعثوا وصلت الحملة إلى
عكا ، وانتشر أفرادها في الساحل يقتلون وينهبون حتى إذا استراحوا ، أنماقوا إلى مصر
مخلفين وراءهم العرب والتدمير (١) .

وأخيرا وصلت الحملة إلى دمياط سنة ٦٤٤ بعد مشقة بالغة بسبب ما اتخذها الكامل من
احتياطات في مدخل النيل ولكنهم حللوا تلك الأسلحة ، وصنعوا مركبا عظيما شحمه
بالرجال والساج وأجروه في البحر ، وبنه وشبوا إلى سور دمياط (٢) ، وتوفي الصادق ، وبقي
أبيه الكامل يرقب الموقف ، ولكن أحد تادته حاول الثورة وأحدث الفوضى ، مما اضطر الكامل
أن يتراجع عن المدينة ، وبذا أنفتحت أمامهم (٣) ، وأرسل الملك الكامل إلى أبيه يحثه
على سرعة الحضور ، وصدر المكاتبة بقوله :

يا محمدي إن كنت حقا مخلصي
وأحبت قلوبك موتلا أو موجفيا
فأنهض ، بخير تلبيك وتوقفت
بتجشم في سيرها وتعتسف

وتبل أن ينجده أحد من أخوته تمكن الفرنج من الاستيلاء على دمياط ، وأرتكبوا فيها الجرائم ،
إذ غدروا بأهلها بعد أن أضوا من بقي منهم (٤) ، ثم أتبعوها من النيل داخل مصر ،
والمسلمون لا يلبثون على شيء ، فأتخذ الكامل المنصورة مركزا للدفاع ، وعرض عليهم كل ما
فتحته صالح الدين بط في ذلك القدس ، على أن يقاتلوا الأراضي المصرية ، فلم يقبلوا بذلك
ومالبوا أموال طائلة لبناء أسوار القدس .

ثم تجمع لدى الكامل جيش عظيم ، وأخذت الأعدادات تصله تباطأ من أخوته الأشرف موسى
والمعظم عيسى ، وتكثرت البحريقات لسلامة من تلح النيل عنهم ، وأغرقت سفنا فرنجية منسوبة
بالساج والميرة ، وكان أن ناز النيل ، فقتل المسلمون السدود والقنوات ، وأصبح الفرنج
محاصرين ، يقيد البليغ حركتهم ، بالانساف إلى مناصرة الجند المسلمين لهم . . فوقفوا
بين أسير وقتيل بعد أن وصلوا إلى المنصورة (٥) .

واجتمع الكامل ، معند وأخواه بعد خزيمة الفرنج في ليلة سمر ، قال فيها الشعراء
شعرا وسفوا ليلة الحملة وأعمالها ثم شزجتها ومن جليل شعرهم قول الشاعر راجع الحابي :

أحيات عيسى أن عيسى وشزجته
وموسى ، بهما ينصران محمدا *

-
- (١) الشذرات ٦٥/٥ - ٦٦
(٢) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، دار بيروت سنة ١٩٦٠ (ص ١١٤)
(٣) تاريخ ابن الفرات ، مجلد ٥ ، ج ١ ، ص ١٤٦ ، ٢٤٩ ، المختصر في أخبار البشر ١١٢/٣
(٤) الشذرات ٦٦/٥
(٥) المختصر في أخبار البشر ١٢٥/٣ ، ابن الفرات مجلد ٥ ، ج ١ ، ص ٢٤٩ تاريخ المستنصر
ابن الوردي ١٤٦/٢
* في البيت تورية باسم عيسى وهو المعظم أخو الملك الكامل وموسى هو الأشرف ومحمد
هو الكامل . للحزب من المتفاعيل انشراح فيل على الروضتين ١١٦ - ١٢٠

ونشب النزاع ثانية بين الأخوة من البيت الأيوبي ، بل وصلت الأمور إلى حد استنجد بهم بعضهم بأعداء المسلمين ضد بعض ، إذ استنجد بعضهم بالنوادر من بعضهم الأكثر بالملك غردوريك ملك صقلية (١) وقد قدم الجيوش الفرنجية بالتوالي إلى عكا سنة ٦٦٥ / ١١٦٨ ، وأخذ يعني التحصينات في عكا وغيرها ، استعدادا للهجوم ، ريثما يصل الامبراطور ، وكان أن سمات الملك المعظم فاحتل الكامل القدس ونابلس ، وأثقت من أخيه الأشرف على أخذ دمشق حينئذ الناصر داود بن المعظم الذي كان مقيما بنابلس ثم رحل إلى دمشق سنة ٦٦٦ / ١١٦٩ (٢)

ووصل غردوريك إلى الشام في وقت لم يجد فيها الكامل الذي كان قد استنجد به في حاجة إليه ، فغلب الامبراطور من الكامل أن يسلمه ما كان وحده من التنازل عن كل ما احتله من بلاد الدين مقابل القضاء على المعظم ، فواسلها الكامل ولائفه ، فلبى غردوريك إلى الحكمة والدشاة ، وأنشئ الأمر بتسليمه القدس وببيت لحم ، والناصرة وغيرها على أن تفتح الحرب أوزارها مدة عشرين ابتداء من ٦٦٦ / ١١٦٩ (٣) .

وقد استاء المسلمون لهذه الهدنة ، فأشد البكاء وعظم الصراخ والمويل ، وكان نتيجة ذلك أن ازداد تمزق البيت الأيوبي ، إذ اتجه الكامل والأشرف إلى دمشق لأخذها من الناصر ، فكرههما الناس وأوغرت عليهما الصدور ، وقد تولى الكامل حصار دمشق ، وقتل فيها الأنصار ونهب البساتين (٤) ، ثم أخذها صلحا .

وحين أوشكت الهدنة التي عقدت بين الكامل وغردوريك على الانتهاء شحيت الباهوية على بيت المقدس ، فعدت إلى حملة صليبية جديدة ، وعدتها حماية القدس ، وترميم الأضرار ، وبذلك تكون قد خرفت الهدنة التي عقدت بعدم تجديد البناء ، فاستنزل الناصر داود الفرصة وشجع على الفرنج ولطردهم منها ، وردا على ذلك ، نظم الفرنج حملة بحرية بقيادة ملك فرنسا (لويس التاسع) الذي أرسى يثبا وأتبع أصحابه في بلاد الساحل ، فساد الذعر وشاف الناس على القدس والأماكن الأخرى ، وقد قال الناصر داود في ذلك : *

أيا ليت أعي أيّ طول عمرهم
فلم يقنصها ربي لولي ولا يحميهم
ويا ليتني لما ولدت وأصبحهم
تشدّ إلي الشد قميات بالرحم
لحقت بأهلهم فكنت ضجيجهم
ولم أرق في الأسائم ما فيه من خسل (٥)

- (١) للمزيد من التفاصيل أنظر الحركة الصليبية ١١٨ / ١
- (٢) تاريخ ابن الوردي ١٥٠ / ١ ، مغر الكروب ٢٣١ / ٤ ، المذرات ١١٨ / ٥
- (٣) السلوك ق ١ ج ١ من ٢٢٨ تاريخ ابن الوردي ١٥٠ / ٢
- (٤) ابن الأثير ٤٨٣ / ١٢ وأنظر :
ومغر الكروب ٢٥٩ / ٤ ، ٢٦٠
- ذكر ابن الوردي في تاريخه أن هذا ما لا يثبت للفر من عبد السلام ، وهي للملك الناصر داود وقد رواها ابنها ملك الأمجد في كتابه " الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية " (أو رسائل الملك الناصر ورقة ٢٠٤ ، ٢٠٥) .
- (٥) الملك الأمجد ، الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية مخط ، ورقة ١٠٤ - ٢٠٥

الا أن الحملة اتجهت الى مصر ، لانها القاعدة للحرب على حياة المسلمين ، فأرسل لويس التاسع الى ملك مصر يتعهد به بكثرة جيشه وقوة فتكه ، فرد عليه الملك الصالح نجم الدين ملك مصر بأنه لا يخاف الكثرة ولا القوة ، لان المسلمين هم أرباب السيوف ، وهم أصحاب الارض وليسوا بظارف ، وقد أخذ يتوعد به بقوله " ... فلورأت عيناك أيها المشرور - حد سيوفنا وعظم حروبنا ... لكان لك أن تحضر على انامك ، بالندم ولا بد أن تزل بك القدم ، في يوم أولئك لنا وآخره عليك ، فهناك تسوء المثلون ، وسيعلم الذين ظلموا أي مقلب ينقلبون (١) " .

وأعرف الملك الصالح رغم رغبته مد على تحسين دمياط ، وعززها بالمقاتلين من قبيلة كنانة لكن الحملة كانت في غاية القوة والاستعداد فخطمت المواقف التي تسرقل مرور السفن في نهر النيل ، مما أثار الخوف في نفوس بعض أمراء دمياط ، فولوا الادبار وتيسم كثير من الناس ، فقبض الصالح عليهم ، وأعدم منهم خمسين أميراً عشقاً (٢) ، ولكنه توفي ، فقامت زوجته " شجرة الدر " مقامه ، وأرسلت الى ولده تورانشاه ليتولى أمر مصر ، في حين وقع الفرنج في الخطأ الذي وقع فيه أسلافهم ، وقد استحلح تورانشاه أن يأمر الملك الفرنسي وأخاه ، كما استولى على عساكر الفرنج ، وقتل منهم ما يزيد على عشرة آلاف فارس ، وأسر من الخيالة والرجال ما يناهز مائة ألف ثم جيء بالملك الفرنسي وأخيه الى المنصورة وأعتق في دار قصر الدين بن لقمان (٣) ، وقد قال الشاعر بن بغداد يصف كثرة قتالهم :

تركنا من الأهل بالسيف مطعنا
ونهم الوقت أرسون بأسرنا

ثلاثين ألفا للقشاع والأشهاد
فكم ملك في قبضنا صر كالصبيد (٤)

وقد أطلق سراح ملكهم وباقي الجند على شرط أن لا يعودوا الى مصر ، وأن يدفعوا غدية كبيرة وحين عزم لويس على مهاجمة مصر مرة ثانية ، قال ابن مطير :

قل للفرنسي، إذا جئتني
أجرك الله على ما جئتني

قال صدق عن قول نصير
من قتل عباد يحوج الصبيد

أنت مصر تبتغي ملكها
حسبت أن الزبر يا طير

وأشهرها :

دار ابن لقمان على حاله

(١) ابن الصبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١٥٨ ، المقريزي ، الملوك ، لمصر في دول الملوك

ج ١ ، ص ١٤٧

(٢) نهاية الأرب ج ٢٧ ورقه ١٠٠

(٣) تاريخ ابن الوردي ١٨٧١٠ ، القديح ، لويس جوفانجيل ، ترجمة حسن حبشي ، ١٤٠-١٤١

نهاية الأرب ج ٢٧ ، ١٠١ ، ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ٢٥٩ ، ربيعان ٤٦٥/٣

(٤) حسن الحاضرة ٣٩/٢

في البيت الأول " مطعنا " لملها " مطعنا " والثاني ورد مكسورا " تبشنتنا "

(٥) النويري ، الألبام بالأحرف فيط جرت به الاعتناء بالأمور التقنية في وقعة الاسكندرية ج ١ ص ١٧

وبكذا فشلت جميع محاولات الفرنج لاستيلاء على مصر ، فوجهوا أنظارهم نحو
التتار ، لعلهم يجدون فيهم سندا لهم في تحقيق أهدافهم ، وقد كان من الممكن لهم ضرب
المسلمين لولا التنازع فيما بينهم بحروب داخلية كالأعداء ما حدثت بين الهناتق والجنوية (١)
وأستغل المسلمون فرصة هذا النزاع للوقوف أمام الشزوا المنولي الذي اكتسح العراق ، وبعد
الشام وهدد مصر (٢) ، إذ أرسل حولاكو إلى قنطر يطلب منه الاستسلام ، فجن قنطر
جيشا قويا ، وألقى من المنول في عين جالوت وهزمهم سنة ١٢٥٦/٦٥٨ : ثم تبى الظاهر
بيبرس ، فلولهم بينا سار قنطر إلى دمشق ، فاستقبله أهلها استقبالا مخلصا من أعمال التتار
الوحشية .

* * *

وبعد ذلك ، تولى بيبرس حكم مصر والشام ، فهب الأمة للجهاد ، ثم أنقل من مصر إلى
الشام ، وقام بهجوم على أنطاكية لصانقة حكامها للمفوض ، ثم هاجم ملكة بيت المقدس ، فاستولى
على قيسارية وأرسوف ، وتلعة صفد قاعدة الفرسان الداوية ، مما أضعف من شوكتهم وحطمهم
مخوياتهم ، فمقدروا منه هدنة (٤) ، وفي سنة ١١٦٢/١١٦٠ استولى على يافا ، وحصن
الكراد ، ونازل حصن عكا وملكه بالامان ، وقد حثا لشراء على القضاء على عاصمة الصليبيين
(عكا) ، فقال أحدهم (٥) :

يا ملوك الأرض بشعرا
ك فقد نلت الإرادة
هو عكا وزيمسادة

يا ملوك الأرض بشعرا
إن عكا ريقينسادة

وبعد وفاة بيبرس ، تولى قانون عليه في القضاء على المنول والفرنج ، فبعد أن أنزل
بالمنول منزلة خاصة رغم كثرتهم في مصر سنة ١١٨١/٦٨٠ ، بدأ يوجه اهتمامه نحو الفرنج
فاحتل حصن المرقب سنة ١١٨٥/٦٨٤ ، وهو حصن منيع ، ولم يبق للفرنج من عكسها
وطرابلس وسيدا وصور وعكا وما حولها (٦) .

- (١) الحركة الصليبية ١١٠٧/٢ - ١١٠٨ : رنسيطان ٤٨٧/٢ ، أحمد مختار المبادي ، قيام دولة المليك ٧٦٠ ، عبد القادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ٢١٦
- (٢) المختصر في أخبار البشر ١٠٦/٢ ، ١٠٦ ، ١٠٦ ، ١٠٦ ، تاريخ ابن الوردي ٢٠٧/١
- (٣) يزعم رنسيطان (الحروب الصليبية ٥٢٨/٢) أن قنطر تحالف مع الفرنج لطاعة المسدو المشترك ، والحققة أنهم عرّفوا عليه المساعدة ، عرفتها لأنه لا يستعين بكافر على كافر وسبب العرف هو أن المنول قريبا النصارى الشرقيين ، وطالوتهم بخلاف معاملة الفرنج الشرقيين مما آثار تخوفهم (الحركة الصليبية ١١١٢/٢) .
- (٤) بدائع الزهور ١٠٥/٤
- (٥) شذرات الذهب ٣١٦/٥ ، وأنظر أحمد مختار المبادي ، قيام دولة المليك ١١٣
- (٦) تاريخ ابن الوردي ٢١٥/١
- (٧) عقد الجمان ج ٢٠ ق ٤ ص ٦٢٢ ، ٧١٦ تاريخ ابن الفرات ج ٨ ص ١٢ ، تشريف الأهم والمصور ٤٣

في سنة ٦٨٨/٦٨٩ هـ احتل قشرون طرابلس ، وبذلك لم يبق وجود الفرنج في الساحل
فلمستنجسوا بأوروبا ، فبدأت حملة أيطالية ، انتهت بالفشل وانقلبت عليهم بالموال ، فقد هاجم
رجالها المسلمين ، المتجار منهم والمزارعين في منطقة عكا ، دون أن يقيموا للمدينة المحقودة بسين
قومهم وبين المسلمين وزنا ، فطالب السلطان قتلهم بتسليمه المجرمين ، فأعذروا له عن إعطائهم
وأمنهم ليسوا من رعايا المملكة ، فلم يجد عذرهم فقبولا ، وجهز جيشا لمهاجمة عكا (١) ، ولم يكمد
السلطان يفرغ من أعداد الجيش حتى واغته الضية ، فتولى الأمر من بعد ما بينه الأشرف خليل
وأمر أن يستمد البقائلون في دمشق ليلتقوا مع أغوانهم من مصر للتوجه نحو عكا ، فخرج أهل
دمشق بمدون الجيش بما يستطيعون ، وقد اشترك في ذلك كل فئات الأهالي إذ خشي الناس من
فقهاء ومدربين وعلماء وصلحاء يعملون ويجرون الآلات والمجانيف ٠٠٠ وحاصر السلطان عكسا ،
ورغم ثغاني الفرنج الذين بلغوا ما بين ثلاثين وأربعين ألفا في الدفاع عنها إلا أن الأشرف خليل
تمكن من احتلال المدينة ، نحر الفرنج وقتل منهم خلق كثير ، والسعيد منهم من أتاحت له فرصة
الوصول إلى الدراكب للهرب (٢) .

وقد جاء سقوط عكا زلزلا دمر الكيان الصليبي في بلاد الشام ، فاستسلمت ممالكهم
الواحدة بعد الأخرى ، صور ، وصيدا ، وأنطربوس ، وحتليت (٣) ، وبذلك تكاملت فتوحات صلاح
البلدان الساحلية للإسلام ، وقد وصف الشعراء هذا الفتح العظيم ، وقال القاضي شهاب
الدين محمود (٤) :

الحمد لله زالت دولة الصليبيين	وعز بالترك دين المصطفى العربي
هذا الذي كانت الآمال لو طلبت	روياه في النوم لاستحييت من الطلب
ما بعد عكا وقد هدت قواعدهم	في البحر لاشرك عند الهرم سن أرب

* * * *

وهكذا انتهى الوجود الصليبي في ديار الإسلام بعد صراع مرير دام قرابة قرنين من
الزمان ، أحرزت في بدايته جيوش الفرنج نصرا مؤقتا ، في ظروف مواتية لها ولكن تبديل
الظروف في بلاد الإسلام ، ثم نشوب الامدادات التي كانت تأتي من أوروبا للإبقاء على الجسم
الشريب في المنطقة ألا بهذا الجسم الشريب إلى الموت المقدر المحتوم .

- (١) تاريخ ابن الفرات مجلد ٨ ص ١١٠ ، ونسيمان ٦٩١/٣ ، تشريف الأيام والمصور ١٢٧
- (٢) محمد إبراهيم الجزري ، جواهر السلوك في الخلفاء والملوك ، ورته ٤٠ ٤٣٦ ، مشطوط
- وأنذر وعدهم في حصار التوسل إلى عكا المرسل ٤٦٠ (وأنظر الحركة الصليبية ١١٢/١)
- (٣) المستشرق في أخبار البشر ٥/٤ ، تاريخ ابن الفرات مجلد ٨ ص ١١٢ ، تاريخ ابن الوردي ١٣٦/٢
- (٤) المستشرق في أخبار البشر ٥/٤ ، تاريخ ابن الفرات ١٥/٨ (تاريخ الزهراء ١٣/١٣) ، ٣١٣
- إبراهيم الجليلي ٣٦٧
- (٥) فوستاف لوبون ، حصار القرب ٣١٢ - ٣٢٠

الباب الثامن

الفصل الاول : النظرية الاسلامية للصراع

القسم الاول : صراع بين عقيدتين

القسم الثاني : صراع بين حضارتين

القسم الثالث : الصراع العسكري

اولا : الجيش الصليبي

ثانيا : الاسلحة والمعدات العسكرية

ثالثا : التحصينات

رابعا : التخطيط العسكري

خامسا : التدريب النفسي

سادسا : المعارك البرية والبحرية

القسم الرابع : الخطر الصليبي

اولا : على الاديان الاسلامية

ثانيا : على المسلمين

ثالثا : على الاسلام والتراث الاسلامي

الفصل الثاني : أضواء على حياة الصليبيين

اولا : الحياة الاجتماعية

ثانيا : الحياة الاقتصادية

ثالثا : الحياة السياسية

الفصل الأول

النظرة الإسلامية للصراع في الأدب العربي

القسم الأول : صراع بين عقيدتين :

أخذ الصراع بين المسلمين والمسيحيين طيلة القرنين اللذين دارت خلالهما الحروب الصليبية أشكالاً مختلفة ، منها الصراع العسكري ، وذلك أمر طبيعي منتظر ، لأن أحد الجانبين كان غازياً ، في حين كان الجانب الآخر مضطراً في بلاده ، مهدداً في كيانه ، ومنها صراع العقائد الذي يعتبر المحرك المعلن للصراع كله ، ولذا فإنه يستحق من الباحث اهتماماً خاصاً ، ويستوجب القاء الأنظار عليه ، والجدير بالذكر أن صراع العقائد بين دولة الاسلام والدول النصرانية تسدد ابتداء منذ معركة موته ، ثم بعد أن افتتح المسلمون بلاد الشام ، وقد مرت فترات كان الصراع فيها على نطاق واسع ، ولكنه كان أحياناً يتخذ طابعاً محلياً ، كما كانت الحال زمن الحمدانيين ، فالحمدانيون يهاجمون الثغور البيزنطية ، والبيزنطيون يردون على الهجوم ، ويهاجمون الثغور الإسلامية وبلاد الشام من وراءها .

أما في هذه الفترة ، فقد اختلفت طبيعة الصراع وشدته ، إذ اشترك فيه من جانب مجموعة من الدول الأوروبية بالإضافة إلى الدولة البيزنطية ، ومن جانب آخر مجموعة من الإمارات الإسلامية قبل أن تتوحد هذه الإمارات زمن نور الدين ، ثم زمن صالح الدين .

وقد هدفت الجيوش الفرنجية والبيزنطية إلى احتلال القديس وطراد المسلمين من المندقة وهذا ما أدركه ابن الأثير في معرض حديثه عن مقابسة الفرنج لحرب المسلمين في أرمينيا ، إذ قال لهم تلك صقلية " إذا عزمتم على جهاد المسلمين ، فأفضل ذلك فتح بيت المقدس " ، فخلصوه من أيديهم ، ويكون لكم الفخر " (١) .

وهذا ما أشار إليه لادباء في شعرهم ونثرهم ، فهم كانوا يرون أن الحرب دينية شدتها احتلال الأرض المقدسة وما حولها من بلاد ، ولذلك نبهوا إلى مشطورة الوضع وحثوا على التمسك في وجه المحتلين ، وتمثلوا الرسول يستصنع كل مسلم عربي لكي يدافع عن الدين لأنه يستحق الأثر المقدسة ، أصبح الدين واهي الدعائم ، يقول أبو المظفر الأبيوردى في ذلك ، :

يكناد لمن المستجن بطلانية *
أرى أمشي لا يشرعون إلى الهدى
ينادي بأعلى الصوت يا لثا شمس
رباحهم ، والدين واهي الدعائم (٢)

(١) الكامل ١٤٧/١٠

(٢) نهاية الأرب ٢٢٦/٥ ، ابن الأثير ، الكامل ٥٨٥/١٠ ، النجوم الزاهرة ١٥١/٥

كما وقف ابن منير في دمشق يمدح نور الدين ويفخر بأعماله عند الفرنج مرات كثيرة ، ومن هذا لما وقف قوله :

أغلى ديار الشرق من أوثانهم
حتى غدا ثالوثهم فكسبهم سيرا

وفي بغداد أمدح ابن الشعراوي صاحب الدين الذي حبب ينافي عن الدين حتى غادر الأعداء ما بين قتيل وجريح وخائف يترقب الموت يقول :

فغشيت للدين السميت ولم تزل
تقدرت أهل البني بين مجسدا
في الله ترضى منك كنت رضى سبب
لقي الشام وخائف يترقب سبب

وترددت هذه الأصوات على مر السنين معلنة أن الشام للأشام ، ومهما ظهر للباطل من سطوة وغلبة فإن الحق يدفعهما ، يقول ابن منير الملك :

الشام للأشام دار التمرار
فيا أمان الظر لا تأمنسوا
وكان من قبل طريق التمرار
بالدار ما الشام لكفر سدار (٤)

وفي الفترة الأخيرة من تقاتل الفرنج حين تم النصر البويزر للمسلمين ، يقول شمعون الدين بن عبد بن الحسن الشاذلي مخاطبا الأشرف خليل بن قلاوون في فتح عكا :

وأعدتها للمسلمين ولم يكن
وفي ظرد آخر جندى صليبي من ديار الشام يقول شهاب الدين محمود :

المحمد لله زالت دولة الصليب
وعز بالترك دين الصدى المرمي (٦)
هذه مجرد أمثلة توضيحية ، تدل على أن الصراع كان دينيا لدى الطرفين ، وإن شكك

بعض الأدباء والمورخين في ادعاءات الفرنج فيط يتصلق بأهدافهم الدينية في المضائق ، لأنهم باسم المسيح دمروا البلاد وخرّبوها ، وباسم الصليب ذبحوا الآلاف في كل بلدة دخلوها ، كما أثار الشكوك حول تمثلهم لبادئ دينهم ، يقول ابن القيسراني :

سروا لينتهبوا الأعمار غاشمهم
ثالا ، ويشتموا الأموال غاشمهم (٧)
ويذكر ابن الأثير (٨) أنهم أجتمعوا لقتل مدينة حماة طمعا في النهب والغارة ، فغربوا القصر ونهبوها وأحرقوها وأسروا . . .

- | | |
|---|----------------------------------|
| (١) ديوان طلائع بن رزيق ص ١٤١ | (٢) الروضتين ج ١ ص ٢٠٦ |
| (٣) ديوان سبط بن التماسين ص ٢٤ | (٤) ديوان ابن منير الملك ص ٢٨٣ |
| (٥) جواهر السلوك في الخلفاء والملوك ، ورته ٤٨ مشطوط | |
| (٦) المصدر السابق ورقة ٥٩ | |
| (٧) الروضتين ج ١ ص ١٤١ | |
| (٨) ابن الأثير ، القائل ١٠ / ٤٥٠ | |

وأما رفعه على الأماكن ، فقد كانوا يختارون المكان المشرف ليشاهد فيه ، وفي هذا تعظيم له ، وقد ذكر ابن شداد في فتح القُدس أنهم وجدوا الصليب على تبة المسخرة وكان شككاً عليها (١) ، وهذا ما حدث فعلاً حين دخلوا مدينة الجسر ، فعلم كل واحد منهم عليه على دار ، وركز عليها رايته ، والراية عندهم قطعة قماش بيضاء ملونة بالصباغ الحمراء ، ومسمى دلائل تعظيمهم للصليب ، أيضاً ، أنهم يخلعون به بعد الله والمسيح ، ثم يكررون المثلثة بعد الاقائيم الثلاثة ، وقد جاء ما يثبت ذلك في نسخة يحين حلت عليها الفرج وفي " والله ، والله ، وحق الصليب ، وحق الصليب ، وحق الاقائيم الثلاثة من جوهر واحد " (٢) ، المكني بها عن الاب والابن والروح القدس ، اله واحد ، وحق الصليب الكريم الخالد في الناسوب . . .

وقد أشار الشعراء الى هذا التعظيم ، ومنهم ابن القيسراني الذي طار بينهم في فترة من الزمن ، خبرهم عن ذلك ، وتبين بحضر غاداتهم ، ومنها تعظيم الصليب ، يقول (٤) :

أَمْطَلَةُ الصَّليبِ وَدَدْتُ أَنْ أَصْبِي
وَدِينِ اللَّهِ عِنْدَكُمْ عَلَى سَبَبِ
إِذَا أَتَيْتُ قَبْلِي حَبِيبِي
أَسْرُهُ عَانَتِي حَبِيبِي

وقد عظموا كذلك المكان الذي اعتقدوا الصليب به ، وهو كنيسة القيامة ، لأنهم يعتقدون ان المسيح صلب فيها ، وحل اللاهوت بالناسوت فيها أيضاً ، يقول الحطاب نقلاً عما كانوا يعتقدونه في تلك الكنيسة " وفيها صلب المسيح ، وقرب الذبيح ، وتدبى الدعوات ، وتألمه الناسوت ، واستقام التركيب ، وقام الصليب ، ونزل النور ، وزل الديجور ، وأزد وبرت الداهية بالاقنوم ، وأمنن الوجود بالمسدوم " (٥)

ومن الأسباب التي جعلتهم يخلعونها ، اعتقادهم بان النور ينزل من السماء فيها ، وقد روى ابن واسل أنه شاهد هذه " الشهادة " في تنجيسة القيامة بعد يوم الفصح ، ويقول " ويزنون أنها تقع في كل سنة في هذا المكان ، وفي كل سنة في اليوم الذي يليه يوم فصحهم (٦) " ، وكذلك اعتقادهم أنها مكان النور ، يقول الحطاب على ألسنتهم " . . . فهذه قطعتنا غير ممتلئة ، ومنها تقوم قياتنا ، وتصيح بناقنا . . . " (٧)

-
- (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ٨٢
(٢) الانتصار ١٨٤
(٣) صبي الاعشى ٣١٣/١٣ ، وأنظر الفتح ٥٥٦
(٤) ديوان ابن القيسراني ، ورقة ٦٤ بخطوط
(٥) الفتح القسبي ١١٨
(٦) مثنى الكروب ٢٣١/٢
(٧) الفتح القسبي ١١٨

وصا جعلهم يحلمونها أيضا ، استوارثا على مودة من الصور الدينية " فثيها صور
 الحواريين في حوارهم ، والأخبار في أشجارهم ، والرتابين في سوامهم ، والاقسام في مجامعهم " .
 ، وقد أنشأوا اليها بحضرة التماثيل ، وملأوها بصور ومنها صور النصارى المرسومة في الرشاء .
 لذا لم يكن مستغربا أن يبذل الأفرنج ما بذلوه للمحافظة عليها ، والدفاع عنهم ،
 لأنهم يعتقدون أن كرامتهم من كرامتها ، وسائمتهم من سائمتها ، وإذا ما تهاؤوا عذابا " لمزمت
 لآمتنا ، ووجبت لآمتنا " بل لم تلجب نفوسهم بفراقها حين استساد لنا سلطان الدين وتالمسوا
 " دون مقبرة ربنا نحت وعلى خوف فوتها منا نفوت (٣) " .
 ومن الدليبي يبعد هذا التصليم أن يتدسوا ترايبها ، ويستنصروه في أوقات الرجم ،
 يقول ابن الأثير " فمضى حب ذلء التراب تقوى قياتهم ، وتشيل نياتهم ، ولظالما أبتهلوا
 عنده أيام الحصار ، واستنصروه فلم يحشوا منه بصونقا لانتصار (٤) " .
 وقد أصفى الفرنج هذه القدمية على بيت المقدس ، لأنه " بيت عبودهم ، وحل
 تجسد ناموسهم كما زعموا بلاهوتهم (٥) " ، وفيه كنيسة القيامة التي يعتقدون أن المسيح قد عُص
 فيها بعد صلبه . . .
 ولم يكن تقدير الفرنج للقدس موثقا على من تدم منهم ، بل لقد عظمها الفرنج في عقلية
 وفي أوروبا ، واشتروا قطعا من صخرتها بوزنها ذهبيا كما قيل (٦) .
 وقد استنصر الفرنج بالقدس ، وكنيسة القيامة ، واشتروا بها بعد أن كسرهم صانع الدين
 في موقعة حطين ، فأجتمعت اليها " كل شريد منهم وسريد ، واعتصم بضعفتها كل قريب منهم وسعيد
 وثنوا أنها من الله مانعتهم ، وأن كنيستها من الله شانتهم (٧) " .
 وهم لهذا يقدونها بأنفسهم ، بل يرون أن الموت أيسر عليهم من أن تقع في قبضة
 المسلمين ، مما جعل صانع الدين يدور حول المدينة خمسة أيام لاختياره المكان المناسب
 للمهجوم ، ولكنه لم يجد شئوة يدخل من خلالها ، وأخيرا جاءه وفد من الفرنج يطلب منه
 السماح لهم ببنادرتها بمائهم ، وهددوه أن لم يجب دعوتهم ، وقالوا كل واحد منا بعشرين ،
 وكل عشرة بمائين " (٨) .

-
- (١) الفتح القسي ١١٩
 (٢) الفتح القسي ١١٨ ، الروضتين ٩٣/١
 (٣) الفتح القسي ١١٩
 (٤) ابن الأثير ، رسائله جميعها أنيس القديسي ، ١٥١
 (٥) مفرج الكروب ٢١١/٢ ، الكامل ٥٤٧/١١
 (٦) الانبال الجليل ٣٣٩/١ ، الروضتين ١١٣/٢
 (٧) صبح الاعشى ٥١/٦ ، وأنظر الانبال الجليل ٣٤٦/١
 (٨) الروضتين ٩٤/١ ، وأنظر مفرج الكروب ٢١١/١ ، الكامل ٥٤٧/١١ ،
 الانبال الجليل ٢٣٩/١

ويلتقي دور البطارقة مع دور القساوسة في التحريض على القتال والسير أمام المسلمين ، وقد ظهر هذا الدور بجلاله في حصار عكا سنة ٥٨٦ هـ ، إذ قام المصورون برسم صورة قبر المسيح وعليه فارس مسلم يطوئه ، وعمد رجال الدين الى اظهار هذه الصورة " وراء البحر في الاسواق والجامع ورؤوسهم مكشوفة وعليهم المسوح " (١) وقد أثرت هذه الصورة في نفوس الناس تأثيرا كبيرا ، فهاج بذلك خلائق كثيرة ، وتجهزوا في جميع مناطقهم بالمراكب والكتائب ، وخرج الاساقفة طاعة لتسييسهم ، وأمثالا لأمر مركيسهم ، وغيره لمتعبدهم ، وحمية لمعتقدهم وشمالكا على مقبرتهم وتحرقا على قمامتهم " (٢) .

وبما قدمه رجال الدين للحركة الصليبية ، ما قام به أحدكم في أنطاكية سنة ٤٩٢ هـ والمسلمون محدثون بهم ، إذ أخفى حربة وأخبرهم ان الحرية المقدسة مدفونة قرب أنطاكية وأنهم ان وجدوها فسيكون النصر لهم ، وحين وجدوا تلك الحرية ، عادت اليهم ثقتهم ، وخاربوا المسلمين وهزموهم . (٣) .

وحين أسر صاحب شقيف أرنون مع من أسر من الملوك في معركة حطين ، قام صانع الدين بمحاصرة بلده ، وأصلحه معه ليأمر من بها فيسلمها الى صلاح الدين مقابل إطلاق سراحه " فخرج اليه في قلم ، بأسر عن يأس ، فحادثه بلفظه ، وناقشه في كارهه بملته وتعاروا في السر ، وتشاروا في العلن ، وكانما أمره بالتجلد ، وصبره على التشدد " (٤) .

وأما الرهبان فقد قام بعضهم بدور عسكري ، وانقطع آخرون الى الرهبنة ، ويصف ابن الاثير في رسائله جماعة منهم فيقول " ومنهم طائفة استشعرت حبس نفوسها ، - وخصصت الشعر عن أوساط رؤوسها ، وتوحشت بالرهبة انية حتى ارتاعت من أشكالها ولبوسها (٥) هكذا وحلف الأدب العربي معتقداً أنهم ، فهم يعتقدون بالأقانيم الثلاثة

ويحذرون ما يتصل بها من أشياء وأماكن وأشخاص ، ولهذا وصفهم الادباء العرب بالشرك في مواطن كثيرة جدا حتى لا يكاد يوجد ديوان يخلو من هذا الوصف تصريحا أو تلميحاً ، يقول ابن الغيات في مريض مدحه أحد مقدمي دمشق .

الى م وقد زخر المشركون بسيل يهال له السيل مسداً (٦)

ويقول ظافر الحداد في مدح الامام الأمر (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ) فيه سيوفك فصل الريح في عاد (٧)

لا يد للمشرك من يوم تعيد له

(١) الروميتين ١٧٢/٢ (٢) المصدر السابق ١٦١/٢

(٣) الكامل ٢٧٧/١٠ من تاريخ الحروب المقدسة ١٢٢/١

(٤) الفتح القسي ٢٨٨

(٥) رسائل ابن الاثير ، جمع انيس المقدسي ص ١٥٤

(٦) ديوان ابن الغيات ١٨٤ وانظر ٢٢٩

(٧) ديوان ظافر الحداد ١١٣

يقول ابن القيسراني :

كالليل يلتهم الدنيا له ظلم
يؤدد حاسبه الأعياء والسأم (١)

حتى إذا ما أحاط المشركون بنا
وأقبلوا لا من الأقبال في عدد

ويطول القيام لو توقفتنا عند كل مثل * وكما وصفوهم بالشرك وصفهم بالكفر
وقد جاء هذا الوصف في مواطن كثيرة أيضا * منها قول ابن دنيير :

منهم يحزم في الأمور رشيد (٢)

بددت جمع الكفر وهو مؤنث

وقوله :

والأرض قد آذنت منه بالحساد (٣)

وأشعق الكفر حتى ذل بجانبه

وقول ابن سناء الملك ما دعا صلاح الدين :

وتودى له القتل وتسبى لما الجنى (٤)

أقام بدار الكفر تجبى له الجسزا

وقوله :

بنيت لذا ركنا هدمت لذا ركنا (٥)

لقد أصبح الاسلام والكفر كلمسا

ويقول أسامة مخاطبا طلائع على لسان نور الدين * ذكرا فتوحاته * وانتصاراته على الفرنج :

ولم يبق في أقطارها لهم أثر

فلما استمدناها من الكفر حوة

وأملأهم فانزاح عنهم بها الفقر (٦)

رددنا على أهل الشام رباعهم

(١) الروشتين ج ١ ق ١ ص ١٤١

* وانظر ما يلي عقد الجمان ج ٢٢ ق ١ ص ١١٦ وديوان ابن القيسراني ورقة ٧١

مخلوط * والروشتين ١١٦/٢ * والخريدة قسم مصر ج ٢ ص ١٧١ وديوان ابن دنيير

ص ٢٠ ١٥٤ ١٧٤ وانظر ديوان ابن التعاويذي ٢٤ * وديوان علم الدين ايدمر

المحتوي ص ١٥ وديوان الصاحب شرف الدين الانصاري ص ٣٩٦ وديوان ابن

فتيان الشاغوري ٦٩ ص ٣١٨ ٤٢٨ * وديوان ابن الدشان ٢٢ * وانظر

الروشتين ج ١ ق ١ ص ١٤١ ١٨٠ ٢١٦ * ج ٢ ق ٢ ص ٣٥٢ ٣٧٢ ٤٠٤

٥٢٩ ٦٤٣ ٦٩١ ٧٠٣ ١١٠ ١١٦ ١٣٦ وانظر الخريدة قسم

شعراء دمشق ٢٨ : ٤٠ ٥٩ * شعراء الشام ج ١ ص ١٧٩ ٢٧٢ * ج ٢ ص ٢٨٣

وانظر قسم مصر ٢٣٢/٢ * وانظر ابن القرات * مجلد ٤ ج ١ ص ٣٩٢ ٤٥ *

مجلد ٤ ج ٢ ص ٢٥٧ وانظر الفتح ٢٥٣ ٢٦٩ * ابن الاثير ١١/٤٥٥

(٢) ديوان ابن دنيير ورقة ٢٠ (٣) المصدر السابق ورقة ٨ وانظر ١٧٦٥

(٤) ديوان ابن سناء الملك ٧٥٨

(٥) المصدر السابق ص ٧٥٩ * انظر ٢٨٣ ٢٥ ٥٤٦

(٦) ديوان أسامة بن مشقة ٢٠٥ وانظر ٢٠٣

وط دام شأنهم كذلك ، فقد تبرأ الادب من عقيدتهم هذه بألفاظ التنزيه لله عز وجل
(١) ، واستخف آراءهم ، وبين أخطأهم بالحجة الدامغة والأدلة المقنعة ، وطالبهم بأثبات
الأدلة على أقوالهم ، لأنه بأركان كل غرد أن يقول ما يشاء ، ولكن هذا القول لا يصدق ، إلا
بدليل مقنع ، يقول البوصيري :

والدعوى ما لم تقيموا عليها	بينات إبنائها أديبنا
ليت شعري ذكر الثلاثة والمسا	حد نقضوني عدكم أم نصيبنا
كيف وجدتم إلها نفى التوح	سيد عنه الآباء والأبنينا
أإله مركب ما سحننا	بإله لذاته أجسنا

فهو يستند الى تاريخ عقيدتهم حيث كان آباءهم يؤمنون بأن الله تعالى - مكون من اجزاء
بينما هم يوحدون هذه الاجزاء ، ثم يستند الى دليل من ادق في اثبات خدائهم ، وهو ان
الله لا يجزأ ، لا يجوز عليا لتقسيمه ، وبذلك لا يكون إلها ، ثم يجادلهم في قولهم ، ليس
الى اي حد ينقسمون ، فيسألهم بأسلوب شعري سهل ، عن توزيع الملة بين أصحابه ، ان
كانوا صادقين ، يقول :

أكل من نصيب من المليك	فما تميز الأنصبا
أم هم حللوا بها شركسة الأهم	ران أم هم ليسشهم كشم
أتراهم لحاجة وأضطرار	خلطوها وط بقسي الخلط
أم هو ابن لله ما شاركتهم	في معاني النبوة الانبيسا

ثم يبين تناقضهم بين أمرين ، فهم يقولون إن السيد النسيم اله ويقولون في الوقت نفسه إنه
قتل ، فكيف يجوز هذا ؟

تخلص اليهود فيما زعمتم

ولا موانعكم به أميسنا

← وأنظر ديوان ابن الساعاتي (١/١٤٥) ، وعقد الجمان ج ٢٠ ق ٤ ، ورثة ٧١١ مخط
الخريدة : (شعراء دمشق ٤١٤ ، ٤١٥ ، شعراء الشام ٢٣٥ ، ٤٩٥ ، شعراء مصر ١/٢٩٩ ،
١٠٥ ، ٢٤٣ ، شعراء العراق ٢/١٤٧) ، الروضتين ج ١ ق ١/١ (١٥١ ، ١٨٦ ، ٢٧٢
وج ١ ق ٢ ، ٣٦٩ ، ٤٠٤ ، ٤٤٤ ، ٤٦٩ ، ٤٦٦ ، ٥١٦ ، ٥٧٦ ، ٦٩٥
مخرج الكروب ٢/٥٧ ، ٣/٧٧ ، ٤/٢٢٦
الكامل ١٠/٦٣ ، ١١/١٣٤ ، ٣١٨ ، ٤٧٠ ، ٥٣٣
الهاجر ٢ تاريخ ابن الفرات مج ٨/١١٤ ، ١١٨ ، النوادر السلطانية ٢٢
الساوك ج ١ ق ٣ ، ٢٦٦ ، الاعتبار : ٣٦ ، ١٣٥
النكت المصرية ٢٦٩ ، ٣٠٠ ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمساكن ٦٧
تاريخ ابن القلانسي ٣٤٣ ، الحصاد ، الفتح القسي ، ٥١ ، ٧٨ ، ١٠٩ ، ١٧٨ ، ٢٤١ ،
٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٦٩ ، ٣٠٨ ، ٣٧١
(١) الاعتبار ١٣٥
(٢) ديوان البوصيري ١٥ ، ١٣١ ، ١٧٣

ويتابع البوصيري حجاجهم فيسأل إن كان المسيح قد قتل حقاً ، فمن ذا الذي يدبر الوجود ؟
يا ليت شمري حين مات بزعمهم من كان بالتدبير عنه كفيلاً
هل كان هذا الكون دبر نفسه من بعده أم أثر التصطيف ؟

والملاحظ أن البوصيري قد استند إلى أدلة عقلية وتاريخية ودينية في جدله ومحاوراته . وفي المقابل أتهم الفرنج المسلمين بأنهم وثنيون ، ويلاحظ ذلك من قصة التاجر نور الدين علي ومريم الزنارية (١) ومع ذلك فقد وردت أوصاف لهم بأنهم يتسترون بالدين قبل يتلاعبون بالنصرانية ، ومن ذلك ما يورده الميني عن الملك غردريك بأنه كان دهرانياً يتلاعب بالانصرانية (٢) ، ويؤكد هذا القول وصف فيشر له بأنه شخصية ملوثة القلب والحيلة . أن كان مصطنع المسلم واليهودي وكان يظهر بمظهر الرجل الشرقي ، علماً بأنه ألف كتاباً اسمه (الأدعية الثلاثة) (٣) ، وقصد بهم الأنبياء موسى وعيسى ومحمدا صلوات الله عليهم . ولم يتوقف أدب هذه الفترة الخاص بصراع المقائد عن الوصف المجرد ، بل تعدى ذلك إلى السخرية والاستهزاء ، لا سيما بعد أن توالى الهزائم على الفرنج ، كما وصفهم الأدباء بالحق والكذب في تعاملهم مع الناس في شئون العقيدة ، وقد عقب ابن واصل على اعتقادهم بنزول النور من السماء بقوله " ولقد كذبوا وافتروا ، وإنما هو تدليس وتلبيس مع بطركهم ، يخفي به ضعاف القول ، ويستدرجهم إلى ضلالتهم وغمهم " (٤) ، ومن هذا القبيل تعليل العماد لاستجابتهم للرهبان والقساوسة الذين يحملون صورة قيس المسيح عليه فارس عربي يقول " وللصور عمل في قلوبهم ، فأنها أصل دينهم (٥) . على أن النظرة إلى معتقداتهم تبرز بشكل واضح حين تقارن مع العقيدة الاسامية ، وعندما ما عرض عليه الأدباء في شمروهم ونشرهم ، فقد علل العماد سبب فنائهم وشاعتهم بأن الشيطان تولاهم " فلا ينزع الحديد لوضو ولا مسح ، وأستشعروا لبوس البوس ، فاسم يلبسوا وجهاً لا مزود الشفاء على القلوب بلا بشر ولا فرج . . . قد نزع الله الرقة من قلوبهم ونقلها إلى غروهم (٦) .

- (١) ألف ليلة وليلة ج ٦ ، ص ٢٣٣ ، والقصة في ج ٦ / ١٩٩ - ٢٥٣ ، ج ٧ ص ١٠٣
- (٢) عقد الجمان ج ١٨ ق ١ ورقه ٨٣ (٣) فيشر ، تاريخ أوروبا ج ١ ص ٢٥٠
- (٤) مشق الكروب ٢ / ٢٣١ ، ٢١١
- * لمزيد من الأمثلة أنظر الخريدة (شعراء مصر) ٢ / ١٧١٠ ، ديوان ابن سناء الملك ٢٥ الكامل ١١ / ٤٤٧ ، ١٢ / ٣٣٠ ، الروضتين ٢ / ٧٢ ، ١٠٣ ، ١١١ ، ١١٦ ، ١٣٢
- ١٣٧ ، ١٥١ ، ١٦٠ ، ١٧٢ ، ١٩٤ ، ج ١ ق ١ / ١٤١ ، ١٩٢ ، ٢٠٦ ، ٢٢٩ ، التتبع ٣٧١ ، ٤٠٥ ، ٥٨٠ ، مشق الكروب ٤ / ٩٧
- (٥) الروضتين ٢ / ١٦٠
- (٦) النتج القسي ٥١

ومن المقارنات بين المقيدتين قول العماد في بشرى الى الديوان العزيز بينسداد
 " فالحمد لله الذي أطاد القدس الى القدس ، وأطاده من الرجس ، وحقق من نعمه ما كان غوي
 النذر ، وبذل وحشة الكفر فيه من الاضام بالآمن ، وجعل عز يومه طحيماً ذل أمراً ، وأمكنه
 الفقهاء والعلماء بعد الجبال والاضال ٠٠ (١) * ومن ضلالهم وجهلهم اتخاذ المسجد
 الاتصى أسطبلًا للخنازير ، ولأوى للخنا ، والتضارة ، يقول العماد في ذلك " وكان الاتصى
 لا سيما محرابه مشغولاً بالخنازير والخنا ، ملوا بط أحد ثوا من البناء (٢) ، أي حين إنه
 لم ينقل عن المسلمين أعمال مقابلة بالنسبة الى أماكن المسيحيين المقدسة بعد أن استعصاوا
 القدس ، غاة فرابة أذن في أن يصف الادباء العرب الفرنج بالأم الطاغية ، وأن يتعصبوا
 عادات مشابهة كثيرة بينهم وبين الأم الطاغية القديمة ، مثل قوم فرعون وقوم ثمود ، وقد جاء ت
 المقارنة بين الفرنج وهذه الأم من ناحية الطغيان والتمرد على الآخرين ، وعدم الاتعاظ
 بما سبق من أحوال الطغويين ، وكذلك في النتيجة ، فكما أن اتباع فرعون وثمود كانت
 نتيجة عدم التدبر فان الفرنج كانت نتيجة إعطائهم الدمار ، وكما أن نتيجة الانبياء النسر فان
 نتيجة أعمال القادة المسلمين مثل نور الدين وصالح الدين وغيرهما هي النصر أيضا .

ومن أمثلة تشبيههم بفرعون قول ابن دنيير ، وقد أنتشر المسلمون في دهميات :

فرعون كفرهم طفئ نانا هـ
 موسى لا شاة بهر بنسود (٣) *

وقول ست الفخر مغبة الاشرف ، تمدحه وتذكر كسرة الفرنج :

ولما طفئ فرعون عكا وقوم هـ
 أتى نحوهم موسى وفي يد ما لخصا
 وجاء الى مصر ليخسد فسي الأرض
 تفرقهم في اليتم بعضا على بعض (٤)

- (١) الروشتين ٩٧/١ (٢) الروشتين ٩٦/١
- * حميد من الأمثلة أنظر : ديوان ابن دنيير : ورقه ١٠ ، ١١ ، ٤٠ ، ٤١ ، ديوان
 ظافر الحداد ص ٣٦ ، ديوان ابن الخياط ٧٥٦ ، ديوان عثمان الشاغوري ١٤٣ ، ١٤٧ ،
 ١٥١ ، ديوان ابن فنين ٦١ ، الخريدة (قسم الشام ١٥٥/١ ، ١٨٧ ، ٤٢٢ ،
 الفتح القسي : ٥١ ، ٩٦ ، ١٠٨ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، قسم شعسرا
 دمشق ٥٩/١٩ ، قسم مصر ١٠٦ ، الروشتين ١٠٠/١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١١ ،
 عقد الجمان ج ٢١ ، ق ١ ورقه ١١٦ ، الذيل على الروشتين ١٢٩ ، ١٣٠ ،
 الروشتين ج ١ ق ١ ، ١٥٤ ، ج ١ ق ٢ ، ٧٠٣ ، بين الثرات مج ٤ ج ١ ص ٦٣٩ ،
 ديوان ابن دنيير ورقه ٢٠ (٣)
 طن الكروب ١٠٥/٤ - المقريزي ، السلوك لمصرعة دول الملوك ج ١ ق ١ ص ١٠٩ (٤)

وتوله أيضا في وصف ملك الالمان " فانه عام في الماء البارد " وتورط منه في أصعب الموارد ،
 وخرج وبقي مريضا الى أن خرج من ثوب البقاء ، وتحول الى ثناء القناء ، وتلقاه ملك بالزبانية ،
 وحملوه الى نار اللطاحانية (١) . ويقول في ابنه " وأدراك أباه في الدرك الأسفل من النار ،
 وأبصر في جهنم مصاير أمثاله من الكفار (٢) " .

وفيه أيضا قول عاز الدين علي بن القاضي محي الدين الزكي في فتح صفد سنة ٦٦٤ هـ
 على يد الظاهر بيبرس " وواثاها والمتصن وقد تزعزت أركانها ، والكثرة قد أنهدم بنيانه ، وشمر
 عن ساق الهزيمة شيطانها ، والمجانبة تزور حماهم ، وتلك الزيارة لغنائهم ، وتدمر بحجارتها
 عليهم تدويرا ، وترسمهم من بأسها يوما عبوسا قمطيرا ، وتصير بهم الى الهلاك ، وتعد شمس
 جهنم سماء صبرا (٣) " .

كما وصفوهم بالرجس لأنهم مشركون ، والمشارك نجس ، كما جاء في قوله تعالى :
 " إنما المشركون نجس " (٤) .

وقد جاءت هذه الصفة في الشعر والنثر ، ومن ذلك ما وجد مكتوبا على مضادة محراب
 في مسجد بعد فتح الرضا :

أصبحت سفرا من بني الأصفر
 دان من المصروف حار بفسنه
 ملهم الرحب على أنسني
 لولا جمال الدين لم أطمس (٥)

وجمال الدين هذا هو رئيس سمران ، وقد حث عماد الدين زكي على فتح الرضا ، وتم له ذلك سنة
 ٦٣٩ هـ ، ووصفه أيضا وصف ابن جبير لسكا بأنها " تستمر كثيرا ولخيانا ، وتثور شنازير وسلطانا ،
 زنة قدرة ، ملو تكلها رجسا وغدرة " (٦) .

ومثلك ذلك وصف الصلح للفرنج القادمين من أوروبا عن طريق البحر ، وألقى على ثيابه
 بصد البلبس ، وحملوا على البحر أوزار النجس ، وتبا لهم ونسبا ، لأنهم زادوا على رجسهم
 رجسا (٧) .

(١) الفتح العشي ٦٩٠ هـ (٢) الفتح القسي ٤٦ هـ

(٣) ابن جبير ، رحلة ٢٧٦ هـ (٤) سورة التوبة ٢٨٠ هـ

* المزيد من الامثلة انظر تاريخ ابن الوردي ١٧/٢٠ ، الفاضل من كتبه القاضي الفاضل
 مخط ورقة ٢٦ - صبح الأعشى ٢٦/٢ - الفتح القسي ٥١ هـ ١٥٤ هـ ٣٩٠ هـ ٤٠٣ هـ

٤٦٠ هـ ٥٠٠ هـ ٥٨٦ هـ ٦٠٨ هـ - الروضتين ٨٧/١ - نهاية الارب ١٥١/٥ ومن ان جهنم مصير

الكفار والمشركين كما جاء في آيات كثيرة ومنها " إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين غسي
 نار جهنم خالدين فيها " ، إلا أنهم دعوا الله ان يجعل عظامهم وقودا لها ، يقول القاضي الفاضل
 " وكان الكفر مقصودا والاسلام بولودا وجعل الله ضلوع الكافرين لنار جهنم وقودا " . صبح الأعشى ٦٧/٢

(٥) زبدة الحلب ج ٢ / ٢٧٥ (٦) رحلة ابن جبير ٢٧٦ هـ

(٧) الفتح القسي ٢٩٨ هـ وأنظر ٥٨٠ هـ

من أجل ذلك طالب الادباء بتطهير المناطق من رجس المحتلين ، منذ أن بدأت ردة القسطل
الاسلامية ، يقول ابن منير محرراً نور الدين على تطهير القدس :

آثارهم نجسها ذآل المسجد الأ (م) قصى فضن ما دنسوه وطمسوا
وقال الحافظ ابن عساكر مهتماً نور الدين سنة ٥٦٤ ومحرراً أيامه على فتح القدس :

تطهير المسجد الأقصى وحوزته من النجاسات والاشراك والفساد (١)
وتد رأى بعض الشعراء أن تطهير القدس من رجس الفسقة لا يكون الا بدماء الاعداء أنفسهم
يقول الخطيب :

فسروا فتح القدس وأسفك بسيفه دماء متى تجرنا ينظف (٢)
ويحد أن تم ذلك فملا تنفس الصالحون الصعداء ، وكأنه حلم تحقق ، يقول الشريف النساب
الجواني :

أخرى منا ما يصني أبصر القدس يشق والفرجة تكسر (٣)
وقداعة تحت من الرجس الذي يزواله وزوالها يتطهر (٤)
ويقول القاضي الفاضل : وأضحت الارض الردمسة الطاهرة ، وكانت الظلمة والرب المهدود
الواحد ، وكان الثالث (٥) ، ويقول ابن الفتيه في مدح صلاح الدين :

ظمرت بيت القدس من رجسهم وكان مأوى للشنازير (٦)
وفي فتح دمياط يقول ابن عنين ما دحا المظلم عيس :

وطهرها من رجسهم بحسابهم همام يرى كسب الثنا المقيم الاسسنى (٧)
ولما أخذ الملك الناصر داود القدس من الفرنج قال ابن ملوي :
فناصر طهره أولاً وناصر طهره آخره (٨)
وفي دارد آخر جندى صليبي من هنا قال شعر الدين الخزاري :
وأعدتها للمسلمين ولم يكسب منهم ترى التطهير الا بالسيوف (٩)

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ١٩٦٥ وانظر ج ١ ق ١ ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤

(٢) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٠٥ ، الخريدة / تسم شعراء الشام ٢٢٧ / ١ ولزبد من الامثلة

انظر الروضتين ج ١ ق ١ ٤٤٤ ، ٤٥٣ ديوان غتيان الشاغوري ١٤١ مثنى الكروب ٢ / ٢٢٢

(٣) الروضتين ج ١ ق ٢ ٦٩١ (٤) مثنى الكروب ٢ / ٢٢٢

(٥) سبع الاعشى ٤٤٩ / ٦

(٦) تاريخ ابن الفرات ج ٥ ج ١٢٥٥١ مثنى الكروب ٢ / ٢١٧ وانظر ديوان ابن النبه ٦٦

(٧) ديوان ابن عنين ٣١

(٨) ديوان ابن ملويج ٤٨ (٩) جواهر السلوك ، ورقة ٤٨

لزيد من الامثلة انظر ديوان ابن سناء الملك ٣٥٨ ، ٥٦٧ ، جواهر السلوك ٦١

ديوان البهاء زهير ١٢١ ، الروضتين ج ٢ ٤٩٥ ، ٧٢٥ ، ٨٣ ، ٩٤ ، ١٠٢ ، ١٠٤

١٥٠ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١٥٠

القسم الثاني : صراح بين حضارتين :

أدى الاختلاف بين الحضارتين : الاسلامية والاروروبية الى تناقض ظاهر بين السلوكيين الاسلاميين والفرنسيين ، ومنسلط فيهما يلي اعضاء الادب العربي في هذه الفترة على المرأة القاديين من أوروبا ، لنرى تصويره لاختلافهم وعقليتهم وسلوكهم .

أما اختلافهم فقد كانت تختلف عن افكار المسلمين في طبيعتها ، لا اختلاف الثقافة والتشقة في كل من المجتمعين ، وما استقرى انظار الادباء المسلمين في هذه الفترة ، المرأة الفرنسية ، باعتبارها عنصر مهم في حياة المجتمع .

فالمرأة الفرنسية كانت سافرة فاتنة ، بخلاف المرأة المسلمة البتقة التي تخفي محاسنها إلا ما ظهر منها ، والتي تعتمد عن مواطن الفتنة ، بينما كانت المرأة الفرنسية تبرز محاسنها للرجال سواء أكانوا من قومها أم من غيرهم ، يقول ابن القيسراني ، وقد خالطهم وعرف بها عنهم :

سبحن من سكن بيوتهم
وأمرجن النواظر في وجوههم
تربك الحسن غير مبرقعات

فهي - بخلاف الشرع عن أعجابه بالفرنجيات يسجل انطلاق المرأة الفرنسية وعدم تحريتها في اظهار محاسنها ، فان كانت العربية تسكن بيت الشعر ، وتحتجب عن الرجال متقبة بالبرقع ، فالفرنجية تفتخر باظهار شعرها وجمل وجهها ، وتخرج الى حيث الرجال ، بل تعتمد أن تخرج اليهم دون أن تخفي شيئاً من جمالها ، مما جعل الشاعر يفتن بها ويظهر أعجابه بهذا الجمال ، وحين تبرز الفرنسية الجميلة مسطرة ، يقول ابن القيسراني فيها :

لقد فتنتني فرنجية
ففي ثوبها غصن ناعم

ومثل هذا المعاني وردت في الشعر ، ففي حكاية الصيدى وزوجته الفرنسية ، وصف الفرنسيات بأن من عادت من الشروق والمضي في الاسواق بالانقاف (١) ، واما السواد فقد أغرد للمرأة الفرنسية فصلاً تحدث فيه عن جوانب متعددة فيها ، ومنها تبرجها ، يقول " وتراندن على الارضيات والارقاد وتلعبن على ... من كل ... متخفية متفجعة ، متبرزة متبرجة ، نارية ملتبهة ، متفجعة متخفية ، نائمة شائمة فائقة رائحة " (٢) ، ويقول مينا لباسها وثائقها " تسحب غبارتها وتسحر بنسارتها وتشتفي كأنها غصن وتتجلى كأنها حصن ، وتصور كأنها قضيب " (٣)

- (١) ديوان ابن القيسراني ، مخط ورقه ٦٦
- (٢) ديوان ابن القيسراني ، مخط ورقه ٦٦
- (٣) ألف ليلة وليلة ج ٧ ص ٤ وانظر رحلة ابن جبير ص ١٧٨
- (٤) الفتح القمي ، الباب من ص ٣٤٧ - ٣٤٩ ، والاقتباس من ص ٣٤٧
- (٥) الفتح القمي ص ٣٤٧ ، وانظر انجرب الصليبية ص ٥٩

وإذا كانت الفتاة الفرنجية تخرج سافرة فائقة من بلاد إلى بلاد دون إذن وأستئذان ، فإن نظام الأسرة سيختل ويشتعل ، ويؤذن بالنهاية . . . كما يتضح من حكاية الصيدين وزوجته الفرنجية (١) . وإذا كان هذا السلوك غريباً ، فإن الأغرب منه أن تخرج المرأة الفرنجية من بلادها إلى الشرق الإسلامي لتقدم نفسها للفرنج ، ممتدة أن هذا العمل هو عبادة لله ، يقول الممـسـاد " وتسامح أهل عسكرنا بهذه القضية ، وعجبوا كيف تعبدوا بترك المخوة والحمية " (٢) .

وبمثل هذا السلوك ، جعل أسامة بن منقذ (من قبل) يحكم أن ليس للفرنج غيرة جنسية ، يقول " يكون الرجل منهم يمشي هو وأمراته ، يلتاق رجل آخر ، يأخذ المرأة ويستزل بها ويتحدث معها ، والنزوح واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث " (٣) ، ثم يروى مشاهدات عديدة عن مثل هذا السلوك (٤) . ولم يكن هذا الوضع إلا لاختلاف أنماط الحياة بين المجتمعين الإسلامي والفرنجي ، وقد كان التحلل في العائلات الأسرية في المجتمع الفرنجي من أسباب شياع مملكة الفرنج في الشرق الإسلامي ، وهذا ما قرره أحد الكتاب المحدثين حين قال " أن رذائل المسيحيين (يقصد الفرنج) في الأراغبي المقدسة لها أثر كبير في ذبيح مملكتهم في فلسطين إن لم يكن السبب بعينه (٥) ، وهذا ما لاحظته أبا ن العروب السليبية نفسها أحد مراقبي الحملة الفرنسية على دمياط وهو جوانجيل في مذكراته عن القديس لوي ، التاسع يقول " أما العامة فراحوا يراقصون النسوة الخليعات حتى لقد حدث بعد عودتنا من الامران عزل الدولة الكثير من رجاله " (٦) .

ويصعد هذا الرأي ما ذكره أمبرواز (Ambroise) عن المرأة الفرنجية " ورحمن يجررن أذيال الفجور في تصرفهن الشائق ، ثم يقول " رحمة الله عليهم ، أبطل هذا السائح يسترد ميراث الرب (٧) .

وأما تصوير الأدب لسلوكياتهم ، فقد أبرز تخلصهم الحضاري عن المسلمين وذلك بالحدود من سداجتهم إلى الأمور ، أو عن غباثتهم وحظهم ، أو عن خشونتهم وغطاظة سلوكهم .

فمن مظاهر سداجتهم إحراقهم كنيسة أتخذوها من خيش ، حين عسكروا على بائيسا ، وغرهبوها بالحلواء والحشيش ، فلما كثرت فيها البراغيت ، فُكّر الشطار ، بحرق الحشيش ليتخلصوا من البراغيت ، فأرقت السنة المذهب ، وعلقت بالسيمة فتركتها رطداً (٨) .

(١) ألف ليلة وليلة ج ٢ ص ٤

(٢) الفتح النسي ص ٣٤٨

(٣) الاعتبار ص ١٣٥

(٤) لمزيد من التفاصيل أنظر الاعتبار ص ١٣٦

(٥) أحمد بيلي المصري ، حياة صالح الدين ص ١٦ ،

(٦) جوانجيل ، القديس لوي ، التاسع ص ٦٩ وأنظر ٢٤٤

(٧) أنظر زكي النقاش ، الحائقات الاجتماعية ص ١٥٧

(٨) الاعتبار ص ٨٦

ومنها ما حدث مع أسامة حين طلب فرنجي منه أن يأخذ ابنه معه إلى أوروبا ، وهو
ابن أربع عشرة سنة ، كي يتعلم " العقل والغروسة " ويصقب أسنة على ذلك بقوله " ما يغشج
(أي ذلك الكلام) من رأس عاقل ، إذ لو أمرنا بلخ بالأمر أكثر من أن يذهب إلى مسند
الفرنج (١) " .

وأما غباؤه هو حقهم فيتمثلان في تأخر ديمهم ، وعدم الاقتناع بطلب العرب من أنه كسار
يستند على التشخير ، والعلاج ، ودليل ذلك ما يذكره أسامة من أن صاحب المنيطرة الفرنجسي
طلب من صاحب شيزر طبيباً يداوى مرضى من أصحابه ، . . . فما ظاب الطبيب العربي عند ديمهم
غير عشرين يوماً ثم عاد ، فسأله أهلها عن سبب عودته مبكراً ، فقال : " أحضروا فارساً قد طلعت
في رجله دملة ، وأمرأة قد لحقها نشاف ، فصليت للفارسي ، لبيخة ، ففقت الدملة وصاحست ،
وخئت المرأة ورطب مزاجها . . . " ، ولكن طبيبهم الفرنجي خير صاحب الدملة بين أن يموت
برجلين أو يشفى على أن تقطن رجله ، ففعل المربي أن يشفى ويعيش برجل واحدة
فأحضره وأحضر فارساً وحط ساقه على قربة خشب ، وقال للفارسي : أشرب رجلك بالفسان ،
غربة واحدة ، فشربها فما أنقلعت ، فشربها ثانية فسالت مع الساق ، ومات من ماضيه ،
وأما المرأة فقال : إن في رأسها شيطاناً قد عشقها ، ثم أمر بحلق شعرها ، وسمح لها أن تأكل
ما تشاء كالثوم والخردل ، فزاد بها المرض ، فأحضر موسى ، وشق رأسها عليها ، وحلج
وسطه حتى ظهر عظم الرأس ، وشكّه بالمطبخ ، فماتت في وقتها (٢) .

ويصقب الطبيب العربي على هذا الزيارة بقوله " وقد تعلمت من طيهم ما لم أكن أعرفه " .
ومن ذلك ما رواه أسامة عن صاحب طبرية ، أن قسا كبيراً أحضر ليدأوى فارساً كبيراً القسندر ،
فلما رآه طلب سمعاً ثم أذابه وصنع منه مثل عقد الإصبع ، ووضعها في جيوب الله ، فمست
الفارسي ، فقال له الحضور : تد مات ، قال : نعم ، كان يتعذب ، سددت الله حسنتي
يموت ويستريح (٣) .

وأما خشونتهم وجفاء خلقهم ، فيبدوان في كثير من أعمالهم ، منذ أن دخلوا أرض
الشام وفعلوا بأهلها ما فعلوه من ذبح وتشريد ، وانتهاك للحرمات ، وتدنيس لدور العبادة
فمن ذلك ما أقدم عليه الفرنج الذين هاجموا حلب سنة ٥١٨ هـ ، إذ نبشوا قبور موتسسي
المسلمين ، وسلبوهم أكفانهم ، وسعدوا إلى البوتى الذين لم تنقل أوصلهم بمد ، ورسلوهم
بالحيال وجعلوا يصيحون " هذا نبيكم محمد ، وهذا عليكم " ، وأخذوا مصحفاً من بعض
المشاهد بظاهر المدينة وقالوا ، وتد جعلوه ثقباً للبردون : " يا مسلم أبصر كتابكم " .
ثم جعلوا يقتلوا حكون (٤) .

(١) الاعتبار ١٣٢

(٢) الاعتبار ١٣٧

(٣) الاعتبار ١٣٧

(٤) زبدة الحلب ٢٦٤/٧ وانظر تاريخ ابن الوردي ٢٥/٢ وابن كثير البداية والنهاية

١٨٤/١٢

ومن مظاهر خشونتهم وتقصوتهم وسذاجتهم ، تلك الحاكم التي كانت تتكون من عدة أشخاص ، لكن أحدا منهم لم يكن يمتدئ إلى أبسط قواعد القضاء ، إذ اعتدوا في أدانة المتهم على أشياء لا تمت بصلة إلى التهمة ، ومن ذلك ما حاكموا به متهما بقتل الفرنج نسي القدر ، فأحضروا بغيضة عظيمة وماء وها ما ، وعرضوا عليها دفن تحت ورسطوه على سبيل الخشبة ورموه في البتية لأثبات الجرم عليه ، فإن كان بريئا غامر في الماء ، وإلا فلن ينموت فيه ، وقد حاول المتهم أن يفوض في الماء غطا قدر ، فوجب عليه حكمهم وفقأوا عينيه (١)

ومن هذا لما حكمت تلك المباراة بين الشيخ المتهم والشاب الحداد ، وقصد اعتقدوا ان الشيخ سينتصر على الشاب إن كان بريئا ، وإلا غسيلتى جزاءه ، وضربوا الصوت ، ومات الشيخ في هذا المباراة فعلا (٢) .

وقد سجل الادب هذا السلوك الفظ لا سيما عند الذين خرجوا حديثا من بلادهم كما يقول أسامة " فهم أبغى أخلاقا من الذين تبدلوا (صاروا بليدين) وما سمعوا المسلمين (١) " .

وقد بناء ما ينبت ذلك في تسجيل التاريخ لسلوكهم ، ومن ذلك ما بناء في التابل والأنس الجليل ، وزبدة الحلب ، وذيل تاريخ دمشق ، وزبدة كشف الممالك وغير ذلك . فمن الإجماع الديموي في إنطاكية ومصر النسمان والقدر ، وكما وسقازن (٣) .

ويؤكد ذلك أيضا ما رواه مؤرخ مجهول عن أعمال الفرنج في القدس يقول " واشتد سرور رجالنا حتى بكوا من فرحتهم ثم سجدوا أمام قبر مخلصنا يسوع . . . وفي اليوم التالي ، تسلك رجالنا سطح الهيكل وهجروا على الشرقيين رجالا ونساء ، واستلوا سيوفهم وراحصوا يحملون فيهم القتل . . . وطرحوا جثثهم أمام الابواب وتمالت أكوامهم حتى حاذت البيسوت ارتفاعا (٤) " .

كما أكد ذلك بعض المؤرخين الأوروبيين بما اعتدوه من أخبار المؤرخين الفرنسي أنفسهم ومنهم فوستاف لوبون ، الذي يقول " وبدل سلوك الصليبيين في جميع المبارات على أنهم من أشد الوحوش حماقة فقد كانوا لا يفرقون بين الحلفاء والاعداء والأهلين الممسزل والمباريين والنساء والشيخ والاطفال (٥) " ، ثم يستند في حكمه هذا على أقوال المؤرخين المعاصرين للحروب الصليبية مثل الراهب روبرت الذي يقول " كان قوما يجوبون الشوارع والميادين وسلبوا البيوت ليرووا غليلهم من الثغيا ، وذلك كاللبوات التي خطفت صنادنا ، وكانوا يذبحون الأولاد والشبان والشيخ ، ويقطعونهم إربا إربا ، وكانوا لا يستبقون أناسا ، ويشتنون أناسا كثيرين بحبل واحد بغيضة السرعة . . . وكان قوما يقبضون على كل شيء يجدونه غيبثون يلبسون البوتى ليخرجوا منها قطعا ذهبية " ثم يعقب على ذلك بقوله : " نيا للمجبوبيا للخرابة . . . نيا للشره وحب الذهب (٥) " .

(٢) الاعتبار ١٣٤

(١) الاعتبار : ١٣٩ + ١٣٨

(٣) أنظر الكامل ٣٧٣/١٠ ، الأنس الجليل ٣٠٧/١ ، زبدة كشف الممالك ١٩٠

ذيل تاريخ دمشق ١٣٧ ، ابن الصديق ، زبدة الحلب ١٣٤/١ تاريخ مختصر الدول ١٠٧

(٥) حضارة العرب ٣٧٥ وأخبار ٣٢٢

(٤) أعمال الفرنجة ١١٩

ولم تبحر هذه الأقوال عما قرره الأدباء العرب في شعرهم ونثرهم ، ونذكر غبط يلبي
 ما كتبه الملك الأمجد عن أبيه الملك الناصر حين هاجم الفرنج مدينة نابلس " تحت أيها المشايخ
 والشبان ، وسبيت الحلال والصبيان ، وأستولت يد الكفار على ما كان مدخرا من الأموال والغلال
 وما جمعه المسلمون لأزمتهم في السنين الطوال " (١) .

وسمى يرتجى بذلك معاملة الأسرى من المسلمين ، والسكان الذين كانوا يقعون تحت قهر
 الاحتلال ، وقد لاحظ هذه المعاملة الخسنة ابن جبير في رحلته وهو في عكا ، يقول :
 " ومن الفجائع التي يسانيها من حلة يذدهم ، أسرى المسلمين يرسفون في القيود ، ويصرّفون
 في الخدمة الشاقة تصريف المبيد ، والأسيرات المسلمات كذله ، في أسواقهم غلام خيسل
 الحديد " (١) .

ويوضح الأدب جانباً آخر من هذه الفجائع التي يسانيها الأسير ، وهو أن الفرنج يتيدون
 الأسير ثم يردونه في غيابة السجون التي تكون إما منارة أو جباً عيقاً ، فهذا أسامة ابن منقذ
 يستملك ابن عمه الأمير تاج الدولة ليثدي ابن عمه أسامة ، فيبين تلك الحالة المهيئة السيئة
 يحيشها في الأسر ، يقول : .

هذا ابن عمك في أسر الفرنج لـ حول تـرم في الاغلال والثلـسـمـ

وتد تثنى الفرنج في ايقاع العذاب بالأسرى ، ومن ذلك ما يذكره أسامة ابن منقذ عن أحد الأسرى
 المسلمين يقول " وعذبوه أنواع العذاب ، وأرادوا قلع عينه اليسرى ، فقال لهم دنكروا لعن الله
 اقلعوا عينه اليسرى ، حتى إذا حمل الترس ، استقرت عينه اليسار ، فلا يبقى يبصر شيئاً ،
 فقلعوها " (٤) .

ومن أنواع التعذيب عندهم ما فعلوه مع ابن والي الطور الذي خرج للصيد حيث حبسوه
 في جب وحده ، وظالموه بالقي ديار غدية ، دون أن يسمحوا له بالاتصال مع أحد حتى مر عليه
 طام كامل ، يقول " غانا في بعض الأيام في الدب ، وإذا قد رفع عنه (الجب) الفطاء ، ودلني
 التي رجل بدوي ، فقلت من أين أخذوك ، قال : من الطريق ، علمنا بأن للمسلمين والتجار حقاً
 متعارفاً عليه آنذاك ، وصن ذلك ، أسر البدوي مع ابن والي الطور ، وقد طلب الاسر من الفرنج أن
 يدخلوا سبيل البدوي ليخبر أهله فيدفعوا فدية للفرنج " (٥) .

هذا وقد تميزت معاملة الأسرى المشاركة بشدة أكثر من أسرى المشاركة لأنهم تركوا أوطانهم
 وجاءوا يحاربون من المسلمين في الشرق كما يبين ذلك ابن جبير (٦) .

وأما معاملة السكان المسلمين ، فقد تمثلت بها الشدة والإساءة ، ويقول ابن جبير عن
 معاملة الفرنج لأهل عكا " إن المسلمين يمانون أموالاً ومشقات منها الذلة والسكنة ، وشبهها
 مطاع ما يفجع الأئمة من ذكر من قد مر الله ذكره ، وأعلى شطره ، لا سيما من أراد لهم وأساغلمهم
 ونسبها عدم النظارة ، والتعرف بين الخنازير (٦) .

(١) الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية ورته ١٥

(٢) رحلة ابن جبير ٢٨٠ (٣) ديوان أسامة ابن منقذ ١٤٦

(٤) الاعتبار ٦٦ (٥) الاعتبار ٨٠ ، ٨١

(٦) رحلة ابن جبير ٢٨٠ ، ٢٧٤

ويتضح الفرق في المعاملة ، حين نقف على معاملة المسلمين للفرنح سواء الأسرى منهم أو السكان في المدن التي استعبدت ، ولا يحسن المرء حين يرى سلوك المسلمين وترغبتهم عن القتل أو التار ، أو ضياعهم لأنفسهم في جو نشوة النصر ، إلا أن يصحب بمسلكتهم ، ويتبدى هذا الأمر في كثير من المواقف ، منها يوم فتح الرها ، إذ أمر زكي الحساكر برد ما ضوه من أمتعة ومن وقع في أيديهم من نساء وأطفال ، فردوها عن آخرها (١) ، ومنها يوم تقسيم القدس ، إذ أضحهم صلاح الدين على أنفسهم ، وغيرهم بين الأقامة والقتل (٢) ، أما معاملة المسلمين للأسرى ، فقد كانت تدل على رقي حضارتهم ، فأبن شداد يذكر أن مجموعة من النمرسان المسلمين أسرته بمجموعة من الفرنج ، وكان منهم مقدم الحسكر ، فمثل عليه صلاح الدين غيرة خاصة ، وأمر لكل واحد من الباقين بغزوة خرجية ، لأن البرد كان شديدا ، وأحضر لهم طعاما أكلوه ، وأمر لهم بخيصة نصبت قريبا من خيمته وأذن لهم أن يرسلوا أصحابهم ، وأن يحضروا لهم من عسكرهم ما يحتاجون إليه . (٣)

ومن هذه المعاملة ، معاملة أسير فرنجي طاعن في السن لهيق في فمه شمرا فرق له السلطان وأطلقه إلى معسكره (٤)

وقد شعر الفرنج أنفسهم بهذه المعاملة ، فاستأمن من خلق عظيم منهم بسبب الدين زمن حصار عكا ، فأمنهم وأعانهم كما سمعوا برحمة صلاح الدين ، فمسخوا المرأة التي فقدت أبنيتها ، اتخذها إليه في معسكر المسلمين ، فرق لها وأمر بردها أبنيتها وعيناه ندمان (٥) ، ويخشب ابن شداد على القصة بقوله " فأنظر إلى شهادة الأعداء له بالبرقة والكرم والرأفة والرحمة " .

ومليحة شهدت لها خيراتهم
والحسن ليه الحقه ناكس (٦)
هذا الفرق الواضح بين المعاملة الانسانية والمعاملة الوحشية لم يكن شائعا على النوع ، كما أسلفنا ، ولم يكن أيضا خائفا على المسلمين ولا على أدباء المسلمين ، يقول الشاعر ابن عني :
لَقُوا الموت من رزق الأمته أحسرا
وَمَا بَرَحَ الإحسانَ مَا سَجِيحَا
فَالقُوا بأيديهم إلينا فأحسننا
نورثنا عن صيد آبائنا الأبنسنا

- (١) الكامل ١٠ / ١٩ ، النجوم الزاهرة ٤ سنة ٥٣٩
(٢) الكامل ١١ / ٥٣٩ ، وأنظر ١١ / ٥٥٠ - ٥٥١
(٣) ابن شداد ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٥٤ ، ٣٩ على الترتيب
ورد في النوادر ص ١٥٩ أن المفقود مثل ذكر بونطا ورد في صفحة ٣٦ منه أنهم
بالفعل بنت)
(٤) النوادر ١٥٩ ، ١٥٩

منحنا بقاياهم حياة جديدة ولو ملكوا لم يأتوا في دما^١نا

فحاشوا بأعناق مقلدة^٢ ولو^٣ ، ولكننا نأسج^٤نا (١)

هذا وقد لجأ الفرنج إلى المكر والقدر ليشفوا غليلهم من الدماء البريئة ، ويرووا حقدتهم بالسدم السفوف ، ولهذا أكثر الأدباء عن التحدث عن غدر الفرنج ، وبينوا أنهم مغفلون عليم^٥ ، قال الأمير نجم الدين محمود بن الحسن بن نيهان العراقي غر ، انتصار صلاح الدين سنة ٦٥٢٥ وتحطيم حصن بيت الاحزان :

فلا ترضى منهم بعدها بذل طاعسة فما خلقتوا إلا على شهة الشمسدر (١)

وقال ابن منير في مدح نور الدين سنة ٥٤٧ هـ ، حين فتح أنطوطوس وهزم جوسلين :

ما زال يندر ثم يندرقسادرا حتى أتاه بجناح أصحاب^٦ه (٢)

وقد لاحظ السواد ذلك بقوله " ٥٥٠٠ فان القدر في طباعهم مركز ، والسوء في غرائزهم مشرور " (٤) ، ووعظهم بأنهم أناس لا يؤمن بعهدتهم ولا يمتثلون بوعدهم .

وحين حاول صلاح الدين اقتحام القدس هددوا بقتل الأسرى ، وكان الصرف يقتضيه بالحافلة على الأسير ، فأضطر صلاح الدين إلى الدخول في مفاوضات معهم انتهت بتصلبهم المدينة ، وخروجهم منها ، وفي هذا الوقت يقول السواد " وعرف أن جهلهم يحملهم على كمل مكر شنيع ، وأنهم تدعهم فظاظتهم إلى كل أمر فظيل (٥) " ، كما يتحدث عن أعمالهم في موضع (٥) آخر فيقول " فروعوا بقتل أسارى المسلمين وهم الألوف ، وعرضنا أنهم لا يقتضون في الشرطان جهلهم محروك " .

ولم تكن ملاحظات السواد هذه من باب التزهد ، وتعتليم الصفائر ، إذ إن الحديث عن غدرهم حديث شواثر ، ودداه كتاب المسلمين وشراؤهم على السواء ، ومن ذلك ، قول طلائع بن رشيد يقولوا لنور الدين : أين لجأوك الجراحات إلا الكسي في الطب والبي^٧ط

نأمل لكم شرط شريك عليهم قديما وكم غدر به نقض الشرط (٦) وتول السواد في ملكه الألبان ، ولما وصل إلى بلاد الأرمن غدر بالربائين وساقهم بحولين مع الخلفائين (٧) ، وفي حصار عكا سنة ٥٨٦ هـ ، ضعفت البلد ، وحين أطلبها للقتال من الفرنج فأبوههم ، ولكنهم حين تسللوا لم يلتزموا بما تعبدوا به من شروط ، بل احتالوا عليهم وعلى أموالهم وجسولهم في الميقاتات ، ولم يكتفوا بذلك النذر وأنما أوتوا أسرى المسلمين بالنيبان وتتلوهم بأجمعهم (٨) .

(١) ديوان ابن عني ، ٣٠ - ٣١

(٢) الروضتين ١٢/١

(٣) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢١٩

(٤) الفتح القمي ٦٠٨

(٥) الروضتين ٩٢/٢ ، ٩٨

(٦) ديوان أسامة بن منقذ ١٧٢

(٧) الفتح القمي ٣٩٠

(٨) الروضتين ١٨٨/٢

وقد غدر الفرنج بالمصريين في بلبيس وبديا ط * وتكرر هذا الغدر مرات ومرات * مما أوحى السوء
أذهان الشعراء تشبيههم بالذئاب لا سيما في شعر ابن القيسراني * فمن ذلك قوله بخان يسا
عباد الدين زنكي :

فلا تحفلن بوصول الذئب ~~ببواب~~ وقد زار الأسد البامبوس (١)

ويقول في جوسلين أحد أمراءهم :

أخو الليث لولا غدره ~~نزعته بسببه~~ إلى الذئب * إن الذئب شيمته الغدر (٢)

وهناك فرق بين الغدر والخدعة * إذ إن الأول تكب بالعهد * وفي هذا الصنف يقول الصمد
في وصف الحال بعد موت صالح الدين * وقد استمرت الحال إلى الآن على الهدنة * وهم لا
يؤمنون إذا أحصوا بالكنة (٣) * :

ويقول أسامة بن منقذ في وصف جوسلين :

دعته إلى نكت اليمين ~~وغمره~~ بذمته الغدر والخسيسة والكسور (٤)

وأما الخدعة فهي طغاة العدو دون أن يكون عهد بين الطرفين * ولذلك فقد امتدح الأساقفة
الخدعة الحربية * بل جعل توالي الحرب الخدعة * كما جاء في قول الرسول صلى الله عليه وسلم
" الحرب خدعة " :

هذا وقد امتدح الأدب تخليط الفرنج الحربي وأمثلة ذلك كثيرة * * وأما الغدر فهو
بذموم ينحرف بمصاحبه إلى الخيانة والكذب والظايق كما ذكر الشعراء * ومنهم أسامة بن منقذ الغدر
رد على طلائع بن رزيق على لسان نور الدين زنكي بقوله :

<p>و نحن كسرنا * البغددين * وما لمن فسله اللعين الحائن الخائن الذي وقد شاق الدنيا عليه برحبهم أفي غدره بالخيل بعد يمينه دعته إلى نكت اليمين وغمره</p>	<p>كسرناه أباك يربني ولا يربني له الغدر دين : ما به صنع الشمر علم يذنبه بر * ولم يخمه بحسب بأن يله بين الأنام له عسر بذمته * الغدر والخسيسة والكسور (٤)</p>
--	---

* أنظر الروضتين ج ١ ق ١ : ١٥٣-١٧٦-١٩٠-٢١٧ * الروضتين ج ٢ : ١٠٢-١٨٨
١٨٩-٢٠٥ * الذيل على الروضتين ١١٧ * النوادر السلطانية ٣٨ ١٢٤ * الاعتبار
٣٥٣٤-٢٦-٨١ * ديوان أسامة : ١٧٩-١٨٠-١٨١-١٨٢-١٨٣-١٨٧-١٩٤-١٩٩
وأنظر ابن الأثير ١٠/٣٢٢ * الكامل ١١/٣٧٣-٤٦٦-٤٩٠-٥١٧ * الكامل ١١-
٦٧-٦٨ * ابن القائسي ١٣٦ وأنظر الف ليلة وليلة ج ١ + ج ٧ حكاية نور الدين علي
ومريم الزنارية *

(١) الذريعة * قسم الشام ١/١٠٨

(٢) الروضتين ج ١ ق ١ ١٨٦ وأنظر ٦٨/١ وأنظر ١٠٢/٢

(٣) الفتح ٦٠٨ (٤) ديوان أسامة ٢٠٣

* أنظر لمزيد من الأمثلة الاعتبار ٦٤ * الفوائد البلية في الفرائد الناصرية ورثه (١)
وأنظر نقد الجمان ج ٢ ق ١ ورقة ١٩٩ * الكامل ١٠/٤٦٠ * ١١/١٥٤ * ١٢/٥٥٥

يخاطبه بقوله " أنهبى يا بطرس وأصرح منذرا عن شتاء شعبي " فقد آن المئين الذي غوسسه
خدماي يحصلون على الأماكن المقدسة (١) .

وأما أثرها في معركة أنطاكية سنة ٤٦١ م ، فقد أدعى بعضهم أنه رأى كتيبة من السماء
وعليها هلال تدمية من النور تقدم صفوفهم ، وتسللت السلاالم والأسوار الصخيلة بعد ينسمة
أنطاكية ورمت المسلمين (٢) .

ولكن كان لهذا المروءيا المدعاة أثر في تقوية مخنويات البند ، فإن الحرية المقدسة
التي أدها أحد الرهبان ، كان لها هي الأخرى أثر كبير في تحقيق النصر لهم يومئذ ،
وتدعيمها أن راهبا داهية مطلقا رأى حصار المسلمين الشديد لأنطاكية ، وط نزع عنه من أعداد
الاقوات وتحطم قوتهم المخنوية ، غلجا الى حيلة دينية ، إذ بشرهم بأن المسيح لن يتصلب عنهم
ان وجدوا الحرية المقدسة المدفونة بالقيسان (وهو بناء ديني عظيم) ، ثم أمرهم أن يتوسلوا
ويكون بذلك قد جعل الجوع الذي يتضورون منه صوما يؤجرون عليه ، بينما قام بعضهم بالبحث عن
الحرية ، فوجدوها غسلا ، لأنه كان قد دفن خربة صدقة في المبنى المذكور (٣) وتصادف أنه نسي
هذا الوقت ، دب النزاع بين الفرق الاسلمية ، التي تواجدت للقتال ، بينما قام الفرنج بهجوم
ياش ، أنشروا فيه على المسلمين .

٢٢ . قرارات الحرمان وعكوك الفخران : وقد لجأ إليها البابا في روما بعد سقوط القدر ، ورضم
كل المدادات التي تدمتها أوروبا للمحافظة على ممتلكات الصليبيين ، وقد قصد البابا بهزيمة
القرارات أمرين : الأول أشد الانوال لتحويل الجيش الصليبي والثاني ، دعم الجيش الصليبي
بالحقاتلين ، يقول القاضي الفاضل : " وقد حرم بابا دهم كل مهاج ، وأستخرج منهم كل مذسور
وأغلب ، و منهم النفاق ، وليسوا بالبسهم العدد ، وسكن عليهم أن لا يزالوا كذلك ، أو يستأنسوا
المقبرة (٤) " ويقول الصادق من كتاب الى بنداد : أن البابا الذي برومية تد حرم عليهم
مطاعمهم ومشاربهم ، وتان " من لا يتوبه الى القدر ، يستخلصا فهو عندى محرم ، لا منكى لسه
ولا مطعم " .

والحرمان قندهم كاللعنة عند المسلمين - يعني الطرد من مشقة الله وكل عمل يعمل به
المحرم لا يقبل منه ، ولذلك فمنهم من امتنع على الورد ويتها لكون على يومهم الموعود (٥) .

-
- (١) دونوند ، من تاريخ الحروب المقدسة ٣/١
(٢) حسن حبشي ، الحرب الصليبية الاولى ١٥٠
(٣) الكامل ٢٢٢/١٠ ودونوند ١٢١/١
(٤) الروستين ، ١٥٢/١ ، صبح الأعشى ١١٨/٧
(٥) الروستين ١٦٢/٢

ومن وسائل إثارة المقاتلين عندهم رفع الصليب الذي يرمز عندهم إلى التضحية فربما سمر ذلك في مواعيد عديدة منها حين نزلوا على دمشق سنة ٥٤٢ هـ ، إذ خرج أمامهم تسعين كيميير طويل اللحية ، يعتقدون به ، فركب حماره ، وجعل في يده صليبين وفي عنقه ثلاث ، وثلق كسي عنق حماره عليا رابعا ، وحمل الاناجيل والصليبان ، فلم يتخلف عنه أحد (١) ، كما ان الصباغ تميز دور التحريض في المعركة بما كن ينفذه من أشعار ، وبما كن ينشون بما لرجال (٢) .

هذه طرق التحريض عندهم ، وهي تختلف عن طرق التحريض عند المسلمين في مثلها لأنها التحريض مرتبط بنوع العقيدة ، فبينما كان الفرنج يعتقدون بالمسيح والصليب ، اعتنق المسلمون بالله إلهيا واحدا ، طالبهم بالجهاد والدفاع عن الأرض والنساء والأطفال ، ومن هنا نجد عزرا الأدباء على وضع الاستنهاض في قالب ديني ، فمن ذلك قول الأمير جمال الدين الثاني مخاطبا الملك الناصر حين حاصر الفرنج دمياط :

وأذخر ليوم البعث فعلا صا لخصا
الله ضمان أجره وكفيله (٣)

ويقول طلائع مخاطبا نور الدين :

فأغضبها بالجهاد أجرك كسي
فأغضبها بالجهاد أجرك كسي (٤)

ويقول ابن سناء الملك في مدح الملك العزيز :

أرضيت ربه في حراسة دينه
وسمرت عيسى إذ سمعت صوته (٥)

وقد بين الصغراء أن الله يمد المجاهدين بمعونه ونصرته ، إذ إن النصر من عند الله يؤتاه من يشاء ، يقول طلائع ابن رزيك ، مخاطبا نور الدين قلع أرساذن صاحب الروم :

أما عنكم من يتقي الله وحسنه
أما عنكم من يتقي الله وحسنه
تعاوا لعل الله ينصر دينه
إذا ما نصرنا الدين نحن وأنتم
وننهب نحو الكافرين بحزمه
بأمانها تحوى البلاد ونفسه (٦)

ويقول ابن دنيير في حث الأمراء والأجناد على القتال حين نزل الفرنج على دمياط سنة ٦١٥ :

أتيموا عبود الدين لله تسعدوا
فريق الهدى ، والله يظهر دينه
نقد بآكم عيسى وهذا معصمه
على دين من قد أشركوا وتمسكوا (٧)

ونلاحظ أن هذا المعاني قد وردت في القرآن الكريم " وإذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا " (٨) .

(١) تاريخ ابن القلانسي (ذيل تاريخ دمشق) ٣٠٠

(٢) الأندلس الجليل بتاريخ القدس والخليل ١/ ٣٦٢

(٣) السلوك لجماعة دول الملوك ج ١ ق ١ ١٦٦٥

(٤) ديوان طلائع ابن رزيك ١٠٣

(٥) ديوان ابن سناء الملك ١٥٦ وانظر عقد البطان ج ١ ق ١ ورقه ٥٨ مخط

(٦) جواهر السلوك ورقه ٦٠ مخط
ديوان طلائع ابن رزيك ١٣٢ وانظر للمزيد من الأمثلة الروشتين ١٩٠/ ٢ ٢٣٢

* المقصود بعيسى ومحمد أبناء الملك العادل أشفي صانع الدين

(٧) ديوان ابن دنيير ورقه ٤ (٨) سورة الأنفال ١٢٠

ومن طرق التحريض عند المسلمين تهوين أمر الفرنج ، وبيان ضعفهم ، وقد كان ذلك بعد بدء الانتصارات عليهم ، وبعد الاتجاه نحو الوحدة الإسلامية ، يقول ابن القيسرائي : عرضاً نور الدين زنكي :

فسر وأذك الدنيا غياءً وهججية
كأنني بهذا العزم لأفعل حسنة
وقد أصبح البيت المقدس طائفة
وليته ، سوى بطرى الدماء لهامس (١)

ويقول ابن منير محرضاً نور الدين أيضاً :

رذا الكناك كنسا للهدى فخبست
ونشأ ما كتبه القاضي الفاضل إلى صلاح الدين " غشمر عن ساق " من القنا ، وخشست
فيه بحرًا من الظلم ، وأحلل عقدة كلمات الله سبحانه وثيقات الحبيب ، وأسل الوناد بدماء
الحدا (٢) .

ومنه قول ابن التماويدي محرضاً صلاح الدين سنة ٥٨٠ :

ورج الهدى منها بأدهم رائس
وبراية سودا ثقلب الشوك
يقنعو لسنزته الصباح الأشم
عقدت لملكك مستحار موعس (٤)

وقول القاضي رشيد الدين بن النابلسي محرضاً صلاح الدين بعد فتح القدس :

يا ملك الأرض مهدها فما أحسن
أضحى بنو الأشرار الانكاس موعس
سواك من قائم للهدى ينتظرون
فيها لأعدائك الآيات والتسندر (٥)

وقول شهاب الدين محمود في فتح عكا وطرده آخر صليبي :

ما بعد عكا وقد لانت عنكتم
فأنهض إلى الأرض فالديا بأجمعها
لديك شيء تالقي على تمسب
مدت إليك نواعيها بأذ نصيب (٦)

وهكذا استمر الأدب محرضاً على قتال النزاة ، منذ أن وطئت أقدامهم أرض المسلمين في المشرق الإسلامي حتى طرد آخر جندي صليبي ، لا كما يقول محمد سيد كيخاني من أن التحريض كان مرتبطاً بالقدس فقط ، حتى إذا ما فتح القدس غر التحريض (٧) ، والصحيح أن ادباء العرب قد نظروا إلى الفرنج على أنهم ظالمون مفسدون يجب طردهم وأمتصاصهم حتى تم ذلك فعلاً .

- (١) الروضتين ج ١ ق ١٤٦ ، ١ (٢) الروضتين ج ١ ق ١٣٠ ، ١
- (٣) صبح الأعشى ٩٧ / ١٠ وانظر ١٤٩ / ١٠ ونهايتالارب ٤ / ٨
- (٤) ديوان ابن التماويدي ٢٤
- (٥) الروضتين ١٠٦ / ١ ، عقد الجمان ج ١٧ ، ق ١ ورقة ١٨٠ مخط
- (٦) جواهر السلوك ، ورقة ٦١ ، ابن الفرات مجلد ٨ ، ١١٧ ، ١١٨
- (٧) الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي ، ١٣٥ ، ٢١٦ ، وانظر صبح الأعشى ج ٨ ، ص ٢٥٠

وفي كل خدوة نحو الوحدة الإسلامية كان الأدباء يحرضون على طرد الفرنج ، يقتسمون
البلاد في تهيئة أسد الدين شيركوه :

فتحت مصر وأرجو أن تدير بها
قد أكننت أسد الدين الفرسية من
أنت الذي هو غرد في بساتينه
ويتول ابن الزكي محرراً صالح الدين على فتح القدس رحيم فتح حلب :

وفتحكم حلباً بالسيف في عفر
ويلاحظ أن كل فتح قبل استعادة القدس كان يذكر الشراء بفتح القدس ، سواء كان الفتح
في صورة توحيد للبلاد الإسلامية كما يظهر مما حبيب أم في صورة استعادة المدن التي وقعت
تحت الاحتلال الصليبي ، يقول التيسراني :

فإن يك فتح المرها لجسيرة
فهل علمت علم تلك الديار
فما حلها القدس من ولسا حصيل
رأى المقيم بها راح حصيل * (٣)

وقد استغل الأدباء المناسبات الخاصة والسامة أفضل استغلال ، فنفذوا إلى قلب صوب
الحكام ، وحرضوهم على تحرير الأرض وتطهيرها من دنس النشاة ، ومن ذلك قول طلائع بن رزيك
في رسائله التي بعثها إلى الشاعر أسامة بن منقذ ، ومنها يطلب منه أن يحث نور الدين على
قتال الفرنج :

المؤمننا رسالة عند نور الدين
فصل له دام ملكه وعليه
أيها العادل الذي هو للدين
والذي لم يزل قد يما عن الامم
وفدا منه للفرنج إذا لاقتهم
إن يرم نزلت حقد هبهم فلا شحنا
ين ما في القاشها ما يرم
من لها من الاقيال يرد قشيم
ين شباب وللحروب شيم
لاها لمزم منه تيجلي الكسروب
يوم من الزمان صروب
من قناه في كل قلب قليب * (٥)

- (١) الروضتين ج ١ ق ٢ ٤٠٣ - ٤٠٤ ، ابن الفرات ، تاريخه ، مجلد ٤ ج ١ ٤٥٤
- (٢) الروضتين ٤٦/٢ ، وأنظر الروضتين ١٧٠/٢ ، وديوان عرقلة الكلبي ٣٠ ، وديوان طلائع ١٣٣
- (٣) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٢٧
- * لمزيد من الأمثلة أنظر الروضتين ج ١ ٢٤٧ - ٢٥٢
- (٤) ديوان طلائع ٦٤ - ٦٥
- (٥) ديوان طلائع بن رزيك ٦٤ - ٦٥

وتقول ابن النبيه محرراً الأهراف موسى :

فأنتهض فقد أمكنت منهم غلسموات
إليك فهو سائهم أو تخيمسموات (١)

عكا وصور الى رؤياك عاظمسموة
وأمتخبر الريح عنها ان تسمسميرة

وتقول الأمير جمال الدين الكناني في حصار دمياط :

ط إن يمل من المدوع هولسمسموة
بغت نشارته وبان ذبولسمسموة (٢)

والشعر ناطره اليك محسمسمدي
واثن قعدت عن التيسام ينصسمرة

ومن مظاهر التحريض والاستحثاث ، وضع الصراخ بين المسلمين والفرنج في حرمسموة
المستحيي وبيان أن حسمبه لا يكون إلا بالقوة .

يقول ابن النبيه محرراً السلطان الأهراف موسى على قتال الفرنج حين اتحدوا مسم

الروم وماجموا المسلمين في حلب ومصر :

ولا تَعَفَّ ما حبان التسمم حيمسموات
فأنهم ايناث الطير اقسمسموات
واسبر وراين فلانكعدال نيمسموات
فهيمة النجب الشر الافسمارات
تكيف لو قد آتت منها النمايسموات
تنسب لنير ابيهم الفتوحسموات (٣)

التي الصا تفاق كلما سمسمسموا
طأهم بجيشك لا تَعَفَّ بكثرتهمسم
أنت السباع لمزق لين كثرهمسم
زلزلزل بناركة القواء دارمسمسم
بواد روتنوا من مسمعدتهمسم
ثق يا أبا الفتح بالفتح البينر فمسمسم

ويقول ابن دنينير مخاطباً الجند والامراء في حصار دمياط :

هذا الدين للرعمن في نمره يسمسمد
لهم في الهدى نوح زكي ومسمسمسمد
مضى تركسموها أن للنار مسمسمسمد
لدى النار الا ذابك ومسمسمسمد
مهم الفاليون الفراء والقود اصمسمد (٤)

فأذ تجزعو من حادث جاء قادسمسم
فمسموا لدين الكثر نارات مسمسمسم
وشبوا لهم نار الجهاد فأنكمسمسم
هذا الدين ما أرسى تواعد مسمسمسم
فمزمكم حزب الإله وأنهمسمسم

-
- (١) ديوان ابن النبيه ٦٧
(٢) السامع لعمرة دول الملوك ج ١ ص ١٠٧/١ وأنظر الروضتين ٨٥/١
ج ١ ص ١١٦/١
(٣) ديوان ابن النبيه ص ٦٦
(٤) ديوان ابن دنينير ورقة ٤

وتد تراوحت دعوات الاستشارة هذه بين الشدة والشعور بالثقة حين يكون المسلمون همسي
مركز القوة ، وبين التذبح والتألم حين يكونون في حالة ضعف ، ولكن الأدباء حتى في الحالة
الآخيرة ، لم تضعف ثقتهم وأيمانهم بأن النصر النهائي سيكون للمسلمين ، وبأن مكاننا في الحضارة
نوعي الاستشارة في كثير من الأدلة الشعرية السالفة ولا بأس من أن نذكر مثله واستدنا على
كل مضطرب يقول ابن دنيير في مدح الملك قلى أرسلان بن الملك المنصور بن شاهنشاه أيوب

فأنتم إلى نصر دين الله في جذل
جيش يجهز بأبطال إذا يـــــــرزوا
من كل أغلب في عرينة شـــــــم

في جحل شرق بالشميل ذي زبـــــــس
قال الردى للمعدن موتوا على عـــــــس
شحم الدميحة مرد غير مستشـــــــس (١)

ويقول جمال الدين الكنائي في حصار الفرنج دماط من ألبا القابل :

ولئن قعدت عن القيام بمـــــــرة
وهت ثوى القرآن فيه ورثـــــــست
وعلا صدى الناقوس في أرجـــــــس

جئت نهارته وبان ذبولـــــــس
صلبانه وتلي به أنج بالـــــــس
وشكى على سمى الورى تهليلـــــــس (٢)

وتد تبين بوضوح ما سبق أن التحريض عند المسلمين اتخذ طابعا مرتبلا باستيادتهم
مثلا كان للتحريض الفرنجي طابع مرتبط بتقيدتهم .

ومن الصور التي قدمها الأدب العربي للوجود الفرنجي في المشرق الإسلامي صورة
المدن الحدمية بعد الاحتلال . يقول دحية بن عبد الله بن نصر في المعرة حين خربها الفرنج :

هذه صناع بلدة قد قـــــــسى اللـــــــس عليها كذا ترى بالشمـــــــس
قنفت المير وأبى مـــــــس كا
واعتبر إن دخلت يوط اليهـــــــس

ن بها من هبوطها والشهـــــــس
فهي كانت منازل الأحمـــــــس (٣)

ويؤكد قول دحية هذا قول أبي بشر بن الحوار ، وقد وقف على داره بالمصرة بعد خربها
الفرنج عليها فقال :

أهذه بين أنكاري وعرفانـــــــس
جهادها ولقد أبدت مـــــــس
فجست أمالها والد من مـــــــس

مسارب الوجه أم داري وأولانـــــــس
عند الصبا بين أخوانى وشانـــــــس
والقلب نوى لونة من وجدده مـــــــس

يا دار مالي أرى الأيام قد حكمـــــــست
فينا وليك بحكم الجائر الجانـــــــس (٤)

ومثله قول أبي سنانة محمود بن عمرو :

أنا من بلدة قضى اللـــــــس يا صا
تتلوا أهلها وبادوا جميعـــــــس

مع عليها كذا ترى بالشمـــــــس
من شيوخ وشبهه وشيـــــــس (٥)

(١) ديوان ابن دنيير ورقة ٢٣ (٢) السلوك ج ١ ق ١٦

(٤) الخريدة ، قسم الشام ٨٢/٢ (٥) الخريدة ، قسم الشام ١٠١/١

ولم تكن المصرة بالمطبخ البلد الوحيد الذي تعرض لهذا التخريب والإفساد بل إن بلدانا أخرى في الشام قد تعرضت لما تعرضت له المصرة ، يقول السطاد في تدمير الفرنج للأديرة : " ولقد كثر استغني على تلك الممارات كيف زالت ، وعلى تلك الحالات الحاليات كيف حالت " (١) ويقول أبو العباس بن المهذب في وصف العدو والولاء الذي انتشر في الشام نتيجة التلمس وأنسراف الناس عن شؤونهم الخاصة :

أعذر يساكن ريفها المكسرين
شهداء بين الطعن والناصون (٢)

ولقد حلت من الشام بقية
وبثت وجاوزها العدو فأهلها

وكيف بعد ذلك ينصرف الناس إلى أعمالهم بظلمة ، والفرنج يهددونهم في صيشتهم وممتلكاتهم يقول أبو الحكم الجلياني :

تديماً أو يزيد ونسباً
ومع من فلسطين
ومن صيدا وتينين
تأتوا من مجانبين
جل الحان البساتين (٣)

أنا صائداً للصيد
فيهم من أندلس
ومن تكا ومن صور
إذا أبصرتهم أبصر
ولكن عرقوا غصني

وبعد وفاة صلاح الدين عاد النزاع بين الحكام المسلمين من جديد ، وطادت بفساد السيطرة للأعداء ، فهاثوا في الديار وخربوا القلاع ، وأحرقوا بعض المناطق الأخرى القريبة من حصونهم ، إذ قام الأسبانيون من حصن المرقب بأفساد المناطق المجاورة وتهديد أصحابها ، حتى ضاقت على أهلها فأجبروا كأنهم يعيشون داخل قبور أو مجسسون ، كما يقول صاحب تشریف الأيام والمصور (٥) :

ولو قارنا بين المدن قبل أن دخلها الفرنج وبينها بعد أن خرجوا منها ، لوثقنا علمي حقيقة أفسادهم ، فهذا الرحالة الناصي (ناصر خسرو) زار بلاد الشام قبل نصف قرن ، عمن النخوة السليبي ، ووصف عدة مدن زارها ، منها مارابله ، وقد قال في وصفها : " ... وحول المدينة المزاج والبساتين ، وكثير من تسب السكر وأشجار النارج والقرنج ، والوز والليون ، وشوارعها وأسواقها جميلة ، ونظيفة حتى لتظن كل سوق قصر مزين ، وفي وسط المدينة جناح عظيم نظيف جميل النقش حصين ، وفي ساحته قبة كبيرة تحتها حوض من الرشا في وسطه تمسورة من النحاس الأصفر " (٦) وقد أحدث الفرنج في هذه المدن تدويراً غير محالها ، كما غيّر معالم غيرها من المدن ، فأصبحت الآثار تنبئ عما كانت عليه من عمران (٧) .

(١) الروشتين ١٢٨/٦ الشريدة ، قسم الشام ١٢٩/٢

(٢) الروشتين ج ١ ق ١ ١٣٩/١ ، عقد الجمان ج ١٢ ق ١ ورقة ١٨٠

(٣) الشذرات ٦٥/٥

(٤) ابن عبد الظاهر ، تشریف الأيام والمصور ٦٧

(٥) سفرنامه ، ترجمة يحيى الشهاب ١٣٠

(٦) أحمد بدوي ، الحياة الأدبية في عصر الصروب السليبية ج ١ نقلاً عن :

Barker , The Crusades p. 28 .

وقد فوض الفرنج إبان سيطرتهم المخراب على البلدان المجاورة ، غشقت أحوال الناس حتى
أعجز القاضي القاضي أن من شين في هذا الأيام غط واسى المؤمنين ، ومن نام ملء عينه غما منو
من أخوة المؤمنين (١) .

ويقول الملك الناصر داود من كتاب إلى عز الدين بن عبد السلام حين هاجم الفرنسي
مدينة نابلس وأستولوا على ما كان قد خزا من الأموال والثقال فيها ، وما جمعه المسلمون
لأزمتهم في السنين الطوال " غيا لها من فجيحة أبكت الصيون وأبكت البقون وشجعت على القلوب
من أسماها ، نودت لو أنها سبقت بالحنون ، غيا ليثني نبذت قبل سماعها مكانا قصيا . . . أو
ليثني بت قبل هذا وكنت نسيا نسيا (٢) " .

وقد ران على المسلمين حزن عديد بعد سقوط القدس الثانية في أيدي الفرنسي ،
لأن حقوله في المرة الأولى كان في وقت عصيب حين كانت الأمة الإسلامية مجزأة ضعيفة ، أما في
المرة الثانية فإن العالم الإسلامي كان في وضع أفضل ، فكيف تسلم المدينة المقدسة بهزيمة
السهولة ؟ ، ولهذا أمتزجت الدمع بالثقة على الذين غرطوا في القدس ، يقول قاضي الطسور
الشيخ محمد الدين :

مررت على القدس الشريف	على ما تبقى من ربيع وأنجس
فغاضت دموع السنين بني	على ما بقي من عصره البتس
وقد رام علي أن يحكي	وشمر عن كثر لثيم مذ
فقلت له شئت يجهلك	لمختبر أو وسائل أو
فاو كان يفدى بالنفوس	بنفسى، وهذا الثمن في كل
ويقول ابن الجساور :	

أعني لا ترقى من السبرات	بيلي في البكا الأيمان بالهكبرات
لعل سيول الدم يلقى فيهم	توتد ما في القلب من بهمبرات
لتبك على القدس بالبلاد بأسرها	وتعلن بالأحزان والترحبرات
لتبك عليها كذا فهي أختهم	وتشكو الذي لأمت التي عربرات
لتبك على ما حل بالقدس بطيبة	وتشرحه في أكرم الحجبرات (٤)

* * * *

شده صورة عن الصراع الحضاري بين الواعدين من الغرب ، وأهل هذا المنطقة من الشرق الإسلامي .

(١) الدر الثمين ، لابن قاضي شهبة ورقة ٦١ مخط وأنظر الروضتين ١٦٦/١

(٢) النوائد الجلية في الفرائد الناصرية ، ورقة ٩٥ مخط

* المقصود بالملك المعظم عيسى بن المادل

(٣) المذرات ٦٦/٥ ، ذيل الروضتين ١١٦

(٤) الروضتين ٢٠٥/١ - ٢٠٦

القسم الثالث : الصراع العسكري :

نوجعت الدويلات الإسلامية بالحروب الصليبية ، فاستيقظت من سباتها العميق علمي
تهراوي المدن الواحدة تلو الأخرى بيد الفرنج ، وقد صور الأدب حزن المسلمين وتفجعهم ...
ولكنهم - كما قلنا - لم يياسوا وإنما قبلوا التحدي منذ أول لحظة وحرصوا القادة على صد الغزاة
ولرد هم ، وعلى الرغم من الانتصارات الكبيرة التي أحرزها الصليبيون إلا أن الشعراء ينسوا أن
النصر ممكن إذا اتحدت الأمة ، فهذا ابن الخطيب يستهزئ بالفرنج ويجعل انتصارهم نكسي
غفلة من الزمان ويبين أن غضب الدولة أمير دمشق سيقضهم عند حدتهم فيقول :

انصرفكم أن الزمان أجركم
لا تأمنن صرخة عبيدة
بننا لنيررد اكس لم تمتق
طولا بننيكم الوخير المرتسبين
من أن تقيم الحق عند المقسبين
وليس لنير بواركس لم تلبس (١)

وقد بقي التحدي قائم بسبب استمرار الفزوا الصليبي ، وبقي معه الصراع الحربي مستمرا لئلا
يتوقف حتى في وقت الهدن ، لأن الهدنة كانت تعني ترك الحرب مؤقتا ، كما يتيح المجال أمام
الفرقيين لأن يحصلوا على تعزيز الجهود للجولات المقبلة ، وقد ظهر هذا التحدي حتى بمسند
المشارك التي هزم فيها المسلمون ، كما ظهر بتأييده الحال بعد المصارك التي هزم فيها
الفرنج ، وقد أتاح هذا الصراع الطويل للشعراء أن يسطروا صورة واضحة عن التجهيزات
العسكرية عند الفرنج ، وهي صورة تناولت الجيش وأسلحته وقدرته وحصونه وتخليطه ومشاركه
وقد مقارنة بينه وبين الجيش الإسلامي ، وسنتابع فيما يلي أجزاء هذه الصورة كما رسمها الأدباء
أولا : الجيش الصليبي :

كان هدف الفرنج احتلال أراض واسعة في بلاد الشام منها القدس ، ولذلك تحركت
الجيوش الهائلة لتخطي عملية البد الواسعة ، كما تخطي عملية الانتشار في الأراضي المحتلة ،
وقد شاركت فيها دول أوروبا وأهمها فرنسا وألمانيا وأنجلترا كما شارك فيها الرجال والنساء حتى
الانفال (١) ، يقول ابن عسك :
فكم أمر خط الحسام عذاره

وكم أشيب كان النجيب خنابسه (٢)
وبعد أن استقرت لهم الأمور في مملكة بيت المقدس ، وجه الفرنج أنظارهم إلى البلاد المجاورة ،
كما دعاهم إلى طلب المزيد من النجيدات وأنشاء فرق دينية عسكرية كان لها أثر فعال في الحروب
الصليبية وأشهرها كما أسلفنا ، الاستبارية *Templar* وهم فرسان المستشفين ،
والداوية *Teutonic* فرسان المصيد .

- (١) ديوان ابن النيات ص ٢١٨
 - (٢) النوادر ١٠٨ ، الفتوح التي ٣٠٦ ، الحركة الصليبية ١٠٤/٦
 - (٣) أحمد بدوي ، ماون بني أيوب المعظم ص ٧٦
- أنظر رفيق التميمي ، الحروب الصليبية ٧٨ ، طارق السارف ، تاريخ القدس ٢٥٠

وقد قام فرسان المعبد بأعمال كثيرة أفضت مضاجع المسلمين، حتى أصبح التفريغ منهم من الأعمال الصليحية التي يفتخر بها . وقد كان لاعتداءاتها على المسلمين أثر في إثارة حفيظة السلطان الرحيم صالح الدين إذ جعل جائزة قيمة لكل من يسلمه فارساً من هؤلاء ليقبضه من أنه تحفظ كثيراً في قتل الأسرى . ولذلك علق سلوكه هذا بقوله على لسان ابن شداد " . . . خطا جرت عادتهم بها بالمفادات ولا يقلمان عن المعاداة . ولا يخدمان في الأضر ، وسطاً أخيت . أصل الكفر " (١) . وقد كثرت الفرقة المحاربة بسبب طول فترة الحروب وبسبب كثرة المشتركين فيها ، ومنها غسيرة ، البيازنة والجنوية وفرق أخرى ألمانية وفرنسية ، والفرقتان الأولىان غرقتان تجاريتان أخذت تتحسب المظهر الحربي لحطية القوافل . ثم ما لبثتا أن اختركتا مع الفرنج في قتالهم مع المسلمين . يقول الصلاد في وصف سجن صالح الدين التي ضاقت صور : " فأنشقت مرائر الفرنج ، وأزاحت سفنها عن النهج ، وقرنعت بزاة البيزانية ، وتقلعت جفاة الجنوية ، وكثرت أدواء الداوية ، وكثرت أسواء الاستبارية . وزادت آلام الألمانية ، وعادت أسقام الإغريقية . . . " (٢) . وقد أنضاف إليهم عدد آخر في حصار مكاء سنة ٥٨٧ هـ ، حيث جاءت الامدادات الكثيرة من أوروبا في كل ذهب أصح ، وسيد قد تورط . . . وباروني دالب للبوارج ، واستباري راضع في التبار ودأوى مضطرب الداء ، وتركبولي غير تارك للبار ، وسرجندي كزار ، وفريزي غير غرار ، وشماري ، وفريزي الرجال ، وراجل يروح الفرسان الابطال . . . " (٣) . ولكن كثرة هذه الفرق ، وتفاوتت بها على نفسها ، وخروجها عن اليهود المحقودة من المسلمين ، جعلها وبالا على الفرنج أنفسهم بعد أن كانت جمة لهم ، ولم يفت مؤرخي هذا المصير ذلك ، فلهذا ابن عبد الظاهر يصف الاستبارية وأعمالهم التخريبية من حصن المرقب فيقول : " وكان بيت الاستبارة الذين فيه قد زاد بنيتهم وعدوانهم وكثر فسادهم ، حتى بقيت أصل القاذح المجاورة لهم كأنهم في حصار من شمر ، ومن " (٤) . ولم يمد بوسع المسلمين السكون من هذا التعدي ، لا سيما أن الصليحيك قصد سيطروا على الدواكر المهمة للفرنج ، فقام المنصور فلكورون بتحويل هذه الحصون ، وثاقبهم لنكتهم واعتدائهم ، ثم تآزر ابنه في طردهم نهائياً من بلاد الشام (٥) .

هذا وقد دخلت المرأة الفرنجية المعركة ، فحججتها المقاتلين ، وتآملت منهم ، وتسد لاحظا الادباء ثلاثة أنواع من النساء : المرأة الحاكمة ، والمرأة المقاتلة ، والمجنائز ، وقد تآم كل نوع منهم بدور في الحرب .

أما المرأة الحاكمة فقد أصبحت معها الفرسان وأمدتهم بالسلاح والبال ، وتآملت منهم في الميدان ، يقول الصلاد الاصفهاني : " ووصلت في البصر امرأة كبيرة القدر ، وأثرة الوفير وشي في بلدنا مالكة الأمر ، وفي جملتها غصصاة فارسي ، يخولهم وأتباعهم وفلماتهم وأشياءهم ودني كافلة بكل ما يحتاجون إليه من المؤونة ، زائدة بما تنفق عليهم على المؤونة ومن يركبون بركبانها ويعملون بحملاتها ، ويثبون أوثانها وتثبت ثباتها لثباتهم . . . " (٦) .

- | | | | |
|-----|--|-----|-------------------------|
| (١) | الروضتين ٢/٢٦١ | (٢) | الفتح القسي ١٦١ |
| (٣) | الفتح القسي ٤٠٣ | (٤) | تشریف الايام والمصور ٢٧ |
| (٥) | أنظر القديس لوي ، ترجمة حسن حيدر ٢١٦ - ٢٢٧ | | |
| (٦) | الفتح القسي ٣٤٩ ، وأنظر الروضتين ٢/١٦٦ ، ١٨٣/١ | | |

وأما البراة السادسة الثالثة فقد لفت أنظار المسلمين بشجاعتها وقوة بأسها ، وكأنها رجل نفسي هيبتها وليأسها ، يقول الصلاد في وصف هذا الفوج " وفي الفرنج نساء غوارر ، لمحسن دري وتوانس ، ولكن في زي الرجال ، ويبرزن في حومة القتال ، ويمسكن عمل أرباب المحبا ومحسن ربات جبرائ . . . (١) " . ويصف مجموعة أخرى بهن تمكن المسلمون من قتلهم في عصار عكا فيقول : " وفي يوم الوثنة قتلنا منهن نسوة لهن بالفرسان أسوة ، وفيهن من لهن تسوة " . وليست لهن سوى السوابغ كسوة " (٢) " . ويقدم الصلاد وصفاً آخر لهيئة البراة الثالثة وهي : سورة لا تختلف عن صورة الحائل الفرنجي يقول : " وذوات الحائل من الفرنج طعنات مقارعات يحلن إلى اللسان الطوارق والقنطاريات " (٣) .

ويوضح ابن شداد هذه الصورة فيقول : " ورويت امرأة عليها ملوطة خضراء ، فمسا زالت ثوبي نفوس من خشب حتى جرحت جمعة ثم قتلت وحملت إلى السلطان فمجب مسمن ذلت (٤) " . ويؤكد ابن الأثير ما ورد عند الصلاد وابن شداد فيقول : فائهم (الفرنج) كان صميم على عكا عدة من النساء يبارزن الأتراك " (٥) " ، أما السجائر فقد ثمن بدور يناسبهم وضمن ، فمهن لا يقوين على القتال إلا إذا امتدعى الأمر ذلك ، وغالباً ما كن يعرضن الثرمان على القتال ، يقول الصلاد : وأما السجائر فقد أضافت بهن المراكز ، وهن يشدن نارة ويرخين ويعرضن وينخين . . . (٦) .

تلك هي أهم الجماعات الصليبية التي تحدث عنها الأدباء ، وكان الخريف منها أظهر اندفاع جميع قطاعات المجتمع الفرنجي للمشاركة في الحروب ، وغيا يلي صور تدعيمها الأدب العربي عن الجيش الصليبي :

١ . وصف الأمدادات الكبيرة :

قاد بطرس الناسك أعداداً ضخمة من المتحمسين في أول عملية للاستيلاء على مملكة الشام ، ولكن السلاجقة حبلوا حبلته وأشعلوا بشطارتها ، ولم تكف فلول المائدين تصل إلى القسطنطينية حتى التفت بحملة الأمراء التي تبرزت بالنداء ، فأنضم هؤلاء الفاترون المسلمون الحملة الجديدة ، وساروا جميعاً إلى بلاد الشام ليؤسسوا مملكة بيت المقدس ، وقد تهيأ لهم ذلك كما تهيأ لهم تأسيس إمارات أخرى .

وما أن نجح الفرنج في تأسيس هذه الإمارات حتى عاد بعض الحجاج مشربين أشمهم وتومهم بالفتن المضطربة التي حققتها الجيوش الفرنجية ، فتوالت الأمدادات بدافع المشاركة النفسي للنشام والمشاركة في إعلاء راية الصليب على البلاد المقدسة ، على أن ما بلغت النظر في الأمر هذا ما لا مدادات أرضها لها بأوضاع الصليبيين ، فإذا ما تعرض هؤلاء لضغوط من المسلمين فإن الأمدادات كانت تتوافد عليهم من كل جانب .

- | | | | |
|-------|-----------------|-------|--|
| (١) | الفتح القسي ٣٤٦ | (٢) | الفتح القسي ٣٤٦ وأنظر الروضتين ١٦٦/٢ |
| (٣) | الروضتين ١٦٦/٢ | (٤) | الروضتين ١٨٦/٢ |
| (٥) | الكافي ٣٥/١٢ | (٦) | الفتح القسي ٣٤٦ وأنظر الفتح القسي ١٢٦٩/٢ و٤٠٦٤ والأيام الجليسل ٣١٢ |
| | والروضتين ١٥٨/٢ | | |

أما وصف الادياء لهذه الامدادات فيظهر جليا في عدد من الاحداث التاريخية الهامة : ففي سنة ٥٦٦ هـ اجتمع عدد من دعاة الدولة الفاطمية وكتبوا الفرنج بالقدوم للقضاء على صالح الدين هـ فجاءوا بأسطول يحمل العدد العظيم للمقاتلين هـ وكانت خيلهم الخمسة وخمسة مائة رأس وكانت عدتهم ألف مقاتل ما بين فارس وراجل هـ وكان عدد الدرايد * ستا وستين طريدة تحمل الخيل هـ وكان معهم مائتا شيني * وفي كل شيني طائة وخمسون راكبا هـ وكان عدد السفن التي تحمل آلات الحرب والحصار من الاخشاب الكبار وغيرها ست سفن هـ وكان عمدة المراكب برسم حمل الازواد والرجال أربعين مركبا هـ وفيها من الرجال المشقة وغلطان الخيالة وحناء المراكب وأبراج الزحف ودياباته ما يتم خمسين ألف راجل ٥٠٠٠ (١) هـ وقد توفسوا المسلمون حين هزمو الفرنج في حطين قدوم الامدادات الكثيرة هـ فهذا القاضي القاضى يفسر حيث الانتم اخا صالح الدين في اليمن بالفتوحات وتوقفها عند سور فيقول : ولهم في هذا الجانب الا صور ولولا اننا لم نجد لها والمراكب تردنا لكان قيادها قد أمكن وبما فيها قسمة اذ عن ٥٠٠ شيقول : * وأنهم لم يستفهم الله هـ أم لا تحصي ويوش لا تستقصى ٥٠٠ وقد كتب المستخدمون بالاسكندرية وعاصمتهم شينينة والشور المصرية يندرون بان الحدود قد أصبحت أبر وحاول ثكرا ٥٠٠ (٢) هـ وقد صدقت توقعات قادة المسلمين هـ فقد جاءت أم لا تحصي من كل حذب وعوب :

لينصر القسبر والأقصادار تحذ لسه
الى الصوامع بالقاه ترسل لسه
وأستكنوا السان والهيجهما تنقل لسه
من غير ضرب ولا طعن يزل لسه
جيش السدو فيسببهم تخيل لسه (٣)

فكم طين لهم شق البحار مرى
وكم ترقل منهم فيل، بنس
استمرخوا الأبل والعدوى تحرقهم
كم تد أعدوا هـ وكم قد قتل جمعهم
وإنما اسم صالح الدين يذكر في

ومن ذلك فقد تدفقوا الى عكا بأعداد وعظما السداد الاعفاني والقاضي القاضى أبلش وصف هـ يقول السداد في وصف تدفقهم على عكا بالرغم من خسائهم : * عكا أعز لك في نقصهم هـ ولا أرت إلا نار حرصهم هـ وليس هذا السدو بواسطه فينجي نفسه التدبير ويأتي عليه التدبير هـ وإنما هو كن من وراء البحر وبين من ديار الشر ٥٠٠ (٤) هـ ويقول القاضي القاضى في وصف تدفقهم على عكا : * ومن خبر الكفار أنهم الى الآن على عكا هـ يجدهم البحر بمراكب أكثر عدة من أبواجه هـ ويخبر للمسلمين منهم أمر من أبواجه هـ وقد تصاعدت ملوك الكفر على أن ينهبوا اليهم من كن غرقة طائفة هـ ويقلدوا لهم من كن ترون يعجز بالفرقواصفه هـ فإذا قتل المسلمون وأسدا في البر يست البحر عونه ألسا هـ وإذا ذهب بالنفس صنف منهم أشك بدله صفا هـ فالزمن أكثر من البزاد هـ والشرة أنى من الحصصاد ٥٠٠ (٥) هـ

- * الدريدة هي سفينة برسم حمل الخيل * الشيني : السفينة العربية الكبيرة
- (١) طين الكرب ١٢/١ صبح الأضى ٢٥/٧ هـ الروضتين ١٢٦/٢
- (٢) (٤) الروضتين ١٤٩/٢
- (٣) الروضتين ١٥١/٢
- (٥) صبح الأضى ١٢٧/٧ هـ ١٢٨

ثم يقول في وصف الاجناس المختلفة التي اجتمعت في جيشهم " واجتمع في هذه الجموع من الجيوش
الشرية والالسة العجمية من لا يحصر معدوده ولا يصور في الدنيا وجوده ، فلما أحقهم بتول أبي
الطيب :

تجمع فيه كل لسن وألسنة فما يفهم الحداث الا التراجيم
حتى أنه اذا أسر الاسير واستأمن المستأمن اجتج في فهم لخته الى عدة تراجم . ينقل أحد
عن آخر ، ويقول ثان ما يقول أول وثالث ما يقول ثان ... (١) وفي وصف الامدادات البحرية يقول
القاضي : " فلهي طافية من طوافيتهم ولا أنفية من أنافيتهم الا الجم وأسرج ، وأجلب وأرماج ،
وخن وأسرج ، وجاد بنفسه أو بولده ومعدده ومذات صدره ومذات يده ، ومكائنه بمر
ومراكبه بحرا ... كل خن متلوها وأهلع مسرعا ، وأتى متبرعا ودعا نفسه قبل أن يستدعي ، وسمى
الى حقتها قبل أن تستسمى ، حتى ظننا أن في البحر طريقا يسا وحتى تيقنا أن البحر قد
شلا وعسا ... " (٢) ويقول : فأنبرى ملكا افرنسيين وانجليتيره وملوك آخرون في مراكب بحرية وعالمية
حلوا فيها الخيول والخيالة والمقاتلة والالة ، ووصلت كل سفينة تحمل كل مدينة ... " (٣) وهذه
أمثلة قليلة من شواهد كثيرة . نلاحظ من خلالها اعجاب الادباء بحماس الفرنج وجلدهم رغم
باطلهم ، ومن هنا اتخذوا مواقفهم هذه أداة تحريض للمسلمين : القادة منهم والرعية . يقول
العماد : " تأين حمية المسلمين ونخوة أهل الدين ، وطيرة أهل اليقين ؟ وما ينقضي عجبنا من
تتأفر المشرق على شركه ، وتظايره في اتساح ملكه ، واتساق سلكه ، وقعود المسلمين عن المسلمين
وتقاعد هم ، وتمتثلهم في تماضدهم ، وألحلال عقود تماقدتهم ، فلا ملهي فهم لناد ولا مثقف
لناد ولا موري ملهم في اجابتداح لزند ، فانظروا الى الفرنج أي مورد وردوا وأي حشد حشدوا ،
وأية ضالة نشدوا وأيقجدة أنجدوا ، وأية أموال هزموها وأنفقوها ، وجذات جمعوها ، وتوزعوها
فيما بينهم ولفرقوها ... " (٤) ولا يتبادر الى الذهن ان هذه دعوات يائسة ، وتسليم بالواقعية ،
وانما هو نوع من الاثارة ، فمبارات الصناد تمنى أن الفرنج مجتمعون بالرغم عن كونهم على باطل ،
وأن المسلمين متفرقون بالرغم عن كونهم أصحاب حق وكان الاجدر بهم أن يجتمعوا ، ولذا ما ذكره
القاضي الفاضل بعد كسرة المسلمين في عكا : يقول : " وما وهنا لما أصابنا في سبيل الله ، وما
تسائنا ولا رجعتنا ولا انصرفنا ، بل نحن بمكاننا ننتظر أن يبرزوا فنبازهم ويخرجون
ننأجزهم ... " (٥)

(١) الروشتين ١٨٥/٢ ، وانظر النوادر السلطانية ١٢٦

(٢) صبح الاعشى ٥٢٨/٦ (٣) الروشتين ١٨٨/٢ - ١٨٩

(٤) للمزيد من الامثلة أنظر : الفتح القسي ٢٩٨ ، ٣٠٧ ، ٤٧٨ ، ٥٩٣ ، صبح الاعشى ٣٦٨/٧

١٣/١٤٨٨/٦٠ ، النوادر السلطانية ١١٤ ، ١١٨ ، الانس الجليل ٣٥٩/١ ،
الروشتين ١/٢٥٢٣٤ ، ١١٧/١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٨

١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، مفرج الكروب ٢/٢٨٨ ، ٣/٢٤٥ ، زبدة الحلب ٢/١١٣ ،
١٣٠ ، الكامل ١٠/٤٧٩ ، ١٢/٧ ، ٥٢ ، ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق ١٢١ ،

الاهتبار ٣٣٠ ، ابن الفرات ١٥/٨٣ ، النويري الاعلام بالاعلام ١٦٣ ، موزون تاريخ
الحروب المقدسة ٦٧ ، مذكرات جواننيل ٨٣ ، ١٤٢

(٥) الروشتين ١/١٨٩ (٤) الفتح القسي ٣١٦

من أعظم أسباب الجهاد ترحيل كثير من أنفارهم ، والحرص في تبديل دارهم ، إلى أن صار السد واليوم إذا نهض لا يجد بين يديه دليلاً ولا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلاً (١) ٠٠٠

هذا فيما يتعلق بتعاون الفرنج مع المنحرفين من المسلمين ، أما تعاونهم من مكان المنطقة من غير العرب ، فقد أشرأبت نفوسهم للتعاظم أولاً مع الأرمن ، ثم غيما بعد مع التتار حين غزا هؤلاء بلاد المسلمين ، وقد كاد الفرنج يوقعون المسلمين بين فكي (كفاشة) باتحادهم مع التتار ، ولكن الوقفة الشجاعة التي وقفها قطز هدمت هذه الآمال ، وقربت نهاية الطرغين ، ومن الأدلة على تعاون الأرمن مع الفرنج ضد المسلمين ، ما أوردنا للمعاد بشأن ملك الألمان الذي جاء بجيش عظيم لانقاذ القدس وغيرها ، فط كان من الأرمن إلا أن اتصلوا بمصالح الدين يخبرونه بالجيش البزار ، وكان قصدهم من ذلك إثارة الفزع في نفوس المسلمين ، يقول المعاد : " ولا شك أنه إلى جنسه النجس مائل وملافة أهل ملته قاتل " (٢) وهذا ما جعل الشاعر الجلال الواسطي من الخطاب المقرئ يهاجم في شعره ملك الأرمن " ابن لاون " وذلك إذ يقول :

أزرت ابن لاون لا واه
فأضحى به خبراً من عسكـان
ودان من السد لا يرعى
حذارا من الراغبات اللـدان
فلا قدم عنده للشـبا
ت وليس له سلطانك يسـدان (٣)

وقد تعاون التتار مع الأرمن لنصرة الفرنج في النصف الثاني من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الهجري) ، واجتمعت قوات هذه الأحلاف بأعداد هائلة وهاجموا حمص ، ويصف ابن عبد الظاهر تعاون تلك الأحلاف فيقول عن ملك الأرمن أنه " كان يحصى سرخهم ويحصد صرخهم ، ويستنطق هتف التتار ويسترجع مدحهم ، وتتمتر طرا بلس الشام بأنه خال ابنهم الكافر ، ولسان مشورته السكير ، ووجه تدبيره السافر ، ولالما غر وأغرى ، وجر وأجرى ، وضر وأضرى " (٤)

وقد عبر عن ذلك شعراً بقوله :

وأستجمن الجمل والتكفور وأنفقوا
مع الفرنج ، ومن أرى به الكـسر
جاءت تطنون ألفاً من بصوتهم
لأرض حمص فكان البعث والنـسر (٥)

ولكن اتحاد مصر والشام ثانية زمن المظفر لم يكن المنصور قانون من إيقاع الهزيمة بهم ، فكانت بداية لطردهم من الشام كما يقول أحد شعراء دمشق :

هالك الكفر في الشام جميعه
وأستجد الأسلم بمحدر حوضه
بالمظفر المظفر المظفر
وج سيف الإسلام عند نهوضه (٦)

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٥٢٦ - ٥٢٧ (٢) الروضتين ١٥٠/٢

(٣) الروضتين ١٦/١

(٤) نهاية الارب ج ٥ / ١٥٧ ، وللمزيد من الامثلة انظر الروضتين ١ ق ٢ ، ٣٧١ وأحمد بدوي في صالح الدين الايوبي بين شعراء عصره وكتابه ص ٥١

(٥) عقد الجمان ج ٢٠ ق ٤ ورقه ٦٧٨ مشط ، وانظر عقد الجمان ٢/٢٠ ورقه ٤٨٥ ، ٤٩٢ والقديس لوي ص ٢١١

(٦) الروضتين ١٣٩/١

وحين فتح صلاح الدين القدس بعد ذلك " رأى ملكاً كهلاً وبعثاً كبيراً الكناد ، وعزائمه تسد
تألفت وتألفت على الموت فنزلت بحرصته ، وكان عليها مورد السيف وأن صوت منصفته " (١)
وفي حصار عكا سنة ٥٨٦ هـ جاءت الحيوث الفرنجية من كل صوب " فدبوا بها في راجل كربيل الدماء
وسيل أغتت الوهاد والرتى " (٢) ويقول القاضي في وصفهم : " فإنهم قد أخذ لهم الله
أمر لا تحصى ولا يحصى لا تستقصى ، وراءهم من ملوك البحر من يأخذ كل سفينة غصبا ، ويسلم في كل
مدينة كسبا " (٣) ، وحين هاجبوا دميلاً زمن الملك الكامل بن العادل جاءوا بأعداد
لا تقف عن الأعداد التي جاءوا بها في المرة الأولى ، يقول القاضي غرة هبة الله بن محاسن في
ذلك :

ولما طغى البحر الخصم بأفله للبلاد (م) خاة وأضغى بالمراكبه من ~~البلاد~~
أقام لهذا الدين من سل عزيمته
ويقول ابن دنيور في ذلك :

إلا م التبادي والفرج بجمعهم
على بيبر دميلاً كما انتظم المقصد (٥)
ويقول ابن عنيق في وصف الجيوش الفرنجية :

قد أفتقوا رأيا وعزبا وهمسنة
تداعوا بأطوار الصليب فأتلبست
عليهم من البادئ كل مظانسة
وديناً وإن كانوا قد اختلفوا لسنسنا
بمن كانوا ليس كان لهم سنبسنا
لا سكون الصبر قد أحكت وبسنا (٦)

وحين هاجبوا مصر في المرة الثالثة سنة ٦٤٧ زمن الملك الصالح نجم الدين أيوب وأبنته الممثلة
توران شاه كانوا في عدد عظيم ، يجمعهم أسلها وتلقوا أنهم قد أحيط بهم ، ولكن توران شاه استنزل
فيضان النيل وهاجمهم هبوطاً شديداً قد رتبهم وأوقف تقدمهم ببل جعلهم يتراجعون ثم استسلموا ،
يقول رسالة صدرت عن الممثلة توران شاه إلى نائبه في دمشق : " فإن كان قد استنزل أممهم
(أمر لوب القاسم) واستحكم شره ، ويشد العباد من البلاد ، والأهل والأولاد ، فسيودوا
لا تياسوا من نبي الله " (٧) ، وفي معركة حدة ، زمن المنصور تلتحقون أحمد الفرنج والأرجين
والتتار فكونوا جيشاً جراراً يذكر عدده ابن عبد الظاهر فيقول :

جاءت ثمانون ألفاً من بحوثهم
لأنهم سرروا فكان البعث والنفسر (٨)

(١) صبح الأعشى ٥٠٦/٦

(٢) الروشدين ١٦١/٨

(٣) صبح الأعشى ٢٤/٧

(٤) القسري ، السلوك ، المسرعة دول الملوك ٧٠٩/١/١

(٥) ديوان ابن دنيور ورقة ٤

(٦) ديوان ابن عنيق ٣٠

(٧) شبايق الأرب ٢٧ ورقة ١٠١ مشلول

(٨) عهد البطان ج ٢ ق ٤ ورقة ٦٧٨

وأخيرا في معركة عكا سنة ٦٩٠ تجميع الفرنج من جميع المناطق ودافعوا الملك الأشرف عنها ولولا نصرته لها وحصاره المستمر لما استطاع استعادتها (١) .

هذه أمثلة سريعة * تلعب من خلالها بيان الأدب لاستعدادهم وتشدد ضم وأحتمالهم المشقات من أجل الوصول إلى الهدف * وإذا كان أدباء العرب قد نوهوا بصير الفرنسيين وشجاعتهم * فإننا أرادوا بذلك استنهاض هم المسلمين * وكان الأدباء أرادوا المقارنة بين موقف الصليبيين الذي يثير الإعجاب وموقف المسلمين الذين لم يقدحوا بقوتهم كلها في الميدان * ولهم استنفاد الطاقة في دفع العدو عن بلادهم * على أن التعظيم لعدد ضم لا يخلو من مسدود آخر وهو تعظيم نصر المسلمين * فكلما كان العدو قويا * كانت قيمة النصر أعظم * وهذا مما أشار إليه الشاعر عبارة اليمنى حين مخاطب شاور السعدي بقوله :

وما تعدت بمخطيبي عداك * * * * *
تعظيم شأنك * فأعزني ولا تلمس (٢)

صورة الجيش الصليبي وحركته * * * * *

استولى الجيش الصليبي المنظم أنظار الأدباء * فوصفوه كلا متكاملا في حالة الثبات والحركة والهجوم * وهو في هذه الحالات كلها لا يخرج بعضه عن بعض ولا يتأخر فريق عن فريق * وبذلك يحسون أنفسهم من أي هجوم إسلامي على جزء منضبط منه .

(١) أنظر جواهر السلوك ورقة ٤٠ وما بعدها
لمزيد من الأمثلة أنظر : الروضتين ١/١/٥٣ * ١١٧/٢ * ١١٨ * ديوان أصامة
بن منقذ ٢٠١ ديوان البهاء زهير ١٢٣ * عقد الجمان ج ١٢ ق ٣ ورقة ٤٦١ * ٤٥٢ *
ج ١٧ ق ١ ورقة ١٨٠ * الباهر ٣٣ * ٥٦ * الفتح القسي ٢٦٦ * ٣٣٢ * ٣٩٠ *
٤٣٩ * ٥١١ * ٥٢٢ * ٥٧٨ * الكامل ١١/٥٩ * ٤٥٦ * ٢٩/١٢ * مفسر
الكروب ٢/١٤٨ * ٣٠٠ * ١٤٥/٣

* * أنظر الروضتين ١/١/٣٩ * ١٤٩/٢ * ١٥١ * ١٥٤ * ١٦١ * ١٩٠ * الاعتبار
٤٨ * صبح الأعيان ٧/١٢٨ * النوادر السلطانية ٩٧ * ١٦٤ * ١٩٩ * مفسر
الكروب ٢/٢٨٣ * الكامل ١٠/٦٢٦

(٢) الروضتين ١/٢/٥٧٢ * وفيات الأعيان ٢/١٥٩

ونجد هذه الظاهرة عندهم منذ بداية الحروب الصليبية حتى منتهاها ، فحين حاصر عطا الدين زنجي حسن القارب " اهتموا بجمع الفرسان والابناد واحضروا من امدادات البنادق وبجمعوا الدانسي والقاضي ، والصليبي والساحبي ، واقبلوا في جموعهم المشورة بحسب اكرههم المجرورة واعادهم المشورة ، وسلبا منهم وينودهم وكنودهم ، وجاء اليه وقد غص بهم من الارض جنوبها بمواضع منهم شطالهمها وجنوبها " (١) ونشاهد مثل هذا التحرك البطيء زمن نور الدين ، يقول ابن منير :

اجازوا الارما لهم شيوخهم
بصيد الشور ملتطم العيس
مثنوا متساندين الى صليب
يبرقع شهوة الصم الصليب (٢)

وقد ظهرت هذه الصورة بشكل أوضح في معارك عكا لأن الفترة التي استغرقتها دامت سنتين ، فعرف المسلمون الفرنج عن كثب ، يقول العماد في وصف هجوم فرنجي على المسلمين : " خرجوا يوما قبل المصير ، في عدة كالليل خارجة عن الحصر ، قد التأموا واستلأوا وانضموا وانتظروا ، وتقدموا واقدموا للبلوارق حاملين وللسيوف مجرى بين " (٣) ، وبعثوا وصول جيشهم الى أرض المعركة في " جمع شك ، وجمرك ذلك ، وتنتظريات طائرات ، وسابريسات سائبات " (٤) .

هكذا ركز الأدب على اظهار حركتهم بشكل جماعي إذ يخرج فارسهم وراجلهم بشكل جماعي ، إذ يخرج فارسهم وراجلهم وملوكهم وقوامصهم وكنودهم ، ويشكلون في أرض المعركة مقدمة ومهتة ومهيرة وقلبا ، وفي هذا الاطار تجد التنسيق الدقيق ، فالرجالة محدقون بالفرسان والفرسان يحيطون بالعلم المرتفع ، فان كانوا في حالة انتقال من مكان الى مكان ، سار الجيش دون أن يستجيب لاستغزات المسلمين الا حين الضرورة ، بل إنه يتحمل المهام الشريفة ولا يقدم على معركة لا تناسبه ، حتى اذا ما أحضر جانب من الجيش بالارهاق جاء جنود ممن الجانب الآخر وحلوا محل الجنود المحاذين للمسلمين ، حتى يصلوا المكان المقصود ، يقول ابن شداد : " ولم قسم آخر من الرجالة مستريح ، يمضون على جانب البحر ولا قتال عليهم ، فاذا تعب هؤلاء القادة أو أضعفتهم الجراح ، قام مقامهم القسم المستريح واستراح القسم . السائل هذا والخيالة في وسطهم لا يخرجون عن الرجالة الا في وقت الحملة لا غير " (٥) وفي وسط القوم برج على عجلق ، وعلفهم يسير أيضا في وسطهم كالبنارة السطحية ، وصاروا على هذا المثال " (٥) .

(١) الباهر ٤٠ وانظر الكامل ٣٠٦/١١

(٢) الروضتين ١/١٧٦٩

(٣) الفتح القسي ١٦٤

(٤) نفسه ٦٦

(٥) الروضتين ١٩٠/٢

وان كانوا في حالة هجوم فإنهم يهجمون بشكل منظم وبأقصى قوة استطاعة ، يقول العمسباد :
 " وللدأوي دوي والاستباري هوي ، والباروني يقدم على البوار ، والتركبوني يلقي نفسه على النار (١)
 وأما إن كانوا في حالة سكون فمن الصعب استشارتهم ، بل يبقى تركيزهم كما هو : الرجال تحمسي
 الخيالة ، والخيالة تحيد بالحلم ، يقول العماد : " ووقفوا على صهوات الخيول إلى صهوة
 النهار والراجل صعدق بهم كالأسوار ، وأصحابنا قد قربوا منهم حتى كادوا يخالطونهم ...
 ولم ثابتون ثابتون ، وعلى مواضعهم ثابتون ، كالبنيان المرصوص ما فيه خلل والحلقة المرفقة صا
 إليها مدخل وكالسور المحيط ما عليه متسلق ، وكالجبل الأشم ما فيه متعلق ... (٢) ، ويقول أيضا
 فإنهم إذا نزلوا صعب نزلهم ، وأتعب قتالهم ، وإذا انبثوا تعدد حصدهم ، وإذا اثبتوا تنسر
 تصدعهم ، وإذا التصقوا ببذل الأرض صاروا كالقراد ، وإذا حلقوا في جو الدؤاروا كالجراد ،
 فعند الانتشار يمكن التقاطهم ، وعند الانحصار يمكن احتياطهم ... (٣) .

هذه أمثلة عن صورة الجيش المتكامل* ، أما الفارس الصليبي ، فهو يتصف بالشجاعة
 والإقدام ، وينحني بنفسه ليكون سورا للأخريين ، وما يدل على ذلك ما يرويه ابن شداد عن شاعر
 عيان " أن فارسا وقع فيه زعاع شخصين سبها وهجرا وهو يتلقاها ولا يمنعه ذلك عما هو يصده من
 الذب والقتال " (٤) وما يقوله العماد في وصفهم بأنهم " قد التأموا واستألموا وأنسوا وأنتلموا
 وتقدموا وأقدموا " (٥) وما يقوله في وصف أفرنجي " كأنه بجني مستشيد ، للشيطان نجى ، وهو
 يدافع ويمنح ويكافح عن تلك الشجرة ويتأرجح ... " (٦) .

ولم تقل شجاعة نسائهم عن شجاعتهم ، فقد وجدت عددا من مقتولات وكانتها نوارس نسبي
 هيئتها وشجاعتها ، ولم يكن بإمكان المسلمين تبين هويتها إلا بعد تمريرها من الدروع ، مما
 جعل العماد يقول : " وفي الفرنج نوارس لهم دروع وقوانس ، وكن في زى الرجال ، ويرزن نسبي
 حومة القتال ، ويملن عمل أرباب الحجا وعن ريات حجال ... " (٧) * *
 ويظهر من الأدلة السابقة صفة أخرى هي الصبر وتحمل المصاعب ، يقول ابن عيين :

لقد صبروا صبرا جميلا ودافعوا	داويا فما أبجدي دفاع ولا أغنى
لقوا الموت من زرق الاسنة أخمرا	فألقوا بأيديهم إلينا فأحسننا
أسود وغى لولا قران سيوفنا	لما ركبوا قيدا ولا سكتوا سجننا (٨)

- (١) الفتح القسي ٦٢ (٢) نفسه ٢٩٩ (٣) نفسه ٢٩٦
 * للمزيد من الأمثلة أنظر : الفتح القسي ٢٩٨ ، الخريدة قسم الشام ١/٢٣٥
 ديوان دافر الحداد ٣٧٥ ، الروضتين ١٢٩/١٩٠ ، النوادر ١٠٢/١٠٩٦
 الكامل ١١/٥١٠٣ ، ١٤٨١ ، ١٢٥٥ ، ١٢٣٣/٣٧٥
 (٤) النوادر السلطانية ١٦٧ ، وأنظر ١٦٦ ، والفتح القسي ٣١٢
 (٥) الفتح القسي ١٦٤ (٦) نفسه ٥٠٤ (٧) نفسه ٣٤٩
 * * للمزيد من الأمثلة عن الشجاعة أنظر : الاعتبار ٦٤ ، النوادر السلطانية ٢٢٣ ،
 عقد البيمان ١٧٢ ق ١ ر ١٩٩ ، الكامل ١١/٣٥٤ ، ٥٥٥ ، الباهر ٤١
 (٨) ديوان ابن عيين ٣٠

ومن الصفات الأخرى التي وصف بها الجيوش الفرنجية اهتمام الفرع ، سواء باستغلال الشمس شرق
الحياسي عند المسلمين أو باستغلال الظروف الطارئة ، فحين استنجد بهم شاور من مصر عند
أحد الدين غيركوه ، أتوه على الصعب والذلول طمعا في ملكها (١) ويظهر هذا الطمع
في قول مري لأصحابه : " ان نور الدين بحلب ، وجساكوه متفرقة ، ومقى وصلنا الى مصر لم يكن لنا
من يصدنا عنها فأجابه الى مراده " (٢) ، ويبدو من قوله هذا اهتمام الفرنج بمصر وعن
العالم الإسلامي لاهتمامها في تقديم الاموال والرجال ، ولأنها تشكل من الشام فكي (كما سمعته)
تجبدت مطالبتهم التوسعية .

هذا وقد وصف الادب لياهم في المصركة وأشكالهم ، فبعد السداد يصف ليار ، فارس ،
يقوله : " قد أخذ طارقه لجسده صدفا ، وصار لسهام المنيعة هدفا ، وهو كأنه ما نصب لحيته
من النشاب القنفذ ، وتلك السهام من لبس الحديد لا تنفذ (٣) ، وقد أثنى الشاعر المصري
ابن ساره الأصبلي على هذه الصورة في موعظ وعظه لبركة فيها سارحف ، إذ شبهها بالجيوش
الفرنجية على رؤوس جنده المنوذ وعلى أكتافهم الطوارق يقول :

من الأفاعير أهدانها ولها وطمس
في طائها ، ولها من هوى لحصف
برد المشي فتستدني وتنصف
بيتر النصراني على أكتافها الجحش

لله مسجورة في شكل ناظر
فيها سارحف ألها في تقاسمها
تناصر الشدا لا حين يحذر دهمها
كانها حين يديها تصرفهم

ويحقب الرشيد بن الزبير على قوله هذا بقوله : هذا معنى بدیع لا يخطن لحسنه الا من رأى
غسان الفرنج في طوارقها ورؤوسهم أشبه الأشياء برؤوس السارحف لما عليها من الشانوق (٤)
ويحفظهم ابن سداد بقوله : " وعليهم الكبورة الشغينة والزرديات السابضة المحكمة بحيث
يقن فيها النشاب ولا يتأثرون " (٥) ، ثم يقول : " ولقد شاهدتهم وينشرون في ظهر الواحد
منهم النشابة والمشرية وهو يصير على شوسته من غير أنزطاج " (٦) .

هذه هي هيئة المقاتل الفرنجي ، الرابعل منهم أو الفارس ، وقد وصف ابن سداد
صورة الفرس التي يركبها الفارس ومقدار ثاقبهم في تزيينها بالزرد حتى الخواصر يقول : " وكان
عليه ليد ، لم ير مثله (٧) .

(٢) ابن الفرات مج ٤ ج ١ ص ١٩

(١) الكامل ٣٦٤/١١

(٣) الفتح القسي ٥٠٤

(٤) الخريدة / قسم شعراء مصر ج ٢ ق ٤ ص ٣٧٨ وأظن ابن القائل ص ٣٣٨

(٥) النوادر ١٧٦ ، ذيل تاريخ دمشق ٣٤٣

(٦) النوادر ١٧٦

(٧) نفسه ١٥٠

ومع أن تلك الصفات امتاثرت بأعجاب الأدباء بهم إلا أنها كانت تنطمر أو تكاد لا تنفسار
 الفرنج إلى النزعة الانسانية إذ إن الشجاعة المظلمة ترتبط عادة بسمات انسان كريم ، كالسماح
 ونبل الاختلاف والتواضع عند النصر ، ولكن الفرنج لم يتخلوا بهذه الصفات ، مما جعل أسامة يسن
 بنقد يقول فيهم : " إذا خبر الانسان أمور الفرنج سمع الله تعالى وقدسه ، ورأى بهائسهم
 فيهم غشيلة الشجاعة والقتال لا غير ، كما في البهائم غشيلة القوة والمحمل " (١) ، فلا عجب إذ
 أن يشد أدباء العرب أحكاما قاسية عليهم ، حتى وإن أشادوا بشجاعتهم وشجاعتهم وشجاعتهم
 وما وسم به الفرنج على السنة أدباء العرب ، الفرور والقدرة ، والوحشية والمقد والجهل والتعدي
 على الآخرين . . . وقد ذكرنا أدلة كثيرة مضت في معرض الحديث عن المصراع الحضاري ، لكن لا
 بأس أن نذكر مثالا جامعاً للمصاد في وصف المركب صاحب صور يقول : " وكان المركب من أكبر
 دواغيت الكثر ، وأغوى شياطينه وأضرى مراحينه ، وأخبث ذنابه ، وأثبت كآبته ، وأغوى أعوانه ،
 وأخون اخوانه ، وأبشى بغيته ، وأجفى جفاته ، وأرعى خطاته ، وأحقى رذاته ، وشر شراره ،
 وأنكر نكاره ، وأفجر فجاره ، وأروغ شماليه ، وأصب عتاره ، وأحنت مما حديه ، وأنكسبت
 متاقدية . . . " (١) ■

وقد قدم الأدباء في مقابل ذلك صورة للبطل المسلم بعيدا عن الخيش والسمور
 شجاعا تقيا طابا متواضعا ، يقظا كريما ، موعظا للظالمين ، قريبا إلى قلوب الناس الذي يمن
 يحكمهم ■ ■ ■

(١) الاعتبار ٦٤ ، ٦٧

(٢) الفتح القمي ١٠٦

* لمزيد من الأمثلة : النوادر ١٦٦ ، الروضتين ١/١ ، ١٨٣/١ ، ١١٢/٢ ، الفتح ١٠٦ ،

١١٠ ، ديوان أسامة ٢٠٣ ، الكامل ١١/١٢٩

* * أنظر أمثلة على هذه الصفات : الروضتين ١/١ ، ٤٣/١ ، ٥٠ ، ١٠٥

جانيق ١٣/٢ ، ٥١٣ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠

وبالإضافة إلى الترس والسيف فقد استعملوا الدروع الحديدية الواتية لهم ولا غيلهم * يقول ابن جرير
 شداد عن ابن ملك الألمان إنه " عرض عسكره في اثنين وأربعين مئذنة ٠٠٠ " (١) وبناءً على
 المحجم الوسيط أن التجفاف آلة للمعرب من حديد وغيره يلبسه الفرار أو الإنسان ليتقيه في الحرب *
 كما استعملوا النشاب والجرن * وقد ذكر ذلك ابن الوردي الذي شارك في معركة عكا الأخيرة
 سنة ٦٩٠ هـ (٢) .

وأما الآلات الثقيلة * فقد أظهر الأدب أنواعها وصورها بشكل مفصل * وذلك لتصوير ثروة
 الجيش الفرنجي وكثرة عدده * وقد كان بعض هذه الآلات يصنعها الفرنج في أرض المعركة مثل
 الأبراج والدبابات والمبانيق والجسور * وكان بعضها يأتي مصنوعة من باندنم * وأخصها
 القلح البحرية .

وقد استخدمت القلح البحرية * في نقل الجنود والسلاح والميرة من أوروبا إلى المشرق
 الإسلامي * كما كانت تستعمل أيضاً في عمليات الهجوم ضد المدن الساحلية * يقول ابن الفرات
 في تاريخه " إن الفرنج نزلوا على دمياط سنة ٥٦٥ هـ في عالم عظيم * وكان وصولهم في السف
 ومئة مركب ما بين شين ومسلح وطريدة " (٣) * ويقول الحماد في حديثه عن ملك الانجليز
 " وكان معه من الشواني خمسة وعشرون قسعة كل واحدة منها تشابي ثلثة وتوازي قلعة *
 وأحدث في القلوب روعة وأرت في النفوس روعة " (٤) * وفي حصار دمياط سنة ٦١٥ هـ وصل
 للفرنج مركب عظيم يسمى " مرقة وحوله عدة حراقات يحصونه * والجميع ملؤ من المسيرة
 والسلاح وما يحتاجون إليه " (٥) * ولكن ذلك لا يعني أنهم لم يصنعوا مركب في الأرض التي
 احتلوها * فقد ذكر ابن الأثير أن البرنار ناط على أسطولا فأنزله في بحر إيل * وأثرتوا غرقتين
 الأولى على حسن إيل وهو للمسلمين والثانية على عيذاب " (٦) .

والأمثلة على استعمال السفن في الهجوم على المدن المحصنة كثيرة * ومنها ما ذكره ابن
 الفرات أيضاً من " أن الفرنج أخذوا مركبا يحلو سور دمياط وحصنوه من الرمال والساحل وأجروه
 في البحر إلى أن وصل سور دمياط فوثقوا منه إلى السور وثخوثا " (٧) .

(١) النوادر ١٢٦ هـ وانظر الكامل ٤٦ / ١٢

* الجرن : نوع من الأقواس الرامية التي يرمى عنها النشاب أو النش.

(١) تاريخ ابن الوردي ٢٣٥ / ٨ * أبو الفداء / المستشرق في تاريخ البشر ٢٥ / ٤

(٢) تاريخ ابن الفرات مج ٤ ج ٨ ص ٨٣ وانظر المراكب في ابن الأثير ١٢١

(٣) التلخيص القسي ٤٨٤

(٤) مفرج الكروب ٩٥ / ٤

(٥) الكامل ٤٩٠ / ١١٠

(٦) تاريخ ابن الفرات مج ٤ ج ٨ ص ٨٢ وانظر آثار البلاد للقريني ١٩٤ هـ ٢٢٢ وتاريخ

ابن الفرات مج ٥ ج ٨ ص ٢٣٠

ومن المدن الساحلية التي تعرضت لهجوم المراكب مدينة عكا ، فقد ذكر ابن شداد أن الفرنج أعدوا في البحر بحسة هائلة وضعوا فيها برجاً به خرطوم اذا أرادوا قلبه على السور أنقلب السور بالحركات ، ويبقى طريقاً الى المكان الذي ينقلب عليه فتعشى عليه المقاتلة " (١) ، كما وصف المصاد أحد المراكب التي هاجمت عكا فقال : " وأخذ تلك المراكب قد ركب بين على رأس صارية لا يطاقوله طول ولا يباريه ، وقد حشي بالنفط والحطب وضيق عطنه لسعة المخلب " (٢) ، وقد أعتمد الفرنج على مثل هذه المراكب في حربهم للمسلمين في عكا سنة ٦٩٠ هـ ، فيروى ابن الوردي وقد أشترك في المعركة ، أنه شاهد " مراكب مقيمة بالخشب الحلب ، جلود المجاهدين ، ويرصى الفرنج منها بالنشاب والجروح ، والقتال من قدامهم من جهة المدينة وعن يمينهم من البحر " وأحضروا بحسة فيها منجنيق يرصى على الحمير " (٣) .

ومن الآلات الثقيلة التي صنعوها ، الأبراج ، وثلاحظ أنهم أعتمدوا عليها في وقت مبكر من الحروب الصليبية ، إذ أستخدموها في حصار صيدا سنة ٥٠٤ هـ ، فحصلوا برجاً وزحفوا به على سورها ، ويذكر ابن القلانسي هيئته بأنه " ملهي بحطب الكرم والبسط وجلود البقر الطرية لينح من الحجارة والنفط ، وكانوا اذا أحكوه على هذا الصورة نقلوه على بكر تركب تحته في عدة أيام متفرقة " (٤) . وقد زاد أعتمد هم على الأبراج في حصار عكا ، وذلك حتى يصلوا السور سورها فينقبوه أو يرتقوه ، ولما أحتاجوا الى المواد الأولية أستوردوها من أوروبا ، وتحملوا غسي نقلها المصاعب الكثيرة ، يروى ابن واصل أن " الفرنج قد شرفوا في بناء ثلاثة أبراج طالية عظام ونقلوا في البحر آلاتها ، وأخشابها الجافية وقطع الحديد ، وتعبوا فيها سبعة أشهر ، فسلت كأنها أطواد ، ونهبت في ثلاثة مواضع من أقطار البلد ، وملئت طبقاتها بالعدة والسدد وكل بين منها في أركانها أربع أسلوانات طالية تفلأظ ، طول كل واحدة خمسون ذراطاً لتشرف على ارتفاع سور البلد وسطوها على دوائر المجل ، ثم كسوها بجلود البقر ، وسقوها بالخشب والشجر " (٥) ، ويصف ابن شداد مباحثها وسعتها فيقول : يسح الواحد منها من المقاتلة ما يزيد على خمسمائة نفر على ما قيل ويتسع سطحها لأن ينصب عليه منجنيق " (٦) .

ويلاحظ المصاد بلغة الوثيقة ما ذكره ابن شداد وغيره مبيناً أن البرج يتكون من عدة طبقات فيقول : " وركبوها من الأخشاب الطوال الأطوال ، والصمد الثقيل ، وسقوها وسقوها ، ونصبوها وأحكوها ، وسقفوها طباقاً ، وسقوها بالحديد وجعلوا لها منه أطواقاً ، ورتقوها شدداً وشدوها وثاقاً ، ولبسوها بالسلخ وملاوها بالجروح ، وزحفوا بها السور السور وكشفوا بالبرص منها بعض سقوف الدور " (٧) .

- (١) النوادر ١٤١ (٢) الفتح القسي ٤٦٧
- (٣) تاريخ ابن الوردي ٢٣٥/٢ ، إبهو الفداء تاريخ مختصر البشر ٢٥/٤
- (٤) ذيل تاريخ دمشق ١٧١ ، وأنظر زبدة المخلب ١٤١/١
- (٥) مفتح الكرب ٣١٥/٢ (٦) النوادر السلطانية ١٢٠
- (٧) الفتح القسي ٣٦٧ ، وأنظر ص ٣٧٠ ، لوصف الدبابات ، أنظر تحقيق الشيال للنوادر السلطانية هامش ص ٤٦

والآلات الثقيلة التي استخدمها الفرنج هي الدبابة ، وقد جعلها القاضي الفاضل تشبيها للبرج ، مع أن هناك فروقا بين الآتين يقول أنها " تشبه أبراج غوي ، بقاء أشغالها ، وارتفاعها ، وكثرة مقاتليها واتساعها " (١) ، والحقيقة أنها أتصر منها لأن من أعمالها ، هدم الاسوار عن طريق دفعها بالكهش ولذلك يجب أن تكون أقصر من السور أو أعلى منه قليلا ، بينما يكون البرج كما ظهر من الأدلة السابقة أعلى من السور ، أما أنها تشبه البرج في المصحة ، غرما كان ذلك صحيحا ، لأن البرج يتكون من طبقات يحلو بعضها بعضها ، وأما الدبابة فهي مقسمة ولا تتكون من طبقات مرتفعة ، على أن هناك فرقين آخرين بين الدبابة والبرج هما :

أولا : أن الدبابة تتكون من عدة طبقات متداخلة مما يجعلها أقوى من البسسور (٢) ،
ثانيا : أن البرج يختلف عن الدبابة في الشكل وفي المحتويات كما سيتضح من وصف الدبابسة فيما يلي ، وقد ثخن الفرنج في صنع هذه الدبابات مع مرور الأيام ، لا سيما حين تمكن المسلمون من حرق بعضها في عكا ، فجعلوها " بأربع طبقات : الأولى من الخشب والثانية من الرصاص والثالثة من الحديد والرابعة من النحاس وكانت تصلو على السور ، وتركب فيها المقاتلة " (٣) ويصفها العماد بقوله : وكان الفرنج قد اتخذوا دبابة عظيمة هائلة ، قد أظهرت لها في الشر ظائلة ، ولها أربع طباق ، شدها على الارتباط باق ، ولها من الأحكام يا ربوليا ، وشي خشب ورصاص وحديد ونحاس " (٤) ثم يصف أثرها في إثارة الرعب لدى المسلمين يقول : " وبلي البلد منها بكل بلية ، ورزى بكل رزية ، وكانت هذه الدبابة على العجل ، ليقرسوا بتقريبها أسباب الاجل ، فباتت القلوب منها على الوجل ، وكاد أصحابنا يطلبون الأصمان ، وخضع كل أبي وأستكان ، فقارعوا عندها أشد قراع وما صموا أشد صاع " (٥) .

ولما كان سور عكا طائعا ، والدفاع الاسلامي عنها شديدا ، فقد أضاف الفرنج السور الدبابات اضافات أخرى ، مما جعل شاهد العيان ابن شداد يسميها " بالآلات السجيبية والصنائع الخريبة " (٦) ، ومن هذه الاضافات رأس عظيم طويل مدبب لهدم الاسوار ، يقول ابن شداد في ذلك : فأتخذ الفرنج من الآلات المجيبية والصنائع الخريبة ما أسال الناظر اليه من شدة الخوف على البلد (عكا) ، فحما أحدثوه آلة عظيمة تسمى دبابة ، ويدخل تحتها من القاتلة خلق عظيم ، ملبسة بعنايق الحديد ، ولها من تحتها عجل تتحرك بها من داخل ، وفيها المقاتلة حتى ينطع بها السور ولها رأس عظيم ، برقبة شديدة من حديد ، وهي تسمى كبشها ينطع بها السور بشدة عظيمة ، لأنه يجرها خلق عظيم فتهدمه بتكرار نطعها " (٦) .

- (١) - الاطام بالاعلام ، ١٦٥ (٢) - أنظر الكامل ، ٤٥ / ١١
يعني هذا القول أن الأصل فيها أدنى من السور ولكن هذه الدبابة ركب عليها بسور خشبي جعلوها تصلو السور ، أنظر النوادر السلطانية ، ٤٥ هامش رقم (١)
(٣) - النوادر السلطانية ، ١١١ (٤) - التتبع القسي ، ٤٨٧
(٥) - نفسه ، ٤٨٧ (٦) - النوادر السلطانية ، ١٤٠

ويصف السداد بهذا التبهر وعلمه فيقول : " وأستأنف الذريع على دبابه مائة ، والسكة
للمنواعل مائة ، في شكلها رأس عظيم يتان له الكثير ، وله قرنان في طول رصحين كالعود يسمون
الخليطين ، أقال الاسوار بها تفزع ، فكم سور اذا نطحتة لاحتة ، وكم صقل حخته الدشمر
حخته وسخته . . . (١) ، وحقى تفلح هذه الدبابه في أضغاف شحم المسلمين من بهمة
وتناوم الدور النخاية التي كانت تقذف عليها أشكوا بناء ، وألبسوا كبشها الحديد والنحاس ،
يقول السداد : . . . وقد ستفوها من كبشها بأعدة الحديد ، وكملاوا لها أصباب الأحكام
الحديد ، وألبسوا رأسي الكثير بعد الحديد النحاس ، وكمونا حذرا عليها من النار سائس
لباس الباس ، فلم يبق للنار اليها سبي ولا للصلب عليها دليل (٢) .

وقد أحدث الفرنج آلة أخرى تشبه الدبابه أو القوس سمانا ابن سداد بالنور ، إلا أن
رأسها صدد على شكل السكة التي يحوت بها ، ورأس الكثير مدور وهذا يهدم بثقله ، وتلك
تهدم بحدتها وثقلها . . . (٣) .

والآلة الرابعة الثقيلة هي المنجنيت * ، وهو آلة من آلات الحصار والهجوم في ذلك
العصر ، وقد أئنه من الحجارة جليها الفرنج ، معهم مرة من صقلية وقد غوا بها الاسكندرية ،
يقول القاضي الفاضل : ونصبوا ثلاث دبابات بكباشها وثلاثة مبانيق كبارا المقادير ، فحسب
بحجارة أستحجوها من صقلية ، وتجب الناس من أنونا وعظم حبرها . . . (٤) .

وبما يلفت النظر في هذا الجانب أن الأدباء أمعنوا في وصف الدبابات والآلات
ولكنهم لم يقدموا صورة دقيقة للمجانيق الفرنجية ، وإنما وصفوا المجانيق الاسلانية ، يقسمون
شهاب الدين معهود : ونسبت المجانيق (الاسلانية) فلم ترق حتى بنسبها (الفرنجية)
وسطت عليها ، فأصبح قدما في التحامل أبعد من أسسها ، وأستنهضتها السدا فأعظمهم
أنها لا تليق الدناج عن فيرنا بعد أن عجزت عن نفسها ، وسطت أنفسها إمارة على
الانمان ورنحت أسابها : إما إجابة أن تذل للشهم وإما إجابة إلى طالب الامان (٥)
ويقول أيضا :

كأن المجانيق التي قن حولهم رواد سخط ملها النار والصغر (٦)

(١) الفتح التسي ٤٣٢

(٢) المصدر السابق ٤٣٦

(٣) النوادر السلطانية ١٤١

* عن المنجنيت أنظر النوادر السلطانية ٤٣٠ ، وصبح الأعشى ١٤٤/٢
(٤) الإلمام بالأحكام ١٦٥ ، وأنظر تفاعيل الحصار في الكامل ٤١٣/١ ، ابن سداد

النوادر السلطانية ٤١-٤٢

(٥) صبح الأعشى ٣٩٦/٨ ، حسن التوسل ١٤٥

(٦) البداية والنهاية ٣٢٩/١٣

ومما يرتبط بالأسلحة الثقيلة بعض الأدوات المساعدة في الحروب في الجيش الفرنجسي والإسلامي مثل أدوات إطفاء الحريق، أو إلقاء النخل، فقد كانوا يستعملون المتأثر السهمي يتخذونها من الجلود واللحود المملوطة بالنخل والخمر، يقول الصمد في وصف عملية إلقاء الحريق " وجاء الفرنج تلك الليلة فباتوا بالثقلات (براميل صغيرة) يدافعون بالنخل والخمر تلك الشغل المستوليات " (١)

ومن هذه الأدوات الساذل والجسور، ففي حصار عكا سنة ٥٨٦ هـ استعملوا الساذل المسمم الكبيرة الهائلة، كما استعملوها في التسلق على قلعة الطور، لولا أن رماهم المسلمون بالنخل (٢)، وأما الجسور فقد ذكرها عمارة اليمني في معرض مدحه لأسد الدين شيركشوه :
لئن نصبوا في البر جسرا فألكسهم
عبرتم ببحر من حديد على البحر (٣)

وفي سنة ٦٠٥ هـ أثار الفرنج على باب تدمر من جهة، بعد أن مدوا على نهر العاصمي جسرا خشبيا (٤)، سفوه من الأخشاب القوية التي تتحمل مرور جيش كبير عليه، وقد أشار الأدباء إلى طول الحدة التي يقضيها الفرنج في عمل هذه الآلات، كما ذكروا تكاليفها الباهظة يتولى الخطاد : " ولهم منذ تسعة أشهر يجمعون هذه الآلات ويستعملون عليها الخرافات، حتى أقاموا أبراجا أعلى من أبراج السور بضعف سمكها، وتربوها ناكية في الشتر المشهور بشتكها " (٥)، كما يذكر أن الكندهرى أخذ المنجنيقات ألفا وخمسمائة دينار (٦) .

-
- (١) الفتح التقي ٤٧٣، وأنظر النوادر ١٤١، وفنح الكرب ٣٠٣/٢، ٣١٥
 - (٢) الذيل على الروغتين ١٠٦
 - (٣) الكابل ٢٠٠/١١
 - (٤) الذيل على الروغتين ٦٧
 - (٥) الفتح التقي ٢٧٣، وأنظر ٣٧٧ وابن القلائسي ١٧٩
 - (٦) الفتح التقي ٤١٦

ثالثا : التحصينات :

اتخذ السليبيون التحصينات الدفاعية ، تحسبا لأي هجوم إسلامي عليهم لأنهم يعلمون أنهم طارئون على أرض المسلمين ، ولذلك اعتدوا في حياتهم على عاملين أساسيين : الأول : الأعداء الخارجية ، وقد مر ذكرها : والثاني : التحصينات .

وقد سور الأدب ، ولا سيما النصر ، أنواع هذه التحصينات ، وذكر أربعة أنواع لها :

(١) الحصون (٢) القلاع (٣) البنادق (٤) الأسوار .

أما الحصون فهي كثيرة ومتنوعة في الأماكن ذات التجمع السكاني أو ذات الموقع " الاستراتيجي " ولذلك ذكر الأدباء نوعين من الحصون : بركة وبحرية ، ومن الحصون البرية حصن كوكب وبست الأحرار والكرك والشوبك والمربك وبرزية ، وأما الحصون البحرية فمها : مرتية والاندليمه ، وما يدعى في ذلك أيضا ، المدن الحصينة كالرشا والقدر ، وكذا وصور .

وتشترك هذه الحصون سواء في ذلك البرية منها أو البحرية ، أو المدن الحصينة في صفات القوة والديمومة ، يقول المطاط في وصف كوكب : " وجئنا إلى كوكب فوجدنا في مضاط الكوكب ، كأنها وكرا الحنقاء ، ومنزل الهواء ، وقد نزلتها كذاب عاوية ، ونزعت بها ذئساب غاوية " (١) .

وفي بيت الأحرار جميع الفروع لمراقبة تحركات صاحب الدين ، فجهز جيشا لحارستهم فاحتدوا عليه لاعتقادهم أنه يحتملهم ، لكن صاحب الدين شيب ظنهم ، ودبر حيلهم ، وفي ذلك يقول حسادة الغرير الحمصي :

فناظرت من جيش نهضت بمشيتها
وزرت بها الحنين الذي لو تحصنت
تجست به سلب السليب ورقت
هبت إليه هبة يوسفي سنة

فانعدت ، لما أن نهضت به ، الممدى
فوارسه بالنجم أوردته السمر
وشهدته لما غفا غشمت
تعبد نباء كل ما كان بجلدا (٢)

وقد اتخذ الفرنج حصني الكرك والشوبك مركزا مهما لمهاجمة القواغل الإسلامية ، ولمش أي اتصال بين الشام ومصر ، فشاء عن تهديد الأمان المقدسة ، ولذلك وسفه القاضي الفاضل بأنه " شجا في الحناجر ، وتذى في المحاجر ، قد أخذ الأمان بمنقها ، وقعد بأرصاد المزامير ودارتها ، ورعد المراتات المساوكة ، وحير في السيل المسكوك ، وعارذها للدهر نسي ذلك الفخ ، وفذرا لتاراك غريضة الله من الشج . . . وجلب من هام الأسانم فكان عما يشبهه ، وجثم على أنفاه الحجاز فلم يدع نفعا يصعد من تناسقه ، فواديه من مسائل المعامل بمهمتها وظلم من دجوم الأمانة بمطامعها ، ودلو والشوبك ، يجر الله الأكر (غتعه) كبيت الواء . . .

للمددين :
لمر رجال أو يولفسان دصا (٣)

لمر يوم إلا وعند همسا

- (١) الروضتين ١٣٦/٢ : الفاضل من كاتم القاضي الفاضل ورقه ٢٥ ص ١٢/٢
(٢) الروضتين ١٢/٢ : الفاضل من كاتم القاضي الفاضل ورقه ٢٥ ص ١٢/٢
(٣) ابن ينانة المصري : الفاضل من كاتم القاضي الفاضل ورقه ٢٥ ص ١٢/٢

وكفى إشارة إلى أنه كان الغزاة ومقرها ومستودع الثريضة ومستقرها
 وقد قصد القاضي بهذا الوصف تحريض صانع الدين ، وبالفصل حرك صانع الدين جيشه لتأديب
 صاحبه ، وقد تراءى له أن من اليسير عليه امتلاكه ، لبعده عن أمدادات الفرنج ، ولكن موقعه
 الحصين جعل صانع الدين يتريث ويحتال لامتلاكه ، يقول العماد : " ولولا الخندق المانع
 من الإرادة ، وأنه ليس من الخنادق المعتادة ، بل هو واد من الأودية ، وأمن الانغسية ،
 لسهل المشرح ، وهجم الموضح ، فلهيئ ، لا تدبير طم الخندق ، والاعند بعد ذلك من السدود
 بالمخنة " (١) ، وينقل القاضي القاضي سورة أمثلكه ، ومن خلالها نلح منحة هذا الحصن
 وثوته ، يقول : " وأما الترك فكثرت المنجنيقات عليه مظاهرة ، وحجارتها على من فيه طابرة ،
 وقد جدعت أنوف الأبرجلة ، وأسليت قنا المتأثر وجوشها التجبرجة " (١) ، ونتيجة
 لهذا القصف العنيف أنهدم البرج القابل للمجنيقات ، ما سهل السيطرة عليه ، يقول العماد :
 " فالصور القابل للمجنيقات قد أنهدمت أبراجه وأبدانه ، وأنهدت تواعده وأركانه " (٢)
 إلا أن هذا الحصن لا يقارن بحصن المرقب ، وقد قم شهاب الدين محدود صورتين طريقتين له ،
 إحداهما شسرية والخزنية شسرية ، يقول في الأولى مادحا المنصور قاثورون :

ماء الهجرة في أرجائها نـ
 وشم تمثله في رايها النـ
 منه مكان اللاكي الانجم الزمـ
 والقلب قلب ومود الدجى طـ
 خبرا ، وتدنو رما في غمها شـ
 إليه من فيه إلا ودعو متحسـ
 من الجيوش ومن نيل الوش شـ
 تنير سقما ولا يبدو له أثـ
 نار الهوى وهي في الاحشاء تستمر (٤)

أوردتها المرتب الحالي وليد مـ
 كأنه وكان الهوى يكتسبـ
 يشغل كالغداة الحذراء قد نـ
 لها الهزل سوار والسها شـ
 تعلو الرياح إليه كي تحيـ
 وليس يروى بقاء السحب مـ
 وأشرمت حوله نار لها الهـ
 وللغروب ديب في مـ
 أضى به مثل صب لا تبين مـ

ويقول في الثانية : " وعوله من الجبال الشم كل شاخ ، تنهيب عقاب الجوقلن عقابـ
 وتقف السرج خدما دون التوقل في خضابه قد تفرط بالنجوم ، وتترط بالفيوم ، وسطا غرعه
 الى السماء ، ورسا أعلاه في التخوم ، تخال الشمس اذا علت أنها تنقل في أبراجـ

-
- (١) الروضتين ٥٦/٦
 (٢) المصدر السابق ٥٥/٦
 (٣) المصدر السابق ٥٥/٦
 (٤) النجوم الزاهرة ٣١٧/٧ و ٣١٨

هذا ما بناه السليبيون ليحافظوا على أنفسهم ، ولكنهم حين اختلوا بمصر المسند
الاسامة أضافوا إليها التحصينات الكثيرة ، وأضافوا إلى حصانتها السابقة مزيدا من الحصانة ،
فما هو ذا ابن القيسرائي يصف مدينة الرها بأنها مدينة أفك تحجز السيوف عن اقتحامها كما عجز
الملوك عن اقتحامها ، حتى جاء عماد الدين زنكي ، يقول :

لقد كان في فتح الرها دلالسة
مدينة إفك منذ خمسين حجة
تفوت مدى الإبصار حتى لو أنهم
وجاحة عز الملوك قيادهم

ويؤكد ابن منير المراكبي ضاعة المدينة وإبائها ، ويشبهها بالنجم البعيد الذي لا يتألمسه
إنسان ، ولكنها في ذلك هي نجم دان لعماد الدين زنكي ، كما أن النجم يبصره المصورون بسهولة
يقول :

ولكم من ملك حاوله
هي أخت النجوم إلا أنهم

ومن هذه المدن أيضا طبرية ، التي بقيت بيد الفرنج حوالي تسعين عاما ، تنص على كل من يريد
استرجاعها ، حتى جاء صالح الدين فلاقت من بعد تسوة ، يقول ابن الساعاتي :

وط طبرية إلا همدى
حسان الذيل لم تقذف بسوء
تست حتى رأت كفوا فلا تست

وقد أضاف الفرنج إلى المدن الساحلية تحصينات عظيمة ، بلاضافة إلى موقعها الطبيعي المحصن
يقول شهاب الدين محمود في عكا :

كانت تخيلهمسا آملنا فستري
سوران : برزوح حولي ساحتهمسا

ويقول بدر الدين محمد بن أحمد النيجي مادحا الملك الأشرف :

وكم فحمت حصوننا نالما رجعت
حزرت من مكسة الثراء ما عجزت
عقيلة المدن أمنت من حصانتهمسا

لأبنا عنها الملوك الصيد في شجسسل
فه الملوك بمنز غير منتسسل
وصونها من لياي الدهر في شجسسل (٥)

(٢) الروشتين ج ١ ق ١ ، (١)
(٤) جواهر السلوك ورقة ٥٩

(١) الروشتين ج ١ ق ١ ، ٩٧
(٢) الروشتين ٨٤ / ٢
(٥) تاريخ ابن الخرات ١١٤ / ٨

وبذلك يصور الأدب العربي هذه الحصون وقد تحولت إلى سجون ، ويصور الشهابية
وقد تحولت إلى قبور ، يقول البوصيري في مدح المصور قنوزون :

وقررهم بالمسلمين قسور
وان كثر فيها البنون نسور
عن المد في أرض الصدو دسور
من الترك نجم لا يعد قسور
لهم ذلك الحصن الحصين حصير
نفى عنه نوا القلتين قسور
من الشيل سور والوارم مسور (١)

لقد جعلت داية الكثر بأسسه
فلا يوركسوا من أخوة ، إن أمهم
يظنون خيل المسلمين يعد حسه
أما زلزلت بالحاديسات وجاء حسه
نذاقوا به مر العمار فأبجسوا
يصيحون أعلى السور خوفا كما فسن
وطذا يرد السور عنهم وشلفسه
وفي غنى عكا يقول شهاب الدين محمود :

فاحتفلتهم ولم تملك ولم تهيب (٢)

ظنوا بروج الجيوت الشم تغلمهم

ويقول فتيان الشاغوري مخاطبا صاحب الدين :

إلا لتجعلها لهم أجداسها (٣)

لم يخفوا تلك الشهابية تحولهم

هذه هي مدونهم . أما قلعةهم ، فهي أبنية عالية قد تكون داخل الحصن ، وتشرف على
محركات أعدائهم ، وقد بالغ ابن عبد البر في وصف قلعة حصن المرقب ، فجعلها تستلسل
بسدرة المنتهى لسلودا ، فيقول : " وهذه القلعة لها بالنجم ناط ، وبالصحاب ارتباط ، ولها
على الدجرا اشتراك ، وأبروجها يبروج السماء امتداد ، واشتداد كم يسهر إليها السهر ، ولو لا
البنالاة ، واستغفر الله ما قلت تكاد تستل كل سدرة المنتهى ، كأنها الرياح لجيدنا ، مشتقة
والنيوم لخسرها منقطة " (٤) ، وليست هذه القلعة هي القلعة الوحيدة التي تنصت
بهذه بالصفات ، فهذا السواد يصف قلعة الشربانها مرتفعة لا تصل إليها المشاة ولا يستلهم
الذرائع يتسلقها لوضوحها ، فكانها تعلت من الجبل ، يقول : " وهي قلعة شاهقة ، مسر
أعلى الفات ، على شجرة منقطة ، عالية مرتفعة ، ومن نواحيها واد ، شام من البحر ، غير ياد ،
في أعين ، ووداد ، وقد تعلت من الجبل حتى أشعل بالوادي خندقها ، وأخذ من السواد
بوتنها ، فجا إليها طريق ، ولا عليها مرق ، ولا غيرها للصلح علوق ، ولا للمهم إليها مسرور
ولا للزحف فيها ملحق ، ولا الذر نحوها مالى " (٥) ، وقد رماها شهاب الدين
بالدنيقات فلم يؤثر فيها ، لولا أن دب الرعب في قلوب أهلها فجاءوه يطلبون الامسان .
ومثل هذا القلعة قلعة غزة ، التي هي كرمي " الديوت " ، ومهبط رؤوسهم ، ومحل نفوسهم .

- (١) ديوان البوصيري ٩٧ ، وأنظر المعينة من ج ٩٦ ص ٩٨
(٢) ديوان فتيان الشاغوري ٦٩
(٣) جواهر السواد ٦١
(٤) تشريف الأيام والصور ٨٥
(٥) الفتح القسي ٢٤٥

أن التفكير فيهما أعجب السجسب
دارا وأدناها أنى من القلسسب
قلب الكفاة وأقواء على النسسب
من الرماح وأبراج من اليلسسب
بالنيل أضفاف ما تهدى من السجسب
من المجانيق ٥ يرمى الارى بالشسسب
غضبان لله ٥ لا لله والنسسب
جسم الجيوش فلم يظفر ولم يصسسب (١)

كانت تخيلنا أما لنسبنا غسسب
سوران : بر وجر طول ساحتهم
خروا أضف سوربها وأحسنسسب
صفيح بصفيح حولها أكسسب
مثل الفطاة تهدى من صواعقهسسب
كانا كن بنى حوله فلسسسب
غناجأها جنود الله يقدمسسب
كم راحها ورمانا قبله ملسسب

ومما ساعد في أهمية الاسوار وسورها خاصة ٥ تلك الابراج التي أشار اليها شهاب الدين محمود
والتي أضطلعت بمحققين : الاولى قصف الجيش الاسمانى ٥ والثانية الاشراك من خلالها على
تحركات جند المسلمين ٥ وفي المهمة الثالثة للابراج يقول ابن عنين في مصنف رثائه للمصنفسم
عيسى بن الملك العادل :

ولقد شهدتك يوم قيساريسسسب
والكفر محتشم بسور مشسسب
والشمس قد نسج القتام لهسسب ردا
أحكم بالصفيح وشمسسب (٢)

وأما النوع الرابع والاخير من هذه التصميمات فهو الخنادق ٥ وقد استفاد الفرس من
طبيعة المنطقة فحصبوها بالديابي العالية ثم حفرها حولها الخنادق وعقوا الاودية ان كانت
محاطة بأودية ٥

وقد احتوى الفن الادبي على وصف هذين النوعين من الخنادق : الصناتية المضمورة
والديمية المحققة ٥ يقول المساد : "وهن الفرنج في حفر خندق على معسكرهم حوالي عكا من
البحر الى البحر ٥ وأخرجوا ما كان في مراكبهم من آلات الحصر ٥ وكان من قضاء الله أنا أضلناهم ٥
وأهملناهم بل أضلناهم ٥ حتى عقوا السفور ٥ ووثقوا من ترابها السور ٥ وماذوه بالسثاسر ٥
ومنحوه من الطير الطائر ٥ وينوبوا سموه ٥ وستروه وترسوه ٥ ورثبوا عليه رجالا ٥ ولم يتركوا اليه لسو
أندل مجالا ٥ وتركوا فيه أبوابا وفروجا ٥ ليظهروا منها اذا أرادوا خروجا ٥٥٥" (٣) ٥ ويتسول
شهاب الدين محمود في وصف الخندق المحيد بخصن البرقي : وحوله خنادق لا تعلم منسسب
الشمور الا بأمنائها ٥ ولا تعرف فيها الايلة الا بأوصافها ٥٥٥ (٤) ٥ ونلاحظ أنهما
بالخنادق في الفترة المتأخرة أكثر من استخدامهما في الفترة الاولى من وجودهم في المشسسب
الاسلامى ٥ ويلاحظ ذلك من وصف شهاب الدين محمود السابك لسور عكا ٥

(١) جواهر الملوكة ٥٦ ٥ ابن الفرات ١١٦/٨ ٥ فوات الوفيات ١٥٣/١

(٢) ديوان ابن عنين ٦١ (٣) النسخ القمى ٣٦٥

(٤) صبح الاعشى ٣٩٤/٨ ٥ حسن التوسل ١٤٥

لمزيد من الامثلة انظر : النسخ القمى ١٥٣ ٥ الروشدين ٥٥/٢ ٥ ١٤٤ ٥ ١٧٠ ٥
زبدة الخلب ١٣٦/١ ٥ صبح الاعشى ٥٦٦/٢ ٥ مغرب الكروب ١٨/٤

رابعاً : التغليب العسكري :

والمنشود بالتغليب العسكري ، وضع الخطا المدروسة قبل وقوع المشكلات ، ومواجهة المشكلات لدى وقوعها ، وقد صور الادب تغليب الفرنج من الناحية الخيرية في سائر النصوص والقوة عندهم ، والوسائل التي اعتمدوها في التغليب .

أما مواجهتهم للدوافع القتالية في حالة ضعفهم فهي تتمتع بالحذر والتحرز من جهة ، والكر والبنادقة من جهة أخرى ، فيها نموذجاً أسامة بن منقذ يستعمل وصف مشاعر ليهبائهم باسم " أكبر الناس اخترازا في الحرب " (١) ، وقد ذكر السطاد ما يؤكد هذا المعنى حين قال : " وعرف الفرنج مشاق شربهم ، واشفاق سفيتهم ، فاحتجزوا من الهلكة ، وما عادوا الى مثل نفسه الحركة ... " (٢) ، ويقول : " وأصبحنا قد قربوا منهم حتى كادوا يخالطونهم ، وأرادوا يباحلونهم ... وهم ثابتون ثابتون ، ساكنون ساكنون ، ونحن نقول لهم يمشون ، ويضربون فيجربون ، فنتكمن من تعجيل جملتهم بحملتهم ، ونفريق جملتهم ... " (٣) ، ولم يستد ابن شداد عن هذا المعنى حين قال : " وكانوا قد جعلوا راجلهم سورا لهم ، يشرب النساء بالزنبوراك ، والنشاب حتى لا يترك أحدا يصل اليهم ... فانه كان يملأ عليهم كالجسراد ، وخيالهم يحبرون في وصلهم ولم يثبتر منهم أحد ... " (٤) .

ومن الدوافع التي تستدعي الانتباه ، موقف الملك غرير الذي طلب الملك الكامل بمساعدته ضد أخيه شاذي دمشق ، وحين جاء الى الشرق ، وجد الواثق قد تغير اذا كان صاحب دمشق قد توفي ، فلبى الملك غرير الى الحياة والديار ، وأتى الكامل بأن يرضى بوعده ويستطيع القدوم ، وكان بين جملة ما كاتبه به قوله : " أنا عتيقك ، وتعلم أنني أكبر ملوك الفرنج ، وأنست كاتبني بالمجيء ، وقد علم البابا والملوك بالفتناني ، فان رجعت خائبا انكسرت خرمتي ... " (٥) فتنان له عنهما .

هذه أمثلة تدل على تغليبهم ومواجهتهم للمشاكل ، وكانوا دائما يشتدون الترسعة لاذيقاع بالمسلمين ، لا سيما اذا علجوا بتفريق المسلمين أو ضعفهم ، فهذا ابن شداد يقول : " علم عدو الله أن الحساكر تد ثقلت في أراذل البلاد ، وأن الديعة قد خفت ، لأن معظم من كان بها يحكم قرب بلادهم من طريق السدود ، فأجسدا رأيهم ، وانثقت كلمتهم على أنهم يخرجون بنشة ، ويهجمون على طرق الديعة فجأة ، فخرجوا ... " (٦) ، ومن هذا الجانب تقرهم للجياح حين حصلت المجاعة سنة ٥٩٧ هـ ، يقول السطاد : " ومراكب الفرنج على ساحل البحر على اللقم ، تسترق الجياح باللقم " (٧) .

(١) الاعتبار ١٧ هـ وأنظر ٥٨ هـ ٦٧ هـ ١٥١٦ (٢) الروضتين ١٧٩/٢

(٣) البندر السابق ١٧٩/٢

الزنبوراك هو : نوع من القمي ترض عنها السمائم

(٤) نفسه ١٧٩/٢ هـ ١٩٠ (٥) الشذرات ١١٨/٥

(٦) الروضتين ١٥٨/٢ هـ النوادر ١٤٨

(٧) الروضتين ٢٤٤/٢ هـ ولينزيد من الامثلة أنظر : الروضتين ١١٨/٢ هـ ١٤٤ هـ ١٩٠ هـ

النش التسي ٤٤٣ هـ وقد الجماع : ١٨ هـ ١٠ هـ ٨٣ هـ ابن الفرات مج ٤ ج ٢ ٢٥٥/٢

وحين يكون المسلمون أقوى ، كان الفرنج يسلكون طرائق الحيلة والمخدر ، فحسمين
البحر لدهم عدد ضخم سنة ٥٨٦ هـ في عكا " أتاموا في وسط شياهم حائلا مستحيلا يشبه السور من
التراب ، وتلاها تشبها لبرجة مدورة ورغصوها بالاششاب ، وعلوها بالحجارة ، فلبث كملت أخذوا
التراب من ورائها ، وزعموه تدامها ، وهم يتقدمون أول أول ، وترفع محالا بعد حال ، حسنتي
صارت منه كنصف علوة صهم " (١) .

ومن مظاهر تخطيطهم البارز للقتال ما أخذوه من آلات تناسب ظروف المعركة ، كما
فعلوا وهم يحاصرون عكا إذ " عمدوا إلى أكبر بلسة وأخذوا فيها مصقلا كأنه سلم ، وبنو في
مقدمها مركب مقدم ، وقد جعلوها بحيث إذا قرب إلى البين ركب رأس السلم على شراريفه ، وصعد
الرجال إليه في تجاويغه ، وتعبوا في ذلك أياما ، وأشبوه توثيقا واحكاما ، حتى إذا اقتصر
بالبن السقت به قوارير النشك ، وتوالت أمتار البنية من الجرج والفضيقات على أولئك الرهص
ثم غل الفرنج برجا طليا في أكبر مركب ، وحشوه بالحطب ، وعملوا على رأسه مكانا يقصد فيه
المزراق ، وقدموه إلى بين الذبان ، وسلموا على جوانبه النيران ، فأذهب الله من صهم لشمسه
نكباء تكبت الناس عن البين الحجور ، وكتب الفرنج على الوجوه وأروؤهم " (٢) ، وقصد
عمدوا إلى الهجوم الثاني على المسلمين ما وصهم ذلك ، فقد أنشأ البين ، أرناط اسطولا في
بحر أيلة ، وذهبوا ما وجدوه من البراكب ، ومن غيها من التجار ، وبنوا النادر ، لأنهم لم
يعمدوا بهذا البحر ثريجا قط " (٣) ، وخين مروا بنا بله زمن الناصر داود بن المصطفى
عيسى " وجدوا غيها ثريجة فأثمنزونا ، وجهزوا إليها خيلهم ورجلهم من كل أوب فأثمنزونا
" (٤) .

ومن المصروف أن الحرب لا تنتظر الفرج السارعة ، ولذلك هياوا هم المصروف المواتية
لأنجاء أهلهم العسكرية ، أما بالكائن التي تمتدح بجيشا صغيرا للمسلمين ، وأما بآيهم
المسلمين باهتسادهم من الميدان ، وأما بكتسهم في ساعة غفلة ونوم ، والامثلة على ذلك كثيرة .
أما عن الكائن أيروا أسامة أن قدرا من الفرنج جاء على شيزر وحالوا البواب من شلل الباب
" ما اسم هذا البلد ؟ " فأخبرهم عنه ، فعادوا . . . وأراد أسامة اللحات بهم فنهاه صممه
وقال : " هذه فكيدة " وأثبت له وجود كمين لهم " (٥) .

- (١) الروضتين ١/ ١٨٥ .
- (٢) الروضتين ١/ ١٦٣ ، وأنظر الفتح ٤٧٢ ، والنوادر ١٣٩ .
- (٣) الخامل ١١/ ٤٩٠ .
- (٤) النوادر الجلية في الفرائد الناصرية ورقة ١١ .
- (٥) الاعتبار ٥٦ - ٥٧ .

ويستفيد من التعاون في فكائد الفرنج في محاولتهم إيقاع صالح الدين وبيته فسي
كمنهم و لكنهم فشلوا وخسروا حصنهم الذي كان مركزاً لنقلهم ، يقول :

كاد الاطاري أن يصيبك كيمسدها
كنوا وكم لك من كمين سبادة
فموت نجوم سمودهم وقضى لهم
لو لم تكدا برأيها المافسبون
في الشيب يظهر من وراء كمين
بالنحس طائر جوك الديسبون (١)

وقد ذكر الحصاد أن الفرنج أوهوا المسلمين أنهم بعيدون عن طريقهم ، بل أشاعوا أنهم تحركوا
إلى منطقة بعيدة ، فركن الجيش الإسلامي إلى الراحة ، ولما كان وقت الشروب تاجمعت ونالوا
منهم ، يقول : رحل الفرنج على سمت عقلائ ، وأشاعوا أنهم بعيدون بها إلى حصون ،
وهم نازلون بظاهرها ، جائلون في مواردها ومصادرها ، فرأى الإنكليزي دحانا على بحد
قتله ، وكان ثم جثث من الاسدية ٥٥٥ ودم غارون عط دهمهم ، فوصل المسلمين إليهم وقت
الشروب فوق عليهم ٥٥٥ (٦) وفي عور ، كبد الفرنج سفن المسلمين القادمة من عكبا ،
وكان الفرنج يرقبونهم ، حتى إذا ناموا تاجمعتهم وهزمهم ، يقول الحصاد : " وأنرا أصحابنا
بطلوا الأمر وغلوا البئر ، وأمنوا بن الخوف ، وأدمنوا على الطوف ، ٥٥٥ وسهروا إلى أن شاروا
الليل ، وكل منهم لما أستاذ ، نص ، وظ ، في النوم وما تنفس ، فطأ أنهبوا إلا وسفن الفرنج
بهم صدقة ، ونيرانهم محترقة ٥٥٥ (٧) "

وقد استقى الفرنج المعلومات عن المسلمين بعدة طرق : منها عن طريق البدو والبواسير ،
الهندسين في العسكرية الإسلامي ، وقد سبق بيان ذلك ، أو عن طريق الرسل الذين كانوا
يرسلونهم للتفاوض مع المسلمين بشأن السلم أو غيره ، يقول ابن شداد : " وكان غرضهم
بخرار الرسائل تعرف قوة العدو وضعفها ، وكان غرضنا بقول الرسائل تعرف ما عندنا من ذلك ،
أيضا ٥٥٥ (٤) ، ويقول القاضي الفاضل عن مدتهم من الرسائل : " وتعدوا نظرة من شدة ،
وأنتشارا لنجدة " (٥) ، وهذا يدل على تنبئهم في شؤون الحرب ، وحسن رأيهم فيهم ،
ولا عجب بعد ذلك أن نجد الأدب يثني عليهم بهذه الصفات ، فيصف الهندس بأنه " يشرب المش
به في المشجعة والرأي في الحرب " (٦) ، وكذلك جوسلين (٧) وغيرهما .

- (١) ديوان سبط بن التعاويذ ٤٧٢ (٦) الروشتين ١٩٦/٦
- (٢) الفتح ١٦١ ، وأنظر الفتح ١٧٨ ، والنوادر ٧١٤
- * أنظر جوافيل في مذكرات عن القديس لوي ، ١١٣ ، ١٢٦ ، وتاريخ مشهور
- الدول ١٠٢ - ٢٠٣
- (٤) النوادر السلطانية ١٦٦ ، ١١٨ ، ١١٩
- (٥) صبح الأعشى ٥٠٧/٦
- * * * المزيد من الأمثلة أنظر : الروشتين ١٨٦/١ ، ١٨٧ ، ١٩٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٣
- ابن الفرات مج ٤ ج ٢ ٢٥٥/٢
- (٦) الكامل ٤٥٣/١١
- (٧) عقد الجمان ج ١٢ ق ١ ورثه ٢٠٦ - ٢٠٧

ومما يدل على حسن رأيهم في الحرب ، أيضا ، تلك المخططات التي تصدوا منها فتح
عدة جيوش عسكرية لشجيت عساكر المسلمين ، ومن ذلك ما ذكره العماد عن " الانكسار " ^(١)
الذي تمذر عليها أخذ القديس ، ففكر في حصار بيروت " لان أخذ هذا البلد هين ، وقصده
مستعين ، واذا حاصرناه جذبنا السلطان وعساكره الى جانبنا ، وشك القديس من جهة كتابته
وجيرة مناره " (١) ، ومنها أيضا ، ذلك القصد المستر للندن التي يريدون فتحها ، وقد
عدوا - لفخيز ، ذلك - الى تقسيم البشير الى فرق تعمل بالتناوب ، يقول ابن شمس :
" ولما أحمر بالعدو في نفسه بقوة بسبب توالي النجد عليهم ، أعتد لهمهم ، وسلبوا عليهم
" سوركا " المنجنيقات من كل جانب ، وتناوبوا عليها بحيث لا يمتطسل ليل ولا نهار " (٢)
ويقول : " وأنقصوا أسلحتهم وتناوبوا فرقاً ، كلما تسبب تسامح ، وأقام غيره مقامه " (٣) ، وي
هذا انقصوا المركز المستر ، لجأوا الى خطة أخرى ، وهي أنهم ألقوا الحصار على البلد اطباق
الشفا على الثغور ، فتمسوا الداخل اليها والخارج ، حتى تسنى لهم السيطرة عليها ، وشك
أدلة تشير الى أن الفرنج لجأوا الى هذه الخطة منذ وقت مبكر ، ومنها ما جاء في وصف فتحيان
الشاغوري للفرنج الذين أحاطوا بدمياط سنة ٥٦٥ :

داروا بها في البحر من كل جانب ومن دونها ستر من الموت حايصل (٤)
ويؤكد ابن شداد هذا المعنى في حصار الفرنج لسكا سنة ٥٨٦ إذ يقول : أدار الفرنج مراكزهم
حول سكا حراسة لها عن أن يدخلها مركب للمسلمين ، وكانت قد أعتدت حاجبة من فيها إلى
البحر والبحيرة . . . (٥) ، ويصف العماد هذا التول بالفاك مؤنقة فيقول : " وأستعدارت
الفرنج بسكا كالدائرة بالمركز ، وزادوا من جانبنا في التمرير والتحرز ، ولمعوا من الدشمول
والخبري ولي أولئك السلوك في ضبط طريق الولج " (٦) ، وبعد هذا التخطيط وهذا العمل
الدؤوب ، أعتدوا خطة مناسبة للهجوم ، فسلموا الشنادق المحيطة بالبلد ، وأستعملوا من
أجنل ذلك لجشت موتاهم مع أنهم يحرضون على دغتهم ، بالاشاعة الى جثث الحيوانات ، يتسول
البحار في حصارهم لسكا : " وداموا يرمون فيه جثث الاموات وجثث الشنازير والمسدواب
الناشرات ، حتى صاروا يلقون فيه قتلتهم ويحملون اليه موتاهم " (٧) .

- (١) الفتح ٥٩٧ هـ ، ٦٠١ هـ ، التامل ١٨٥ / ١١ هـ ، ومصادر العقائد ٢٤
- (٢) النوادر السلطانية ١٣٤ هـ ، ١٣٦ هـ
- (٣) المصدر السابق ١٦٧ وستر ١٧٩
- (٤) ديوان فتحيان الشاغوري ٣١٨ هـ ، عهد البطان ١٢ هـ ، ٤٥٧ / ٣
- (٥) النوادر السلطانية ١٣٤ هـ
- (٦) الفتح القسي ٢٩٩ هـ ، واستظر المثل السائر ٤٠٧ / ١
- (٧) الفتح القسي ٤٨٣ هـ ، واستظر للمزيد ابن الوردي ٣٥ / ٢ هـ ، ابن الفرات مج ٥ ص ١٧٨ / ١

أعتمد الصليبيون في حربهم للمسلمين على الجيش والحصون ، كما أعتمدوا على الحرب النفسية التي من شأنها إضعاف عزيمته المسلمين ، وتشكيكهم بقوتهم بأنفسهم وبقاداتهم ، وتسدد اتبعوني ذلك سبلا عدة هسي :

١) التهديد بالكنزة : ويتضح ذلك بعد الانتصارات الضخمة التي حققها صلاح الدين في أرض فلسطين ، إذ توجه إلى الذنقية واحتلها ، فجاءتها نجدة من عقليسة ، فطالب مقدمهم من صلاح الدين أربع هذه المضائق للفرنج ، ثم هددته قائلاً : مؤداه : " ولا جاءك من وراء البحار في عدد الامواج أفواج بعد أفواج ، وسار إليك ملبسوك ذوى الاقانيم من سائر الاقانيم ، وهؤلاء أهون منهم ، فأثركهم وأصفح عنهم " (١) ويقول السجاد في ذلك على لسان قائد الفرنج : " وإن أبیت غير الفيرة والابساء ، ودمت على أرهاق الدماء ، وأهراق الدماء ، جاء من وراء المصبتا البحار من يسسد غشاء السبيل المنبأ ، وأفاق للتنازع على دفع هذا الخلب نصارى الافاق " (٢) وعلى أثر استعادة صلاح الدين للقدس ، هب الغرب الاوربي لنجدة قومهم في فلسطين ، وجاء ملك الالمان بأعداد هائلة ، وبعت تقدم الارمن يعتبر صلاح الدين بهمهم ، ولم يكن داغصه في ذلك المنصر على مصلحة المسلمين ، وإنما اضعاف ثور المسلمين ، ويتبرر الجهاد هذا المصطفى فيقول : " ولا شك أنه إلى جنسه النجدة ، ومحصلة أهل بلته قائل ، ولما وصل هذا النبا ، وقيل انه عظيم ، وورد هذا الخبر ، وخيل أنه أليم ، كاد النصارى يشطبون ، على انهم يعدتون ويكذبون ، ومن طور كل رجل من المراتن يجذبون " (٣) ، واستمر هذا الاسلوب في الحرب بعد وفاة صلاح الدين ، وبع صاحب حلب الملك المنصور ، إذ بناء رسول الداوية ، وأخبره بكثرة الفرنج المتجهين إلى الذنقية وبجيلة ، ويعقب الراوى على هذه الحادثة بقوله : " وإنما قصدت الدائسة بهذه الاشهار الارهاب لصلاح الملك المنصور بيت الاستيلاء ، فانهم سألوا الدائسة التوسط بينه وبينهم " (٤) وقد تكرر هذا السلوك زمن الكامل بن السادل (٥) ثم زمن الصالح نجم الدين أيوب (٦) ، ولكن ما مدى نجاح الفرنج في هذه الحرب؟ وهل أدت إلى اضعافهم المسلمين ؟ ، إن تلك الروايات نفسها تشمل الجسواب ، فبعد كل حادثة يعقب الكاتب موشحا نفسية المسلمين ، وهي في جميع الحالات نفسية مؤمنة بالنسرة لا تخشى الكثرة ، ولا تخاف الهزيمة ، فها هوذا صلاح الدين يرد على

- (١) الروضتين ١١٩/١
- (٢) الفتح القسي ٢٤٠ ، وانظر الحادثة في الكامل ١٠/١٢
- (٣) الفتح القسي ٣٣١ والروضتين ١٥٠/٢
- (٤) ملحق الكروب ١٤٦/٤ ، ابن الفرات مجلد ٤ ج ٢ ٢٥٥/
- (٥) ملحق الكروب ٩٨/٤ - ٩٩
- (٦) السلوة لمسرقة دول الملوك ج ١ ق ١ ، ٣٤٧

مقدم جيش الفرنج بقوله : " تد أمرنا الله بضميد الأرض ، ونحن نائمون في ضاحته
بالفرس ، وطينا الاجتهاد في الجهاد ، وهو الذي يقدرنا على فتح البلاد ، ولسو
اجتص علينا أهل الأرض ، ذات الطول والجر ، لتوكلنا على الله في اللقاء ، ولم نبال
بأعداد الأعداء " (١) .

أما جواب الملك المنصور الأيوبي لرسول الداوية فهو " أنا لا نخرج بما تقول ولا نكسرت ،
ولو أنهم أصابك ذلك ، لنا جزتهم " (٢) ، وأما جواب الكامل فكان رفض تهديدات
الملك نردريك ، رغم ضعف الدولة الأيوبية حينذاك ، وأنتقامها " (٣) .

أما التتبع : وتبعد الفرنج بذلك اختلاق الشائعات ، وإظهار ضعف القائد المسلم ،
يقول السواد في مدح صلاح الدين ، وقد هزم الفرنج في الاسكندرية :

ولكم أرجى الأعداء فقلنا
ورقبنا كالتيقود عوداء غاليين
ما لما تذكرنفسه تأشير
به لانعام عيد كبرير (٤)

وقد قال ابن القلانسي قبل هذا حين هزم نور الدين وأرجف بموته :

فروعت القلوب من البراييس
وثارت فتنة وخشى أذاها
وصار شجاعها مثل الجيس
على الاسلام في قسار ودان (٥)

التهديد بالقتل وسفك الدماء ، وإظهار القوة والالات : ويتجلى ذلك في رسالة
الملك لويس التاسع للصالح نجم الدين أيوب التي يقول فيها ما معناه : أما بعد ،
فإنه لم يخف أني أمير الامة المسيحية ، كما اني أتول أنك أمير الامة المحمدية ، وإنه
غير شاف عليك أن أهل جزاء الاندلس يحملون الينا الاموال والهدايا ، ونحن نسوقهم
سوق البقر ، ونقتل منهم الرجال ، ونرمل النساء والبنات ، ونخلي منهم الديار
وقد عرفتك وحدرتك من عساكر تد حذرت في طاعتي تملأ السهل والجبل ، وعدد هم كعدد
الحصى ، وهم يرسلون اليك (٦) وقد كان جواب الملك الصالح على الرسالة
يتشبع بالثقة بالنفس ، ان قال : " أما بعد ، فإنه وصل كتابك ، وأنت تهديد فيه بكثرة
جيوشك ، ونحن أرباب السيوف ، وما قتل منا قرين الا جددناه ، ولا يئس علينا باخ الا
دبرناه ، فلو رأيت عينك ، أيها المنصور ، حد سيوفنا وعظم حروبنا كان لك أن
تحض على أناملك بالندم ، ولا بد أن تزول يده التدم في يوم أوله لنا ، وآخره عليك
فإنك تسوء بك الظنون ، وسيعلم الذين ظلموا أي شغل يفتلبون " (٧) .

أخفاء المشاعر : ومن سلائق الحرب النفسية اخفاء الفرنج قتلهم عن المسلمين ، حتى اذا
رأى المساحون ما قتلهم الفرنج منهم استكثروا ذلك ، ولم يجدوا ما يحزون به أنفسهم من
قتل الفرنج ، يقول السواد : " وكلما سرح منهم قتل حملوه وشدوه ، ولموا بدغمسه
ولمروه ، حتى يشفى أمرهم ، ولا يصح لدينا كسرهم " (٨)

- (١) الروضتين ٢٦/٨ (٢) ابن الفرات مج ٤ ج ٢ ، ١٥٥ ، وأنظر مفرج الكروب ١٤٦/٤
- (٣) السلوك لمصرقة دول الملوك ٢٢٨/١/١ (٤) الروضتين ج ١ ق ٢/٢٢٢
- (٥) ذيل تاريخ دمشق ٣٥٠ ، الروضتين ١٤٦/١ ط دار الجيل ، وأنظر مثلاً آخر الباسر ١٠
- (٦) السلوك لمصرقة دول الملوك ٢٢٨/٢/١ ، وأنظر أدب الحروب الصليبية لعبد اللطيف حمزة ١٥٤
- (٧) السلوك ج ١ ق ١ ص ٣٤٧ (٨) الشيخ التميمي ٤٤٤ ، وأنظر النوادر السلطانية ٢٥

تجلى الصراع واضحا بين المسلمين والفرنج منذ أن احتل الصليبيون الاراضى
الاسلامية ، ولئن كانت ردود الفعل من جانب المسلمين ضعيفة اول الامر ، الا أنهم لم
يأخروا من استرداد البلاد المحتلة في يوم من الايام ، وهذا يعني امتداد الحرب بين
الفرقتين ، إذ انه كلما استعاد المسلمون مدينته ، كان الغرب الاوروبي يندب الفرنج بالمسال
والرجال حتى كانت وقعة حطين ، حين استعاد المسلمون معظم البلدان المحتلة ، ونددوا بما
تبقي منها .

وتد تعرض الادب لوصف الممارك المتطاولة بين الطرفين ، وأظهر قوة الفرنج في سائر
النهر والبرية ، ولكنه دون نسيهم حين ينتصرون ، واستهزا بهم حين تكون النتيجة للمسلمين
ولهذا نجد الادب يركز على نتيجة المعركة لا على تفاصيل الأحداث الجارية فيها ، وان أراد
التفصيل ، فلا يكون في الأحداث ، وانما في توتار الجيش أو كثرته ، أو وصف الآلات أو وصف
القتلى والنصوص المرتبطة بالممارك في هذه الفترة كثيرة ، وان كان ينقص معظمها دقة
الوصف والواقعية ، ومن هذه النصوص : وصف الصاد لوتان معركة حطين ثم كما يلي :
" وسهر السلطان تلك الليلة ، حتى عين الجاليشية * (١) من كل طلب ، وما جبابهم
وكناثها بالنبال ، حتى اذا اسفر الصباح خرج الجاليشية تحرق بنيران النصال أبل النار
ورنت القسي وقتت الاوتار ، ، ، ، واليوم ذاك ، والجيش شاه ، ولليقت عليهم فيسكن
وما للفيقت منهم فيذن ، وقد وقد الحر ، واستشوى الشر ووق الكرواغر ، والسراب طالع
والظلمة لافح ، والجو محرق ، والجوى مقلق ، ولولاك الكذاب من اللهث لهث ، وبالجملة
عيت ، وفي ظنهم أنهم يردون الجاه ، فاستقبلتهم جهنم بشاردها ، واستظهرت عليهم الشريعة
بناردها ، ، ، ، وقد قطعت على الفرنج طريق الورد ، ولوا من السطرى بالنار ذات القوسود ،
فوقوا سابر من سابر ، مكابرين مشابرين ، تكلبوا على شرواتهم ، وشربوا ما في أدامتهم ،
وشغفوا ما حولهم من موارد المصانع ، واسترفوها حتى ماء الحدائق ، وأشرقوا على الصير السقى
المصارع ، ودخل الليل وسكن السيل ، وياتوا حيارى ، ومن السطرى حكارى ، وشتم على شفا
البحيرة بحيرة ، وقوا أنفسهم على الشدة ، واستعدوا بالسرازم المجددة ، وقالوا غدا نصيب
عليهم ماء البواضي ، ونقائهم الى القواضب التواني ، فأجدوا عز الباء ، وألبوا اليقضاء
بالتورث في الفناء ، وأما عساكرنا فانها اجتراء ، ومن كل ما يصوتها برئت ، فهذا لسانه
شاحذ ، وهذا لعناته آخذ ، وهذا سهم مفوق ، وهذا سهم موفق ، وهذا مكسر للتكبير ،
وهذا تاج للسمادة ، وهذا راج للشهادة ، فيا لله تلك من ليلة حراسها المائكة ، ومن سحر
أنفاسها الحلاف الله المتداركة ، والسلطان قد وثق بنصر الله فهو يحضي بنفسه على السكوة
ويحضهم ويعد لهم من الله بنصره المألوف ، ويغري المؤمنين بالالوف ، ، ، ، وكان للسلطان مملوك
أسمه ظكورى ، حمل في أول الناس ، وكان حصانه قوى الرأس ، فأبعد عن أخوانه ، ولم
يتابعه أحد من أقرانه ، فأنفرد به الفرنج ، فأثبت في مستنقع الموت رجله ، وقايل السى أن
يلفوا قتله ، فلما أخذوا رأسه ظنوا أنه أحد أولاد السلطان ، وأنتقل الشهيد الى جوار

* الجاليش : مقدمة القلب في الجيش أو الطليعة منه

(١) ديوان فتيان الشاغورى

الرحمن ، ولما شاهد المسلمون استشهادهم وجلده وبناديه ، حميت حميتهم ، وخلعت للسبي
 نيتهم ، وأصبح الجيش على تعبته ، والنصر على ثلبيته ٠٠٠ وبين بالفرنج الصلابة ، وأبست
 عثرتها أن تنتفض ، وكان النسيم من أمامها ، والحشيش تحت أقدامها ، غرق بمسح
 منلوعة المجاهدين الناري الحشيش ، فتأجج عليهم استعارها ، وتوهج أوارها ، غيلمسوا
 وهم أهل التلث من نار الدنيا بثلاثة أقسام في الاصطاد والاصطاف في نار النيران ونار الاوام
 ونار السهام ٠٠٠ (١) .

وتد عرش ضياء الدين بن الاثير وصف هذه المعركة بصورة موزونة فقال : " وبرزت خيل
 القوم ولها زني فرسانها ، وبني مشتبهة الى طرادنا ، كاستبانها الى ميدانها ، وما منهم الا
 تتأود القناة من يده لمذبح ، وتشتمل الربى منه ومن جواده بين ملهمين ، فجرت المناوير الى
 المناوير ، وتآتت الرياح بالأعاصير ، وكان المالحين منهم عنانا واللبث وفاقا ، وسبق السم
 الموت الم الجراح ، ونفذت مخنفة لمرعتها أسنة الرماح ٠٠٠ (٢) .

ومن المقاتلة الاخرى التي وصفها الادب معركة دمياط سنة ٦١٩ هـ ، حين رأى الفرنج
 ان خير سبيل لاسترجاع القدر هو غسل مصر عن ياد الشام ، فوجهوا قواتهم الى دمياط
 واحتلونها ، ثم جاءت الامدادات الاسمية فاسترجعها ، يقول ابن عين في ذلك :

تداعوا بانصار السليب نا قبل	جدوع كان الموج كان لهم سئ
عليهم من المادي كل ماض	دلاص كتون القصر قد أحكت وش
وألمصهم فينا غرور نأرق	الينا سراعا بالجهاد غارة
فما برحت سحر الرماح تنوم	بأدارافها حتى استجاروا بنا
سقيناهم كما نكت عنهم الكس	وكيف ينال الليل من عدم ال
لقد صبروا صبرا جهيدا وداع	لويلا فما أجدت دفاع ولا أغ
لقوا الموت من زرق الاسنة أح	فألقوا بأيديهم الينا فاحسن

وفيهما في وصف معركة زمن السلطان قايتو ، وكانت نتيجةها فتح حصن عافيتا ، يقول ابن
 عبد الظاهر : " وأشد الامر على الكفار ، فقاتلوا قتالا أقسى مضاجع الاسلحة ، وأطار حجارة
 مجانيدهم بخير أجنحة ، وأشجى بشجوا النصول المترنة على غصون السهام المترنة ٠٠٠ هذا
 وأهل الايمان يثقلون ذلك كله بصبر يستلعمون منه شهدا ، وأقدام يثقل الحديد بأكبار
 ما زالت الى وارده تمدا ٠٠٠ والبلاد الفرنجية قد غنت منها الابصار ، وشجعت التسوب
 واعتقد كل منها في نفسه أنه بعد هذا الحصن المنلوب ، فمعه تود لو أكتننها البشار تحست
 جناح أواجبها ، وهذه لو أمبلت الريح العواصف عليها ذيول عبا جها ٠٠٠ (٤) .

(١) الروشتين ج ٢ / ص ٧٦ - ٧٧ وأنظر الكامل ٥٦٨ / ١١ - ٥٣٥

(٢) محمد زغلول سائس ، ضياء الدين بن الاثير ، ص ٢٥

(٣) ديوان ابن عين ، ص ٣٠

(٤) صبح الافعى ٣٥٥ / ٢

ويصف ابن عبد الظاهر معركة حجر ، شمرا ، فيقول :

جاءت ثمانون ألفا من بموتهم
وأي النسيان في يوم الغيم ضحى
والسيف يركبوا لأعانه رافضة
والنيل لا يتعدى إلا على جثث
والبيش تشد في الاجفان من منجم

لأرض حبة ثقلان البعث والنسيان
وانتدت الحرب حتى أذن المصير
والرؤس تسجد لا عجب ولا كبر
والسهل من أروم القتلى به وضئير
والسمر ، ناهيك ، يا ما يضل السمر (١)

ولدى الوقوف عند هذه النصوص ، يلحظ المرء أنها تصف المصاراة البرية وصفًا سريعًا تظهر من خلاله الحركة ، أما سريعة فتسجل نتيجة المعركة ، وأما بطيئة فتتعلق بالزخرف اللغوي فتعبر عن حرارة الجو وقد تمثلت هذه الحركة في أشكال مختلفة : أما بمعركة الجيش في الكر والفر ، أو بالتمسار حركات الخيل ، أو بالتمثيل والتشبيه والمقارنة ، كتشبيه انطلاق الريح بومض النجوم أو تمثيل حركة الجيش بحركة موج البحر . . . وحدد بعض الأدباء ، كابن عبد الظاهر ، مكان المعركة وزمانها بشكل تقريبي ، وانتهى إلى وصف القتلى ، فجعل السهل وعرًا من رؤوسهم .

ذلك وصف الأدب للمعركة البرية ، أما وصفه للمصاراة البحرية ، فلا يختلف كثيرًا في الإطار العام من حيث الاهتمام بالنتائج ولكن أدوات المعركة تختلف باختلاف طبيعة المعركة وتطورها ، يقول الصمد في وصف معركة بحرية بين الأسطول المصري والفرنسي :
" وصدت شوانية شواني الضناة ، فغادت مراكبهم وهي نواكس ، وطارت غربانا بين أعباء الكثر
أعداء الأساطم ناعية ، وألحقت على طرائد الفرنج فتلوتها غالبة لافية ، وتغرّت أول يوم
البرود بسفن للعدو مصرة ، وألمهت في الماء على أهل النارك نار للكنال مستعمرة ،
وانقطعت طرق الافرنج البحرية ، فأستظالت أساطيلنا فذهبت وجاءت ، وتملت ما شمساء ،
وتبعهم مرارًا وبالأفانم غات ، فضاعت بها المداة ذرط ، ولم تجد من بعدها صامصة
ولا برقى . . . " (٢) .

وبعد أن خلا الجو للمسلمين بعد الانتصارات التي حققها صاحب الدين ، انحصرت
الفرنج في صور ، فتحركت السفن المصرية لأمداد بيروت بعد أخذها من الفرنج ، فقامت سفن
الفرنج بالتصدي للمصريين ، ونشبت معركة بحرية بين الطرفين ، يقول الصمد في وصفها :
فأبصر ما حوّلها شواني الفرنج لبارزتها مبرزة ، ولألجها زوراءها مجهزة ، وكانوا رجالًا مسمنين
بحرية مصر مهيبة ، وأصبحت قلوبهم يط جري على أنظارهم مروعة ، فتواقموا إلى المساء ،
وشاغوا على دماهم في الدأط ، ونخرجوا إلى البر على وجوههم ، وشاغوا مكرهم في مكرهم ،
ولمروا وغاروا وطاروا وتاروا . . . هذا والمنجنيقات تردهم ، والمنوقات تعميهم وتعميهم ،
والقتال قائم ، والنزال دائم ، والصخور تغلغ ، والصدور ثقث ، والأحجار ثقث ، والاسوار
تخلخل ، والأوداج شاحبة كالعيون البواكي ، والأبشار دامت من الزهوركات والنوكسات
النواكي . . . " (٣) .

(١) عقد الجمان ج ٣٠ ق ٤ ورقه ٦٧٨ (٢) الفتح القصي ١٨١ - ١٨٢

(٣) المصدر السابق ١٦١ - ١٦٢

ومن وصف الشعراء للمركبة بحرية لا قدمه أسامة بن منقذ في وصف المركبة بين المصريين بمسألة طائفيين رزق والفريخ : يقول :

سأطيل فيه موجه التلاطم
على الماء طير ما لهم قسود
جرت ، حيث لم توصل بهم الشكائيم
" سروا بجياد ما لهم قوائيم
حمام ، وطير للفريخ أشائيم
ونامهم في البر سخم جواشيم
ولم ينج في لج من الماء عائشيم
نقاد ، كما قاد المهارى الشرائيم (١)

غزوتهم في البحر حتى كأنهم
بفرسان بحر ، فوق دهم كأنهم
يعرفونها فرسانها بأغشيم
إذا دفعوها قلت : فرسان غشارة
يسوق أساطيل الفريخ اليهم
وماؤهم في البحر حمر سوائيم
علم يفت في فج من الأرض حشارب
وعاد الأسار مردفين وسفثيم

هذه الصور الكثيرة من تصور كثيرة لتكون شاهدا على وصف المركبة ، ولكن - من أنها مختارة - لم نجد فيها الوصف الدقيق للمركبة ، من حيث تذاور الأحداث وتفصيلها ، ولم نجدنا نموصا أخرى أوجدنا اشتاق كثير من الأدباء في نقل جو المركبة ، بل قد يجمع شيبان بعضهم فيقدم المركبة في صور لا ترتبط عادة بالجو القتالي ، وذلك منسيا منهم وراء الزخرف البياني ، يقول ابن الساعاتي مثلاً :

خفيثا تشفى رصحه وهو ثشيبان
وكم مردود دونه وهو غشيبان (٢)

إذا ما تشفى السيف في المهاد والخلل
تشفى القوس عنه رانيا لبالشيب

ويقول الحماد : " ورثت قدود السم على غناء السواهل ، وحركت رياح السواهل ذوائسب الذوايل " (٣) ، ويقول شهاب الدين محمود :

أبراجها انبعا منها باللمسب (٤)

ونلت البين في الاثنان فأرتقصبت

وقد يقال أن بين الأعراس والمعارك بعض مشابهة بما في كليهما من حركة واضطراب ، وما . . . ولكن وصف الحرب يتطلب كل ما يوحي بالقوة والشدة والندم ، يستوى في ذلك الإلحاح والأصوات والأخيلة والصور . وقد حد من دقة وصف الأدباء للمعارك ، وأعطاه صورة واقعية عنها ، بما استعملوا إليه من زخرف لغتي ولغوي قد يصل إلى حد الحذقة ، ومثال ذلك قول النسيبة المصري الجواني :

فالرج ينظم والمهند ينشيم (٥)

نشر ونظم طعنة ونرايسم

- (١) ديوان أسامة ٢١٦ وأنظر أيضا ص ٢١٧
- (٢) ديوان ابن الساعاتي ١٢٩/١
- (٣) النسخ التسي ٥٠٨
- (٤) تاريخ ابن الفرات ج ٨ / ١١٧ - ١١٨ ، وأنظر جواهر السلوك ورثه ٦٠
- (٥) الروشدين ١٠٥/٧

وتقول المصادر :

تنشر الإهام كالحروف فما ~~أهم~~ به هذى السيوف بالاقصاف
في محارب حربة البيض صلصست
وركنو النطير سجود الهـ ~~هـ~~ (١)

وتقول شهاب الدين محمود في فتح عكا :

وحطمتها بالبرانيق التي وقشست
درغوة نصيبوا أضافها غنصدا
أزاء جدرانها في جحفل لجصصب
للكر والمخلم منها كل منقصصب (٢)

ومن النثر قول شهاب الدين محمود يصف مجائيز الفرنج التي عجزت عن الصود أمام مجائيز المسلمين : " فأعلمتهم أنها لا تليق الدفاع عن غيرها بعد أن عجزت عن نفسها ، وبسالمست أنها إمارة على الأذعان ، ورغبت أصابعها أما ابتابة أن تذلل للشهد ، وأما ابتابة إلى السلب الأمان " (٣) . فهذه الأخيصة تدرك عن الجوا الواقعي للقتال ، وأن استوت على أنصصصا جديدة غير ما لوفت من التشبيها والاستعارات . ومن عوامل الافتقار إلى الوصف الواقعي الدقيق للمعركة ، التركيز على النتائج ، دون تتبع مجريات الأحداث ، ففي حديث القاضى الناشئ عن محاصر الفرنج لمكا ، يركز على انتشار المسلمين في مرحلة من مراحل المحصار ، إلى النحر التالي : " فنزلت الفرنج نزعكا في أسلول ملك بحره ، ومن سلك بره غنصصنا اليد ، ونزلنا عليهم وعليه ، فشرب معنا صاف ، قتلت فيه غرسانه وشجعانه ، وشذلت سلبانه " (٤)

وقد يتبادر إلى الذهن أن الأدباء الذين تحدثوا عن المصارك كانوا بعيدين عن مساحة القتال ، ولكن هذا الأمر لا يمكن تعميمه على أدباء العصر جميعهم ، لأن بعضهم شاهد المصارك غير مرة ، ومن هؤلاء الصاد الذى شاهد هجوم الفرنج على المسلمين في عكا ، وأكثرت من الجهر ، يقول : " وكنت في جماعة من أهل الفضل ، وقد ركبنا في ذلك اليوم ، ورثنا على التل شاهد الواقعة ، وننتظر ما يكون من القوم ، وما ظننا أن القوة تهبي ، وأن الوثقة الينا تنسحب ، فلما سألونا في المخيم ، وبأسطونا في المجثم ، وكنا على بنال بنير أهبة قتال ، استدركنا أمونا وأخذنا حذرنا ، ورأينا المسكر موليا والمنهزم عما تركه من غيابه ورجله متخليا ، فواثقنا في الاندفاع وألينا الاستمرار في المال عين الانتفاع " (٥) ، على أنه يمكن فهم رواية الصاد هذه ، على أنها دليل على أن الأدباء ، أو معظمهم على الأقل ، لم يمارسوا المماناة الحقيقية التي مارسها المقاتل ، ولذلك وصفوا المعركة وصفا جزئيا ، وهذا ما يفهم من قول الصاد " وكنا على بنال بنير أهبة قتال " ، فهم كالصحفيين الذين يراثبون المعركة ويمسئونها وصفا ظاهريا ، ولكنهم محجزون عن وصف دقائقها ومماناة المقاتلين فيها .

(١) الروشتين ١٧١/٧

(٢) جواهر السلوك ورقه ٦٠ وأنظر تاريخ ابن الفرات ١١٢/٨

(٣) صبح الاعشى ٣٩٦/٨ ، وأنظر حسن التوسل ١٤٥

(٤) صبح الاعشى ٥٢٩/٦

(٥) الفتح القسي ٣٠٩ وأنظر ص ٧٨ - ٨٣ ، ١٦٥

وبذلك يتغلب الوعي والاعتدال على الشعور والاحساس، فيكون وصف المعركة من الخارج ، لا من الداخل .

وتد يورد انصار الادباء عن وصف تسلسل الأحداث الى أنهم اهتموا بأغلب أنباء المعركة على الماء في وقت قاتل فيه وسائل الإغاثة . ويضيف الدكتور محمود ابراهيم سبيبا آخر في مجال حديثه عن ابن القيسراني ، يمكن تجميعه على أدب هذه الفترة ونواكسها الشعراء في وصف معاركهم على التراث الشعري السابق (١) ، وخاصة تصائد أبي تمام وتصائد المتنبي الخيرية .

ومن ذلك ، غابا لادباء لم يدخلوا وصف المعركة كلية ، بل تناولوا أجزاء منها ، كوصف قوة الأعداء ، وقوة المسلمين ، وأدوات المعركة ، والجو العام لها ، ثم التركيز على النتيجة وثيما يلي تفصيل ذلك . . .

١ . وصف قوة الأعداء : اهتم الادباء بالتهار توة العدو ، وكثرة عدته ، قبل الدخول في المعركة ، لكي يفسحوا لخيال السامع حتى يكون صورة واضحة عن قوة العدو ، وكسرة عدده ، وبالتالي عن عظمة الانتصار عليه ، يقول القاضي الفاضل في حصار دمياط زمن صلاح الدين : " فانهم نزلونا بحرا في ألف مركب مقاتل وحامل ، وبرا في مائتي ألف فارس وراجل ، وحاصروا شهرين يباكونها وبرأوحونها ، ويماسونها ويمسأحونها القتال الذي يعليه الصليب ، والقراخ الذي ينادى به من كان قريب . . . (٢) " . وفي ذلك يقول فتيان الشافري :

ولما أتوا دمياط كالبحر ظاهرياً
يزيد عن الإحصاء والمد جمهم
وفي زمن الكامل بن العادل ، حاصر الفرنج دمياط بقوات هائلة ، فقال علم الدين أيمن المحيوي في ذلك :

وأتى بها ملاة البسيلة كشمرة
جيش اذا مسحت يدها بقصصة
كالسيل إلا أنه لا ينقص
والله ربك نادى ما شمسوا
جف المياه بها وذاب الجمل
والليل إلا أنه يتوقد (٤)

(١) صدى النزو الصليبي في شعر ابن القيسراني ١٣٧

(٢) صبح الأعشى ٨٣/ ١٣

(٣) ديوان فتیان الشافري ٣١٩

(٤) ديوان علم الدين أيمن المحيوي ص ١٥

وفي وصف قوتهم البحرية يقول الصادق : " فسمّر الفرنج اسطولا ، وصفّ شوانيه على البحر عرضا وطولا ، وقدر أنه يأتي الاسطول المنصور ، ويحيطر بسد الدار على وجهه ، وصدها ، السبور ٠٠٠ (١) ، ويثول ابن دنيير في وصف قوات الفرنج البحرية التي حاصرت دمياط :

قال بحر من تحتهم آذيه وعليسي
وزعتهم بين بيض الهند صلتية
فللمرطاب قلوب منهم أبسدا
أما العصور الى دمياط تحصنهم
روؤوسهم منك نار الحرب تستعسر
وبين سم القنا ، والموت محتكسر
وللسيوف الدلي والهيا ، والقصص
وما دروا أنه غير به المبر (١) *

وصف قوة المسلمين : وقد قصد الأديب من ذلك اظهار قوة المسلمين أمام قوة الفرنج للدلالة على شدة المعركة ، ولرفع معنويات المتألمين ، فان كان النصر لهم أظنهم رؤوسهم بمثلهم القوي الذي تنلب على يد قوي ، وأن كان النصر عليهم قدما بين أيديهم عذرا مقبولا وهو أنهم أعدوا ما استلجوا ، فان خسروا حركوا فما خسروا المعسارا ، ولا خسروا الأمل بالنصر ، وأدلة ذلك كثيرة * * ، فمن أمثلة انتشار المسلمين بالقوى على الفرنج الأعداد لهم ، ما جاء في الروضتين تحت باب القديسات (٣) ومنها حصول ابن دنيير في مدح الأشرف موسى يوم دمياط :

أنت دمياط إن أعيت رماحتهم
فكنت إن زلزلها مفتاح مقتلهم
صدقه بخمسين لو صدقت به
من بعد ما كان في آملهم طسول
أوردت أنفسهم خوخي الردى فمدا
كل الورى وتناهى البدو والحشم
فالحق منتصر والشرك مندشم
وجه البسطة كادت منه تنفطشم
يوم الكفاح وفي أطارهم قصص
ورودهم بارتواء ما له صمندر (٤)

- (١) الفتح القسي ٣٨٥ (٢) ديوان ابن دنيير ورقة ١٥٠
* لمزيد من الأمثلة أنظر : ديوان أسامة بن منقذ ٦٠٣ ، ٦١٧ ، ٦٢٤ ، ٦٢٦ ،
الروضتين ج ١ ق ١ ص ٥٣ ، ٢٧١ ، ٢٧١ ، البداية والنهاية ١٢ / ٣٢٨ ، ٣٢٩ ،
تاريخ ابن الفرات ١١٢ / ٨ ، ومجلد ٥ ج ١ ، ٢٣٠ ، تشریف الايام والعصور ٢٨
عقد الجمان ج ٢٠ ق ٤ ورقة ٢٧٨ ، ٧١١ ، ج ١٨ ق ١ ورقة ٥٨ ، ج ١٢ ق ١
ورقة ١٨٢ ، الفتح القسي ١٧٤ ، ٢٨٩ ، ٣١١ ، ٣١٤
* * لمزيد من الأمثلة أنظر : ديوان أسامة بن منقذ ١٧٦ ، ٢٠١ ، تاريخ ابن الفرات
١١٢ / ٨ ، الفتح القسي ٢٧١ ، الروضتين ١١ / ١٣٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ١٠١ ،
غريدة القبر تسم شعراء الشام ١٠٥ / ١ ، ٤١٤ ، ٤٢٢ ، ٤٢٠ ، ٢ / ٢٨٩ ،
تسم شعراء العراق ١٤٧ ، طبع الثروب ١١١ / ١ ، عبد اللطيف حمزة ، الادب
المصري ٦٨ .
(٣) الروضتين ١٠٣ / ٢ ، ١٠٧ ، ١١٥ ، ١١٦
(٤) ديوان ابن دنيير ورقة ٢٢

ويقول ابن دنيير غيب هزيمة دمياط ، وقد وصل الحشيم بحسن لنجدة أخيه الكامل
محمد :

أتيموا عيود الدين لله تسعدوا
أرى الآية الكبرى من السر قد جرى
عسى الله أن يأتي بموس غانسي
ليظهر أن الحق حق محمد
غلا تجزعوا من حادث جاء تادحا
فتمنوا لدين الكفر غارات محشر
وشبوا لهم نار الجهاد غانكهم
غذا الدين ما أرسى قواعد حقه
هل الدين ملبوس جميل وشبهه

فقد جاءكم عيسى وهذا محمد
بها الفأل فالأفراح فيها تحسد
أرى كبدى شوقا إليه توشح
وكل نبي بالذى قلت يضم
غذا الدين للرحمن في نصره يمسد
لهم في الهدى فرج زكي ومحمد
مضى تتركوها آن للنار تشمس
لدى الناس إلا ذاهل ومهين
ينيلكموها اليوم أو يسعف الغد ؟ (١)

وصف الجوال العام للمسركة وذكر النتيجة : وقد أتممت الأدب في اظهار الجوال المسام
للمسركة على تقديم صور خائفة لالتقاء الجيشين ، ثم ما ثبت المسركة أن تنقضي
باعلان هزيمة الفرنجة ، يقول عمارة اليمني في مدح الملك الناصر بن السالح :

نهدت الى الافرنج تزجي كتابها
غولوا وتد أيقظ عليهم نفوسهم
وأتهمتهم ركننا على كل سابع
ويقول في مدح صلاح الدين يوم دمياط :

لئن نصبوا في البر جسرا فانكهم
طريق تقارعت عليها مع المسد
أخذتم على الافرنج كل تنيسة
وأزعجه من صر خوف يلهمه

عبرتم ببحر من حديد على الجسر
ففرتم بها والصخر يقرع بالصخر
وتلتمز لايدى الخيل مري على (مُـرِّي) ***
كما لزم منزعج من الليل بالالجسر (٢)

(١) ديوان ابن دنيير ورقه ٤
لمزيد من الامثلة أنظر : الروضتين ١/ ٥٨ ، ١٥٧/ ٢ ، ١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٨٨ ،
٢٠٤ ، ٢١١ ، ديوان ابن مناة البلاء ٥٦٦ ، صبح الاعشى ٣٥٥/ ٧ ، ديوان
علم الدين آيد مرعي ١٥ ، وأنظر محمد كامل حسين في أدب مصر الفاطمية ص ٢٣٠
الشريدة تسم الشام ١/ ٢٦١ ، ديوان ابن الشياط ١٨٤ .

(٢) النكت المصرية ٣٠٧
مري هو ملك القدر الافرنجي
(٣) المصدر السابق ٢٦٦ ، الروضتين ١/ ١٢٤

وثمة أمثلة كثيرة تصور لقاء الجيشين بأعداد كثيرة وتعدد صنوعة ، وقد اتكا الأديباء
لاظهار هذا الجوع على الجرس الموسيقي القوي المرتبط بجو الحروب ، فكثرت الألفاظ
التي تشير الى الضرب والحركة ، واستعملت البحور الملوقة التي تتناسب مع جدية
الموقف .

ودما يتعلق بوصف الجو العام وصف نتائج القصف ، وقد قدم القاضي الفاضل وصفاً
دقيقاً لتهديم سور القدس بسد قصفه بالمدفعية يقول : فأغلى السور من السيرة ،
والحرب من النظارة ، وأمكن النقاب أن يسفر للحرب النقاب ، وأن يحيد الحجر الى
سيرته من التراب ، فتقدم الى الصخر فمضج سرده بأنياب محوله ، وحل عده بضربة
الاحراق الدان على ليلاته أنه يوتجراً بعض الحجارة من بعض ، وأشد الضمراب
عليها موتاً فلن تبني الارض . . . (١) ، كما وصف ابن دنيير شوارع المعركة
فلا يرى من شأنها سوى وجه المدوي (المعظم عيسى) أو لمح الأسنة والسيوف ،
يقول :

عاد النهار لهم ليلاً بقساسة دحت ، ووجهك في ظلماتها قمصر (٢)

وصور الأدب في معزى وصف الجو العام للحركة حالة الفرنج النفسية في وقتي النصف
والقوة ، وقد سبقنا الاشارات الى مواطن القوة عندهم حين تصلهم الانذارات أو بعد
النصر ، وأما ضعف نفوسهم فيكون بعد الشروع من نزيفة أو حين يشعرون بقسوة
المسلمين ، وأمثلة ذلك وافرة ، منها ما حدث زمن عماد الدين زنكي حين حاصر حصن
الأنبار ، فأجتاح الفرنج من كل مكان ، ولكنهم من كثرة عددهم أحسوا بقوة عماد الدين ،
فلحقوا على الهجوم بل زلقت نفوسهم وهم ينظرون ، يقول ابن الأثير : " هذا ،
والرعب قد ألقاه الله في قلوبهم فهم منه يعللون ، والخوف قد عم رؤسهم ومروءتهم فهم
منه خائفون ، ويقدمون في سيرتهم رجلاً ويؤخرون أخرى ، ويحتقدون أن الظاهرهم
أولى وأجبر ، ولكن آجالهم تسوقهم الى موارثهم ، فهم نحتوا يبرزون ، وكأنهم
يساقون الى الموت وهم ينظرون . . . (٣) ، ويصف أسامة بن منقذ حالة الفرنج لا سيما
بندوين وقد انتصر عليهم نور الدين :

وقد ضاقت الدنيا عليهم برحبهم غام ينجه بر ولم يخمه بخصمهم (٤)

وينفي المذهب بن الزبير أن تكون الأرض قد زلزلت ، وإنما شعر الفرنج بحركة الأرض
نتيجة خوفهم فيقول :

ما زلزلت أرض المدا بل ذاك ما بقلوب أهلها من الخفقان (٥)

-
- (١) الروضتين ١٠٠ / ٢
(٢) ديوان ابن دنيير ٢٢ ، وأنظر مثلاً آخر في الروضتين ٥٤ / ١
(٣) الباهر ٤٠
(٤) ديوان أسامة بن منقذ ٢٠٣
(٥) الروضتين ١ / ٢ / ٣٧٦ والمزيد في قسم شعراء مصر ٢١٠ / ١

وقد صور ابن سناء الملك حالتهم النفسية بعد سقوط التدبر حين قال :
 غدا بادويل وهو يلصق نفسه وحق تلك النفس أن ترجع اللئيم
 يروعه السبع الضير إذا بسسدا ويوحيه الليل البهيم إذا بئسدا (١)
 ويؤكد الرشيد النابلسي هذا المعنى فيجعلهم كالوهم لشدّة الخوف والحسرة يقول :
 لتراهم بين التناول كالوهم وكانوا مثل الناكب عسكرا (٢)
 كما نجد هذا المعنى عند ابن عبد الظاهر زمن المنصور قانوق حين فتح حصن الدرب
 يقول :
 حصن به الفار قالوا تسسري من بعد هذا أي شيء بقسري
 وقال كل منهم ليتسلسل لمثل هذا اليوم لم تسلسل (٣)
 ويقول المحلّ في وصف حالة الفرنج الذين تحصنوا بحصن الاكراد * وخاف الكفر
 وطاق الذعر ، وقال نفراً الشراء نفراً ولا نستقر ، فكأنهم في حصونهم أموات ، لا
 ترتفع لهم من الجهل والوله أصوات (٤) ، ويقول علاء الدين بن القاضي محسني
 الدين بن الزكي في وصف الفرنج صفاء وتدها جهم ببيرو سنة ٦٦٤ : « واناذا والحصن
 قد تزعت أركانه ، والكفر قد أنهدم بنيانه ، وشمر عن ساق الهزيمة هيلانه » (٥) *
 وقد كان للاحداث الجارية ورجحان كفة المسلمين أثر في شهور الفرنج بأن يصيروهم
 الموت بعيدين عن موطنهم الأصلية ، يقول القاضي الفاضل : « والفرنج يصرّون منسما
 خصما لا يمل الشر حتى يملوا ، وقرنا لا يزال يحرم السيف حتى يحلوا ، حتى إذا لمسا
 جاوزناهم في الأمر القريب (دما سنة ٥٦٤) وعلما أن المصحف قد بئاء بأيديهم
 يخاضع الصليب استشعروا بفراق بلادهم ، وتبادوا التحاري لأرواحهم بأجسادهم » (٦)
 ولقد وفق الأدباء حين قدموا لنا صورتين للفرنج ، إحداهما خلال فترة تمسكهم
 واستعلاء ، ما لبثت أن انقضت ، والأخرى خلال مواجهة دويلة مع جيوش الاساطين ،
 انتهت بخروجهم من المشرق الاسلامي ، ولعل الآيات التالية التي قيلت بعد أن انتصر
 نور الدين على الفرنج قرب بلخية سنة ٥٥٨ تصلي فكرة ما كان عليه الفرنج في فترة القوة

- (١) ديوان ابن سناء الملك ٧٥٩ (٢) عقد الجبلان ١٧ / ١ / ١٧٩٦
 (٣) تشريف الايام والمصور ٨٢ (٤) الفتح القسي ٢٦٥
 (٥) نهاية الارب ١٥٢ / ٥
 * لمزيد من الامثلة انظر : الروتين ١ / ٢ / ٣٧٤ ، ٣٧٤ ، ٤١٢ ، ج ١ / ٣٨ / ١٥٦ ، ٢٢٠
 ٢٧٤ ، ج ١ / ١٢ / ١٣ ، ٢٨ ، ٢٨ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٨٢ ، ١٠٦ ، ١٠٦ ، ١٤١ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٨١ ،
 ٢٧٤ ، الفتح القسي ١٥٦ ، ٢٤٥ ، ٢٠٠ ، ٣١٣ ، ٣٧١ ، ٣١٧ ، ٤٠٣ ، صبح الأعشى ٢ / ٢٤٦
 ٢٩٨ / ٨ ، نهاية الارب ١٥٢ / ٥ ، ١٥٨ ، ١٩٢ ، الكامل ١١ / ١٢ / ٤٥٧ ، تشريف الايام ٧٩
 رسائل ابن الاثير ١٥٢ ، ديوان عثمان الشاغوري ١٤٧ ، ٣١٨ ، النوادر ٧٧ ، ديوان ابراهيم
 سناء الملك ٥٦٦ ، ٨١٤
 (٦) صبحي الافش ١٢ / ٩٠

ويصف ابن القلانسي وصول الاسرى الى دمشق ، وقد رتبوا على كل جمل فارسان من ابدالهم ، ومعها راية من راياتهم منشورة ، ويذكر قول بعض الشعراء :

ما رأينا فيما تقدم يومنا
مثل يوم الفرنج حين علتهم
مراياتهم على الدخيس زقوا
بين ذل وحسرة وعناء (١)

ويقدم القاضي الفاضل والحداد الاصفهانى وابن الاثير مثل هذه الصورة يوم حطين إذ صفد الاسرى بحبال الدخيم ، وجيء بهم بين يدي السلطان ، يقول القاضي الفاضل : " فلورأيت أكتاف الدخيم في أعناق الاسارى يساقون بها مقرنين ، لحمت الذى سخر لنا هذا وما كنا لمقرنين " (٢) .

ويقول الحداد : " وجاءوا بالاسارى بين يديه مقرنين في الأصقاد ، مقودين في الاقياد ، مسوقين الى السوق ، والحديد منهم في الاعناق والسوق " (٣) . ويقول ضياء الدين بن الاثير : " وجيء بالاسرى مقرنين في الأصقاد ، موقنين ان رؤوسهم عوارق تلك الاجساد ، ولو استطاع رأس أحدهم أن ينكر عنقه لأنكره ، ولا يود وهو المعتزم أن يقال ما أعظمه بل يقال ما أحقره " (٤) . ولم يكن هذا الحال للبنود فدا ، وإنما شاركهم فيه ملوكهم ، يقول ابن سناء الملك :

وعوى الأسر كل ملك يدان الد (م) هو يغنى وملكه ليس يغنى
والملك العظيم فيهم أسير يتثنى في أدهم يتثنى
يحضب النوقظة ويتلن الش --- خص طودا ويبصر الشمس دجنا
كم تمنى اللقاء حتى وآه فتمنى لهن أنه ما تمنى (٥)
ومن الواضح أن ذكر الملوك الاسرى جاء ليظهر عظمة النصر ، وقدرة الاسر ، ثمسح أن الاسير ملك عظيم إلا أنه وقع في أسر المسلمين ، ولولا قوة القائد المسلم لما تمكن من أسر هذا الملك العظيم ، يقول ابن القيسراني في مدح نور الدين :
من باتت الأسد أسرى في سلسله بل يأمر الغلب إلا من له الغلب (٦)

(١) تاريخ ابن القلانسي ٣٤٣ هـ وانظر الرونتين ٢٧٢/١/١ هـ وشرح الكروب

١٤٩/٣ هـ وعقد الجمان ج ١٢ ق ٢ ورقة ٢٨٣

(٢) الفاضل من كلام القاضي الفاضل ورقة ١٠٠

(٣) الفتح القسي ٩٣

(٤) ضياء الدين بن الاثير ٧٥

(٥) ديوان ابن سناء الملك ٨١٩

(٦) الرونتين ١٥٤/١/١

وقد سلك أدباء العرب سياط السخرية والاستهزاء على قادة الفرنج الأسرى ، يقول
ابن دنيير :

يمشون همسا ، وإيما حد يشهم
نهامهم الرعب عن عود فمقصصة

ويقول ابن مازوح :

قل للفرنسيين إذا جئتكم
أجرك الله على ما جسر
أتيتهم تبتشي ملكهم

وكثر عدد الأسرى حتى أصبح القيد غالبا لشدة حاجة المسلمين إليه ، يقول
الشافعي :

أغلى الأدهم من أسر وأرخصت
بيض الصوارم من نسياب المعسكر

ويقول المحاد :

يباعون أسرابا شرائح أحمل
كشلة صفير من الريش جردا

ويقول :

سبايا بلاد الله ملوثة بهمسا
يطاف بها الأسواق لا راغب لها
هذا ، وقد صور الأدب القتلى ودماهم ، وصير تلك الجثث المنتشرة هنا وهناك
لكثرتها ، كما رسم صورة رهيبة لرأس الجندي الصليبي القليل وهو يعلو الرمح ،
وكأنه ثمرة من ثماره مع أن الرمح لا يثر ، يقول ابن القيسرائي :

عجبت للصعدة السمر مشرة
سما عليها سحوا الماء أرققه
إذا القناة ابتغت في رأسه ثقفا

برأسه ، إن إشار الثنا جسيب
أنبوه في صمود أعلاها صبيب
بدا لثعلبها من نخره سرب

- (١) ديوان ابن دنيير ورقة ١٥
(١) ديوان ابن مازوح ١٨١ ، والإلحاح ١٦٩/١
(٣) ديوان فتيان الشافعي ١٦ ، والروضتين ٨٤/٢
(٤) الروضتين ١١٨/٢
* للمزيد من الأمثلة عن الأسرى أنظر : الروضتين ٢٠٦/١/١ ، ٤٤٤/٢/١ ،
ج ٤٨/٢ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١١٧ ، ١٢٩ ، حسن المحاضرة ٣٩
تاريخ ابن الوردي ٥١/٢ ، فوات الوفيات ١٥٧/١ ، المواعظ والاعتبار
ط ٢١٣ بولاق
(٦) الروضتين ١٥٤/١/١

ولم يكن رأس القائد هو الرأس الوحيد الذي رفع على رمح ، وإنما استطالست رؤوس
الزنج كأنما هي نزع قد أعصب ، وحين شهدوا السيف الاسلامي أغوته بهتافها ،
فنادى سيوف المسلمين لتشارك في حصاد الزنج البشري ، يقول ابن القيسراني أيضا :

وبالتأروءس الأعاج غصبا فنادى السيف قد وقع الحصاد
أعداء بهم فكان القتل صبرا ولا دمع هناك ولا طراد
ولابرنز فوق الرمح رأس توسد والسنان له وساد (١)

ويقول القاضي الفاضل في فتوح صلاح الدين : " وطاد المسلمون برؤوس
عدوهم في رؤوس القنا ، وقد أجتتوا ثمراتها ، وأرواحهم في صدر الدابي ، وقد
أطافوا بمائها بجمراتها . . . " (٢) ، وفي معركة دميال سنة ٦١٥ يقسمول
ابن دنينير :

ما أنبت الغيا طول الدهر من أصل غادرت له من هامهم ثمر (٣)
وقد فصل الشجر صورة أنفصال الرأس عن الجسد ، فجعلوه يركض نحو البطيل
المسلم ليقدّم الدابة والتحية إليه ، أو يطير إلى السماء مع القنا ثم يهبط إلى الأرض
لشدة الذرية ، يقول ابن القيسراني :
أتى رأسه ركننا وفودر شمسوه وليس سوى غاني النسور له قبر (٤)

ويقول ابن خنير :

تحشي القنا برأسه وهو الذي نأمت دمار النيرين قناتسه
لوعائق الحيوق يوم رقتسه لأراك شاهد غفقه إختاتسه (٥)
بل قد تبلغ الذرية لشدتها حداً ترفع معها جثة القائد الصليبي فتلقه سهيل العيين
لا من نحاس ، وغائرها لا من سهاد ، يقول ابن القيسراني :
ترجل للسلام ففرسسوه وليس سوى القنا له جسسواد
فضيقت المقلتين ولا نحاس وغائرنا وليس به سهاد (٦)

-
- | | |
|-----|---------------------------------|
| (١) | الروشتين ١٤٦/١/١ |
| (٢) | الفاضل من كلام القاضي الفاضل ١٨ |
| (٣) | ديوان ابن دنينير ورقة ٢٢ |
| (٤) | الروشتين ١٨٦/١/١ |
| (٥) | المصدر السابق ١٥٨ |
| (٦) | المصدر السابق ١٤٦ |

وقد تصل الذرية الى رأسه فتحميه بعد أن تكون قد علمت التاج الذي علمه ،
يقول ابن منير :

حللت التاج عنه وحل تاجها فكان العند من عند الكساب (١)
وفي مقابل ارتفاع الرأس في الجو ، فان الضربة تنفوس الجسم في الأرض حيث
تجري وكأنها أشجار والرماح تحمل الثمر ، يقول المحاد :
لقد بخت فئة الافرنج فأنتصفت
غرس في أرض مصر من جسمهم
منها بأقدام الهندية البتسر
أشجار خط لها من هامهم ثمر (٢)
بالإضافة الى هذه الصورة ، فقد قدم الادب صورا أخرى لجثة القتيل الفرنجسي ،
فهي إما ملقاة على الأرض تعلوها الدماء كما يقول ابن الصياد في مدح طلائع بن
رزيك حين تمكن من قتل مقدم خيل الفرنج :

هو ملجأ جثث العدا في الحرب من
فجيا به تشكو مزاحمة القسا
حلل النجيب مجاسدا وريالها
وترد غرسان الرماح مياها (٣) *

وأما ملقاة بالحراء ، يقول ابن منير في صاحب إنداكية :

والآن ملقى بالحرا يقتاتيه
أولاء أرباب السبابك انامه
ما كان قبل بعيده يقتاتيه
فتقاذفت بحنيفة قد فاتته (٤)

ويقول ابن شداد في وصف قتل الفرنج يوم عكا : ٣ وتامت سوق الحرب ، فلم يكن
الا ساعة حتى رأينا القوم صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ، وأمتدوا مطرحين
على الثادل والوهاد ، وشربت السيوف من دماهم حتى رويت ، وأكلت الأسد الوحشي
بأسنان الظفر بهم حتى شبعت ٠٠٠ (٥) ، ويقول راجح الحلبي في قتل
دمياط سنة ٦١٥ هـ :

فلم ينسج إلا كل شلو نجس
ثوى منهم أو من تراه مقيدا (٦)

(١) الروضتين ٢٢٩/١/١

(٢) المصدر السابق ٣٧١

(٣) الخريدة / قسم شعراء بصر ٢٤٣/١

* الأبيات منسوبة خطأ الى شاعر البغداد ، انظر ديوان شافرس ٣٧٥

والرباط الاثواب الرقيقة

(٤) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٥٨

(٥) النوادر السلطانية ١٣٠

(٦) ابن كثير / البداية والنهاية ٩٥

وفي قتلى معركة حصن زمن قلاوون يقول بدر الدين المنهجي :

أجريت فيها بخارا من نجيعهم
لم تلح الشمس فيها بعد ذلك على
فكل سابعة سبعا الى اللبسب
غير الشاذيا من القتلى ولم تنسب (١)

وهذه الجثث المتناثرة على الأرض كثيرة العدد ، لأن الجيش الفرنجي يضم أعدادا كبيرة ، يقول ابن الأثير في وصف قتلى حطين : " فكان من يرى القتلى لا يثنى أنهم (المسلمين) أسروا واحدا ، ومن يرى الأسرى لا يثنى أنهم قتلوا واحدا ٠٠٠ ولقد اجتزت بموضع الوقعة بعدها بنحو سنة ، فرأيت الأرض مئذى من عظامهم تبين على البعد ، منها المجتمعي ومنها المفرق ، هذا سوى ما جرفته السيول وأكلته السباع ٠٠٠ " (٢) ، ويقول فتيان الشاغوري :

فالنيل لا تشي بها إلا على هام منقذة وشعر أشعر (٣)

وقد أعطى الأدب صورة لأعداد القتلى ، ربما كان مبالغا فيها ، يقول العماد في قتلى الفرنج أثناء حصار عكا : " ولم يفلت من الأعداء إلا أعداد ، ولم ينسج من الآلاف إلا آحاد ، وأصبت (تلك الأجساد) لنار العرب فراشا ، ولأرض المعركة فراشا ٠٠٠ " (٤) ، ويقول ابن النبيه في مدح الملك العادل :

كم لك في يانا وفي المن من
عشرون ألفا غير أتباعهم
وتأني غر مشاهد
ما بين متول وأسور (٥)

ويقول ابن مطروغ في وصف قتلى الفرنج في موقعة دمياط سنة ٦٤٧ هـ :

خصمون أذا لا يرى منهم
غير تتول أو أسير جريم (٦)

ويقدر الملك توران شاه عدد القتلى في الموقعة السابقة بثلاثين ألفا ، يقول في كتاب إلى نائبه في دمشق : " ولما كان الليل ، تركوا غيائهم وأثقالهم وأموالهم وقصدوا دمياط هاربين ، فسرنا في أثرهم بالبين ، وما زال السيف يحمل فسي

(١) عقد الجمان ٢٠ ق ٤ / ٧٢٢

(٢) الكامل ٥٣٧/١١ - ٥٣٨

(٣) ديوان فتيان الشاغوري ١٤٥

(٤) الفتح القسي ٣١١

(٥) ديوان ابن النبيه ١٢

(٦) ديوان ابن مطروغ ١٨١ ، المنقصر في أخبار البشر ١٨٦/٣

أديارهم عامة الليل ، ويجعل فيهم الغزى والويل ، قلما أصبحنا نهار الاربعاء ،
قتلنا منهم اثنين ألفا غير من ألقى نفسه في اللجج ، وأما الأسرى فحدث عنهن
البحر ولا عن (١) .

هذا وقد صرح الأديب سال هذه الجثث ، وتستوها بين بطون الوحوش وحواصل
الطيور ، لا إكرايا لهم ، وإنما لان الأرض رفضت احتواء جثثهم لوجعهم ، يقول
الحماد في وقعة جلين بإديط صلاح الدين :

كسرتهم إذ صبح عزلك فيهم ~~جثثهم~~ ونكستهم إذ صار سبهم ~~نكستهم~~
بواقعة رجت بها الأرض ~~جثثهم~~ دماراً كما يستجبا لهم ~~بسبهم~~
بطون ذئاب الأرض صارت قبورهم ~~جثثهم~~ ولم ترض أرض أن تكون لهم رصا (٢)

ولهذا أكثر الأدباء من وصف جيوش الطيور فوق الجيوش الإسلامي ، متوقعة سقوط
القتلى من الفرنج ، يقول فتيان الشاغري :

خيمت له الرايات ظل ، وفوقه ~~جثثهم~~ من الدايير ظل يحجب الشمس سادل (٣)

ولكثره الطيور فوق الجيش الإسلامي أشد بعثها يصادهم بهفض ، يقول الحماد في
مدح صلاح الدين :

تركب مصارع للمشركين ~~جثثهم~~ يدأون القناعم فيه ~~جثثهم~~
تزاحم فرسانها الضاربين ~~جثثهم~~ فتعدم فيها النسر النسر (٤)

وقد قاسمت الدايير الجارحة في فرائضها الوحوش الفارزة ، واشتركت جميعا في
أكل تلك الجثث ، مع أن الدايير تنفر عادة من الوحوش ، يقول فتيان الشاغري :

فالقوم نهب للسباح تنوشهم ~~جثثهم~~ من كل ذي ناب وصاحب منفر (٥) *

- (١) نهاية الاربع ٢٧ ورقة ١٠١ ، النجوم الزاهرة ٣٦٧/٧
لمزيد من الأمثلة عن القتل أنظر : الخريدة قسم شعراء مصر (١/٢١٢) ، صبح
الاعشى ١٢٧/٧ ، طبع الكروب ١٥٠/٣ ، ديوان فتيان الشاغري ٤٥٧ ، ٥٠٩
ابن الاثير الكامل ٥٧ ، ١١١ ، ١٧٤ ، الروضتين ٤٦٦/٢/١ ، الروضتين
١٠/٢ ، ٧٨ ، ٨٧ ، ١٠٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،
ديوان أسامة بن منقذ ٢٠٢
الروضتين ٨٣/٧ (٢)
ديوان فتيان الشاغري ٣١٧ (٣)
الخريدة / قسم شعراء دمشق والشعراء الامراء من بني أيوب من ٢٨ (٤)
ديوان فتيان الشاغري ١٤٤ ، وأنار ١٤٥ (٥)
لمزيد عن مال الجثث للطيور والسباح أنظر : ديوان طاهر الحداد ٢٥٤ ، ديوان
فتيان الشاغري ١٤٥ ، ٢٢٣ ، ديوان ابن النبيه ٧٦ ، أعلام النبلاء ١٦/٦ الفتح
٢٩٠ ، الخريدة قسم الشام ١٥٧/١ ، قسم العراق ١٤٧/٢ ، قسم مصر ١١/١ ،
الروضتين ١٨٦/١/١

هذه حالة جثث القتلى ، أما دماء القتلى فقد جاء وصفها في الادب لتدل على ما دلت عليه متابعة الدبر للجيش الاسلامي من كثرة قتلائهم سواء في البحر أو البر ، فيها هوذا شهاب الدين محمود يصف الغيل الإسماعيلية تخوض في دماهم في البر و يصف الرماح تنثر دماهم على الاسوار ، وتمت البحر يبحر من الدماء ، يقول :

وخاضت البيض في بحر الدماء فما أبدت من البيض إلا ساق مختضب
وغاص رزق القنا في رزق أعينهم كأنما شدان تهوى الى قلمسب
أجرت الى البحر يبحر من دماهم فراج كالراج ، اذ غرقاه كالعجب (١)

ويقال ابن القيسراني في كثرة قتلائهم ، اذ يجعل مياه نهر الماصي حمراء لكثرة الدماء التي أهرقت فيه يقول :

غداة كأنما الماصي أحمراراً من الدم عورة الجفن القويح (٢)
ويقول فتيان الشافري في مدح الملك الأشرف موسى الذي قتل من الفرنج يوم دماط ما قتل :

فسيفه مع الفرنج دماءهم في البحر حتى الماء منه أشكل (٣) *
وقد نذر الادياء الى هذا الدم على أنه ماء طهر للأرض التي دنسها الفرنج *
فدماؤهم الطاهر الوعد لرجسهم ، يقول ابن القيسراني :
وقد أصبح البيت المقدس آمناً وليس سوى جاري الدماء له طهر (٤)
ويقول ابن سناء الملك :

وكانت بهم تلك البلاد تتجسست فتاب دم منهم عن الماء في غسل (٥)
ويقول الحماد في نكوص الفرنج عن عكا والتدمير سنة ٥٨٣ هـ " ٠٠٠ بل ليس من أيام الكفر يوم فيه خير ، وقد غسل عن بلاد الشام بدماء الشرك ما كان يتغللهم " فلا تنزل ولا خير " (٦) ، ويقول القاضي الفاضل في ذلك أيضا : " فلك الحمد أن أحرمت المسخرة بذلك البنيان المحيط ، وطهر ما طهر من دم الكفر وما كان لظهورها البحر المحيط " (٧) ، وحين تم طرد الفرنج نهائيا من بلاد الشام قال شمس الدين الخزاري :

وأعدتها للمسلمين ولم يكسبن منهم ترى التطهير الا بالدم (٨) *

- (١) جواهر السلوك ٦٠ ، ابن الفرات ١٧/٨ - ١١٨ (٢) أعلام النبلاء ١٦/٢
(٣) ديوان فتیان الشافری ٣١٤ *
لمزيد من الأمثلة عن صورة الدماء أنظر : ديوان ابن سناء الملك ٨١٤ ، ٥٦٦ ، ديوان ابن النبيه ٦٧ ، الروشتين ١٤٧/١ ، ٣٧١/٢/١ ، النريدة قسم شعراء الشام ١٥٨/١ قسم شعراء مصر ٢١١/١ ، عند الجمال ٧٢٢/٤/٢٠
(٤) الروشتين ١٨٦/١/١ (٥) ديوان ابن سناء الملك ٥٦٦ (٦) صبح الأعشى ٥١٩/٦
(٧) المصدر السابق ٥٢٨/٦ (٨) جواهر السلوك رقم ٤٨ *
ذكر محمود سليم هذا البيت من قصيدة ابن الصائغ في فتح عكا ولجيش الى المصدر وهي للخزاري / أنظر عصر سلاطين المماليك ج ٨/٥٧

وبالاضافة الى انهم دماهم المظهر الوحيد لثروى ، فان لها فائدة أخرى وهي أنها تروى الارض والباع والسيوف المغطى ، وتد تفنن الشعراء في تقديم هذه الصور للتشفي بالحدو المنهزم ...

* * *

تلك هي صورة الصراع العسكري الذي أنتهى بعد غناء مرير أستمدة قرنين من الزمان ، ولكن ما الوظيفة التي أخطب بها الادب خلال هذا الصراع ، وما الفاية التي استهدفتها الادباء ؟

لقد أضطلع الادب بمهمة جليلة كان لها الأثر البعيد في مسيرة الصراع ، وفي حفز قادة المسلمين على القتال ، والسير به الى أن انتهى الوجود الصليبي في المشرق الاسلامي وذلك أن الادب نظر الى الترنج على أنهم غرباء طارئون على البلاد الاسلامية وعلى أهلها ، ومن ثم فقد حرضوا على مقاومتهم والتصدي لهم ، مهما بلغت التضحيات ، ومهما طال الزمان ، ولم يخل ديوان من دواوين الشعراء الذين عاشوا خلال أحداث الحروب الصليبية من التحريض على قتال الخزاة ، ويستلج الباحث أن يتبين ذلك بوضوح في الاحداث التي سجلها الادب ، وقد استغل الادباء لاسيما الشعراء انتصار القادة المسلمين ، وأوضحوا للناس أن الترنج طارئون وهم ينتقلون أحد المصيرين : الرحيل أو القتل والتدمير ، كما استغلوا المدح الشخصية ، وأضافوا على المدح حين صفات ترتبط بحظهم من أجل طرد الخزاة ، ويتجلى هذا الموقف بصورة أكثر وضوحا في فتوح صلاح الدين ، إذ أجمع الادباء على أن التدين وغيرها من البلاد الاسلامية قد احتلت في حالة ضعف المسلمين ، وأن قادة المسلمين يصلطون الآن لاسترجاعها لتعود الى سابق عهدها ، كما فيه من طهر وفرح وأمن ، يقول الحماد : " وكان الاسلام غريبا فرجع الى وطنه ، وسكن فيه الوطن قسي مسكنه ، وزالت مخاوفه ، وعاد الى مأمنه ... " (١) ويقول : " ورد الاسلام الضريب الى بيته المقدس ، ونفى الكافر عنه كاسف الهال راغم المخلص " (٢) ولم تغب فكرة الطرد عن أذهان القادة ، فهذا صلاح الدين يغلب في الجيش الاسلامي وهو قبالة العدو في عكا ، ويصلهم أن هذا العدو الدارى قد ولى أرض الاسلام ، فوجب قتاله ، يقول : " أعلموا أن هذا عدو الله وعدونا قد ولى أرض المسلمين ، وقد لاحت لوائح النصر عليه ، والرأي عندي مناجزته ، فليخبرنا كل منكم بما عنده " (٣) .

وحين حاول الطك رتشارد قلب الأسد مفاوضة صلاح الدين رد عليه بقوله : القدس لنا ، وهو عدونا أعظم ما هو عندكم ، فلا يتصور أن ننزل عليه ولا نقدر على التلفظ بذلك بين المسلمين ، وأما البلاد فهي أيضا لنا في الأصل ، واستيادكم كان طارئا عليها لضعف ما كان بها من المسلمين في ذلك الوقت " (٤) .

- (١) الروشتين ٩٨/٢
- (٢) الروشتين ١٠٠/٢ وأنذر أيضا ٨٩/٢ أوصبح الاعشى ٥١٢/٦ (٣) الروشتين ١٤٦/٢
- (٤) ابن شداد / النوادر السلطانية ١٩٤ ، وأنذر ديوان ابن مطروح ١٨٢ ومحمد زغلول سلام / ضياء الدين بن الاثير ٨٠ ، الغريدة / الشام ١٥٨/١

وهكذا نجد حرص الأديباء والقادة على إظهار العدو بهذا المشهر عبر تاريخ الصراع معه ، وحتى قضي عليه نهائياً ، وأخرج من ديار الإسلام .

* * *

وقد حاول الفرنج نيل الاعتراف بهم من المسلمين ، باللين تارة ، وبالشدّة تارة أخرى ، وعن طريق المفاوضات أو المهادنات ، ولكن ذلك كله لم ينته الى ما يريدون ، ويظهر ذلك من ردّ صاحب الدين الأتق الذكر ، ولذا فقد لجأوا الى القوة ، وشدّدوه كما روى الحساد ط مضمونه " وأن أبيه غير النجيرة والإباء ، ودمت على إرطاق الدهماء وإهراق الدماء ، وجاء من وراء السببة البحار من يسد فضاء المسبح السابق ، وأفاق للتناظر على دفع هذا الغضب نصارى الآفاق ، وثار الروم لروم الثأر ، وخرج الفرنج أنظاراً للاستفارة (١) ولكنه لم يثمر لهذا التهديد ، ورد عليهم بالعزم الذي لا يعرفون سواه ، فقال للترجمان " أمرنا الله بتمهيد الأرض ، ونحن قاعون في طاعة بالفرض ، وعلينا الاجتهاد فيمنسي الجهاد ، وأمثال أمره فيه بالانقياد ، وهو الذي يقدرنا على فتح البلاد ، ولا تكثرت الآحاد بكثرة النقاد * (١) .

وقد لجأوا الى الهدية وحرف الناس عن الحرب ، وذلك بالمراسلات المتكررة من أجل الصلح لتختمى نفوس المسلمين الراحة ، وتكره القتال ، فأرسل ملك الانجليز عدة رسائل يدالب في بعضها من السلطان الكف عن القتال ، وأنه لا يجوز أن يهلك المسلمين في القتال ، كما لا يجوز له أن يهلك الفرنج ، ثم تودد اليه بأن يتنازل السلطان عن القدس والساحل وعسقلان (٢) ، فرفض السلطان ، فأعيد الكرة ثانية بطريقة جديدة ، إذ طلب من السلطان أن يزج أعياه الحادل بأخته ، ثم تنازل كل منهما للزوجين عن الساحل والقدس . . . وطالمت السفارات ، ولم تسفر عن شيء ، ومع ذلك بقي السلطان وجنده مهيبين للقتال (٣) ، ولما شعر بالحاج ملك الانجليز ، وقدر ضرر الحسكر الإسلامي من ملازمة القتال عدة سنوات قبل المهادنة ، لأنه خشى أن يستمر الضمير الفرنجي في حين ازداد الضجر في البيوت الإسلامي ، فتكون الدماء غليظة ،

(١) النتج القسي ٢٤٠

(٢) النقاد جنس من النمل الصغيرة الأرجل .

(٣) النوادر السلطانية ٢١٩ - ٢١١ وللمراسلات أنظر ابن شداد / النوادر ٢٠١ - ٢٠٣

٢١٨ - ٢٢٠ ٢٢٢ - ٢٣٠

(٣) الروميتين ١٠١ / ٢ ٢٠٣

وهذا ما يؤكده ابن شداد حين قال : " إن الصلح لم يكن من إشارته " (١) ، وكأنه
أحذر بأن الهدنة بالرغم من مدتها القصيرة - تشكل خطرا على القضية ، فيصارع ابن شداد
بقوله : " أخاف أن يصلح " ، وما أدري أي شيء يكون مبرر فيقوى هذا المدعو ، وتسد
بقي لهذه البلاد ، فيخرجوا لاستعادة بقية بلادهم ، وتري كل واحد من هؤلاء
الجماعة " المسلمين " قد فقد في رأسي ثلة ، وقال لا أنزل ، وبذلك المسلمون " (١)

وإن النادر في بنود الصلح يدرك أنه كان لصالح المسلمين ، لأن سأم الجند
الاسلامي بلغ حدا كاد يصل الى حد التمرد على أوامر صلاح الدين ، فكان هذا الصلح
تجديدا لنشاطهم ، ومن ناحية أخرى فإن خوف صلاح الدين من المستنبل قد تحقق
فعلا ، إذ توفي بعد الصلح بفترة تقل عن السنة ، ولو أنه مات والقتال مستمر لتحققست
مخاوفه من أن يكتسح العدو البلاد وقادة المسلمين متفرقون ، كل في البلد الذي يحكمه ،
وهذا ما عبر عنه ابن شداد في تمحيصه على قول صلاح الدين بقوله : " وكان كما قال " (١)
ثم إن مدة الصلح تشهيرا للحرب مستمرة ، إذ قد تجدد القتال سنة ٥٩٣ هـ أي بعد
انتهاء الصلح بستين (٢) .

ولو سرننا مع التاريخ الى صرببيروس وقاذون لوجدنا الهدنة في صالح المسلمين
بشكل واضح ، إذ كان من شروطها مقاسمة الفرنج في انتاج الأرض ، وضمهم من استتبال
الامدادات كما ضموهم من تعمير الأسوار والقلاع ، وهذا يدل على أن الهدن لستم
بصاحبها شعور بأنها حالة الحرب ، وقد ساعد هذا العامل الطبيعي المسلمين على
استرجاع الاراضي المحتلة (٣) .

والدارس لتاريخ هذه الفترة وأدبها يجد فيها تركيزا على غرس الكره في نفوس
المسلمين ضد الفرنج ، لأنهم يحتلون ، وقد أفلح هذا الكره في تصميم المسلمين على تحرير
الأرض ، ومن الأدلة التي تثبت شعور المسلمين الدائم بالكره للمحتلين ما سبقت الإشارة
اليه عند الكلام من تعريف المسلمين بدمهم ، وما ورد في النثر من دعاة بدمير المسدن
التي يسكنونها واستنزاف اللامعة والمخذلان عليهم (٤) .

(١) النوادر السدانية ٢٣٥

(٢) الذيل على الروشتين ١٠

(٣) صحح الاغنى ٣٣/١٤ - ٣٩ - ٤١ - ٤٢ - ٥١ - ٦٠

(٤) انظر الاعتبار : ١٠ - ١٢ - ٣٤ - ٣٥ - ٤٣ - ٤٥ - ٤٨ - ٦٤ - ٦٦ - ٦٨

٩١ - ٩٤ - ١١٤ - ١١٦ - ١٣٠ - ١٣٣ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤٨ - ١٦٢

ابن شداد ٢٩ - ٣٣ - ٦٣ - ٧٥ - ٩٨ - الكامل ١٠/٣١٠ - ٣٦٤ - ٣٦٥

٣٧٣ - ٣٩٤ - ١٠٦/١١ - ١٥٤ - ٤٥٣ - ٦٦/١٢ - ٦٩ - ٧١ - ٧٨

١٢٦ - رحلة ابن جبير ٢٧٤ - ٢٧٦ - الروشتين ٢/١٧٣ - الخ

وقد أبرز الأدياء هذا السمعور بدارية قوية مؤثرة حين رداوا بين كراحتهم للفرقة ، وكسره الله لهم ، ورفض الهلاك المحتلة لوجودهم ، يقول القاضي الفاضل في وصف فتوح صلاح الدين : " وقد أنظر الله بالعدو الذي تشدات قناته شققا ، وطارت فرقه قرقا ، وكل سمته فصار صلا ، وصدعت حصاته وكان الأكثر عددا وعصا ، فكلفت حملاته ، وكانت قدرة الله تصرف فيه العنسان بالحيان ، عقوبة من الله ليس لصاحبها يد بها يدان ، وعثرت قدمه وكانت الأرض لها حليضة ، وغضت عينه وكانت عيون السيوف دونها كسيفة ، " (١) .

أما بالنسبة إلى الأرض فقد صورها الأدياء تتحمل ثعبان الأعداء ، بل صوروها تتلفظهم وتذمهم ، يقول ابن خلدون في فتح قامة :

فاليوم أصبحت تستذم جيرانها
من جورها ، وغدت تذم جوارها (٢)
ويقول أحد الشعراء على لسان المسجد الأقصى شاكيا الظلم الذي يحيث فيه :

يا أيها الملك المظفر	لصالح الملوك نكس
جاءت إليك ظلامنة	تسمى من البيت المقدس
كل المساجد طهت	وأنا على شرفي ضجج (٣)

وقد صور الشعراء العوامل الطبيعية وكأنها تعمل على استئصال الترنج ، يقول العماد في وصف زلزلة :

سداوة زلزلت بسلطانها الأرض	في وحدت قواعد الأطوار
أخذتهم بالعق رجلة يسار	تركبتهم صرخ صروف المسواد
آية أثرت ذوي الشرك بالهلع	لك وأهل الإيمان بالارشاد (٤)

(١) صحيح الأعشى ٤٩٩/٦

(٢) الروميتين ٦٣/١

(٣) الانس الجليل ٣١٨ ، وزبدة كشف المالك لابن شاهين الداهري ٢٠

(٤) الخريدة بداية قسم الشام وشعراء دمشق ص ٤٩

في حين حرص الأدب على تقديم الصورة المقلبة لهذه الصورة ، فصوروا الأرض تدبج
القادة المسلمين وتلقي بأيديهم حصون الأعداء ، يقول ابن القيسراني في مدح نهر الدين
حين تمكن من قتل أمير أندلس :
وألقت بأيديها إليك حصونك
ولو لم تجب طوعاً لجاء بها القسر (١)

ويتناول شهاب الدين محمود مخاطباً الأشراف :
نسر حيث لم تختار فالأرض كلها
والحل الذي دارحه الأبداء دائماً لتحقيق النصر هو الوحدة الحقيقية ، حين البلاد
الإسلامية ، والجهد المستمر ، وقد أسهمت الحزب نفسها في إيجاد الوحدة وتوحيدها
عزائم المجاهدين ، يقول ابن القيسراني مخاطباً نهر الدين حين حاول أن يوحد إمارة
دمشق مع البلاد التي كان يحكمها :
إذا ما دمشق ملكتك عنانها
تبتن من في إيلها انه الذهب (٢)

وفي هذا البيت إشارة واضحة إلى أن اتحاد الأقاليم الإسلامية ينبغي عليها القضاء على التفرج
الذين كانوا يحتلون القدس ، ويقول المصنف في مدح أسد الدين شيركوه وصلاح
الدين :

غداً يشبان في الكفار ناراً وغداً
يملك مصر ونهر المؤمنين غداً
بالحرب يصح الشبان كالشبيب
تحظى النفوس ببتائهم وشباب (٤)

(١) الروضتين ١٨٦/١/١ ، المغرقة قسم الشام ١٥٨/١

(٢) الهداية والنهاية ٣٢٩/١٣

* صحح الاعشى ٣٥٤/٧ ، ٥١٨/٦ ، الروضتين ٨٩/٦ ، ١٠٠ ، ديوان ابن
مطروح ١٨٢ ، ديوان بهاء الدين زهير ١٦١ ، النجوم الزاهرة ٢٢٠/٧

شباب الدين بن الاثير ٨١

(٣) الروضتين ١٨٠/١/١

(٤) الروضتين ٣٦٩/٢/١

ويقول في مدح أسد الدين شيركوه حين وزر في مصر :

فتحت مصر وأرجو أن تصير بمهسما ميسرا فتح بيت القدس عن كذب (١)

بعد أن ضم صلاح الدين حلب والموصل قال العماد مهنثا إياه :

فكأنني بالساعل الأقصى وقسدا ساعنت ببعر دم الفرنجة ساحسه

فأعز إلى القوم الفرات ليشربوا دم الموت الإجاج فقد طام طامحه (٢) *

وهكذا انتهى الوجود الصليبي في المشرق الإسلامي بعد جهود مضنية تواءمسة دامت قرابتين من الزمن ، وقد شارك في هذا المجهود المقاتل بساحة ، والشاعر بشعره والكتاب بنثره ، فكان الأدب في الحركة مائلة امتداد ما يستخدم عن وعي ومصرف لا حسراز النصر ، ويترك أثره في نفوس تهتز للكلمة الهليخة ، وتتوق للذكر الحسن ، وتخشى أن يقال فيها ما يصور .

(١) الروضتين ٤٠٣/٢/١

(٢) مفرج الكروب ٤١/٢

* لمزيد من الأمثلة على أثر الوحدة أنظر ديوان ابن الساعاتي ٣٨٢/٢ ، ديوان

طلائع ١٢٦ ، ديوان أسامة ٢١٧ ، الروضتين ٤٩/١ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٢٠٧ ،

٢٥٧ ، ٦/٢ ، ١٣ ، ١٧٠ ، تاريخ ابن الزيات ١١٠/٨ ، تاريخ ابن الصديم

٢٠/٣ ، ٢٥٠ ، الكامل ٣١٨/١١ ، مؤرند ، تاريخ الحروب المقدسة ١٨١/١

أحمد بيلي المصري حياة صلاح الدين ، مائة السداد سنة ١٩٢٦ ص ٦٨ ،

لمزيد من الأمثلة على الاستشصال ، أنظر ديوان الشانوري ٥٣ ، ابن النيسه ٦٦ ،

ابن سناء الملك ٢٨٣ ، ٧٥٨ ، ابن الساعاتي ١٧٢/١ ، ديوان طلائع ١٠٣ ،

١٤٦ ، ١٧٢ ، ديوان البوعيري ٨٨ ، ديوان شرف الدين الأنصاري ٢٠٥

٤٠١ ، ديوان ظافر الحداد ٢٥٤ ، وأنظر الروضتين ١٥٦/١ ، ٣٩٦/٢/١ ،

٢١٦ ، ٦٩١ ، ١١/٢ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١١٦ ، ١٥٠ ، ١٩٤ ، ٩٩/١/١ ، ٢١٦ ،

جواهر السلوك ٤٩ ، ٥٩/٥١ ، ٤٣ ، نهايق الأرب ١٩٦/٥ ، ١٤/٨ ، صبح

الأعشى ٥١٨/٦ ، ٢٥٠/٨ ، ١٤٦/١٠ ، مفرج الكروب ٢٢٢

القسم الرابع : الخطار الصليبي :

شكل الصليبيون بمنزولهم المشرق الاسلامي خطارا على البلاد الاسلامية وأهلها ومعتقداتها ، وقد أظهر الأدباء هذا الخطر ونتائجه القريبة والبعيدة ، ليكون ذلك استنهاضا للهمم من أجل الوقوف في وجه الخطار أولا ، ثم القضاء عليه في النهاية .

وقد تابع الأدب في مجالتي الشعر والنثر الاحداث الكبار التي شهدنا المشرق الاسلامي إبان الوجود الصليبي فيه ، وأحسن الادباء العرب تصوير هذا الخطار وعرضه ، فلم يقدموه الى الناس بصورة تدعو الى تجاهله وعدم التفكير فيه ، وهذا يشتر تركيزهم على إظهار الخطر في مناسبات النصر أو المدح أو قبيل المعركة ، حين تكون همم المقاتلين عالية ، وأن يتحفزوا للمقاتل باعتبار السبيل الوحيد لدفع الخطار عن الأمة والبلاد .

ولم يجد الباحث في أدب هذه الفترة - على ماولها - سوى موتى واحد ظهر فيه اليأس وعدم الاكتراث ، وذلك حين قام الفرنج بالهجوم على دمياط سنة ٦١٥ وأعلن الملك الكامل النفير العام ، في القاهرة ومصر ، وبين سفار النزول الصليبي لمصر ، وأن ملك الفرنج قد أقطع مصر لأصحابه فقال أحدهم :

يهددونا بأهل عكسنا أن يملكونا وأهل يافسنا
ومن لنا أن يلاوا علينا فالروم خير من الريافا (١) *

ويلاحظ أن سبب هذا المدح واليااسة هو عدم إظهار الخطار الصليبي إذ ذاك بالحكمة التي أظهرها الادب ليلة الحروب الصليبية ، مما نشأ عنه نتائج سيئة ، فقد أظهر الافرنج بصورة لاقوياء القادرين على الاستيلاء على مصر دون شك ، مما أوجع عزائم الناس

(١) السلوك ج ١ ق ٢٠٦/١

* في البيت الأول الاصل : يهددونا حذف النون غائبا لقواعد اللسان ، وفي البيت الثاني الريافا : أهل الريف .

وَأَدْخَلَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، وَلَوْ تَابَلْنَا هَذِهِ الصُّورَةَ مِنْ صُورَةِ حِصَارِ حَمْلِكَا سَنَةِ ٥٨٦ لَوَجَدْنَا أَنَّ قُوَّاتِ الزَّرْنَجِ كَانَتْ تَزِيدُ أَوْ تَقَارِبُ أَعْدَادَ الْفَرَنْجِ الَّذِينَ حَاصَرُوا دِمَاطَ ، وَلَكِنْ طَرِيقَةُ إِظْهَارِ الْخَطَرِ اخْتَلَفَتْ ، فَعِنْدَ حِصَارِ عَا ارْتَبَدَ الْخَوَارِ بِاسْتِثَارَةِ عَزِيمَةِ الْمُسْلِمِينَ ، بِالرَّغْمِ عَنْ كَثْرَةِ الزَّرْنَجِ وَالْحَاحِثِهِمْ لِاقْتِحَامِ عَا ، يَقُولُ الْقَاضِي الْفَاخِلُ مِنْ كِتَابِ الْوَسِيْفِ الْإِسْلَامِ أُخِي صَلَاحُ الدِّينِ فِي الْيَمَنِ : " . . . قَالِبِدَارِ الْبِدَارِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الشَّامُ لَهُ بِدَارٌ لِمَسَا الْيَمَنِ لَهُ بِدَارٌ ، وَالْبُسْتَةُ الْجَنَّةُ ، فَانْهَاجُهَا لَا تُتَأَلَّى إِلَّا بِإِيقَادِ الْعَرْبِ عَلَى أَهْلِ النَّسَارِ ، وَالْهَيْكَةِ الْهَيْكَةِ فَإِنَّ الْبَحَارَ لَا تُلْقَى إِلَّا بِالْبَحَارِ ، وَالطُّوْكَ الْكِبَارَ لَا يَقِفُ فِي وَجْهِهَا إِلَّا الْمُلُوكُ الْكِبَارُ . . . " (١) . هَذَا وَيُمْكِنُ تَقْصِيمُ صُورَةِ الْخَطَرِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءَ :

- أ . الْخَطَرُ عَلَى الْأَرْضِ الْإِسْلَامِيَّةِ
- ب . الْخَطَرُ عَلَى جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ
- ج . الْخَطَرُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالتَّرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ

* * *

الْخَطَرُ عَلَى الْأَرْضِ الْإِسْلَامِيَّةِ :

أَقَامَ الصَّلِيبِيُّونَ إِمَارَاتِهِمْ عَلَى حِسَابِ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، فَكَانَتِ الْإِمَارَاتُ الْأَرْبَعُ ، وَأَوَّلَاهَا الرُّهَا ، وَهِيَ فِي الْجَزِيرَةِ الْفَرَاتِيَّةِ ، أَيْ ثَوْرٍ ، عَمَقُ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، مِمَّا جَعَلَ لَهَا أَثَرًا كَبِيرًا فِي إِعَاقَةِ الْوَحْدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَتَهْدِيدِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ مَعًا ، وَأَمَّا الْإِمَارَاتُ الثَّلَاثُ الْآخَرَى فَقَدْ كَانَتْ مَمْتَدَّةً عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْإِبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ مِنْ شَمَالِهِ إِلَى جَنْبِهِ مَتَوَقِّلَةً تَوَقُّلاً حَقِيقًا فِي بَعْضِ الدَّنَاطِقِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، حَتَّى أَصْبَحَ يَوْسُفُهَا تَهْدِيدُ حَلَبٍ وَدِمَشْقٍ وَمِصْرَ غَيْرِهَا .

وَقَدْ بَسَّيْنَا الْأَدْبَاءَ فِي بَحَارِ الْحَدِيثِ مِنْ خَطَرِ الْفَرَنْجِ عَلَى الْأَرْضِ الْإِسْلَامِيَّةِ نَوْعَيْنِ مِنَ الْبِلَادِ : تِلْكَ الَّتِي تَحْرُسُ لَهَاخَزْوٍ وَأَثَرُ الْخَزْوِ عَلَيْهَا وَتَلْقَى مَا وَرَاءَهَا ، وَتِلْكَ الَّتِي لَمْ تَتَحَرَّضْ لِلْخَزْوِ ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ مَهْدَدَةً قَبْلَ أَنْ لَهَيْتُفَ الْمُسْلِمُونَ بِجَمِيعِهَا لَعَدَّةً .

وأما عن البلاد التي تعرضت للغزو ، فيمكن تحديد بلاد الشام والجزيرة ومصر ، وقد أوضح الأدب خطورة الفرنج عليها عامة ، وعلى بعض البلدان المهمة خاصة ، كالقدس ودمياط والرها ، فهذا ابن الأثير يصف خراب الفرنج الذين في مناققة الرها فيقول : " وكانت سراياهم تبلغ ديار بكر إلى آمد ، فلم يبقوا على موحد ولا جاعد ، ومن ديار الجزيرة إلى نصيبين ورأس الصين ، فاستأصلوا ما لأهلها من أثاث وعين ، وأما الرقة وحران فقد كان أهلها منهم في ذل وخنار ، واستضافوا واقتصار ، كل يوم قد أذاقوهم البوار . . . وانقطعت الدارق إلى دمشق إلا على الرحبة والبحر ، فكان التجار والمسافرون يلقون من المخاوف وركوب العذابة تعباً وشقة ونصباً ، ثم زاد الأمر وعظم الضرر ، حتى جعلوا على كل بلد جاورهم غزاجاً واثاثاً ، ثم لم يقتصروا بذلك حتى أرسلوا إلى دمشق واستمرضوا الرقيق من أخذ من الروم والأرمن ، وسائر بلاد النصرانية ، وغيرهم من المقام عند أربابهم والعود إلى أوطانهم ، فمن اختار المقام تركوه ، ومن أثار العود إلى أهله أخذوه . . . وناهيك بهذه الحال ذلة للمسلمين وأما أهل حلب فإنهم أخذوا مناصفة أعمالهم حتى الرعي التي على باب الجنان ، ومنهم من وبين المدينة عشرون خدوة ، وأما باقي بلاد الشام فكان حالها أشد من هذا . . .
البلدين " (١) .

ويبين طلائع بن رزيق في رسالة بعثها إلى أسامة بن مشقة حمرته لخلو القدس من أهلها فيقول :

لنفس نفسي على ديار من السكسا (م) ن أقوت فليس فيها عريب (٢)
ولم تقف العداوة عند هذا الحد ، بل وصل الأمر بالفرنج أن غيروا معالم المدينة ،
فبنوا على المصخرة كنيسة ومذبحاً وجعلوا فيها الصور والتماثيل (٣) ، ولذلك صور العماد
القدس صائفة طيبة حين خلصها صلاح الدين من هذه العداوة يقول :
الآن تاب إلى البيت المقدس كالبيت المحرم إحرام ومستمر (٣)

(١) الباهر ٣٤ ، وانظر ابن قاضي شهبة : الدر الثمين في سيرة نور الدين ورقة ٦١

(٢) ديوان طلائع بن رزيق ٦٢

(٣) الأئمن الجليل ٣٣٩/١

ويؤيد ابن الساعاتي قول العماد ، لأن صيانة القدمين تعني صيانة الحجاب
ثم يبين عمل المصلح عيسى بن الحادل في حماية القدمين وأعلمها من خطر الفرنج فيقول :

حيى القدمين من زرق الأعادي بسمرها
شكا أهلها دائي محول وخيفسة
سقى ربها ماء النجيج سيوفسة
فلم يبق في ساحاتها غير مسلم
وما صانها دارا تعلى واختها
فما تجد الخطي إلا تحطما
فلأجرى على أطرافها الماء والدم
ففي غيرها لا يستجير التيمم
ولولا له لم يبق الفرنجة مسلما
ولكنه صان العظيم وزمما (١)

واهتم الإدياء كذلك بدمياد ، وركزوا على أهميتها من جميع النواحي (٢) ، فهي
مفتاح مصر ، وقد احتلها الفرنج عدة مرات للعبور منها إلى داخل مصر ، ولكنهم كانوا
يفشلون في النهاية ، وفي حصار النوبل لها سنة ٦١٥ كتب الأمير جمال الدين الثاني إلى
الكمال رسالة شعرية ، وراها إليه في ثياب ، وقد جاء في تلك الرسالة :

هذا كتاب موضح من حال سبتي
أشكو إليك مدو سوء أجد قسوتي
فالهر قد ضعت إليه أريقسة
فخضوعه باد على أبراج سبتي
ولو استطاع لأتم بابك لا تسبني
ورسوله في أن تجيب دعائهم
فقد انتهت أدواؤه وتحكممت
ما ليس يمكنني لديك أقول سبتي
بجميعه فرسانه وخيول سبتي
والبحر عز لنصره أسطول سبتي
وخنيته وبكاؤه وخيل سبتي
لكنه سدت عليه سبيل سبتي
دين الإله وشكته ورسول سبتي
عارته ونحسا عليه دخول سبتي (٣)

ولكنه مع هذه الحالة الحزينة لم ينقطع أمره ولا رجاؤه بل هو يستثير همه الكامل
لتحقيق رجاء البلد العزيز فيقول :

بقي له رمق يسير يرتجى
فأعرس حماك بعزم مشفى بهما
فالله أعطاك الكثير بفضل سبتي
فالمعذر في نصر الإله ودين سبتي
والنصر نأثره إليه محمدا
أو يشترى لما دعاك على سبتي
دأء لشك يرتجى تدليل سبتي
ورجاء من هذا الكثير قلوب سبتي
ما ساعد المسلمين قبول سبتي
ما إن يمل من الدموع شموله (٤)

-
- (١) ديوان ابن الساعاتي ١٢٨/١
(٢) انظر ابن دقاق ، الانتصار لؤاساة عند الأضرحة ٨٠ و ٧٨ عن تقي
(٣) السلوك لمعرفة دول الملوك ١٢٩/١/١
(٤) المصدر السابق ١٢٩/١/١

وحين جاءت الامدادات من الأشرف موسى والمعظم عيسى ، انتصرت القوى الإسلامية الموحدة على الفرنج ، فقال ابن دنيير مخاطبا الأشرف موسى وبينما خطورة وجود الفرنج على عقيدة أهل دمياط :

وخريدة الاسلام أنت أعدتهم من بعد طول تشرد وسدود (١)

ومع أن الخطورة كانت بصورة خاصة على بعض المدن الهامة ، إلا إنها كانت تمنى أن البلاد كلها كانت مهددة بالخطر ، وقد بين الشعراء بالفعل خطورة الفرنج على جميع أرض مصر والشام ، فيقول المعاد مثلاً في تعاون شاور مع الفرنج مبيها خطورة هذا المصل على مصر بلد الاسلام :

هو الذي ألقى الفرنج في بلد الا (م) سلاح حتى سبوا للتصد والتالب (٢)

ولما تكررت هجمات الفرنج لاحتلال مصر ، والمسلمون في حالة لا تمنهم على التصدي للفرنج تنزع الشاعر عبارة اليماني لله أن يحفظ مصر من المصير السيئ والثمن التي تتوهج كالبحر فقال :

يا رب إني أرى مصرا قد انتهت	لها عيون اللالي بعد رقتهم
فاجعل بها أمة الاسلام باقية	وأخرى عقود الهدى من حل عتدها
وهب لنا منك مونا نستجير به	من فتنة يتلظى بحر ورتهم (٣)

ويقول وحيث الأسدي مبيها خطورة الفرنج على الشام لولا صلاح الدين :

والشام لو لم يدرك أهله اندرست أثاره وغت آياته حقبها (٤)

ويقول ابن عبد الزاهر في مدح تادور بعد انتصاره في معركة حص سنة ٦٨١ :

هذا المقام الذي لو لم تحل به لم يبق والله لا شام ولا مصر (٥)

وقد وفق الأدباء في ربط هذه البلاد التي تعرضت للخطر الصليبي بالاسلام الإسلامي البعيدة لاثناع البعيدين عن أرض المعركة بأن وقوع بلد من بلاد الاسلام في أيدي الأعداء يعني وجوب الجهاد على كل فرد وان ابتعد وطنه ، وإلا فإن تلك البلاد البعيدة معرضة للمصير نفسه ، ولذا حرص الأدباء على ربط البلاد المعرضة للخطر بالبلاد الأخرى ، وهذا يدل على بعد نزار وعمق تفكيره ، كان من أهم آثاره انجاح العمل من أجل الوحدة والجهاد لدار الخلافة .

(١) ديوان ابن دنيير ٢٠

(٢) عقد الجمان ١٢/٢/٤٢٣

(٣) خريدة القصر : قسم الشام ١٤٠/٣ والنكت المصرية ١٩٠

(٤) الخريدة / قسم الشام ١/٢٤٣ وانظر مثلاً آخر في عقد الجمان ١٢/٢/٤٢٣

(٥) عقد الجمان ٢٠/٤ ورقة ٦٧٧

وأول ما يلاحظه المرء في هذا الصدود ربط البلاد المغزوة بالأماكن الدينية في مكة والمدينة المنورة ، وقد كان هذا الارتباط ماثلاً في تنكير نور الدين محمود ، حتى تمثلت له رؤيا في نومه أكثر من مرة واحدة ، فقد روى ابن قاضي شهابية ، أن نور الدين رأى النبي صلى الله عليه وسلم سنة ٥٥٧ يقول له : " يا محمود أنت الذي من عند يسكن الشخصين ، يشير إلى رجلين تجاعده ، وقد تكررت هذه الرؤيا ثلاث مرات في ليلة واحدة " (١) .

محمد سنة ٥٥٧ هـ بمحشرين عاماً جميع الفرنج خيلهم ورجلهم وصدوا تيماء السبي يقول فيها العماد : " وهي دهلج المدينة " (٢) ثم قام أرنؤك في السنة التالية بتجهيز جيش بري وبحري لغزو العجاز وأيلة من الكرك ، يقول القاضي الفاضل : " وكان للفرنج مقصدان : أحدهما قلعة أيلة التي هي على فوهة بحر العجاز ومدخله ، والآخر : النفوذ في هذا البحر الذي تجاوزه بلادهم من ساحله " (٣) . وقد نجحوا في الوصول إلى أعماق الجزيرة ، ولكن صلاح الدين علم بذلك فأرسل إلى أخيه العادل بتحريرك الأسطول المصري بقيادة حسام الدين لؤلؤ ، وتكن منهم وهم على بعد ليلة من المدينة فقتل من قتل وساق الأسرى إلى القاهرة ، فكتب صلاح الدين إلى العادل " بضرب رقابهم ، وقطع أسبابهم بحيث لا يبقى منهم عين تارف ولا أحد يظهر طريق ذلك البحر أو يعرف " (٤) .

ومن المواقع التي اتخذها الفرنج لتهديد الأراضي المقدسة في الحجاز حصن الكرك ، وقد سبق الحديث عنه ، وأما خلوصه فقد تحدث عنها القاضي الفاضل بقوله : " وجلس (حصن الكرك) من تمام الأساطم مكان عمامته ، وجثم على أنفاس العجاز ، فلهذا نفساً يصعد من تيمامته " (٥) ، ويتول عن قلعة الكرك : " وكانت على الأساطم آية مصرية ، بل كانت لكعبة الله (زادها الله شرفاً) أيقونة " (٦) .

ومن هنا نجد إشارة الأدباء إلى الأمانات البيت الحرام بعد امتلاك المسلمين للكرك ، أو حتى حين يهزمون الفرنج هزيمة تقضي أجناسهم وتقل شوكتهم ، يقول العماد : " وأما الكرك في أساطمه إلى الأساطم ، وتبسم يحل هذا البيت (حصن الكرك) أسكن البيت الحرام " (٧) .

(١) ابن قاضي شهابية ، الدر الثمين في سيرة نور الدين ٤٨ - ٤٩

(٢) الروشتين ٢٣/٢

(٣) المصدر السابق ٣٢/٢

(٤) المصدر السابق ٣٦/٢

(٥) ابن نباتة المصري ، الناضل من كاتم القاضي الفاضل ورقة ٢٥

(٦) المصدر السابق ورقة ١٠١

(٧) التتبع القسي ٢٢٦

ويقول أيضا في انتصارات صلاح الدين :

ونام من لم يزل حلقا له السهر
بيت المحرم إحرام ومقصر (١)

الآن قوت جنوب في مضاجعها
الآن ثاب إلى البيت المقدس كال

ويقول أبو الحسن الذروي في حسام الدين لؤلؤ :

وذبت عن أحمد والكعبة (٢)

كفيت أهل الدرمين السدا

وحين جاء ملك الانجليز ، أراد احتلال القدس ، فقام صلاح الدين بتحصينها وتسميتها الأبار التي في طريقها ، فعاد الفرنج عنها ، ولجأ ملكهم إلى المفاوضات والسح على صلاح الدين ، حتى عقد صلح الرملة سنة ٥٨٨ هـ ، ويقول ابن الساعاتي حينما خطورة الفرنج على البلاد المقدسة :

ولسا ل سيل نداء في بطحائه
لترنم الناقوس في أنفائه (٣)

لولاك أبا بيت غير مدافس
مكت جفون القدس ثانية دمسما

ولئن كان المعجاز من القيمة الدينية ما جعل الأدباء يصفون خطورة الفرنج عليها ، فإن الأدب أبرز خطورة الفرنج على العالم الإسلامي كله ، فقد بحث الملك المعظم عيسى كتابا خفنه بيته من الشمس إلى الخليفة العباسي يطلب منه التدخل النعلي في المعركة ضد الفرنج ، وبين له خطا الظن بأن أرض بغداد بعيدة عن ميدان المعركة ، فإن انتفاخ الحريق من الشام يعني سقوط بغداد أو تهديدها ، والبيتان للأشهر عبد المحسن الكاتب الحلي وهنا :

لها على الكثر ابراق وأرصاد
لا تغفلن ، فأرض الطور يشداد (٤) x

قل للخليفة لا زالت عزائمه
إن الفرنج يحصن الطور قد نزلوا

وقد تنبه ابن منير إلى خطورة الترنج على البلاد الإسلامية قبل ذلك بكثير ففي سنة ٥٤٧ هـ افتتح نور الدين حصن انطرسوس ، فأشده ابن منير قصيدة بحلب منها :

وأصبح لا عراق ولا شام (٥)

ولو لم تشرق وتشم لأسمى

(١) عند الجحان ١٧/١/١٨٠

(٢) الروضتين ٣٦/٢

(٣) تاريخ ابن الفرات مج ٤ ج ٢/٨٦

(٤) نهاية الارب ج ٢٧ ورقة ٢٢ والذيل على الروضتين ١٠٣

x في نهاية الارب :

إن الفرنج بأرض القدس قد نزلت لا تغفلن ، فأرض القدس يشداد وهو غير متفق مع الأحداث التاريخية إذ أن القدس سنة ٦١٤ لم تكن قد أعطيت للفرنج * في الأصل تعترف ، ولأعني لها هنا ، عالم المقصود الدخول في العراق والدخول في الشام (٥) الروضتين ١/١/٢٢٠ وانظر ج ١ ص ٩٣ - ٩٤ مط دار الجيل

كما تنبّه الى ذلك عمارة الهيضي سنة ٥٦٤ هـ جعل حكم صالح الدين لمصر تأمينا
لقبر الرسول عليه الصلاة والسلام من خطر الفرنج * يقول :

بكم آمن الرحمن أعظم يسـ
ولم يرجعت مصر الى الكفر لاندوى
وأمن أركان الثنية والعجـ
بساط الهدى من ساحة البر والبحر
غدا لشملها يشقى من شدّة الازر (١)

وقد ربط البحر البلاد الاسلامية بعضها ببعض * لتقف في وجه الخطر الصليبي
فهذا العماد يجعل مصر حماية لبلاد الاسلام * فيقول في مدح أسد الديـ
شيكوه سنة ٥٦٣ :

صالح الاسلام أنقذ تهـ أنـ من الشرك أيما أنقـ (٢)

ويقول البهاء زهير في مدح الملك الكامل محمد بن أنـ :
دمياط سنة ٦١٥ :

ولو لم يحم بالله حق قيامـ
وأقسم لولا همة كـ
فمن صلح هذا الهناء لكـ
فقل لرسول الله إن سميتـ
لما سلمت دار السلام من الفـ
لخافت رجال بالقيام والعـ
ويشرب تنهيه الى صاحب القـ
حتى يعضق لاسلام من نوب الدهر (٣)

* * *

ثانيا : الخطر على المسلمين :

أظهر الادباء الخطر الصليبي على المسلمين أفرادا وجماعات كما سبق أن بينا *
وفي هذا الباب نبين من أشهر أخرى للخطار تحدث عنها الادباء * أما الخطر على الافراد
فقد صورته عرقلة الكاهن أصدق تصوير * وبيان ذلك أن صالح الدين كان قد وعده بالسف
دينار إن ملك مصر * فلما ملكها كتب اليه تهديدتين يباليه بتحقيق وعده بارسال الدنانير
والا فانه لن يستأين الذهاب الى مصر * لأن الفرنج في طريقه كالمسيح الماني السذي
يلاقى من يجتازه الموت أو الاسر * يقول في الاولى :

(١) الروضتين ٤١٢/٢/١

(٢) المصدر السابق ٣٨٤/٢/١

(٣) ديوان البهاء زهير ١٢١ ومفرج الكرب ١٠٣/٤

* للزيد من الأمثلة أنظر : الروضتين ١٤٥/٢ ١٤٦ ١٦٦ ٢١٦ * غريدة
القصر وجريدة مصر / قسم شعراء مصر ٢٩/١ * زبدة الحلب ٩٦/٢ ١٥٠٦-١٥١٠
تاريخ ابن الوردي ٥٥/٢

يا ألف مولاي أين الألف دينار
وما بقي جنة الفردوس بالنار (١)

قل للمصالح معيني عند إصصاري
أخشى من الأشرار أن حاولت أرضكم

ويقول في الثانية :

زمانا على البحر الكريم بجزيرة
بها في يدي قبل المصبات تصير
سياج ، قتل دونه وأسير (٢)

إليك صلاح الدين مولاي اشتكسي
تري أبصر الألف التي كنت وأعدى
وهيها والافرنج بيني وبينكم

ويصف سبط بن الجوزي حالة الذعر التي نشرها الفرنج ، وما نتج عنه تقطع
المواصلات بين المدن الإسلامية ، يقول : " وجئنا إلى عبدة أفيق ، والطير لا تقدر أن
تطير من خوف الفرنج " (٣) ، وقد ظهر هذا الخطر العام على المسلمين منذ أن وطئ
الصدو الفرنجي أرضهم ، إذ احتل البلاد وشتت العباد ، وأشاع الفساد ، وأهلك الحرث
والنسل ، وقتل القتليات والأطفال ، دون أن يرى حرمة أو يحفظ عهدا ، يقول ابن الخياط :

ولا يعترفون مع الجور قصدا
ولا يتركون من الفتك جهدا
تدق من الخوف نحرا وشدا (٤)

بنو الشرك لا ينكرون الفساد
ولا يردعون عن القتل نفسا
فكم من فتاة بهم أصبحت

وقد نتج عن هذا الإهلاك والتشتيت أن عاش الناس في ظروف قاسية ، كانت سببا في
تحرك نور الدين لانقاذ دمشق ، ولكن صاحبها مجير الدين استنجد بالفرنج ، فكتب إليه
نور الدين معللا سبب نزوله في مفاة دمشق ، وصيها له الاخطار المحدقة بها من الفرنج ،
يقول : " انني ما قصدت بنزولي هنا طمعا لمحاربتكم ، وانما دعاني الى هذا الأمر كثرة
شكاية أهل حوران بأن الفلاحين أخذت أموالهم وسببت نساؤهم وأطفالهم بيد الفرنج ،
وعدم الناصر لهم ، ولا يسعني مع ما أعطاني الله من تعالى ، أن أقعد عن نصرة المسلمين مع
معرفتي بمحرتكم عن حفظ أعمالكم والذب عنها " (٥) ، وقد تكرر هذا الخطر عندما
كان الصف الإسلامي يصاب بالضعف أو التصدع ، فهذا ابن عيين يرثي الممظلم عيسى مشيدا
بأعماله التي كان منها حفظ البلاد والعباد من الفرنج ، يقول :

عن نصرها لتحكمت فيها العدا
فيها سبايا ، والموالي أجسدا
تجتأب ما بين الحق إلى كدى (٦) *

وديار مصر لو وئت عزمانسسه
ولأست البيض الحرائر أسهمسا
ولأصبحت خيل الفرنج مفيرة

- (١) الخريدة / قسم شعراء الشام ١٧٨ / ١
(٢) الروشتين ١ / ٢ / ٤٤٩ الخريدة قسم الشام ١ / ٢٠٨ (وفيها : وأسير) وعند الجمان ١٢ / ٢ / ١
(٣) الذيل على الروشتين ٧٠ (٤) ديوان ابن الخياط ١٨٤
(٥) الدر الثمين في سيرة نور الدين ٩٧ (٦) ديوان ابن عيين ٦١
* كدى / بلد قرب مكة

وينكر ابن دنينير على المسلمين أن يعيشوا في حياة مرفهة ، وهم لا يأمنون علمى حياتهم والموت يتربص بهم ، فيقول :

أيطمح أقوام بنعمة عيشية متى عطشوا فالصوت دونهم ورد (١)

وسبب هذه الحياة القاسية عدم استقرار الناس في ديارهم ، لا في بدو ولا في حضر ، ولذلك يمدح ابن دنينير الملك الصالح الذي أعاد إلى ديارهم أهلها :

أثبت ديارك إذ أعيت ربانيتها كل الوري وتناهى البدو والحضر (٢)

ويذكر الملك الامجد سببا آخر هو النهب الذي يقوم به الفرنج على حين غفلة من أهلها ، يقول من عمل جماعة من الفرنج في نابلس بأنها : قتلت فيها المشايخ والشهوان ، وسبيت الخلائل والصبيان ، واستولت يد الكفار على ما كان مدخرا من الاموال والثلال ، وصار جميعه المسلمون لأزمتهم في السنين الاول (٣) ، وقد أشار ابن أسعد الموصلي الى خطر آخر يتهدد الاخلاق الاسلامية ، إذ إن الفرنج حاولوا تمزيق المسلمين أو زيادة شدة الخلاف بينهم ، ولذلك فإن من صفات القائد الاسلامي أن يقوم على نصرة أخلاقه وانجادهم معها كانت مخاطر الصون والانجاد ، يقول في مدح صلاح الدين :

لهفته عن نصره خلعت له
بجحافل مثل السيول تدافعت
عدو العدو ولا يحاد الموضع
وإذا السيول تدافعت لم تدفع (٤) *

* * *

ثالثا : الخطر على الاسلام والتراث الاسلامي

كان من أهداف الوجود الصليبي في المشرق الاسلامي القضاء على عقيدة الاسلام وهذا ما سبق ذكره في الصراع الحثائدي ، والجدير بالذكر هنا أن نشر مبادئ الفكرة شكل خطرا على الاسلام ، لا لأن هذه المبادئ تمثل فكرا يشكل خطرا على الفكر الاسلامي ، بل لأن القوة في بعض الفترات كانت الى جانب النزاة ، فتراعى لهم أن القوة العسكرية وقوة العقيدة الدينية صنوان ، يقول الملك الامجد : ورث الكفار الصليب على رؤوس الاسهاد والشهاد ، وأطنوا بما يفترونه من التثليث الذي تنزه عنه الله الواحد الواحد ، فاستفحل الشر وأغضل الداء ، وعز على اللديخ الشفاء ، وأقاموا بها (نابلس)

(١) ديوان ابن دنينير ورقة ٣. (٢) المصدر السابق ورقة ٢٢

(٣) النوائد الجلية في التراث الناصرية ورقة ٩٥

(٤) منظر الحقائق ص ١٠٠

* للمزيد من الامثلة أنظر : صبح الأعشى ٤/٧ ، ديوان ابن الساعاتي ١٧٨/١

ديوان ابن دنينير ١٧٤ ، عقد الجحان ٣/١٢ ، ٣٢٨ ، ٤٥٧ ، السلوك لمصرقة

دول السلوك ١٩٩/١/١ ، الاعتبار ١٢ ، ٣٤ ، تاريخ ابن الوردي ٨٢/٢

ثلاثا لاكمال فتكهم وإظهار إنكهم (١) " وقد أدرك الأدباء هذه الخطورة " ويتبنوا تنايق الاسلام وحرجه من اعلان شعائر الفرنج " يقول حميد بن عيسى في مدح سيف الدين غازي أخي نور الدين :

أثابك ان سميت في المهد غازيا
وقيت بها والدين قد مال روقسه
ويقول عمارة في مدح شاور :

أقسمت لولا حسن رأيك لاغدى ال
وكتب القاضي الزاهل الى الحادل سنة ٥٩٣ هـ يخبره بوصول نجدات الفرنج الى بيروت وخطورة ذلك على البلاد والدين يقول " وللإسلام اليوم قدم ان زلت زل " وعمة إن ملست فان النصر منممل (٤) " ويقول صاحب شرف الدين الأنصاري :

فكاد يقضي على الاسلام جاهلهم
وحين حاصر الفرنج دمياط كتب الأمير جمال الدين الكنتاني الى الملك الكامل :
ولئن قعدت عن القيام بنصيره
ويقول ابن عثيمين في المعظم :

لولا دفاعك بالصوارم والقنسا
ويقول في الأشرف موسى :

لولاك لانقضت عرى الاسلام فسي
وتحكمت منها الفرنج وغادرت
وفي زمن تورانشاه نزل الفرنج على دمياط وحاولوا تنيير صبغة المدينة لولا صمود تورانشاه
يقول علي بن عرام :

وقد كاد دين الله يخفت نسوره
فحقتهم بالأسنة والنايسا
ويلاحظ من الأدلة السابقة تركيز الأدباء على أن الاسلام يواجه عدوا مسلحا بالقوة والعتاد

ويرى بتهديل وشيك وتقليب
وتصعيد آرا كنه وتصويب (٩)

ويلاحظ من الأدلة السابقة تركيز الأدباء على أن الاسلام يواجه عدوا مسلحا بالقوة والعتاد

- (١) الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية ورقة ٩٣
- (٢) عقد الجمان ١٩٢/١/١٢
- (٣) النكتا المصرية ٣٦٩
- (٤) الروضتين ٢٣٢/٢
- (٥) ديوان صاحب شرف الدين الأنصاري ٢٨٣
- (٦) السلوات لمحرقة دول الملوك ١٩٩/١/١
- (٧) ديوان ابن عثيمين ٦١ ومفرج الكرب ٢٢٠/٤
- (٨) ديوان ابن عثيمين ١١ ومفرج الكرب ١٠٢/٤ وعقد الجمان ٤٢٠/٢/١٧
- (٩) خريدة القصر وجريدة مصر / قسم شعراء مصر ١٢١/٢

يريد أن يقضي عليه ، ولم يقل أحد منهم إن الاسلام يواجه ديننا أو تكرا يشكل خطرا عليه ،
ولذلك أحس الادياء بعودة الحياة الى الاسلام ، بعد كسر الفرنج في حطين وغيرها ،
لأن القوة التي تشكل خطرا على الاسلام قد خضعت شوكتها ، يقول ابن سناء الملك في
صلاح الدين :

أنت أهيته وقد كان ميتا ثم اعتقته وقد كان قسا (١)

وعندما ما أدركه القادة المسلمون ، فهذا الكامل بن شاور يقول لأبيه الذي أراد الاستنجاد
بالفرنج حين جاء شيركوه ٥٠٠ " ولئن بُقِيتُ ولحقن مسلمون ، والبلاد يوم المسلمين خير من
أن نقتل وقد ملكها الفرنج ، فليس بينك وبين عود الفرنج إلا أن يسمموا بالقبض على
شيركوه ٥٠٠ " (٢) ، وهذا صلاح الدين يصارع ابن شداد بأنه إن ترك الجهاد وميت
مع الكفر حصون ٥٠٠ " اختل أمرنا المصون لا سيما صفد وكوكب فأنهما للدأوية والاستبارية
في وسط البلاد ، والثبور الاسلامية بهما وأبوة السداد ٥٠٠ " (٣) ، وقد كثر الادياء
عن خطورة الفرنج على الاسلام بخطرهم على القرآن ، فهذا الأمير جمال الدين يصف
حالة القرآن لدى منهوض المسلمين في الدفاع عن ديار سنة ٦١٥ بينما يرتفع الصليب ويتلى
الإنجيل يقول :

وهدت قوى القرآن فيموت قميت
وعلا صدى الناقوس في أرجائه
صليانه وتلي به إنجيله
وخفى على سمح الهوى تهليله (٤)

ويقول ابن النبيه في ذلك :

الله أكبر أن تسمى ديارهم
تتلى وتسمى من القرآن آيات (٥)

كما بينوا خطورة الفرنج على الاسلام بانهاار خطرهم على الصلاة ، ولذا مدح الشعراء
القائد الاسلامي الذي خلص المدن من الفرنج وأقام الصلاة فيها ، يقول ابن دنيير في
مدح أسد الدين المهراني الذي فتح يانا سنة ٦٠٨ :

وأقامت الصلاة في ذلك الدر
ب وقد كانت الصلاة مكاء (٦)

-
- (١) ديوان ابن سناء الملك ٨١٤
 - (٢) الروضتين ١٥٦/١ - ١٥٧ مطبعة دار الجيل
 - (٣) الروضتين ١٣٢/١
 - (٤) السلوك لمصرفة دول الملوك ١٩٩/١/١
 - (٥) ديوان ابن النبيه ٦٧
 - (٦) ديوان ابن دنيير ورقة ١٢٢

وتد تحدث الأدياء العرب بحرقتهن تحويل المساجد الى كنائس ، ومن ذلك ما ذكره الرحالة ابن جبير عن عكا بقوله : " تعداد مساجد عكا كنائس وصوامعها منسارب للتواقيس " (١) ويقول ابن عيين في جهنم المصنف للفرنج الذين اتخذوا المساجد بيما يعبدون فيها الصلب :

ومشرو دماها فكم من بيعة
ويقول في الاشراف موسى الذي أبعده غمار الفرنج عن دماها :

وتحكمت فيها الفرنج وغادرت
أعلاجهما بحراب عمرو شيكلا (٣)

ويقول فيه :

لو لم يقهر موسى بن عمر محمد
لصلا على درج الخطيب الأسقف (٤)

وتد مدح الادب القائد الاساطي في منافعته عن المساجد حتى لا يدنسها الغزاة ، يقول ابنه لتيسرائي في مدح تاج الملوك بوري :

وحاولوا المسجد الأدنى فما هرت
عن مسجد القدم الأقصى لهم قدم (٥)

كما أعلنوا نرسنتهم فرحة الاسلام بخلصه من الاعداء ، يقول ابن دنينير :

فثم تزي الاسلام سفر وشمسه
سرورا ونجم الحق في أنفه يبدو (٦)

ويقول :

تهلل الدين والدنيا به فرحا
لجندى يشرب ثريا لفادحة
واستبشرت مكة والحجر والحجر
دريعه ان سرت في ذكره السرور (٧)

ويقول آخر :

بهذا الشرف للاسلام بتمسما
بعد الاناجيل آيات القرآن به
يقول "عرايه لو كان يستمننا
بعد البوس وفيه الله مذكسور
تقل وقد نصن الفاقوس تكسيري
معدنا بالشر والشر منصور (٨) *

- (١) رحلة ابن جبير ٢٢٦ (٢) ديوان ابن عيين ٦١
(٣) المصدر السابق ١١ (٤) المصدر السابق ١٥
* للمزيد أنظر : الروتين ٨٢/٦ ، ٨٨ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١١٢ : الكامل ٥٣٩/١١
رسائل ابن الاثير ١٥٥ ، الاعتبار ١٥٥ ، مفتي الكروب ١٨/٤ ، التديين لويين
حياتهم وعملاتهم على الشام ومصر (مذكرات جيوغرافيل ص ١٠٢)
(٥) عقد الجمان ١٨٦/١/١٦ (٦) ديوان ابن دنينير ورقة ٢
(٧) المصدر السابق ورقة ١٤ (٨) عقد الجمان ٤٦٠/٢/١٧
* للمزيد عن فرحة البلاد أنظر : ديوان البهاء زهير ١٢١ ، ديوان ابن دنينير ١٤٤
عقد الجمان ١٨٦/١/١٦ ، ديوان ابن النبيه ٧٦

وكذا شكل الفرنج خطرا على الاسلام ، شكلوا خطارا على التراث الاسلامي والتسييم
الاسلامية ، مما جعل الشعراء يمتدحون القائد الذي يحافظ على هذه الفضائل ، يقول
ابن دنيير في المصظم :

فَلْتَشْكُرْكَ بَنُو الْعَبَّاسِ بَعْدَهُمْ لَا بِلْ قَرِيبٌ تَوَدِّي الشُّكْرَ بِلْ مَنْسَرِ
أَلْبَسْتَهُمْ عَزْمَةَ مَسَاءِ دَهْرِهِمْ مَنْ بَعْدَ مَا قَدْ طَاوُوا مَا كَانَ قَدْ نَشَرُوا (١)

ومما اُنتُج به القادة المجاهدون ، معانفتهم على الخلافة باعتبارها الوعاء السياسي
الذي حوى الاسلام ، يقول عمارة اليماني في مدح صلاح الدين سنة ٥٦٤ هـ :

حَمَيْتُهُنَّ الْاَفْرَنْجَ سَرِبَ خِلَافَتُهُ جَرَيْتُمْ لَهَا مَجْرَى الْأَمَلِ مِنَ الذَّعَرِ
حَمَى اللَّهُ فَيْكُمُ عَزْمَةَ أَسَدِيْنَتِهِ حَمَى بَنِي الْاِسْلَامِ مِنْ دَوْرِ الْاَمَسْرِ (٢)
ويقول ابن دنيير في مدح الأشرف :
حَفِظْتَ مَلِكُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَانْحَفَذْتَ بِكَ الشَّرِيعَةُ إِذْ غَيَّرْتَ بِكَ الْفَيْرَ (٣)

(١) ديوان ابن دنيير ورقة ١٥

(٢) الروضتين ١/٢/٤١٦

(٣) ديوان ابن دنيير ورقة ٢٣

الفصل الثاني

أشواق على حياة الصليبيين

أولا : الحياة الاجتماعية :

أطلع المسلمون بسبب الاحتكاك على ألوان من حياة الصليبيين الاجتماعية ، ولمسوا بشكل عام تركيب المجتمع الصليبي ، فتحدثوا عن الملك باعتباره الرئيس الأعلى ، ثم عسكر الأمراء وكبار الفرسان وطبقة التجار الأغنياء (١) ، وأغنيا طبقة الفلاحين (٢) ، وكذلك ميزوا بين ثلاث طبقات في الكيان الصليبي ، وهي : طبقة النبلاء ، وطبقة التجار ، وطبقة الفلاحين .

وبالرغم من أن الأدباء المسلمين لم يفهموا لغة الفرنج " لأنهم لا يتكلمون إلا بالفرنجي " (٣) ، إلا أنهم سجلوا ما رأوه وما سمعوه عن طريق الترجمة ، أو عن طريق الاختلاط بالفرنج الذين تعلموا العربية ، يقول الحصاد : " وأحضرنا الترجمان وأدى غصاهايان " (٤) .

وقد جاءت ملاحظاتهم عن المجتمع الصليبي متفقة مع ملاحظات المؤرخين الصليبيين أو المؤرخين المحدثين من الأوروبيين ، ويمكننا من أجل حياة الاجتماعية الصليبية في إطار مجالات ثلاثة : ما يتعلق بالمعتقدات ، وما يتعلق بالحياة وقت الحرب ، وما يتعلق بالحياة العامة .

ما يتعلق بالمعتقدات :

وأول ما يسترعي النظر في عاداتهم الدينية العرس على بناء الكنائس والاهتمام بها ولو كان ذلك خارج المدن ، فحين خرج الفرنج لعصار بانياس ذهبوا غيبة كبيرة ، وجعلوها كنيسة يصلون فيها ، ثم فرسوها أرضها بالحلفاء والحشيش (٥) ، أما الكنائس التي في المدن فقد تأثرت في بنائها ، وأقاموا فيها التماثيل ، وعلتوا على جدرانها الصور ، فكانت مزار

(١) أنظر أسامة بن منقذ ، الاعتبار ١١٤

(٢) أنظر عبد الحفيظ محمد علي ، الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين ٩٥-١١٣

(ستانسل) القاهرة ١٩٧٥

(٣) الاعتبار ٦٦ وأنظر ١٤٠ وديوان فتيان الشاغوري ٣١٨

(٤) النتح القسي ٢٣٩ ، وأنظر النوادر السلطانية ٣٦ ، ٣٣

(٥) الاعتبار ٨٦

اعجاب الادباء ، يقول الصماد في وصف كنيسة بنوها على الصخرة : " وأما الصخرة فقد كان الفرنج قد بنوا عليها كنيسة ومذبحا ، ولم يتركوا فيها للأيدي المتبركة ولا للعيون المدركة ملمسا ولا ملامحا ، وقد زينوها بالصور والتماثيل ، وعينوا بها مواضع الرهبان ومحط الانجيل وكلوا بها أسباب التعظيم والتبجيل ، وأقروا فيها لموضع القدم قبة صغيرة مذهبة ، بأعمدة الرخا منقبة ، وقالوا محل قدم المسيح ، وهو مقام التقديس والتسبيح ، وكانت فيها صور الأنعام هشة في الرخام ، ورأيت فيها الصاوير وأشباه الخنازير (١) " . ويرى الجسري عن الشهاب أحمد الحفيلي أنه رأى بعد خراب عكا على بعض أبواب كنائسها مكتوبا :

أدسى الكنائس ان يكن عبثت بكم أيدي الحوادث أو تثير حـال
فلطال ما سجدت على أبوابكم شم الانوف جحاجح أ بطـال (٢)

ويصف النص عادة السجود بالانحناء حين دخول أبواب الكنائس ، وذلك تعظيما للصليب . وللقيسراني في ثغرياته تجربة فريدة من نوعها ، وصف خالها الكنائس وما يجري فيها من قداس ديني ، وهو بذلك يؤكد ما وصفه الصماد وغيره ، ويضيف صورا جديدة عما يجري داخل الكنيسة ، أما حديثه عن الصور في الكنائس ، فيظهر في وصفه للراعية الساجدة لصورة مسلفة ، يقول :

كم بالكنائس من مثـلـة
من كل ساجدة لصورتها
مثل السها يزينها الخـلـة
لو الصفت سجدت لها الصـور (٣)
كما يظهر في مناجاته لاحدى الراهبات ، إذ يطلب منها أن تعاطله كالصورة المسلفة في الكنيسة ، يقول :

هبيني صورة يحنى عليها
فلمسمع بأدرك من فتـاة
أجيب إذا دُعيت ولا تُجيب
من الرهبان قوتها أديـب (٤)

ويقول :

فيا ليتني عندما ديسـة
فأتسلو أنني استطـيـع
تراني ولا ريب في ملمسـي
تحولت صورة مرجـمـس (٥)
وأما الصورة الجديدة التي قدمها من خلال تجربته الشخصية ، فهي ما رآه في كنيسة برسارة وهي للفرنج خاصة دون غيرهم ، إذ رأى القس فيها يتلو قداسا في الليل ، وحوله الراهبات الجحيلات يرتدين الدايـر، الثينة يقول :

بدئك يا قن برسـارة وما يستـتـلوه نـسـي الحنـسـدس

- (١) النسخ القسي ١٤١ ، وأندلس ٩٥ و ٢٣٨
- (٢) جواهر السلوك ورقة ٤٨ ، وأندلس ٤٩
- * تبين فيما مضى أنهم يعدلون الصليب ويمتقدون به ، ومن الأمثلة الأخرى قول ابن التيسراني في رابعة :
- أعدامة الصليب وددت أني ودين الله ضدكم صليب (ديوانه ورقة ٦٤)
- (٣) مخدأوطاة ديوان ابن القيسراني ورقة ٦٢ (٤) المصدر السابق ورقة ٦٤
- (٥) المصدر السابق ورقة ٧١

أجرني من الصور الناطقا
إذا من أقبلن وقت الصلا
وجالت مناطق أوساطها
وأجلسها ثقل أردافها
فلولا التفرج في طنستي
وقمت ألحن قداسهم من (م) غير بليد ولا أشمهم من (١)

فهو لولا تخرجه الديني لقام مقام الأسقف في تلاوة القداس ، وارتدى برنسا كبرئسه .
ومن المعلوم أن لباس الأسقف يختلف عن لباس الآخرين من الفرنج ، كما أن لباس الفرنج عامة
يختلف عن لباس المسلمين * ، ويظهر ذلك من اللوحة التي اتبعها المسلمون للدخول إلى
عكا وهي محاصرة ، إذ تزيوا بزي الفرنج (١)٠٠ " وشعروا رهبانا ومسحوا لحاهم ومسحوا
حلاهم ، وتلطوا وتكفوا ، وتشبهوا بهم في كل بزة لثلا يشخونوا ، وشدوا زنانبهم ،
واستصحبوا خنازير " (٢) .

وفي هذا النص بيان لصادة أخرى غير اللباس ، وهي خلق اللحي ، ففي قول
المعاد السابق " ومسحوا لحاهم ، و... وتلطوا " ما يؤكد اختلاف الفرنج عن المسلمين
في هذا الجانب ، وثمة أدلة أخرى تثبت ذلك ، منها قول ابن شداد عن الهنغري : " إنه
شاب حسن ، إلا أنه مخلوق للحية ، على ما هو شعارهم " (٤) .

ولكن توجد أوصاف لبعض ملوكهم تشير إلى أنهم أطلقوا لحاهم ، كما أن القساوسة
كانوا يذلقون لحاهم كذلك ، وليس في هذا من تناقض مع قول ابن شداد ، إذ أن عامة
الفرنج يحلقون لحاهم ، وأما الملوك فقد ألقها بعضهم ، كما جاء في وصف ملك الألمان بأنه
صاحب اللحية الخضراء " (٥) ، وحلقها آخرون كما جاء في وصف ملك الانكسار أنسه
" قد أشقى من المرض ، وأشرف على المرض ، حتى حلق رأسه ، حلق لحيته ، واستلقى
لا انتظار منيته " (٦) . وأما القساوسة فلم يرد من يشير إلى أنهم حلقوا لحاهم (٧)

(١) مخطوطة ديوان ابن القيسراني ورقة ٧١

* يقول ابن عسك في وصف لباس المقاتلين :
عليهم من العادي كل مفاضة دلائل كثرن الثمر ، قد احكمت وضعا (ديوان ص ٣٠)

ويقول نجم الدين محمد بن العنبر بن اسرائيل بوصف لباس الملك فرنسيه ، الذي
سره تورنشا ، وأهدى لباسه الرابض بدمشق :

ان نقارة الرئيس الذي جاء ت جيا لسيد الامراء

كبياض القرطاس لونا ولكن صبغتها سيوفنا بالدماء

نهايتا لارب ١٢٧/١٠١ وانذر الذيل على الروضتين ١٨٤ والبيتا لأول فيها مكسور

زبدة الحلب ١١٨/٣ ، مفرج الكروب ٣٢١/٢ (٣) الفتح القسي ٤١٧

(٤) النوادر السلطانية ١٨٢ (٥) الاضبار ٣٢٠ وأنظر ١٢٦ (٦) الفتح القسي ٤٩٧

(٧) تاريخ ابن القلاسي ٣٠٠

ومن عاداتهم الدينية اعتقادهم في رجال الدين ، كما اعتقدوا بنصرة الصليب لهم ، يقول ابن القلانسي في نزول الفرنج على دمشق سنة ٥٤٣ هـ " وكان معهم قسيس كبير طويـسل اللحية يمتدنون به " (١) ويؤكد ذلك قول أسامة عن صاحب طبرية وجماعة : " أنهم جاءوا بقميس ليطيب فارسا كبير القدر مع أنه لا يفقه بالادب شيئا ، ولكنهم كانوا يؤمنون بأنفسهم " إذا حظ يده عليه عوفي " (٢) . ومحمد هذا ليس من الغريب أن يذكر ابن الاثير أن قول البابا عند هكقول التبيين (٣) .

التصليب على الوجه :

ويمني ذلك أن يرسم الفرنجي علامة الصليب على وجهه ، حين يسمع أو يرى شيئا مروعا ، وإنما يفعل ذلك التماسا لمساعدة روح القدس ، يقول ابن القيسراني :
 فيها حسن ذاك الوجه إذ ربح روعة^{فقد}ه فيها بتصلية اليـــــعد (٤)
 ومن المواقف التي صلب فرنجي فيها على وجهه ، حين عقد شيركوه الصلح مع الفرنج والصريين ، فجاءه أحد الفرنجة الغريب فقال له : " أما تخاف أن يشدرك هؤلاء الصريون ، والفرنج قد أحاطوا بك وأصحابك ، ولا يبقى لك هبة ، فقال شيركوه : يا ليتهم فعلوه حتى كنت ترى ما أفعله ، كنت والله أضيق السيف فلا يقتل منا رجل حتى يقتل منهم رجال ... والله لو أطاعوني لخرجت إليكم من أول يوم ، ولكنهم امتنعوا ، فصلب على وجهه وتسال :
 " كما نحب من فرنج هذه البلاد ، وبها فقتلهم في صفتك ، وخوشتهم منك ، والآن قد عذرتنا " (٥)
 وحين أظهر صلاح الدين القوة والاستبانت بقدم أسطول صفلية الذي عدده بمجسي قواته قال له : " وإنهم إن خرجوا أذ قناهم ما أذ لنا أصحابهم من القتل والأسر " فكتب مقدم الأسطول على وجهه (٦) .

وفي زمن الملك المعظم عيسى ، استمال نساء خيال الفرنج بالهدايا ، وكان أن اكتشف أحدهم الأمر ، وسأل زوجته عن أرسلها ، فقالت : (الكريدي) ، فصلب على وجهه (٧) .

- | | | | |
|-------|---|-------|--------------|
| (١) | تاريخ ابن القلانسي ٣٠٠ | (٢) | الاعتبار ١٣٧ |
| (٣) | الكامل ٥٣ / ١١ | | |
| (٤) | ديوان ابن القيسراني ٧٥ ، وأنظر مذكرات جوانفيل ص ١٩٦ ، ٢٣٣ | | |
| (٥) | الكامل ٣٠٠ / ١١ | | |
| (٦) | الكامل ١٠ / ١٦ ، وأنظر الفتح القسي ص ٢٤٠ ، الروضتين ١٢٩ / ٢ | | |
| (٧) | نهاية الارب ج ٢٧ ورقة ٣٨ | | |

عدم الاختتان :

ارتبط هذا الوصف بنوع من الشماتة والاستهزاء ، لأن الوصف جاء في جو حربي
نحمد انتصار المسلمين على أعدائهم الفرنج ، أظهر الأدباء شماتتهم ، وتقليل أهميتهم
يقول ابن منير في فتح الرها :

يا لها هتكتنر أنحككت
من بني القلندر ثنور الشاكين (١)
ويقدم ابن الجاور صورة داريقة ، إذ إن رؤوس الفرنج تغتنر بالسيف في حين إن نفوسهم
تزهدق وهتقلف غير مظهرين ، يقول :

سنت سيوفك في الرؤوس ختانة ذعبت بمهجة كل علق ألقف (٢)

الأعياد :

لم يتحدث الأدب عن أعيادهم ، أسمائها وأنواعها ، وإنما وصفوا أفراحهم في
بعضها ، وقد اشتهر من الأدباء في تسجيل ما شاعده من أعيادهم اثنان هما أمانة بن
منقذ وابن جبير ، وأما الأول فيصف عيدا في طابرية ، حيث أجريت مسابقة بين مجوزين في
ميدان كبير ، وفي نهاية الميدان خنزير جعلوه جائزة لمن تسبق أولا (٣) بينما يصف ابن
جبير عيدا حل على الفرنج وهم مسافرون ، فاجتمعوا في المركب كصغيرا وكبيرا وحلوا الشمع
الضيء (٤) .

الزواج :

ظهرت المرأة الفرنجية في الأدب العربي سافرة منالقة غير مضطربة ، تخرج دون
إذن زوجها ، وتزوج دون إذن ولها ، ومن ذلك أن زوجة ملك الفرنج بالشام أحبت رجلا
من الفرنج الذين قدموا من أوروبا فتزوجته ونقلت الملك إليه (٥) .
وقد كانت تجرى مراسيم الزواج بحضرة البدارك والقسوس ، وقد يحضرها جميع
غفير من الفرسان ، إن كان للزوجة مكانة خاصة ، كما يحضرها النساء ، وقد نقل ابن جبير
صورة حية لحرس أرمني في سور ، يقول : " ومن مشاهد زخارف الدنيا المحدث بها
زفاف عروس شاهدناه بهرور في أحد الأيام عند مينائها ، وقد احتفل لذلك جميع النصارى
(يقصد الفرنج) رجالا ونساء ، وادأخوا سمالين عند باب الصروس المهداة ، والبهوات
تضرب والمزامير ، وجميع الآلات اللهوية ، حتى غربت تنهادى بين رجلين بمسكنها من
يمين وشمال ، كأنهما من ذوى أرحامها ، وهي في أبهى زي ، وأخضر لباس ،

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٠١

(٢) الروضتين ١٠٤/٢ وانذار الروضتين ١٩٦/١/١ ، ومذكرات جوانفيل ١٤٥

(٣) الاعتبار ١٣٨ (٤) رحلة ابن جبير ٢٨٦

(٥) الكامل ٤٩٠/١١

تسحب أذيال الحرير الذذهب صحبا على الهيئة المصهودة من لباسهم ، وعلى رأسها عصابة ذهب قد حَقَّتْ بِشَبْكَةٍ ذَهَبٍ مُسَوَّجَةٍ ، وعلى لبثها مثل ذلك منقلم ، وهي رافلسة في حليها وحللها ، تحشي فترا في فتر مشي الحمامة أو سير النمامة ، وأمامها جلة رجالها من النصاري في أفخر ملابسهم البهية ، تسحب أذيالها خلفهم ، ووراءها أكتاؤها ونثاراؤها من النصرانيات ، يتهادين في أنفس المائيس ، ويرقلن في أرقل الحلى ، والآلات اللهوية قد تقدضهم ، والمسلمون وسائر النصاري من النذار قد عادوا في طريقهم سباطين يطلعون فيهم ، ولا ينكرون عليهم ذلك ، فساروا بها حتى أدخلوها دار بعلها (١) .

ولا يملك ابن جبير الا أن يستعيز بالله من فتنة المناظر ، ومن تلك الزخارف .

ومما أنكره الأدباء الحرب على المرأة الفرنجية استهانتها بالحشرة الزوجية ، فهي لم تكن تعتد بعد وفاة زوجها ، وإنما تتزوج بعد وفاته بأيام قليلة حتى لو كانت حاملا يقول المحاد عن الكنديري بأنه " دخل بالملكة زوجة الركن في ليلته ، وادعى أنه أحق بزوجه ، وكانت حاملا ، فما منع الحمل من نكاحها ، وذلك أفدح من سناحها " (٢) ويقول في أخرى : " وقيل إنها كانت حبل ولدت في من حباله الجبل ، فما شغلهم حرمة الرجل المشتغل " (٣) ثم يعقب على ذلك بقوله : " فأنذار الى استباحة هذه الطائفة المشركة " (٤) .

ولم يكن هذا الأمر افتراء عليهم ، فهذا المؤرخ الصليبي جوائفيل يروى في مذكراته ما يؤكد وجود هذه الظاهرة ، إذ يقول : " إن امرأة منهم قد تزوجت ولما يمض على موت زوجها وقتلوا (٤) .

هذا فيما يتعلق بالزواج فيما بينهم ، وأما التزاوج مع المسلمين ، فقد كان ممنوعا ومستهجنا الا اذا تنصّر المسلم أو هرب من عندهم ، ويظهر ذلك مما جرى من مفاوضات بين ملك الانكليز والصادق ، حين عرض الاول أخوته على الثاني ، شريطة أن يتنازل صلاح الدين لأخيه الصادق عن القدس وغيرها ، ويؤقتنازل لأخته عن مناطق الساحل ، وحين علمت بالخبر " تسخطت من ذلك وأنكرته انكارا عاليا وحلفت بدينها المنطق من يمينها أنها لا تفعل ذلك " (٥) ، ويصف المحاد الرأي العام الفرنجي في ذلك فيقول : فجهوها بالعذل واللذع ، وأنجهوها بالقدح والقدح ، وتالوا لها كيف تنجسنا بأفجع مسلم مؤلم ، وتسلمين بضمك لباضعة مسلم ، فان تنصرتيهم ، وان تسج فما تعمسهم ، وان أبى أبينا وان أتى أئينا ، فرجيت من بعد ما رجت ، وطالت من بعد ما طالت " (٦) .

(١) رحلة ابن جبير ٢٧٨ - ٢٧٩ (٢) النتج القسي ٥٩٠

(٣) الصدر السابق ٤٩٤ ، وأنذار الكامل ١٢ / ١٢٨

(٤) القديس لويس حياته وعمالته على مصر والشام ١٤٣

(٥) النوادر السلطانية ١٩٦

(٦) النتج القسي ٥٥٦ ، وأنذار الاعتبار ٩٦ ، والروضتين ١٩٣ / ٢ ، ١٩٦

ويؤكد هذا ما جاء في قصة مريم الزنارية التي تزوجت من مسلم في مصر ، **للمسلم** اختلافها الفرنج وعادوا بها الى ارضها سألتهما أمها عن زواجها ، فبينت لها أنها أجهرت على الزواج من المسلم (١) ، وأما اذا رغبت الفرنجية في الزواج من مسلم فإنها تهجر أهلها كما دلت على ذلك قصة الصبيدي وزوجته الفرنجية (٢)

دفن القتلى :

ليس المقصود بدفن الموتى المراسيم التي كانت تتبع عند دفنهم ، وإنما المقصود اهتمام الفرنج بدفن موتاهم حتى في أخرج الاوقات ، يقول ابن شداد : وكلما قتل منهم شخص دفنوه وكلما جرح رجل حملوه " (٣) ، ويظهر أن هذا العمل كان يتم في المعركة أما إن كانوا في حالة هجوم وابتعدوا عن مواقعهم فإنهم يحملون قتلاهم ، أو يدفنونهم قبل أن يخادروا أما كنهم ومن ذلك ما رواه أسامة بن منقذ أن الفرنج كسروا على أبواب دمشق وقتل منهم خلق كثير ، فقطعوا رؤوسهم وحملوها في سموط الشيل (٤) ، وقد تم دفن القادة الاموات في القدس تكريما لهم ، ولو كان مكان موتهم بعيدا جدا عنها ، ولذلك عمدوا الى خطة يتم بها نقل الجثة أو المظلم الى القدس ، وتدل هذه الخطة على ما عهدناه عندهم من وحشية وغلظة . فحين مات الملك بلدوين ملك القدس في طريق غزوه الى مصر شق أصحابه بطنه ، ورموا حشوته في مضائق ما تزال تعمل اسمه حتى اليوم ، وحملوا جثته ودفنوها في قمامة (٥) ، وحين مات ملك الالمان في شمال الشام وهو في طريقه الى القدس سلقوه في محل وجعست عذابه لتدفن في كنيسة القيامة ، يقول الحماد : " وقيل إنهم سلقوا ذلك الهالك في قدر حتى تغلى عذابه ، وهرى لحمه ، ثم جمعوا في كيس عذابه ، ورموا بذلك اكرامه واعذابه ، ليحملوه الى كنيسةهم بالقدس قمامة ، ويدفنوه على ما كان أوصى به أو رآه " (٦) .

- (١) ألف ليلقوليطة ٢٣٣/٦
- (٢) المصدر السابق ٤/٧
- (٣) النوادر السلطانية ٢٥ وأنذار ١٤٨ ، والرونتين ١٧٩/٢
- (٤) الاعتبار ١١٦
- (٥) تاريخ ابن الوردي ٢٠/٦ والأنس الجليل ٣٠٤/١
- (٦) الفتح القسي ٣٩٣ ، وأنذار الحادثة في النوادر ١٦٤ ، وزبدة الحلب ١١٤/٣ ، ويؤكد جوانقيل ما ذكره الادباء العرب من دفن موتاهم في مذكرائه ص ١٤٥ .

زيارة الاماكن المقدسة :

رأينا حرس الفرنج على دفن قاداتهم في بيت القدس ، كما رأينا حرص القادة على زيارة القدس وان لم ينسأ في أجلهم فأنهم يهوضون بدفنهم فيها ، كما قال الصمد ... ويدفنوه على ما كان أوصى به أوراخه . ولم يكن قاداتهم بأكثر تعمسا من عاصمهم للزيارة ، فقد أرسل صاحب اناكيا الى أسامة كتابا يقول فيه : " هذا فارس محتشم من الفرنج وصل وحج ويريد الرجوع الى بلاده ، وسألني أن أسيرم اليكم به فرسانكم وقد نفذته فاستوصوا به . " (١) وذكر الصمد أن صلاح الدين أسر شيخا طاعنا في السن فسأله عن سبب جيله وهو في هذا السن فقال : انما كان مجيئي للحج الى القيامة (٢) .

وقد كان لهم مواسم معينة يزعمون خلالها الاماكن المقدسة في القدس وغيرها ، وقد استلزم ذلك تعيين فرقة للإشراف على هذه المواسم ، يقول الصمد في معرض حديثه عن زيارة الفرنج لمشهد زكريا عليه السلام في سبسية : " وهو متعبد لهم المظلم ، والشهد الحكرم ، وقد حجبهوا بالاستار ، وحلوه بالقضة والنضار ، وعينوا له مواسم الزوار ، وقوته من الرهبان فيمضونه ، ولا يؤذن في الزيارة الا لمن معه هدية لها قيمة . . . " (٣) .

الحياة الاجتماعية خلال الحروب :

تقدير الناصر :

لقد كان لتركيب المجتمع الصليبي أثر في ايثار الفارس والاهتمام به ، وقد لاحظت ذلك أسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار ، فأفرد فصلا خاصا سماه " منزلة الفارس عندهم " وذكر أن الفرسان تميزوا بمنزلة عالية ويصفهم بأنهم " أصحاب الرأي وأصحاب القضاء والحكم " (٤) وثبت ذلك بأدلة يوردها ، منها أن جماعة الفرسان حكموا في قضيتهم جنائية ففشي بقضائهم ، ثم عقب على ذلك بقوله : وهذا الحكم . . . ما يقدر الملك ولا أحد من مقدمي الفرنج يخيروه ولا ينقضه . . . (٤) .

كما أن الاحداث التاريخية نفسها تثبت ما ذهب اليه أسامة ، فما من فارس له قيمة أسر أو قتل في أرض الممركة الا تجد التحقيق على مقتله أو أسره يوحى بأهميته ، ومن ذلك التحقيق على أسر جوسلين بأنه " كان من أعظم الشجعان على المسلمين . . . وأعيت النصرانية كانه بأسره ، وعذبت الصبية عليهم بفقده ، وغلبت بلادهم من حاميتها ، وشعروهم من حافظها وسهل أمرهم على المسلمين بحده . . . " (٥) .

(٢) الذخ التسمي ١٥٦

(٤) الاعتبار ٦٤

(١) الاعتبار ٦٩

(٣) الروضتين ٨٨ / ٢

(٥) الروضتين ١٨٣ / ١ / ١

الحزن والحداد :

وهنا من المظاهر الاجتماعية المرتبطة بالغروب ، ويمكن أجمال أسبابها بموت كبير أو فقد عزيز أو سقوط بلد أو تحطيم شعار ديني أو التعرض لهزيمة ٠٠٠ وقد أضفى الأدباء صورا عريضة على مظاهر حزنهم ، ومنها النوح والندب ولبس الحداد ، وحث التراب على وجوههم ، فهذا ابن الدمان يمدح طلائع بن رزيق ويبين ما أنزله بالفرنج من هزائم حتى خيم الحزن والنواح على كل صقع من ديارهم ، يقول :

ومات في كل صقع من ديارهم نوح على بطل لولاك ما شيكا * (١)

بل ادعى الأدباء أن الحزن خيم على كل بيت فرنجي حين أفضل أسد الدين شيركوه مخيمات الفرنج في التعاون مع وزير مصر شاور ، يقول الصمد :

في كل دار من الافرنج نادبة بما دهاهم فقد باتوا على نسدب (٢)

وقد يرح الحزن بهم ، حين عادوا الى بيوتهم فوجدوها خاوية من أهلها بسبب ما أحدثه صلاح الدين بسهم هزيمة وتتل في حصن الاعزان ، يقول الصمد :

عادوا ، وعين رأوا خراب بيوتهم يسوا من الأطار والأوطان
باءوا بأحزان وغابوا حولها مما لقوا بدخائمه الاحزان (٣)

أما مارك تعبيرهم عن الحزن فهي البكاء ، وحث التراب ، ولبس السواد ، وتحريم الملاذ ، ومن ذلك وصف الصمد لمصاحبة الكرك التي أسرا فيها فخرجت الى السلطان " متضرعة للخضوع ، متفرقة بالخشوع ، وبرزت مسكينة مستكينة ، مستعطفة مراحم السلطان مستلينة ، رافدة عقيرتها بالابتهاال ، شائفة في فك ولدها من الاعتقال ، معقورة خدأ شائفة التصبر ، سائرة عن وجه من عادته التخدر ، حاسرة حمري ، باصرة لحزنها بأسرى " (٤) ومن وصف ابن شداد لحزنهم حين علموا بمقتل رجل كبير منهم ، يقول : " فغضبوا بنفوسهم الارض ، وحثوا على وجوههم التراب ، ووقفت عليهم بسبب ذلك خدمة شائفة ٠٠٠ " (٥)

- (١) ديوان ابن الدمان ٢٢٦
* شيكا : الشوكة : حمرة ترقى الجسد ، وقد شيك الرجل : أصابته هذه العلة (اللسان : شوك)
- (٢) تاريخ ابن الزيات مج ٤ / ١ / ٤٦
- (٣) خريدة القصر وجريدة العصر / بداية قسم شعراء الشام ص ٥٩ ، وانذار الروميتين ١٨٠ / ١ / ١
- (٤) الفتح القسي ٢٠٥ ، وانظر ٢٠٦ ، والذيل على الروميتين ١٠٣
- (٥) النوادر السلطانية ١٣٤ ، وانظر ١٤٣ والروميتين ١٥٩ / ٢

والدريقة الثانية للتعبير عن حزنهم هي لبس السواد ، ففي زمن نور الدين سنة ٥٦٥ هـ ضرب زلزال مدمر كثيرة في الشام ، فأنزلت غصائر فادحة ، فقال السواد في ذلك :

جل رزأ الفرنج فاستبدلوا ضمه بلبس العديد ليهرا العسداد (١)
وفي سقوط القدس لبس الرهبان والقموس وشلق كثير من الفرسان المشهورين السواد وخرجوا
الملاذ ، وقاطعوا كل من خرج عن هذا السرف ، يقول ابن شداد : " قد حرّموا الملاذ
على أنفسهم حتى إن من بلغهم عنه بلوغ لذة شجره وحرره ، كل ذلك حزننا على بيت
القدس " (٢) وقد نهج جماعة منهم طريقة ثالثة وهي خلع الثياب ولبس العديد ، كناية
عن الحزن ، وتلفظا للقتال لاسترجاع القدس ، يقول السواد : " وقد لبسوا العديد
للحداد على البيت المقدس وخرجوا الثياب ولزمو المصاب وداووا الاكثاب ... " (٣)
ومن طرقهم في التعبير عن حزنهم اشعال النار الدائمة ، فحين مرض ابن ملك اللسان
حزنوا عليه حزنًا شديدًا " فاشعلوا نيرانا دائمة ، بحيث لم يبق خيمة الا اشتعل فيها
الفران والثالثة ، بحيث بقي عسكرهم كله نارا تند " (٤) *

المهادنات :

وتكون بعد اتفاق الدافين على وقف القتال ، لمدة تختلف حسب الواقع ، ولها
مراسيم خاصة يحضرها ممثلون عن الدافين والأسقف ، وتؤدي فيها الايمان والموثيق
أما المسلمون فكانوا يقسمون بالمثلاث مرات ، وأما الفرنج فيقسمون بالله ثلاث مسمرات
وبالصليب كذلك ، والمسيح ... والاثانيم الثلاثة ... ثم ترفع هذه الخدوشهم عليها
بالفرنجي (٥) .

ويلاحظ أن المهادنات كانت في صالح المسلمين ، وقد اعتبر القلقشندي مصلحة
المسلمين من شروط موعودتها (٦) .

-
- | | |
|-----|--|
| (١) | الروشتين ٤٦٩/٢/١ |
| (٢) | النوادر السلدانية ١٢٦ |
| (٣) | الفتح القسي ٣٩٣ |
| (٤) | الروشتين ١٨١/٢ |
| * | لمزيد من الأمثلة على حزنهم أنظر : النتج ٢٠٥ ، ٤١٥ ، ٤٧٤ ، ٤٨٠
الروشتين ١٨٠/١/١ ، ١٨٦/٢ ، ديوان ابن عيين ٢١ ، ديوان ابن
سنة الملك ٥٦٦ |
| (٥) | تشریف الايام والمصور ٩٣ ، صبح الاعشى ٣١٢/١٣ - ٢١٤ ، الفتح ٥٥٦ |
| (٦) | صبح الاعشى ٧/١٤ |

الرياضة والفرنج :

ان وجود الصليبيين في أرض بعيدة عن بلادهم ، وما تبع ذلك من صراع عنيف ، له جعلهم يقلّمون عن عاداتهم في المرح واللّهو ، بل لقد اتخذوا من بعض ألوان لهوهم تدريجا على قتال خصومهم من المسلمين ، فلا عجب أن يتخذ هذا اللهو أحيانا مالمباحا عباسيا عنيفا ، فهذا ابن جبير يصف ميدان عكا بأنه لا يوجد شبهه في المنطقة ، وقسمد اتخذه الفرنج ملعبا يتدربون فيه على ركوب الخيل ، بما فيه صاحب البلد الذي يركب كل بكرة وعشية (١) .

ويصف أسامة بن منقذ عبدا للفرنج حنّره في طبرية ، وكانت وسائل الترفيه فيه لعبة قام بها الفرسان بالرمح وخرج معهم عجوزان فانيتان ، وسكّ كل واحدة منهما سريّة من الخيالة يحشونها ، شويخوا في نهاية الميدان خنزيرا فمن وصله أولا أخذه ، فجرت المصابقة بينهما وهم يحكون لانهما كانتا تتومان وثقبان كل خطوة (٢) .

وقد يدخل في لهوهم تلك المبارزة التي جرت بين صبيين مسلمين وآخر من فرنجيين ، وكان ذلك في وقت السلم ، فتلب الصبيان المسلمون على الافرنجيين ، فأخذ اجازته (٣) من أنغام الرياضة التي اتبعوها للترفيه عن أنفسهم الصيد ، وقد مارسوا هذه الهواية في أوقات السلم ، فكانوا يتبادلون الرّشخ للصيد في الاراضي المجاورة لكل منهم (٤) ، هذا وقد اتخذوا الهزة والصقور والشواشين والكاذب لتساعدهم في القبض على الصيد (٥) ، ومن الأدلة الشعرية التي تشير الى ممارستهم الصيد ، قول ابن مثير متشفيّا بمقتل صاحب اندلسية :

والآن ملقّ بالمرأ يقتاتسه ما كان قبل بصيده يقتاتسه (٦)

المرأة الصليبية :

سبق الحديث عن مشاركة المرأة الفرنجية في الحرب ، ولم يكن هذا هو الشيء الوحيد الذي استرعى انظار الادباء بالنسبة اليها ، فقد لفتهم جمالها ومعض عاداتها .

- | | | | |
|-----|---|-----|--------------|
| (١) | رحلة ابن جبير ٢٨٣ | (٢) | الاعتبار ١٣٨ |
| (٣) | الروستين ١٤٣/٢ | | |
| (٤) | زكي النقاش ، الملاحظات الاجتماعية ١٤٨ - ١٤٩ | | |
| (٥) | انوار النوادر السلطانية ١٥٢ ، النتج ٤٧٤ ، الروستين ١٨٣/٢ ، الاعتبار ٢١٠ ، ١٢٣ | | |
| (٦) | اعلام النبلاء ١٩/٢ ، الروستين ج ١ ق ١ ص ١٥٩ | | |

وقد تميز ابن القيسراني عن غيره في تجسيد محاسن المرأة الفرنجية ، وكان قسي
تجسيده ينحو منحى الشاعر أبي نواس ، ولذا لك سترك الكثير من الامثلة التي تجرح الحياء ،
ونذكر مثالا دالا على جمالها ، يقول :

وفي ذلك الزنار تتثال فضيلة تنقاد بخديه العيون بحسب
وقد غلب الصباح فيه على الدجى سنا قمر في جنح ليل مجمل
فيا لي من وجهك تدبيل هيكل عليه من الصدين حجاب مسجل
لقد أسرني حيث لا ابتغي الفدا نقول في أسير لا يسر بمقتصد (١)

ويصف السجاد المرأة الفرنجية بأنها : حمراء برحاء ، نجاة كحلاء ، عجزاء شغلاء
نساء لفاء ، زرقاء ورقاء (٢)

وقد تحدث الادب عن انصراف بعضهم عن ضاهج الحياة الى اقامة الصلوات ،
يقول ابن القيسراني :

كم بالكناش من مبتلىة مثل الصها يزينها الغفر (٣)
ويقول :

يا هل سمعت يدر سمعان وما به للعيون من عريان
أبوقت للصلاة هيكله أم نبت من منابت اليسان ؟ (٤)

ويقول :

إذا هن أقبلن وقت الصلاة في كل لون من الالوان
وجالت مناطق أوساطهن ونباتت بها حلل السنن
وأجلسها ثقل أرداءهن فيالي من ذلك المجلس (٥)

عادات مستكسرة :

تحدث الادب عن كثير من صفاتهم وعاداتهم السيئة ، وقد ورد بعضها في مجال
الحديث عن الصراخ الحضاري ، ويضاف اليها ما يلي :

الدعارة والنجوم :

كان لتكوين المجتمع الصليبي العربي أثر في اشاعة الفاحشة بينهم ، فكثيرون
منهم تركوا أوطانهم وأولادهم وجاءوا تلبية لنداء الكنيسة ، مما جعلهم يعانون مرارة العزومية
فندبت أرومها مجموعات من النساء لاشباح حاجات النرسان ، ثم تطور الأمر الى أن أنشئت
أسواق للنسوة الساقطات في بعض المدن (٦) .

(١) ديوان ابن القيسراني ورقة ٧٥ وانار ورقة : ٦١ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩

(٢) النتج القسي ٣٤٧ (٣) ديوان ابن القيسراني ورقة ٦٢ (٤) المصدر السابق ٧٣

(٥) المصدر السابق ورقة ٧٠ (٦) الفتى القسي ص ٣٤٥

وقد عقد الصناد فصلا خاصا ذكر فيه حال نساء الفرنج ، وتحدث عن هذا الجانب حديثا مفصلا ، وفيما يلي مقتطفات منه ، يقول " . . . قد اجتمع من الجزائر ، وأندلسيين للجزائر ، واغترين لاصناف الثياب ، وتأعين لإسعاد الاشقياء ، ترافدن على الارفاق والارفاق وتلبهن على السفاح والسفاد ، من كل زانية نازية ، زاعمة نازية ، عاطية متمطاطية ، حاذية خالية ، متخنية متخنجة ، متبرجة . . . فوصلن وقد سلبن أنفسهن ، وقدمن للتبذل أصوهن وأنفسهن . . . وتفردن بما خربنه من الخيم والقباب ، وانضمت اليهن من أترابهن من الحسان الشواب ، وفتعن أبواب العلاء ، وسبلن ما بين . . . وثقن مسوق النسوق ، ولثقن رثوق الفتوق . . . وزعن أن هذه قرية ما فوقها قرية ، لاسيما فهن اجتمعت عند مضية وعزبة . . . (١) .

وقد كان لانتشار هذه الفاعشة أن انغمس فيها القسوس ، يقول الصناد : وما عند الفرنج على النساء إذا أمكت من الاعزب خرج ، وما أركها عند القسوس إذا كان للزنا من الخبيقين من . . . فَرَجَ " (٢) .

ولم يتوقف هذا الداء عند النساء ، بل إن المتزوجات كن يَخْنُ أزواجهن (٣) ، ولو جاز لنا أن نتخذ حكايات ألف ليلة وليلة دليلا ، معتمد عليه لوجدنا في حكاية الصميسدي رَجَمَ للزنا : " يؤكد ذلك (٤) .

وقد استرعى انذار الادباء العرب عدم غيرة الفرنج على نساءهم ، ومن ذلك ما رواه أسامة بن مفضل في الاعتبار عن فرنجي في نابلس كان يبيع الخمر ، وجد رجلا غريبا في حجرة نوم زوجته ، فلما زاد بعد حوار عجيب له مع ذلك الرجل على أن قال له : " بحق ديني إن عدت تسلمت كذا تناسمت أنا وأنت ، فكان هذا نكيره وبلغ غيرة (٥) وفي الصورة دخل فرنجي عند حمامي من أهل الصورة ، ولم يشغل من أن يمرض زوجته لتجربة غريبة ، تبين عن انسداد الخير والحياة معا (٦) .

ويروي أسامة كذلك قصة وقعت في صور ، يبين عدم غيرة الابهاء على بناتهم (٧) ، لا عجب إذن أن يقول أسامة عن الفرنج انه " ليس عندهم شيء من النشوة والخيرة ، يكون الرجل منهم يهمل مو وأمراته يلقاه رجل آخر يأخذ المرأة ويحتزل بها ، ويتحدث منهن والزنى ، واتخذ ناحية يلتفتل تراغها من الحديث ، فإذا طاولت عليه غلظا مع المتحدث وعنى (٨) .

(١) الذئب القمبي ٣٤٧-٣٤٨ (٢) المصدر السابق ٣٤٩

(٣) انذار نهاية الارب ٢٧ ورقه ٣٨ ، وانذار القوي : نضح الدبيب ٢/٢٩٧ والروشتين ١/٢

(٤) ألف ليلة وليلة ٤/٧ وانذار الفتح القسي ٥٩٠

(٥) الاعتبار ١٣٦ (٦) المصدر السابق ١٣٦

(٧) المصدر السابق ١٣٧ (٨) المصدر السابق ١٣٥

ولا غرامة والحالة هذه أن يتخذ القوم من الأماكن المقدسة مكانا لممارسة فجورهم وفحشائهم ، فجهلوا من المسجد الأقصى المبارك موشما يتشبهون فيه أولادهم (١) * .

الخمير :

اتخذ الفرنج للخمير أسواقا ، واعوها بأثمان باهظة لأنها أصبحت سلعة تجارية تستورد من وراء البحر ، وقد وصف أسامة عملية بيعها بالجملة في نابلس إذ يقول : " يأخذ (السمار) الخمير في قفينة من النبيذ وينادي عليه ، ويقول : فلان التاجر فتح بتيه من هذا الخمير ، من أراد منها شيئا فهو في موضع كذا وكذا " ، وأجرته على ندائه ، النبيذ الذي في تلك القفينة (٢) .

وقد انتشرت الخمرات في أماكن كثيرة ، ويصف ابن القيسراني أحداها وهي خمارة جسر الحديد في منطقة انتلاكية فيقول :
 ان كان لا يد من السكر
 خمارة تعالج من نحرها
 فمن يدي خمارة الجسر
 بخمارة بيضاء من نحرها (٣)

وقد اشتركت المرأة الفرنجية في تقديم الخمير ، ولذا لك ربط العماد بين الخمير والنساء الفرنجيات في حديثه السابق ، يقول : " وسقيين الخمير ، وإلين بيمين الوزن الأجر " (٤) . هذا ، وقد سجل الشاعر هذا الدور ، وسخر من خيالها من الفرنج ومن ذلك قول الرشيد بن النابلسي يمدح صلاح الدين بعد الفتوحات :

كم قد سقيتهم هذا فلا عجب
 إن عربدوا سفها ، فالشوقد سكروا (٥)

جفاء أخانتهم وقصوتهم :

سبق الحديث عن وسقيتهم وقتلهم للمسلمين العزل ، مما يدل على اعتيادهم الناظر الدموية ، حتى ولو كانت منالاة للذبايح الانسانية ، فعين حاصر المسلمون كفر طاب رقبوا التسليم ، وقتلوا أولادهم ونساءهم وأحرقوا أموالهم (٦) .

- (١) النتج القسي ١٣٧ *
 للتأكد من صدق المصادر العربية أنذر مذكرات جوانفيل ١٩٦٠ ، ٢٤٤ وفوستاف لومون / خمارة العرب ٣٢٨ ، وزكي النقاش / المناقشات الاجتماعية ١٥٢
- (٢) الاعتبار ١٣٦ ، وأنذر جوانفيل في مذكراته ص ٨٣ ، ١٤٢
- (٣) ديوان ابن القيسراني ورقة ٧٧
- (٤) الفتوح القسي ٣٤٨
- (٥) الروضتين ١٩٤ / ٢
- (٦) الكامل ١٠ / ٥١٠

وقد لاحظنا أسامة ذلك حين اعتبر قريبي السهد بالبلاد الفرنجية أجنبي أخلاقاً من الذين تبلدوا وعاشروا المسلمين (١) ، ثم يذكر دليلاً على ذلك ، ملخصه أن أسامة كان يصلي في الأقصى فهجم عليه فرنجي ورد وجهه نحو الشرق ، وقال : كذا صل ، فانتهره قومه وأخرجوه ، لكنه غافلهم ثانية ورد وجهه أسامة ثانية ، فساد الداوية وأخرجوه واعتذروا إلى أسامة بأنه " غريب وصل من بلاد الفرنج في هذه الأيام " (٢) .

ومدح عبارة اليمني الوزير المصري شاور بأنه يذب أخلاق الفرنج الجفافة فيقول :

ومحابة رومية عاشرتهم ~~سما~~ فتأومت وتهذبت أذنانها (٣)

وتد ظهر هذا الجفاء وهذه القسوة في محاكماتهم ، فكانوا ينزلون العقاب الاليم الذي يصل إلى درجة الموت دون التأكد من صحة التهمة ، كما يتضح من رواية أسامة عن محاكمتهم شيخاً كبيراً بتهمة التعاون مع المسلمين ، وذلك باجباره على مبارزة حداد شاب ، انتهت بموت الشيخ المتهم بصورة بشعة قاسية ، وسط هتاف القوم واستحسانهم (٤) . ومهمهم آخر أتهموه وأمه بقتل الحجاج الفرنج ، فقتلوا عينييه دون أن تجرى له محاكمة تقدم فيها الأدلة والشهود (٥) .

ويروى ابن شداد محاكمة أخرى لمتهم فرنجي ، والتهمة هي أنه ضرب غلامه ضرباً جاوز فيه الحد ، فاجتمعت القسوس للحكم ، فقتلوا بذبحه وتشفع بعضهم فيه لدى الملك ، فلم يلتفت إلى ذلك وذبحه (٦) .

النهب والسرقه :

تميزت عمليات الصليبيين في بداية الحروب الصليبية بالنهب والسرقه ، فقد نهبوا ما في دارابلس من أموال (٧) وأخذوا من عند الصخرة نيفا وأربعين قنديلاً من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم ، وأخذوا تنورا من فضة ، ومن الذهب نفوساً وعشرين قنديلاً (٨) وفي اللاذقية هجموا على مبنائها ، ونهبوا اثنتين وعشرين قطعة في البحر (٩) وفي جبيل أعطى الفرنج الأمان للمسلمين ، ولكنهم لم ينفوا لهم بسهدهم ،

- | | | | |
|-----|---|-----|-------------------|
| (١) | الاعتبار ١٣٤ | (٢) | المصدر السابق ١٣٤ |
| (٣) | نفرج الكرب ١٤٢/١ | (٤) | الاعتبار ١٣٨ |
| (٥) | المصدر السابق ١٣٩ | | |
| (٦) | النوادر السلطانية ١٢٦ ، وانظر تشريفه الأيام والعصور ١٧٧ | | |
| (٧) | الكامل ٤٧٦/١٠ | | |
| (٨) | المصدر السابق ٢٨٤/١٠ | | |
| (٩) | زبدة الخلب ١٣٠/٢ | | |

وأخذوا أموالهم ، واستنفذوها بالعقوبات وأنواع العذاب (١) ، وحدد أن استقروا في بلاد الشام عملت نجداتهم لصوما اعترفوا مهنة السلب ، ومن ذلك أن جماعة من "الحرامية" أخذوا قافلة للمسلمين وحشدت بمحلبك ٠٠٠ (٢) وعين غادر أسامة مصر عائدا إلى الشام عن طريق البحر ، نهب الفرنج مركبه والمراكب الاخرى بحجة أنها كسرت ، فكتب إلى طلائع ابن عزيك يشكو الله :

أذهب تالدي وطار مني الطاري فحال المبروث والمكسوب
فهو شطرانين مصر ومصر ذا غريق ، في ، ذا منسوب (٣)

وصف ابن جبير شجرة عذابة هي حد بين الامن والخوف لوجود حرامية للفرننج (٤) وكان من شروط الناصر قلاوون على الفرنج ، وقد رجحت كفة المسلمين ، أن لا يمكنوا "حرامية البحر من الزيادة من غنم ولا من عمل الباك" ٠٠٠ (٥) *

صفات خلقية :

نذر المسلمون إلى صفات الفرنج الخلقية فأنحطوا أنهم شتر غريبون عن البلاد التي احتلوها ، نصح كالأقاعي الغبيثة ، زرق أشداء ، ومع ذلك فبهتار استهزاء ، يقول العباد : "خرجوا إلى هنا من كل ٠٠٠ أزرق ، زرق الموت الاحمر ، وأنمشي يمشي واليسوم أغبر ، وأشقر وهو أشقى ، وأبقع إذا غوى في الوحى ما ترك ولا أبقى" (٦) ويقول أيضا "شقرا كأنما لفتت النار وجوههم" وهم فيها كالعنق "زرقا كأنما عيونهم من حديد فهم بقلوبهم وعيونهم يكافحون" (٧) . ويقول في ملك الالمان : وأنه غي في ثلاثمائة ألف مقاتل ، فمن كل سالب باسل ، والمالب للباطل ، وجههم جهنمي ، وأشقر سقري ، وأنمشي أفسواني " (٨) ، ومن مواطن استهزاء الأدباء العرب بالفرنج وصفهم لملك الانجليز بأنه "أشقر أمط" ، في عينة ضحك ، لو كان عبدا ما يساوى مائتي درهم " (٩) .

- (١) الكامل ٣٧٢/١٠ ، وانظر : الحياة الادبية في عصر الغروب الصليبية بمصر والشام ١٢
- (٢) الاعتبار ١٤٠
- (٣) ديوان أسامة ١٦٢ ، وانظر ١٦٤ والروشتين ج ١ ق ١ ص ٢٤٨
- (٤) رحلة ابن جبير ٢٧٣
- (٥) صبح الاعشى ٦٠/٦٢
- * للزبد أنوار الخريدة / الشام ١/٦٩ ، ٢٠٢ ، ٢٢٢ ، والاعتبار ٤٤ ، ٤٥ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٦ ، ١٨٣ ، ١٥٤ ، ٢٢٠ ، ٣٤٥ ، ومذكرات جوانفيل ١٨٦
- (٦) الفتح القسي ٤٠٣ (٧) المصدر السابق ٥١
- (٨) المصدر السابق ٣٢٩ (٩) عقد الجمان ١/١٨ ورقة ٨٣

وتد ركز الشجر على وصف عيونهم الزرق ، التي يشتمل عليها الحرس ، بل يتطير
بها ، يقول المذهب بن الزبير في البرزخ صاحب انداكية :

وتعجبوا من زرقه في دارفسه وكأن فوق الرمح نصلا ثنائسي (١)
ويصور فتیان الشاغوري الغيل تمشي على جثثهم ، والدايور تنقر عيونهم الزرقاء ، ولا يخلو
هذا الوصف من التشفي والاستهزاء ، يقول في مدح صلاح الدين سنة ٥٨٣ :

فالدخيل لا تمشي بها الا على هام مضدة وشعر أشقر
نهبت غاة الداير من حدق بيها زرق قصوفا من نفيس الجواهر (٢)
وقريب من هذا المعنى ما ذكره شهاب الدين محمود في فتح عكا سنة ٦٩٠ هـ يقول :

وغاص زرق القنا في زرق أعينهم كأنها شطن تهوى الى تلسب (٣)

عادات أخرى :

ومن عاداتهم أنهم ينكرون على من يشد في وسطه المئزر في الحشام (٤)
ومنها كشف الرأس عند الفرج (٥) .

اقتباس واعجاب :

أدى استقرار الصليبيين في المشرق الاسلامي الى تأثر بالثقافة الاسلامي بأنواعه
ومن ذلك الفن المحاري وقد وصف بعض الادباء أبنيتهم ، ومن هؤلاء القيسراني الذي
قال في وصف انداكية حين كانت تحت الاحتلال الصليبي :

واحرى في الثبور من بلبل	ينضحك حسنا كأنه شمس
به تصور كأنها بيبس	نادقة في خلا رلها الصبر
هالات طاقا تهن آمل	يسم عن كل هالة قصير (٦)

* قيل في دجاء خالد الفهري :

فألقيته يهوى فسترد	عروق الى أخواله الزرق تشمس
إذا المظلة نخوة مريسة	الى المجد قالت أرميته نس

(ديوان ابن عيين ١٢٦)

- | | |
|-----|---|
| (١) | الروشتين ج ١ ق ٢ ص ٣٧٦ ، وأنظر الخريدة قسم شعراء مصر ٣٨ / ١ |
| (٢) | ديوان فتیان الشاغوري ١٤٥ (٣) جواهر السلوك ورقة ٦٠ |
| (٤) | الاقتباس ١٣٦ (٥) تاريخ ابن القرات ٢٥٥ / ٢ / ٤ |
| (٦) | ديوان ابن القيسراني ٦٣ ، وأنظر الخريدة / قسم الشام ١٠٠ / ١ |

وصف ابن جبير عكا المحتلة بأنها "تأخذ مدن الفرنج بالشام" ومحسطة
الجواري... وملتنى تجار المسلمين والنصارى من جميع الافاق "سكنها وشوارعها تشبه
بالزحام" وتنتهي فيها مواطىء الاقدام (١) "ولكن الاحتلال شبه المدينة في نثر ابن
جبير" اذ يقول فيها بعد ذلك: "زفرة قدرة ملوثة كلها رجسا وعذرة" (١) ولذلك
فضل عليها صور التي تنعم بالهدوء "ويقل فيها التعصب ضد المسلمين" (٢).

وقد أخذ البناء في المدن المحتلة طابعا فنيا من الجمال ما يتفق مع تاريخ
المعمار الاسلامي قبل غزو بلاد الشام "كما يظهر من كتابة الرحالة الفارسي ناصر خسرو".
وقد أضاف الفرنج الى الاماكن الدينية زخرفا لم يكن فيها من قبل "واستنبطوا الاشجار
حولها" يقول السواد في وصف اللاذقية: "رأيتها بلدة واسعة الافنية" جامعة الابنية
متناسبة المصاني "متناسقة المصاني" قرية البجاني "رحبة المواني" في كل دار بستان
وفي كل قطر بنهان "أمكنها مخرمة" وأروقته مرسمة "وعقودها محكمة" ومصالحها معلمة
ودعائمها مضامة "ومساكنها مهندسة مهندمة" وأماكنها محكمة "ومعاسنها مهندسة"
ومراتبها مهيبة... (٣) "ويقول في كنيستها: "بأجزاء الاجزاء مرسمة وألوان الرخام
مجزعة... (٤).

وقد أثنى الصليبيون جهدهم في تزيين القديس وكنائسها "حتى أصبحت مزارع عجب
لكن من رآها" يقول القاضي الفاضل "فأنهم - غذلهم الله - عموها بالأسل والصفاح"
منوها بالعمد والصفاح "وأودعوا الكنائس بها صيوت الدمية والاستهارية" فيها كل غريبة
من الرخام "الذي يذرد ماؤه" ولا يطارد لءلاؤه "قد لاف الحديد في تجزيعه"
وتفنن في توشيعه "الى أن صار الحديد الذي فيه بأس شديد" كالذهب الذي فيه نسيم
عند "فما ترى الا مقاعد للرياض لها من بياض الترخيم وتراق" "وعدا كالأشجار لها
من التثبيت أوراق... (٥).

ويتحدث شيباء الدين بن الاثير عن مشاهداته في القدس بعد أن استعادها
صلاح الدين "كما شاهد ذلك القاضي الفاضل" ولكن ابن الاثير يسلط الضوء على
جوانب أخرى "فيذكر تفنن الفرنج في الابنية التي أخذوها من الحجارة" بينما ذكر
الفاضل تفننهم في زخرفة الحديد "يقول شيباء الدين بن الاثير" ولا ينتهي الوصف الى
ما شوهد بالبلد من الآثار المبهجة التي تعجب المبعث المبعثان "وتستجلب الازهار" وتستطلق
الأسنة بالتسبيح لله الذي فدار الانسان "ومن جملة ذلك" "تتوهى في حسنه من البوسع

(١) رحلة ابن جبير ٢٧٦ (٢) المصدر السابق ٢٧٢

(٣) الفتوح القسي ٢٣٨

(٤) المصدر السابق ٢٣٨ "وأنتظر الفتوح القسي ١٤١

(٥) صبح الاعشى ٥٠٦/٦ - ٥٠٧

والصوامع ، فوات الأبنية الروائع ، التي روضت بالزخارف ترويض الأزيار ، ورفعت مصاندها حتى كادت النجوم توحى اليها بالأسرار ، وما فيها إلا ما يقال إنه إرم ذات الحماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ، ولقد ألان الله لهم الحجارة حتى تحيروا في توشيمها بضروب الاختيار ، وجعلوها أعاجيب الاسماح والابصار ، وتبين فيها هذه روضات جنان لا أفنية ديار ... " (١) .

التأثر بالحضارة الإسلامية :

لم تتسم العلاقات الإسلامية الفرنجية دائما بالجفاف ، بالرغم من الحروب الطويلة المستمرة ، فقد كانت العلاقات التجارية أحيانا طبيعية ، مما لفت نظر ابن جبير فقال : " ومن أعجب ما يحدث به في الدنيا ، أن قوافل المسلمين تخرج إلى بلاد الفرنج وسبيلهم يدخل إلى بلاد المسلمين " (٢) ويقول في عكا : " مجتمع السفن والرفاق وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الآفاق " (٣) ثم يقول : وناهيك من هذا الاعتدال في السياسة " (٤) .

هذا ما كان وسوق الحرب قائمة ، أما حين وقعت الحرب أوزارها ، فقد نادى الضادى في أسواق الحسكر أن الصلح قد انتظم ، من يشاء من بلادهم يدخل بلادنا فليفعل ، ومن شاء من بلادنا أن يدخل بلادهم فليفعل " (٥) .

وقد نتج عن هذا الاختلاط تعلم بعض الفرنج لغة العرب ، مما جعل التأثير بالحضارة الإسلامية أكبر ، ومن الأدلة التي تثبت معرفة بعضهم باللغة العربية ما ذكره ابن جبير من أنهم " يكتبون بالعربية ويتكلمون بها " (٦) . ولم يذكره ابن شداد عن صاحب شقيف أرنون بأنه عارف بالعربية ، وعنده إطلاق على شيء من التواريخ والاحاديث (٧) * وروى أسامة بن منقذ عدة مشاهدات في أماكن مختلفة يتكلم فيها الفرنج العربية ، منها أن

- | | |
|-----|--|
| (١) | أنيس المقدسي ، رسائل ابن الأثير ص ١٥٥ ، دار العلم للطالبيين ط بيروت ١٩٥٩ |
| (٢) | رحلة ابن جبير ٢٧١ (٣) المصدر السابق ٢٧٦ |
| (٤) | المصدر السابق ٧٣ (٥) تاريخ ابن القرات ٨٦/٢/٤ |
| (٦) | رحلة ابن جبير ٢٧٥ |
| (٧) | النوادر السلطانية ٩٧ ، ومفرج الكروب ٢/٢٨٢ |
- * انذار الاعتبار ٦٧ ، ٨١ ، ٨٧ ، ٩٠

مجموعة منهم جاءت الى شيزر ، وسألوا البواب عن اسم البلد ، فقالوا : ايض اسم هذا البلد ؟ فقال شيزر (١) ٠٠٠ وحين دخل فردريك الى القدس زمن الكامل سأل قسّام الصخرة عمدة أسئلة بالعربية (٢) ٠٠ وني حكاية الصعيدي وزوجته الفرنجية ما يؤكد معرفة المرأة الفرنجية للعربية ، فحين غيرها السلطان بين زوجها المسلم والفرنجي قالت : أنا قد أسلمت وتزوجت وحملت كما ترون (٣) ٠٠

ومن الأدلة الأخرى التي تثبت معرفتهم للعربية ، ما كان يجري من مناظرات بين بعض المسلمين والفرنج ، ومثال ذلك قول ابن القيسراني في التناظر بينه وبين فرنجي نسي تحريم الخمر :

هذا يناظرني بها عن دينه فقالت ليلا بالجدال مكشيبا (٤)

ويقول ابن شداد في صاحب شقيف أرنون " وكان يناظرنا في دينه ، ونظّله في بطلانه ، وكان حسن المحاوره متأدبا في كاذمه " (٥)

ومن الدلائل التي يكون التناظر والتحاور الا باللغة العربية ، لأنه لم يعهد عن العرب آنذاك أنهم تعلموا اللغة الفرنجية ، بل كانوا يتفونها بأوصاف لا تخلص من الطعن مثل البربرة (٦). ومن المتوقع بعد هذا أن الجماعات العلمية لم تستطع أن تحقق بصاداتها ومظاهر حياتها سليمة كما جاءت تبينها ، وإنما اضطرت بحكم انحراف مستواها الحضاري الى أن تكتسب الكثير من صفات المجتمع الاسلامي وعاداته ، حتى بلغ الاكتساب حدا شكّا من نفسه المؤرخون الصليبيون ، فهذا فوشيه Foucher كتب بعد انقضاء نصف قرن تقريبا يقول : " وأحسرتاه ! بعد أن كنا غربيين نرنا الآن شرقيين تماما في هذه البلاد (الشام) وغدا الايطالي أو الفرنسي الذي يعيش في هذه البلاد جليليا أو فلسطينيا لقد نسينا أوطاننا ، وصار معنا لا يعرف غمشيا (٧) .

أما مجالات التأثير فهي كثيرة منها :

٠١ الاسلام :

فالبرغم من تعصب الفرنج الشديد لمعتقداتهم ، إلا أن بعضهم اقتنع بالدين الاسلامي وأسلم ، يقول الحماد مشيرا الى اسلام بعض الفرنج بعد حطين :

- (١) الاعتبار ٥٦ وأنذار ١٣٥ و ١٣٧
- (٢) عقد الجمان ٨٣/١/١٨ ، ومفرج الكروب ٢٤٤/٤
- (٣) ألف ليلة وليلة ٤/٧ وأنذر ألف ليلة وليلة ٢٢٧/٦
- (٤) ديوان ابن القيسراني ٧١ (٥) النوادر السلطانية ٩٧
- (٦) الاعتبار ١٤٠ وأنذر ١٠٤
- (٧) نقلا عن المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام مقالة الدكتور سعيد عاشور/عمشمان سنة ١٩٧٤ ص ٢٤٠

• وما أسلم إلا أحاد حسن إسلامهم ، وتأكد بالدين عزامهم " (١) ويقول :
وعرب خادمان من عند الفرنج ، وذكر أنهما لأخت ملك الانكثير ، وأنهما كان
يكتنان الايمان في سر الضمير " (٢) .

ويلاحظ المرء من حكاية الصحيدى وزوجته الافرنجية اذا اعتبرناها مصدرا يعتمد
عليه ، أن هذه المرأة أسلمت عن قناعة كما يبدو من قولها : " وهذا سر دينك
الصحيح ، وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله " (٣)

اللباس :

• ٢

تأثرت المرأة الفرنجية بزي المرأة المسلمة ، وراحت تقلدنا في اتخاذ الحجاب لا
احتشاما ، وإنما رغبة في التجميل ، وفي محاكاة المرأة المسلمة التي تفوقها حضارة
فلبست الفرنجيات الحرير والسترات الشرقية الموشاة بخيوط الذهب والفضة ،
ومن ذلك وصف الصمد لصاحبة الكوك التي اتخذت الحجاب فيقول : وخرجت
محفرة غدا شأنه التصحر ، مسفرة عن وجه من عادته التخدر " (٤)
ويقول ابن جبير في وصف عروس : تسحب أذيال الحرير المذهب سحبا على
الهيئة المعهودة من لباسهم ، وعلى رأسها عصاية ذهب قد حفت بشبكة ذهب
منسوجة ووراءها أكفأوها ونظراؤها من النصرانيات (الفرنجيات) ينهادين
في أنفاس المألوس ويرقلن في أرفل الحللى (٥)
وقد لبس الرجال اللباس العربي ، وهو القباء والشربوش ، فقد أرسل الكندي الى
صالح الدين يقول : أنت تعلم أن لباس القباء والشربوش عندنا عيب ، وأنا ألبسهما
منك محبة لك ، فأنفذ اليه السلطان خلعة فلبسها بمكا " (٦)
ولنا أن نستند في تصديق ذلك على ما يذكره ستيفن رنيمان عن ملابس الرجال
والنساء فيقول : يرتدى الفارس في عدته وسلاحه برنسا من الحرير ويتخذ عمامة ،
وعند القتال يرتدى فوق درعه سترة من الكتان لوقاية الزرد من حرارة الشمس كما
يجعل يحوذته كوفيه على نحو ما يفضل العرب : أما السيدات فانهن الزى
الشرقي التقليدى فيما اتخذنه من قميص طويل وسترة قصيرة أو رداء بكعسين ،
وكلها موشاة بخيوط الذهب وأحيانا بالجواهر ، فاذا خرجن من بيوتهن اتخذن
الحجاب شأن النساء المسلمات ، لا من قبيل الاحتشام ، بل لوقاية الطلاء السدى
غلى وجوههن " (٧)

- | | |
|-----|---|
| (١) | الروشتين ٨٠/٢ وأنظر ١٦٥/٢ (٢) الفتح القسي ٤٩٣ وأنظر ٤٤٠ و ٤٦١ |
| (٣) | ألف ليلة وليلة ٤/٢ (٤) الفتح القسي ٢٠٥ وأنظر ٢٠٦ |
| (٥) | رحلة ابن جبير ٢٧٨ (٦) الكامل ٢٩/١٢ |
| (٧) | الحروب الصليبية ٥٠٩/٢ |

روى أسامة عن أحد الفرنج الذين بأندلسية أنه " أحضر مائدة حسنة ، وطعاما نبي غاية النظافة والجودة ، ورأيت متوقفا عن الأكل فقال : كل ، طيب النفس ، فأنا ما أكل من طعام الفرنج ، ولي ، لباغات مصرات ، ما أكل إلا من طبيخهن ، ولا يدخل ذاري لحم غنير " (١)

اتخاذ الموسيقى العربية وسيلة للترفيه :

وقد استعملت في الغناء والأفراح ، ومن ذلك ما جاء في ديوان ابن القيسراني من أن جارية من مولدات اندلسية المحتلة تنغم بالدق وتستميل قلوب المسلمين بقولها :

علقت بحبل من حبال محمد أمت به من دارى الخدثان (٢)

وهناك أداة أخرى غير الدف ، وهي السود استعملها الفرنج ، يقول ابن القيسراني :

إذا بدا أذنت له غيدق وإن شدا ملكته أسمنج
يحيى أوتار عود ، يمسد ايقاعها بالنفوس ، أيقعاج (٣)

ويصف ابن جبير عرسا فرنجيا في سور ، استعملت فيه جميع الآلات المسموية يقول : " وقد احتفل لذلك (العرس) جميع النصارى رجالا ونساء ، وأصدافوا سباطين عند باب الخروس المهداة ، والبهوات تشرب والمزامير وجميع الآلات المسموية ، حتى خرجت تتهاوى بين رجلين يمسكانها " (٤)

الأبنية والفنادق والقلاع والمصور وأسيمان النار ليلًا والعمام الهادي نهسارا لنقل الاشجار (٥)

الاشياء الإدارية ، فقد اعتمدوا على المسلمين ، أو من تدرب عندهم لإدارة الديوان

والندار في شؤون القوائل ، يقول ابن جبير " ورئيسها (ضبعة قرب عكا) النادر فيها من المسلمين مقدم من جهة الفرنج " " ويقول " " وحملنا إلى الديوان وهو خان معبد لنزول القائلة ، وأمام بابها مصاطب مفروشة فيها كتاب الديوان من النصارى بمخابر الابنوس المذهبة العلي ، وهم يكتبون بالعربية ، ويتكلمون بها " (٦)

(١) الاعتبار ١٤٠ ، وانظر رحلة ابن جبير ٢٧٥

(٢) ديوان ابن القيسراني ورثه ٧٤ (٤) المصدر السابق ورثه ٧٩

(٤) رحلة ابن جبير ٢٧٨

(٥) انظر رحلة ابن جبير ٢٧٥ ، الذبح ٤٨٤ ، مفرج الكروب ٣٠٣/٢ ، وزكبي

النقاش في الملاحظات الاجتماعية ١٦٣ ، واحمد عبد الجواد الدوي : ص ١٠٧

الدين الايهي ١٠٧

(٦) انظار الملاحظات الاجتماعية ١٥٧

ثانيا : الحياة الاقتصادية :

حالت حياة الفرنج الاجتماعية باعتماد أكبر عند الأدباء العرب من الحياة الاقتصادية ، وسبب ذلك يعود الى خسارة النواحي الاجتماعية على بناء المجتمع الاسلامي فبرزت هذه النواحي في الأدب مرتبطة بالتفكير والاستغراب . وثمة سبب آخر ، هو أن الحياة الاجتماعية ممارسات يومية مصروفة ، في حين أن الحياة الاقتصادية قد تغيب ملاحظاتها عن غير المهتم بها ، ولذلك جاءت ملاحظات أدباء العرب عن الحياة الاقتصادية تفسير وافية ، ومما لها مرتبطة بالاشياء المألوفة ، وتنقصها سمة التعقيد والاستقصاء .

موارد الفرنج :

تبين لنا فيما مضى أن الفرنج استمدوا مقومات وجودهم من دول وراء البحار ، وهذا يعني أنهم اعتمدوا في حياتهم الاقتصادية على الامدادات الخارجية ، فكانت كسل حملة تأتي الى المشرق الاسلامي تتخذ اجراءات تكفل لها الامداد الاقتصادي ، إما عن طريق ما تحمله سفن تابعة للحملة أو عن طريق امدادات متوالية من سفن البدن التجارية كالهندية وجنوا ويزا .

ويظهر هذا الامداد في مواقف كثيرة ، فعين غزا الشيخ الاسكندرية رافقهم اسطول يحصل كل ما يحتاجه المسكر ، ويغد سقوا القدمريين صائح الدين جاء الجيوش الألماني بعدته ومثاده ، وفي حصار عكا جاءت افرنجية متنفذة ، ومعهها ثلاثمائة فارس ، معهم كل ما يحتاجون اليه .

الا انه كان للفرنج مصادر دخل أخرى منها :

الضرائب :

وتشمل ما يؤخذ من البلاد الاسلامية التي تشلب عليها الفرنج ، وما يدفعه الافراد من المسلمين للفرنج بسبب بقائهم في بلادهم ، وما تدفعه القوافل لقاء دخولها في الاراضي التي يحتلها الفرنج .

ويقتنع من تنوع الضرائب أنها كانت تشكل دخلا كبيرا للفرنج ، فعلى سبيل المثال قرر الفرنج على أهل صيدا نينا وشرين ألف دينار ، وكذلك على صقلان وصور (١) .

وهذه البلاد لم تكن وحدها التي تدفع الجزاء مثل هذه الضرائب الكبيرة ، كما أن الضرائب النقدية لم تكن الضرائب الوحيدة التي تقدم لهم ، إذ كانوا يأخذون من المسلمين جزاء عينية كذلك ، كما أوضح ابن جبير حين قال : " وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم " (٢) .

(١) انظر ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ١٧١

(٢) رحلة ابن جبير ، ٢٦٠

أما الضريبة التي كانت تدفع على القوافل ومن معها من مسافرين عدا التجار ، فقد كانت على أساس أن يدفع المسافر دينارا وقيراطا ، ويدفع التجار عن البضائع الحشرفي مواضع معينة ، منها حصن تبنين الذي يقول ابن جبير فيه : " موضع تمكين القوافل ، والضريبة فيه دينار وقيراط ، من الدنانير الصورية على الرأس ، ولا اعتراض على التجار فيه ، لأنهم يقصدون موضع الملك الملعون ، وهو محل التعشير والضريبة فيه قيراط من الدينار " (١) .

وقد فرض الفرنج ، في عصر قوتهم وسيادتهم ، على المناطق التي يسكنها المسلمون ضريبة على الانتاج ، مقدارها نصف الخلة ، مقابل السماح لهم بمزاولة أعمالهم بسلام ، وقد لاحظنا ذلك الرحالة ابن جبير ، حين اجتاز بلحا بانياس ، وتبينين فيقول في بلحا بانياس ان الفرنج " يتشاركون الخلة على السواء ، ومواضعهم مختلطة ، ولا حيف يجري بينهم " (٢) ، ويقول في الثانية : " وسكانها (وهم من المسلمين) مع الفرنج على حالة ترفية - نعوذ بالله من الفتنة - وذلك أنهم يؤدون لهم نصف الخلة ، عند أوان ضمها ، وجزية على كل رأس دينار وخمسنة قراريط . ولهم على الشجر ضريبة خفيفة يؤدونها ، وكل ما بأيدي المسلمين على هذه السبيل " (٣) .

ثم فرضوا على المناطق الزراعية البعيدة عنهم فضلا عن القرية ضريبة المشاطرة بسبب موافقها ، فيذكر ابن شداد أن دابرية شاطرت المناطق القريبة منها ، بل التي تبعد عنها ما يقارب مائة كيلو متر غلاتها الزراعية ، وهذا يؤكد ما ذكره ابن جبير سابقا ، ويقول ابن شداد : " وكانت طبرية في عهد الفرنج تقاسم نصف فعل البلاد من الصلت والبلقاء وجبل عوف والحمانية والسواد ، وتناصف الجولان وما يقرسها السى بلد حوران (٤) . وقد توقف هذا المصين حين رجحت الكفة الاسلامية .

التجارة :

ارتبطت الحركة الصليبية منذ توجهها الى المشرق الاسلامي ، بالمدن التجارية الإيطالية ، وكان لهذا الامر آثار خطيرة على الحركة الصليبية نفسها ، فقد غيرت اتجاه حملة كان من المقرر أن تتوجه الى مصر باعتبارها العامل المهم في هزيمة الفرنج في حطين ، ولكن العلاقات التجارية بين هذه المدن ومصر كانت طيبة ، فأقنع التجار الفرنج بأن يهاجموا القسطنطينية التي تشكلت عن الفرنج في بعض ممالكهم في مصر والشام ، ولكن الحملة فشلت ، وبدل هذا على تأثير المدن التجارية في سير الحملات الصليبية .

(٢) المصدر السابق ٢٧٣

(٤) الروشتين ٧٩/٢

(١) رحلة ابن جبير ٢٢٤

(٣) المصدر السابق ٢٧٥

على أن الصليبيين ومن خلفهم من الأوروبيين اتخذوا بعض المدن التجارية فسي الساحل الشامي مركزا لهم للبيع والشراء . ومن المدن التي اتخذوها لهذه الغاية مدينة عكا التي كانت محط القوافل وملتقى التجار من المسلمين والفرنج . يقول ابن جبير فيها : " قاعدة مدن الفرنج بالشام ومحط الجوارى ، وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الافاق ، سكناها وشولر عمارتها تشفى بالزحام وتشبهق فيها مواطنون الاقدام (١) ومثلها مدينة صور (٢) .

ولم تكن عكا أو غيرها لتفص بالزحام لولا كثرة التجار ، فقد اجتمعوا بيها من جميع الافاق ، وتوضح ذلك ، أن القوافل كانت تختلف من مصر الى دمشق ، ومنها الى بلاد الفرنج ، كل ذلك دون انقطاع (٣) وكذلك كان تجار الفرنج يدخلون البلاد الاسلامية ، لا يمنع أحد منهم ولا يحترض (٤) حتى في أوقات المصارك ، وهذا ما يتضح من حكاية الصميدى وزوجته الفرنجية ، حيث ذهب الى عكا لبيع الكتان فيها وهي مع الفرنج (٥) ويتضح كذلك ، اذا أخذنا بالرواية ، من حكاية مريم الزنارية أن الفرنج دخلوا الاسكندرية ، واشتروا ما يريدون ، ثم عادوا الى بلادهم ومعهم مريم الزنارية الفرنجية (٥) .

وفي عهد بيسرى عقدت هدنة بينه وبين بوس الاستيوار ، نصت على أن يكون التجار والسفار المترددون من جميع الجهات المذكورة آمنين من الجهتين (٦) . ويظهر من النص الأخير أن التجار تميزوا بمعاملة خاصة من كلا الطرفين ، منذ وقت مبكر ، إذ يروى أسامة بن منقذ أنه اجتاز سوق عكا ، واذا امرأة فرنجية ، تعلقت به فلما منها أنه قاتل أخيها ، فأجتمع عليه رجال الفرنج ، ولم يتدخل أحد أسامة منهم إلا حين جاء أحدهم وقال : هذا رجل برجاسي (أي تاجر) لا يقاتل ولا يحضر القتال ، ففترقوا عنه (٧) .

وقد عين الفرنج نقاطا للحراسة على مداخل البلد التي تمر منها القافلة ، ونقاطا أخرى داخل المدينة ، وسبب هذه العراسة فحص المواد الثقولة ومعرفة أصحاب السلع من غيرهم منعاً للسرقات ، وكان يتم ذلك كله بالمعاملة الحسنة . يقول ابن جبير : " وطلب رجل من لا سلحة له لكلاً يحتوى على سلحة مخبوءة فيه ، وأطاعني جبيله حيث شاء ، وكل ذلك برفق وتؤدة ، دون تعنيف ولا حمل " (٨) .

- | | | | |
|-----|--|-----|-------------------|
| (١) | رحلة ابن جبير ٢٧٦ | (٢) | المصدر السابق ٢٧٧ |
| (٣) | المصدر السابق ٢٦٠ | | |
| (٤) | ألف ليلة وليلة ٤/٧ وأنظر الكامل ٥٣٩/١١ | | |
| (٥) | المصدر السابق ١٩٩/٦ | | |
| (٦) | صبح الاعشى ٣٧/١٤ ، وأنظر محمد زغلول سلام / ضياء الدين بن الاثير ١٥ | | |
| (٧) | الاعتبار ١٤٠ | (٨) | رحلة ابن جبير ٢٧٦ |

أما ان حدثت سرقة أو أخذة ، فتقوم الجهة التي سرقت عندها ، أو تحلف
اليمن ، وقد جاء ذلك في الهدنة التي عقدت بين بيبرس وبين بيت الاستيوار
اذ نصت على أنه ان تعدى أحد من أصحابه (الاستيوار) بأذية ، أو تعدى
أحد من الفرنجة في بلاده بأذية ، كانت المهلة في ذلك خمسة عشر يوما ، فان
تكشفت الاخذة ، أعيدت ، والا تحلف الجهة المدعى عليها أنها ما علمت ومسا
أحست (١) .

ويبدو أن التجار اتخذوا زيا خاصا بهم . ففي زمن الصالح أيوب تحرك ملك
فرنسا يريد مصر ، فعلم ملك صقلية بذلك ، فأرسل ابنه يخبر الصالح بمزم
لويس التاسع على قصد مصر ، وكان ذهابه الى مصر في زى تاجر خوفا من الفرنج
أن يعللوا مبالاة الانبراطور للمسلمين (٢) ، هذا ، وقد وردت اشارات
هابرة عن المواد التي تاجروها الفرنج ، وأهمها الفضة والاشياء الأثرية ، فقد
ظفر المسلمون بحراكب لتجار المدو في حصار عكا ، يحمل معهم فضة مصوغة
وغير مصوغة (٣) ، وأما الاشياء الأثرية ، فقد أخذوها من القدس ، وأغواها
في صقلية (٤) .

أما التجارة الداخلية ، فقد كانت تتملق بحاجات الجيوش من ميرة وسلاح ، كما
حدث مع ملك الألمان الذي فنيت أقوات جيشه وأسلحتهم بسبب ما لاقوه من مصاعب
وقتل في طريقهم الطويل ، فاتفق مع ملك التركمان أن يتزود عسكره من أسواق
المسلاجقة ، ليخرجوا ما فقدوه ، يقول السواد : وأقالهم الاسواق ، وعرض
عليهم الأمتعة والأعلاق ، فساروا في رفعة ورفق ، وتقوبلا ثوق (٥)
وكان أرنط يحصن حصنه في الكرك بما يشتريه من سوق الحسكر (٦) ، هذا ،
وقد استعمل الفرنج العملة الذهبية للبين والشراء ، وكانت الوحدة المستعملة
التي تحدث عنها الادب ، هي الدينار السوري ، والدينار أربعة وششرون قيراطا (٧)
ويصف القلقشندي الدينار السوري فيقول : " دنانير يوتى بها من البلاد الفرنجية
والروم ، وهي معلومة الوزن ، على أحد وجهيها صورة الملك الذي تضرب في زمنه ،
وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس وولس الحواريين (٨) .
ومن الأدلة التي تثبت استعمالهم للدنانير السورية ، ما ذكره ابن جبير عن التمكن
حيث يقول : " والتكثير بالدنانير السورية " (٩) ، وما جاء في مضمار الحقائق من أن
ابن بارازان الفرنسي بذل في نفسه مائة وخمسين ألف دينار ، وابن القومصيص
أفكته أمه بخمسة وخمسين ألف دينار سورية (١٠) .

- | | | |
|--------|---|-------------------------|
| (١) | صبح الاعشى ٣٤/١٤ وأنار ٣٨ (٢) | مفرج الكروب ٢٤٧/٤ |
| (٣) | الروخين ١٨١/٢ (٤) | الفتح القسي ١٤٢ (٥) |
| (٦) | مفرج الكروب ٢٨٣/٢ (٧) | رحلة ابن جبير ٤٧٤ (٨) |
| (٩) | رحلتا ابن جبير ٢٧٤ | |
| (١٠) | مضمار الحقائق ١٧ ، والكامل ٤٥٦/١١ ، وصبح الاعشى ٣٤/١٤ | |

أشار الادباء الى بعض مزارعات الصليبيين في معرض حديثهم عن سيطرة المسلمين عليهم وتدمير زرعهم ، وقطف ثمار أشجارهم ، وهم لا يستطيعون دفعها ولا صدأه يقول صاحب مزار الحقائق في نزول صلاح الدين سنة ٥٧٨ على الكرك : " ووجد فيها جمعا عظيما من الفرنج ، قتل قريبا منهم ، فأخذ لناهم وشايقناهم ، حتى لا ذوا بالجدار ، فاستولينا عليهم ، فقطعنا أشجارهم ورعيننا زرعهم ، وجعلنا نشتري الخارات عليهم مدة عشرة أيام " (١) . وكتب محيي الدين بن عبد الظاهر السلي ملك الفرنج في داربلن وأندالكية : " قد علم القومى كيف فارقنا بلادك ، ومسا بقيت فيها ماشية الا لدينا ماشية " . ولا زرع الا وهو محصول ، ولا موجود الا وهو منك مفقود " (٢) ويقول سبط بن التعاويذى :

جهوشهم بالربح مفلولة وزرعهم بالسيف محصود (٣)

ولكن المزارعين - مع هذا - أعلوا حرية التقل لتصرف منتوجاتهم ، وللمسلمين نالوا هذه الميزة لأنهم اشتركوا مع التجار في النشاط الاقتصادي ، بل أصبحت حرية التقل اتفاقا محولا به زمن الظاهر بيبرس ، فقد نصت الهدنة التي صدعها مع بيت الاستبار على " أن يكون فلاحو بيت الاستبار راثحين وغادين ومثرفين في بيهم وشراهم لا يتعدى عليهم أحد " ، وكذلك جميع فلاحى بلاد الاسماعيلية (٤)

الحيوانات :

وقد اعتمد الفرنج عليها في غذائهم وتقلهم ، فكانوا يستوردونها من الغرب أو يشترونها من المنطقة ، ثم يحافظون عليها ، ويقدمون لها ما تحتاجه من أعلاف وقد ورد ذكر الأدب للحيوانات في مجال سيطرة المسلمين على الفرنج . يقول صاحب مزار الحقائق عن صلاح الدين : " وساق أغنامهم وأبقارهم ، وغرب عليهم بل أحرق ديارهم " (٥) . ويقول الحماد : " وأنهى الينا أن الفرنج ينتشرون في الارض وينبسطون في موضع القبلى ، ولا يحتشون في الرفع والخفض ويحتشون ولا يحتاطون ، ويحتشون ولا يفتشون " (٦)

وقد اعتمد الفرنج على الإسمك مصدرا آخر من مصادر الغذاء ، ولكن قوة المسلمين المتصاعدة جعلت الفرنج يقدمون نصف إنتاجها اليهم ، كما نصت على ذلك لسمك الاتفاقية التي عقدت بين الدافين سنة ٦٦٥ هـ . وقد جاء فيها " وتكون مصيدة السمك الرومية مهما تحصل منها يكون النصف منها للملك الظاهر بيبرس والنصف الثاني لبيت الاستبار " (٧)

- | | | | |
|-----|-------------------------|-----|--|
| (١) | مزار الحقائق ٩٣ | (٢) | صبح الاعشى ٢٢٦/٨ |
| (٣) | ديوان ابن التعاويذى ١١١ | (٤) | صبح الاعشى ٣٥/١٤ |
| (٥) | مزار الحقائق ٣٣ | (٦) | الفتح القسى ٢٩٣ وأندال النوادر ٢٠٠ والروغتين ١٤١/٢ |
| (٧) | صبح الاعشى ٣٣/١٤ | | |

هذا * وقد ذكر الأدب بعض صناعاتهم * وهي صناعة حربية كصناعة الأبراج والأسلحة الخفيفة * وقد سبقت الإشارة الى ذلك .

وبالاعتناء بما منى أن دخل الفرد الفرنسي في بداية الحروب الصليبية كان عاليا لتتبع مصادر الدخل * مما جعل أحد أمرائهم يوجع فرسانه لضعفهم أمام المسلمين * مسح أن دخل الفرنسي يعادل دخل مائة مسلم * قال لهم : " انتم فرساني * وكل واحد منكم له ديوان مثل ديوان مائة مسلم * وهو لا * سرجنند (Sergeant) (يعني رجالة) ما تقدرتون تقلمونتهم من موضعهم ؟ " (١) .

ولكن هذا الدخل تناقص تدريجا * بل حدثت أزمتا اقتصادية خانقة فيما بعد * بسبب تدهور الأحوال السياسية * إذ انحصر ملك الفرنج في صور وأنطاكية * فاجتصم الفرنج كلهم في هذه المناطق * وساعوا ما لا يمكنهم حمله بأرضهم * فمن كفى بذلك الاتفاق (٢) ثم قدمت الجيوش الفرنسية بأعداد هائلة عن طريق القسطنطينية * وحسين وصلوا أنطاكية استهلكوا بضاعتها * فارتفعت الأسعار ارتفاعا فاحشا حتى بلغ سعر غرارة القمح اثني عشر ديناراً * يقول الحماد : " وكانت حينئذ أنطاكية قد أسمر غلتها فسلام * سحر الخلة * وقل ساكنوها لما كانوا فيه من القلة * والغرارة تساوي اثني عشر دينارا * والقوم قد شارفوا فيها تبارا ووارا " (٣) . بل إن ابن شداد يذكر أن سعر الغرارة بلغ ستا وتسعين دينارا صورية (٤) .

وأما في عكا حيث اجتمعت الجيوش الصليبية * فقد ازدادت الأسعار أكثر مما كانت عليه في أنطاكية * إذ بلغ ثمن الغرارة أكثر من مائة دينار * يقول الحماد : " وكانت الغرارة من الخلة قد بلغت أكثر من مائة دينار * والسعر من الزيادة لديهم في استعمار (٥) وسبب هذا الغلاء التجأت جماعة منهم الى المسلمين * وماتت جماعات يقدرها ابن شداد بحائة ومئتين يوما (٦) ويصور الحماد حالتهم تلك فيقول : " وظلت الأسعار عند الفرنج * واستعمرت الغل * وأغلبهم ما عراهم * وترتهم الليل * ماءوا بالهاء * ولوا من الهلاك * وغلوا من الغلاء * وتنبهوا من الغلاء * وشقوا أثرهم استمرار الشقاء * وعنت المجاعة الجماعة * وعدموا الطاعة والاستقامة * وزاد جوعهم * وزال هجوعهم * وقصرت عن الفرار بهجوعهم * وأصلحت بهجوعهم * واستحال رتوعهم * ومحت الرتب على الهرب * أو القحط على الشغل * لكنهم أقاموا على الموت * واستناموا الى القوت * ولوا بأمر صعبة * وهرب الينا منهم عصابة بعد عصابة " (٧) . ولم تكن حالهم من بيبرس وثاقبون والاشرف بأحسن مما كانت زمن صلاح الدين * بل إن حالتهم ازدادت سوءا * لأنهم زمن صلاح الدين وجدوا الحماس الأروحي يمددهم بما يحتاجونه من ميرة وأموال وسلاح * ولكن هذا الحماس تضاعف زمن بيبرس حتى قضى عليهم نهائيا زمن الاشرف * ولهم لهم بعد ذلك قائمة .

- | | | | | | |
|-----|-----------------------|-----|-----------------|-----------------|-----------------|
| (١) | الاعتبار ٦٧ | (٢) | الكامل ٥٥٣/١١ | (٣) | الفتح القسي ٢٥٩ |
| (٤) | النوادر السلطانية ١٤٦ | (٥) | الفتح القسي ٤٤ | والروضتين ١٦٥/٢ | والكامل ٥٤/١٢ |
| (٦) | النوادر السلطانية ١٥٤ | (٧) | الفتح القسي ٤٣٩ | | |

أقام الصليبيون كيانهم السياسي في المشرق الاسلامي على شكل امارات منفصلة ، هي الرعا وانطاكية والقدس وطرابلس ، وتشكل منها الار المام للحكم السياسي ، اذ كان الادياء يبرزون الفرنج كلاتماسكا ، في بداية تأسيس تلك الامارات ، وربما خلط بعضهم بين الروم والفرنج ، ثم اتضحت الروية تدريجا ، وصار الادياء ينسبون الفرنج الى مناطق وجودهم ، فيقولون فرنج انداكية ، وفرنج الرها ، وهكذا ، ولكنهم مع هذا نظروا الى امارة القدس نظارة خاصة ، لانهم أدركوا أن من اسباب الحروب الصليبية ، السامل الديني ، يضاف الى ذلك توجه كثير من الفرنج الى القدس للحج ، وتوسع الفرنج الذين فيها فسي أرض الشام ومصر .

ولكن هذه الامارات ، وعلى رأسها القدس ، لم تركز على أساس متين ، فهي كانت قائمة على أساس الاتكاء على قوة الحرب الاوربي ، مع أنهم جاهدوا في بناء كيان سياسي منفصل عن الحرب ، ومقبول في الشرق الاسلامي ، فحصلوا من أجل ذلك على التوسيع السريع لتكون البقعة الجغرافية صالحة لقائمة كيان مكثف متكامل ، يمدد أنتاجا. يضمن لهم الاستثناء عن الجهات الاخرى ، كما أن الفرنج حاولوا الاستفادة من الاوضاع الداخلية للبلاد الاسلامية ، فتوسعوا في الارض الاسلامية ، وأمدوا أعداء الامة ، ولكن مسيرة الوحدة والجهاد كانت أسرع من عملياتهم ، فأوتشتعشعشأ بها أولا ثم تحولت فيما بعد الى مرحلة الهجوم ، مما اضار الفرنج الى المالملة بوقف القتال على أن يحترق المسلمون بهم بوصفهم جيونا لهم . وراسلوا صلاح الدين في ذلك مرات ومرات (١) ، كما راسلوا قطز ويبرس وقلاوون وغيرهم (٢) وكان جوابهم أن الارض ليست لهم ، ولكنها للمسلمين ، فلا يستطيعون المفاوضة عليها ، حتى اكتملت التعبئة النفسية والعسكرية عند المسلمين ، مما مكثهم في النهاية من اجتثاث الغزاة من المشرق الاسلامي .

ولقد كان للتكوين الاجتماعي في المجتمع الصليبي أثر في نذلهم السياسية ، فهم من طبقات شتى وأجناس مختلفة ، جمحتهم المصالح الخارجية والاستشارة الدينية ، فجاءوا مما من أجل أن يقاتلوا وينوا كيانا لهم في المشرق ، فجاء هذا الكيان صورة عن الانظمة السياسية الغربية ، وأنتخبوا في القدس ملكا على الطريقة الغربية .

وقد اتخذ ملك الفرنج القدس عاصمة لهم منذ احتلالهم لها والى حين استعادة المسلمين لها سنة ٥٨٣ هـ ، ثم اتخذوا عكا قاعدة لهم ، وقد تبهم في ذلك أمراء المناطق التابعة للقدس ، وتبع الامراء الفرسان والفلاحون وهذا كان النظام المتبع نظاما اقطاعيا ، يكون الملك بموجبه على رأس الحكومة (٣) ، وهو الذي يصدر القوانين والتشريعات

(١) انذار الروميتين ١٠١/١٠٢ ١٠٣ ١١٥ ١١٩ ١٩٣ ٢٠٣ ، والحركة

الصليبية ٤٦٥

(٢) انذار النجوم الزاهرة ٣٦٧/٦ ونهاية لأرب ١٥٣/٥

(٣) الحروب الصليبية ٤٨٠/٢

بمساعدة مجلس الفرسان والقساوسة . . . ويدل على ذلك ما فعله الملك فولك حين سرقة
الداوية أغنام المسلمين ، فأمر الملك أن تعقد محكمة من الفرسان ، وأصدر حكم التنفيذ بسد
المشاورة بالنزاع (١) ، دون الرجوع إلى سلطات أخرى .

ولكن الملك لم يكن دكتاتوريا ، يتفرد بإصدار القرارات أو التشريعات ، وإنما كان
يدأب عقد مجلس شعوري ، وله حق الصداقة على القرار . وأما تشكيل المجلس فقد كان يختلف
من موقف إلى آخر ، وقد كان أعضاؤه إما من الفرسان أو القسوس أو منهما معا ، وقد يكون من
الأمر . وعدد الأعضاء قد يزيد عن الثلاثة ليصل إلى عشرة ، ومن ذلك أن (مري) جمع
أمرائه واستشارهم بعد الذهاب إلى مصر لأنه يتيح المجال لنور الدين " يتفقد فيها لأن
أهلها يميلون إليه دون الفرنج (٢) .

وحين هاجم صلاح الدين ، أبرية ، اجتمع أمراء الفرنج ، وأشار ملك دارابلس بعدم
التمرض له ، ولكنهم رفضوا اقتراحه وكان بينهم خلاف ناصحا لخوا " وأمرؤا فيما بينهم
وتشاوروا " (٣) ، ويقول ابن شداد في عهد الفرنج إلى التدبر بعد سقوط عكا سنة
٥٨٢ هـ : " وانهم قد نصوا على عشرة أنفس منهم وحكمهم ، فأبى شي " أشاروا
لا يخالفونهم (٤) . . . ويقول : " فأنفصل المال على أنهم حكموا ثلاثمائة من أعيانهم
وحكم الثلاثمائة اثني عشر منهم ، وحكم الاثنا عشر ثلاثة منهم ، وقد باتوا على حكم الثلاثة
فما يأمرونهم به يفعل " (٥) .

ومع أن الملك مصدر السلطات القضائية والتشريع ، إلا أن حكم الفرسان نهائي ولا
يرده الملك ، وهذا ما يفهم من تعقيب أسامة على الحادثة السابقة : " وهذا الحكم بعد
أن تعقده الفرسان ما يقدر الملك ولا أحد من مقدمي الفرنج ينيره أو ينقضه " (٦) ويؤكد
ذلك ما ذكره ابن شداد من أن القسوس رفضوا بذب أحد الجناة فتشع بهم لدى الملك
فلم يلتفت إلى ذلك وذبحه (٧) .

تقدير الحكم :

نزار السليبيون إلى ملوكهم وأمرائهم ندارة تقدير واعجاب لما كانوا يتميزون به من
فروسيه وتضحية ، ولما كانوا يبدلون من أموال ، لا سيما أنهم الاتقاصيون الكبار . يقول ابن
جبير في صاحب دارابلس وأبرية : " وهو ذو قدر وميزة عندهم ، وهو الموصل للملك ،
والمرشح له ، وهو موصوف بالدهاء والكر " (٨) ، ويصف ابن شداد نظرهم لملك فرنسا
فيقول : " وكان عليهما عندهم قدما محترما ، من كبار ملوكهم يثقون إليه الموجودون فسي
المسكر بأسرهم ، بحيث إذا حضر حكم على الجاني . . . " (٩) ويقول الصلح : " وما زال

- | | | | |
|-----|---------------------------|-----|---|
| (١) | الاعتبار ٦٤ | (٢) | الكامل ٣٣٥/١١ - ٣٣٦ |
| (٣) | الفتح القسي ٦٥ ، وانظر ٦٦ | (٤) | الكامل ٥٣٤/١١ ، من تاريخ الحرب المقدسة |
| (٤) | النوادر السلطانية ١٢ | (٥) | المصدر السابق ٢١٨ ، وانظر مذكرات جوا : |
| (٦) | الاعتبار ٣٥ | (٧) | النوادر ١٢٦ |
| (٨) | رحلة ابن جبير ٢٨٢ | (٩) | النوادر السلطانية ١٥٦ - ١٥٧ ، وانظر ١٣٤ |

الفرنج في وعن ونحف ، وتوزع وخلف ، حتى وصل في البحر كند يقال له هري ، وعمو عدهم
عظيم القدر ، فأكمل بدن وصل معه نقصهم ، وأحيا بعد موت نفوسهم حرصهم ، وأفاض عليهم
الاموال ، وحلى منهم بعد عظمها الاحوال (١) .

ومن مظاهر تقديرهم للحاكم هذا لهم ارواحهم دونه ، ففي معركة حطين نصبوا لملكهم
خيمة ، على ثل بناحية حطين ، وأحاط به نحو من مائة وخمسين فارسا من الفرسان المشهورين
والشجمان المذكورين (٢) ويقول الحاد في آخر : " وقاتل دونه جماعة من القدامين
فما قتل حتى قتلوا ، ولا بذل روحه حتى بذلوا (٣) .

أما إن قتل أو أسر أو انهزم ، فإن ذلك يفت في أعضادهم ، ويشير حزنهم ، فحين
أسر جوسلين ، أصيبت النصرانية كافة بأسره ، وعظمت المصيبة عليهم بفقده ، وغلت بلادهم من
حاميها ، وثغورهم من حائذاتها ، وسهل أمرهم على المسلمين من بعده (٤) . وحين قتل
الكندجري ، أكثر الفرنج عليهم القبول عويلا ، وابتوا يندبونهم نوحا ، ويذيعون سر تقدمه
بوحا (٥) . وحين انهزم ملك داربل في معركة عداين قبل انتهائها ، سقط في أيديهم
وكادوا يستسلمون (٦) .

ولكن تقديرهم للحاكم ، وما اعتبره لم يكونا مالتين بلا حدود ، ودون اعتبار للمصلحة
العامة ، فحين أسر ابن صاحبة الكر ، اشترط عليها صلاح الدين أن تسلمه الحصن مقابل إخلاء
سبيل ابنها ، فصادت إلى سكان الحصن وتوسلت اليه بأن يرحلوا عن الحصن لتسلمه إلى صلاح
الدين ، فكان موقفهم مقاسيا معها ، لأنها تجاوزت ما اعتبروه مصلحةهم العامة ، وخرجت عن
المحمود في البذل والتضحية ، ولذلك تصورها ونسبوا إلى موافقة الاسلام . يقول الحاد : " فلما
وصلت قاطمونها ، وادفدوها عن حصونها وناصوها ، وأغلقت أبوابها وغالطوها ، حيث ما ألغوها
كما ألغوها ، وجنحوا وجمحوا ، واحتبروا عليها واجتروا ، وعصوها وأتصوها ، وعددوا عليها
الذنوب وأحصوها ، وأحشوا لها في هذا الخراب ، وأحشوها بالتخي عن صوب الصواب ،
وسبوا وسبوا ، وإلى موافقة الاسلام نسبوا (٧) . *

- | | |
|-----|---|
| (١) | الفتح القسي ٤١٣ |
| (٢) | الكامل ٥٣٦/١١ ، وانظر الروضتين ٨٧/٢ ، ١٩٢ |
| (٣) | الروضتين ١٩١/٢ |
| (٤) | الروضتين ١٨٣/١/١ |
| (٥) | الفتح القسي ٤١٥ |
| (٦) | الكامل ٥٣٥/١١ |
| (٧) | الفتح القسي ٢٠٧ |
- * للمزيد من الأسئلة عن تقدير الحكام ، أنظر النتج ١١٠ ، الروضتين ١٦١/٦
مذكرات جوانفيل ١٩٠ ، ٢٤٥ ، ٢٥٤

لاحظ الادباء بعض مظاهر العياقة السياسية ، ومنها الحكم ، وقرروا أنه كان حكما وراثيا . لا فرق فيمن يتولاه بين ذكر وأنثى ، ومنه في هذا ينطلقون من النظام الاقطاعي ، فقد ولوا أمرهم ولدا مجذوما ، وما كانوا ليولوه لولا النظام الوراثي ، يقول العماد : " لما هلك الملك أماري (سنة ٥٦٩) خلف ولدا مجذوما ، وكان مع الموجد معدومسا ، قد أخذ داود ، وأيسر شفاؤه ، وسقطت أعضاؤه ، وظال داود ، فوضع الفرنج التساج على رأسه ، وتصكوا من أمراضه بأمراسه . . . " (١) .

وما داموا قد ولوا أمرهم ولدا مريضا فلا غرو أن يولوا أمرهم امرأة ، وقد أجاز قانونهم ذلك ، ومارسوه فعليا بشكل لاقت للنذار ، يقول العماد : وعادتهم أنه اذا مات ملك ينتقل ملكه الى ولده ، وسواء في هذا الميراث ، بين الذكور والاناث ، ويكون الملك بعد الابن ، اذا لم يخلف ابنا ، للكبرى . فان توفيت من غير عقب ، كانت للصغرى " (٢) وجاء في الروضتين أن صاحب اندالكية خلف ابنا بعد مقتله ، فتزوجت أمه بفرنس آخر ليدبر الجيش حتى يكبر يوهنند الثالث (٣) .

وقد أحصى أحد الدارسين البيوت التي انتقل عن طريقها الملك ، فذكر أنه عندما تزوج فولك ميليند انتقل العرش الى بيت انجو (١١٣١-١١٨٦) ثم انتقل العرش بزوج ايزابيلا للمرة الثالثة الى بيت مونفرات (١١٩٠-١١٩٢) ودي شامبان (١١٩٢-١١٩٧) ثم عاد العرش الى بيت لوزيجنان (١١٩٧-١٢٠٥) ثم انتقل بعد ذلك الى بيت بريس (١٢٠٥-١٢٢٥) ثم أخذ ينتقل العرش بواسطة الاناث الى أن استقر في عام ١٢٦٩ في بيت لوزيجنان (٤) .

وقد كان هذا ماثرا انتقاد الامبراطور فردريك الذي تأثر بالثقافة الاسلامية فيسرى ابن واصل أن الامبراطور سأل الامير فخر الدين عن الخليفة ، ما أصله ، فقال : هو ابن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، أخذ الغلبة عن أبيه وأخذها أبوه عن أبيه . . . وهكذا ، فقال ما أحسن هذا ، لكن هؤلاء القليلي القول - يعني الفرنج - يأخذون رجلا من المنزل ليس بنموين المسيح نسبة ولا سبب ، جاعلا قدما يجعلونه خليفة عليهم ؟ (٥)

(١) الفتح القسي ٦٧ ، وأنظر ابن جبير ٢٨٢

(٢) الفتح القسي ٤٩٤

(٣) الروضتين ١٥٢/١/١ - ١٥٣ وادار رسيما ، الحروب الصليبية ٢/٦٦٨

(٤) عهد الحفيظ محمد علي ، العناية السياسية والاجتماعية عند الصليبيين ورقة ٣١

رسالة ماجستير القاهرة ١٩٧٥

(٥) مفرج الكروب ٢٥١/٤

أدى الصراع إلى تماسك الصليبيين على اختلاف مشاربهم ، حتى تحققت لهم
الاستمرارية للحداثة التي أقاموا بها كيانهم السياسي . ولكن هذا الكيان حمل في طياته
بذرة فناءه ، ومن هذه البذور ، الحكم الوراثي الإقطاعي ، ومنها وجود عدة أجناس وشرق
مختلفة ، وأمن قدمت هذه الفرق جهدا عظيما في بناء الكيان السياسي للفرنج ، إلا أنها
أخذت تنقسم على نفسها ، وأصبحت - فيما بعد - دولا داخل دولة ، تحمل كل فرقة دون
الآخرى مع غيرها من سبل القضاء عليها فرقة فرقة (١) .

وبدأ يصد الأرباب بعض التآلات التي وقع الخلاف فيها بين الفرنج أنفسهم ، ومنهم
الذين اتفقوا : إذ عن الخلاف فيها بينهم ، فقد ظهر في أول حلق وصل إلى انطاكية ، اذ كان
الملك الصليبي روبرت ، كل أمير أن تكون المدينة له ، فاشتغلوا (٢) . لكن هذا الخلاف
لم يدم طويلا ، كان قايلا ، يتلاقى بسبعة ، ولذلك يقول ابن القلانسي حين اختلفوا وهم على
الملك ، مشق : " ونشبت المعاربة وقتل منهم جماعة من غير أداة جارية لهم بذلك (٣) " .

وأما استقرت الأمور ، وامتد النزو إلى ضابط واسعة ، وعمل الخلاف بهم إلى حد
الاستفزاز ، فحارب رابلس بصلاح الدين ، ويصف العهد هذا الخلاف بقوله : " وقد كان
بينهم خلاف شديد ، ووقع ثأريين الانتقام ، ووقود شرار بين الشرار " (٤)
الملك لا يمكن له الملك ، يقول الصلح : " كان الفرنج على أشبه أنفسهم قبل وصوله
إلى البلاد ، فبأنه إذا أحضره ، لم يأتهم بالمشاء ، قالوا : إنه إذا جاء لا يبقى لنا
شيء ، والصواب أن نشيخ لنا قبل شيخ أسعد " (٥) ويقول : " وما زال الفرنج في
الفرنج بعضهم وخلاف " (٦) .

بعد أن احتلوا مكة ، توجهوا إلى القدس ، فسبقهم إليها صلاح الدين وعنه
يشرح تبارك القوية منها ، فأما وصلوا المناقاة اشتدوا في الصعود إلى القدس (٧) .
شهادة من الأمير زمن قلاوون وأبيه ، حتى تواترت الأخبار بنزول الفرنج بعضهم بعضا ،
فيهم ، بقيت معهم أرضهم ، وأنهم ثمانية بثلثيهم والملاحم ، وما بقي لهم من راعم " (٨)

- (١) المفتح النقسي ١٦١ ، وانظر تشريف الأيام والمصور ١٧٧ ، ومذكرات جوانفيل ٢٢٦/٢٢٧
- (٢) زبدة الحذب ١٣٢/٢ ، وانظر ص ٢١٥ ، ص ٢٤٧ ، ج ٣/٩٣
- (٣) ديل تاريخ دمشق ٣٦٦
- (٤) المفتح ٦٥ ، وانظر ص ٦٧ ، وانظر ص ٢٧٧/١١
- (٥) المفتح النقسي ٤٠٣ ، والروضتين ١٦٠/٢
- (٦) المفتح النقسي ٤١٣
- (٧) انظر تاريخ السلطنة ٢١٧ ، وانظر أحمد بن علي المصري / حياة صلاح الدين ١٧٥ ،
وانظر تاريخ روضتين ١٩٦/٢ (٨) تشريف الأيام والمصور ٥٨

أما خلافهم مع الروم ، فيظهر من رسالة كتبها القاضي الفاضل إلى الديكسان بيشداد سنة ٥٧٨ يخبره بكتاب ورد من مصر بأن المسلمين كسبوا بطشمة فرنجية كانت قد خرجت من القسطنطينية "لفتنة وقعت بين روما وفرنجةها" ، فقتل منهم خمسون ألف فرنجي وأفلت منهم بطش منها هذا ما لباشة ، وفيها رجال أكابر ومقدمون لهم ذكر سائر (١) (١) وقد حدث خلاف آخر بين الروم والفرنج حين حاصروا دمياط ، ثم ما لبست أن عاد الروم ، فشلت الحملة على مصر ، مما قطع العلاقات بينهم ،

وبذلك أمن صلاح الدين من خطرين من جهة الروم : الأول أنه حال بينهم وحرف جهده لمقاومة الفرنج ، والثاني : أنهم كانوا يخبرونه بتحركات الفرنج التي كانت تنطلق من القسطنطينية إلى بلاد الشام (٢) .

ونلاحظ أن هذا الخلاف كان سببا من أسباب نهايتهم في بلاد الشام ، وثمة أسباب سياسية أخرى للخلاف ، منها أن الفرق الكثيرة التي أنتمت إليها الكيان السياسي جعل بعض الفرنج يميل إلى السلم دون إغلام الفرق الأخرى ، مما ساعد على التهميم والنسي لترك القتال ، بينما كان المسلمون يقبلون السلم ، ولكنهم يعدون العدة للجهاد والتخلص من الخزة .

(١) الروضتين ٣٢/٢

(٢) النوادر ١٢٤-١٢٦ ، ١٣٢-١٣٣

الباب الثالث

التقويم الفلكي

الفصل الأول : الشمس

الفصل الثاني : النجوم

موازنة بينهما

الفصل الأول

أدب عساف :

يقصر التقويم الفني للشعر ، على ذلك النوع من الشعر الذي تصدى للأحداث التي جرت خلال القرنين السادس والسابع الهجريين ، وهذا يعني أن نسلط الأضواء على أدب التزم بالدفاع عن وجود الأمة الإسلامية ، خلال هجمة عاتية عليها ، وهو بذلك يمثل ظاهرة الشعر الجماعي في الأدب العربي على نحو ممتاز ، وذلك لأن الشاعر العربي فسي هذه الفترة ، نفذ من الدائرة الذاتية الضيقة ، إلى الدائرة الإسلامية ، عبر الدائرة الوطنية ، فهو في مقاومته للمحتلين المسلمين صوّر ما فعلوه في البلاد المحتلة من قتل وتشريد وتخريب وتدمير ، وناشد كل مسلم أن يهبط للذود عن المحارم ، يقول الأبيوردي :

<p>فأيها بني الإسلام إن وراءكم أتهويمة في ظل أمنٍ وغطية وارخوانكم بالشام يضحى قلوبهم يسومهم الروم الهوان وأنتم وكم من دماء قد أباحت ومن دمي بحيث السيوف البيضاء محمرة الثلبى ومين اختلاس الطعن والشرب وثقة</p>	<p>وقائع يلحقن الذرى بالظاسم وعيش كنوار الخيلة ناعم ظهور الذكاء أو بطون القشاعم تجزون ذيل الخفض فعل الصالحم تواري حياء حسننها بالعاصم وسمر الموالى داميات اللهام تظل لها الوالدان شيب القوادم</p>
--	---

الى أن يقول :

<p>أنتضى صناديد الأعراب بالاذى فليتهم أن لم يذودوا حميسة</p>	<p>وتنضى على ذل كاة الأعاجم عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم (١)</p>
--	---

ويقول آخر فيما أحدثه الفرنج من مجازر ، مناشدا ذوى البصائر أن يهبوا للتصدي لها :

<p>أمور لو تأملهن دافق أصبى الصلوات بكل فخر أما لله والإسلام حقيق فقل لذوى البصائر حيث كانوا</p>	<p>لأقل في عوارضه المشيب وعيش المسلمين إذا يطيب يدافع عن مشبان وشيب أجيبوا الله - ويحكم - أجيبوا (٢)</p>
--	--

وهفي انتصارهم ، انما يمثلون انتصار الحق على الباطل ، يقول ابن دنينير في استرداد دمياط سنة ٦١٨ هـ :

<p>الله أكبر جاء الحق يقدمه كم موقف لك ليس الله ناسيكسه</p>	<p>نصر المليك فلاوان ولا جحسد والدين مهتضم ، والملك مضطهد</p>
---	---

(١) الكامل ٢٨٥/١٠ ، نهاية الارب ٢٢٦/٥ ، النجوم الزاهرة ١٥١/٥

(٢) النجوم الزاهرة ١٥١/٥

جلوت وجه العلى فيمذى شطاب ماء النية في مَتَيْهِمْ طَسْرَد (١)
ويقول العماد في صلاح الدين :

بمؤدك عاد الحق واتضح الهدى وحب نعيم النصر وانفج الضغط (٢)
وهو انتصار الكارم والفتاقب الحسنة * يقول ابن القيسراني في عماد الدين زكي :
نشرت الفضائل بعد الخمسول ألا رَما نَبَّهَ الخامل (٣)
ويقول ابن الدهان في صلاح الدين :
ولولاك مات الفضل هزلا وأصبحت رياضي الاماني ذابوا عروكلا (٤)
وهو يلزم للخزاة عن أرض يملكها أصحابها * يقول ابن سناء الملك في مدح المزمزم
عثمان سنة ٥٩٤ :

الشاها لاسلام دار القسرار	وكان من قبل طريق القسرار
وكان في ظلمة ليل دجست	فجاء عثمان معا والنهسار
وجاءه بالبر بعد الضنى	وجاءه بالامن بعد الحسار
فيا أمان الكفر لا تأمنسوا	بدار ما الشام لكفر بدار (٥)

وأخيرا * هو انتصار التوحيد على من لا يؤمنون بالتوحيد * يقول ابن سناء الملك في
صلاح الدين :

أقمت بها التوحيد لله وحده وأنسيت فيها الروح والابنا (٦)

تلك أمثلة سريعة نفذ الشاعر من خلالها الى الدائرة الواسعة في مقاومة الفسادة
للمشرق الاسلامي .

اما التعبير عن روح الجماعة * فيظهر في اهتمام الشعراء بقضية الامة الصيرمية *
والتفافهم حول القادة المسلمين * لا في منازعة الصراع فقط * بل حيثما كانوا في ديار
الاسلام (٧) * ان راح الشعراء يخفون من أثر الهزيمة حين تقع ويشيرون انبياء
الانتصار بطريقة مشيرة * ويشيرون بالمزيد منها * بل * ويرسمون طريقة الخلاص من

- | | | | |
|-----|--|-----|------------------------------|
| (١) | ديوان ابن دنينير ورقة ١٧ | (٢) | الخريدة * قسم شعراء مصر ١/٢٩ |
| (٣) | الخريدة * قسم شعراء الشام ١/١٠٩ | (٤) | ديوان ابن الدهان ص ٤٥ |
| (٥) | ديوان ابن سناء الملك ص ٢٨٣ | (٦) | المصدر السابق ص ٢٥٨ |
| (٧) | انظر كتاب د * عبد الكريم توفيق المجدد * الشعر العربي في العراق من سقوط
السلطنة حتى سقوط بغداد ص ١٣٥ - ١٣٩ | | |

الاحتلال الاجتبي ، فيدعون للوحدة والجهاد معا ، ويربطون بينهما وبين النصر •
وتظهر الروح الجماعية في استعمال الشراء لصير المتكلمين ، ولشعرهم بالقوة
الجماعية ، يبرزونها دون تفريق بين الافراد ، يقول ابن عنين :

سلوا صهوات الخيل يوم الوغى عنا اذا جهلت آياتنا والقنا اللدننا
غداة لقينا دون دمياط جحفلا من الروح لا يحصى يقينا ولا ظننا
قد اتفقوا رأيا وعزما وحسنة ودينا ، وان كانوا قد اختلفوا لنا
تداعوا بأنصار السليب ، فأقبلت جدي كأن الروح كان لهم سقنا
وألمسهم فينا غرور ، فأرقلسوا البنا سراعا بالجهاد وأرقلسنا
فما برحت سمر الرماح تنوشهم بأرائها حتى استجاروا بنا منا (١)

ويقول ابن القيسراني حين كسر الفرنج على أبواب دمشق سنة ٥٢٣ هـ ، مصورا خطر الفرنج
على السكان جميعا ، ودفع صاحب دمشق لهذا الخطر :

حتى اذا ما أحاط المشركون بنا كالليل يلتهم الدنيا له ذالهم
وأقبلوا لا من الاقبال في عدد يؤود حاسبه الاعياء والسمام
أجريت بحرا من الماذي مستكرا أمواجه بأواصي اليأس تلتطم (٢)

وقد أنفى هذا الشعور الجماعي على الشعر العربي في تلك الفترة قيمة فنية ، تجلت في
القوة اللفظية والحصنية ، الناتجة عن الانتماء الجماعي ، وذلك بالإضافة الى القيمة التاريخية
لما قدمه من تصوير للمجتمع الاساذمي وعلاقاته الداخلية والخارجية مع الفرنج خلال القرنين
السادس والسابع الهجريين ، كما أعطى صورة جديدة عن الحياة الاجتماعية والسياسية عند
الطرفين المتصارعين •

وهذه القيم لا تمنع أن الشعر أو الادب وثيقة اجتماعية أو سياسية أو تاريخية ،
وإنما هو فن أو رؤية خاصة للأحداث ، يمكن للدارس من خلالها أن يستخلص استنتاجات
متعددة ، ويستفيد معلومات قيمة ، وان كانت هذه كلها ملونة بلون شعري مصطنع ،
يخفيه موتب الشاعر من الأحداث التي يواجهها ويتفاعل معها •

شكل القصيدة :

من نافلة القول أن نتحدث عن شكل القصيدة العربية التقليدية : من وتوف على
الاطلاق أو ذكر المرأة أو ما يتعلق بها من رحيل مكاء ، ومن نافلة القول كذلك أن نحاول
تفسير هذه الناعمة ، فقد تصدى لتفسيرها القدماء والمحدثون على السواء (٣) •

(١) ديوان ابن عنين ٢٩-٣٠ (٢) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٤١

(٣) انظر على سبيل المثال كتاب د. حسين عراوان : مقدمة القصيدة العربية

والرغم من ثورة بعض الشعراء ، مثل أبي نواس ، وشوارب التميمي ، على التقديمات التقليدية ، إلا أنهم لم يستأمنوا الاستغناء عنها كلية ، وفي هذا الشعر ، نجد ثلاثة أشكال لاستبدال القصائد : أولها : التقديمات التقليدية ، وثانيها : التقديمات غير التقديمات التقليدية ، وثالثها : التقديم دون التقديمات ، وسنذكر فيما يلي الحديث عن كل منها ، ثم نتحدث عن أجزاء القصيدة وترتيبها :

أولا : التقديمات التقليدية :

لم يقتصر الشعر العربي خلال العروب الضلعية على وصف العروب فقط ، وإنما قيلت قصائد في سائر أغراض الشعر المعروفة ، ومنهنا من هذه القصائد ما تصمدى لوصف الصراع بين المسلمين والفرنج ، أو الشعر الحربي بشكلى عام .

ولدى دراسة شعر الحرب ، نجد قصائد معدودات استعملها قائلوها بتقديمات غزلية ، في حين نجد كثيرا من القصائد تدخل في الموعظة مباشرة دون تقديمات ، أو بتقديمات مرتبطة بجو الحرب .

وحا أن القصائد التي تبدأ بتقديمات غزلية قليلة ، فلا بد أن يكون لذلك تفسير ما ، وخير ما نفعل في البحث عن هذا التفسير ، هو أن ندرس جو القصيدة العام والمناسبة التي قيلت فيها ، ولنبدأ هنا بقصيدة لأسامة بن منقذ أرسلها من مصر إلى محين الدين أنرجاك دمشق ، بيتي له فيها خدورة انتياده إلى وزراءه الذين يزينون له القرب من الفرنج ، يقول :

قليتهم حكوا عينا بط علموا

ولوا ، فلما رجونا عدلهم ، ألوا

والسير ، تعجز عما غدرك الهيم
من نازح الدار ، لكن وده أمم *

يا راكبا تداع البعد ، عتسه
بلى أبيري مدين الدين بالكة
وقل له أنت غير الترك فملك الـ

حتى استوت عندك الأنوار والهم
لو أنهم عدوك ، الويل والندم
وكلمهم ، وعوى في الرأي متهم .. (١)

لكن ثباتك ما زالوا بنشهم
باعوك بالبخس يمينون الذنى ولهم ،
والله ما ندموا لما استشرتهم

(١) مألكة : رسالة ، أمم : قريب

(١) ديوان أسامة بن منقذ من ١٤٦

ويخرج من القصيدة أن الشاعر يعيد عن حسين الدين أنتر ، فالأول في مصر والثاني في دمشق ، ولذلك جاء النداء التقليدي " ياراكبا " مرتباً مع نص القصيدة وجونا الشام ، فهو يدالب من المسافرين إلى دمشق عبر صحراء واسعة أن يبلغ صاحبها أمراً بالغ الخطورة ، وهو نصح حاكم دمشق بأن يعتمد عن أولئك النفسانيين الذين يحسنون له التفلؤف من القونج ، وقد هجر عن خسارة القونج وأهميته بعدة أمور منها ، الرحلة من مصر إلى دمشق عبر الصحراء الواسعة ، ثم المسافرين الجبل ، والعيس القوية . . . ومن هنا يحسن القارئ أن يقدم لها دلالة خاصة ، تستثير الدالغ إلى أهمية ما يأتي بعدها ، وهو :

بلغ أميري حسين الدين : مألقة	من نازح الدار ، لكن وده أمسس
هكذا أنفت خياء أو محافظا	من فعل ما أنكرته السرب والعجم
أسلحتنا وسيوف الهند مضمدة	ولم يرو سنان السهري دم . . .

فهو إخبار للأمير حسين الدين أنتر برسالة مهمة حملت إليه من مكان بعيد ، وهذا الهند يستعد لمحاربه الجند والبغض لاولئك المحيدين بالافير ، ولذا ، فالرسالة رسالة تامة ، تامة ودود في نفسه فحنان إلى ولاته الشام ، وبودة تربية لملحهم .

ومجد هذا التقليد البويز البليغ ، يمدح أسامة " حسين الدين أنتر " ويضفي عليه صفات البداولة والدين والشجاعة والكرم ، ويحفل بالانتباه مسؤولة تزيين الاعمال السيئة له ، ويتمهم بأنهم باعوه بالبغض ، لينالوا الثمن من القونج على حسابهم .

وهنا قصيدة أخرى تبدأ بقدمة غزلية في شيد عرقله الكليبي في مدح مجير الدين أبق صاحب دمشق أينما ، وهذا السها :

عج على نجد لملك منجسدي بنسيمها ، وذكر منجسدي (١)
ونلاحظ أن القصيدة في مدح صاحب دمشق ، والمدح تناسبه المقدمة الغزلية التقليدية ، وكأنها أمر متعارف عليه ، وهذا ما يؤكد أبو الريب السبني في ثورته على هذا النظم يقول :

إذا كان مدح فالنسب المقدم أكل بلين قال شعرا منسيم ؟

ومجد أن يبدأ عرقله بقدمة يتغزل فيها بأمرأة بدوية في جنان الشام ينتقل في البيت الثاني عشر من القصيدة إلى الإشادة بالمدح ، ويضفي على أنسالة التي يحق لها عليها الشرح حقا ، فقد أبلى في حرب القونج ، الذين قصدوا دمشق بأعداد تامة ، باراء حسنا ، وأظهر من شجاعته وعبره ومسالته ما لم يشاهد في غيره " (٢) " ، يقول عرقله الكليبي :

ما نشرت راياته يوم الوغسى	إلا انطوى جيبه ، العدو المستسدي
من قاتل الافرنج دينا فسيه	والذين مثل الميل ضد المشهد

(١) ديوان عرقله الكليبي ، ص ٢٥ - ٢٦

(٢) الروتين ج ١ ق ١ ص ١٣٨

وكانت الدائرة فيها على الأثرين ، فيقول :

عاد وقد عاد لهم	وانما الأثرين من بينهم
في قلبه بأمسك	قد حصى الحزن فما جاحد
وكل شربك مسدد	فكل صربك مستند

ويلاحظ القارئ لهذه الأبيات أن الوقعة جاءت دليلاً على شجاعة نور الدين ولم تكن موعود القعدة الأساسي .

أما قصائده العربية التي تكون الوقعة فيها موعود القعدة ، فلم يبدأنا بتقديمات غزلية ، ولهذا جاءت خالية من المقدمات ، إلا هذه وقصيدة أخرى سنقف عندها بعد قليل ، وقد لاحظ الدكتور محمود إبراهيم ذلك ، وقد قصيدته السابقة خروجاً عن عادته في الاستغناء عن المقدمات الغزلية في قصائد القتال (١) .

وفي القصيدة التالية لابن القيسراني ، ورد ذكر الوقعة دليلاً على شجاعة نور الدين كذلك ، كما في قصيدته السابقة ، من ذكر المعارك في هذه القصيدة عند وقعات ، لا وقعة واحدة ، وقد جاء في مقدمة القصيدة قوله :

لقد حاج من ذكره مالا أغنيه	أما وغيال زار من أعينيه
ذكرت نسيماً بالشعر مهبه	إذا ما ضبا قلب المحب إلى العبي
يحامي عليها مدنف القلب صبه	فيها نفحات الشام رفقا بمهجة
نان قواد المرء مع من يحبه	فلا تسألن الصب : أين فواده
غداة استطار البرق من طار لهبه	وفي شجب الأكوام من هو عالم
سنا بشر نور الدين تشبه سحبه	يشيم شهور الحزن تهدي كأنها

ثم تخلص إلى مدح نور الدين بالكرم وعودة الرأي ، والحفاظ على الإسلام ، ويتقدم الأدلة على ذلك ، فيقول :

لي برعي الهند واني خصيه	كيوم الرما الورماء والها يانسج
ثاناً ، وليل العرب ينقض شهبه	وشهباء حاجتها وفي سرخديسة
كوادي شموذ اذ رغا فيه شقبه	وعارم يوماً بالهزيمة فاعتسدت
دم الافك حتى انكم النسل خطبه	وعاصي على الماصي بأرعن خاطب
بصاحب اندلاكية وهو كسيه (١) ٠٠ الخ	بأنب لما اكسب المال وانشئ

ويستتر في ذكر الأدلة على شجاعته وما قبله بالانذار ، وكلها ترتبط بشخصية القائد نور الدين الذي يستحق الثناء فعلاً .

(١) صدى الفزو الصليبي في شعر ابن القيسراني ص ١٠٢

(٢) الروتين ج ١ ق ١ ص ١٨٨

وبداول بنا النقام لوجللنا ببقية القوائد التي تبدأ بمقدمات غزلية ، ولذلك نذكر
مالمها وبشروعاتها ، للاحاطة بها ثم مقارنة عددها بصورة تقريبية بنسدد القوائد
الحربية التي يمكن أخذ صورة عامة عنها من مطالعة الملحق الشمرى .
يقول ابن رواحة العموى ، وهو من شعراء الشام في مدح صلاح الدين بنسدد
أن رد الفرنج عن دمياط ثم الاسكندرية سنة ٥٧٢ :

أغمت الموت لي رسدا فأخشى زيارته وإن يك لمهززي
كما رصد المدى في كل يوم صلاح الدين في سهل وحزق
يرون خياله كالدايف يسرى قلو عجزوا أناهم بعدد ومن
أبادهم تخوفه فأسمى مناهم ، لو يبيتهم بأمن (١)

ونلاحظ من هذه الابيات حسن تخلصه وسر انتقاله .

وارسل ابن التماون ذي قصيدة إلى صلاح الدين من بغداد يمدحه فيها ،
ويهنئه بانتصاره على الفرنج في وقعة مرج عيون مالمها :

إن كان دينك في السبابة ديني فقد النطي برملتي يبري
وقد مضى الغزلية طويلا ، ينتقل بعدها إلى الوقعة ، فيقول :

كنوا وكم لك من كمين سمادة في الخيب تظاهر من وراء كمين (٢)
ولعل بعد الشاعر عن العادة مكانيا وزمانيا جعله ينهج هذا المنهج .

ولما انتهى صلاح الدين من بعض الحملات العسكرية في مناصرة انطاكية ، رجع
إلى حماة ومنها إلى حمص ، فأثابه الفقيه مهذب الدين عبد الله بن أحمد البوصلي ،
وأشده :

أما وجفونك المرض الصحاح وسكرت قلبيك وأنت صاحب
لقد أصبحت في العشاق فردا كما أصبحت فردا في الملاح
ثم يذكر إخضاعه للفرنج ، فيقول :

وما خضع الفرنج لديك حسنى وأوا مالا يطاق من الكفاح (٣)
وقد مدح الحماد الأصفهاني الأمير ثقي الدين عمر سنة ٥٨٢ بقصيدة مالمها :

عفا الله عنك ، عن ذوى الشوق نفسوا فقد تلفت منا تلوب وأنفس (٤)
ثم يذكر تهابه إلى تونس ، ووقوفه في وجه الفرنج من هناك ، ثم يعنى عليه أن يفتتح
القدس ويظهر البلاد من الرجب .

وقال في مدح حمام الدين عمر بن محمد بن لاجين (ابن أخت صلاح الدين) يوم فتح
القدس :

استوحش القلب مذ غتم فما أنسا وأظلم اليوم مذ بنتم فما شمس (٥)

- | | | | |
|-----|---------------------------------|-----|--------------------|
| (١) | الخريدة ، قسم شعراء الشام ٤٩٢/١ | (٢) | الروشتين ١٠/٢ |
| (٣) | المصدر السابق ١٦/٢-١٧ | (٤) | المصدر السابق ٧١/٢ |
| (٥) | المصدر السابق ٨٨/٢ | | |

وحنأ السلطان صلاح الدين يفتوحاته ، فقال :

أطيب بأنفاس تايب لكم نفسا وتعتاض من ذكراكم وحشتي أنسا (١)

ومن الشعراء الذين استهلوا قصائدهم العربية بمقدمات غزلية ابن دننير ، ففي ديوانه عشر قصائد عربية ، ذكر بعضها فور انتهاء المعركة ، فدخلت من المقدمات ، وقال ستة منها في مدح بعض الحكام والقادة ابتداء بمقدمات تقليدية .

أما الأولى فهي في السيز عثمان بن صلاح الدين سنة ٥٩٤ هـ وهي من شعره فهي
التبا ، ومالها :

إن كان أحمر قلبي عنك سلوانا لا كنت من مفوم صب ولا كانا (٢)
والثانية في الأمير أسد الدين أحمد بن عبد الله السهراني ، ومالها :

راح يخشى في حبه الرقباء ويسر الشرام والبرحباء (٣)
والثالثة في مذافر الدين كوكبرى بن علي بن يكتكين ، ومالها :

أشأقتك من أطلال ليلي مالمسم نأبدت شؤن الدمع ما أنت كاتم (٤)
والرابعة في الملك الناصر قلق أرسلان بن الملك المنصور محمد بن عمر بن شاهنشاه الأيوبي ومالها :

بما يجفنيك من غنج ومن كحلل صل مفوما ليس يصفي فوك للعذل (٥)
والخامسة في الملك الكامل بن السادل ، ومالها :

لهم حب قلبي أن تدانوا وأن صدوا وان قبرا أوحال دونهم البمد (٦)
والسادسة في الأشرف موسى عند منصرفه من الجزيرة إلى الشام ثم إلى مصر ، ومالها :

أرأيت ما صنعت لحاظا الشيبدا ما بين منفرج اللوى فزود ؟ (٧)

ومن هؤلاء الشعراء : ابن سناء الملك (٨) ، وفتيان الشاغوري (٩) ، ومهذب الدين سالم بن سعادة (١٠)

* * *

(١) الروضتين ١٠١/٢ (٢) ديوان ابن دننير ورقة ٣٨

(٣) المصدر السابق ورقة ١٢٢ (٤) المصدر السابق ورقة ٥٦

(٥) المصدر السابق ورقة ٢٤ (٦) المصدر السابق ورقة ١

(٧) المصدر السابق ورقة ٢٠

(٨) انظر ديوانه ص : ٣٥٨ ، ٣٦٦ ، ٣٧٨ ، ٥٦١ ، ٥٤٥ ، ٧٥٨

(٩) انظر ديوانه ص : ١٤٨ ، ٢٥٧

(١٠) انظر تاريخ ابن الفرات مجلد ٤ ج ٢ ص ١٥٧

المقدمات التي تخلصت من الغزل :

تلك هي المقدمات التقليدية في القصائد الخيرية ، وهي وان بدت كـتـشـيـرة
(ان بلغت خمسا وعشرين قصيدة) ، فانها تقل بكثير عن عدد القصائد التي تخلصت من
المقدمات التقليدية .

وأما سبب تخلص الشعراء من هذه المقدمات التقليدية بأنواعها ، فالأنهم وعفـسوا
أعدائا مهمة في جو حرارة تلك الاحداث ، فلم يشعروا بالحاجة الى التقديم لها ، لأن
هذا التقديم من شأنه أن يضع حرارة الانفصال ، ويهدد الاندفاع الشمورى ، ولـسـذا
تصدت هدايات هذه القصائد عند الشاعر الواحد ، وعند الشعراء المختلفين على السواء .

ولنأخذ مثالا على هذه القصائد ، قصيدة أبي المظفر الأبيوردى ، التي قالها اثر
سقوط القدس بيد الفرنجة سنة ٤٩٤ ، وفيها يتفجج ، ويقرع ، ويدعو الى الاستيقاظ ،
ويأمل في الانتقام من المعتدين ، يقول :

مزجنا دماء بالدروع السواجـم	فلم يبق منا عروضة للمراجـم
وشر سلاح المرء دمع يفيض	إذا الحرب شبت نارها بالصـوارم
فأبها بني الاسلام ، ان وراءكم	وقائع يلحقن الذرى بالمناجم
أتهوية في ظل أمن وغطـة	وعيش كنوار الغميلة ناعـم ؟
واخوانكم بالشام يضحى مقليلهم	ظهور المذاكي أو بطون القشاعـم (١)

وهكذا تدنـي بـتـيـة القصيدة : انفصالات متأججة صادرة عن نفس متحرقة متحمسة
تمتد على السباح ، وتدعو الى دفع الانحدار قبل تفاقمها ، ولذا جاءت القصيدة فـيـي
موضوع واحد ، وأبتدأت باستهلال حزين مؤثر ، يعبر عن مشاعر أمة أضعفتها الخلافات
ولوهـنـها التمزق .

ولعل القصيدة الثانية التي لم يذكر اسم نائلها ، تعبر عن مثل هذه المواطن ،
وقد جاء فيها :

أحل الكفر بالاسلام ضيمـا	يطول عليه للدين النحيـم
فحق ضائع وعصى مبـسـاج	وسيف قاطع ودم صبيـم
وكم من مسلم أمسى سليـمـا	ومسلمة لها حرم سليـم
الى أن يقول :	
أتسبى المسلمات بكل شمسـم	وعيش المسلمين اذن يدايـم
أما لله والاسلام حـمـم	يدافع عنه شهبان وشيـم
فقل لذوى البصائر حيث كانوا	أجيئوا الله ويحكم أجيسـم (٢)

(١) نهاية الارب ٢٢٦/٥ ، الكامل ٢٨٥/١٠ ، النجوم الزاهرة ١٥١/٥

(٢) النجوم الزاهرة ١٥١/٥

ولم يكن هذا الحزن والبكاء مرتبطا ببداية المد الصليبي فقط ، إذ إنه بعد أن انفردت عند الدولة الايوبية ، وتحارب الاخوة ، واستجد بعضهم بالفرنج مقابل التنازل عن القدس ، فعاهت رنة الحزن والالام ، كما كانت أو أشد ، لأن من الصعب على الانسان أن يتحمل الالم والحزن والهم بعد القوة والنصر ، ولذلك كانت قصيدة ابن الجاور في تسليم القدس زمن الملك الكامل الايوبي ، أشد وقعا وتأثيرا على النفس من القصائد التي قيلت بعد سقوط القدس بيد الفرنج للمرة الاولى ، يقول ابن الجاور :

أعينني لا ترقني من العيسرات	صلي في البكا الأصال بالهكسرات
لحل سيل الدمع يدني فيضها	توقد ما في القلب من جمسرات
ويا قلب أسر نار وجدك كدسا	خبث باوكار يبعث الحسرسرات
ويا فم يح بالشجو منك لملمسه	يروح ما ألقى من الكرسسات
على المسجد الأقصى الذي جل قدره	على موطن الاغبات والصلوات (١)

وتستمر القصيدة في هذا التدفق العاطفي الحار ، الصادر عن نفس متألمة حزينة وفي غمرة الاحزان والضياح ، في بداية الحروب ، وقف بعض الامراء في الشهور موقفا مشرفا ، ومنهم الامير مجد الدين عزب الدولة زعيم الجيوش في دمشق ، كما وقف الادب مع هؤلاء يحضهم ، ويقوى من عزيمتهم ، فهذا ابن الغياث يحرض الامير المذكور على الجهاد ، فيقول في مدائح قصيدته :

ندتك الصواهل قبا وجسردا	وشم القبائل شيئا ومسردا
وذلت لاسيافك البيض قضبا	ودانت لأرمائك السم ملسدا
وقل لمن قام في ذا الزمسان	مقامك أن بات بالخلق يفسدى
أستأبر البرايا يسدا	وأندى من المزن كفا وأجسدى
وأمنى حساما وأوفى ذمامسا	وأعنى غماما اذا الفيت أكدى (٢)

والمتبحر لنص القصيدة يلاحظ أن موضوعها واحد ، وهو في استعراض أحوال المسلمين على أيدي الخدار الصليبي ، وتعرض البطل كي يقف في وجه الغزاة ، ولذا جاء مدائح القصيدة حماسيا في معانيه وألفاظه وموسيقاه ، ثم أخذت النبرات الحماسية تتحول الى تعداد صفات القائد ، وبما لبثت أن عادت مرة ثانية حين نه الشاعر الى الاستمرار المحدث بالمسلمين ، واستحثهم على العمل ، وحثهم على الجهاد .

وقد وفق الشاعر باستهلال القصائد العربية بما يتفق والجو الحربي الحماسي ، وقد اختلعت المقدمات من قصيدة الى أخرى ، ومن شاعر الى آخر ، ولكن ذلك لا ينفي أن يكون لهذه المقدمات صفات مشتركة تلتقي عندها ، ومن هذه الصفات ابتدائها بميمر الشأن ، وهو من الضمائر التي تشيد التفخيم الذي يتناسب والجو الحماسي .

(١) الروضتين ٢٠٥/٢

(٢) ديوان ابن الخياط ١٨٢ ص ١٨٤

ومن ذلك قول أمية بن أبي الصمات في الافضل مقدم البعش المصري :

هي المزامير من أنصارها القدر وهي الكتاب من أشيعها التفسير
جرت دلت الدين - والاسياف منمودة سينا تغل بما لاحداث والسير
وقدت إذ قصد الاملاك كلهم تذب عنه وتعمه وتنته
بالبعض يسفك فوق البيض أنجمها والسر تحت ظلال النقع تشتجر (١)

ومنه أيضا عقول ابن التيسراني في فتح الرعا سنة ٥٣٩ هـ :

هو السيف لا يخنيك الا جلاله وهبل دوق الاملاك الانجساده
ومن ثمر هذا النصر نلتأخذ النبي سناها ، وان فاعا لعيون اتقاده
سمي قبة الاسلام فخرا بداولته ولم يك يسمو الدين لولا عماده (٢)
ومنها ابتداءوها بأسماء الاشارة : وهي تفيده جلب الاجرام لامر جليل ، ومن ذلك قول
ابن التيسراني في انتصار نور الدين على الفرنج في مذاعة انداكمة :

هذه المزامير لا ما تدعي القسب وذى المكارم لا ما قالت الكتائب
وهذه الهدم اللاتي متى خطابست تعثرت خلقها الاشعار والخطاب (٣)
وقيل الرشيد بن ممدور النابلسي في فتح القدس :

هذا الذي كانت الآمال تنتظر فليوف لله أنوام بما نذرنا
بمثل ذا الاتح ، لا والله ما حكيت في سالف الدهر أخبار ولا سير (٤)
ومنها ابتداءوها بأدوات الاستفتاح والتنبه والتساول ، وهي تفيده أسماء الاشارة
من جلب الانتباه لادوار ذات شعار ، يقول الملاح بن رزيك مفتعرا بأعماله بعد الفرنج ومخرعاً
في الدين دلي قتالهم :

ألا هكذا في الاله تمضي المزامير وتنبى لدى الحرب السيوف الصوارم
وتستنزل الاعدا من دلود عزهم ولينسوى سر الرماح ساللهم
وتنزي جويش الكفر في مقر دارها وروا حماها والانوف رواجهم
وهي الكرام الناذرين بذورهم وان بذلت فيها النفوس الكرائم (٥)
وقول ابن التيسراني في فتح الديار :

أما أن يزعم البادل سسل وأن ينجز المدة المطاط سسل
إلى كم يخب دأوه الضلال ل سيك بأغناقها كاف سسل
فلا تزلن بصوت الذئب سسل ب ، وقد زار الاسد الهل سسل (٦)

(١) الخريدة هـ قسم شعراء مصر ٢٦٥/١ (٢) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٩٢

(٣) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٥٢ ، والبداية والنهاية ٢٢٦/١٦

(٤) " " ١١٨/٢

(٥) ديوان طلائع بن رزيك ١٣٥ ، والروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٨٩

(٦) الخريدة هـ قسم شعراء الشام ١٠٨/١ ، والروضتين ج ١ ق ١ ص ١٢٦

ويقول ابن دنينير في تغليص ديوانه من الفرنج بعد اجتماع الجيوش الشامية والمصرية بمقباد
الاخوة أبناء المادل برئاسة الكامل :

ها قد بلغت الذي قد كان ينتظر اللما كبر هذا النصر والثقل
قد صرح الخبر منك اليوم عن خبر قد كان أنظر فيه نفسه النثر (١)
وقد يكون التساؤل لمقام النصر ، الذي يمهز العقول ، ويأخذ النفوس ، ويحدث الحيرة
في النفس ، حتى ليتعير الشاعر ، وهو يتلمس الشيء الذي ينبغي أن يهني به ، يقول
الجواني :

أترى منا ما بسيني أبصر القدر تفتح والفرجة تكسر ؟
وقامة قتت من الرجس السذي يزواله وزوالها يتطهر
وطيكتهم في القيد مفعود ولسم ير قبل ذاك لهم طيك يوسر
قد جاء نصر الله والفتح السذي وقد الرسول فسبحوا واستغفروا
فتح الشام وطهر القدس الذي هو في القيامة للأنام المحشر (٢)

ويحسن المرء حين قراءة الأبيات أنها تعبر عن فرحة غامرة استولت على الشاعر والالهام
فجاءت الحيرة بمنزلة بالفرجة ، ومعبرة عن هذا الشعر الدافق ، يقول ابن سناء الملك
مخاطباً صلاح الدين بعد الفتوحات الكبرى :

لست أدري بأي فتح تهمني يا خليل الإسلام ما قد تممني
كل فتح يقول اني أولسي وهو أولى لأنه كان أهمني
أنهنيك ان تملكك شامسا أم نهنيك ان تملكك عدنا ؟ (٣)
ومنها ابتداءها بـ " كم " الخبرية ، وقد قصد بها التذكير ، وذلك للمبالغة في عظم
الغزوات التي أنزلها القادة المسلمون بالفرنج ، يقول الحماد في غزوة الفرنج على أبواب
دمشق على يد نور الدين :

كم وقصة لك في الفرنج حديثها قد سار في الافاق والبلدان
قصت قومهم ودا مسن ردى وقرنت رأس برنسهم بسندان
وملكت رق ملوكهم وتركتههم بالذل في الاقياد والاشجان (٤)

ويقول ابن عبد الظاهر في فتح حصن المرقب زمن المنصور قلاوون :
كم لك فتح غير هذا خبيبي فاستن فتح الارض واستوعب

-
- (١) ديوان ابن دنينير ورقة ١٤
(٢) الروضتين ١٠٥/٢
(٣) ديوان ابن سناء الملك ٨١٤
(٤) الخريدة ، بداية قسم شمراء الشام ص ٥٥

يا فاتح الحصن الذي فتحه
حصن عظيم القدر في سسيرة
ويقول شهاب الدين محمود في فتح الحصن المذكور :
كم رام قبلك هذا الحصن من ملك
غزا الاعادي حكم تحته لهم
أوردتها الدرب العالي وليس سوى
ومنها ابتداءها بالاستهزاء والتعفي لا والمستهزئ يكون عادة في مركز القوة ، حتى يستأيج
أن يهزأ بالمدو ويهزأ بقوته ، وهذا من مستلزمات الحرب النفسية ، التي كانت وما تزال
ترافق حرب السلاح ، يقول ابن خيبر في انتصار نور الدين على الفرنج في حصن فامية :
خفى الثاليب حين زجره صحر
تركوا مشاجرة الرماح لحاذق
لربيب حرب لم تزل فملا تسمه
ويقول ابن ماري في كسرة ملك فرنسا على دمياط :
قل للفرنسيين اذا جئتكم
أجرى الله على ما مضى
قد جئت مصر تبتغي أخذها
فساقاك الحين الى أدهم
ومن التعفي قول المصا في ملك الفرنج :
في باطن النيب ما لاتدرك الفكر
مالي أرى ملك الافرنج في ققص
ومنها ابتداءها بذكر السلاح وأدوات القتال : وفي مرتبة بجو المعركة أشد ارتباطا ،
لأنها عنصر أساسي من عناصر القوة في الحرب ، كما أنها تثير مكان القوة عند تصورهما ، وأدراك
مفعولها . يقول ابن التيسراني في هزيمة الفرنج أمام نور الدين في يافا :
تفي بضمانها البيض الحسداد
وتدرك ثأرها من كل بـ
فقد والبصيرة في الأحداث يحتسب
أين القواضب والسمالة السمر ؟ (٥)
وتعني دينها السمر الصمد
فوار من عزائمها الجسلا (٦)

- (١) تشریف الايام والمصور ٨٦
- (٢) ابن حبيب ، درة الاسلاك في دولة الاتراك ورقه ١٢٥ ، وانظر مثالا آخر من ديوان علم الدين ابن محمد الصفي ١٥
- (٣) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٦٣
- (٤) ديوان ابن ماري ١٨١
- (٥) الروضتين ١١٦/٢
- (٦) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٤٦

ويقول ابن منير في هزيمة الفرنج في حصن قامية على يد نور الدين :

أسنى الممالك ما أظلت ضارحاً . وجعلت مرهقة الشفار دسارحاً (١)
ويقول ابن أسعد الموصلي في مباغرة الفرنج للمسلمين قرب حصن الكراد ، وسيطرتهم على الموقف ، وإصرار نور الدين على الأخذ بالثأر :

ذابى المواشي وأطراف القنا الذبل ضوا من لك ما حازوه من نفسل
وكافل لك كاف ما تحاولسه عز وعزم وأس غير منتحل (٢)

ونلاحظ أن هذه القصيدة في معركة غسرها المسلمون ، ومع ذلك فهي تتفجر قوة ، لأن الشاعر يتهدد هؤلاء المنتصرين ويتوعدهم في يوم قريب ، فنور الدين لن ينام عن ثأر ، وقد حقق ثأره من الفرنج فعلاً ، إذ هاجمهم بعد وصول الامدادات اليه ، وانتصر عليهم ، فعقب السداد على هذه القصيدة بقوله : " وهذا أحسن ما سمعته من مدح من كسر وعذر ، ولقد وافق المذرم ذكر ، وانتصف بعد ذلك وانتصر " (٣)
ويقول ابن عنين في هزيمة الفرنج على دمياط سنة ٦١٨ :

سلوا صهوات الغيل يوم الوغى غداً اذا جهلت آياتنا والقنا اللدننا
غداة لقينا دون دمياط جحشاً من الرو لا يحصى يقينا ولا دانا (٤)

ومنها ابتداؤها بالدعوة الى الوحدة والجهاد : ويتألب ذلك قوة في التعبير ، وقدرة على التأثير ، إذ ان الصياغة الفنية هي التي تكسب الكلام سمات القوة والتأثير ، وعن ذلك طالب المذهب بن الزبير من الملاحع بن رزيق أن يحمل للجهاد بالتعاون مع نور الدين ، يقول :

أعلنت حين تجاور الخيـسان أن القلوب موافد النـسيـران
يا كاسر الاصنام ، قم فانهدى بنا حتى تصير مكسر الصليبـسان
فالشام ملكك قد ورثت بسـلـادك عن ثوبك الماضين من غـسـسان
واذا شككت بأنها أولمانهم قدما ، فسل عن حارث الجـولـان

الى أن يقول :

وأعدت رسل ابن القسيم اليه فسي شعبان كي يتلاءم الشعبـسان
والقال يشهد في اسمه أبع سوف يخذل الشام ويوع عليكما قسـمان (٥)

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٦٠

(٢) الخريدة ، قسم شعراء الشام ٢٨٩/١ ، الروضتين ج ١ ق ١ ص ٣٢٠

(٣) الخريدة ، قسم شعراء الشام ٢٨٩/٢

(٤) ديوان ابن عنين ص ٣٠

(٥) الروضتين ١٤٧/١

ومنه أيضا ، تحريضي ابن دنيير لآراء المحرر والابنناد علي القتال عقيب هزيمتهم عن
دمياط ، وقد وصل الملك المستظم عيسى من دمشق لجددة أخيه الكامل محمد ، يقول
ابن دنيير :

أقيموا عمود الدين لله تسعدهوا
فريق الهدى ، والله يظهر دينه
ثم يقول :

فلا تجزعوا من حادث جاء قادحا
فشنوا لدين الفتر غارات مشر
وشبوا لهم نار الجهاد فانكم
فذا الدين للرحمن في نصره يسد
لهم في الهدى في زكي ومحمّد
مق تتركوها أن النار تخمد (١)

وسا يدخل لي هذا كذلك ، ابتداء القمائد بالتحذير والتهديد ، كقول ابن القيسراني :
حذار منا ، هوانى ينفع الحذر
وأين ينجو ملوك الشرك من ملك
من خيله النصر ، لا بل جنده القدر (٢)

وبالاحظ التاري لهذه القصيدة الحرارة الجذائية الشديدة ، وتزاحم الانفعالات
فيها ، وامتزاج التحذير بالتهديد ، والامتزاجات والفخر ، ومنها ابتداءها بهذا كسر
نتيجة المعركة ، أو باستبشار الشعراء بالنتيجة التي يتصورونها ، وبأن النصر لا يحقق
بوسر وسهولة ، وإنما يحتاج إلى جهد كبير ، وإلى صبر وعمل ، إضافة إلى ارتقاب عون الله
لن يجاهدون في سبيله . يقول العماد في أملاك أسد الدين شيركوه مصر ودارد الفرنج
عنها :

بالجد أدركت ما أدركت لا اللعن
هذي الصلى التي تزهى بالوك بها
فتحت مصر ، وأرجو أن تدير بهما
وفي زمن قلاوون ، قال بدر الدين المنبجي
أدركت بالجد أقصى غاية الدالسب
أيا المذاخر لا زالت مذاقب مسرة
فأله جارك أنى سرت من طمسك
كم راحة جنيت من دوحة التعسب
وهي الماثر لا الماثر في الكتب
بمرا فتح بيت القدس عن كذب (٣)
البزاز في فتح دارابلس :
ونلت بالجد أعلى منتهى الرتب
منك الجيوش على الأعداء بالرب
وناء لك من ناء ومقرب (٤)

- (١) ديوان ابن دنيير ورقة ٤
- (٢) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٨٨
- (٣) الروضتين ١٥٩/١ ، تاريخ ابن القرات مجلد ٤ ج ١ ص ٤٥
- (٤) عقد الجمان ج ٢٠ ق ٤ ص ٧٦٦

وقد قرن الشعراء في شعرهم الجدل الانساني بالمعنون الالهى ، واقتتحوا بعض قصائدهم بهذا المعنى ، يقول الجويني في فتح القدس :

لك رب العناء خير من حسين
فله الحمد أى نصر عزيز
وقول أيضا :

جند السماء لهذا الحلك أعوان
ويقول ابن عبد الخاغر في معركة حمص التي دارت بين المسلمين بقيادة المنصور قلاوون من جهة وبين الفرنج والتتار من جهة أخرى :

الله أعلاك لا زيد ولا عمرو
هذا المقام الذى لو لم تحل به
هذا العناء وهذا النتج والنصر
لم يسبق ، والله ، لا شام ولا مصر (٢)

وتد بدأ بعض الشعراء قصائدهم بالحديث عن النصر بلفظه المباشر ومن هؤلاء ابن دنيير
اذ يقول في استرداد دماط :

نصر من الله وأنانا به الخبير
فلتهنك العزة القصاء والظفر (٤)

ويقول علم الدين بن الشاتاني في صلاح الدين :
أرى النصر مقتودا برأيتك الصفراء
يجهنك نبي يحن ، ويسرك في اليسرى
نصر واطاك الدنيا فأنت بها أحسرى
فبشرى لمن يرجو الندى بهما بشرى (٥)

وقد حمد بعض الشعراء في مقدماتهم القادة ، وبينوا للناس أن طاعتهم واجبة ،
لأنهم دافعوا عنهم ، وعن معتقداتهم ، يتول شهاب الدين محمود في المنصور قلاوون حسين
فتح دارابلس :

علينا لمن أولاك نعمته الشكر
ومنا لك الاخلاص في صالح الدعا
ولله في اعلاء ملكك في السورى
نهضت الى عليا دارابلس السرى
لأنك لاسادام ياسيله ذو غمير
الى من له في أمر نصرته الامير
مراد وفي التأييد يوم الوغى سر
أقل غنا أن غندقها البحر (٦)

-
- (١) الروشدين ج ٢ ص ٩
(٢) عقد الجمان ج ٢٠ ق ٤ ص ٦٧٧
(٣) ديوان ابن دنيير ورقة ٢١
(٤) امرأة الجنان ٤٩٦/٣
(٥) درة الاسلاك ورقة ١٤٥ ، النجوم الزاهرة ٣٦٣/٧ - ٣٦٤
(٦) المصدر السابق ١٠٤/٢

ومنها المقارنة بين حالة المسلمين وحالة الفرنج ، ويكون ذلك عادة حين تكون كلمة المسلمين هي الراجحة ، وهذا يحصل المقدمة مرتبطة بموضوع القصيدة .
يقول ابن القيسراني في كسرة الفرنج على أبواب دمشق :

الحق مبتهج والسيف مبتسم وما ل أعداء مجير الدين مقتسم
قدت الجياد ، وحصنت البلاد وأمنست المهاد فأنت الحل والحرم
وجئت بالخيول من أقصى مرابطها محاذ الحزم في أوساطها الحزم (١)
ويقول ابن مثير في انتصار نور الدين على صاحب انطاكية :
أقوى الضال وأققرت عرصاته وغلا الهدى وتبلجت قساماته
وانتاش دين محمد محموده من بعد ما غلبت دما عيراته (٢)
ويقول ابن سناء الملك في صلاح الدين :
بدولة الترك عزت دولة العرب وابن أيوب ذلت بيعة الملب (٣)

ومنها التهنية والدعاء : وهو نوع من أنواع المقدمات التي ترتبط بالموضوع ارتباطا وثيقا ، فكان الشعراء يقدمون التهنية بعد انجلاء الحرب عن النصر ، بأسلوب يختلف عن تقدمهم لقصيدة في ذكر الأحداث العربية . ومع هذا الاختلاف ، نجد قوة التعبير ماثلة في القصيدة ، وهذا أمر طبيعي ، لأن التهنية مرتبطة بالنصر ، والنصر يعمل مسانئ القوة ، يقول الأمير نجم الدين محمود بن الحسن بن نبهان المراقبي في تهنية صلاح الدين بالنصر على الفرنج في بيت الاحزان :

هيا صلاح الدين بالفتح والنصر ونيل الاماني الخير والفكة البكر
وما حزت فيها من فخار ومن عسلا وحسن شاء يبقى الى آخر الدهر
سموت لها بالمشرفية والفتنة سمو أبي لا ينم على وتر (٤)

وقد انتج راجح الحلبي قصيدته باللفظة نفسها ، والتي ابتدأ بها ابن نبهان المراقبي ، وذلك حين انتصر الملك الأشرف موسى وأخوته على الفرنج في دمياط ، ولعل جو الفرح أطل على كفا أطل على سابقه هذه المقدمة ، يقول :

عنينا ، فان السعد راح مخلصدا وقد انجز الرحمن بالنصر موتسدا
هبانا الى الخلق فتحا بدا لنسنا مينا ، وانعاما وعزا مؤيسدا
تهلل وجه الدهر بعد قطامه وأصبح وجه الشوك بالظلم أسودا (٥)

- (١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٤١ (٢) المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ١٥٦
(٣) الروضتين ٤٣/٢ (٤) المصدر السابق ١٢/٢
(٥) الذيل على الروضتين ١٣٠ ، الهداية والنهاية ٩٥/١٣ ، النجوم الزائرة ٢٤١/٦

وما يتصل بهذا الجانب البدء بالبشرى ، يقول شرف الدين الانصارى مشرا الملك
الحذفر تقي الدين بن المنصور صاحب حماة بانتصاره على الفرنج في مذاقة حصن الاكراد :

أبهر بها شئت من نصر وتأييد فسندك يروى حديث المأمن والوجود (١)

وهناك صور أخرى ابتداء بها الشعراء قصائد ثم بمقدمات تتفق مع موضوع القصيدة
الحربية كأن تبدأ بالتكبير أو بالجلال الإخبارية القوية الالفاظ ، ومن ذلك قول العماد في
فتوح صلاح الدين :

أسباط يوسف من مصر أتوا ولهم من غير تيه بها سلوى وامسسان
لهم فلسطين ، أن يخرج عداتهم عنها ولا تعدت بيض وخرصان (٢)
ومنه قول شهاب الدين محمود في فتح حصن العرقب :

الله أكبر ، هذا النصر والظفر هذا هو الفتح لا ما تزعم السسير
هذا الذي كانت الامال ان دامت الى الكواكب ترجوه وتتظلم
فأنهض ، وسر ، وملك الدنيا فقد نخلت شوتنا منابرها وارتاحت السسير (٣)
وأما الجمل الخيرية القوية ، التي بدأت بها القصائد الحربية فهي كثيرة منها قول ابن قسيم
الحدي في عماد الدين زنكي :

بحزمك أي الملك المظلم
إذا خذرت سيوفك في نفوس
تذل لك الصحاب وتستقيم
فأول ما يفارقها الجسموم (٤)
ومنها قول أسامة بن منقذ الموجه الى رماح بن رزيق على لسان نور الدين :
أبي الله إلا أن يكون لنا الامر
لتعيا بنا الدنيا ويفخر المصير
وتخذنا الايام نينا ترومسه
وينقاد طوعا في أزمنا الدمر (٥)

وقد يقول قائل : إن هذه القصائد قد شئت من المتدمات النزلية ، ومع ذلك فإن
فيها مدحا للقائد ، وهذا صحيح ، ولكن المدح في موضوع القصيدة يجد أن موضوعها
يدور حول حادثة أو حوادث ، بل لها القائد المدح فهو عنصر عام فيها ، ولكن
الحادثة هي محور القصيدة ، بينما لاحظنا في القصائد ذات المقدمات التقليدية أن القائد
هو موضوع القصيدة ، والحادثة أو الحوادث فيها إنما أوردت باعتبارها أدلة على شجاعته .

- (١) ديوان صاحب شرف الدين الانصارى ص ١٧٨
(٢) الرونتين ١١٦/٢ (٣) النجوم الزائرة ٢١٧/٧ ص ٣١٨
(٤) خريدة القصر ، قسم شعراء الشام ٤٧٠/١ ، والرونتين ٣٢/١
(٥) ديوان أسامة بن منقذ ٢٠١

تدور المقطعات الشعرية حول حادثة واحدة ، وموضوع واحد ، وقد تستوعب عشرة أبيات أو أقل ، أو أكثر من ذلك بتأويل . ولهذا المقطوعات دلالات خاصة بها ، إذ أن الوقت الذي نذمت فيه لا يسمح بأن تكون قصيدة طويلة ، فتكون المقطوعة الشعرية كالخاطرة أو كالدقيقة الشعرية الحارة ، لأن موضوعها واحد مشير ، والاستثارة تتباين أشكالها بتباين الموضوعات ، فالحزن غير الفرح ، والفرح غير المدح وهكذا .

وفيما يلي أمثلة منوعة على المقطعات الشعرية ، حسب نوع الانفعال المضمن فيها :
١ . سجلت المقطعات الشعرية الحزن الذي دأبه المسلمون ، لسقوط البلاد الإسلامية بيد الفرنج ، ومن ذلك الدقيلة التي نسبت إلى مجهول في سقوط القدس ، والتي مطلعها :

أحل الكربلاء لاسلام ضياعا يطاول عليه للدين النحسب (١)
والقارئ لهذه المقطوعة يلاحظ أنها نثمة شعرية صادقة ، تنبعث من نفس حزينة لما أصاب المسلمين من ذل وخسارة وهوان ، وفي روح ثائرة تستصرخ المسلمين جميعا ، ولكي يدافعوا عن دينهم وأعراضهم ،

ومن هذه الحراطين الشعرية قول العبد أبي بشر بن الحواري في غراب معصرة النعمان ، وقد استوحى الصورة من غراب داره بعد هجوم الفرنج على مدينة المعصرة :

أهذي بين انكاري وعرفانسي	سارب الوعر أم داري وأوطاني ؟
جهاتها ولقد أبدت مازعها	عهد الصبا بين أخواني وخلانسي
فسمعت أسأ : وتندمع منكب	والقلب في لوحة من وجده عيان
يا دار مالي أرى الأيام قد حكمت	فيما وفيك بحكم الجائر الجانسي
فلو أجنبت لقلت مكانا فمنا	تدما ببجيرة نعمان ونعمان
وفي مدائن نو شديان معتبر	للسائلين وفي سيف وخندان
فأذهب لهدائك فالدنيا ليها دل	تضي وتأتي وكل بينها فان (٢)

إن القارئ لهذه الأبيات ليعلم ركبتها كبيت بدموع الشاعر لا بمداده ، وهذا الحزن الذي تعب عنه أبيات المقطوعة ، هو حزن جماعة الناس من البلد المنكوب لا حزن شاعر فرد ، فحسب ، ويؤكد ذلك ما وجدناه من مقامات أخرى لشعراء المعصرة ، ومنهم أبو سلامة محمود بن داوي الذي يقول :

أنا من بادية قنس الله يا جب	ح دايمها كما ترى بالخسراب
تتلى أنايتها وأندوا بدمع	من شيوخ وصبية وشباب (٣)

(٢) الشريدة ، قسم شعراء الشام ٨٧/٢

(٣) المصدر السابق ١٠١/٢

ومضهم دحية بن عبد الله بن نصر الذي يقول :

هذه صاح بلدة قد قضى الله
وقفت الصبيس وقفة وأبك من كا
واعتر ان دخلت يوما اليها
ولو تجاوزنا هذه الفترة التاريخية الى زمن الكامل بن الصادل لوجدنا النفحة
الحزينة تتبعث ثانية ، لسقوط القديريدي الفرنج ، وفي هذه الحادثة المولمة
يقول قاضي الداور :

مررت على القديريدي الشريف مسلما
خفانيت دمع العين غنى بهامة
وقد رام طلع أن يعقني رسومه
فقلت له شملت يمينك غلها
فلو كان يندى بالنفور رنديته
على ما تبتى من ربح وأنجم
على ما منى من عصره المتقدم
وشمر عن كثف لثيم من مسم
لستبر أو سائل أو مسلم
بنفسي ، وهذا الثان في كل مسلم (٢)

وقد شارك الشعراء بمقطعاتهم الشعرية في تقريب وجهات النظر ، ورأب الصدع ،
فحين تأكدت الوحشة بين نور الدين وتلج أرسلان الملقب ، أرسل تلاج الى
نور الدين يقول :

نقول ولكن أين من يتفهم
وما كل من قاس الأمور وساسها
وما أحد في الملك ينقو مخلدا
أمن بعد ما ذاق العدى طعم حريكيم
ربحتم الى حكم القناص بينكم
أما عندكم من يتقي الله وحده
تسالوا لعل الله ينصر دينه
ونهب من نحو الكافرين بحزيمة
ويعلم وجه الرأي ، والرأي مبهم
يوفق للأمر الذي هو أحسن
وما أحد مما قضى الله يستلهم
وفيك من الشحاء نار تضيئهم
أما في رعاياكم من الناس مسلم
إذا ما نصرنا الدين نحن وأنتم
بأمر لها تحوى البلاد وتقسم (٣)

وقد تطرق الشعراء في مقطوعاتهم الى الموضوعات العامة من فخر و مدح و وصف ،
ولكن الفرق بين القصائد والمقطوعات ، أن الاولى أطول من الثانية ، ولذا فقد
يتراوح الالتفات فيها بين القوة والشموخ ، فنبأ عن أن القصائد قد تحتوي على
موضوعات ، في حين أن المقطوعات تتبثق عادة عن انفصال شديد يصاغ في
أبيات قليلة ، فلا تجد فيها الذبذبة الشعرية التي قد نجدتها في القصيدة
الدلولة .

(١) النجوم الزاهرة ٢٠٠/٥

(٢) شذرات الذهب ٦٦/٥

(٣) ديوان تلاج بن رزيك ١٣٣ ، والكامل ٣١٨/١١

وقد عبرت بعض المقادير عن الأمان الكافة في النفوس ، فقد احتوت كتب الأدب
عدة روايات تذكر أن بعضهم قد رأى في المنام تأثراً يقول شعراً أو يشر بالفتوح
وانتهاء العصر ، كذلك التي سمعها أحدهم في مقامه تبين استرداد دميال :

لا تيا من لمسة قوراءها يسران وعد ليس فيه خـ
كم كربة قلق الفتى لنزولها لله في أعلامها ألسان (١)
ومنها ما قيل عما سمعه البوصيري في مقامه من نشيد قيل فتح عكا ، جاء فيه :
قد أخذ المسلمون عكسا وأصيبوا الكافرين صكسا
وساق سدا اننا اليه سمس غياذ تدك الجبال دكسا
وأقسم الترك منذ سسارت لا تركوا للفرنج ملكسا (٢)

ومما يندرج تحت هذا ، تلك المقامات التي كانت تكتب على الجدران ، ومنها ما
وجد مكتوباً على عتبة محراب المسجد في الرها :
أعجبت صغرا من بني الأصفر أختال بالأعلام والمبـ
دان من المعروف حال بسنه ناء عن النحش والمكـ
مظهر الرجب على أنسني لولا جمال الدين لم أظهر (٣)
وجمال الدين هذا هو الذي شجع عماد الدين زنكي على فتح الرها ، وشبهه بهذا
ما وجد مكتوباً على باب كنيسة في عكا :
أدعى الكناز إن تكن عشت بكم شم الأنوف ججاج أبلـ
فلطالما سجدت على أبوابكم يوم بيوم والحروب سجال (٤)
صبرا على هذا المصاب فإنسه
ولا بد أن القارئ لاحظ أن مصداق هذه المقامات لم يعرف اسم قائلها ، وهذا
يعني أن الشاعر غير مشهور ، وأنه قد انفصل مع الأحداث التي عبرت به ، فعبّر
عنها بلفظ موجز ملتبس ، فحفظ القول ونسي القائل . . .
ولا بد كذلك أن يلاحظ في هذه المقامات سهولة الألفاظ ، وقرب الصاني
وخلوها من التقليد الذي قد يذهب بحرارة القول .

- (١) الذيل على الروتين ١٢٩
- (٢) ديوان البوصيري ٢٣١
- (٣) زبدة الحلب من تاريخ حلب ٢٧٥
- (٤) درة الاسالك ورقة ١٦١ ، وجواهر السلوك ورقة ٤٨

بناء القصيدة :

اتضح من خلال الحديث عن مقدمة القصيدة أنها اتخذت ثلاثة أشكال عامة .
 فالقصيدة التي تبدأ بالنزول يتحدث فيها قائلها عن المرأة ، ثم ينتقل الى المسدوح ،
 ويذكر صفاته ، ويدل على شجاعته بأمثلة عليية مرتبطة بالتصدي للفرنج ، ثم يختم قصيدته
 بالمدح ، وقد يبين للمدوح قيمة قصيدته بأن يعجد فيه الشمرى .

وغالبا ما تكون القصيدة التي من هذا النوع طويلة ، وقد تصل أحيانا الى مائتي بيت كما
 عند الحماد ولناخذ مثلا شعريا واحدا على هذا النمط من القصائد ولتكن للشاعر
 ابن دنيير (١) ، يقول هذا الشاعر في مدح الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك
 الصادل ، وذكر نزول الفرنج على دمياط :

لهم حبّ قلبي إن تدانوا وإن صدوا	وإن قربوا أو حال دونهم البعد
صباية قلب قد تفرد بسسلاسى	بهم حين أقوى منهم الملم الفرد
أقم مأتم الأشواق إن كنت ذا هوى	يرنحه بان ويذكره رنسي
فقد هب من أرض العراق نسيمه	تضرع في أرجائها الملك والنس
ققوا بالحق النجدي تزجي طلائعها	من الشوق يحدوها من الوجد ما يحدو
وإن رمت وردا فيها فيض عرسي	لمينكم إن مسها ظمنا ورد
فلي بين هاتيك القباب غريفة	يطالبني في كل وقت بها الوجد
أحسن اليها ما تألق بسارق	حنينا يرى للنار من حره بسرد
ويطربني أن قام بالدوح ناصح	على عذبات الهان من شجوه يشدو
سقى الله نجدا ما حللت بأرضها	فان غيمتها فلا ستيت نجسد
جحدت الهوى خوف البشاة فأعريت	دموعي بما ألقى ولم ينفع الجسد
وإني وإن قامت قيامة عدلي	على كل حال ليس لي منكم بسد
أرى كبدى صدوة بعد بعدكم	وفي كل عضو من فرائكم كبس
وما أنا بالهاغي سواكم لخلصة	وإن أسعدت سعدى وإن وصلت هند

فهو يبدأها بالنزول التقليدي ، اذ يبكي على فراق الأوبة كلما هب النسيم . أو لاج
 بارق من أرض العراق ، ثم يأتي بالصورة التقليدية : صورة الثمائن ، وما يكتف الرحيل من
 حزن وحنين ، ثم ينتقل الى مدح الملك الكامل ، فيقول :

وركب تداعوا للمرى شت انيسرى	ليسني القري بعد الهدى ذلك الوفد
نقلت لهم والليل ملق جرانيسه	وقد ستر الآفاق من جندحه بسرد
ققوا حيث أنوار الهدى كاميسه	ونار الوغى والمشركون لها وقسد
فتم ترى الاسلام يسفر وجهه	سروا ونجم الحق في أنفه يسدو
فلولا سمى المطفى ووليته	وهي الدين بل كادت قوى الحق تشهد

ولا حملت ذاك المظلمة الجرد

فما صافحت بيض الصفاج ككفِّه

ويستمر الشاعر في مدحه ، ثم يذكر ما قام به في الذود عن الاسلام . . . وقد يكون من المفيد أن نلتصم علاقة المقدمة بالموضوع ، فابن دنيير كما يلحظ من قصيدته ترك المسراق وجاء الى أرض الشام ، ثم الى مصر ليجد حظوة يتخلص بها من الفقر الذي لاوصه ، فهو لم يحرض في حديثه عن الحب والشوق إلا لالاسى والالم والدموع ، (الابيات : ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٨ ، ١١ ، ١٣) ثم ينتقل الى الممدوح فتشبه نبرة الحزن ، وتعمل محلها نبرة القسوة ، ويستبدل بالصوت الصادفي الشجي ، صوتا هادرا قويا ، ويتصاعد هذا الصوت حتى يبلغ الذروة في الابيات التالية :

عن الملك أو صدوا من الأمر ما صدوا
تصدت فيه للحدى حين ما صدوا
متى عطشوا ، فالصوت دونهم ورد
على جود دمياطر كما أنتلم المقعد
حشاه حشايا ملوها الفهك والعقد

فقل لملوك الخافقين اليك
ملك البري أين الملوك عن الذي
أطمح أقوام بنعمتي عيشة
إلام التماذى والفرنج يجمعهم
فوالله ثم الله حلقة صادق

بجنب النبي المصطفى ذلك اللحد
ثم تلين الثبرات عندما ينتقل الشاعر الى طلب الرعاية من الممدوح ، فيقول :

لما طاب سكنى طيبة ، ولقد نبيا
ثم تلين الثبرات عندما ينتقل الشاعر الى طلب الرعاية من الممدوح ، فيقول :

يتم بها بين البري ضد السمعد
قدونك فضلا حال عن جزره الصد

ثم يختم القصيدة بمدح شمره ، فيقول :

يد الدهر يرويه لرونقة الضمير

فخذ ، واستمع مدحا تمد لسواه

ويلاحظ أن القصيدة تدور حول محور واحد ، وإن تعددت جزئياتها ، فالبكاء والحزن ناشيان عن فقر الشاعر ، وذكر الظلمات يمثل الارتحال الى الممدوح للتخلص من الفقر ، إذ ان الممدوح يتصف بالكرم الى جانب الشجاعة وصفات عظيمة أخرى من أعمال الجهاد ومقاومة العدو . . .

أما القصيدة التي تخلصت من المقدمات النزلية فتجد طابع القوة فيها من البداية حتى النهاية ، وهي تدور حول بطل المصرة وحوادثها ، فتجد القائد ، وتضفي عليه صفات القوة والمظلمة ، أو تتحدث عن وقائع المصرة وجوها وأسلحتها ، أو تشيد بالنصر وتعدد بهزيمة الفرنج .

ولنأخذ مثلاً غير منتقى على هذا الجانب وهو قصيدة ابن الساعاتي في فتح طبرية ،

يقول :

نقد ثرت عيون المؤمنين
فدا عرف القضاء بها ضمينا
يحرز على الحوالي أن يهوننا

جلت عزما لك الفتح الهين
رددت أخيدة الاسلام لينا
وحان بك الصليب وكان قد مينا

وأنت تتقاتل الأعداء ديننا
وفي جسد العلى عدا ثمننا
ويا لله كم أسرّت قلوبنا ... (١)

يقاتل كل ذي مُلك ريسا
عدت في وجنة الأيام خالا
فيا لله كم أسرّت قلوبنا

تبدأ القصيدة بذكر النتيجة وهي النتج ، واستقرار نفوس المسلمين باسترداد ما سلب من حقهم ، فهم في تلهف لرؤية المدينة المستردة ، واستنشاق هوائها ، إذ أن النصر عذوة خاصة ، لأن استرجاع المدينة لم يكن أمرا سهلا ، أو بلا ثمن ، فالمدينة حصينة ، ترد المهاجمين ، وكأنها المرأة المقيمة المحصنة ، التي تتأبى على الرجال ، هل تترفع عن أكف اللامسين ، ومع ذلك فإن الإعداء السليم ، والتضحية ، جعلوا هذه المدينة تليق ، وتنتج ذراعها للقائد المجاهد ، إعجابا به ، وتنديرا له :

وما طيرة إلا ...	ترفع عن أكف اللامسين
حصان الذيل لم تقذف بسرا	وسل ضحا الليلي والسنين
ففضت ختامها قسرا ومن ذا	يسد الليث أن يلج الصرين
لقد انكحتها صم العوالسي	فكان نتاجها الحرب الزونسي
هناك ندى أهل الأرض طرا	سواك ومحفل أعياء القرون
قست حتى رأيت كفا فلانست	وظاية كل قاس أن يلين

ثم ينتقل الشاعر إلى ذكر أهمية النتج للمسلمين ، وخطورته على الفرنج ، فتستولي عليه الفرحة ، ويدأب من بلد بفتح إلى آخر ثم يختصم بالثناء على هذا البطل القائد ، فيرى فيه أعظم الأبطال ، وأن كان آخرهم زينا ، مثلا أن محمدا عليه الصلاة والسلام أعظم الأنبياء ، وأن كان خاتمه :

وان تك أخرا وخسك دم
وهي خاتمة رائعة لحادثة رائعة ...

* * *

أما المقطعات الشعرية ، فهي ومضات سريعة تحمل قوة الانفعال ، وسرعة المروءة ، فأبياتها أقل من النوعين السابقين عددا ، وحرارتها متأججة ، وصورها قليلة مركزة

المواطف :

تكسب المواطف التي تكتنف النص الأدبي مادة النص حرارة تتناسب مع درجة انفعال الأدب ، فإذا لم ترتفع درجة الانفعال في النص الأدبي عن درجة الانفعال المادية التي يحس بها كل فرد ، فإن هذا النص سيغفوق كل الاخفاق (٢) .

(١) الروضتين ٢ / ٨٤

(٢) انداد حول هذا الموضوع كتاب سيد قطب ، النقد الأدبي ص ٦٥

وهري د . أحمد الشايب أن المواطف نوعان : ذاتية تقع في دائرة ضيقة ، وانسانية تستقطب مشاعر ابناء اللغة أو من يتفهمها ، لأنها تقدم الافكار بطريقة مؤثرة تستميل النفس وتسرب المعاني الى الذهن (١) .

ومن المسلم به أن نوع الانفعال يرتبط بمادة النص ، فالقصيدة الحربية التي تتحدث عن موقعة فاصلة ، تثير انفعالا حماسيا شديدا ، بينما القصائد الخزلية أو القطعيات الشعرية كتلك التي نظمها ابن القيسراني في الفرنجيات ، تثير نوعا مختلفا من الانفعالات يشيب فيها الاندفاع والعنف .

وبين قصائد العرب وقصائد الخزل أنماط من القصائد تثير أنماطا مختلفة من الانفعالات ويصاحب هذه الانفعالات جرس موسيقي يتناسب عادة مع مادة النص كذلك ولناخذ أمثلة على أنواع المواطف والانفعالات في شعر هذه الفترة ، وبين ارتباطها بالجرس الموسيقي الخارجي المتمثل في الوزن الشعري ، والجرس الداخلي المتمثل في موسيقى الالفاظ والحروف

١ . الماطفة الدينية :

تهرز هذه الماطفة في القصائد الحربية بشكل واضح . فما من قصيدة تخلو من ربط الحادثة أو مطلبها بالشعور الديني ، وهذا أمر طبيعي ، لان الحروب الصليبية اتخذت في كثير من جوانبها شكل صراع عقائدي ، وقد أكتسبت هذه الماطفة الشعر عنصر إثارة ، وحرارة ، نحس لفحها في قصائد كثيرة ، منها قصيدة ابن منير الطرابلسي ، التي نأخذ بعضها شاهدا على ما نذهب اليه ، يقول بهذا الشاعر :

أقوى الضلال وأقفر عرصاته	وعلا الهدى وتهلجت قلماته
وانتاش دين محمد محبوه	من بعد ما علت دما عبراته
ردت على الاسلام مصر شبابه	وثباته من دونه ، وثباته

ويبدو من المقدمة أنها تحمل انفعالا دينيا قويا ، يتخذ شكل المقارنة بين الفرنج والمسلمين ، فأولئك أهل ضلال اندثر ، ولم يدع منه سوى رسوم تدل عليه ، وهو لا أهل الهدى الذي أهل وابتنى . وفي هذا الاطار من الاضطراب المعنوي ، يوضح الشاعر عمل نور الدين في تعزيز هذا الدين ، ويحرص الشاعر على أن يقدم هذه الماطفة في ظلال التحنان الى الماضي المجيد ، والمقابلة بين قوة في عهد نور الدين ، وضعف في عهد الحكام المتخاذلين الذين سبقوه . ولو تابعنا ابن منير في قصيدته الطويلة هذه ، لوجدناه يلج على فكرة المقابلة بين المسلمين والفرنج ، ضمتينا بالتحركات السريعة لمقاطع البحر الكامل لوضع القاري في جوشك متحرك :

(١) انظر كتاب د . أحمد الشايب ، أصول النقد الادبي ، فصل المواطف .

حَدَّثَ الْقَوَامِ فِيهِ بِحَدِّ قَمَاصِهَا حُرِبَ يَصْلُحُ فِي الطَّلَى صَحَقَاتِهِ
 نَبَذَ وَالسَّلَاحَ لِنُفُوسِهِ ، طَادَاتِهِ فَرَسَ الْفَوَارِسَ ، وَالْقَنَا غَايِلَتِمْسِهِ
 لِحَرْبٍ عَمِيَّةٍ غَضِبَتْ تَسْمِيَّتِمْسِهِ لِلَّهِ مَحْتَصِمَةٌ غَزَوَاتِمْسِهِ . . .
 ثُمَّ يَقُولُ :
 صَدَمَ الصَّلِيبَ عَلَى صَائِبَةِ عَمُودِهِ فَتَفَرَّقَتْ أَيْدِي سَبَا خَشْبَانَتِهِ (١)

(٢) عَادِلُفَةُ الْكِرَاهِيَةِ :

وعلى عادِلُفَةٍ لَا يَكَادُ يَخْلُو مِنْهَا شَعْرٌ قَبِيلَ فِي الْعُرُوبِ ، وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ اسْتِثَارَةِ الْجُنْدِ
 وَالنَّاسِ ، لِلْوُقُوفِ فِي وَجْهِ الْعَدُوِّ ، وَمَحَاوِلَةِ الْقَنَاءِ عَلَيْهِ .
 فَلَا عَجَبَ ، إِذْ نَ تَرَى الْمُشْرَاءَ الْحَرْبَ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ يَحْفَظُونَ بِكَرَاهِيَةِ الْخِزَاةِ
 حِينَ يَنْظُمُونَ شَعْرًا يَرْتَهَدُ بِالْوُجُودِ الصَّلِيبِيِّ فِي الْبِلَادِ . وَمِنْ خِلَالِ شَعْرِهِ
 الْكِرَاهِيَةِ يَحْرُضُونَ قَادَةَ الْمُسْلِمِينَ خِلْفَ الْعَدُوِّ ، وَيَشْتَتُونَ بِهِ حِينَ تُلْحَقُ بِهِ الْهَزَائِمُ .
 يَقُولُ الْحَمَادُ مَحْرُوفًا صَالِحَ الدِّينِ عَلَى اسْتِرْدَادِ مَا تَبَيَّنَ مِنَ الْأَرْضِ الْمُحْتَلَّةِ ، بِحَدِّ
 أَنْ اسْتَرَدَّ الْقُدْسَ :

بِمَا بَحَدِّ فَتَحَكَ بَيْتَ الْقُدْسِ ، لَيْسَ سِوَى صَوْرَ فَإِنْ فَتَحْتَ فَاقْصِدْ طَرَابِلَهَا
 أَثَرُ عَلَى يَوْمِ انْطَرَسَ سِوَى ذَا الْجَسْبِ وَابْعَثْ إِلَى لَيْلِ انْطَاكِيَةِ الْحَمَا
 وَأَخْلَ سَاحِلَ هَذَا الشَّامِ أَجْمَعِمْسِهِ مِنَ الْعُدَاةِ وَمَنْ فِي دِينِهِ وَكَمَا
 وَلَا تَدَعْ مِنْهُمْ نَفْسًا وَلَا نَفْسًا فَإِنَّهُمْ يَأْخُذُونَ النَّفْسَ وَالنَّفْسَ (٢)

وَقِيلَ ذَلِكَ قَالَ ابْنُ مَنِيرٍ فِي تَحْرِيفِ نَوْرِ الدِّينِ عَلَى الْخِزَاةِ :

أَنْ الْأَدْلَى أَمْنُوا وَقَاعَكَ بِحَدِّ حَمَا غَرُّوا ، وَقَدْ رَكِبُوا الْأَغْرَ غَرُّرُوا
 أَلْقَى الْحَمَا فِيمَنْ أَدْلَاغَ وَمَنْ عَصَى مِنْهُمْ ، وَوَدَّ أَرْضَهُمْ تَدَمَّيْرًا
 لَا يَلْهِيهِمْ أَنْ قَدْ مَنَنْتَ ، وَشَتَّهَا شَمَّوْا تَعْلَى الْكَافِرِينَ سَمَّيْرًا
 بِأَكْرِ بَرَكْزَ قَنَا لَتَشْفَافَ أَسْهَمَهَا وَالْخَيْلَ صَوْرَكِي تَزِيرُكَ صَمَّوْرًا
 وَتَرِيكَ لَامَعَةً التَّرِيكَ بِسَاحَةِ الْأُ قَصِي مَطْهَرَةً لَهَا تَطْهِيْرًا (٣)
 وَتُظْهِرُ هَذِهِ الْعَادِلُفَةُ فِي مَوَاطِنِ التَّحْدِي بِدَرَجَةِ أَكْبَرِ ، وَمِنْ غَيْرِ مَا يُمَثِّلُ هَذَا الْجَانِبَ
 قَصِيدَةُ ابْنِ عَيْنٍ فِي فَتْحِ دِمْيَاطَ الَّتِي مَالَمَهَا :

سَلُّوا صَهْوَاتِ الْخَيْلِ يَوْمَ الْوُغَى عَنَا إِذَا جَهَلْتَ آيَاتَنَا وَالْقَنَا الدَّنَا
 فَمَنْ أَوَّلَ بَيْتٍ لَحَسَّ بِالشَّدَةِ وَالصَّائِبَةِ وَالْاِعْتِدَادِ بِالنَّفْسِ ، وَلَمَّا تَتَابَعَ الْأَصْصَوَاتِ
 الْمُتَشَابِهَةِ فِي الْبَيْتِ يُوْحِي بِالتَّحْدِي وَالْاِعْتِدَادِ مَسَا .

(١) الرَّوْنَقَيْنِ ج ١ ق ١ ص ١٥٦ (٢) المصدر السابق ١٠٢/٢

(٣) المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ٢١٧

وقد تجلت هذه العواطف في أوقات الضعف التي مر بها المشرك، الاسلامي
كفترة سقوط القدس والمصرة ودمياط وغيرها .
ومن القصائد التي تحفلت فيها هذه العواطف قصيدة ابن الجاور في تسليم القدس
للفرنج سنة ٦١٠ هـ ، اذ يبدأها بالبكاء والنداء الحزين لعينيه ، بأن تذرف الدموع
وتواصل البكاء ، لمل الدمع يكون سبيلا لان يدافى ما في القلب من حرقنة ،
يقول :

أعيني لا ترقى من الصبرات	صلي في البكا الأصال بالبكرات
لعل سيل الدمع يطفى فيضها	توقد ما في القلب من جمرات
ويا قلب أسمر نار وجدك كلما	خبت بآركار يبعث الحمرات
ويا فم يبع بالشجونك لعلسه	يروح ما ألقى من الكريات (١)

ان النداء المتكرر ليوحي بالحسرة والتلطف ، كما أن القافية المكسورة المسبوقة بالمد
يتناسب وقصها مع الجو الحزين ، وليس من العجيب أن تشترك قصيدة العماد في
رثاء صلاح الدين مع هذه القصيدة في كثير من أدوات الحزن فيها ، يقول العماد
في رثاء للبال المسلم الراحل :

فحل الهدى ، والهلك عم شتائه	والدبر ساء ، وأتلفت حسنايه
أين الذي مذ لم يزل مخشيه	مرجوة رغبائه وهباته
أين الذي كانت له إباءاتيه	مبذولة ، ولربه طاعاتيه
بالله ، أين الناصر الهالك الذي	لله خالصة صفت نيائيه (٢)

أما الحزن والحسرة على سقوط المصرة تحملة مقابلة أبي بشر بن الخواري ، التي
يبدأها أيضا بالاستنهام والبكاء والنداء ، ويتكرر فيها حرف المد وتنتهي بروي مكسر
أهذه بين إنكاري وعزائبي
جهلتها ، ولقد أبدت ملامحها
فمجت أسألها ، والدمع منسكب

أما الحزن على دمياط ، فقد امتزجت فيه الشكوى بالتحريض ، وجاءت أدوات الحزن
متكررة متنوعة . يقول الأمير جمال الدين الكثاني في رسالة شعرية بعث بها من
داخل دمياط المحاصرة :

يا مالكي ! دمياط شفر هدمت	شرناته ، كادت تجث أصوله
يقربك من أزكى السلام تحمسة	كالملك ، طاب دقيقه وجليله

المصدر السابق ٢/ ٢١٥

(١) الروضتين ٢/ ٢٠٥ (٢)

(٣) الخريدة ، قسم شعراء الشام ٢/ ٨٧

حتى كأنك جاره ونزيله
بين الملوك شبيهه وعديله
بجميعه فرسانه وخيوليه
والبحر عز لنصره أسطوله
وحينه وكاؤه وعويليه
ما إن يمل من الدموع غموله
لكنه سددت عليه سبيله
دين الاله وخلقه ورسوله
علائه ونجا عليه نحوله (١)

ويقول عن يحد ، وإنك سامع
يا أيها الملك الذي ما إن يرى
أشكو إليك عدو سوء أجهت
فالهر قد منعت اليه طريقه
فغضب وغمه ياد على إبراهيم
والشمر ناداه الملك محدد
ولو استطاع لأم بابك لائبدا
ورسوله في أن تجيب دعائه
فقد انتهت ادواؤه وتحكمت

ففي الأبيات الأولى تأخذ الشاعر القصة ، ويتهدج صوته ، ثم ينتقل إلى مخاطبة الملك
الكامل ، ويشكو اليه سوء الحال ، بسبب حصار القريش لدماط ، ثم يعرض صورة مؤثرة
تعكس ما يعانيه الشمر من ضيق ، ويكرر هذه المواقف والمخاض لكي تحرك مشاعر الكامل
وتدفعه إلى العمل ، وقد حصل ما توقعه فعلا ، إذ أنه عندما وقف الكامل على هذه
الأبيات ، أمر أهل القاهرة ومصر بالتغير للجهاد ، وكان قد بحث إلى أخيه الأشرف
يستحثه على سرعة العضور بأبيات مشيرة ، قال فيها :

فانهض بخير تلث وتوقف
بتجشني سيرها وتبسف
الا على باب الطوك الأشرف
ما بين كل مهتد ومثقف
يوم القيامه في عراش الموت (٢)

يا مسجدي إن كنت حقا مسجدي
واحث قلبك مرقلا أو موجفا
واطو البنازل ما استطعت ولا تخ
إن تأت عبدك عن قلوب تلقه
أو تظن عن انجاده ، فلقبائه

وقد سبق الحديث من خلال المقدمات من أنواع أخرى من المواطف الحافزة على قول
الشمر ، ومن هذه : الإعجاب بالقائد ، والاحساس بالنشوة حين النصر ، وشعر الانتصاف
إلى الأمة . . . إلى غير ذلك .

ومن خلال الأمثلة التي تقدم تحليلها في هذا القسم يمكننا أن نقول :
إن عواطف الشمر في قصائدهم الحربية عواطف صادقة ، لأنها تنطلق من احساس
شديد بالأحداث ، وانتفاء قوى إلى الحجت وعقيدته وعشارته ، وارتباط بالموطن ، واعجاب
بالبطل ، إلى غير ذلك مما سبقته الإشارة إليه ، ولذا فإننا نحس في كثير من الاحيان
بتوهج الأبيات ، بل أننا نحس بأننا نتفاعل مع الشاعر ، وكأننا ينقل إلينا مشاعره بالصداق
وإذا نحن وهو في وضع عاطفي واحد .

(١) الملوك لمصرفة دول الملوك ج ١ ق ١ ص ١٩٩

(٢) المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ١٩٧

وهذا الصدق في التعبير هو صدق شمره ، ولا يستلزم الصدق الشعري دقة
صدقا في نقل الوقائع ، إذ إن الشاعر ينقل لنا الوقائع والأحداث ملونة بمشاعره ، ومواقفه
الخاصة ، وكذلك بأحاسيس المجتمع الذي ينتمي إليه ، مما يجعل النص أكثر تأثيرا .

وقد عرّفنا ألوانا مختلفة من عوالم الشعراء ، فوجدنا أشدنا تأثيرا وقوة مـ
يرتبط بالتحديد والتجريد ، حتى ليجد الدارس النبرة الخطابية واضحة فيها .

ومن عوامل التأثير في الشعر ، المنصر الموسيقي ، المرتبط بالبحر والقافية
والموسيقى الداخلية ، وما أن الشعر العربي في غالبه ينبع عن القوة ، فإن من المترواح
أن تكون موسيقى القصائد الحربية توحى بالقوة ، ولعل الجدولين التاليين ، المرتبطين
بموسيقى الشعر العربي الذي أخذته من الروبتين ، يمداننا فكرة عن أشيع بحر
الشعر والقوافي التي استعملت في القصائد ذات السمات الحربية :

البحر	مجموع القصائد
البحر	٣٧
البحر	٢٦
البحر	٢٥
البحر	١٠
البحر	٩
البحر	٨
البحر	٥
البحر	٤
البحر	٢
البحر	١
البحر	١
البحر	١

وكانت حروف الروي كما يلي :

حروف الروي	مجموع القصائد
حرف	٢٤
حرف	١٦
حرف	١٤
حرف	١٤
حرف	١٢
حرف	١٠
حرف	٨
حرف	٦
حرف	٥
حرف	٥
حرف	٣
حرف	٣
حرف	٢
حرف	٢
حرف	١
حرف	١
حرف	١

ويلاحظ أن البحر الكامل قد تكرر استعماله في هذه القصائد سبعة وثلاثين مرة ،
وهذا أمر طبيعي لأنه يحتوي على ثمانية عشر مقطعا صغيرا واثنى عشر مقطعا طويلا ، ولعل
ما يوحى به البحر من حركة متصلة ، يتسق مع الانشغالات الشديدة التي ترافق الحروب
في الميدان ، كما يصور جو المعركة وما فيها من حركة أيضا . أما البحر الطويل ، فهو
عشرون مقطعا طويلا وثمانية مقاطع قصيرة ، فهو يتسع للموضوعات الجادة والمواقف الخطيرة
وقد استعمله قدامى الشعراء في شعر البطولة (١) .

1-Mahmud Ibrahim , Martial Poetry under the Hamdanids
of Aleppo . p.p 461-463 (PH.D 1965)
وانظر كذلك كتاب د . أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ص ٣٦٢-٣٦٥

أما البحر البسيط الذي يأتي ثالثاً ، فهو قريب من البحر الطويل ، إذ إن عدد الحركات فيها يكاد يكون متساوياً ، وكثيراً ما استعمل هذا البحر في الموضوعات الرصينة الجادة كذلك . على أنه لا بد من القول ، أنه لا يوجد رابط حاسم متفق عليه ما بين موضوع القصيدة الشعرية ، ومخرجها ، وإنما هي استقرأت تستند على مدى شيوع استعمال بحر ما في موضوع من الموضوعات .

وكما أن موسيقى البحور تنفي على الشعر جواً معيناً ، فإن حروف الروي تنفسي مثل هذا الأثر كذلك على الشعر ، وقد لوحظ أن حرف الراء قد تكرر في أربع وعشرين قصيدة من القصائد التي استقرت ، ثم يأتي حرف الدال في المرتبة الثانية ، وقد جاء في ست عشرة قصيدة ، ثم حرفا : الميم والنون في المرتبة الثالثة ، وقد تكرر في ثمان وعشرين قصيدة . ولعل هذه الأحرف الأربعة تمثل أصواتاً تتناسب في وقعها على الأذن مع أجواء العرب ، لا سيما أنها من الحروف التي كثر استعمالها في قوافي القصائد العربية .

التصوير :

يختلف الناس بعضهم عن بعض في نقل الأفكار ، فبعضهم من ينقل الفكرة مجسدة ومضم من يخلقها بالصور الشائقة ، ومضم من يصب عليها من قلبه ما يمشج الدف والحرارة فيها

ثم ، إن تميز الشاعر عن بقية الناس بشدة الاحساس بالحياة وما يجري فيها ، يجعله أقدر من غيره على التفاعل مع الأحداث وتصويرها تصويراً يحمل طابعه الذاتي ، وهذا التصوير يحمل كل كلمة في الثن الشعري تودى وظيفة معينة في نقل الفكرة ، ولذلك فإن للكلمة تأثيراً خاصاً

ولعل الصور التي تثيرها الكلمة هي التي تبحث الحياة في النفس الأدبية ، وتكسبه القدرة الإيجابية ، وهي التي تجعل القارئ يتقبل على نبي من العمل الأدبي دون نوع آخر . ومن المسلم به أن الصور الشعرية مرتبطة بالفكرة أشد ارتباطاً ، لأنها تغير عنها ولكن ذلك لا يعني أن تكون الصور في الشعر الحربي مشتقة من مناظر الحرب فقط ، بل أن مصادر الصور متنوعة ، يلجأ الشاعر في تكوينها إلى مصطلحات البيئة المحلية ، والثقافة ، والتجارب الشخصية .

وبطول الحديث لو حللنا عناصر هذه المصطلحات ، وعبرنا لها الأمثلة ، ولذا ، فقد يكون من المجدي اختيار أمثلة معينة ، وتوضيح مصادر الصور من خلالها

١ . يقول ابن دنيشير في سرقة دمهات :

- | | |
|-----------------------------------|-------------------------------|
| ١ . يا يوم دمهات قد راحت مسودة | منك الطروس وقد سارت بك المسير |
| ٢ . تهلل الدين والدنيا به فرحسا | واستبشرت مكة والجعر والحجيسر |
| ٣ . لم نخش يثرب تثيراً لفادحة | من بعده إذ سرت في ذكره المسور |
| ٤ . أنطق خرمن الأمانني وهي صامته | ورضت صعب الصماني فهي تيسر |
| ٥ . أهبست أهل الهدى من نصرة حلالا | والشرك قد حل منه الأزد والأزد |

يكاد منه فواء الدهر ينقطر
عن فخريها وهو طويل الدهر يفتخر
فالشرك مخذل والحق منتصر
زور الأُسنة فهي الأُفجج الزُّشكر
لكنها بظلام النقع تستقر
بنصره ، وصليب الشرك منقصر
كسر مدى الدهر منك ليس ينجير
ذرها ، فأنبت لديه عمل له جزر
وفي السماء قضاء الله والقسط
رووسهم منك تار الحرب تستر
وبين سمر القنا والموت منكسر
وللسيوف ، البطلن والبهام والقصر
وما دروا أنه عجز به العبير
وقد راوا قارة هانت لبها الفير
بأن سيفك لا يبقى ولا يبذر
وبل طويل وقد واقاهم الخبر
من يوم أسك حصرا ليس يشجر
فيها لخوفك ، إن قالوا وإن ذكروا
إن قيل عودوا ، نعد بالسيف ننصر
ولا خنين ، وإن عدوا وإن شهروا (١)

٠٦ في يوم ذي رجع لا وصف يدركه
٠٧ يوم تدن له الأيام إذ غرست
٠٨ في حالة جمع الضدين في قرن
٠٩ قد عاد صبحهم ليلا تضى به
١٠ والشخص طالعة فيه وغاريسه
١١ والدين قد تليت آياته فرحنا
١٢ يا دين عيسى بعيسى قد خذلت ودا
١٣ واقاك في جعفر ضاق القضاء به
١٤ أتى بجيش يوغى في الأرض عسكره
١٥ فالبحر من تحتهم أذيه وعلى
١٦ وزعمهم بين بيض الهند مصلته
١٧ نللرماح قلوب منهم أبسدا
١٨ أموا المهور إلى دمياط تحضنهم
١٩ راموا - بحيث اطلخهم لأمر سلمهم
٢٠ لم يطلبوا السلم إلا بعد علمهم
٢١ أضحى لرومية الكبرى بها شهدوا
٢٢ إن لم يكن حوصروا فيها فإن بها
٢٣ يحشون همما ، وإيما جديهم
٢٤ نهاهم الرب عن عود فمقصصة
٢٥ ما يوم يذر بأعلى منه أو أحد

ففي هذه القصيدة يرسم الشاعر صورة دمياط ، وقد تغلصت من الفرنج بعد معركة طويلة ، فقدم النتيجة على المعركة ، لئلا لأنها كانت مسروقة ، ثم أخذ يصف قوة الفرنج ، ولكن هذه القوة لم تغن عنهم شيئا ، ولم تدفع كثرتهم الهزيمة ، بسبل سقطوا موزعين بين النار والماء ، والسيوف والرماح .

أما مصادر الصور فهي إما مأخوذة من حياة الناس ، وأتوا لهم وممارساتهم كالتهلل والاستبشار (بيت ٢) والنطاق (بيت ٤) والهمس ، والاشارة (بيت ٢٣) واللباس (بيت ٥) والثلاوة (بيت ١١) ، أو مستمدة من الجوا الحربي كلمتان الاتصال ، والسيوف وغار المعركة ، والبحير ، والمعركة البحرية والنار المحرقة . . .
(الآيات ٩-٢٣) ، أو من الحياة الدينية ، كحكة والججر والججر ، والمدينة الضورة (بيت ١-٢٤) والهدى والشرك (بيت ٥-٨) صدر وأحد وخنين (بيت ٢٥) .

٠٢ ويقول فتيان الشاغوري في فتوح صلاح الدين :

أنشأت ملحمة تمل معاقبل ال
أعرابها هرب الحسام ونقلها
والحبر بحر دم تغلظت موجته
والبيض تنثر وهي غير خواطسب
والخيل ملربة كأن صهيلها
نشوى حميد من السرور كأنصبا

فرسان بالمدو الذي لم يهصر
وقع السهام وخطها بالسهمري
إذ ليس ثم سوى الثرى من دفتر
والسمر ناظمة وإن لم تشمس
شدو النحلة في نسيب البحري
صبحت كوكباً من شراب مسكر (١)

ومصادر الصور في هذه الأبيات متنوعة ، أبرزها الاعتماد على الثقافة اللغوية والأدبية
مثلة في : الإعراب والنقطة والخط والنثر والنظم ، وأدوات الكتابة من حجر وورق .
وقد اشتق بعض الشعراء الصور البيانية من أسماء الفرج وقادتهم ، كما في أبيات
العماد التالية :

لما رأى الداوي راونداه
طلب الفريزي القرا بطلبه
والهافري مذ هان فرموه
باروا فبارو نيهم بفنائسه

ولى بطاعون بغير طعمان
متباعدة من هلكه المتدانسي
لساذمة ، والهون شأن الشاني
مود ، وسيرهم أسير عسان (٢)

وهذا يمكن تلخيص مصادر الصور الشعرية في شعر الحروب الصليبية ، بما يلي :

- | | | | |
|----|-------------------|----|----------------|
| ٠١ | الحياة الاجتماعية | ٠٤ | جو الحرب |
| ٠٢ | الحياة السياسية | ٠٥ | البيئة المحلية |
| ٠٣ | الحياة الثقافية | ٠٦ | الحياة الدينية |

الصور التقليدية :

سادت الروح الاتباعية أدب هذا العصر ، فأتكا شعراء الحروب الصليبية على التراث
الأدبي السابق ، وأخذوا منه كثيراً من الصور ، بالإضافة إلى التأثر بالجو العام للقائد
الحربية في العصور السابقة .

وقد ناقش الدكتور محمود إبراهيم في كتابه : " صدى الفزو الصليبي في شعر ابن
القيسراني " هذه الزكرة مناقشة وافية ، استعرض فيها أسباب هذه التبعية ، واستوعق
أمثلة كثيرة من شعر ابن القيسراني في تأثره بالمكتبي وأبي تمام (٣) .

- (١) ديوان فتيان الشاغوري ص ١٤٢
(٢) الخريدة ، بداية قسم شعراء الشام ٥٥ ، ٥٩ ، وانظر الروضتين ٥٧٩/٢/١ و ٥٢٩
(٣) صدى الفزو الصليبي في شعر ابن القيسراني ص ١٧٦ - ١٩٦

وليس من الضروري ، في هذا المقام ، استعراض كل صورة اقتبسها شعراء هذه
الفترة من الشعراء الأقدمين ، فذلك يحتاج إلى دراسة خاصة ، ولذلك فأننا نعرض
بعض الصور التي تردت في شعر العرب الصليبية ، وأخذها أصحابها من الشعراء السابقين
ويمكن عرضها كما يلي :

١ . صورة الجيش الإسلامي يظلمه جيش من الديور :

وقد تكررت هذه الصورة في الشعر العربي غير مرة ، منها قول فتيان الشاغوري
في وصف جيش صلاح الدين :

خيمته له الرايات ظل وفوقه
من الطير ظل يحجب الشمس سادل (١)
وقوله :

جيش لهم ، خلق الطير فوقه
ستضي لكم أحشاؤه من نواويسا (٢)
وصف العماد تزاحم الطيور الجارحة في الجو وكأنها جيوش تتزاحم فرسانهم
فيقع الصدام بينها ، يقول :

تزاحم فرسانها الضاربسات
فتضدم فيها النسر والنسر (٣)
ويقول ابن دنينير في مدح الملك كوكبري بن علي بن بكتكين :

وما زلت في جيشين : جيش مقاتل
وجيش على القتل من الطير حائم (٤)
وقد وردت هذه الصورة في شعر الجاهلي ، وردنا أسامة بن منقذ إلى الأقبية
الأودي إذ يقول :

وثرى الطير على آبارهم
ثم أخذها التابضة فقال :

إذا ما غزا بالجيش خلق فوقهم
عصائب طير تهدي بعصائب
جوانح ، قد أيقن أن قبيلهم
إذا ما التقى الجمعان ، أول غالب
ثم أخذها الحليئة ، ثم حميد بن ثور ، ثم مسلم بن الوليد ، وأبو نواس ثم أبو تمام
والمتبي ، إذ يقول الأخير :

له عسكرا خيل وطير إذا رمى
بها عسكراً لم تهق إلا جماعه (٥)

(١) ديوان فتيان الشاغوري ٣١٢ (٢) المصدر السابق ٢١٤

(٣) الخريدة ، هداية قسم شعراء الشام ص ٢٩

(٤) ديوان ابن دنينير ورقه ٥٢

(٥) الهدى في نقد الشعراء ص ٢٦٤

٢٠ صورة الجيش الاسلامي الكثيف المدجج بالسلاح :

وقد جاءت هذه الصورة في شعر الحرب العربي ، فاستفاد شعراء هذه الفترة من الصور القديمة وأوردوا في شعرهم وصفا للجيش الاسلامي ، فقالوا إنه يزحف كالجراد ، ويحمل من السلاح اللامع والسهم الكثيرة ما يشبه أغصان الشجر فسي الثابت ، كما وصفوا انقراض السهام والرمح بانقراض الشهب ، يقول معاذ الأعشى في وصف جيش صلاح الدين :

عمر كالمدين الدايار منتشبر
إذا نهبت إلى أرض الحدوبه
تسبح عليه سماء من عجاجتسه
وفي ياجيه نار من صوارمه
ويقول ابن اسعد الموصلي متعديا الفرج بغير انتصارهم على نهر الدين :
هالاً وقد ركب الأسد الصقور وقد
سألو الذئبي تحت غابات من الأسل (٧)

٣٠ صورة جيش العدو المهزوم :

وقد قدم الشعر لهذه الصورة ألفة تحمل معنى الاستهزاء ، فهم لا يفرقون بين وخز السلاح ووقع حيات المار الشديد تنير أجسامهم ، وقد اعتمد ابن القيسراني في هذه الصورة حين قال :

صاب الخمام عليهم والسهم ما
على صورة العتبي التي يقول فيها :
يششاهم ملو السحاب مفضال
بشهند ومثقف وسهيلان

٤٠ التأثر بقصائد الشعراء السابقين عامة :

فقد اعتمد الشعراء على قصيد تالبي تمام الهائيتي وزنها ورويها وصورها ، ومن الشعراء الذين قلده ابن القيسراني في قصيدته التي مطلعها :
هذي المزائم لا ما تدعي القشب وذئ الفكارم لا ما قالت الكتب (٤)

(١) الخريدة ، قسم شعراء الشام ١٤ / ٤١٤

(٢) المصدر السابق ٢ / ٢٨٩

(٣) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٤١

(٤) المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ١٥٢

وشهاب الدين محمود في قصيدته التي مدحها :
الحمد لله زالت دولة الصلب وعز بالترك دين المصطفى العربي (١)
وأخذ ابن دنينير من قصيدة أبي تمام البائية بعض الصور في قصيدته التي يصف
فيها فتح ذي قار ، ومدحها :
ها قد بلغت الذي قد كان ينتظر الله أكبر هذا النصر والتفكير
وفيها يقول :

هذا هو الفتح فتح لا يقوم به نظام المديح ولا نثر فيستكبر
فتح مبين وفي من كل موقعة لم يبق من بعده ذنب فيشتكر
يا يوم ذي قار قد راحت مسودة منك الداروس وقد سارت بك السير (٢)
ومن الشعراء الذين استمدوا من قصائد أبي الدبيب المتبني ابن أسعد الموالي
في قصيدته التي يمتدح فيها عن كسرة نهر الدين ومدحها :
طلب المواضي ، وأطراف القنا الذبيل ضوامن لك ما حازوه من نفل (٣)
فقد استفاد من قصيدة المتبني التي يمتدح فيها عن كسرة سيف الدولة ، ومدحها :
غيري بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

٥٥ مقارنة الفتح بالفتوح السابقة ، ومقارنة القادة بالأبطال السابقين في تاريخ الإسلام :
وقد أصبحت هذه المقارنة ظاهرة من ذواهر شعر الحروب الصليبية ، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة الصراع الديني بين المسلمين والفرنج .
ومن الشعراء الذين أقرنت صورة الفتوح في أذهانهم بالفتوح الإسلامية السابقة ، أبو علي الحسن بن علي الجويني ، يقول :

هذه الفتوح نتوح الأنبياء ومسا لها سوى الشكر بالأفعال أثمان
.....
فأين مسلمة عنها وأخواتها بل أين والدهم ، بل أين مروان (٤) ؟
ونهم الحماد الأصهباني ، إذ يقول في مدح صلاح الدين وتكسيه الصلحان في
القدس :
نفى من القدس صلحانا كما نفيت من بيت مكة أعلام وأنصاب (٥)

(١) تاريخ ابن الفرات ١١٥/٨ ، درة الأسلاك ورقة ١٥٤

(٢)

(٣) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٢٠

(٤) المصدر السابق ٢/٢٠٥

(٥) المصدر السابق ٢/١٠٣

ويقول الهباء زهير في فتح دمياط :

فطله يومُ الفتح ، يومُ دخولها
لقد فاق أيامَ الزمان بأسرها

ويقول ابن دنيير في فتح دمياط :

ما يوم بدر بأعلى منه أو أحسن
أما مقارنة القادة بالابطال السابقين أو الانبياء فتظهر في قول ابن الساعاتي
اذ أنام علاقة بين صلاح الدين يوسف والنبي يوسف عليه السلام بجامع الاسرار
والشهرة :

فكنت كـيوسف الصديق حقاً
له هوت الكواكب ساجدينها (٣)

ويقول الجوهري فيه أيضاً :

حياه ذو العرش بالنصر العزيز فقا ل الناس : داود هذا أم سليمان (٤)؟
ويقول الجواني النسيبة المصري في صلاح الدين بعد فتح القدس :
يا يوسف الصديق أنت لفتحتها
ولأنت عثمان الشريعة بمحمد
فأروقتها عمر الإمام الاطهر
ولأنت في نصر النبوة حمدر (٥)

تشبهه المدن والثغور بالنساء المتنوعات :

فقد صور الشعراء تفتح المدينة على الفتح بتفتح الفتاة ، وقد سبق المتنبى الى هذا
الباب في استعمال الفاظ الفزل والنسيب في وصف الحرب (٦) .
ومن الشعراء الذين جاءت هذه الصورة في شعرهم ابن التيسري ، اذ يقول في
مدح نور الدين :

ما زقت الحرب الحوان بسـه
وضمهم الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي ، اذ يقول في فتح صلاح
الدين للقدس :

جاءتاك أرض القدس تغطب ناكحا
زقت الهك عروس خدر تجتلسي
يا كفاها ما المذر عن عذرائها
ايه صلاح الدين أخذها غادة
ما بين أبجدها وبين إمائها
كم خاطب لجمالها قسود رده
بكرها ، ملوك الارض من رقبائها
عن نيلها أن ليس من أكفائها (٨)

- | | | | |
|-----|------------------------------------|-----|-------------------------|
| (١) | ديوان الهباء زهير ١٧٣ | (٢) | ديوان ابن دنيير ورقة ١٥ |
| (٣) | الروضتين ٨٥/٢ | (٤) | المصدر السابق ١٠٥/٢ |
| (٥) | المصدر السابق ١٠٥/٢ | (٦) | يتيمة الدهر ٢٠٩/١ |
| (٧) | الروضتين ج ١ ق ١ ص ٤٦ | | |
| (٨) | الخريدة ، بداية قسم شعراء الشام ٨٦ | | |

نص كثير من الدارسين لهذه الفترة على الشعراء والكتاب استعمالهم الزائد للبديع ، واستقصاءهم لصوره ، وقد غالى بعض الدارسين في نقد هذه الظاهرة حتى وصف العصر الذي ندرسه بالجمود والانحطاط بسببها ، وكأن الصنعة لم توجد الا في أدب هذه الفترة فقط ، أو كأنها قد تمثلت في كل نص من نصوص هذا الأدب . ولا شك أن بعض هذه الاحكام لا يستند الى دراسة مستقصية دقيقة ، وإنما عسي خطف سريع لأحكام متأثرة بأحكام سريعة سابقة .

ومن المسلم به أن البديع موجود في الأدب العربي قبل هذه الفترة ، ولكن درجات اهتمام الأدباء به تختلف من واحد الى آخر ، ومن نمط من أنماط الأدب الى نمط آخر .

ولسنا مننيين بدراسة تحكم البديع في الأدب العربي عامة ، وفي شعر هذه الفترة خاصة ، لأن ذلك يحتاج الى دراسة مستقلة . وقد عالج د . زكي مبارك في كتابه النشر الفني في القرن الرابع الهجري هذه الظاهرة (١) ، كما عالجها د . محمود ابراهيم في الشعر من خلال دراسته لابن القيسراني الشاعر (٢) وما نريد تأكيد هذه هنا ، هو أن البديع ظهر في الأدب ، شعره ونثره ، بشكل بارز في هذه الفترة ، ولكن موادنا في البديع والنص . . . أكثر منها في الموضوعات الأخرى .

ويمكننا التذليل على ذلك بملاحظة سريعة ، وهي أنه لو تأرنا بين ما فُسر في الخريدة من شعر ، وبين ما في الروشتين من شعر ، لوجدنا اختلافا طموسا من حيث تحكم البديع ، والسبب في هذه الظاهرة هو أن شعر الروشتين يكاد يكون مرتبطا بالأحداث السياسية في عهدي نور الدين زنكي وإصلاح الدين الأيوبي ، وهذا يعني أن الشعراء قد تحرروا بشكل عام من عقال البديع في موضوعات معينة ، فلم يطغ البديع على شعرهم ، بينما نجد شعر الخريدة تبرز فيه هذه الظاهرة بشكل يستعري الانتباه ، لأن شعر الخريدة مغموج حسب المناطق الجغرافية ، إذ يمرض الحماد شعر الشعراء الذين اختارهم بغض النظر عن الموضوع ، وقد تحكم ذوقه بمختاراته الشعرية ، فجاءت مثلثة لولعه بالوان المحسنات اللفظية .

وسنذكر فيما يلي بغض القصائد العربية موزعة على فترات حقبة الحروب الصليبية ، ثم تعرض للبديع الذي ورد فيها ، لنرى الى أي مدى كثر استعماله في هذا اللون من الشعر ، فقصيدة ابن الخياط التي مطلعها :

قد تك الصواهل قبا وجسردا وشم القبائل شيئا ومُردا (٣)

(١) انظر : النشر الفني في القرن الرابع الهجري ص ٦٤ وما بعدها

(٢) أنظر : صدى الشزو الصليبي في شعر ابن القيسراني ص ١٩٨ - ٢٠٢

(٣) ديوان ابن الخياط ١٨٢ ، وانظرها في الملحق الشعري

لا يسيطر عليها البديع ، الا بشكل معتدل ، كالديباقي في قوله : يهضى — سمير •
 شرقا — غيا • فورا — نجدا • هزلا — جدا • الحر — عبد • تنامون — اسهرتموهن •
 والجناس في قوله : الأسد — الأشدا • نائل — نائل • جاعلا — عاجلا • جدا • جدا •
 والتقصم في قوله : فذلك الصواهل : قبا وجردا • وشم القبائل : شيئا ومسرردا
 أما مقطعة أبي بشر بن الحواري التي مالمها :

أهذمين إنكارى وعرفانسي سارب الوحش أم داري وأوطانسي

فلا يوجد فيها من البديع الا الديباقي في البيت المذكور •

وكذلك الحال في قصيدة ابن قسيم الحموي التي يمدح فيها عماد الدين زنكي • ومثلها :

بحزمك أيها الملك المظلي تذ لك الصواب وتستقيم

اذ يقل فيها البديع ويمكن محصره في عدد محدود من أمثلة الديباقي والمقابلة والمبالغة • • •
 وأما قصيدة ابن عني في هزيمة الفرنج على دمياط التي مطلعها :

سلوا صهوات الخيل يوم الوغى عنا اذا جهلت آياتنا والقنا اللدا

ومقطعة ابن مازن في هزيمة الملك لويس التاسع على دمياط سنة ٦٤٧ التي مطلعها :

قل للفرنسيين اذا جئتكم مقال صدق من قول نصير

أجرك الله على ما مضى من قتل عماد يسوع المسيح

فهما قصيدتان عن الصناعة اللفظية • مع انهما مختلفتان في الاسلوب من حيث القوة واللين
 كما انهما قيلتا في وتين متباعدين نسبيا •

ومع أن قصيدة شهاب الدين محمود في فتح عكا • التي مطلعها :

الحمد لله زالت دولة الصلب وعز بالترك دين المصداقي العربي

هي تقليد لقصيدة أبي تمام • إلا أنها خلت تقريبا من الصناعة اللفظية • علما بأن

قصيدة أبي تمام فيها من الصناعة الشيء الكثير •

كل هذا يدل على أن الصناعة اللفظية لم تكن متحركة تحكما كلها في جميع الشعر

ولذا فلا يجوز تعميم الحكم على شعر الجروب الصليبية كله • • • ومع هذا • فأنسب

نجد بعض القصائد تستبد فيها الصناعة • لا سيما في القصائد التقليدية • وقد بين

د • محمود إبراهيم ذلك في شعر ابن التيسراني (١) • ولذلك منعرض فيما يلي

أمثلة أخرى من نظم شعراء آخرين • فمن ذلك قصيدة ابن منير الطرابلسي التي مطلعها :

أقوى الضلال وأقفر عرصاته وعلا الهدى وتبلجت سماته

فان كل بيت فيها لا يخلو من البديع • لان ابن منير عرف عنه ولعه بالزخرفة اللفظية •

وأكثر ما استعمل من أنواع البديع :

المقابلة ومن أمثلتها : أقوى الضلال وأقفر عرصاته • • • البيت • والبيت الثاني •

الجناس : وهو كثير • ومنه : وثباته — وثباته — شداته شذاته • • • التجنيس بالاشتقاق

وهو كثير أيضا منه :

- * وأعاد وجه الحق أبيض ناصحا
 * حذل القوام في بهد قماصها
 * نبذوا السلاح لضيغم عاداته
 * يحسي ثنائه بنات قيونته
 * ومضى يوتب تحت إنب همته
 * أصلاته وصلاته وصلاتته
 * ضرب يصلصل في الدالي صمقاته
 * فرس الفوارس والقنا غاياتته
 * فوق التوانس والقنا قينانته
 * أمست زوافر غيها زفراته . . . الخ *

اللباق : نار - ذلالتة ، صبح - غبوق . .
 المبالغة : ومن أمثلتها :

- * فبهوجه خمر الدالي وغبوقته
 * لم تنبت الأجسام قبل رماحه
 * في كل يوتستأيل قناتته
 * نداف النفوس تديرها نشواته
 * شجرا أصول ثروعه ثمراتته
 * فوق السماء ، وتستلي درجاته

ثم قديدة ابن سناء الملك التي مدحها :

هل الكرك التكلي بأولادها انتصت
 ومنها من أنواع البدع ما يلي :

- * يكلفهم فزو التزويج بدار نسيم
 * اذا كنت من قتلاك تملأ سبلها
 * وكانت بهم تلك البلاد تنجست
 * ولم أر أرضا جادها الدميث قبلها
 * ويسهل إلا أنه ليس بالسهل
 * فكيف يسير الجيد في فنها بالسهل
 * فتاب دم ضهم عن الماء في الشمل
 * وتصبح تشكو بعده غلة الصل

المبالغة : ومنها :

- * عساكر أرواح الصلكر شربها
 * جيا دهم تخشى الصثار من القنا ال
 * وما شرتوا بالساء والريق ان رأوا
 * وليس لها غير الوارس من أكل
 * تشيف وتخشى في الدماء من الوحل
 * جيوشك لكن بالوارس والرجل

المقابلة : ومنها :

- * وصبت أخرى سبحتك بأهلها
 * أحسوا بطل للذخرف فجماء نسيم
 * ومستك إذ أمست وهي بلا أصل
 * ربيع من النيل المدد كالوصل

* * * * *

هذه نثارة سريعة في مدى وجود البديع في شعر العرب الصليبية ، ولنا أن

نتساءل : هل أدى البديع الى تضبيب الصورة أو إطفاء الانفعال ؟

قد يكون الجواب بالإيجاب بالنسبة الى بعض القصائد التي سمي قائلوها البديع
 تزيين شعرهم بالزخارف اللفظية كيفما اتفق ، ولكن المتصفح للملحق الشعري ، يجد أن
 البديع لم يكن طاغيا على كل الشعر ولا على أكثره ، وما يقوم دليلا على ما ذهبنا اليه ،
 تلك الرصائل الشعرية التي تباد لها الشعراء :

: أسامة بن منقذ وطلائع بن رزيق ، إذ أن الشعراء لم يحفلوا كثيرا بالسنمة ،
ولنضرب على ذلك مثلا واحدا من شعر كل منهما ، فقد كتب الطائع إلى أسامة رسالة
شعرية قال فيها :

قل لابن منقذ السدي	قد حاز في الفضل الكماليا
.....
كم قد بمثنا نصوصك الا	شعار مصرعة عجيبا
مثل الحسان الخيدنا	هت في محاسنها دلالا
علا بذلت لنا مقالا	لا حين لم تبذل فماليا
مع أننا نوليها صب	را في النودة واحتماليا
ونبتك الاغبسار ان	أضحت قصارا أو طسوالا
سارت سرايا لقص	د الشام تعصف الرمالا
تزجي إلى الأعداء جر	د الخيل اتباعا ثوالا
تمضي خفافا للخصا	ربها وتأتينا ثقلا
حتى لقد رام الأعسا	دي من ديارهم ارتحالا ٠٠٠ الخ (١)
فأجابه أسامة بقوله :	
يا أشرف السوزراء أخ	لانا وأكرمهم فماليا
وأعزهم جارا وأما	نعهم حصى وأحلالا
نهبت عبدا طالمسا	نبيته قدر أو حسالا
وعتته فأنتلته	شرقا ومجدا لن ينالا
أما السرايا حين تسر	جع بعدد خفتها ثقلا
ومسيرها في كل أر	ض تبتغي فيها المجالا
فكذلك فضلك مثل عد	لك في الدنى سار وجالا
فاسلم لنا حتى نسرى	لك في بني الدنيا مثالا
واشدد يدك بود نو	ر الدين والقربة الرجالا
فهو المحامي عن ببالا	د الشام جمعا أن يندالا
ومجد أملاك القيسر	نج ، وجمعهم حالا فحالا ٠٠٠ الخ (٢)

١ . على أنه يسترعي الانتباه في شعر هذه الفترة عدة أمور أهمها :
التهالكة في التصوير ، سواء في وصف الجيش الإسلامي أم الجيش الفرنجي أو في
وصف القائد ، ولعل ذلك يعود إلى البينة الداروث التي نظم فيها هذا الشعر
وما يكتنفها من جوانب غامضة .

- (١) الروميتين ج ١ ق ١ ص ٢٩٢
(٢) المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ٢٩٤

ب. تركيز الشعراء على إبراز صورة البدن أكثر من إبراز صورة السمكة ، وهذا يرجع إلى طبيعة الشعر الذي يبحث دائما عن شخصية محورية تتمثل في البطل ، فضلا عن أن الشعر يضيق بالتفصيلات الواقعية ، يضاف إلى ذلك ، أن الشاعر المصري رأى أن تعظيم القائد الأسامي ، والقائد الفرنجي دلالة على ضراوة القتال المنتظر .

ج. انخفاض مستوى الشعر الحربي زمن المماليك . فلو قارنا الانتاج الشعري فسي القرن الاول من الصراع الاسلامي الصليبي ، لوجدناه ارتقى مستوى ، وأغنى انتاجا ، ولمل ذلك يرجع الى أن الصراع في ذلك القرن كان شديدا وحاسما ، بينما شالت كفة الصليبيين في القرن السابع الهجري ، وأصبح موقفهم في النال موقف الدفاع ، فخفضت حدة الصراع في الواقع وفي نفس الشاعر أيضا .

* * *

ومعد هذا العرض السريع ، قد يكون من المفيد التبرغ لآراء بعض الدارسين لأدب هذه الفترة ، ويمكن تصنيفهم في ثلاث فئات :

- أ. فئة تتهم أدب الفترة عامة بأنه سطحي وتقييم .
- ب. فئة معجبة به أشد الإعجاب .
- ج. فئة وقفت وقفة اعتدال بين الاثنين المتطرفتين ، وأخذت لها موقفا توفيقيا ، فجاءت أحكامها معتدلة .

فمن يمكن أن يصنفوا في الفئة الاولى كل من د. أحمد الجندي ود. عبد العزيز الأهواني ، ود. زكي المحاسني ، وقد وصف د. أحمد الجندي شعر هذا العصر بأنه " سطحي يكرر نفسه في أفكاره وتعبيراته وصناعاته " . . . فقير في صورته وأخيلته ولمحاته الذهبية . . . " (١) ، ثم أرجع بدء هذا الانحدار إلى أوائل القرن الخامس الهجري ، والتمس أسبابا لذلك ، فوجدتها في ولع الشعراء بالمحسنات اللفظية ، نظرا لأن المدحيين من أصل غير عربي ، مما حدا بالشعراء إلى التلاعب بالالفاظ ، لتعجب أولئك المدحيين (٢) .

أما د. عبد العزيز الأهواني فقد وصف عصر الأيوبيين بالمقم والانحراف ، وقد استند في حكمه هذا على شعر ابن سناء الملك ، ووصفه بأنه عمل عقلي بحث . . . ثم عم حكمه على شعر ابن سناء الملك على شعر العصر الأيوبي كله (٣) .

(١) ديوان عرتلة الكلبي ، المقدمة ص : ١٠

(٢) ديوان فتیان الشافعي ، المقدمة ص : ٦

(٣) ابن سناء الملك ومشكلة العثم والابتكار في الشعر ص ٢٠٢ وانبار ص ٧ ، ١٠

أما د . زكي محاسني فلهيديرى هذا العصر ، وإنما درس شعر الحرب فسي
المصريين الاموى والمباسي الى عهد سيف الدولة ، ومع ذلك فقد قال : " فاذا صح وصف
التطور (في شعر الحرب) بأدوار ، فيكون شعر الحرب في العصر الجاهلي في طـ
الوليد والبداءة ، وفي العصر الاموى في طهر النحر والتحضر ، وفي العصر المباسي فسي
طريق التكامل . . . وفي عصر الحروب الصليبية انحدر شعر الحرب الى درك التقاعس على
الرغم من وفرة الاسباب المعنوية ، لان شعراء العرب في عهد هذه الحروب كانوا فسي
دور ضعف وانخذال في اللفظ والاسلوب ، وكان أغلبهم صاحب ركة في القول ، وصناعة
تسبح بالكلفة . . . (١) .

ويخشى أن يكون في هذه الأحكام تسميات خيارة ، انطلاقا من شواهد انتقائية
ولنبداً بقول د . أحمد الجندى : إن الشعر مداحي يكرر نفسه .

فان الناظر في كتاب الروميتين يصعب عليه أن يحكم بالسلحية على شعر موتيسست
بأحداث جسام خديرة مرتبها الامة الاسلامية ، وقد صور الشعر هذه الاحداث بمسا
احتوت عليه من صراع طويل بين أمتين وحضارتين . ثم ان التكرار الذي يراه الدكتور
أحمد الجندى هو ظاهرة لا بد من وجودها على درجة من الدرجات ، في شعر نظم في
فترة واحدة ، وفي ظل مؤثرات كبيرة واحدة أيضا ، وحتى مع ذلك ، فإنه يصعب إطلاق
هذا الحكم دونما تحفظ على جميع الشعراء الذي نظم في هذه الفترة ، لان التنوع موجود فيه
مثلا أن قدرا من التماثل والتكرار موجود فيه كذلك .

أما تحديد زمن الضعف بالقرن الذي بدأت فيه الحروب الصليبية ، فهو حكم على
النواحي السياسية في المشرق الاسلامي ، ولا يوجد دائما ارتباط بين الضعف السياسي
وضعف الادب ، وإذا وجد ارتباط بينهما فإنه لا يمكن أن يظهر مباشرة في النصوص
الادبية ، لان الظواهر الادبية لا تولد بين يوم وليلة ، بل هي تحتاج الى زمن كاف لكي
تولد أو لكي تتبدل .

أما تحليله للضعف الادبي بوجود البديع ، فان ظاهرة البديع لم تكن بالظاهرة
الطارئة في القرن الخامس الهجري ، بل هي قد وجدت قبل ذلك ، وأصبحت لافتة
للانذار بشكل واضح خلال القرن الرابع الهجري .

وأما الحديث عن أعجمية المدوحين ، فان السيرة في الامر ، هو التمكن من اللغة
العربية ، وليس السرق ، بدليل أن كلا من ابن الحميد ، والصاحب بن عباد فسي
القرن الرابع كانا من غير العرب ، ولكن تمكثهما من العربية وتذوقهما لادبها ، جملاهما
من أعلام الادب العربي في عصرهما ، بل ومن عوامل النهوض بالادب ، بما كانا يقدمانه

من تشجيع ورعاية لادباء عصرنا * .

ولو أننا جازينا د . أحمد البغدادي حول كون الممدوحين من أصل غير عربي ، مما دفع الشعراء الى تبسيط شعرهم ، فان تبسيط الشعر لا يكون بالتلاعب اللفظي ، لأن التلاعب اللفظي يحقد المعنى ولا ييسره ، ومعلوم أن الهديج يحتوى الكثير من التلاعب اللفظي ، فكيف يكون اعجاب الممدوحين من أصل غير عربي بشعر معقد ، قد يصعب عليهم فهمه ؟ .

أما وصف د . عبد العزيز الأحماني الادب في العصر الايوبي بالمعق والانعراف ، فان فيه قسوة حتى على شعراء ابن سناء الملك وحده ، لوجود قصائد لهذا الشاعر لا يتطابق عليها الحكم القاسي الشامل الذي أصدره عليه الدكتور الأحماني ، فكيف بالامر ، اذا عم هذا الحكم على جميع شعراء عصره ، ومنهم من لا يسير في شعره على مدرسته .
والتالي ، فلا يجوز أن يشجب شعرهم بناء على مقاييس لا تنطبق عليهم ؟ .

وأما حديث د . زكي المحاسني عن نزول الشعر العربي في هذه الفترة الى درك التقاعس ، فان الرد عليه لا يختلف كثيرا عن الرد على الناقدين السابقين
ولعل من المناسب هنا أن نذكر أقوال بعض من الدراسات الأخرين لهذه الفترة :

أ . يرى د . عبد اللطيف حمزة أن الشعر السليبي يمتاز بالقوة والصدق ، لأنه شعر الحساسية في مهنة الحروب السليبية ، ثم إن شعر السائفة الذي يتصل بشعراء ديني عميق في نفوس المسلمين (١) .

ب . وصف " جب " هذا الشعر بأنه العصر الفني للأدب ، وأنه يتميز بالأسس والعبقرية تدر امتيازه بالبراعة والندسة أو المهارة الفنية (٢) .

* أنظر عن تشجيع حكام العصر للأدب كتاب : العناية الادبية في عصر الحروب السليبية من ٢٥ ، وكتاب : التدخل في الادب العربي من ١١٢ ، وأنظر كذلك النجوم الزاهرة ٥٨ / ٦ - ٥٩ .

- (١) أدب الحروب السليبية من ١٧٤ وأنظر من ١٩ ، وكتاب الشعر العربي في العراق من ٣٠٥ وكتاب الادب في مصر والشام من ٧٩٩ .
(٢) محمد زقول سلام ، ضياء الدين بن الاثير من ٢٢ عن :

Gibb, Arabic literature p. 82.

ج • كما وصف جود الركابي أدب هذا العصر بأنه حافظ على رولقه ، وتماسك نفسي العصر المملوكي بعض الشيء ، ولكنه انحدرا انحدارا واضحا في الجهد المصطنع (١) هذا ، وقد بالغ بعض الدارسين في تقرير ضعف الفترة ، فذهبوا إلى حد القول : ان الشعر في هذا العصر اتصل بالواقع اتصالا ودبت فيه حياة لم تكن تمسك قبل ذلك في الشعر العربي (٢) •

ولا بد أن نتساءل بـ أخيراً هل تأثر الأدب العربي بالفرنح وأدبهم ؟ الجواب على ذلك بالنفي ، وذلك لأنه قد تبين أن الفرنج كانوا أدنى في مستواهم المعنوي من المسلمين ، ولأن العداء المستحكم بين الدارين سبباً لهذه الفترة ، وثلاثة الاحتكاك الثقافي فيما بينهما ، بالإضافة إلى اختلاف مصادر الأدب العربي وأسسها ومكانته عن مصادر أدب الفرنج وأسسها ومكانته ، كل هذه العوامل ، جعلت تأثر الأدب العربي بأدب الفرنج يكاد لا يلمح •

أما تأثير الفرنج عامة بسلوكهم وعاداتهم ولغتهم في الأدب العربي ، فهو كذلك تأثير محدود ، وقد يتجلى بدخول بعض اللفاظ الجديدة في الشعر ، كالقوس ، والبرنس ، والسير ، وبعض الأسماء كالدابة والفريرة والهنغري • كما أن بعض الشعراء قد أورد في شعره صورا وألفاظا مأخوذة من حوض الصليبيين ، مثل : هيكل ، قوّة ، قديس ، قن ، بريرة ، مدرّس ، برنر ، قداس ... الخ • • •

-
- (١) جود الركابي ، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار ط ١ مط زيد بن ثابت ، نشر دار الفكر دمشق سنة ١٣٩٤ ص ٧
- (٢) محمود مصطفى ، الأدب العربي في عصر إلى نهاية العصر الأيوبي ٢٧٧ * انظر على سبيل المثال : الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٥٦ - ١٥٩ ، والخريدة قسم شعراء الشام ٥٩/١
- * * انظر ديوان ابن القيسراني ورقه ٦٢ - ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٠

الفصل الثاني

أولا : النشر الادبي :

شارك النشر الشرقي تقديم صورة الصليبيين ، بما قدمه من أوصاف دقيقة لبعض
المشاهد ، أو سرد لبعض الحوادث ، ويمكن عرض الانماط الأدبية التي شاركت في رسم
صورة الصليبيين على النحو التالي :

١. التواليف الأدبية ٢. الرسائل ٣. الخطب ٤. نصوص الهدن

١. التواليف الأدبية :

عرف عن هذا العصر كثرة التأليف في مختلف ميادين الحياة الإنسانية ، وبهنا منها
كتب الأدب أو الكتب التاريخية الأدبية ، وهي تتراوح بين الالتزام بالصورة البيانية المختلفة
والانفكاك عنها . وغير ما يمثل النوع الأول كتاب " الفتح القسي في الفتح القدسي " ^١
للمعتمد الاصفهاني ، وهو مثقل بالسجع وأنواع البديع ، ومن غير ما يمثل النوع الثاني كتاب
" النوادر السلطانية والحاسن الیوسفية " لابن شداد ، وقد تغلغل فيه صاحبه عن البديع
إلا ما جاء غفو الخاطر ، ثم كتاب " الاعتبار " لأسامة بن منقذ ، وهو يمثل أسلوب المذكرات
الشخصية ، فجاءت لغته ، في معانها ، عادية ، وربما تتحدر أحيانا إلى العامية ،
وكتاب " رحلة ابن جبير " ، وهو يمثل كتابة الملاحظات العامة التي يشاهدها الرحالة ،
وقد ينجح أحيانا إلى استئصال الصور البيانية ، ولكن هذا ليس هو النمط الكتابي السائد
عليه .

١. الفتح القسي في الفتح القدسي :

لسنا معنيين هنا بتقويم الكتاب إلا من حيث الصياغة الزنية ، فهو كما يبدو من
المنوان ، يستلهم نفحات قس بن ساعدة كالمغن العرب وخلايسها ، ليمرض تاريخ
الفتح العظيم زمن صلاح الدين وأهمها فتح القدس ، وهو يقدم مادته بلغة
مبسوطة ، وألفاظا منتقاة ، قد تصل إلى حد التورية ، أن اضطره السجع إلى
ذلك .

ولكن مقدرته اللغوية سهلت له استعمال ألوان البديع ، فقد يشتق من اللفاظ
الأجنبية مفردات تجانسها ، يقول على سبيل المثال في وصف فرق الفرنج التي
استعدت لمعركة حطين : " وللدأوي دوي ، ولألبتاري شوي ، والباروني يقدم على
البوار ، والتركولي يلقي نفسه على النار ، وقد ثاروا والثار قد وُقد ، والبقوق قد
وقد انصدح زجاج الزجاج ، وارتجز عجاج العجاج ، وانفض الفضض " .

وأنقض القضاء ، وكادوا يفلون الجمع ، ويجمعون الفل ، ويجلون المقد ، ويعقدون ما انحل . . . (١)

ونلاحظ دقة الوصف في أوصافه مع أن كتابه حفل بأنواع البديع ، فالنص السابق محشو بالسجع ، والدياق ، والجناس ، والتجنيس بالاشتقاق اللغوي ، ويمكن أن نجد ذلك في أية صفحة من صفحات الكتاب .

ومن الأمثلة الأخرى للوصف الدقيق ، وصفه للخلاف الذي نشب بين امرأ الفرنج ثم تصافيهن قبيل المعركة ، يقول : " وقد كان بينهم (الفرنج) حينئذ خلصت ضيقت وحليف ضكت ، ووقى نثار بين الانتقار ، وتود شرار بين الشرار ، ولما استدنوا حين عودهم ، سموا في إصلاح ذات بينهم ، ودخل الملك على القومى ، ليتقص له بالود الأغلى ، ورضى عليه بنفسه ، واستبدل وحشسه بأنسه . . . (٢)

والذى يتابع نصوص العباد في النتج القسي . . . يلاحظ أنها مستقاة من مصادر مختلفة ، فبعضها مأخوذ من البيئة في إنسانها وحيوانها ، كتول العباد عن المركيس : " وكان المركيس من أكبر ما واعدت الكفر ، وأغوى شيائنه ، وأغوى مراحنه وأبعث ذئابه ، وأنجس كائنه . . . وأغوى أعوانه ، وأغوى إخوانه ، وأبشى بئاته وأرض حماته . . . وأروى شماله والسب عقابه . . . (٣)

ومعظمها مأخوذ من الحرب وما يرتبط بها من شؤون القتال وأدواته ونتائجها ، كتول العباد : " . . . هذا ، والنجنيقات ترميهم ، والمفوقات الموقفات تميمهم وتصميمهم ، والقتال قائم ، والنزال دائم ، والسخور تفلق والصدور تفلسق ، والاحجار تفلق ، والاحجار تفلق ، والاسوار تحلحل . . . والاداج شاذبة كالميون البواكي ، والأبشار دامية من الزنبوركات والناوكات النواكي ، وهناك المقل معزول بالتهور ، والرأي مشغول عن التدبير ، والحلم والحلم خالطها الجهل والبغاء ، والجرجي يبتدىء بنسم الله ، والنجنيقي يختم بلا إله إلا الله ، والزراق بالنار يذيب القارورة ، ويحرق الساتورة . . . فلم يسمع الا ضجة الحديد من الحديد ، وضجة الحديد من الحديد ، وضجة زحى الحرب ، وقشقة أداة الدلعن والحرب ، وصلصلة الزبر ، ولولة الزمر ، وعيملة دعاة النصير ، وهيملة رعاة الكفر . . . (٤)

(١) النتج القسي ٦٢

(٢) الصدر السابق ٦٥

(٣) الصدر السابق ١٠٢ وأنظر ص ٢٤٠

(٤) الصدر السابق ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦

وقد تؤخذ هذه الصور من الحياة الدينية للمسلمين وخصوصهم ، كما يتراءى في
النص السابق ، وفي قول الكاتب نفسه : " مات الاسلام للكثير محاربا ، والتوحيد
للتثليث مقاتلا ، والهدى للضلال مراقبا ، والايمان للشرك محاربا ، وعيشت
درجات النيران ، وعشت درجات الجنان ، وانتظرت ما لك واستبشر رضوان " (١)
وفي قوله : " وهو (المسيح) اذا نصب اقيم ورفع ، سجد له كل شعرائه ، وركب
وهم يزعمون أنه من الخشبة التي يزعمون أنه صلب عليها مبعودهم ، ثم سجدوا
معبودهم وسجدوا لهم " (٢) .

وثمة مصادر أخرى الصور البيانية التي استعملها السامع ، تستبين منها ثقافته
الواسعة المتشعبة ، ولا مجال هنا لاستقصائها . . . إلا أن أي قارئ لهذه
النصوص لا تغنى عليه مقدرة السامع اللغوية ، كما لا تغنى عليه قدرته على
استخلاص الصور البيانية من مصادر كثيرة متنوعة ، منها ما هو حسي ، ومنها ما
هو ذهني . . . وقد يتأتى عن الافراط في الزخرف البياني عند السامع ،
أن تجوز السياغة اللفظية على وضوح المعنى وحرارة الانفعال .

الفوائد السلطانية :

ونحو كتاب عن صالح الدين كتبه قاضيه ابن شداد مستعينا بمشاهداته ، وما وصله
من مشاهدات غيره وسماهم ، وقد حرص فيها على تحديد الزمان والمكان دون
تأنيق زائد ، أو تصيد للالفاظ ، فجاءت كتابته سهلة ، تستقي من القارئ ،
وعقد على الحقائق في تحريك المشاعر ، دون افراط في احتمال الصور
البيانية .

وأستطاع القارئ ملاحظة ذلك في مقدم ما ورد في الكتاب من نقل للأحداث ،
فها هو ذا يصف خروج الفرنج إلى القادش المحيطة بسكا وحفا دقيقا ، ثم
يصف تصدى المسلمين لهم ، فيقول : " نامدوا على القادش ، وساروا
المهينين غير مذولين في أنفسهم ، ولا خارجين من راجلهم ، والرجال حولهم
كالسور المبني ، يتلو بعضهم بعضا ، حتى قاربوا الزك ، ولما رأى المسلمون
ذلك ، واتدام العدو عليهم ، تداعت الشجعات ، وتنازلت الكماة السبي
الاقران ، وصاح السلطان (قدس الله روحه) بالمسائر الاسلامية : " يسا
للاسلام " .

فركب الناس بأجمعهم ووافى فارسهم راجلهم ، وشابهم شيخهم ، وعملوا عطلة
الربيع الواعد على الحدو والمخدول ، فساد ناكسا على عقبه ، والسيف يحصل

(١) الفتح القسي ص ٧٨

(٢) المصدر السابق ٨٤

فيهم ، والسالم منهم جريح ، والعاجاب أربع يعثر جريحهم يتناولهم ولا تلوى الجماعة منهم على قبيلهم ، حتى لحق الغيام من سلم منهم ، وانكثوا عن القتال أياها ، وكان قصاراهم أن يحفظوا نفوسهم ويحرسوا رؤوسهم (١) .

فهذا النص لوحة نادرة ، تتضح فيها حركة المدو ، وتصدي المسلمين لهم ، مع وصف الحالة النفسية عند الدارقين .

كل ذلك بلغة شائعة مأثورة لا تبعد كثيرا عن الاستعمال اليومي ، وإنما فيها من العرارة ما يطيح الموقف المثير ، وفيه من الفصاحة ما يتحلبه وصف موقف كهذا . وأما ما جاء فيه من سجع ، فلا أفراد فيه ، وهو متناسك غير متخلخل ، والفائدة ذات أبعاد كثيرة ، اكتسبت من تواتر الاستعمال في سياقات معينة ، مثل قوله : وصاح السلطان : يا للإسلام " و " كان قصاراهم أن يحفظوا نفوسهم ويحرسوا رؤوسهم " .

ولكن ، مع حيوية الوصف وحرارته ، فإن الكاتب لم يقدم صورة ذات تسلسل لأحداث المعركة ، شأنه في ذلك شأن الصناد ، وذلك لأن الكاتبين يقدمان صورة المعركة العامة ، بدلا من أن يسيرا مع المعركة غداوة خطوة ، إلى أن يصلوا إلى نتيجة . وقد يتجمل الواحد منهما في الوصف إلى النتيجة كما فعل ابن شداد ، حتى وهو يصف حصار مدينة استمر سنتين كاملتين ، سيطر الفرنج خلالها على مشارف المدينة - عكا - من البر والبحر معا . في حين أن الآخر - الصناد - يصرح لنا لوحة زخرفية حافلة بالصور الجزئية المعتمدة على التزييق اللفظي ، وهو يقدم لنا وعفا لوقعة عكا الأنفة الذكر ، يقول : " وأصبح الفرنج ، يوم الأربعاء العشرين من شعبان ، قد رفعوا الصليان ، وزحف أسودهم في غاب النيران ، ولما رأت بهم غيولهم عثبانا على عثبان ، وجرت بالبحال منهم رياح ، وجمالوا دون التل كأنهم له وشاع ، وخرجوا على التمهية ، وشفصوا نداء الثرب بالتلبية ، وشفصوا بالتبرية للثربة ، وتقدموا مهترئين ، وعزبوا مصميين ، وثاروا ثورة الشيطان ، وفاروا ثورة الداوشان ، وقدبوا الراجل أمام الفرسان ، وزحفوا ، وألجأ ، وحفزوا ، ألجأ ، ودهوا دبيب الليل إلى النهار ، وهبوا هبوب النيل إلى المضار ، وأجروا سيول السوابق إلى القرار (٢) .

والمدقق في هذا الوصف ، يجد أنه يتكون من قلاع فيضائية ، تتعلسق أجزاؤها الأولى بوصف لحركة الفرنج المريعة ، وهم مدججون بالسلاح على سوابق الليل ، وأصواتهم تتردد بالتعريض والاستشمار ، ولكن المشهد

(١) النوادر السلطانية ١٠٧

(٢) النتج القسي ص ٣٠٨ - ٣٠٩

الأول سرعان ما يندغم في المشهد الثاني ، المتعلق بتقدم الفرنج نحو خصوصهم :
 " وتقدموا معترمين ، وعزموا مصمحين . . . " ثم يبدأ المشهد الثالث بالحديث
 عن حركة للجيش الفرنجي سرعان ما تتصاعد ، إلى أن تصل قمة السرعة ، ويحدها
 تنهجر الدماء سيولا في ساحة المعركة .
 وهذه المشاهد الثلاث تتكون معا صورة المعركة ، بما فيها من حركات وأصوات
 وأذوات قتال .
 ولعل عدم توثيق الشعراء والكتاب في رسم صورة متكاملة للمعركة ، تتسلسل فيها
 المشاهد وتتتابع ، هو عدم وجود الكثير من الوصف الحربي الدقيق في تراثنا
 الأدبي ، وربما كان غياب الأدب كذلك عن مسرح القتال ، في كثير من
 الحالات ، عاملا من عوامل فقدان التسلسل والتتابع والتكامل .

الاعتبار :

وهو كتاب مذكرات ، كتبها أسامة بن منقذ في شينخوشته عن مشاهداته وتجاربته ،
 وأراد بها تقديم العبرة لغيره ، فهو - لذلك - أن وصف معركة لم يكتبها ،
 برواية أحداثها فقط ، وإنما يذكر ، كذلك ، ما يتفق وروح الأحداث ، وما
 يمكن استخلاص العبرة منه . يقول بني مونة ببيت جبرين التي كان سببها
 اشغال أسامة ومحض ترسانه الناري في بلاد الفرنج : " فاجتمع الفرنج - لمنهم
 الله - من تلك الحصون ، وهي كلها متاربة ، وفيها غيل كثيرة لألفونسج ،
 لحصادة عسقلان وبرامحتها ، وغربوا على أصحابنا ، فبعثنا في فارس يركض ،
 وقال : قد جاء الأفرنج ، فسرت إلى أصحابنا ، وقد وصلت أوائل الفرنج ، وهم
 - لمنهم الله - أكبر الناس اعتزازا في الحرب ، فصعدوا على رابية ووثقوا عليها
 وصعدنا نحن على رابية مقابلهم ، وبين الرابيتين فضاء . . لا ينزل منهم فارس
 خوفا من كمين أو مكيدة ، ولو نزلوا أخذوهم من آخرهم " . (١) .

فقد أراد بذلك التذليل على اعتزاز الفرنج ، بالرغم عن كثرتهم وقلّة أعدائهم
 فلم ينزلوا عن الرابية خوفا من كمين أو مكيدة . وقد أورد ملاحظات كثيرة في
 كتابة " الاخبار " عن تأخر إيمانهم ، وعدم خبرتهم . . . الخ .

ومن العبر التي يقدمها للقارئ أن القتال ودخول المصارف لا يقصر الأجمال ،
 ويذكر على ذلك بعض المتأخرات ، منها : أن شايبا فرنجيا جاء إلى أسامة
 ليصر فرسان المسلمين ، ويصفه بحسن الهيئة ، إلا أن فيه آثار جراح كثيرة
 وهي وجهه ذرمة سيف قد تم من منفرقه إلى حكمته ، ومع ذلك ما زال حيا (٢)

(١) الاعتبار ص ١٢

(٢) المصدر السابق ص ٦٩

أما لغة هذا الكتاب فهي سهلة لا تتجعد عن اللغة المحكية كثيرا ، بل كثيرا ما
 اعكأ على اللغة المحكية في وصفه ، مثل قوله عن سرعة فرسه بأنها : " مثل الطير " (١)
 وقوله على لسان الفرنج الذين سألوا بواب مدينة شيراز " أي اسم هذا البلد " (٢)
 وقوله عن فرنجهي أراد اصطحاب ابنه (ابن أسامة) معه إلى أوروبا بأن كلامه :
 " ما يخرج من رأس حائل " (٣) .

رحلة ابن جبير

وهي مذكرات كتبها الرحالة ابن جبير حين قارب بلاد الشام ، فوصف بعض المناطق
 مثل حصن الكرك ، ومانيا ، وعكا ، ووصف عترة الفرنج بالمسلمين في بعض
 المناطق ، كما سجل ما شاهده من سلوك الصليبيين ، وعاداتهم في الأفراح
 ومن ذلك قوله عن معاملة أهل عكا من الفرنج بالمسلمين : " ان المسلمين يعانقون
 أهوالا ومشقات ، منها الذلة والمسكنة الذميمة ، ومنها سماح ما يفجع الأفتدة
 من ذكر من قد سوا الله ذكره ، وأعلى تخالره ، لا سيما من أراد لهم ، وأساقفتهم
 ومنها عدم الداهية والشهرة بين الفخاير " (٤) . وعن معاملتهم للأسرى
 المسلمين ، يقول : " ومن الشجائع التي يعانقها من أهل بلادهم ، أسرى
 المسلمين ، يرستون في القيود ، ويصرقون في الخدمة الشاقة تصرف الصبيد
 والأسيرات المسلمات كذلك ، في أسواقهم غلاغيل الحديد " (٥) .

وبلاحظ أن لغة الكتاب ترتفع عن لغة أسامة بن منقذ ، فهي بعيدة عن التعبيرات
 المحكية ، وقد يتأنيق المؤلف أحيانا في بعض الفصول حتى يشيع الزخرف
 اللفظي والصور البيانية فيما يكتب (٦) .

وبلاحظ الباحث ، أيضا ، أن هذه المذكرات بأنواعها قد عذت إلى الأدب العربي
 بمادة هائلة وأشاعت إليه أبوابا جديدة ، وقد جاء بعضها مثقالا بالزخرف
 اللفظي ، في حين كان أكثرها بعيدا عن الزينة والتكلف ، وهي في مجملها
 سواء منها المثقلة بالزخرف أو الخالية منه ، تقدم بوفرة واضحة عن أوساع
 كانت قائمة في تلك الفترة ، وتستخدم هذه الصورة قيمتها من أنها وليست
 المشاهدة لا السماع . . .

(١) انظر الاخبار على الترتيب ص ٤٠ ، ٤٨ ، ١٢٢ ، وانظر ١٢٦ ، ١٤٨

(٢) رحلة ابن جبير ص ٢٨٠

(٣) انظر رحلة ابن جبير ص ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٠ ، الخ

٠٢ الرسائل :

أدت الشروب المتوالية بين المسلمين والفرنج الى نهضة النشر ، لا سيما نشر الرسائل بما كانت تحمله هذه الرسائل من بشائر بالفتوح أو تهنئة أو طلب نجدة أو أوامر عسكرية . ومن خلال هذه الاغراض يمكن للقارئ أن يخرج بطء خصبه عن الفترة التي ندرسها . وقد يكون من المفيد التوقف على الرسائل الديوانية والاخوانية لنستشف من خلالها السمات الثنية لهذا النوع من النشر .

الرسائل الديوانية :

من الصعب على الباحث أن يحصر عدد الرسائل الديوانية لان كثيرا منها لم يصلنا ، ولان الكثير مما وصلنا لم يصل كاملا ، بل جاء نقفا ، نجد الكثير منها في كتاب الروضتين ، وفي مخطوطة " الفاضل من كلام القاضي الفاضل " ، والذي جاء منها كاملا عدد قليل من بين سبع الاغني والروضتين ، ونهاية الارب ، ورسائل ابن الاثير . وسنتناول بالتحليل بعض هذه الرسائل لنقف على سماتها الثنية .

١ . رسالة القاضي الفاضل الى الديوان العزيز ببغداد ، بفتح القدس وما معه ، واقتلاع ذلك من أيدي الفرنج ، واعادته الى ما كان عليه من الاسلام ، وهي : " ادام الله أيام الديوان العزيز النبوي الناصري ، ولا زال مظاهر الجدد بكل جاد ، غني التوفيق عن رأى كل رائد ، موقوف المساعي على اقتناء مطلقات المحامد ، مستيقظ النصر ، والسيوف في جفنه راقد ، وارد الجود ، والسحاب على الارض غير وارد ، مشدد صاعى الفضل ، وان كان لا يلقى الا بشكر واحد ، ما في حكم القول بسزم لا يمضي الا بنيل غوى ، ورش راشد ، ولا زالت غيوت فضله الى الاولياء أنواء الى المرباع وأنوارا السى المساجد ، وصحوت رعبه الى الاعداء خيانت الى المراقب وخيالا الى المراقب .

كتب الخادم هذه الخدمة ثلوما صدر عنه ما كان يجري مجرى التباشير بصبح هذا الخدمة ، والسنوات لكتاب وصف هذه النسخة ، فانها بحر للاقتلام فيه سبح طويلا ، ولطف الحق للشكر فيه عب ثقیل ، ومشرى للخوار في شرحها مأرب ، يسرى للاستمرار في اظهارها صارب ، ولله في اعادة شكره رضا ، وللنعمه الراحنة به دوام لا يقال معه هذا مضى ، وقد صارت أمور الاسلام الى احسن مضايرها ، واستتبعت عقائد أهله على بصائرهما ، وتقلص ظل رجاء الكافر البسوط ، وصدق الله أهله دينه فلما وقع الشرط حصل المشروط ، وكان الدين غريبا فهو الآن في وانه ، والنور مصروضا فقد بذلت الانفس في شنه ، وأمر أمر الحق وكان مستغفرا ، وأهل رعبه وكان قد عث حين غفا ، وجاء أمر الله وأنوف أهمل الشرك راغمة ، فأدلت السيف الى الأجل وهي نائمة ، وصدق وعد الله في اظهار دينه على كل دين ، واستلارت له أنوار أبلانت أن الصباح عندنا حيان الحين ، واستترد

المسلمون تراثا كان عنهم آبقا ، وظفروا يقطلة بما لم يصدقوا أنهم يذلقون بمطيفا على النأي طارقا ، واستقرت على الاعلى أقدامهم ، وخفقت على الاقصى أعلامهم ، وتلاقت على الصخرة قبلهم ، وشفيت بها وان كانت صخرة كما تشفى بالما غلهم .

« ولما قدم الدين عليها عرف منها سويدا قلبه ، وهما كفوها الحجر الاسود بيست عصمتها من الكافر بحريه ، وكان الخادم لا يسعى سعيه الا لهذه العلى ، ولا يقاسي تلك البؤس الا رجاء هذه النعمى ، ولا يناجز من استماله في حربه ، ولا يما تلب بأطراف القنا من تمارى في عتبه ، الا لتكون الكلمة مجموعة ، والدعوة الى سامهم مرفوعة ، فتكون كلمة الله هي العليا ، وليفوز بجوهر الاخرة لا بالعرش الادنى من الدنيا وكانت الالسنه ربما سلقته فأنشج قلوسها بالاختار ، وكانت الخواطر ربما ظلت عليه مراجلها فأطفاها بالاحتمال والاصطبار ، ومن طلب خيرا خاطر ، ومن رام صفقة رابحة تجاسر ، ومن سما لان يجلي غمره غامر ، والاقان القمود يلين تحت نيوب الاعدا المماجم فتقضها ، ويضعف في أيديها مهر القوائم فتقضها ، هذا الى كون القعود لا يقضي فرض الله في الجهاد ، ولا يرضى به حق الله في العباد ، ولا يوثى به واجب التقليد الذى تطوقه الخادم من أئمة قضوا بالحق ، وه كانوا يعدلون ، وخلفاء الله كانوا في مثل هذا اليوم للميسألون ، لا جرم أنهم أورثوا سرورهم وسريرهم خلفهم الاظهر ونجلهم الاكبر ، وصغيتهم الشريفة ، وظلمتهم الشريفة ، وعلوان صحيفة فضلمهم لا عدم سواد العلم ومياض الصحيفة ، فما غابوا لما حضر ، ولا غضبوا لما نذر ، بل وصل الاجر لما كان به موصولا ، وشاطروه السمل لما كان عنه منقولا ومنه مقبولا ، وخلص المهم الى المضاجع ما اطمأنت به جنبها والى الصفائح ما عجقت به جيوسها ، وفاز منها بذكر لا يزال الليل به سميرا والنهار بصيرا ، والشرق يهتدى بأنواره ، بل ان أبدى نورا من ذاته هتف به الشرب بأن واره ، فانه نور لا تكتنه أغساق السدف ، وذكر لا تواريه أوراق الصحف .

« وكتاب الخادم هذا وقد أظفر الله بالمدو الذى تشظت قناته شققا ، وطارت فرقته فرقا ، وفل سيفه نصار عصا ، وصدعت حصاته وكان الاكثر عددا وحصا ، فكلست حملاته ، وكانت قدرة الله تصرف فيه الحنان بالعيان ، عقوة من الله ليمر لصاحب يد بها يدان ، وعثرت قدمه وكانت الارضى لها حليفه ، وغضت عينه وكانت عيون السيسوف دونها كسيفة ، ونام جفن سيفه ، وكانت يقطانه تريق نطف الكرى من الجفون ، وجدعت أنوف رماحه ولما كانت شامخة بالمنى أوراغة بالظنون ، وأضحت الارض المقدسة الداعرة وكانت الطامت ، والرب المعبود الواحد وكان عندهم الثالث ، ثبوت الشوك مهدومة ، ونيوب الكفر مهتومة ، وطوائفه الصامية ، مجتمعة على تسليم البائد الخاتية وشجعانه الصوافية ، مذعة ببذل الصلح الوافية ، لا يروق في ماء الحديد لهم عصره ، ولا في فناء الاثنية لهم نصره ، وقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وبدل الله مكان السيئة الحسنة ، ونقل بيت عبادته من أيدي أصحاب المشاة الى أيدي أصحاب الميمنة .

” وقد كان الخادم لقيهم اللقاة الاولى فأمدّه الله بمداركته ، وأنجده بملائكته فكسرهم كسرة ما بعد ما جبر ، وصرعهم صرعة لا يحيى معها بمشيئة الله كفر وأسر منهم من أسرت به السلاسل ، وقتل منهم من فتكت به المناصب ، وأجلت المصركة عن صرعى من الخيل والسلاح ، والكفار ، وعن أنصاف محبلى نانه قتلهم بالسيوف الافلاق والرماح الاكسار ، فنبيلوا بثأر من السلاح ونالوه أيضا بثأر ، فكم أهلة حيوف تقارضن الضراب بها حتى عادت كالمراجيح ، وكم أنجم رماح تبادلت الدلعان حتى عارت كالمدايعين ، وكسم نارسية ركض عليها فارسها السهم الى أجل فاختلصه ، وفشرت تلك القوس ناعما فاذا فوها قد نهض القرن على بعد المسافة فأقترسه ، وكان اليوم مشهودا ، وكانت الملائكة شهودا ، وكان الكفر مفقودا ، والاسلام مولودا ، وجعل الله ضلوع الكفار لنار جهنم وقودا ، وأمر الملك وميده أوثق وثائقه ، واكد وصله بالدين وعلاقته : ونسب الصليب الملبوت ، وقائد أهل الجبروت ، وما دهموا قتل بأمر الإقام بين دعائهم يسجد لهم باعه ، ويخرضهم وكان مد اليمين في هذه الدفعة وداعه ، لاجرم أنهم تهاقت على نارهم فرائشهم ، وتجمع في ذل ذائده خشاشهم ، نيقاتلون تحت ذلك الصليب أسلب قتال وأعدقه ، وبرونه ميثاقا يبنون عليه أشد عقد وأوثقه ، ويسيدونه سورا تحشرون حوافر الخيل خندقه ...

” ولما لم يبق الا القدس ، وقد اجتمع اليها كل شريد مشهور ، واعتصم بمحمتها كل قريب منهم ومعيد ، وظنوا أنها من الله مانحتهم ، وأن كنيستها الى الله شافعتهم فلما نازلها الخادم رأى بلدا كبادا ، وجمعا كيوم التصاد ، وفزائم قسود تألفت وتآلفت على الدوت فنزلت بحرصته ، وبان عليه مورد السيف وأن تموت به عصيته ، فزاول البلد من جانب فاذا أودية ، ولجج وبرة غريقة (هكذا) ، وسور قد انصطف عطف السوار ، وأبرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقد الدار ، فتدال الى جهة أخرى ، كان للطلامع عليها معج ، وللخيل فيها متولج ، فنزل عليها ، وأحاط بها وقرب منها ، ونهبت خبيثته بحيث يناله السلاح بأذرافه ، وبزاحمه السور بأكتافه ، وقابلها ثم قاتلها ، ونزلها ثم نازلها ، وبرز اليها ثم بارزها ، وحاجزها ثم ناجزها ، فضمها ضمة ارتشيب بعدها الفتح ، وصدق أهلها فاذا هم لا يسرون على عبودية الجدد عن عتق الصلح ، فراسلوه ببذل قطيعة الى مدة ، وقصدوا نذارة من شدة ، وانتظارا لنجدة ، فمروهم في لحن القول ، وأجابهم بلسان الدلول ، وتدم المضجيقات التي تتولى عقوبات الحصون عصيبا ، وحبالها ، وأوتر لهم قسيمها التي تشرب فاز تثارها سهامها ، ولا يفارق سهامها نصالها ، فصافحت السور بأكتافه ، فاذا سهامها في شايا شرقاتها كسواك ، وتقدم النصر نسرا من المضجيق يخلد اشلاذه الى الارض ، ويملو علوه الى السماك ، فثبج مرادع أبراجها ، وأسمع صوت عجيجها ، ورفع مشارعها ، فأغلى السور من السيارة ، والحرب من الدائرة ، فأمكن النقب أن يسفر للحرب النقب ، وأن يحيد الحجر السمي سيرته من التراب ، فتقدم الى الصخر فضع سرده بأنياب منوله ، وحل عتده بمنزله

الآخرق الدال على لدافة أنمله ، وأسمع الصخرة الشريفة غنيته واستغاثته ، الى أن كادت ترق لمقبله ، وتبرأ بعض الحجارة من بعض ، وأخذ الخراب عليها موثقاً فلسن تخرج الأرض ، وتفتح في السور باب سد من لجاتهم أبواباً ، وأخذ ثقب في حجيره قال هذه الكافر : يا ليتني كنت تراباً ، فحينئذ يمس الكفار من أصحاب الدور ، كما يمس الكفار من أصحاب القبور ، وجاء أمر الله وغرهم بالله الخرو . (١) .

يجدر القول ، قبل الشروع في تحليل هذه الرسالة ، أن القلقشندي صاحب "صبح الاعشى" قد تحدث عن بدايات الرسائل الديوانية ، وحصرها في جملة أساليب ، فوجد أنها تبدأ بذكر الديوان العزيز والدعاء للخلقة (٢) ، وقد تكون البداية في صدر الرسالة ، وقد تكون بعد الآيات التي تستهل بها الرسالة .

وكما هو واضح ، تبدأ هذه الرسالة بالدعاء للديوان العزيز ، ثم تنقل البشيرة بالتمنحات ، وما جرى فيها من أحداث انتهت بتسليم الفرنج ولردهم . وغايل ذلك يمرض الفاضل أحوال المسلمين قبيل الفتح وعده ، لتظهر قيمة الفتح والفتح ، ومن هنا ندرك أن هذه الرسالة ، وغيرها من الرسائل الديوانية ، ملتزمة بطرائق معينة .

والرسالة تدور حول محور واحد هو معركة حليين وفتح القدس ، وقد ضمن القاضي الفاضل رسالته عدة أفكار ، هي : الدعاء للديوان ثم شرح حال المسلمين قبل الفتح وعده ، ثم وصف الأحداث التي أدت الى الفتح ، ووصف خروج الفرنج ... على أن البارز في الرسائل الديوانية عامة ، ومنها هذه الرسالة ، الميل الى التصوير والتشخيص ، والاكثار من البديع ، والجنوح الى التكرار .

أما مصادر الصور في هذه الرسالة فهي :

١ . دينية :

ومن ذلك قوله : وتلاقت على الصخرة قبلهم ، وشئيت بها وان كانت صخره كما تشفى بالما غلهم ، وتوله : " وكان اليوم مشهوداً ، وكانت الملائكة شهوداً ، وكان النار مفتوداً ، وجعل الله نلون النار نار جهنم وتوداً .

(١) صبح الاعشى ٤٩٦/٦ - ٥٠٢ .

(٢) المصدر السابق ٤٩٦/٦ .

٥٢ حربية :

وتتجلى في النص التالي : " . . . فكسروهم كسرة ما يصدعها جبر ، وجروهم صرعة لا يبعث منها بحشة لله كفر ، وأسر منهم من أسرتهم السلاسل ، وقتل منهم من خنكتهم المناصل ، وأجلت المعركة عن صرع من الغيل والسلاح ، والكفار ، وعن انصاف محيل فانه قتلهم بالسيف الاطلاق والرماح الكسار ، فنبلوا بمثل مسن السلاح ونالوه أيضا بشار ، فكم أحله تقارض الضراب بها عادت كالسراجين ، وكم أنجم رماح تبادلت اللسان حتى صارت كالملاعيق . . . النص " . وفي النص صور أخرى يمكن الرجوع إليها .

٥٣ اجتماعية :

مأخوذة من حياة الناس ، وهي صور متعددة كتعدد مظاهر الحياة الاجتماعية ، ومنها ما هو مأخوذ من البشري ومنها ما هو مأخوذ من البيع والشراء ، ومنها ما هو مأخوذ من المصادات الاجتماعية كالسر واللباس والمصافحة والتأثر . . . ومنها ما هو مأخوذ من الحياة الزراعية .

٥٤ ثقافية :

وتشمل صور التعلم وأدواته كالاقلام والخبير ، والمعلومات التاريخية والمعلومات العلمية كالحدث عن الانواء والكواكب والشفاء والتداوي .

٥٥ بيئية :

مأخوذة من الطبيعة كالظل والسحاب والبرق ، والاسد والفأب والرياض . . .

وقد مال الكتاب كثيرا الى التشخيص، ومثت الحياة في الجمادات ، كما فعل القاضي حين صور الصخرة بالقلب الذي حل في جسم الدين ، وهي بذلك تلتقي مع الصخر الاسود ثم صورنا بالمرأة المجاهدة التي خلصت نفسها من عصمة الكفر ، كما صور الارض المقدسة كلها بالمرأة الدامث زمن النزول الصليبي ، وأما بعد استرجاعها فقد ظهرت منهم ، وكذلك صور القوم بالحيوان الشرير الذي يفخر فانه ليذهبي عدوه .

على أن جمال التشخيص يتجلى في وصفه لتحصينات القدس ، وما قامت به الجانيق الاسلامية من نقب للاسوار وتحليمها ، فهو يشبه السور المحيطة بالقدس ، بالسوار المحيط بالهد ، وتتغلغل هذا السور الابراج المشرفة على المناطق المجاورة ، ثم يذكر نزول صلاح الدين عليها ، وقتاله لها ، وخصه اياها بالضجيجات وأنواع الاسلحة الخفيفة ، فالسهام تصافح السور ، وتدخل في الشرفات كأنها سواك ، والجانيق تصف الابراج فتتهزأ بالصوت وتدمرها بالعجارة ، فيرتفع النبار ، وتتناثر العجارة ، ويثبرا بعضها من بعض ،

ابن الخلال رئيس الديوان ، فسأله : ما الذي أعددت لفن الكتابة من الآلات ؟
فرد عليه القاضي - كما يروى ابن الاثير في كتابه الوشي المرقوم - ليس عسدي
شيء سوى أنني أحفظ القرآن ، وكتاب الحماسة ، فقال : في هذا بلاغ ... ثم
أمره بملازمته ... حتى تدرب بين يديه ثم أمره بحل شعر الحماسة من أوله
الى آخره مرتين ... (١) .

وهذا يدل على أن حل الشعر والقرآن والحكم والامثال والحديث أصبح من
مستلزمات الكتابة الفنية في العصر الايوبي وما بعده . وفي الرسالة الموردة آنفا
اعتمد القاضي على الاقتباس العرفي والمعنوي ، ومن أمثلة ذلك قوله : " وصدق
الله أهل دينه " ، وقوله : " وصدق وعد الله في اظهار دينه على كل دين " (٢)
وقوله : " فتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى " (٣) وقوله :
" وكان اليوم مشهودا وكانت الملائكة شهودا " (٤) وجعل الله ضلوك الكفار لنار جهنم
وقودا (٥) وذاتوا أنها من الله مانعتهم وان كنيستها الى الله شافعتهم (٦)
فقبل منهم البذل عن يد وهم صاغرون (٧) وقال الكافر : يا ليتني كنت ترابا (٨)
فحينئذ يمش الكفار من أصحاب الدور كما يمش الكفار من أصحاب القبور (٩) ، وجاء
أمر الله وغرهم بالله النور (١٠) .

- (١) انظر مجلة الهلال ، المجلد التاسع - السنة الحادية والثلاثون ، ايلول سنة ١٩٧٣
مقال د . محمد أحمد خلف الله ، عن القاضي الفاضل ص ٤٢
(٢) اشارة الى الآية : " ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون " الصف ٩
(٣) " وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا " التوبة ٤٠
(٤) " ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود " هود ١٠٣
(٥) " وأولئك هم وقود النار " آل عمران ١٠
(٦) " وذاتوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله " الحشر ٥٩
(٧) " حتى يمسواوا الجزية عن يد وهم صاغرون " التوبة ٢٩
(٨) " ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا " النبأ ٤٠
(٩) " قد يمسوا من الآخرة كما يمش الكفار من أصحاب القبور " المتحنة ١٣
(١٠) " حتى جاء أمر الله وغرهم بالله النور " الحديد ٥٧

ومن التأثر بالحديث قوله : وكان الدين غريبا فهو الآن في وطنه ، ومن الحكم قوله : ومن طلب غايرا غاظر ، ومن راح صفقة رابحة تجاسر ، ومن سمل لان يجلي غرة غامر .

٣٠ الدباق :

وهو قليل في هذه الرسالة بالنسبة الى السجع ، ومن أمثله : تقلص - للصوص
البؤسى - النعسى ، الاخرة - الدنيا ، سواد - بياض ، غابوا - حضر ،
كسرة - جبر ... الخ .

٤٠ البناس :

وهو قليل أيضا ، ومن أمثله : أنوار - المراقب - المراقب -
العنان - العيان ... الخ .

أما الاطناب وتكرار المعاني فهما سمتان عامتان في الرسائل الديوانية التي تحمل
انباء التنوعات ، إذ يجبر الكاتب عن الفكرة في عدة جمل ، ويكرر المعنى في أشكال
مختلفة ، ولو نظرنا في رسالة القاضي السابقة لوجدنا فيها هذه السمة بوضوح ، فهو
يقول مثلا : وكتاب الخادم عذا ، وقد أظفر الله بالعدو الذي تشطت ثناته سقما ،
ولمات فرقه فرقا ، وفل سيفه فصار عصا ، وصدعت فصاته وكان الاكثر عددا وحصا ،
فكلفت حملاته وكانت قدرة الله تصرف فيه العنان بالبيان ، عظمة من الله ليس لمصاحب
يد بها يدان ... فالتص كله يدور حول معنى واحد ، وهو ضعف العدو ، وبهذا
المعنى تكرر من قبل في الفقرات السابقة أيضا ، كما تكرر في الجمل السابقة ، فتكثر رماحه
وليران فرقه ، وتظم سيفه ... كلها تعني ضعف العدو .

ومما يتسم به أسلوب هذه الرسالة البالسة ، فقد بالغ القاضي في كل شيء :
وهو يرف البشرى ، وهو يصف الفتح ، وهو يصف اندحار العدو وهزيمته ... ويمكن
للقارئ أن يرجع الى الرسالة ليجد الشواهد على هذه البالسة ، ونجترئ هنا فقط
ببعض حديثه عن البشرى : " فانها بعدو لاقتلهم فيه سبع طويل ، ولطف الحق للشكر
فيه عبث ثقل ، ومشرى للخوادير في شرحها مآرب ، ويمرر للاسرار في اظهارهم ...
صارب ... "

والمبالغة في التعبير مما جنح اليه كتاب الدواوين عامة في هذا العصر ، ولعمل
حرفي القاضي القاضي على تعظيم النصر والمقصود من العوائف التي دفعت الى هذه
المبالغة ، ولكنه أقرد ، وأفراطه هذا لا يرجع الى تحكم السجع والزخرف اللغظي
في كتابته ، فقد كان تمكنه من المادة اللغوية كفيلا بأن يخرج من قيود البيان التي
قد يتهرب بها من هو أقل منه معرفة باللغة .

أما انفعال القاضي بما يكتب ، فأمر لا ريب فيه ، وهو انفعال يبعثه أولا أنه رجل من الأمة التي ابتليت بالفتور والاحتلال ، ثم استطاعت التخلص منهما ، ويؤججه بعد ذلك أن الكاتب لم يكن مجرد رجل عادي من صفوف الناس ، بل كانت له منزلة عند صلاح الدين لا تكاد تدانى ، حتى عده السلطان من صناع النصر في القدس ، والاسلوب الذي اعتمدته القاضي في هذه الرسالة ، هو اسلوب شاعري ينطلق فيه خيال الكاتب ، وتتدفق فيه عواطفه ، كما في أي نص شعري .

ب . رسالة الساد الاصفهاني الى الديوان العزيز بهنداد بمشاسبة فتح طهريه يقول :
 " ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون " .
 الحمد لله علي ما أنجز من هذا الوعد ، وعلى نعمته لهذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد ، وعلى أن أجرى هذه الحسنة التي ما اشتمل على شبيهها كرام الصحائف ، ولم يجادل عن مثلها في الدوايق ، في الايام الامامية الفاصلة زادنا الله غرا وأوصاحا ووالس البشائر فيها بالفتوح غدا ورواحا ، ومكن سيوفها في كل مازق ، من كل كافر ومارق ، ولا أخلاها من سيرة سرية تجميع بين مصلحة مخلوق وطاعة خالق ، وأطال أيدي أوليائها لتحصي بالحقيقة حصن العقائد ، وأنجزها الحق وقذف به على الباطل الزاهق ، وملكها يهودى الفارب ومرامي المشارق ، ولا زالت آراؤها في الظلمات مصابيح ، وسيوفها للبلاد مفتاح ، وأطراف أسنتها لدماء الأعداء نوازح .

والحمد لله الذي نصر سلطان الديوان العزيز وأيده ، وأثقر جنده الشاليب وأنجده ، وجلا به جلايب الظلماء وجدده ، وجعل بعد عرسيرا ، وقد أحدث الله بعد ذلك أمرا ، وهون الامر الذي ما كان الاسلام يستطيع عليه صبرا ، وخوطف الدين بقوله : " ولقد مننا عليك مرة أخرى " : فالأولى في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ، والاخرى هذه التي عتق فيها من رق الكلبة ، فهو قد أصبح حرا ، فالزمان كهيئته استدار ، والحق بمهجته قد استنار ، والكفر قد رد ما كان عنده من المستحار وغسل ثوب الليل بما فجر النجوم من أنهار النهار ، وأتى الله بنيان الكفر من القواعيد ، وشفى غليل صدور المؤمنين برقراق ماء المورديات البوارد ، أنزل ملائكة لم تظهر للمؤمنين إلا لاجلها ، ولم تخف عن القلوب الحائرة ، عزت سيما الاسلام بمسومها ، وترادف نصره بمردفها ، وأخذت القرى وهي دالمة فترى مترفها كأن لم تؤو فيها ، فكم أقدم بها حيزوم ، وركض فاتبسه صاحب عجاج مركوم وضرب فاذا ضربه كتاب جراح مرقوم ، ولما كان الحروب انما عقدت سجالا ، وانما جمعت رجالا وانما دعت شفافا وثقالا ، فاما سيوف تقاثل سيونا ، أو زحوف تقاثل زحوا ، فيكون حد العديد بيد مذكرا بيد مؤنثا ، ويكون السيف في اليد الموحدة يغني بالضربة الموحدة وفي اليد المثلثة لا يغني بالضرب مثلنا ، وذلك أنه في فئتين التقتا ، وعدوتين لغير مودة اعتنتتا ، وان هذه النمرة ان زويت عن ملائكة الله جحدت كراماتهم ، وان زويت عن البشر فقد عرفت قبل مقاماتهم .

فما كان سيف يتيقظ من جفنه قبل أن ينبهه الصرخ ، ولا كان ضرب يطير الهام قبيل ضرب يراه الناظر ويسمع الصيخ ، فكم قرية كأنها هجرة الموت وسها التاريخ ، وكم طمعة تغرلها هضاب العديد ولها شارب .

والحمد لله الذي أعاد الاسلام جديدا ثوبه ، بعد أن كان جديدا حبله ، مبهضا نصره ، مخشرا نصله ، متصفا فضله ، مجتمعنا شمله . والخادم يشرح من نبأ هذا الفتح العظيم ، والنصر الكريم ، ما يشرح صدور المؤمنين ، ويضع الخبور لكافة المسلمين ، ويكرر البشرى بما أنعم الله به . من يوم الخميس الثالث والعشرين من ربيع الآخر إلى يوم الخميس منسلفه . وذلك سبع ليال وثمانية أيام حسوما سخرها الله على الكفار " فسترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية " روايتها إلى الاسلام ضاحكة كما كانت من الكفر باكية ، فيوم الخميس الأول فتحت طبرية وقاض ري النصر من بحيرتها ، وتضت على جسرهما الفرنج فقضت نعيمها بحيرتها ، وفي يوم الجمعة والسبت كسر الفرنج الكسرة التي ما لهم بعدها قائمة ، وأخذ الله أعداءه بأيدي أوليائه أخذ القرى وهي ظالمية . وفي يوم الخميس منسلف الشهر فتحت عكا بالامان ، ورفعتم بها أعلام الايمان ، وهي أم البلاد واغتارم ذات الصناد ، وقد أصبحت كأن لم تغن بالكفر وكان لم تفتقر من الاسلام . وقد أصدر هذه المطالعة وطلب الصلوات مأسور ، وقلب ملك الكفر الاسير جيشه المكسور مكسور ، والعديد الكافر الذي كان في الكفر يشرب . وجه الاسلام ، قد صار حديدا مسلما يفرق خدوات الكفر عن الاقدام ، وأنصار السلب وكباره ، وكل من الممودة عمدته يفرق داره ، قد أحاطت به يد القبضة ، وأخذ رهناء فلا تقبل فيه القناطر المقطرة من الذهب والفضة ، وطبرية قد رفعت أعلام الاسلام عليها ، ونكصت من عكا طلة الكفر على عتبها وعمرت إلى أن شهدت يوم الاسلام وهو خير يومها ، بل ليس من أيام الكفر يوم فيه خير ، وقد غسل عن بلاد الاسلام بدماء الشرك ما كان يتخللها فلا ضرر ولا ضير ، وقد صارت الهيكل مساجد هم بها من آمن بالله واليوم الآخر ، وصارت المناصر مواضع لخطباء المنابر واهتزت أرضها لوقوف المسلمين فيها وطالما ارتجت لمواقف الكافر ، والباس الامام في الناصري قد أمضى مشكاته على يد الخادم حتى بالدني في الكنائس ، وإن عز أول الاسلام بحل تاج فارس ، فكم حلت سيوفه في هذا اليوم من تاج فارس (١)

أول ما يلفت النظر في هذه الرسالة أنها تبدأ بآية قرآنية ، متلو بالدعاء للديوان العزيز والسلطان صلاح الدين ، ثم ينتقل الكاتب إلى وصف حالة الاسلام قبل الفتح ومحمد ، ففتح القدس هو محور الرسالة الذي تدور الاحداث حوله . وقد انتزع السواد صورة الهيانية من الحياة الدينية والاجتماعية ومصادرها ، ومن الدليمة واجواء الحرب . ومن السهل على الناظر في الرسالة أن يجد الشواهد على هذه الصور .

(١) صبح الاعشى ٥١٧/٦ - ٥٢٠ ، الروضتين ٨٩/٢

والحماد كالقاضي الناضل ، يعتمد كثيرا على التشخيص ، كما في قوله : " وضل
سبيل الليل بما فجر الفجر من أنهار النهار " وأتى الله بنيان الكفر من القواعد
وفي قوله : " وقد أصدر هذه المداومة وعلب الصلوات مأسور " وتلب الكفر الأسير جوشه
المكسر مكسر ، والحمد الذي كان في الكفر يضرب وجه الاسلام قد صار عديدا
صلنا يفرق غلوات الكفر عن الاقدام . . .

وهذا في البديع على هذه الرسالة كما يلقى على رسائل الحماد عموما ، وليس
أخذ القارئ أية فقرة لوجد فيها ألوان البديع ، ومنها السجع والاقتراس اللفظي
والمعنوي والتضمين ، ومن أمثلة الاقتراس اللفظي قوله : " ولقد كتبنا في الزبور من
بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون (١) وقوله : " ولقد منّا عليها مرة أخرى (٢)
وتوله : " فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية (٣) " ومن الامثلة على حمل
الايات القرآنية قول الكاتب : الحمد لله على ما أنجز هذا الوعد ، على نصرته لهذا
الدين الخفيف من قبل ومن بعد (٤) وقذف به على الباطل الزاهق (٥) وحصل
بعد عسر يسرا (٦) وقد أحدث الله بعد ذلك أمرا (٧) ما كان الاسلام يستطيع
عليه صبرا (٨) وأتى بنيان الكفر من القواعد (٩) ، أنزل ملائكة لم تظهر للمسيون
الملائكة (١٠) ، وأخذت القرى وهي ظالمة فترى مترفيا كان لم تؤو فيها (١١) ،
في فئتين التقتا (١٢) . . . الخ .

(١)	سورة الانبياء آية ١٠٥	(٢)	سورة طه آية ٣٧
(٣)	سورة الحاقة آية ٦٩		
(٤)	إشارة الى قوله تعالى :		لله الامر من قبل ومن بعد " الروم ٤
(٥)	= = =		" بل نقذف بالحق على الباطل فيدفعه فإذا هو زاهق "
			الانبياء آية ١٨
(٦)	= = =		" فان مع العسر يسرا " الشرح آية ٥
(٧)	= = =		" لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا " الطلاق ٦٥
(٨)	= = =		" قال : إنك لن تستعين بمسي صبرا " الكهف ٦٧
(٩)	= = =		" قد مكر الذين من قبلهم ، فأتى الله بنيانهم من القواعد "
			سورة النحل آية ٢٦
(١٠)	= = =		" ألن يكذبكم أن يدرككم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين "
			سورة آل عمران آية ١٢٤
(١١)	= = =		" وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة " طود ١٠٢
(١٢)	= = =		" قد كان لكم آية في فئتين التقتا . . . آل عمران ١٣

ومن الأمثلة على هذا نصوص الأحاديث النبوية ، قوله : فهو قد أصبح حراً فالزمان كهيئته ، استدار ... ومن ألوان الهدى كذلك ، الطباق ، ويدو في الألفاظ .
الثالثة : مخلوق - خالق ، الحق - الباطل ، المقارب - المشرق ، صر - يصر - الليل - النهار ، مذكر - مؤنث ، الموحد - المثلث - ضاعكة - باكية ، جديسد جديد (الهالي) ... الخ .

ومنه الجنس ، ويشتمل في الكلمات التالية : سيرة - سرية ، جدد - جدد ، استدار - استنار ، بحيرتها - بحيرتها ، نصره - نصره ... (١) .

وأما الاطناب والتكرار ، فأننا نجد منهما ما وجدناه من قبل عند القاضي الفاضل كقول العماد : الحمد لله الذي أعاد الإسلام جديداً فهو ، بعد أن كان جديداً قبله مبعوثاً نصره ، مخضراً نصره ، متسعاً نصره ، مجتمعاً نصره ... فهذه الجمل تؤدي معنى واحداً هو قوة الإسلام بعد الفتح .

ورغم هذا التشابه في السمات الفنية بين النصين إلا أننا نعلم، بعض فوارق في طريقة تناول ، فالعماد قسم الفتح على الأهم وصف ما جرى في كل يوم ، ثم أن الجمل التي اعتمدها خاصة في نقل البشور ، كانت أقصر من جمل القاضي الفاضل ، وقد يشرح هذا القصر في الجمل بسرعة الحركة ، ثم إن العماد دخل في موضوع البشور مباشرة ، إذ قدم آيات الحمد المرتبطة بالفتح ، بينما ابتدأ القاضي الفاضل رسالته بالدعاء للخليفة المباسي ثم لصالح الدين .

محمد ، فقد نتساءل : لو سقطت أسكتاب كل من الرسالتين ، هل يمكننا أن نتعرف عليه من خلال السمات الفنية لرسالته ؟ .

أظن الظن أننا لن نستطيع ذلك ، لأن السمات الفنية مشتركة بين الرسالتين إلى حد بعيد ، والواقع أنني حاولت فعلاً - حين كنت أقرأ بعض الرسائل في كتاب الروضتين - أن أرتد هذه الرسائل إلى أصحابها فلم أستطع ، لأنني لم أجد المميزات الخاصة التي توضح حداً فاصلاً بين رسائل أشهر كتاب الدواوين في هذه الفترة : القاضي الفاضل ، والعماد الإصفهاني ، وابن الأثير .

(١) انظر وصف العماد لرسائله بمناسبة الفتح ، يقول : وأوردت المعنى البليغ في اللفظ الوجيز ، ووشحت ووشحت ، وشعبت وأشعبت ، وأطلت وأطلبت ... وأبعدت وأبدعت ، وصرعت وصرعت ، وأبقت وجانست ، ووافقت وآنست ...
الفتح ١٣٣

يقودنا هذا إلى مناقشة آراء الذين ذكروا أن القاضي الفاضل ابتكر الطريقة التي سميت "الفاضلية" باسمه ، وهي التي تعتمد على نشر القرآن ، والتشخيص والاختار من البديع (١) ، فقد تبين أن هذه المميزات الفنية مشتركة عند عدد من الكتاب الذين عوا بالهدى زمن الفاضل وقبلة ، مما يدل على أن القاضي لم يبتكر طريقة خاصة في الكتابة ، وإنما كانت شهرته ومشاركته في الأحداث السياسية ، وأرتهاطه بشخصية صلاح الدين هي التي ساعدت على نسبة هذه الطريقة إليه دون غيره . ومعلوم أن القاضي الفاضل كان كاتباً زمن الدولة الفاطمية ثم زمن الدولة الأيوبية ، وهو الذي كتب العهد لصلاح الدين بالوزارة ، لكنه حتى تلك الفترة لم يكن قد اشتهر بعد ، لأنه لم يكن قد اضطلع بدور سياسي كبير ، وفي الأمر كذلك ، إلى أن تمت الوحدة بين الشام ومصر على يد صلاح الدين ، فتولى تصريف الأمور في مصر في غياب صلاح ، وكان على اتصال دائم به ، واعتمد عليه صلاح الدين كثيراً . واستفاد من قلمه ، حتى قال فيه : "مسكاً فتحت الهلاد بالسماكر ، وإنما فتحتها بقلم القاضي الفاضل" (٢) .

ويمكننا القول ، إن رسائل القاضي الفاضل رسائل سياسية فكرية وجدانية تتصل بأعمال صلاح الدين وحياته اتصالاً وثيقاً ، بينما تقتصر رسائل السواد وابن الأثير على مراسلاته الرسمية "دون غيرها" .

ج . رسالة الملك المنصور قلاوون إلى اليمن مبشراً بفتح "صافيتا" من أنشاء محسي الدين بن عبد الظاهر ، يقول الكاتب :

"أعز الله تعالى نصرة المقام العالي ، الدولوى ، السلطان الملكي المظفرى الشمسى ، وأشرکه في كل بشرى تشد الرجال لاستماعها ، وتحل الحصى لاستطلاعها وتنهات التواريخ والمسير على استرقاعها ، وتتنافس الاقلام والسيوف على الاتهام بأجناسها وأنواعها ، ولا خلا موقف جهاد من اسمه ، ولا صرف أجر من نفسه ، ولا غرض هنا من سبهم ، ولا أفق ابتهاج من يزور شمسهم وطلوع نجمه ، سطر السلوك هذه الهشوى والسيوف والقلم يستمدان : هذا من دم وهذا من نفس ، ويمضيان هذا في رأس وهذا في طرف ، ويتجاوبان : هذا بالصليل ، وهذا بالصرير ، ويتناوبان : هذا يستميل وهذا يستمير ، وكل منهما ينافس الآخر على المشاهدة بخبر هذا الفتح الذي

(١) انظر الخريدة ٣٥/١ ، خزنة الادب ٢٤٠ ، الروضتين ٢/٢٤٢ ، الحسروب

الصليبية وأثرها في الادب العربي من ١٥٩ - ١٦٠ ، أدب الحروب الصليبية

١٨٥ ، أمير شمراء المشرق ، ابن نباتة المصري من ٩١

(٢) مرآة الزمان ٤٧٢/٨

سمت اليه هم الملوك الاوائل ، ولا سمت به سيرهم التي بدت أجيادها من حـيـلـة
عواطل ، ولا دار نفسي خلد أن مثله يتبها في المدد الدلولة ، ولا تشكل في ذهن أنه
سيدرك بحول ولا حيلة ، وهو النصر المرتب على حركتنا التي طوى الله لركابنا فيها
المراحل وألقى بدرر عساكرنا من بحر الحديد المالح الى الساحل ، وهجومنا على الهلاد
الفرنجية : وهي اربلس و صافيتا وأنطرسوس ومربية والمرب ، كما يهجم الفيت ،
ومحمد متنا صوره كما يصد الميث ، وسلوكنا منها حيث لم يبق حيث ، وما جرى نفسي
هذه الوجهة من اغارات أحسن متقلب الأغة ، ومتقلب السوء وحترق الاسنة ، وما
تبها منها من فتوح صافيتا التي هي أم الهلاد ، ومنتجع الخاضر والبان ، وكونها
قد صمدت نفسها في جملة ما يقرى به الضيف ، وقالت : هذا فتوح حضر على هذا الفتوح
لهذا السيف ، وتطلقت في مسح أطراف الامان ، ورايت شكرا وشكرا ، وأحضرت اليها
من أهلها الوقت وهدت السيوف في أعناقهم فتشبهت بها الاغلال ، وأنفت أيمان أهل
الايمان من مصافحتهم لأنهم أصحاب الشمال ، فأطلقهم سيقنا وأقله يمتد الى من هو
أعز منهم مالا ، وأكثر احتقلا ، وأبرز مالا ، وأعز سيوقا قصارا ورماحا طولا ، واستطار منها
شمار نار الحرب الموقدة الى غيرها من القلاع ، واستدلال الى سواها من الحصون منهم الباع
فلا حصن الا وافترت ثبته عن نصر مسهل ، وفتح مجمل وموجل ، الخ (١)

بدأت هذه الرسالة بالدعاء لمقام الوصل اليه ، كتلك الرسائل السابقة ، وبعد
القارى في هذه ما وجدناه في تلك من سمات فنية ، فالسجع ملترم به من أول الرسالة الى
آخرها ، والطباق والجناس يشكلان عنصرا مهما من عناصر البيان فيها ، ولكن اعتماد
الكاتب على حل القرآن والشعر أقل في هذه الرسالة مما هو في الرسالتين السابقتين ،
وقد أكثر الكاتب من استعمال التشخيص ، فبحث الحياة في السيف والقلم ، وأنشأ
مفاضلة بينهما على ما هو معروف في هذا العصر من مظاهر بين السيف والقلم ، ومنها
مناظرة طويلة بينهما لجمال الدين بن نباته المصري (٢) .

ومن التشخيص كذلك وصفه لخصن الاكراد بأنه انسان متكبر يستطيع أن ينزل صرته
بالشام وقت ما يشاء ، ثم يصوره بأنه مقر للصقور ، ومريض للأسود ، يقول : " فمن ذلك
خصن الاكراد الذي تاه بحذافه على الممالك والحصون ، وشمع بأنفه عن أن يمتد الى مثله
يد الحرب الزبون ، وقد اجازبا بفتح الشام ، وأخذوا بمخاتق بلاد الاسلام ، وشلا في
يد الهلاد ، وشجا في صدر العباد ، تنقض من عهده صقر الاعداء الكاسرة ، وترتاع من
سطوتها قلوب الجيوش الماثرة ، وترى بأرياضه آساد تحمي تلك الاجام ، وثقوة من
تسيه سهام تسمى مفونات السهام ، تعطيه الملوك الجزية عن يد وهم صاغرون ، ويصطفي
كرام أموالهم وهم صابرون لا صابرون ، وله مدن حوله خص هو كالراحة وشسي

(١) صحح الأعشى ٣٥٤/٧ - ٣٥٥

(٢) انظر المناظرة في كتاب : الحروب الصليبية وأثرها في الادب العربي ص ٢٩

كالانامل ، وتكاد بوجه ترى كالنظايا المقطرة وهي منها بمنزلة الزواميسل ٠٠٠ الخ
وفي الرسالة أيضا تشخيص لأدوات الحرب من مجانيق ورماح وسهام يقول : ونصبت
عليها عدة مجانيق حلت في شوارع الجبال ، على رؤوس الأبطال ، فتنبطت
السهمية أن الذي تقوم به هذه ، تلك به لا تقوم ، وأن ما فيها إلا له من الأيدي والرؤوس
مقام مفلون ، وصار يرمى بها كل كمي مختلف ، وأربع منتهى ، وكل ليث غابة يحجمها
وتحميه ، فشكراً لأسود حتى غاباتها تفرس ، إلى أن جثت أسوارها على الركب ، وكانت
سهام مجانيقها تحمل من الصعج فصارت تميد من العجب ، وكانت قلوب فصارت تهرب
من الطلب ٠٠٠ (١) .

* * *

هذا نمط من الرسائل الديوانية ، وهناك أنماط أخرى تتميز عن هذا النمط
بسمه أو أكثر من السمات ، نذكر باختلاف الموضوع أو اختلاف الكاتب .

أما اختلاف الكتاب فالمقصود فيه انتقاهم إلى كتاب الدواوين أو عدم انتمائهم
وذلك لأن كتاب الدواوين تجمع بين رسائلهم سمات عامة مشتركة : كالسجع ، والتشخيص
وحل القرآن والشعر ٠٠٠ الخ . في حين أن الكتاب الآخرين قد لا يقيدون أنفسهم
بقيود الزخارف اللغوية ، ولا يحفون بها بالبحث عن الألفاظ والصور .

ومن الأمثلة على ذلك رسالة السلطان الملك المعظم تورانشاه إلى الأمير جمال
الدين موسى بن يسمور نائبه بدمشق يبشره بهزيمة الفرنج عن دمياط . يقول :
" الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، وما النصر إلا من عند الله ، ويومئذ يفرج
المؤمنون بشر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .
يبشر المجلس السامي الجمالي ، بل يبشر الأسانم كافة بما من الله به على
المسلمين من الذافر بعدو الدين ، فإنه كان قد استفعل أمره ، واستعكس شره ، ويشهد
المهاد من البلاد ، والأهل والأولاد ، فنودوا لا تيأسوا من روح الله .

ولما كان يوم الأربعاء مستهل السنة المباركة . تم الله على الأسانم بركاته -
فتحننا الخزائن ، وبذلنا الأموال ، وفرقنا السائح ، وجمعنا السريان والمطوعة ، واجتمع
خلق لا يحسمهم إلا الله تعالى ، فجاءوا من كل فج عميق ، ومن كل مكان بميد سحيق
ولما رأى العدو ذلك أرسل يدالب الصلح على ما وقع الاتفاق بينهم وبين الملك الكامل
فأهيننا .

(١) صبح الأعشى ٣٥٥/٧ - ٣٥٦ ، وانداز رسالة أخرى زمن الأشرف خليل تحمل
السمات نفسها ، صبح الأعشى ٣٦٨/٧ .

ولما كان الليل تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم ، وقصدوا دمياط هلمسين ،
فسرنا في آثارهم بالمهين ، وما زال السيف يحل في أديارهم عامة الليل ، ويدخل
بهم الخزي والويل . فلما أصبحنا نهار الاربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفا غير من القبي
نفسه في اللجج ، وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج ، والتجأ الفرنسيون إلى
البنية ، وطلب الألمان ، فأضاه وأخذناه ، وأكرمناه ، وتسلسلنا دمياط بحون الله تعالى
وقوته وجلاله وعذابه . (١) .

فإذا ما قارنا بين هذه الرسالة والرسائل الديوانية السابقة نجد وجه التشابه
اتكاهما جميعا على المادة القرآنية إلى حد الاقتباس الحرفي .

فهي تبدأ بجملة آيات من سور مختلفة : " الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن " (٢)
" وما النصر إلا من عند الله " (٣) ، " ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو
المعزى الرحيم " (٤) ، " وأما بنعمة ربك فحدث " (٥) ، " وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها " (٦)
" ومن لا تنهاسات المعنوى قوله : " فتودوا لا تيأسوا من روح الله " (٧) ، وقوله :
" فجاءوا من كل فج عميق " ومن كل مكان بعيد صحيح " (٨) .

ولكن مع هذا التشابه اختلافا واضحا في نواح أخرى بين هذه الرسائل ، فالسجع
في الرسالة الأخيرة قليل ، ويأتي دونما جهد واللب شديد ، ويمكن حصره في أماكن محدودة :
" وفي البلاد من البلاد والأهل والأولاد " ، " فجاءوا من كل فج عميق " ومن كل مكان
بعيد صحيح .

-
- (١) نهاية الأرب ج ٢٢ ورقة ١٠١
 - (٢) سورة فاطر آية ٣٥
 - (٣) سورة آل عمران آية ١٢٦ والأنفال آية ١٠
 - (٤) سورة الروم آية ٥
 - (٥) سورة النحل آية ١١
 - (٦) سورة النحل آية ٧
 - (٧) إشارة إلى قوله تعالى : " ولا تيأسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا
القوم الكافرون " سورة يوسف آية ٨٧
 - (٨) إشارة إلى قوله تعالى : " وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل شامر
يأتين من كل فج عميق " سورة الحج آية ٢٧

” وقصدوا دمياط هارمين ، فصرنا في آثارهم طالهمين ، وما زال السيف يحمل فسي
أدبارهم عامة الليل ، ويدخل بهم الخزي والويل ” غير من ألقى نفسه في اللجج
وأما الأسرى فعدت عن البحر ولا خرج

وثمة اختلاف آخر ، وهو ما تتضمنه هذه الرسالة من سهولة الألفاظ وساطة
المعاني ، وقلة الصور البيانية ، دون أن ينشأ عن ذلك ضحالة في المعاني . فالرسالة
تعرض ما جرى في دمياط من قتال مع الفرنج ، وتصور الحالة النفسية التي كان عليها
المسلمون ، من ذعر استشعروه في البداية ، ثم من ثقة ، استطاع السلطان أن يعيدها
إلى نفوسهم بعد ذلك ، كما تصور حالة الفرنج النفسية قبل المعركة الحاسمة وعندها ،
مع ما رافق هزيمتهم من شعور المسلمين بالتشفي ، والحديث عن المدو بزيادة وسخرية
وكل ذلك في إطار أسطر قليلة .

وإذا اختلف أسلوب النص باختلاف كاتبه ، فإنه يختلف كذلك باختلاف موضوعه .
وقد وضع شهاب الدين محمود نمطا عاما للرسائل ، والمطب من الكتاب التقيد بسننه ،
فهو يقول : ” ومما يتعين على الكاتب استعماله والمحافظة عليه ، والتمسك به ، إعطاء
كل مقام حقه ، فإذا كتبني أوقات العروب إلى نواب الملك عنه وإلى مقدمي الجيوش
والسرايا ، فليشوخ الإيجاز والألفاظ البليغة الدالة على القصد من غير تداول ولا بسط
يضيع القصد ، ويحصل الكلام بعضه عن بعض ، ولا تهويل لأمر المدو وينصف القلوب ،
ولا تهوين لأمر يحصل به الاغترار وإذا كتب عن الملك في أوقات عركت المدو إلى
أهل الشور يحلمهم بالحركة للقاء المدو ، فليست القول في وصف العزائم ، وقوة الهمم
وشدة الحمية الدين ، وكثرة المسامر والجيوش ، وسرعة الحركة وطبي المراحل
ويبرز في أمثني كلام وأجمله ، وأمكنه وأقره من القوة والبسالة ، وأبعده من اللين والرقه
” (١) ، وهذا ما لاحظناه القلتشندي فيما بعد . ” إذ يقول : ” وأعلم أن الكتابة
في فتوحات بلاد الكفر ومواقفهم والاستيلاء على بلاد البغاة تكاد تكون على نسق واحد
إلا أن مجال الكاتب في فتوحات بلاد الكفر أوسع ، من حيث عزة الاسلام على الكفر ،
وظهور دينه على سائر الأديان ” (٢) .

ومن الموضوعات التي برزت في الرسائل الديوانية التحريض والتوبيخ والرد على
التهديد

ومثال التحريض ما كتبه الشيخ بد الدين حبيب الحلبي إلى أصحاب الثغور
في طرابلس ، عند ظهور الفرنج في بحر تلك الضلقة ، يقول : ” المرسوم بالامر المالي
أعلاه الله تعالى ، لا زالت مراسمه النافذة تبلغ أهل العصاة المحمدية غاية الآمال ،

(١) نهاية الأرب ج ٢ ص ١٨٩ - ١٩٠ ، وانظر حسن الثوغل إلى صناعة الترسيل ص ١٣٤

(٢) صبح الأعشى ج ٨ ص ٢٧٨

وأوامره المطاعة تقضي بكسر اللوسارية وشين الشوال ، أن تتقدم المساكر الضخمة بالصلابة
الطرابلسية أيد الله تعالى عزائمهم القاهرة ، وأذل بسيفهم الملائكة الكافرة ، بارتداء
منهم الجهاد ، والتخلي بحرارة الصبر على اجتلاء الجلائد ، وأن يجيئوا داعي الدين ،
ويكفوا أيدي المعتدين ، ويفوتوا سهامهم ويجعلوا التقوى أمامهم ، ويشرعوا رماحهم ،
ويحملوا سلاحهم ، ويومضوا بروق السيوف ، ويرسلوا نبال الختوف ، ويهدموا بنيان الكفار ،
ويطلمعوا أهلة القسي بحدّ الأوتار ، ويهضموا جانب أهل السناد ، ويقابلوا البحر بمسل
بحر من الجياد ، وينظروا أمواجه بأموج النصال ، ويقاتلوا الفرقة الفرنجية أشد
القتال ، ولا يهملوهم بالنهار ولا بالليل ، ويسدوا لهم ما استطاعوا من قوة ومن رباط
الخيال ، وينهروا بصباح الرباط في سبيل الله ظلام الدجّة ، وأن يصابروا ويصبروا
فإذا استنفروا فلينفروا ، ويبالنوا في الفدو والرواح ليلفوا الرعية من الأمن أمانها ،
فقد قال صلى الله عليه وسلم : " لخدوة في سبيل الله أو راحة خير من الدنيا وما فيها " .
ويحتمدوا القريب المجيب ويجهتدوا في كسر أصلاب أهل الصليب ، وينافسوا في أمر
الآخرة ، ويدعوا الدنيا ، ويقاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا ، ويشهدوا المواقف ،
ويذلوا التالذ والطارق ، وليبرز الفارس والراجل ، ويظهر الرامح والنابل ، فإن الجهاد
سحاوة الله تعالى على ذوى الفساد ، ونقمة القائمة على أهل الشرك والعناد ، وهو من
الفروض الواجبة ، التي لم تزل سهام أصحابه صائبة ، فواظبوا على فعله ولا تذهبوا عن
مذاهبه وسبله ، وادخلوا أعداء الله برا وحرا ، وقسموا بينهم الثكاث ثقلا وأسررا ،
وفاجئوهم بحركه الحرب ، وناجوهم برسائل الطمن والضرب ، وغدوا من الكفار
باليمن ، وجدوا في تحصيل الریح الثمين ، ولازموا التزول بساحل البحر لنزاله
الطفاة المشركين " يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، وليجدا فيكم
غلظة ، واعلموا أن الله مع المتقين " . وسابقوا الأعداء ، ونزوا أعلاف الأئمة ، وشمسوا
من حاق السزائم ، ولا تأخذكم في الله لومة لائم ، واتخذوا الخيام مساكن ، واجعلوا
ظهور الخيل لكم مواطن ، وانصهوا الألوية والأعلام ، وادخلوا جمره الشريعة الفاضلة
للاسلام ، ولا تخشوا من جمعهم الاثل الى التفرق ، وحشدكم الذي هو عما تليسل
إن شاء الله تعالى غريق ، ولا تعبوا بسفنهم البحرية ، فإن سئتم الخيل المغلوقة
من الرياح ، ولا تغفلوا الى مجاذيفهم الخشبية ، فإن مجاذيفكم السيوف والرماح
فاقلعوا قلوبهم ، وشتتوا جموعهم ، وأذهبوا الجف والحيف ، وخاطبواهم بالسنة
السيف ، وأوقدوا في قلوبهم بالتحصين والاحتراز نارا ، وادعوا الله أن لا يذر على
الأرض من الكافرين ديارا ، ونكسوا صلبهم النصصوب ، وادروا الى حرب جزهم
المفلوب ، وارضوا باليقين شك هذه المحنة ، وتاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، وانجروا
في ذات الله طيب المنام ، وانقلوا الاقدام الى الاقدام ، واكشفوا عنكم أستار المال
والملام ، واهتموا بما يحلي كلمة الاسلام والسلام ، فليرفعنكم الله الى منازل المسمز
والتميز ، " ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز " (١)

ويتبين من الرسالة أنها " مرسوم " بالحركة لمواجهة الفرنج الواصلين بالبحر ،
 " يرضى لاستئصال شأفة الفرنج " فجاءت بقوة الجرس شديدة الوقع وكأنها خطبة قائم
 سي بعده قهلا المحركة - وتشترك هذه الرسالة مع الرسائل السابقة في معظم السمات
 الفنية ، وتتميز عنها بشدة الوقع لاختلاف الموضوع ، فالسجع فيها سمة بارزة تترأى فني
 الرسالة جميعها ، وكذلك الجناس والاقتران بنوعيه الحرفي والمعنوي ، ثم التكرار
 والاطناب ، من أجل زيادة التأثير ، وشدن النفوس بالانفعالات المحركة .

ومع أن هذه الصفات مشتركة في الرسائل الديوانية ، إلا أن هذه الرسالة تتميز
 بالحرارة الشديدة ، والانفعال القوي ، وقد جاءت عباراتها قصيرة ، وألفاظها قوية
 موجية بالحركة ، واقترانها مرتبطة بموضوع القتال والجهاد .

وقريب من هذه الرسالة رسالة شهاب الدين محمود التي يقول فيها :
 " أصدرنا هذا وضادى النفي قد أعلن : يا خيل الله اركبي ، ويا ملائكة الرحمن اصحبسي
 ما وفود التأييد والذاقر اقربسي ، والعزائم قد ركنت طلى سوابق الرعب الى الحدى ، والهم
 الى عدو الاسلام لو كان في يدي ... ما بيننا وبينه مسن
 مدى ... "

فهذه رسالة الى مقدم سرية كشف ، يطلب فيها أن يكون خفيفا سريعا ، فجاءت
 الرسالة قصيرة في حجمها وفي بطلها ، مشيرة في أصواتها وإيحائها ...

ومثال التجميع والتثنية رسالة القاضي محي الدين بن عبد الظاهر الى ملك الفرنج
 في داربلين وانطاكية ، يقول :

" قد علم القومى الجليل ... ألهم الله رشده ، وقرن بالخير ...
 وجعل النصيحة محفوظة عنده ، ما كان من قصدنا داربلين وغزونا له في صر الدار ، وما
 شاهدناه بعد رحيلنا من أخراب المصائر وعدم الأعمار ، وكيف كتبت تلك الكائنات من
 على بساط الارض ، ودارت الدوائر على كل دائر ، وكيف جعلت تلك الجزائر من الاجساد
 على ساحل البحر كالجزائر ، وكيف قطرت الرجال واستخدمت الاولاد وتملكت الحرائر ،
 وكيف قطعتم الاشجار ولم يترك إلا ما يصلح لأعواد الجانيق ... ان شاء الله تعالى ...
 والستائر وكيف نهبت لك ولرعيك الاموال والحريم والاولاد والنواصي ، وكيف استخسني
 الفقير وتأثيل السارب واستخدم الحريم وركب المشاي ، هذا وأنت تنظر نظر المشاي
 من الموت ، واذا سمعت صوتا قلت فرعا : علي هذا الصوت ، وكيف رحلنا عنك
 ... ما كان ... الا لأجل معدود ، وكيف فارقنا بلادك

وما بقيت فيها ماشية إلا وهي لدينا ماشية ... لا زرع إلا وهو معدود ، ولا موجود
 إلا وهو منك مفقود ، وما منعت تلك المناير التي في رؤوس الجبال الشائقة ،
 ولا ... منكم ولم يهتأ الى

مد يديك انطاكية خير ، وكيف وصلنا اليها وأنت لا تصدق أننا نحمد فسنمود على الأثر ،
 وها نحن نعلمك بما سمعنا ، ونفهمك بالبلد الذي عم ، كان رحيلنا عنك من طرابلس يوم
 الأربعاء ، ونزلنا انطاكية في شهر رمضان ، وفي حال التزلزل خرجت معاكرك للمبارزة
 وتناصروا فما نصرنا ، وأسر من بينهم كند اسطبل ، فسأل في مراجعة أصحابك ، فدخبل
 الى المدينة ، فخرج هو وجماعة من رهبانك : وان رأيهم في الخير مختلف ، وقولهم فسي
 الشر واحد ، فلما رأيناهم قد فات فيهم النوت ، وأنهم قد قدر الله عليهم الموت ،
 رد دناهم وتلنا : نحن الساعة لكم نحاصر ، وهذا هو الاول في الانذار والاخر ، فرجعوا
 به متشبهين بفعلك ، وصعدتدين أنك تدركهم بخيلك ورجلك ، ففي بعض ساعة مرشان
 العرشان ، ودخل الرهبان الرهبان ، ولان للباب القسطلان ، وجاءهم الموت من كل
 مكان ، ونفحن بالسيف في الساعة الرابعة من يوم السبت رابع شهر رمضان ، وتتلنسا
 كل من اخترته لحنديها والمحاماة عنها ، وما كان أحد منهم إلا وعده شيء من الدنيا
 فما بقي أحد منا الا وعده شيء منهم ومنها ، فلورأيت خيالك وهي صرعى تحت أرجل
 الخيول ، وديارك والنهاية فيها تصول ، والكسابة فيها تجول ، وأموالك وهي توزن بالقنطار ،
 وأماك وكل أربع منها تنال فتشترى من مالك ، بدينار ٠٠٠ ولو شاهدت النيران وهي فسي
 تصورك تشترق والقتلى بنار الدنيا قبل الاخرة تشترق ، وقصورك وأحوالها قد حالست
 وكثيرة بونصر وكثيرة القسيان وقد زلت كل منهما وزالت ، لكنك تقول : يا ليتني كنت
 ترابا ، يا ليتني لم أوث بهذا الخبر كتابا ، ولكانت نفسك تذهب من حمرتك ، ولكنت
 تطفي تلك النيران بما عبرتك ، ولورأيت مخانيك وقد أقفرت ، ومراكبك وقد أخذت فسي
 السويدية بمراكبك ، ولصارت شوانيك من شوانيك ، ولتيقنت ان الإله الذي انطاك
 انطاكية منك استرجعها ، والرب الذي اعدلك قلمتها منك قلمها ومن الارض اغتلمها * (١)

فهي رسالة يقصد منها القضاء على الروح المضموية عند المدو ، بما احتوت عليه
 من تهكم وتوبيخ ، وتذكير بالهزائم ، وقد اتبع الكاتب في رسالته عدة وسائل
 لارتباب المدو ، والقضاء على إرادة القتال هذه ، منها تذكيره بالافعال السابقة السي
 قام بها الجيش الاسلامي في الارض التي كان يسير عليها الفرنج ، ومنها الاستهزاء به
 وبجيشه ، والمن عليه باللاقى سراج الرهبان ، بعد ما ذاقوا الخوف المريح الذي هو
 أشد من القتل ، ومنها التشفي بما أصابهم من ويلات ويرافق ذلك كله اظهار قوة
 المسلمين ، وسيطرتهم على الاعداء في جميع المجالات .

ومع ان هذه الرسالة موجهة الى الفرنج الا انها مسجوعة كالرسائل السابقة ، بل ان فيها من الجناس ما لم يوجد في بعض الرسائل ، وذلك لان السجع قد أصبح سمة فنية استحسنت في الادب عامة في هذه الفترة .

ومن السمات الفنية المشتركة الاخرى ، تكرار المعاني وحل الايات القرآنية . . . على ان الناظر في الرسالة لن تفوته ملاحظة إنها كتلة انفصالات متاجبة ، يستخرج فيها الاستهزاء بالتوبيخ والتسليم ، وقد اعتمد الكاتب في اظهار هذه الانفصالات على الاستشهادات الكثيرة ، في جمل تتراوح بين الطول والقصر حسب طبيعة الانفصال ففي التشفي تناول الجمل مثل قوله : قد علم القوم . . . ما كان من قصدنا طرابلس وغزونا له في عقر الدار ، وما شاهده بعد رحيلنا من اخراب المعاصر وهندم الاعمار ، وكيف كنست تلك الكنائس من على بسات الارض ودارت الدوائر على كل دائر ، وكيف جعلت تلك الجزائر من الاجساد على ساحل البحر كالجزائر . . . ونفي التوبيخ والتشريح تقصر الجمل وتشد حتى تصبح كالسيارات الشديدة الازدقة ، ومن ذلك قوله : وأغربناك وما كان تأخيرك الا لاجل محدود ، وكيف رحلنا عنك رحيل من محمود وكيف فارقنا بلادك وما ابتليت فيها ماشية الا وهي لدينا ماشية ، ولا جارية الا وهي فسي ملكنا جارية . . . الخ .

ويمثل الرد على رسائل المدور رسالة بهاء الدين زهير التي كتبها بناء على طلب الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ردا على رسالة الملك لويس التاسع ملك فرنسا ، يقول فيها :
 " أما بعد ، فإنه وصل كتابك ، وأنت تهديد فيه بكثرة جيوشك وعدد أسالك ، فتحن ارباب السيوف ، وما قتل قرن منا إلا جددناه ، ولا يشى علينا باخ الا دمرناه ، فلورأت عيناك - أيتها المفقور - حد سيوفنا ، وعظم خرمنا ، وفتحنا منكم الحصون والسواحل ، وأغربنا منكم ديار الا واخر والا وائل ، لكان لك أن تمض على أناملك بالندم ، ولا بد ان تزل بك القدم ، في يوم أوله انا وآخره عليك ، فهناك تسوء بك الذنون ، وسيمعلم الذين ظالموا أي منقلب ينتلبون ، فإذا قرأت كتابي هذا تكن فيه على أول سورة النحل " أتى أمر الله فلا تستعجلوه " وكن على آخر سورة من : " ولتعلمن نبأه بعد حين " ونمود الى قول الله تبارك وتعالى ، وهو أصدق التالين : " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين " (١)
 وبلاحظ أنها رسالة قصيرة ، تحمل قوة التحدي ، والتهديد ، وقد استلزمت حرارة الطرف الذي كتب فيه ان تقل فيها المحسنات نسبيا ، إلا ما كان من سجع واقبياس بالرغم من قصر الرسالة ، وقد ساعد هذا القصر على اكتناز الحرارة فيها ، كما ساعد على ذلك طبيعة المونود ومقتضياته . . .

الرسائل الاخوانية :

تختلف الرسائل الاخوانية عن الديوانية باصليابها بالصيغة الشخصية ، وهي
لذلك تعتمد على التأثير الوجداني على المرسل اليه ، ولا تقتصر على الشؤون العامة
للدولة .

ومن أمثلة الرسائل الاخوانية رسائل القاضي القاضي الناصر الى صلاح الدين حين شدد
الفرنج حصارهم على عكا سنة ٥٨٦ هـ ، ومنها قوله :

" وما تجدد للعدو من الشروع في آلات العصار لمكا ، وما أُرِجف به مسكن
التجديتين الفرنجيتين ، والواصلة والبعيدة ، واقتراق الحساكر في هذا الوقت للضرورة
والتماس المسكر الشرقي الدستور للنجار ، وحاجة المولى من الإنفاق الى ما لا يسمه
التدبير ، ويضيق عنه الإمكان ، ومبالغة النغي بالزيادة مع النغي والضعيف بأكثر مما يحتاج
اليه ، ونهاج فرصة ، واختلف رأي بين المشاورين من الجماعة ، وجود السنة بالاراء ،
مخل الايدي بالحصنة ، وانفراد المولى بالتعب ، واشتراك الناس في الراحة ، وما ابتلى
به المسلمون من مرض أظهره ليكون عذرا لهم في القعود ، وكتمه المولى على نفسه
لئلا يجلب لأصحابنا بحف النفوس ، فهذه الأمور وإن كانت شدايد ، وزائدات طلسي
الموائد ، فقد ألهم الله مولانا فيها سعة الصدر ، وتضمن الصبر ، ليشعره أن صبره
يحتبه النصر ، وحسنه يحقبها الاجر ، ولو لم ير الله تعالى أن قوة مولانا أكمل القوى
وعزة عزمه أوثق الصرى ، كما أن الله لأن ينصرمة لا يصرف الملوك غير الله ينصرمةا ،
وغير مولانا يياشر النصرة ويحضرها ، فليس إلا التجرد للدعاء ، والتجلد للقضاء ، فلا
بد من قدر مفعول ، ودعاء مقبول ، ومن الأمثلة المناومة :

نحن الذين اذا علوا لم يداروا يوم الهياج ، وان علوا لم يذبحروا
معان الله أن يفتح علينا البلاد ثم يخلتها ، وان يسلم علوا ، يدنا القدس ، ثم ينصره ، ثم معان
الله ان نخلب علي الصبر ، واذا كان ما يقدم الله اليه المالك قبل المولى لا بد منه ،
وهو لقاء الله ، فإن لقاء والحجة لنا ، غير من أن لقاء والحجة علينا ، فلا
تعظم هذه الفتوق على مولانا فتبهر صبره ، وتمار صدره ، فلا تهنوا وتدعوا الى السلم
وانتم الاعلون ، والله محكم ، وهذا دين ما ظلم بكثرة ولا نصر بشرة ، انما اختار الله
تعالى له أرباب نيات ، وذوى قلوب معه وحالات ، فليكن المولى نعم الخلف
لذلك السلف ، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، واشتدي أزمة تنفرجي ،
والنصرات تذهب ثم لا تجي ، والله تعالى يسمع الأذن ما يسر القلب ، ويصرف عن الأسانم
وأهله قاشية هذا الكرب ، ونستغفر الله العظيم ، فانه ما ابتلى إلا بذنب " (١) .

لقد عرض القاضي الناصر أسباب ضيق المسلمين ، وشرقتهم ، وتحكم الفرنج
وتنفذهم ، ولكنه مع ذلك لم ينعس المعنى على رفع الروح المعنوية ، فطلب من السلطان
التوجه الى الله بالدعاء ، والتجلد للقضاء ، ليتوَّى نفسه ونفوس الجنود ، وقد راج

الكاتب ما بين الصوت المتعقل الرصين ، ومخاطبة الضمير المؤمن في محاولة التسرية عن صلاح الدين ، فهو يقول : " اذ كيف يفتح الله علينا البلاد ثم يسلقها ، وان يسلم على يدنا القدس ثم ينصره ؟ .. ثم معاذ الله ان نغلب على النصر ، ثم معاذ الله ان نغلب على الصبر ... "

وقد اتبع القاضي في عرضه اسلوبا موقفا ، فانتقل من الواقع المؤلم المتمثل في نفسي تعداد المصغبات والمثبطات ، الى غرس الثقة في نفسي سيده ، واشاعة الطمأنينة في نفسه : " فهذه الأمور وإن كانت شدايد ، وزائدات على العوائد ، نقد ألهم الله مولانا فيها سعة الصدر ، وحسن الصبر ، ليشعره أن صبره ينقبه النصر وحسبته يمتقها الأجر ، ولو لم ير الله تعالى أن قوة مولانا اكمل القوى ، وغروة عزمه أوثق الصرى ، لصا أهله لأن ينصرمة ، لا يصرق الملوك غير الله ينصرها ، وغير مولانا يباشر النصر ويحضرها ... " كل ذلك بحيد عن التواكل والحزن واليأس والدعوة الى الاستسلام ، " فلا تعظم هذه الثغور على قلب مولانا فتبهر صبره ، تملا صدره ... "

محمد أن فعل على إشاعة الأمل في نصر القائد ، وتقوية عزيمته لتحمل الشدايد صارحه بأن هذه الهوى لم تكن إلا بذنب . وقد أوضح ذلك في رسالة إخوانية أخرى كتبها في المناصب نفسها ماى خلال حصار عكا - إذ قال : " الملوك ينهي أن الله تعالى لا ينال ما عنده الا بطاعته ، ولا تفزع الشدايد إلا بالرجوع اليه ، والامثال لأمر شريسته ، والخصاصي في كل مكان بادية ، والمظالم في كل موضع فاشية ، وقد طلوع الى الله تعالى منها ما لا يتوقع بعدها إلا ما يستعان به ، وقد أجرى الله تعالى على يد مولانا من فتح البيت المقدس ما يكون بمثابة الله له حجة في رضاء ، ونحوه بالله ان يكون حجة عليه في غنجه ... ولا يتعذر الملوك لتفصيل ما يلخه من ظلمهم المنكرات في اتباعه ، وشيوع المظالم في اتباعه ... " (١) .

فهو يشخص الداء ، ويهون البلاء ، ويضع العلاج ، الذي هو ازالة المظالم ، واعادة النذر في مراعاة تطبيق الشريعة الاسلامية ، والزام تاييديتها بتطبيقها ، كل ذلك دون أن يعمث النم واليأس في نفس السلطان ، إذ إنه قد أحسن الثاني في كل ما عرضه .

ويلاحظ القارئ أن الرسالة تتدلى من الوجدان ، وتصبر عن نفس منقطة بما تقول ، فلا غرو ان انتمت من الهدى إلا ما جاء غفو الخاطر ، مع أن الهدى قد ارتبط بأسلوب القاضي الناضد الكتابي ارتباطا شديدا خلال هذه الفترة .

والرسالة بمد ذلك تشترك مع الرسائل الاخرى في الاقتباس والتضمين ، ومثاله :
 " فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون " (١) ، ولقد كان لكم في رسول الله أسوة
 حسنة " (٢) ومن التضمين قوله : " استعدي أزمة تنفجر " ومن الامثال المنطوقة
 قوله :

نحن الذين اذا علوا لم يسلبروا ، وان علوا لم يضجروا
 أما مادة الرسالة ، فصادرها مأخوذة من التاريخ .. والقرآن .. والشمس
 والأمثال ... وقد عرضت حالة المسلمين النفسية والاجتماعية ، خلال فترة حرجية من
 جهاد صالح الدين ضد الصليبيين ، ولهذا فهي ذات قيمة أدبية وتاريخية واجتماعية
 في آن واحد .

ومن الرسائل الاخرى ذات الصبغة الديوانية الاخوانية المشتركة ، رسالة الملك
 الناصر داود الى المزيين عبد السلام يطلب منه فيها أن يحدث الملك الصالح نجم
 الدين أيوب على قتال الفرنج بعد غزوتهم لمدينة نابلس . يقول الناصر :

" أجمعن الله عزاء المجلس السامي العزى في مصابه بالمسلمين ، وصبرنا
 وإياه على ما ذهمت به حوزة الدين ، وأثاب الذين استشهدوا بما وعد به الشهداء
 من رضوانه ، وعوضهم عن منازلهم بمنازل الأمن من قصور جنانه ، وسامعنا وإياه بما
 أهدناه من حماية الدين وحفظ أركانه ، وما اعتدناه من إقباله وغذائه ، ولا حول
 ولا قوة الا بالله قول معتزك بتقصيره ، عن جهاد اعداء الله واعداء دينه ، ذاكرنا بجريته
 جهرًا بلسانه وسرا بوقينه ، وذلك بمصيبة المسلمين بمدينة نابلس التي قتلت فيها
 المشايخ والشبان ، وسبيت الحلائل والصبيان ، واستولت يد الكفار على ما كان مدخرًا
 من الاموال والنال ، وما جمعه الصلحون لازمتهم في المنين الطوال ، فهو يوم
 ضرب فيه الكفر بجرائسه ، وتبغرت فيها بين أنصاره وأعوانه ، وزها على الاسلام برونق
 زمانه ، وهو اليوم الذي تقابل فيه فأحجم الاسلام ثم تولى ، واقتسم فيه بالسهمان فكان
 سهم الكفر هو السهم المملا ، فنيا لها من فجيمة أبكت العيون وأبكت الجفون ، وهجمت
 على القلوب من أسماعها فودت لو أنها سبقت بالمنون ، فيا ليتني نذرت قبل سماعها
 مكانا قصيا ، أوليت ربي لم يجعلني بعباده خفيا ، أوليتني متقبل هذا وكنت
 نسيا منسيا :

ألا ليت أمي أيم دلول عمرها	فلم يبق بها ربي لمولى ولا بعمل
ويا ليتها لما قننا لسيسند	لبيب أديب طيب الفرح والأصيل
قنناها من اللاتي خلتن عواقرا	فما بشرت يوما بأنثى ولا فحصل

(١) إشارة الى قوله تعالى : ولا تهنوا ولا تعجزوا وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين .

سورة آل عمران آية ١٣٩

(٢) الآية من سورة الأحزاب آية ٢١

* للمزيد انظر الروضتين ١٦٥ / ٢ - ١٧٣ وصبح الأعشى ٢٣ / ٢ * ٢٤ وصبح الاعشى
 ٢٨ / ٩

ويا ليتها لما غدت بي حاصلا
ويا ليتني لما ولدت وأصبحت
أصيت بما اجتت عليه من الحصل
تشد الي الشدقيات بالرحصل
لحقت بأسلافي فكتت ضجهمهم
ولم أرفي الأسلام ما فيه من خبل

فيا أيها العزيز الذي كنا ندلن أن الأسلام يتزهد بسميه عزا ، وأن رقى عزائه تكون عليه من سحر الكفار حرزا ، تيقن أنه قد عم بالشام النفير ، ووجبت النزاة على الجسد الطير ، والشيخ الكبير ، وجاز للحر أن تبرز للمقاتل بشير اشارة بحلها ، ولألمة أن تبارز برمحها ونصلها ، ووجب على المجاورين الاسعاد والانجاد ، وتعين عليهم فسي طاعة الله الجهاد ، فيا لسان الشريعة ، أين الجدل فيه والجلاد ، وأين مهند لسانك الماضي اذا كنت المهنددة الحداد ، أتفمد سيف لسانك في جفنه وقد هجرت سيوف الكفار جفونها ، وأجرت عيون الانام على الأسلام شوقونها الا وان الأسلام بدا غريبا وسيرجج غريبا كما بدا ، وتقاصرت الهمم عن إسعاده حتى لا يرى له مسدا ، فانا لله قول من عسر عزائه في الإسلام وذويه ، وذل في الدفاع عنه ما تملكه يده وتحتويه ، وصبرا في الله على احتفال الاذى وروية جافيه ، والله سبحانه يتألفي الأسلام بتألفيه ، ويحميه بحمايته وحسن نظره فيه ، إنه قريب مجيب (١) .

ابتدئت الرسالة بالتبشير عن الحزن الشديد ، في معرض اعتراف الحاكم بالتصير في الدفاع عن الشيوع والشبان والنساء والصبيان ، وملك هذا الحزن عليه أقطار نفسه حتى إنه تمنى لو لم يولد . . . ثم استحث العززين عهد السلام على ان يستثير الناس للجهاد ، بعد أن ابتلي الأسلام بما ابتلي به من عدوان ، وقضي عن البيان أن فسي الرسالة من السمات الثنية ما في الرسائل الديوانية من سجع وتكرار واتهام وتهمين ، وفي ذلك من السمات التي اتسمت بها الرسائل في هذا العصر .

٣ . الخطبة

لم يصلنا من الخطب في عصر العروب الصليبية الا القليل ، مع أن المتوقع أن تروج الخطبة في جو الحروب ، لانها جو مواثر لها ، والجدير بالذكر أنه عندما تم فتح القدس ، اجتمع عدد كبير من الخطباء ، وتمنى كل واحد منهم أن يكون له السبق في القاء أول خطبة بعد الفتح ، يقول المصان : وانتدى الفضلاء ، وانتدب الخطباء ، وكثر المترشحون للخطابة المتوشحون بالإصابة المصروفون بالنصاحة الموصوفون بالحصافة . . . (٢) . وما هذا الفتح - على أهميته - إلا حدث كبير من أحداث أخرى كبيرة

(١) الفوائد الجلية والفرائد الناصرية ورقة ٩٤ - ٩٥

(٢) الروعتين ١٠٨/٢

شهدتها الأمة خلال هذه الفترة .

ومن أشهر الخطب التي وصلتنا في هذه الفترة خطبة ابن الزكي في أول صلاة جمعة أقيمت في القدس بعد استعادة المدينة على يد صلاح الدين . وقد ابتدأها بالآيات التي فيها حمد لله ، ثم قال : " الحمد لله منزلاً لسلام بنصره ، ومذل الشرك ببقهره ، ومصرف الأنور بأمره ، ومديم النعم بشكره ، ومستدرج الكافرين بمكره ، الذي قدر الأيام دولا بمدله ، وجعل الحاقبة للمتقين بفضلته ، وأثاء على عباده من ثلته ، وأظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده ، قاذم طامع ، والناتع على خليفته فسلاً ينازع ، والامربحاً يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فلا يدافع ، أعمده على انظاره وانظاره وأعزاه لأوليائه ونصره لأنصاره ، وتطهيره بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضارها ، حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأعد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، شهادة من ظهر بالتوحيد قلبه ، وأرضى به ربه ، وأشهد أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) عبده ورسوله رافع الشك ، وداحض الشرك ، وراعي الإفك الذي أسرى به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى ، وعرج به منه إلى السموات العلوى ، إلى سدة الختم إلى " عندها جنة النأوى ، إذ يفتش السدرة ما يفتش ، ما زاغ البصر وما طغى " ، صلى الله عليه وعلى خليفته أبي بكر الصديق السابق إلى الإيمان ، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلحان ، وعلى أمير المؤمنين عثمان ذي النورين جامع القرآن ، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزل الشرك ومكسر الأوثان ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان .

أيها الناس ، ابشروا بروضان الله الذي هو الناية القصوى ، والدرجة العليا ، لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة ، من الأمة الضالة ، وردّها إلى مقرها من الاسلام ، بعد ابتدائها في أيدي المشركين قريباً من مائة عام ، وتطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يرفع وارث يذكر فيها اسمه ، وإمالة الشرك عن دارقه بعد أن ابتد عليها رواقه واستعمر نبيها رسمه ، ورفع قواعده بالتوحيد فانه يني عليه ، والتقوى نانه أسس على التقوى من خلقة ومن بين يديه ، فهبوا موطن أبيكم ابراهيم ومسراج نبيكم محمد عليه السلام ، وقبلتكم التي كنتم تتكلمون اليها في ابتداء الاسلام ، فهو مقر الانبياء ، ومقر الاولياء ، ومقر الرسل ومهدد الخوارج ومزلزل الأوسر والنهي ، وهو في أرض المحشر ، وصعيد المنشر ، وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين ، وهو المسجد الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المقربين ، وهو البلد الذي يحدث الله اليه عبده ورسوله ، وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروحها عيسى الذي شرفه الله برسالته ، وكرمه بنبوته ولسم يسر حزه عن مرتبة عبوديته ، فقال تعالى " لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله وقال : " لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم " ، وشو أول القبلتين

وثاني المسجدين وثالث الحرمين ، لا تشد الرجال بسد المسجدين الا اليه ، ولا تمتد
 الخناصر بسد المصلين إلا عليه ، ولولا أنكم ممن اختاره الله من عباده ، واصطفاه من
 سكان بلاده ، لما خصكم بهذه الفضيلة التي لا يجازيكم فيها مجاز ، ولا يباريكم في
 شرفها مجاز ، فلهي لكم من جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية ، والوقعات
 الهدية ، والعزمات الصديقية ، والفتوح المعرية ، والجيوش العثمانية ، والفتكات
 الحلوية ، جددتم للإسلام أيام القادسية ، والوقعات اليرموكية ، والمنازلات الخيرية ،
 والهجمات الخالدية ، فجازاكم الله عن نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) أفضل الجزاء ،
 وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في مقاومة الأعداء ، وتقبل منكم ما تترتب به من ميسر
 الدماء ، وأنابكم الجنة فهي دار السعداء ، فأتقروا رحمكم الله النعمة حق قدرها
 وقوموا لله تعالى بواجب شكرها ، فله النعمة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة ، وترشيحكم
 لهذه الخدمة ، فهذا هو الفتح الذي فتحت له أبواب السماء ، وتجلت بأنواره وجوه
 العالم ، وابتهج به الملائكة المقربون ، وتويع عيناً الأنبياء والمرسلون ، فماذا عليكم
 من النعمة بأن جعلكم الجيش الذي يفتح عليه البيت المقدس في آخر الزمان ، والجند
 الذي تقوم بسيرتهم بعد فترة من النبوة أعلام الايمان ، فيوشك أن تكون التهاني به بسين
 أهل الخديراء ، أكثر من التهاني به بين أهل النجباء ، أليس هو البيت الذي ذكره
 الله في كتابه ، ومن عليه في خطابه ، فقال تعالى : " سبحان الذي أسرى
 بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، الذي باركنا حوله " . أليس
 هو البيت الذي عظمه الملوك ، وأثنت عليه الرسل ، وتليت فيه الكتب الأربعة
 المنزلة من إلهكم عز وجل ؟ ، أليس هو البيت الذي أساء الله عز وجل الشمس على
 يوشع لأجله أن تغرب ، وباعد بين خطواتها لتهسر فتحه وتغرب ؟ ، أليس هو البيت
 الذي أمر الله موسى أن يأمر قومه باستنقاذه فلم يجبه إلا رجلاً ، وغضب عليهم لأجله
 فألقاهم في التيه عقوبة للمصيان ؟ ، فاحمدوا الله الذي أمضى عزائمكم لما قصد منه بنو
 اسرائيل وقد فشلهم على السالحين ، ووفقكم لما غذل فيه من كان قبلكم من الأمم
 المائنين ، وجعل لأجله كلمتكم وكانت شتى ، وأغناكم بما أمته كان وقد ، عن سوف وحتى ،
 فليهنكم أن الله قد ذكركم به فيمن عنده ، وجعلكم بعد أن كنتم جنوداً لا همتكم
 جند ، وشركم الملائكة المنزلون على ما أهديتهم إلى هذا البيت من طيب التوحيد ، ونشر
 التقديس والتحميد ، وما أماتم عن دوزخهم فيه من أذى الشرك والتثليث ، والاعتقاد
 الفاجر الخبيث ، فالآن يستخفركم أملاك السموات ، وتضلي عليكم الصلوات المباركات ،
 فاحفظوا رحمكم الله هذه الموهبة فيكم ، واحرسوا هذه النعمة عندكم ، بتقوى الله التي
 من تمسك بها سلم ومن اعتصم بمرورها نجا وعصم ، واحذروا من اتباع الهوى ،
 وبوافقة الردى ، ورجوع التهلكى ، والنكول عن الصدى ، وغذوا في انتهاز الفرصة ،
 وإزالة ما بقي من الفضة ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، وبيموا بجاهد الله ،
 أنفسكم في رضاه إذ جعلكم من خير عباده ، وإياكم أن يستزلكم الشيطان ، وأن يتداخلكم
 الطغيان فيخيل لكم أن هذا النصر بسيرتكم المعداد ، وبخيولكم الجهاد ، وجنادكم

في مواطن الجلال ، لا والله ما النصر إلا من عند الله ، إن الله عزيز حكيم ، واستذكروا عباد الله بعد أن شرتكم بهذا الفتح الجليل والفتح الجزيل ، وخصكم بهذا الفتح المبين ، وأعلق أيديكم بحبله المتين ، أن تقرقوا كثيراً من ضلعيه ، وأن تأتوا عثلياً من محاصريه فتكونوا كالتي نقبت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، والذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الخاوين ، والجهاد الجهاد فهو أفضل عباداتكم ، وأشرف عاداتكم ، انصروا الله ينصركم ، اذكروا أيام الله يذكركم ، اشكروا الله يزدكم ويشكركم ، جدوا نسي حسم الداء ، وقلع شأفة الأعداء ، وتطهير بقية الأرض التي أغضبت الله ورسوله ، واقبلوا فروع الكفر واجتثوا أصوله ، فقد ناءت الأيام بالثارات الإسلامية ، والملة المحمدية ، الله أكبر فتح ونصر ، غلب الله وقهر ، أذل الله من كفر ، وأظلموا رحمتكم الله أن يذهبه فرصة فانتهزوها ، ونريسة لنا جزوها ، ومهجة نأخرجوا لها همكم ، وأبرزوها ، وسيروا اليهسا عزما تكم وجهزوها ، فالأمور بأواخرها ، والمكاسب بذخائرها ، فقد أترفكم الله بهذا العدو المخذول ، وهم مثلكم أو يزيدون ، فكيف وقد أشعني في قبالة الواحد منهم منكم عشرون ؟ ، وقد قال الله تعالى : " إن يكن منكم عشرون صابرون يصلبوا ما تدين " أعاننا الله وإياكم على اتباع أوامره ، والازدجار بجزاجره ، وأيدنا معشر المسلمين بنصر من عنده ، إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن ينخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده (١)

عقد ابن الزكي مقارنة بين حال المسلمين وحال الفرنج المشركين ، ثم قاده ذلك إلى الحديث عن الخلقة الراشدين والتادة المسلمين ، لما قدموه من نصرة لهذا الدين ثم بين فضائل المسجد الأقصى ، وارتباطه بالدين الإسلامي والتاريخ الإسلامي ، ونهى عن المدوان والهدار ، وحشهم على متابعة الفتوح وإزالة الكيان الشريب .

هذه أفكار الخطابة أما بناؤها فقد ابتدأت بالحمد والثناء ثم الشهادات ثم الموضوع والخاتمة . . .

وأما مادتها فهي مأخوذة من التاريخ الإسلامي ، مثل إشارته إلى أعمال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وخالد بن الوليد ، والمعارك التي جرت من أجل إعزاز الإسلام مثل القادسية واليرموك وموقعة خيبر ، ومن التاريخ أيضاً قصة الأسراء والمصراع وقصة موسى ودخوله الأرض المقدسة ، وعيسى ويوشع عليهم السلام . . . وهي معتمدة على القرآن والحديث . ولهذا كثرت الصور الدينية في الخطبة كثرة لا تفتة .
وتتميز الخطبة بكثرة الاقتباس الحرفي والمصنوي ، فمن الاقتباس الحرفي ، قوله : " لم يولد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " (٢) و " عندنا جنة المأوى ، إذ يمشى المدرة مـا يمشى ، ما راغ البصر وما دلفى " (٣) و " لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله " (٤) و " لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح بن مريم " (٥) و " سبحان الذي أصرى

(١) الروضتين ١١٠/٢ - ١١١ (٢) سورة الاخلاص ٣ - ٤

(٣) سورة النجم ١٧ (٤) سورة النساء ١٧٢

(٥) سورة المائدة ٧٢

بعبد له ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله" (١) و"إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبون مائتين" (٢) و"إن ينصركم الله فلا غالب لكم" وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده" (٣) .

ومن الاقتباس المخوي ، وإن لم يخل أحيانا من اقتباس حرفي جزئي ، قوله :
 " وأظهر دينه على كل دين ، القاهر فوق عباده فلا يمانع والامر بما يشاء فلا يراجع ،
 والحاكم بما يريد فلا يدافع . . . راحض الإفك الذي أسرى به من المسجد الحرام
 الى المسجد الأقصى ، وعز به منه الى السموات الملى . . . وتطهير هذا البيت
 الذي أذن الله أن يرفع وأن يذكر فيه اسمه . . . بيموا أنفسكم في رضاه . . . وجاهدوا
 في الله حق جهاده . . . واللوما النصر إلا من عند الله . . . فتكونوا كالتي نقضت
 غزلها من بعد قوة أنكاثا . . . والذي آتينا آياتنا فانسلخ منها فأتيمه الشيطان
 فكان من الداوين .

وأما تضمينه للأحاديث فيظهر في قوله : وهو أولى القبلتين ، وثاني المسجدين
 وثالث الحرمين ، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه . . . الامور بأواخرها . . .
 ومن تضمينه لقول علي ابن أبي طالب : الجهاد الجهاد ، فهو أفضل عبادتكم . . .
 كما يتضح في هذه الخطبة السجج وأنواع البديع الأخرى . أما السجج
 فهو متمثل في الخطبة جميعها ، ولقيمة في الاداء ، إذ يكسب الخطبة ايقاها مؤثرا
 لا سيما أن الجمل قصيرة ، حارة انفعالية ، توحى بالحركة ، وأما أنواع البديع
 الاخرى فنصها الطباق ، ومنه : ممز الاسلام - مذل الشرك ، مصرف الامر -
 مديم النعم ، باطن سره - ظاهر جهاره ، رافع الشك - داحض الشرك . . .
 والجناس ومن أمثله : الشك - الشرك ، واسترد هذه النغالة (القدس) - من
 الامة النغالة (الفرنج) ، مجار - مجار .

ومن السمات الثنية التكرار والاطناب ، إذ إن أفكار الخطبة محسوسة
 ولكنه كررها بصور مختلفة ، ومثال ذلك ما ذكره من نعم الله على الانسان المسلم ،
 فقال : ممز الاسلام بنصره ، ومذل الشرك بقهره . . . ومديم النعم للمتقين بشكره ،
 ومستدرج الكافرين بمكره ، الذي قدر الايام دولا بمدله ، وجعل العاقبة للمتقين
 بخضله ، وأفاء على عباده من ناله ، وأظهر دينه على الدين كله . . . السنج .

(١) سورة الاسراء آية ١

(٢) سورة الأنفال آية ٦٥

(٣) سورة آل عمران آية ١٦٠

فهي صور متعددة لمعنى واحد . . . ومثال آخر تجده في بيان فضائل المسجد
القدس والقبة . . .

وأخيرا يحس المرء بحرارة العاطفة وصدقها ، وتدققها ، وهي عاطفة شخصية
جماعية في آن واحد ، تمبر عن شموخ الخطيب ومشاعر المسلمين المحتشدين في
ساحة المسجد الأقصى بعد تسمين عاما من الاحتلال . كما تنبر عن لهفة الناس لرؤية
القدس والمسجد الأقصى ، وعن نشوة النصر والفرح ، ولكل ذلك أطيب الخطيب وكسر
القول . ثم دعا المسلمين الى تجديد نصرهم ومشاعرهم وطاقتهم فيما يرضي الله ،
ويستكمل الفتح ، وينتهي الوجود الغريب في البلاد ، يقول : والجهاد الجهاد ،
فهو من أفضل عباداتكم ، وأشرف عاداتكم ، أنصروا الله ينصركم ، اذكروا أيام الله
يذكركم ، اشكروا الله يزدكم ويشركم ، جدوا في حسم الداء ، وقطع شاة الاعضاء ،
وتطهير بقية الارض التي اغضب الله ورسوله ، واقطعوا فروع الكفر ، واجتثسوا
أصوله . . .

* * *

ومن الخطب التي وصلتنا ، خطبة صلاح الدين في الجند اثناء حصار الفرنج
لمدينة عكا ، يقول : " بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، اعلموا
ان هذا عدو الله وعدونا ، قد وطئ أرض الاسلام ، وقد لاحت لوائح النصر علومه ان
شاء الله تعالى ، وقد بقي من هذا الجمع اليسير ، ولا بد من الاهتمام بقلوبهم
والله قد أوجب علينا ذلك ، وأنتم تعلمون أن هذه عساكرنا ليس وراءنا نجدة ننقذهم
سوى الملك المعادل ، وهو واصل ، وهذا العدو ان بقي وظالم أمره الى أن ينفث
البحر جاءه مدد عظيم ، والرأي كل الرأي عدي ، مناجزته ، فليخبرنا كل منكم بما عنده
في ذلك " (١) .

يتضح من الخطبة أنها قيلت في أرض المعركة ، ولذلك جاءت قصيرة جسيما
بميدة عن التكلف والتصنع والإطالة والتكرار ، فهي تدور حول موضوع واحد هو استشارة
القوم في القتال بناء على الواقع الذي كان ماثلا أمامهم ، وقد حاول أن يقتسمهم بمسا
يرى دونها مهالمة ، وانما بتصوير الخطر ، وبيان واجب الانسان المسلم ازاءه ، وايضاح
ما يقتضيه الموقف العسكري .

كثرت الكتابة في موثيق الهدن ، والمواريث السياسية ، لا سيما بعد رجحان كفة المسلمين . وقد تقبل الفرنج الهدن ترقيا لوصول نجدات من أوروبا ، وتقبلها المسلمون للتصدي للخطر المنولي القادم من الشرق ، أو لمعالجة المشاكل الداخلية ، ولهذا فقد اعتبروها ذات فائدة لهم .

أما النص المتعلق بالهدنة فقد كان كما يلي : القسم على الوفاء بما تضمنته الهدنة ، وطريقة القسم عند الفرنج تكون بأن يحلف مقدمهم بالله ، والمسيح والمسيب والأقانيم الثلاثة والأنجيل . . . ثلاث مرات على كل مقسم به ، وطريقة القسم عند المسلمين تكون بأن يحلف السلطان أو نائبه بالله ثلاث مرات (١) .

ثم يحدد المقسم عليه ، وهو موضوع الهدنة ، وفيه تفصيلات كثيرة جسيمة ، تشمل مدة الهدنة والأماكن الواقعة ضمن الهدنة ، والأشياء المثق عليها ، لا سيما في معاملة التجار والفلاحين (١) .

ثم تنتهي بالمقولات التي يلزمها كل لنفسه إن خالف ما جاء في الهدنة . . . وهي لهذا ذات قيمة تاريخية واجتماعية وأدبية وسياسية ، بما تقدمه من معلومات عن الطرفين .

وقد فرضت كثرة التفاصيل على الهدنة ، أن تكون طويلة مفعلة ، ومثال ذلك ، الهدنة بين الظاهر بيبرس وبيت الاسبتار سنة ٦٦٩ هـ ومنها : —

" استقرت الهدنة المباركة بين السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، قسيم أمير المؤمنين ، وولده الملك السعيد ناصر الدين خليل ، وبين المباشر المقدم الجليل أفرز أولد كمال مقدم جمع بيت اسبتار سرجوان ، بالبلاد الساحلية ، وبين جميع الاخوة الاسبتارية ، لمدة عشر سنين كوامل متواليات متتابعات وعشرة أشهر أولها مستهل رمضان سنة تسع وستين وستمئة للهجرة النبوية المحمدية ، الموافق للثامن عشر من نيسان سنة ألف وخمسمائة واثنين وثمانين للأسكندر بن فيليب اليوناني على أن تكون قلعة لد بكاملها وريضها وأعمالها ، وما هو منسوب اليها ومحسوب منها بحدودها المعروفة بها من تقادم الزمان ، وما استقر لها الآن ، وما يتعلق بذلك : من المواضع والمصايد ، والملاحات ، والبساتين ، والمساصر ، والطواحين ، والجزائر : سهلها وجبلها وعامرها وداثرها ، وما يجري بها من أنهار ، وينبع منها من عيون ،

(١) انظر صبح الأخرى ٣١٢/١٣ — ٣١٣

(٢) الصدر السابق ٦٢ — ٣٨/١٤

وما هو مبني بها من عمائر ، وما استجد بها من القراج وغير ذلك ، وكل ما عمر فمبني
أراضي الدفاعات على دورها وانهارها ، وما يحدود ذلك من شبر بدرة الى جهته
الحال ، وما استقر لبلده من هذه الجهات الى آخر الايام الناصرية من الحسدود
المعروفة بها والمستقرة لها ، وحصن برغين وما ينسب الى ذلك من البلاد والشوايح
والقرى التي كانت مناصفة - تكون جميع بلده وهذه الجهات خاصا الى آخر الزائد
للملك الظاهر ، ولا يكون لبيت الاستار ولا للمرقب فيها حق ولا دالب بوجسه ،
ولا سبب الا حين انقضاء مدة الهدنة وما بعدها الى آخر الرائد ، ولا لآخذ من جميع
الفرجة فيها تعلق ولا دالب بوجه ولا سبب .

وكذلك مهما كان مناصفة ، كتلعة المليقة في بلادنا لبيت الاستار ، يكون ذلك
جميعه للديوان المعمور والغاشي الشريف ، ولا يكون للمرقب فيها شيء ولا لبيت
الاستار .

وكذلك كل ما يوفي بلاد الدعوة المباركة جميعها وقلاعها من القرى - لا تكون
فيها مناصفة لبيت الاستار ولا للمرقب ، ولا حق ، ولا رسم ، ولا شردا ، ولا دالسب
في جميع بلاد الدعوة : مصبات المحروسة ، والكهف والضيقة ، والقدموس ،
والخوابي ، والرصافة ، والعلقة ، وكل ما يوفي هذه القلاع وفي بلادها من مناصفة
يكون ذلك خاصا للملك الظاهر ، وليس لبيت الاستار ولا الفرجة فيه شيء .
ولا دالب . . . (١) .

ونسى الهدنة داويل جدا يقع في تسع صفحات من القطع الكبير ، لأنهم
تميل الى التفصيل والتحديد الدقيق للمعاني ، شأن النصوص السياسية ، لا سيما
تلك التي يكون الطرف الآخر فيها أعجميا ، وهي من ذلك لا تتكرر فيها المعاني ،
لأن التكرار غير التفصيل . .

وواضح أن لغتها سهلة بعيدة عن السجع وأنواع البدع الأخرى ، فهي تقرر
الحقائق ، وتوصي بتنفيذ المقررات ، دون إثارة أو تعريض أو تصوير فني ، ولذلك فهي
ذات قيمة تاريخية وسياسية واجتماعية قبل أن تكون ذات قيمة فنية .

(١) صبح الأعشى ٤٢/١٤ - ٤٤
* للمزيد من الهدن انظر ج ٣٣/١٤ وج ٣٢٧/١٢ وتشريف الأيام والعصور
من ٣٤ ، ٩٣ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ٦٨

وقد تصل البساطة في نصوص الهدن الى حد استعمال التعابير المحكيمة
مثل ما جاء في هذه الهدنة من أن " الدار المستجدة عمارتها بقلعة الرقيب برسم
المستر المقدم الكبير " الذي هو عايز تكميل عمارة سقف المقبول بالحجارة والكلس
لا تكمل (١) .

هذا ، وقد ذكر القلقشندي ثلاثة مذاهب لبداية الهدن : أولها أن تفتح
بلفظ : هذه هدنة أو نحو ذلك (٢) ، وثانيها : أن تفتح بلفظ استقرت الهدنة
بين فلان وفلان (٣) ، وثالثها : أن تفتح بعبارة مبتدأة
بالحمد لله (٤) .

كما بين شروط الهدنة عامة ، من خلال استقراؤه لعدد كبير منها في الجمل
الرايع عشر من صبح الاعشى ، فذكر أن يكون عاقدًا الامام أو نائبه العام ، وأن تكون
في مصلحة المسلمين ، وأن لا يكون فيها شرط يأباه الاسلام ، وأما مدتها فهيسري
تتراوح ما بين أربعة أشهر وعشر سنين (٥) .

-
- (١) صبح الاعشى ٥٠ / ١٤
 - (٢) المصدر السابق ٢٩ / ١٤
 - (٣) المصدر السابق ٣١ / ١٤
 - (٤) المصدر السابق ٧١ / ١٤
 - (٥) المصدر السابق ٧ / ١٤ - ٨

ثانيا : موازنة عامة بين الشعر والنثر :

اشترك الشعر والنثر في تسجيل الأحداث خلال فترة الحروب الصليبية ، ولكنهما اختلفا في طريقة تناول الأحداث من حيث واقعتها وريقة عرضها ، وتأثيرها والتفاعل معها .
ونعرض فيما يلي نموذجا ثلاثة اشتركت في تسجيل معركة حطين وفتح طبرية ،
لنتف على الفروق بينها .

أ . يقول ابن الساعاتي مخاطبا صلاح الدين :

جلت عزماتك الفتح المبين	فقد قوت عيون المؤمنين
رددت أخيلة الاسلام لمين	غدا صرب القضاء بها ضمين
وعان بك الصليب وكان قدما	يمز على العوالي أن يهوننا
يقاتل كل ذي ملك ريسا	وأنت تقاتل الأعداء ديننا
عدت في وجنة الايام خيالا	وفي جند الخلا عدا شمين
نبا لله كم سرت قلوبنا	ويا لله كم أبكت عيوننا
وما طبرية الا هسيسدي	ترفع عن أكف المؤمنين
حصان الذيل لم تقذف بسمو	وسل عنها الليلي والسنين
ففضت ختامها قسرا ومن ذا	لصد الليث أن يلج السرين
لقد أنكحتنا سم العواليسي	فكان نتائجها الحرب الزبوننا
هنا ندى أشل الارض طسرا	سواك ، وممقل أعيا القروننا
قست حتى رأيت كفتا فلانست	وغاية كل قاس أن يليننا
قضيت فريضة الاسانم منهننا	وسدقت الأمانى والدانوننا
تهز مطافك القد ، ابتهاجنا	وترى هناك مكة والحجوننا
فلو أن الجهاد يدايق نداقنا	لناديك أد غلونا آميننا
جعلت صباح آملها دلامنا	وأبدلت الزئير بها أنوننا
تخال حماة هوزتها نسنا	يفخون الحديد مقنننا
لهيشك في جماجمهم غمنا	لذيذ ، علم البلير الحنيننا
تميل الى المشتة العواليسي	فهل أمست رماحا أم غصوننا
يكاد النقع يذهلها نلسولا	بروق القاضيات لما هديننا
فكم حازت ندوك قناك منهننا	قدودا كالقنا لونا وليننا
وغيد كالجاذر أنسنات	كفيد نذاك أبكارا وعوننا
ولما باكرتها منك نعمسسي	بمان تفضع الشيت الهتوننا
أعدت بها الليلي وعي يرمض	وقد كانت بها الأيام جوننا

أخو سغب ولا ماء معين
 طهي تشفى بها الداء المدفينا
 سهاد يفتح العنق الجفونينا
 اليك وألحق الهام المتونينا
 سطاك لكان مكتتها عزينا (١)

فليس بمحامد مرعى خصينا
 فلا عدم الشام وساكتنا
 سهاد جفوننا في كل فينا
 فالهم بالسواحل فهي صرور
 فقلب القدس سرور ولولا

ب. وكتب الحداد الى الديوان بذلك الفتح رسالة ، وقد وردت مع الرسائل
 الديوانية فمرجح اليها (٢) .

ج. وكتب ابن شداد في وصف معركة حطين ما يلي : " وكانت في يوم السبت
 الرابع والعشرين من ربيع الآخر من شهر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وذلك
 أن السلطان رأى أن نعمة الله عليه باستقرار قدمه في الملك وتمكين الله إياه
 في البلاد ، وانقياد الناس لطاعته ، ولزومهم قانون خدمته ليس لها شكر سوى
 الاشتغال بهذا الجهد والاجتهاد في إقامة قانون الجهاد ، فسير الى سائر
 العساكر واستخبرها ، واجتمعوا اليه بمشترى ، في التاريخ المذكور
 وعرضهم ورتبهم ، واندفع قاصدا نحو بلاد العدو المخدول في وسط نهار الجمعة
 سابع عشر من ربيع الآخر ، وكان أبدا يقصد بوقعاته الجمل لا سيما أوقات صلاة
 الجمعة ، تهركا بدعاء الضحايا على المنابر ، ثم ما كانت أقرب الى الاجابة .

فسار في ذلك الوقت على تعبئة العرب ، وكان بلدنة أن العدو لما بلغهم أنه قد
 جمع العساكر اجتمعوا بأسرعهم في مرج صفورية بأرض عكا ، فقتلوا نحو العساكر
 معهم ، فسار ونزل من يومه على بحيرة طبرية عند قرية تسمى العنبره ، ورجل
 من هناك ، ونزل غربي طبرية على سلع الجبل بتسمية العرب مشارا ان الافرنج
 اذا بلغهم ذلك قصدوه ، فلم يتحركوا من منزلهم .

وكان نزوله في هذه المنزلة يوم الاربعاء الحادي والعشرين من ربيع الآخر
 المذكور ، فلما رأتم لا يتحركون نزل جريدة على طبرية ، وترك الاطلاب بحالهما
 قبالة وجهة العدو ، ونازل اميرة ، وزحف عليها فهاجمها ، وأخذها في ساعة
 من نهار ، وامتدت الأيدي اليها بالنهب والاسر والخريق والقتل واختمت
 القلعة وحدها .

(١) الروضتين ٨٤/٢ - ٨٥

(٢) انصار الروضتين ٨٩/٢ وصبح الأعشى ٥١٧/٦

ولما بلغ العدو ما جرى على طابرية لم يأخذهم الصبر دون إجابة الحماسة ، فرحلوا من وتتهم وساعتهم ، وقصدوا طابرية للدفع عنها ، فأخبرت الطلائع الإسلامية الأمراء بحركة الفرنج ، فسيروا إلى السلطان من عرفه ذلك ، فترك على طابرية من يحفظ قلعتها ، ولحق المسكر هو ومن معه ، فالتقى المسكران على سطح جبل طابرية الفرنسي فيها ، وذلك في أواخر الخميس الثاني والعشرين .

وحال الليل بين الثنتين فتبايتا على مصاف شاكين في السلاح إلى صبيحة خمسة الجمعة . في الثالث والعشرين ، فركب المسكران وتصادما ، وحطت الجالسية ، وتحركت الأصلاب والتعم القتلى ، واشتد الأمر ، وذلك بأرض قرية تسمى اللوليا ، وضاق الخناق بالقوم ، هذا وهم سائرون كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ، وقد أيتوا بالويسل والثبور ، وأحست أنفسهم أنهم في غد زوار القبر .

ولم يزل الحرب يلتصم ، والفارس مع قرنه يحدان ، حتى لم يبق إلا التافسر ووثق الهال على من كفر ، فحال بينهم الليل وثلامه ، وجرت في ذلك اليوم من الوثائق المظيعة ، والأمر الجسيمة ، ما لم يحك عن تقدم ، مات كل فريق في سلاحه ، ينتظر خدمه في كل ساعة وقد أقصد التنب عن النهوض ، وشغلته نصب عن الجهور ففسلا عن الركوب .

حتى كان صباح السبت الذي يورك فيه فطلب كل من الفريقين مقامه ، وعلمت كل طائفة أن الكسورة منهما مدحورة الجنس مدومة النفس ، وتحقق المسلمون أن من وراءهم الأردن ، ومن بين أيديهم بلاد القوم ، وأن لا ينجيهم إلا الله تعالى .

وكان الله قد قدر نصر الدومنين وبصره ، وأجراه على وفق ما قدره ، فحطمت الاطلاب الإسلامية من الجوانب ، وحمل القلب ، وصاحوا صيحة الرجل الواحد ، فالتقى الله العرب في قلوب الكافرين : " وكان حقا علينا نصر الدومنين " .

وكان القوم ذكي القوم وألمهم ، فرأى أمارات الخذلان قد نزلت بأبوابهم دينه ، ولم يشغلهم ظن محاسنة جنسه عن نفسه ، فهرب في أوائل الأمر قبل اشتدادهم وأخذ طريقه نحو صور ، وتبعه جماعة من المسلمين ، فتجا وعده ، وأمن الاسلام كيده ، واحتاط أهل الاسلام بأهل الكثر والطنيان من كل جانب ، وألقوا عليهم السهام ، وعاملوهم بالصفاح ، وانهمزمت منهم الطائفة ، فتبعها أبطال المسلمين ، فلم ينج منهم واحد ، واعتصمت الطائفة الأخرى بقتل يقال له تل حلين ، وهي قرية عند وعندنا قنبر شبيب عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الانبياء ، فتأيقهم المسلمون على القتل ، وأشعلوا حواليتهم النيران ، وقتلهم المظفر ، وضاق بهم الأمر ، حتى كانوا يستسلمون للمسيح خوفا من القتل ، فأسر مقدمهم ، وقتل الباقون وأسروا وكان فيمن سلم وأسر من مقدميهم الملك جفرى ، والبرنس أرناط ، وأخو الملك ، والبرنس ، وهو صاحب الشوك ، وابن

الهنفسي ، وابن صاحبة طبرية ، ومقدم الداوية ، وصاحب جليل ، ومقدم
الاستبصار (١) .

* * *

يقدم النص الشعري تصورا عادليا شموليا للحادثة دون الدخول في الجزئيات
أو التفاصيل ، وهذا التصور جاء مبتزجا بشعور الفرح عند المسلمين وشعور الشماتة بالفرج
كما يبدو في الأبيات التالية :

فلو أن الجهاد يدايق نطقا	لنارتك ادخلوها آمين
جملت صباح أهلها بالامسا	وأبدلت الزئير بها أنين
تخال حماة خوزتها نسبا	يخوضون الحديد مقنعين
لبيضك في جماجمهم غنا	لذيذ ، علم الابر الخنيس
تحيل الى المثقة السوالسي	فهل أمست رماحا أمهنون

ثم يذكر الشاعر ما حازه المسلمون من غنائم ، وكان قد أعلن عن النتيجة في بداية
القصيدة بقوله :

جملت غزواتك الفتح المبين	فقد غرت عيون المؤمنين
رددت أخيدة الأسانم لسا	غدا صرنا القضا بها شمين

وهذا يدل على أن الشاعر لم يلتزم بالتسلسل المتناهي للحادثة ، ولم يذكر
تفاصيل ما حدث فعلا ، وإنما ذكر ما دبر شعوره وشعور المسلمين ، بينما تسلسل النشر
في سرد قصة المعركة ، وأن يتعدت الحداد عن المعركة ، فانه يبدأ بالحديث عن فتح
الجزيرة ، موردا تاريخ الفتح ، ثم يتابع حديثه عن الأحداث اللاحقة :

" ويورد الهنسي بما أنعم الله به من يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر
الى يوم الخميس منسلخه ، وتلك سبع ليال ، وشمانية أيام حصوما ، فترى القوم فيهم
صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ، وإذا رأيت ثم رأيت البلاد على عروشها خالية ، ورأيتها
الى الاسلام ضاحكة ، كما كانت من الكفر باكية ، فيوم الخميس الأول فتحت طبرية ،
ويوم الجمعة والسبت نزل الفرنج فكسروا الكسرة التي ما لهم بعدنا ثائمة ، وأخذ الله
أعداءه بأيدي أوليائه أخذ القرى وهي ظالمة ، وفي يوم الخميس منسلخ الشهر
فتحت عكا "

وبالإضافة الى التسلسل التاريخي ، يدخل الكاتب في بعض التفاصيل ضمن
الحادثة ، إذ يذكر ما جرى من حوادث خلال اسبوع : ففي الخميس الاول سقطت سايرة

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٧٥ - ٧٧

وفي يومي الجمعة والسبت نوزل القرون في حقلين ، ومعددها سارت الجيوش الى عكسا
وفتحها ، ثم يجمل البلاد المفتوحة ويسميتها فيقول : " والبلاد والمعاقل التي فتحت
هي : دابرية ، عكا ، الناصرة ، صفورية ، قيسارية ، نابلس ، حيفا ، صليا ، الفولة
الطور ، الشقيف ، وقلاع بين هذه كبيرة . . . " ولم نجد مثل هذا التفصيل في الشعر .

ويمكننا ملاحظة هذه التفاصيل ، وهذا التسلسل المنطقي في وصف ابن شداد
فهو يتدرج مع الاحداث زما ومكانا ، وينقل جزئيات دقيقة ، لأن النثر يتحمل ذلك ، لما
يهدف اليه من تقديم الوقائع والعقائق بشكل تثيرى مباشر ، يقول : " فسار في ذلك
الوقت على تعبئة العرب ، وكان بلغه أن العدو لما بلغهم أنه قد جمع العساكر اجتمعوا
بأسرهم في منى صفورية بأرض عكا ، فقصدوا نحو المصاف معهم ، فسار ونزل من يومه
على دابرية ، عند قرية تسمى الصنبرة ، ورحل من هناك . ونزل غربي دابرية على سابع
الجهل بتعبئة العرب ، منتظرا أن القرون ، اذا بلغهم ذلك تصدوه ، فلم يتحركوا
من منازلهم . . . " .

فالتصيدة الشعرية لم تلزم بمعرض العقائق ولا ترتيبها ، كما لم تقدم عن مجريات
الاحداث الا النزر اليسير ، ثم أن ذكر النتيجة في بداية التصيدة والعود الى الحديث
عنها مرة أخرى في مكان آخر من التصيدة ، لا يتسق مع التطورات الطبيعية للأحداث
ولا غرابة في ذلك ، لأن الشعر إنما يتصل أولا وقبل كل شيء بالحالة النفسية للشاعر ،
الذي يختار أن يسلك الاضواء على مشاهد معينة منتقاة ، دون أن يلزم نفسه
بقيود الواقع .

وكثيرا ما ينقاد الشاعر الى المبالغة ، وهو يعرض مادته الشعرية ، نتيجة تفاعل
قوى مع مادته الشعرية ، وهو تفاعل كثيرا ما يؤدي الى التعميمات غير المنضبطة
بضوابط الواقع .

أما النثر ، فعابها ما يلزم بمعرض العقائق ، كما يلزم بالتسلسل المنطقي
وقد يفتني كتاب معينون ألوانا خاصة على ما يكتبون ، كما فعل السطاد في رسالتهم
. . . وقد تكون هذه الألوان هادئة غير صاخبة ، كما في وصف ابن شداد . وديهي
أن المعرض الواقعي للحقائق يحتاج الى حدود عقلي يتمثل في نثر النثر ، أكثر ممن
تمثله في شعر الشاعر ، الذي يقيم عادة علاقات غير عادية بين الكلمات ، من أجل الإيحاء
والتأثير ، وكلا الإيحاء والتأثير محتاج الى الصور ، ولذا كانت الصور عنصرا بارزا في
الشعر ، في حين أنها تقل عادة في النثر ، الا ما كان منه نثرا فنيا ، يقترب في أسلوبه
والمنهج التي يمثلها بها الشعر كما في الحال في أكثر نصوص السطاد النثرية فني
الفتح الفني . . .

وقد يكون من المفيد أن نقارن بين الصور التي وردت في النصوص الثلاثة
 آنفة الذكر . فقد صور ابن الساعاتي طبرية بالمرأة السبية التي جاهد صلاح الدين من
 أجل تحريرها . . . ، وصورها بأنها خال جميل في وجنة الايام ، ولذلك فهي تستحق
 الجهد الكبير الذي بذله ، ومثلها بالعدو الثمين في جيد الحلى ، وهذا يغري
 البطل بأن يتحمل المشاق من أجلها ، ومثلها بالمرأة الحصان التي تترفع عن أكساف
 اللامسين ، وتبتعد عن قالة السوء ، ومع هذه الصفات فقد تكن صلاح الدين منها ،
 لأنها بعد أن صعدت وتحدثت رأته أن صلاح الدين ليس بكثيره من الرجال .
 فأنشأت له روحه به . ثم صور الأماكن الإسلامية المقدسة مشاركة في فرحة المدينة
 وفرحة المسلمين ، وصور الفرنج داخل للمدينة وخارجها في حالة حيرة وعجز ،
 إذ هم لا يملكون الشجاعة الكافية للدفاع عنها بل هم نساء يلبسون ما يلبسه رجال
 الحرب . . . كما قدم صوراً للمسركة بما فيها من غبار وسهام ، وجثث وإيور . . . تحفز
 لأكل القتلى . . . ثم صور السبايا الفرنجيات ، وشعور الارتياح عند المسلمين بعد
 خلاصهم من احتلال طلال أمده .

أما المحاد فقد صور انتصار الاسلام على الكفر الذي رد ما عده ، كما صور
 جثث القتلى ، والبلاد الخالية . ثم تحدث عن تقدم الجيش الاسلامي في البلاد ،
 وثققت الفرنج أمامه . وفي هذه الصور تسجيل لمواقف النرج والتشفي بالمحتسبل ،
 وقد جاءت هذه الصور في حوالي ثلاثة وعشرين سطرا .

وأما ابن شداد فقد عرض حقائق مفصلة ، فابتدأ بحركة الجيش الاسلامي نحو
 طبرية ، وحركة الفرنج في منى صفرية ، ثم تقدمهم نحو طبرية بعد استعادة المسلمين
 للمدينة ، ثم وصف بداية المسركة بين الدافين الى أن حجز بينهم الليل ، ثم العودة
 الى القتال صبيحة اليوم التالي ، ثم تباشير النصر ، الى أن شرب أمير إرابلر وتشنت
 شمل الباقيين ، ووقعوا بين أسير وقتيل . . .

وبلاحظ أن الانفعالات التي يثيرها هذا الوصف ، إنما هي وليدة الوتائج
 والاحداث ، وليست وليدة الزخرف البهائي أو الصور اللطيفة المثيرة .

لما كان من الصعب دراسة جميع النصوص الشعرية والنثرية في فترة الحروب الصليبية لتوفرها ، وكثرتها ، ولطول النثر التي ترتبك بها هذه النصوص ، فقد اخترت قذبة محددة ، رغبت في أن أدرسها من خلال الأدب ، وتلك هي " صورة الصليبيين في الأدب العربي " .

وقد احتوت الدراسة على إطار تاريخي للحروب الصليبية تبين من خلاله أن هذه الحروب كانت صورة أخرى على نطاق واسع لحروب المسلمين مع بيزنطة في الشرق ومع الأسبان في الغرب ، فضلاً عن كونها تحقيقاً لطماع أوربية في السيطرة على مضائق ذات أهمية دينية وتاريخية واقتصادية ، ولهذا تتبعت مسيرة الحركة الصليبية من أوروبا إلى الشرق الإسلامي ، وبينت الحوافز التي كانت تدفعهم للتمار والصابرة ، والحوامل التي ساعدتهم على تثبيت أقدامهم في المشرق الإسلامي ، حتى انتهت مصر والشام تحت قيادة قوية واحدة أنزلت بهم هزيمة ساحقة .

ولدى استقراء المادة الأدبية من شعر ونثر ، ظهرت عدة أنواع من الصراع أهمها : الصراع الديني ، وقد تجلى فيه تمسك الطرفين بمعتقداتهم الدينية ، فالفرنج ، اتخذوا الصليب شعاراً لهم ، في حياتهم اليومية والعسكرية ، ولكنهم مع هذا الشعار الديني كانوا قساة غلاظاً ، وقد تصل غلاتهم إلى حد الوحشية ، فلا يراعون عهداً ولا ذمة ، على النقيض من المسلمين الذين أظهرتهم النصوص الأدبية - في معرض المقارنة بينهم وبين الفرنج - بأنهم يحافظون على الصمود ، ويحطون عند القدرة ولا يبالغون في الانتقام .

وفي إطار الصراع الحضاري ، وصف الأدب الفرنج بأنهم متأخرون في علومهم ، وفي طرائق تعاملهم في شؤون الدنيا والقانون ، ولكنهم متقدمون في شؤون الحرب من اختراع وتطويع أدوات القتال الهجومية والدفاعية . وقد تقدم الأدب صورة مفصلة للصراع العسكري ، حين عرض علينا وصفاً دقيقاً للجيش الصليبي من حيث تكوينه ، وأعداداته وأسلحته ، وخطابه العربي ، كما سلك الأنواء على حصون الفرنج وقلاعهم . وبين الأدباء من خلال الشعر والنثر أن الفرنج إنما كانوا يستمدون مقومات وجودهم من المدد الذي كان يأتيهم من وراء البحار ، ومن فرقة المسلمين وعدم اجتماع كلمتهم .

ومن ناحية أخرى ، قدم الأدب العربي صورة لهؤلاء الطارئين ، خلال الهدن وتوقف القتال ، فصورهم في أوقات السلم يمزحون ويلعبون ، وينرسون الأرض ، ويبنسون ، ويستقبلون التوافل ويتجرون ، تصح بهم الشوارع والأزقة ، ويعيشون في بلاد الشر ، حياة تتناقض في طبيعتها كثيراً مع حياة السكان الأصليين .

وقد حرص الأدباء وهم يقدمون صورة بغيضة للمسلمين ، على أن يخرسوا
الحكام والقادة بأسوأ ما يستثيروا عزائمهم بكل وسيلة ، لتخليص البلاد من الوجود
المسلم في المشرق الإسلامي .

والدراسة الاستقصائية أو شبه الاستقصائية للنصوص الأدبية التي كتبت خلال
هذه الفترة وما وصل إلينا بالفعل ، تكشف عن غزارة في الإنتاج الأدبي خلال القرن
الأول من النزول الإسلامي ، وربما كان من عوامل هذه الغزارة ، ظهور شخصيات فذة
خلال القرن المذكور ، في ميادين الحرب والسياسة والإدارة ورعاية الأدب ، أمثال
نور الدين زنكي وصالح الدين ، ومحمّد ابنك . وقد يضاف إلى ذلك شدة الحماس
والصراع خلال القرن الأول من الصراع ، ولا يخفى أثر الزخم الأدبي القوي المنحدر
من نتائج القرن الرابع الهجري السابق للقرن الذي ابتدأت فيه الحروب الإسلامية .

وأما الأداء الفني في نصوص الشعراء فقد كان إلى حد ما امتدادا لتأثيره
في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجريين ، فهو يجمع بين التلمس
والإتياع من ناحية ، وبين التجديد في إخراج النثر من ناحية أخرى ، ويظهر ذلك
في شكل القصيدة وماحونها إذ وجدنا مصداق القوائد تنهض نهج الشعر القديم
الاستهلاكي والصور والأفكار ، في حين يخرج بعضها عن النهج المعتاد ، ومخاصمة
في المقدمة وفي البأس المصاني ثوبا زخرفيا بنية إخراجها في قالب دأب جديد .

وقد لوحظ أن الهدى سمة فنية ظاهرة في شعر هذه الفترة ولكنها لم تكن
بالظاهرة البارزة في القرن الخامس الهجري ، إذ هي قد وجدت قبل ذلك ، ولكنها
برزت بروزا قويا في هذه الفترة حتى بلغت حد الانحطاط عند بعض الشعراء .

وأما الأداء الفني في نصوص النثر ، فقد اتسم كذلك بالسمة الزخرفية ،
لا سيما في الكتب الأدبية المصنفة ، أما الكتب التي تجمع بين الأدب والتاريخ
فقد تراوحت حسب اتجاهات المؤلف الأدبية بين زخرف أدبي مفرط ، وبين اعتدال
في هذا الزخرف ، قد يصل أحيانا إلى حد التخلص منه .

هذا ، وقد تورنت رسائل القاضي الفاضل برسائل النقاد الأندلسيين
ورسائل ابن الأثير ، تبين أنه لا يوجد فرق واضح بين رسائل الكتاب الثلاثة ،
مما يجعل المرء يتشكك في قول من رأوا أن للقاضي الفاضل مدرسة أدبية خاصة به
تتمتع بسمات فنية معينة .

ولدى الموازنة بين الشعر والنثر العربيين بالوجود الإسلامي في المشرق
الإسلامي ، لوحظ اختلاف متوق في طرائق التعبير عن الموضوع الواحد ،

من حيث كثية التناول والمعالجة ، ومن حيث الأسلوب الأدبي كذلك ، فالشعر كلما يلتزم بالتسلسل المذاقي ، وسرد الحقائق المجردة ، وكلما يحتفل بالتفصيل والتفصيل ، وإنما يفت ، الحركة النفسية للشاعر ، واصداً الأحداث في نفوس أبناء مجتمعه ، وقد يحدد في تصوير ذلك كله إلى المبالغة لأحداث تأثيراً معينة ، واستثارة الوجدان ، كما يلجأ إلى تلوين الوقائع بلون معين ، تتبين فيه ذات الشاعر .

أما الترتيب فانه يقدم أول ما يقدم الوقائع والأحداث في إطار الحقيقة ، ويسمى إلى التسلسل والتفصيل . وما كان فيه من إثارة ، إنما يحتد بالدرجة الأولى على مجريات العوالم نفسها . على أن النجوة بين الشعر والنثر ، قد تثير أحياناً إلى حد كبير ، في نثر المتأدبين الذين تطفئ النزعة الفنية على كتاباتهم حتى تتحول في بعض الحالات إلى شعر لا ينقصه إلا الوزن الموسيقي .

وأخيراً أسأل الله أن يكون قد وفقني في تقديم صورة التليبيين كما رسمتها الأدب العربي ، وأن يبارك لي في جهدي ، وأن يجعله ابتداءً مرضاته .

والحمد لله رب العالمين

الملاحق

- اولا : الملحق الشجري
- ثانيا : معاني المصطلحات (مرتبه شجائيا)
- ثالثا : جدول بتحويل السنوات الهجرية الى ميلادية
- رابعا : جداول بأسماء الخلفاء المسلمين والصليبيين
- خامسا : القرائن

فهرس باسماء الشعراء الذين وردت لهم أشعار في هذا المطبع

الصفحة	اسم الشاعر	تسلسل	الصفحة	اسم الشاعر	تسلسل
٤٧٦	سنت الفخر مثنوية الأشرف	٢٨	٢٩٨	الابيردي ، أبو المنقر	١
٤٨٧	السخاوي ، أبو الحسن	٢٩	٤٠٠	أسامة بن مثنى	٠٢
	علي بن محمد		٣٠٣	أمية بن أبي الصلت	٠٣
٢٧٨	سماعة الأعمى	٣٠	٥٠٧	أيدمر المحيوى علم الدين	٠٤
٣٨٦	ابن سعدان الحلبي	٣١	٥٠٨	بدر الدين الضبي	٠٥
٢٩٦	أبو سلامة محمود بن علوى	٣٢	٢٩٤	أبو بشر بن العتاري	٠٦
٤٥٠	ابن سناء الملك	٣٣	٥٠٠	البيهاء زهير	٠٧
٤٢٨	المتجاري بهاء الدين	٣٤	٥١٤	البوصيري	٠٨
	أسعد بن يحيى		٤١١	تقي الدين عمر ، الملك المنقر	٠٩
٥٠١	شرى الدين الأنصاري	٣٥	٤٦٤	ابن جبير الأندلسي	١٠
٥١٠	شمس الدين الغزاري	٣٦	٤٤٢	الجليلاني ، الحكيم أبو الفضل	١١
٢٦٦	شمس المتالي أبو الفضائل	٣٧	٤٧٤	جمال الدين الكتاني الأمير	١٢
٥١٧	شهاب الدين محمود	٣٨	٢٨٩	الجمال الواسطي	١٣
٢٥٧	ابن الصياد	٣٩	٤١٤	الجواني محمد بن أسعد	١٤
٢٥٨	طلال بن رزيق	٤٠		الحلبي	
٣٠٤	ظاهر الحداد	٤١	٢٩٦	الجهني	١٥
٥١١	ابن عبد المظفر	٤٢	٣٩٠	أبو الحسن الذروي	١٦
٢٦٩	عزلة الكلبي	٤٣	٣٠٩	أبو الحكم الأندلسي	١٧
٢٨٤	ابن عساكر	٤٤	٢٩٩	ابن الخطاط	١٨
٢٩١	علي بن عرام	٤٥	٢٩٥	هحية بن عبد الله بن نصر	١٩
٤١٢	العقاد الأحشاني	٤٦	٤٨٩	ابن دنيير	٢٠
٢٧٢	فخارة المومني	٤٧	٣٩٢	ابن الدهان (ابن أسعد	٢١
٤٨١	ابن غنيم	٤٨		الموصلي)	
٤٦٦	فتيان الشافري	٤٩	٤٨٠	راجح الحلبي	٢٢
٢٨٢	ابن القراش	٥٠	٤٦٠	الرشيد النابلسي	٢٣
٣٠٦	ابن قعيم العموي	٥١	٣٨٥	ابن الزفلة	٢٤
٣١٠	ابن القيسرائي	٥٢	٤٤٤	ابن المساعاني	٢٥
٤٦٣	الكاتب الحلبي الأمير	٥٣	٤٢٧	سالم بن سماعة	٢٦
	عبد المحسن		٣٩٧	سبط بن التماويدي	٢٧

تابع اسماء الشعراء

الصفحة	اسم الشاعر	تسلسل	الصفحة	اسم الشاعر	تسلسل
٣٣١	ابن عثير الداريلسي	٦٥	٣٨٧	ابن كاسيون	٥٤
٣٦٧	المهذب بن الزبير	٦٦	٤٨٥	الكامل بن الملك العادل	٥٥
٤٨٦	الناصر داود	٦٧		الايوبي	
٣٨٨	ابن تيهان المراكشي	٦٨		كمال الدين الشهرزوري	٥٦
٤٣٩	نشو الدولة بن نفاذ	٦٩	٤٩٠	ابن المجاور نجم الدين	٥٧
				يوسف بن التميمين	
٤٧٧	نصر الهيثم الدمشقي	٧٠	٤٩٠	مجد الدين الارمني	٥٨
٤٧٧	ابن النبيه	٧١	٤٦٥	مجد الدين النفقي	٥٩
٣٧٦	وحيش الاسدي	٧٢	٣٠٢	مجد العرب الامير	٦٠
٥٢٣	أشعار لم يعرف قائلوها		٤٧٥	ابن محمد المجاور الرئيس	٦١
				ابو يوسف بن يعقوب	
			٤٨٨	ابن هارون	٦٢
			٢٩٧	ابو المصافي بن المهذب	٦٣
			٤٤٩	ابن مهناي	٦٤

له وقد وقف على داره بالعمرة بعد هجوم الفرنسيين :

مسارب الوحش أهداري وأوطانهم
عهد الصبا بين أخواني وخلائهم
والقلب في لوحة من وجدده عسبان
غينا وغيت بحكم الجائر الجانهم
قدما بجميرة نمان ونعمهم
للمائين وفي ميثف ونعمهم
تمني وتأتي وكل بينهما عسبان (١)

أفذه بين انكاري وعرفانهم
جهلتها ولقد أبدت ملاعبهم
فصحت أسألها والدمع فسكنهم
يا دارنا لي أرى الأيام قد حكمت
فلو أجابت لقالت هكذا فسلمت
وفي مدائن نوسروان محتبهم
فأذن حب لثأرك فالدينا لهم دول

وله في المصنوعة :

هذه مصانع بلدة قد قضت على اللصوص عليها كما ترى بالخشوع
وقف العير بوقفك وأبك من كسبان بها من شيوخها والشباب
وأعبر أن دخلت يوم اليمينا فهي كانت منازل الأخيساب (١)

له في الحميرة :

بح عليها كما ترى بالخشـراب
من شين وعيبة وشبـاب (١)

أنا من بلدة قض الله يسـابـا
قتلوا أهلها وبادوا جـيـمـابـا

(١) الخريدة ، قسم شعراء الشام ١٠١/٢ ، وانظر النجوم الزاهرة ٢٠٠/٥

أبو المعافى بن المهدي

له بيت الوفاء والافرنج بالشمام :

أعذر بساكن ريمها المكسرين
شهداء بين الطمن والظاعون (١)

ولقد حلت من الشام بقمصة
وئمت وجاورها السدونا أهلها

(١) الخريدة ، قسم شمراء الشام ، ١٢٩/٢

وقال يرثي الصلار (القائد) قول بن الأمير عثمان ، وكان قتل في البقاع سنة ٥٠١ هـ ، ويحضر
به الأمير غضب الدولة :

الخطب اعظم قيمة من أدبهم

ثم يذكر مناقبه بأثنين وخمسين بيتاً ، إلى أن يقول :

ثم يذكر مناقبه بأربعين وخمسين بيتا ، الى أن يقول :

لا يُطْعِمُ الْإِنْسَانَ يَوْمَ مَرْتَمِ
النَّارِ مَضْمُونِي أَيَّمَانِي

الثار مضمون وفي آيما نفسا

ونذوا بل شهوى الى ثغر الممسيدي

قد آن للدمر المضل

مستدركا غلط الليالي فيكم

أفتركم أن الزمان أجركم

هَذَا وَمِنْهُ الدِّينُ قَدْ عَصَيْتُ بِكَ

وَعِدَاةٌ عَلِيمَالِ الَّتِي رَوَتْكَ

لا تأمن سريرة عبيدكم

بقسنا لذیر رد اکم لم تعفف سل

يا خَيْرَ مَنْ شَمَوِيْ وَ اَكْرَمَ مَنْ رَجَوِيْ

إِنَّا وَأَنْعَلَمُ الْمَصَابِ فَسَادِ الْأَمْسَى

ان الردى في طي ذات المطهر
بيض كذا طقة البروق اللامع
توق المطاهر الى صفاء المشير
ان يستقيم على الطريق المنير
متصلا من جرمها المستطير
لولا بيفيكم الوخير المرتير
عزيمته بالاشور عصف الزمير
بالبيض من سم الضراب النقيير
من ان تقسم الحق عند المقير
وظهر لغير بواركم لم تطير
وابن كودي واشرف من دعوير
فيه المصير ولا السلسو بطيرير = (١)

بعض كمنطقة بيروت المأمورة

وَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ

توق المطاش الى صفاء الضمير

ان يستقيم على الطريق الحق في
تلاوة حبيبنا المستوفى

متصلًا من جرمها المستطيل
الأضلاع الخمسة المستوية

طَوْلًا بِبَيْتِهِمُ الْوَحِيمِ الْمُرْسَمِ
مَاتَ الْوَحِيمُ الْمُرْسَمُ الْمُرْسَمُ

عزيمته بأشور عصف الزمان
الذي هو من عتبات النقب

بالبيش من جسم العراب المتسلسل
أنت في الحقة عند المقدس

من ان تقسيم الحق عند المتقدمين

وہابیؑ لکھیں ہوا کہ تم کہتے ہو کہ

وَابْنُ بَنِي نُوْدٍ، وَاشْرَفُ مَنْ دَعَا بِهِ (١)

وختمها بنمرة الامير غضب الدوله بستانيات أخيره :

■ انظر الخريدة بداية قسم شعراء الشام ٢١٥

(١) ديوان صفحة ٢١٣ - ٢٢٠

قال يجمع الامير حمام الدين توتاش بن ايلغازي ويذكر غفره بالفرنج بعد عودة من الشام
سنة ٥٢٤ :

والا لك ما عادي معاديك المصير
ولا سار الا تحت راياتك النصير
وجئت الايام ايامه الفير
.....

بهن الطنان الشزر والنائل النصير
وهندية حمر ، وخطية سمير
وخيل اذا استحضرتها اظلم الفجير
فترحل الاومي من سكنها قفسير
غسر بك الاسلام ، وأمتهم الكفير
فهن توان من دماهم حمر... الخ (١)

اطاعك - فيما ساء حاسدك - الدهر
ولا استعرت الا بحملاتك الوغسي
فأنت الذي أرضى عن الدهر قريسيه
.....

انا لك ما أعيأ سواك من الملبي
ومخربة دمر ، وماذية خفسير
نحول اذا استمارتها ذرت الطال
معودة الا تجوس عسيرة
هزمت بها جيش العدو مجاهد
ورويت بيض الهند من مهجاتهم

(١) الخريدة بالقسم العراقي، ج ٢، ص ١٤٥

قال يمدح الوزير الافضل بن بدر الجمالي ويذكر تجريده العساكر الى الشام لصارمة الفرنس
بعد أن هزم عسكره في الموضع المعروف بالبصصة :

وهي الكتائب من أشياعها النشـ~~ير~~
حيثما تغل به الاحداث والنشـ~~ير~~
تذب عنه وتحصيه وتنقـ~~ص~~
والسدر تحت ظل النشـ~~ير~~
عن منايرها الاكباد والقـ~~ص~~
في طولهن لاعطار الوري قصـ~~ص~~
من الكفاة اذا ما استنجدوا أبتدروا
شبهتها خلجا مدت بها ضـ~~ص~~
فما ينير ظهاها أنها بسـ~~ص~~
فالشعر طالعة والليل منتكبـ~~ص~~
كانما الدم راج ، والطبق زـ~~ص~~
قد يكهم السيف وهو الصارم الذكـ~~ص~~
عقبى النجاة ووعد الله منتظـ~~ص~~
بما يسره ما طات لها أخـ~~ص~~

هي المزام من أنصارها القـ~~ص~~
جرت للدين والاسياغ مضمـ~~ص~~
وقمت اذ قعد الاملاك كلـ~~ص~~
بالبيض يسقط فوق البيض أنجمـ~~ص~~
بيض اذا خطبت بالندى السنـ~~ص~~
وذيل من رماح الخط مشرعة
يشقى بها فقرات الحوت اسد شـ~~ص~~
مستلهمين اذا شادوا ميوفـ~~ص~~
توم تطول بيض الهند أذ رعـ~~ص~~
اذا انتدوها وذيل النشـ~~ص~~
ترتاج أنفسهم نحو الوغى نرسـ~~ص~~
وان هو نكصوا يوما فلا عـ~~ص~~
العود أحمد والا يا مضا منـ~~ص~~
وربط ساءت الاقدار ثم جـ~~ص~~

ومنها :

والغيل تزدى ، ونار الحرب تستـ~~ص~~
في الدخان وأعارف القنا شـ~~ص~~
كصفحة البكر أدمى غدها الشـ~~ص~~
سيان غدا ، قل القوم أم كـ~~ص~~
وهي الشجاعة الا أنها غرر ... الخ (١)

لله بأسك والالاب طائـ~~ص~~
وللعجان على صم القنا ظـ~~ص~~
اذ يرجع السيف يدي غده عـ~~ص~~
أما يهولك ما لاقيت من هـ~~ص~~
هي الشجاعة الا أنها شـ~~ص~~

قال يمدح الأفضل الجمالي بقصيدة مئلمها :

الحب مذ كان معنى يصعب الأدبها
فإن تنزلت في مدح غانجيسها

ومنها :

سارت له سيرة أدنى مناتبها
تضمنت غزوات كلها ضحىها
أرضي المصاحد والزهاد عندها
وللأذان سرور في موطنها
شمر خيولك للنصر التي وعدت
أبشر فحادات وعد النصر قادتها
واسفك دمًا في طلي الأعداء منتظما

قد عطر الأرض والأفواه والكتفها
لله ط أسخط الرهبان والصلبها
تهدى النواقيس منه الول والحرثها
وتفت السحر حزما وأزديها القصبها
كالهيم من بعد خصر وافت القربها
فلو أشارت له أسياك انكبها (١)

وقال يمدح الامام الأمر المنصور بقصيدة أولها :

بكم آل وعي الله يفتخر المجتهد
وبكم يسوغ المديح والشكر والتمجد

ومنها :

ستأخر للاسلام ثارته السمتي
كما فصلت في يوم بدر سيوتكسم
لك المزمات الناذات اذا أبهرت
وان خفت راياتك الحبر سبحت
وخطبة حمر وبيض صمسمسم
وقوم منايهم مفاهيمهم
فقد شام منك الشام برق سمسمسم
تزلزل ما خلف الفرنجة ديبسمسم
ولله سرّ فيك حان ظهمسمسم

وقال يمدحه بقصيدة مئلمها :

صلى الاله عليك يا ابن رسولهم
فيك استقر الحق وأنضج الهمسمسم
يا ابن الأئمة من ذوايتهم اسمسم

(١) ديوانه ص ٢٤ مس ٢٨

(٢) ديوانه ص ١١٧

تقاوم للكفر اللعين بها المسمسم
وفي الشرك من دون القلب لها ورد
الى مقصد لم تمنع البيعة والمسمسم
انصرك أعانها ما نكسة جنسمسم
ومسرودة زحف ومقربة جمسمسم
رغبتك في طيب الحياة لهم زمسمسم
على ملك قسطنطين من سبله قسمسم
له فرواسمها تخر وتنسمسم
ليوتن مرتاب ويرجع مرتد ... (٢)

وهدي لطاعتك اورى لميلهمسم
وأبان للمثاليين وجه دليمسمسم
شرف سما بشروعه وأصولهمسمسم

قال يمدح صالح الدين محمد بن أيوب العمادي صاحب خمسة :

حماة ه وما يسطو على الأسد الكاسد
وقد غلبت عنه الضراغة الخاسد
فحال جناح البشير وأنكمز التلسد
نجوم عليه بالحنية تنصسد (١)

وما جاء كلب الروم الا ليحتسوي
أراد بها أن يملك الشام عسوي
وما ذم فيها الميثر حتى صدقته
غولي وأطراف الرماح كأنهم

وقال يمدح عماد الدين زنكي بقصيدة أولها :

تذل لك الصواب وتمتدح
تبين أنك الملك المرحم
كأن الجحفل الليل البهيم
فكان لخلبه الخراب البهيم
تيقن أن ذلك لا يسعد
فأحرز لا يميز ولا يقعد
توعد وهو شيطان رجيم
وليس سوى الحمام له حريم
وأنت بها وما الدنيا كريم
وأنت بتطع دابرنا زعيم
بيوم فيه يكتهل الفطيم
منية جوساينهم اللثيم
وأنت على مفاقله متبع
وتاد وما يصاد له متبع
فأول ما يفارقها الجسم
ببائك لا تزول ولا تريم
مكنا ليس تلبسه النجم
وأين من الفزالة ما تميم
ويزدت عليه وفي الدنيا عديم
أبيت بسيفك الزمن الشليم
بموملك الدنيا عديم
كما بعد استغفر الجحيم

بمزمك أيها الملك المظالم
ألم تر أن كلب الروم لم يملك
فجاء يطبق الفلوات خيل
وقد نزل الزمان على رضاه
فحين رمته بك في خمسه
وأبصر في الظافة منك جيشه
كأنك في العجاج شهاب نور
أراد بقاء مهجته فوالسوى
يوقل أن تجود بها عليه
أيلتمس الفرنج لديك فليسوا
وكم جرت عنها غفيرة المنايا
ولما أن طلبتهم تمسكتي السبي
أقام يطوف الأقباق حينها
فصار وما يصاد له ملية
إذا خدرت سيفك في نفوس
رايتك ه والملك لها از حسام
تقبل من ركابك كل يميم
تود الشمس لو وسكت اليشم
أردت فأيس في الدنيا ميم
وما أحييت فينا العدل حسمتي
وبصرت إلى الصالح في زمان
تزخرق للأمر جنان عسودن

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٨٣

أمر المؤمنين من ملبسهم
فقد برحت له الدنيا فسيدها
وإن تنفي جيل الله تشقى

تَخَافُ غَيْرَ هَيْمَةِ الْهَيْمِ
وَمُلْكُكَ مِنْ حَوَادِثِهَا سَلَسٌ
عِنْدَ اللَّهِ أَجْرُكَ وَالنَّعِيمُ (١)

ایکس پند ضلک حسن نامی

رسد مقدمة غزلية يتيسر :

أَتَمَّتْ لَوْتُ لِي رَعْدًا فَأَخْشَسْتُ
كَمَا رَعْدَ السَّحَابِ فِي كُلِّ يَسْمُومٍ
يَرُونَ خِيَا لَهْ كَالِدَائِفِ يَسْمُومٍ
أَبَا دَاهُمْ تَخَوُّنُهُ فَاغْشَسْتُ
تَمَكَّتْ حَوْلَهُمْ شَرْنَا وَغَرَسْنَا
أَطْلَافَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ قَسْمِخٍ
أَتَامَ بِأَلِ أَيُوبَ رِيَا طَسْمَا
لَهُمْ لِلدِّينِ وَالْدِّينِ جَبْمَالُ
إِذَا أَتَبَسَّرَا لَهُ عَزَمَا وَرَأَيْمَا
وَأَنْ نَادَى : نَزَالُ هَ غُلْنِ يِبَالِمْوَا
رَبَّنَا أَتَصِ الْجُلُوكَ الْمَلَمَ عَرْمِمْ
وَمَاغْتَبَهُمْ لَمُوكَ النَّاسِ جَدْمِمْ
لَهُمْ مِنْ بَاسِهِ رَكْنٌ شَدِيدِمْ
حُوتَ آفَاقُ مَصْرَهُمْ حَصُونِمْ
فَطَارَفَةُ لَهُمْ سُلْطَانُ عَسْمِمْ

أرى دأوباً كفار شفاف
أبوا نساء عناق نسل
فقد عمو به من غير عثم
ومن أئنا ثم قدما حقيق
لقد شهر التجارب منه حم
فكث الكثر أن يدلى بك
نساء إلى الفرنج الخيل بس
لقد جلب الجوارى بالجوارى
يزيدهم اجتماع الشمل يوم

زيارت خوان يان، لم يزر نسبي
 ضائع الدين غي سهل وحيمن
 نلو شجرو انا هميد وشمين
 مناملو ييتمها شمين
 نصاروا لاقتنا، تحت رشمين
 قبائل يقبلون بخير وشمين
 رات منه الترمي ضيق، شمين
 روا مر لا كرى ابد اشمين
 شوا غي الحرب عن ضرب وشمين
 قتالهم لانمر او لشمين
 ولهم جهنم في الجاهل يشمين
 علم تغلب لهم ظهر المي شمين
 ولو نلبوا لما آروا لشمين
 فكيف اذا اداروا كل شمين
 يسم لهم نكارهم شمين

[illegible]

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٨٢ والحريدة ه قسم شعراء الشام ج ١ ص ٤٢٠ - ٤٢٢
والكامل ٥٦/١٠ والباهر ٥٦

ولا ليت فدى رثاً أغسست
ودهاطاً فما ضيا بقتل
بذرب الملك كل على يهيمستني
لجرت فض أذ يستسال وردن
نكم عزب بأبطل باتييمستني
ولو ألقاه من بشير مستمن
وأحوال تطير بشير غمستني
فيحبل منه لأخ وشي مستمن
لأولي من ولي حياً بهيمستني
لأن فهو ينخي حين يتسمستني
وإن بذل الندى غاصح مستمن (١)

فما من ظبي مستفدى بليست
زعت اسكندرية يوم سيقستوا
وخيرهما هنا ما أنا مستسا
فلو ليست به للفخر مستسردا
لقد سبق الندى منه الميايمستسا
وأعجله السماع عن أذ كسمستسا
فأسلحة تخاف لديه خزيمستسا
وكيف يصون بحرا جود بمستسر
وان الناصر الملك المرحمستني
بيد عداته ويشيد مجسمستسا
إذا لاقى العدى فأشد ليستمست

وتال. بحدح نور الدين :

كالريح دل على القماوة لينست
لله مداوة بأبيه ومكونست
هذا الذي بالله صح يقينست
والشمخر إلى النلى عرينست
لا غدره يخشى ولا تلونست
أو سار فالنفر الشريف قوينست
أبدا وجبار السما بعينست
والشرع يحلم أنه لمهينست
والله يكره أن تدمن يمينست
أبواب ملك لا يزال مصونست (٢)

تبدو الشجاعة من طلاقة وجهست
ودراء يقتله أناة مجسمست
هذا الذي في الله صح جهنست
هذا الذي يخل الزمان بمثلست
ملك اورى ملك أغر متسمست
إن حل فالنفر التايد أنيست
فألهر خاذل من أراد عنست
والدين يشهد أنه لمعسمست
ما زال يقسم أن يبدد مملكست
فتح الرها بالاصر فأنفتحت لمست

(١) الخريدة قسم الشام ٤١١/١ ٤١٦
والروميتين ج ١ ق ١ ص ٦٩٥

قال يصف ما فعله الفرنج الألمان سنة ٤٣ هـ بدمشيق :

أبوز ما تواترنا	بسطنا نهر ديارنا
ما في جلق دينا	وأقوام رأوا حلقنا
عديدا أو يزيد ونسبنا	أنا ما كنا ألقنا
ومعنا من فلاحينا	فبعثناهم من أندلسنا
ومن صيدا وتبيننا	ومن عكا ومن صيدا
تأتوا ما مجانينا	إذا أبصرتهم أبصرنا
جل النال البساتينا	ولكن حرقوا فسي عينا
ل أيضا واليهادينا	وجازوا الحق والتسنا
فداثرنا جرادينا	تخالفنا قد ركبنا
خنازر والأقربينا	وبين خيامهم ضمنا
على ساجدنا ونسنا	وراهات وصلباننا
لعل الله يكتينا	وتلنا إذا رأينا
أغان الملق والدينا	صالحهم مهيئنا
لدى الهيجا شياطيننا	وثيان تخالفنا
ج من شرقينا وسريننا	فواوا يدايوننا
ر تحت التراب مدحونا	ولكن غادروا إلينا
.....
ونيل نحو ثميننا	وضمنا باقتنا على
من القتل يفرونا (١)	وبائهم المسمى الآن

له من قصيدة شفا بها القاضي كمال الدين بن الشهرزوري ضد فتح الرهس :

إن السخايج يوم صاغت الرهس
تحي الفتى مشر بتماسه
لله أية وثقة بدره
ثغر ه كمال الدين ه كنت لقاحسه
وأمدكم جيش الملائك نصرة
جنبوا الدبور وقد تم ربح الصب
أترى الرها الورقاء يوم تحمست
لا أين يا أسرى المهالك بعد ه
شذا إلى أرض الفرنجة بعد ه
أغركموا آثار رهن دما تكس
وإذا رأيت الليث يجمع نفسه

عداغت عليها كل أمور، ناكس
كالشجر غي صدر النهار الآيس
كصرت صحائفها بأيمن صاحب
كم ناهض بالحرب غير حصار
بكتائب مخوفة بكتائب
بجند النبوة هل لها من غالم
ظنت وجوب السور مورة لاص
ضاي الفناء على نجاة المصار
إن الدروب على الطريق المالحس
ما كان من أطراق لحظ الطالب
دون الفريسة ه فهو عين الوائب (١)

وقال في تهينة نور الدين بانتصاره على الفرنج يوم إنس :

هذي المزائم لا ما تدعي القضب
وهذا لهم اللاتي متى شطبت
صاغتيا بن عماد الدين ذروته
ما زال جدك يبني كل شاهقة
لله عزك ما أمضى وهك
يا ساهد الطرف والأجفان هاجمة
أشرت سيوفك بالإفرنج راجمة
شربت كبشهم منها بقاصمة
قل للبطاة وإن صمت مما مسممة
ما يوم أنب والأيام دائلمة
أفركم خدعة الامال ظنكم
فضيت للدين حتى لم يفتك رضى
ظهرت أرض الأعداى من دماهم
حتى استطار شرار الزند قاده

وذى الكارم لا ما قالت الكتضب
تشرت مثلها الأشعار والشطب
براحة للمساعي دونها شطب
حتى ابتنى قبة أوتادها الشهب
أقضى اتساعا بما ضاقت به الحطب
وثابت القلب والأحشاء شطب
نوءاد روية الكبرى لها يجمب
أودى بها الصلب وانحطت بها الملب
قولا لصم القنا غي ذكوره أرب
من يوهبنا بريد ه لا ه ولا كضب
كم أسلم الجهل غنا فره الكسب
وكان دين الهدى مرضاته الضضب
طهارة كل سيف عندها جنب
فالخرب تضرع والآجال تحتضب

والذيل من تحت قناتها تفر لهم
والنفق فوق فقال البيض منقذ
والسيف هام على هام بمركبة
والنبل كالولع هطال وليس له
وللنبل ظفر حلو قد اقتسمه
وللأسنة عما في صدورهم
خانوا فخانت رماح الجملن أيديهم
كذاك من ليهوى الله مهجته
كانت سيوفهم أوشى حقوهم
حتى الطوارق كانت من طوارقهم
أجسادهم في ثياب من دماهم
أنباء طحمة لو أنها ذكورت
من كان يخزوا بلاد الشرك مكتسبا
ذو غرة ما سمت والليل محتكرا
أفعاله كاسمعي كل خاد شعبة
في كل يوم التكري من وقائمه
من باتت الأسد أدرى لي سلاسله
فبكلوا سلب الإبريز قاتلهم
من للشيقي بما لاقت فوارسه
عجبت للسعدة السحراء متمسرة
سدا عليها سوا الماء أرفقه
ما غارقت عذبات التاج مفرقه
إذا القناة أبتنت في رأسه نفقه
كنا نعد حين أدارنا ظفيرا
عمت فتوحك بالعدوى ماقلمها
لم يبق منهم سوى بيض بلذ رمقه
فأنهضوا إلى المسجد أقصى بذي لجب
واذن لوجك في تطهير ساحلهم
يا من أعاد ثغور الشام حاكمه
ما زلت تلحق عاصمها بمخاضها
حللت من قلبها أيدي ماقلمها
وأيتنت أنها تنلو مراكزهم
أجريت من ثغرا لافناك أنفهم
وما ركزت القنا إلا وملك عيسى
فاحمد بما نلت من كل صالحه

قوائم خائنهم الركز والخبس
كما استقل دخان تحتهم لهيب
لا البيض ذو ذمة فيها ولا اليلس
سوى القسي وأيد فوقها مخسب
كانما الحرب فيما بينهم ضارب
مصادره أقلوب تلك أم قلسم
فأستسلموا وهي لا ينج ولا غم
لاقي العدى والقنا في كنه قصم
يا رب حائنة منجاتها المطم
ثارت عليهم بها من تحتها النسم
صلوة وكان القوم ما سلبم
فيما مضى نسيث أياها التسم
من الملوك ثغور الدين محتسم
إلا تفرق عن شمس الضحى الحجب
ووجه نائب عن وصفه اللقب
شغل فكل مد يحي فيه مقتضب
هل يا سر القلب إلا من له التلب
وهل له غير انطاكية ملب
وان يساعدها من تحتها قسب
برأسه إن إثمار القنا عشب
أنبوه في صعود أصلها عشب
الأوهامه تساج ولا عشب
بدا لتعليها من نحره مسب
فما كنتك الظبا ما ليس تحتسب
كان تسليم هذا عند ذا جيب
كما التوى بعد رأس الحية الذنسب
يوليك أقصى المنى فالقد من رثسب
فإنما أنت بحر لبحه لجب
من الظبا عن ثغور زانها الشنسب
حتى أتمت وأنطاكية حلسب
فاستعذلت والى ميثاقك الهسب
وكيف يثبت لاجوق ولا طنسب
جوي الجفون امترانا يارب عصب
جسر الحديد هزبريله أشسب
ياون إلى جنة الماوى لها عشب

مكن الحجي ارض الزمان بنفسه
 حتى تبه الاسلام بالخيل ، فاعتندت
 فكر هبوة أو قمن بالكفر تحتها
 كيم الرها الورها والهام يانسج
 وشهباء هاجتها وغى صرخديته
 وعارم يوما بالقرية فاعتندت
 وعاصى على الساصي بارعن خاطب
 يا لب لما اكسب الدال وانشيني
 غداة هوى شطرن للسيف رأسه
 على حين للخطي فيه عوامس
 وقائح محوذية النصر لم تسزل
 يقوم مقام الجيش فيها وعنده
 وحين انتتعتمة من قرا بسنه
 الى ابد عتمتها كل بلده
 ولما نزا بالقص عجب هوى بسنه
 فاعجب في الحجلين ينكر خطاسوه
 تصاتيه البشري باخذ حصونه
 تناجي عزاز باسمه بل شمر
 فان يكن المسمود من ثل عرشه
 ثقل لملوك الخائفين نصيبه
 واخلوا عن الآفاق فالشرق شرقه
 ولا يستصم بالدرب طالع على القنا
 رهيب فضاء العلم عن ذات قسده
 فهو من الجاني يكاد الذي جني
 امخذ الاخلاص لله جنسه
 أبوك استرد الشام بالسيف عسده
 اذا نبت عن أضفاد نياه بالسك
 رايتا قبح الحق خيرا مفهيه
 وأومحت ما بين الفريقين سنه
 وبينت نور الدين ما كان يفتني

الى الآن حتى لان وانقاد صبيته
 وأوتادها جرد الطمان وقبسته
 فما انقضت الا وللذل جنبه
 ملي برقي الهند واني خصبه
 ثناها وليل الحرب تنقش شهبه
 كوادى ثمود اذ رغا فيه صقبه
 دم الا لك حتى انك الفصل شطبه
 بصاحب انطاكية وهو كسبه
 وللرمح حتى توج الرأس قلبه
 يحاقبه خفصر الحسام ونسبه
 غربا بها عن موطن السيف غربه
 وتفضل أعمال الكنايب كتبه
 مضى وهو نصل والبنالك قربه
 غلب من الأسرار مالا يرتبه
 على أم رأس البني والندر عجبه
 بعيد على الرجلين في السحي قربه
 غيا عانيا ضرب البشائر ضربه
 فيلمنه لمن الصريح وسربه
 ثمذا عود الكثر قد طاع طنبه
 كذا عن طريق الليث يزار غلبه
 بعكم الرذيليات والفرب قربه
 فان القنا في شجرة النحر دربه
 اذا ضاق من صدر المملك وعربه
 يكر به شوقا الى الملوذ نيه
 ومن يستصم بالله ، فالله حسبه
 وللهوم بامر طالما غال شطبه
 فانت الذي عن خوزة الدين نيه
 فافرجت عن رأى يسرك فمته
 بها عرف المريب من هو ربه
 د ليل بأن الله من أنت خزبه (١)

وقال بكنيسة أشمونينا وهي للفريرية والنصارى :

حتى ترى التوحيد والتثليث
تستحسن التذكير والتأنيث

ملاء الزجاجة ثم جاء حثوث
قد ردت أطيب ما حملت خبيث
ما عند ثغري يغهم الثالث
فقطعت ليلًا بالجدال كيث
(١)

لو كنت ثالثًا بأشمونينا
لرايت منا أعيننا طامحة

لما سألت غلالة من ريقه
قلت . سقني من فيك إن رضا به
قال المزاج نسيبه
وبدا يناظرني بها عن دينه
.....

وقال يدهج نور الدين زنكي سنة ٥٤٤ ويذكر وقته بالفرنج يوم أنسب :

صرح جاء بالكرم الصريح
على ما بين غامضة وسريح
صولد عن قتيل أو جريح
من النقع . النزلة في مسريح
من الدم عبرة الجفن القريح
أنج له من القدر المتريح
يجود بنفس غير الشريح
وليبر سوى القشاع من غريح
سوى البدر من بسد الجريح
فكم لسانك من زمن ملريح
بحيث تريح من تعب المريخ
فهك غير نظم المستريح (٢)

ألا للهدرك أي در
وعسرك الذي استولى مسيح
وتستك التي بنت الموالحي
باب يوم أبرزت الذاكسي
غداة كأنما الساصي احمرارا
وقد وافاك بالابر من حتف
تثلت فحهم بالنفس راد لا
ماذت بهم ضرائحهم فامسوا
وعدت الى ذرا حلب حميدا
فإن خلعت بشرتك اليا لحي
رويتك تمكن لهيجا فواقسا
فانت وان أرحت الخيل وقتسا

وقال في الصلح بين نور الدين ومجير الدين صاحب دمشق سنة ٥٤٥ وأثر الوحدة في الانتصار على الفرنج :

وان شئت علما عدا من حرك
نظورا له حد وطورا له صم
ترنج من سكر فخل القنا صم
الى الحزم لو لم يشضب السيوف والرسم

لك الملعان حاربت ه فالنصر والفتح
ودن أنت الا السيوف في كل حال
سقيت الردينيات حتى ردتهم
وما كان كف العز إلا إشمارا

(١) ديوانه ورقة ٧١ (٢) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٥٥

الى السلام ما تنوي بذاك وما تنحسرو
تتقن من نبي ايليا انما الذي
فلن مهجتي حوى الضائل ولا مفسد
فقلوا لليل الإفك قد طلع الصبي
فلن زالت الشكوى ولا اندمل الجسم
فسيت اليك الملك يسكن به النجس
ولو أهلت بغير ما غرنا الصبي
بهيما ولولا الحسن ما عرف القبيس
موارد هذا المدل ما مسه قبيس
على أنه ما زال نبي طبعه شمس
ونحن نراه اليوم يثبت ما يمحس
وأثرت الآداب وأطرد المسد
ودانت لك الدنيا وعزبك السد
ولا صدر الا قد جاز لك النص
فمن فاته حمد الوري فاته الرسد
أعبر عما لا يقوم به الشرس (١)

وقد علم الاعداء مذ بت جانح
اذا ما دمشق ملكك عنان
مضى الشفق الجفيلين على الهدى
اذا سار نور الدين في الجيش غازيا
ترك قلب الشوك تشكو جراحيها
صبرت فكان الصبر غير مفسد
كان القنا تجلو لوجه أمسه
بدولتك الفراء أعجب خدها
وكم من قريح القلب لو بسسات واردا
مخاطبك هذا الدهر جودا على السورى
وقد كان يحو رسم كل فضيلة
بت ابتهج الالباب وانتج الحمى
ولاذت بك التقوى وعادت بك السلى
فلا قلب الا قد تملكته هوى
وما الجود في الأملك الا تجارة
ولما اختصر ما قلت الا لأنسني

وقال يمدح نور الدين :

تدارك ملقا العربي ذبي
وحل ذرى المواصوهي نهبي
ثنى يده عن الدنيا عافيه
رأى حط الكوس عن الرمايه
وطد لها رواق العدل شرعيه
وبات وعند باب العرش منه

الى أن عده منه مفسد
فأجل الشوك حتى ليس غسد
ومال بها عن الأموال زهسد
فأهدر قبل ما أنشاء بسسد
وقد طوي الرواق ومن سد
لدولته دماء لا يسسد (٢)

وقال يمدح نور الدين بعد هزيمته للفرنج ببغرى : مالهنا :

يا ليت أن السد مفسدود

أولا غلبت النجوم مفسدود (٣)

- (١) الروضتين ج ١ ص ١٨٠
(١) الروضتين ج ١ ص ٤٨
(٣) الروضتين ج ١ ص ١٤٦ وانظر الكامل ١٣٤/١١ والباهر ٩٢
(٤) وهم أبو شامة فظنها بصرى وهي عند ابن الأثير بصرى ، الكامل ١٣٤/١١

غضيف المقاتلين ولا نـمـا
 نسر واسترعب الدنيا فتوحـا
 وزد بيتي الوغى شوى حبيبـا
 ولا غي باب فارس غير نكـا
 لانيكية يحيى ذراهمـا
 وأدعت الممالك واستجابـا

وغاثرها وليد به منـمـا
 غار هضبة طائف ولا وهـمـا
 فما عن باب مسلمة نـمـا
 بفارسها يضي بها النـمـا
 وقد دانت لسطوتك البـمـا
 مليحة لدعوتك المـمـا (١)

وقال في جارية حسناء اسمها مارتا تنفني هالدي ، خفيفة الروح غي نهاية اللطف ومن أعوانهم
 التي تغايظ بها النصارى وتستميل بها قلوب المسلمين :

علقت بحبل من حبال محمد

فقال ليها بعد البعد عنـمـا :

ألا يا فزال التشر هل أنت منـمـا
 وما هل لذك اليوم في الدهر ليلـمـا
 فألقاك فيها هادي الكأس حاد يـمـا
 ألا حبذا عاري المحاسن عا طـمـا
 إذا ما الأمانى ما طلعتي بوعد هـمـا
 وعهدى بمارتا سقى الله عهد هـمـا
 وشي ذلك الزنار تمثال فضـمـا
 وقد غلب المصباح فيه على الدجـمـا
 وكنت إذا عفت الزجاجة مـمـا
 غيا لي من وجه كقنديل هيـمـا
 لقد أسرني حيث لا أبتغي الفـمـا

علقت بحبل من حبال محمد
 ثمود ، ولو عادت عقيدا بمـا
 وحبيب من ساج بها ومثـمـا
 محلى بأثواب الباذخة مرتـمـا
 ذكرت له وصاة على غير موعـمـا
 بما عندنا من حاجة الهائم النـمـا
 تنقط خديه الميون بمـمـا
 سناقم لي جنح ليل مـمـا
 سقتني رضاها في اناء مـمـا
 عليه من الصدغين حراب مـمـا
 نقل غي أسير لا يسر يفتـمـا

وقال غسي فتح الزها سنة ٥٣٩ ومهنا عماد الدين زنكـمـا :

هو السيف لا يننيك إلا جـمـا
 ومن شمر هذا النسر فلنأخذ الظـمـا
 سميت تبة الاساذم فخرا بطولـمـا

وهل طوق الامناك الا نجـمـا
 سناها وان غات الميون اثـمـا
 ولميك يسو الدين لولا عـمـا

(١) الروشتين ج ١ ص ١٤٦ هـ وانظر أعلام النبلاء بتاريخ حلب الصها ١ / ٢

(٢) ديوانه : ورقه ٧٤ - ٧٥ والخريد قسم الشام ١ / ١٠

وذاد قسيم الدولة ابن قسيم
 ليمن بني الايمان ابن ترقمست
 وفتح حديث في السطاح حديثه
 اراع قلوبا ظرن عن وكناتهم
 لقد كان في فتح الرها دلالسة
 يربون مباد ابن مريم نصيرة
 مدينة اذك منذ خمسين حجة
 ثنوت مدى الابصار حتى لو ان
 بجامحتنر الملوك تباد هـ
 نأوسها حر القراع مؤيد
 كان منا لحن الاسنة حول
 فأنصرمها نارين حربا وخذ
 فصدت صدور البكر عند اقتضائهم
 نيا نظرا عم البلاد صلاح
 فداة كان الهام في كل قوس
 فما مطلق الا وشد وثاق
 ولا منبر الا ترنج عوده
 فان شكل "الابرنز" فيها حيات
 وباتت سرايا القحن تقهر دونها
 الى اين يا أسرى الضلالة بعد هذا
 رويدكم لا مانع من مظفر
 دسبب سهام الراي لو ان عزم
 وقت الملوك الكفر تسلم بعد هذا
 كذا عن طريق الصبح أيتها الدجى
 لمودج الافلاك منه حصن
 ومن كان ملاك السماوات جنس
 والله عز ما سيحسان ورده

وقال لي جنيسة السوداء ه وهي قبة شاهقة للنصارى بانطاكية :

متى عجت يا صاح بالسود
 وقلبك حذره عن ان يمس
 وجوتها هي قناد يلهم
 ترى كل مستحق خصمه

عن الله لا استطاع ذيس
 رواسيه عزا واظمان
 شهبي الى يوم الصاد
 عليها غواشي كل صدر
 على غير ما عند الملوك
 ولهم عند القوم عشية ولاد
 يفل حديد الهند عنها
 ترفت اليه خان طرنا
 الى ان ثابنا من يحز قيس
 يصير بتدوين الالك
 سرار ولكن في يديه زنب
 فما راع الامورها وانهم
 وديهمات كان السيف حتما
 بمن كان قد عم البلاد
 كدائهميت بالسيوف حص
 ولا مؤثى الا وحل صف
 ولا مصحف الا انار مص
 والا فقل للنجم كيف سم
 كما تتنزي عن حريق حس
 لقد ذل غاويكم وجز رش
 يساند أسباب القضاء
 رعى سد ذى القرنين أس
 مالكها ان البلاد بس
 نيا طالما قال الظالم
 لا مستعدا فوشهم
 فاية ارض لم تطاها جي
 وروحة قسطنطينية مس

نسل عن نوادي في الاثني
 فان بها للموى مصي
 بيهجة نيرانها الموق
 اذا ما دعا طرفة أنجب

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ٩٧/ وانظر الخريدة قسم الشام ١٥٢/ وانظر عقد الجسمان ج ١ ق ١ ورثة ١٥٥

م تحسبها أنها مضمومة
يضاحك أبيضه أسود
ن اذا زرع الليل او جمعه
ت أوردته قلت : ما أسود
يطرق بين يدي عرسه
ن فهي مجردة منم
م أوردته الحب م
وهيها أعجز يوم غم
من لم يمد اليها يسوده (١)

وذات روادف عند القي
ويدر من الشعر في غاسق
نيا لي من ذلك الزبرقي
محل خيال اذا ما رأيته
به كل نشوانة لحظ
صوارثا طاعة في الجف
فها أنا في سبيل الفس
فهل لدم فات من طال
وكيف يجازي بقتل النفس

وقال يصدح نور الدين :

لله عزك أي سيف وغ
ما زلت الحرب الصوان
هل وجه نور الدين غير
ملك مهابته طليعت
كم قل كيدهم بصاعة
تركت حصونهم سجونهم
عصم السواسم فهي ضاحكة
فاذا سرايا خيلهم
ورى القاذح بمثل جند
يا سائي عن نهج سير
عدل حقيق من تأمل
وشهامة في اللخالصة
وندى يد ما غم
هذا الخيم في ذرا حلس

طبعته ضارته على القم
الا أنجلت عن مقل بك
صدع الدجى عن خجلة الب
أبدأ أمام جيوشهم
شملت قلوبهم عن النك
فالقوم قبل الأشر في
تجلو النابى شرا على
نهضت سرايا الخوف والذ
حتى استكان الصخر بالص
هل غير طرق هامة الفج
ان يحيى العزمين بالذك
عقدت عليه ثائم الاج
الا يبيت مجاور البص
وثناؤه مبدءا على ظم

قال يصدح عماد الدين زنكي سنة ٥٣٤ هـ ويذكر هزيمة الفرنج قرب حصن يارين :

وهي السوارم لا تبقي ولا ت
من خيله النسر لا بل جند
صالوا فما غفدوا نصلا ولا
في مازق من منا مبرق البص

حذار منا واني ينفخ الح
واين ينجو ملوك الشرك من
سلوا سيوفنا كأغمار السيوف
حتى اذا ما عماد الدين أرقهم

ه وانظر الدر الثمين ورقة ٥١ مخطوط

(١) الخزينة : قسم الشام ١٠٠/١
(٢) البروشين ج ١ ق ١ ص ٤٦

فتجيبك الانجساد والاغصان
بقناً استنحها عليه منسج
كالصبح ثم يثوره الاسفسج
تركت على قسامته الابصج
حين الصدور من القلوب قفسج
فلها بانطاكيا عصج
ولها بأطراف الدروب منسج
صرف الردى ومسيرة احصج
فطفي وجار وليس ثم وجسج
والخير يهدم ما بنى الشفسج
أندام من ليدن منفسج
بالندر يطحن في الوحش النفسج
كالليل ثيه من الصفيح نمسج
صدر عليه من اليقين صفسج
ولكل هادي أمة انفسج
جيش بمتمشج الاصفسج
وأرادها شفت به الاقفسج
قامت مقام جنود ما لا حفسج (١)

وقال يمدح نور الدين بعد صدوره عن دمشق واستقرار أمرها ، ويذكر قتل البرنسر ، وأسير
جوسلين ، وأخذ بسالده :

تدعو البلاد اليك السنة الطلبي
حتى عمدت الدين يا أين عباد
وتغلت من أسفار جدك قاد مسج
يفشي البصائر نور وجهك بعد ما أعج
حتى عمدت بكل قلب صفسج
إن تمسي في حلب رياحك غفسج
وغدت جياذك بالشام قفسج
هم سبتت بها إلى صبح المسج
وأرى صياح القمر كان خد يفسج
مال الصنيفة غير محقوق بمسج
حتى إذا ما غبت أقدم عاتبي مسج
أخى السائح على عدوك بفسج
فأعسم غناد ذوى العناد بجفسج
جند على جرد أمام صدورهم مسج
قد بايع الاخلاص بيعة نصفسج
ملك له من عد لموفائفسج
وإذا الملوك تنازلت من غايففسج
وإذا آتتته إلى الثفور عز مفسج

دعا ما ادعى من غرما لنهي والامر
ومن ثنت الدنيا اليه غنائهم مسج
وبن راهن الاقدار في صهوة الملسي
إذا الجد أمسى دون غايته المني
ولم لا يلي أمني الممالك ما لمسك
ليهن دمشقاً أن كرسي ملكهم مسج
وأنت نور الدين ، طرزت أرضهم مسج
خديت فلم يجهبك عنها وليهم مسج
جلالها لك الاقبال حورية السنسج
خلوب أكتت من هواك مفسج
فسقت اليها الامن والمدن نجلسج
فان صاغت يماك من بعد هجرهم مسج

فما الملك الا ما حباك به القهم
تصرف فيما شاء عن اذنه الدهم
فلن تدرك المسمى مداه ولا الثهم
فإذا عسى ان يبلغ النظم والنهم
زيمهم جيم من طلائع النصهم
حبي ملك صدر اضاق عن دمه الصهم
سمت بك حتى انحط عن نصرها النهم
وخلب السلا بالميت ما دونه سمهم
عليها من الفردوس ردية شهم
نمت فأنتمت جهمرا وسر الهوى جههم
فأست ولا أمر تشاف ولا اصهم
فأخلى التارقي ما تقدمه ههم

دلالا هـ وإن عز الحيا وغلا المـ
 غلبت له قدر وليس لها قـ
 وأصبح عن باب الفرد يسـ
 لأرهبها من بأسك الدخول والذـ
 على بردى من فوقها الورق النـ
 وأصدرتها والبيـ من خلق شـ
 غلا شهبها شهب ولا شـ شـ
 مكثرة في كل نحر لها نـ
 إلى أن جرى الصافي وضحاها شـ
 لجابرها هـ ما كل كسر له جـ
 فمن بارز الإبرز كان له الفـ
 أطاعته ألقا الدوا للـ
 إلى الذئب هـ إن الذئب هـ
 وليس سوى عافي النور له قـ
 هي الفتك لو لم تنضب البيض والسـ
 وأسمد قرن من حواء لك الأسـ
 فأوبقه الكفران هـ عدواه والكـ
 ولو لم تجب طوتا لجاء بها القـ
 تشق على النمرين لو أنها الوكـ
 غبالا في الداجي إلى ذا السـ
 وأقصاه بالاقص هـ وقد قصي الإـ
 وليس سوى جاري الدماء له طـ
 فلا عمدة في عشق سيـ ولا نـ
 مساجد لها شفق وساجد لها وتـ
 فلا حجب أن يملك الساحل البـ
 بصاحبها حتى تخونك البـ
 فقولا ليلى الإفك قد طلع الشـ
 لكان له من نفسه صـ
 كما زعمت هـ بها به الانجم الزـ
 مواسم حج لا يروعها النـ
 ما يهـ من أعاصمها الحديد والشـ
 تمنت لها بخداد لو أنها شـ
 فيمناك نوا هـ كل مصر بها مـ
 ويا طاك أمي ومسلكه وصـ
 تخوف اـ بعتاده منهم نـ
 ولولاك هـ من يهجم على كـ

وهل هي إلا كالحصان تنـ
 ولكن إذا ما قستها بصد اقـ
 هي الشفر أمي بالكراد يسـ
 على أنها لو لم تجبك إنا بـ
 فأما وتفت الخيل ناقمة الصـ
 فمن بعد ما أوردتها حومة الوغـ
 وجللتها نقعا أنصاع شـ
 نال النهر لها كائر القصب القـ
 وقد شرقت أجرافه بدم الصـ
 صدعتهم صدر الزجاجة لا بـ
 فلا ينتحل من يمدحها الفخر واثـ
 ومن يز انطاكية من طيكمـ
 أخو لميث لولا عذره هـ نزعـ
 أتى رأسه ركضا وغودر شـ
 وقد كان في استبقائه لك مـ
 كما أهدت الأقدار للـ
 طفى وبشى عدوا على فـ
 وألت بايديها إليك حصونـ
 وأصت عزاز كاسمها بك عـ
 فسر هـ وأما الدنما شيـ وبهـ
 كأني بهذا السرم هـ لا فلـ
 وقد أصبح البيت المقدس طاهـ
 وقد أدت البيض الحداد فـ
 وسلت بحمران النبي صـ
 وأن يثيتم ساحل البحر ما كـ
 سللت سيوفا أكلت كل بـ
 إذا صار نور الدين في عزماـ
 ولو لم يبر في عسكر من جنـ
 عليك صمت ثم الضابر بأسمـ
 غيا كعبته ما زان في عـ
 خلعت حل الأيام من حل العـ
 وتوجت ثمر الشام بك جـ
 فلا تفتخر مصر علينا بنيـ
 ردت الجهاد الصف بـ سـ
 وأطمعتني الأفريق هـ كان بـ
 وأتحت جرد الخيل أعلى حصونـ

ومن يدعي في تلك الشرك شركسة
هي القائنات الحافظات فروعها
ولو لم يكن في فضلها وكمالها

إذا لم يكن عند القواني له ذكر
فما هدا عدل ورائعها سحر
سوى أنها من بعد عمر الفتى عمر (١)

وقال عند دخوله انطاكية وممره بالمواضع يذكر مواضع استحسناها وهي الثغريات غن ذلك :

كم بالكنايس من مهتلة
من كل ما جدد لصورته
قديسة في جبل عاتقها
غرس الحياء بصحن وجنتهم
وتكلمت عنها الجفون فلـ
وجلّت مدارعها غدا اثرها

مثل النهاية يزينها الخف
لو الصقت سجدت لها الصـ
طول وفي زناحها قصص
ورداً بقي اغصانه النـ
حاورتها لاجابك الحـ
فأراك ضيفي ليلة قمـ

وقال يصف انطاكية :

واحرى في الثغور من بلـ
بمصور كأنها بـ
هالات طاقاتهم آهـ
سوافر كلما شعرن بـ
من كل وجه كأن صورته
فهو إذا ما السلو حارسـ
فيها مذولي فبهن دـ
وكن معيني على ذوي خـ
سرت وخلفت لي ديارهـ
ولم أزل أغبط المقيم بـ

يضحك حسنا كأنه فـ
ناطقة في خلاليها الصـ
يبسم في كل هالسة قمـ
برقمهن الخبياء والشـ
بدر ولكن ليلة شـ
كان لتلك الصفاء الظـ
وانظر الى الشمس هل لها طـ
ان سالم القلب حارب النـ
قلبا تمنيت أنبصـ
للقرب حتى غبطت من أسـ روا (٢)

ومن تندياته قولـ :

على أروانها قضبان بـ
إذا انتصبت فأتطار السـ دراري

تصير يقاتنات للحظ حـ
وإن مالت فأفلاك البـ دور

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٨٥ - ١٨٧ وانظر الخريدة قسم الشام ١٥٧/١

والكامل ١٥٥/١١ والباهر ١٠٣

(٢) ديوانه : ورقة ٦٢ مخطوط

(٣) ديوانه : ورقة ٦٣ وانظر الخريدة قسم الشام ١٠٠/١

فلو منبذتها بحلى يديها
 مكن من مكن بيوتها شعير
 وأمرجن النواظر في وجع
 تريك الحصن غير مرقع
 فلو غادعت طرفك لم تم
 فدعني من مفارقة البعد

جرت تلك الخصورُ على الشمسِ نور
فأبرزنَ الحاسنَ في الشمسِ نور
منزهة الخدود عن الخشمِ نور
إلا ما في البراقع من غشمِ نور
به إلا على قمر مشبهِ نور
على شغلٍ بسكتان القصِ نور (١)

ومنذ لك في خسارة بجسر الحديد على باب انطاكية :

إن كان لا بد من السكت
 خسارة تخرج من نحره
 تمشي فتشمي الراج في راحه
 حتى إذا دارت على شرفه
 ما زرتها إلا ومات يدي
 وبست أسقى من حفا ريقه

فمن يمدني خضرة الجسد
جذارة بيضاء من نحر
تهدي سنا الشمع إلى البسم
الحا لها أغصت عن الشمع
أولى من الزنار بالخصم
كأسا من النحر على الشمع (٢)

وقال وقد اجتاز بمزار من خواحي حلب وهي من الأفرنج :

أين عزي من روحي بهـــ زاز
والصافير ساحبسات المشافير
بهيون كالمرهفات البواشـــــــــــــــــــــــــــــــــ
وتحور قللداث بشـــــــــــــــــــــــــــــــــ
ووجه لها نيرة حســـــــــــــــــــــــــــــــــ
كل خصاله ثقت طرف الزنتـــــــــــــــــــــــــ
ذات خصر يكاد ينفق على القـــــــــــــــــ
لا جاني فاعده بها على قـــــــــــــــــــــــــ
وسبني لها ذواب شمـــــــــــــــــــــــــ
من عيني على بنات بني الاصـــــــــــــــــ

[illegible]

(۱) دیوانہ : ورقہ ۶۶ مخطوط

(٢) دیوانہ ورقہ ٧٧

(٣) ديوانه : ورقة ٧٩ وانظر الخريدة قسم الشام ١٥٦/١

وقال في كنيسة بربارة وهي للفرنح خاصة :

بدنيك يا قس بربارة
أجرتني من الصور الناطقات
إذا هن أقبلن وقت الصلوات
وجالت مناطي أوساطهم
وأجلسها يحل أردافهم
فلولا التخرج في ملهتي
وقمت الحن قد استهتني
ولم تك فرسانها في الدلع
الآن هذا ما استشار الهوى
تري كل فاتن توجهم
تكد التماثيل من حسنهم
فرنجية ساكنة عندهم
إذا قبلت صورة أقبلي
ثيا ليتني عندها دميستة
فأقسم لو أنني استطيت

(٢)

وما بت تتلوه فسي الخنفس
مقي قدن حولك فسي مسدر
قرني كل لون من الاطلوس
وضاقت بها حلل المنفس
غيا لي من ذلك المجلوس
طلعت عليهم في برنفس
غير بليد ولا أخفس
بأفجع مني ولا أففس
بتلك الكنائس من كنفس
ممرى بشمس الضحى مكنفس
ثبور بنا طقة الأنفس
وزنارها قلن المجلوس
عليها بنا طرسم الأشفس
تراني ولا رب في ملفس
ع تحولت صورة مخرجفس (١)

وقال في مولد من مولدي الافرنيج أبصره بـ " ياعو " من بلاد الشمال :

وشحنة كالهدال فسمسي " ياعو "
وال وألبانا ولا يتسمسه
إذا بدا أنعت له حسدق
يحمس أوتار عود بيسسد

عيناه جند له وأشمس
ومطج والقلوب أقطمس
وان شدا مكنسه أسمس
إيقاعها بالنفسوس إيقاع (٢)

ولمفي الكشسوف :

كم لي بأنطاكية بن هسسوس
ان لا أجيل المين إلا علسس
منكل بيضا مسيحيمس
تجري ثناياها المآقي فمس
فالعين سوس الحين مصروفس
هذا وكم وجهكشس الشخصس
لا انشني عنس بيتفس
جيش من الأقمسار مصفس
ما عندها البدر بموصفس
تلحظ طرنا غير ملفس
عنما وما القلب بمصفس
بالهيكل الكشسوف بكشسوف (٣)

(١) ديوانه : ورقة ٧٠ (٢) ديوانه : ورقة ٧٩ (٣) ديوانه ورقة ٦٢

ولم يشب بأثر نجية وصفها بزرقة المسممين :

لقد غنتني فرنجية
غني ثوبها فضة ناعمة
وانك غني عينيها زرقية

نسيم الصبير بها يعبر
وغني تاجها قمر مشرق
فان سنان القنصا أزرق (١)

وهنا عماد الدين زنكي يفتح الرها سنة ٥٣٩ هـ :

أما أن يزهر الباطل
إلى م يشيب ملوك الضلال
فلا تحفلن بوصول الذئاب
كذا ما أثبت قطص الرمضاء
هو السيف إلا تكن جامدا
وهل يضح الدين الأفعى
أبا جعفر ه أشرفت دوله
فأما نصبت لرفع اسمها
بل انقاد جامتها المصمبي
ليهنك ما أفرج النصر عنسه
فتوح الفتوحاته نظم القنصا
نقل للحقاي : الطريق الطريق
وجاهد في الله حق الجهم
بجيشه إذ أن ورد الثغور
إذا شمر البأس عن ماقسه
نما نعمة شمل الشاكس
تحض عز لها طجب
غداة ولا رجع دون اللامع
ولا نصل إلا لمباري
وتد قلدا السيف تحمينهم
وهل يضح السور من ظالمع
شققتا إليها بحار الحديد
وخضتم غمار الردى بالسردي
فان يفتح الرها لجيشه
فهل علمت تلك الديسة
أرى القمع يأمل ثوب الرمضاء

وأن ينجز المدة الماطس
ل سيف بأعناقها كافس
وقد زار الأسد الباس
ج أو يقتنى القنا الذاب
لجزته برك الخامس
يصول انتقاما فيمتاص
أضاء لها يدرك الكاس
فإنكما الفحل والناع
وأخصب بجانبها الماحس
وما ناله الملك المحس
ة أعلى أنا بيها المامس
فقد دلف القرم الميسر
د محتسب بالعل قائم
يروى بما لأمل الناهس
مضى وحوغي نغمه رافس
من غضلك وإفضالها الشامس
فيا بسد ما وضعت مامس
ن إلا وعقره شائمس
دماء الطلى تحت موابيس
ولكنه الناصر الشمس
يشايه القدر النمس
د ملتظما موجهالها طمس
وعن نغميد نغم القاتمس
فما حلها القدر والماحس
رأنا القيم بها راحس
ولا بد أن يضرب المابيس

(١) ديوانه : ورقه ٦٦ هـ وانظر الخريد تقسم الشام ١ / ٩٩

وهل عاقل بعد ما عاقبها
لمن غات حشيتسه الخاص
تفاد إصابتها لنا
قضى فمضى الصارم القاصم
ألا ربما نيسمها لخاص
كانك في كلمتها نيسمها
وصدرك من حشيتها آش
وفي يدك الصامت القائم
تفاد من يمتعتها راجع
كان ينامت بها بسببها
فأحمد لها القاطع الواصم
وهل يدرك العالم الجاهم
فاكرم اجهارك القاصم
ومن كشمها لندى خاف
والا فكوبها أفهم
وحالي من دونها حاشم
يزيل بها غشك الدائم
وفي كل غيخ له نائم
ن من كل ما يفرق الدائم
فلا وصفت أنها عاطم (١)

يقوي ساقله جاهم
وكيف ينهد هواقي الجهم
برأيك في الحرب أم لفلك
وعن حد عزك في المشك
نشرت الفضائل بعد الخمس
وحطت البلاد على نايهم
أنحسو المالك من خاف
ولم لا تحيط بأفاقهم
إذا ما عاد الخمس في حوسمة
يغض على الطرس حمر البيسان
مضى ترك الجعيد والمرفيس
بسابقة العلم فتأنس
إذا خطب الأكرمون الثمناء
أجز الكفا توتاج العسراق
تأمل مطالع هذا الكس
أرى القوم تلغى أم لهم
فهل لي على الهدى من قرينة
فان الفحام بعيد المنال
وأنت الزمان وأنت الام
وأنت الحلبي على الكرميات

وقال يمدح نور الدين سنة ٥٤٤ هـ بقصيدة مدحها :

وحسني الضلوع على فؤادها
لا تخدع عن عن الخبر العال
واميان بنور الدين صدر الصارم
ومشقات تهتدي بلمها
بقوائم يدركن أهدى سواد
فلغير غرته يصمين اللاطم
حتى بين المهزوم خلف المهزم
والبا ركان الكشنى بالقاسم
خلق البطان على جواد الخصم
الا اتصال يمينه بالقائم
لولا ما أعيت على يد حاشم
ففيها العواصم وهي غير عواصم

أبدى السلو خديعة للأقرب
يا أيها المخرى بأخبار الهوى
اسأل عديتك بالصباة لمستى
ومحاطات ترتص بأجنس
وسومات تست تدري في الوغى
كل أين سابقة إذا ابتدر المسمى
يرمي بفارحه أمام طرسه
ينحى الى ملك إذا قسم النسي
متمرسل بالحزم ساعة تلقى
ما بين منقطع الرقباب وسيفه
سام الشأم وبها لها من صفقة
ولشمرت عنها الثغور وأصبح

(١) للبردة : قسم الشأم ١٨٧ - ١٨٨ وانظر الروضتين حاق ١ ص ١٢٦

ودعوت فانقادت بشفير شكائهم
 قام الزمان لها مقام الخسائر
 ما عند رأيك من طين وعزائهم
 قلت الصواعق في متون غنائهم
 وهل الأسود القلب غير أعاجيبهم
 أسخى هناك بنفسه من حائهم
 غادر من عرك الشجاع الحسائر
 كفلت بقل قد يمهم والقسمائر
 ما في ظهور الخيل غير غنائهم
 في الحرب كيف رأوا لسان الحاكيم
 ما سكنت حركاتها بجسيمهم
 طال البناء على يمينهم المسمائر
 فكانما هي دعوة في ظالمهم
 من مارد قد غدت اليه براجمهم
 أمددت ديمتها بنسودائهم
 أمن الموت ثروة للسمائم
 عدلا كمد لك أرجفوا بالقائمهم
 فالدر أنفسه بكف النائمهم
 تختال بين فضائل ومكسائرهم
 لحقت أمة لأنتمت غسائمهم
 تسر بلا أسنى ثواب الصائهم
 بدر التمام قلدا بتمائمهم (١)

تلك التي جمحت على من راضهم
 وإذا سادتك أحتبت في دولهم
 يا أيها الملوك وهضب أنصار الهدى
 توإذا انتضت السيوف إكفهم
 من كل منصور البهان بمجمعة
 أو ملخص بقرى الصوارم في الوغى
 حصن بلادك هيبة لا رهبة
 وأرم الأعداء بالصواري إنهم
 أهلا بما حملت اليك جهادهم
 وأسال فوارس حاكمك إلى القنصل
 تلك العوامل أي أفسال المسمى
 هيئات يطلع في آت ظالمهم
 كلت همك الملو فحلقت
 قننت بأوطمان النجوم فكم لهم
 أنشأت في حلب غمامة رافضة
 ألحقت أهل الفقر فيها بالفسى
 وأظن ان الناس لما لم يسمروا
 فتبين أوساخ السلى منظومة
 جاءت في حلل النباهة حاسرا
 عربية أناسها لوأنهم
 وتمل غرة كل فطر بحمد
 لا زال وجهك في غود شموره

ولغني مدح تاج الدين بوري سنة ٥١٣ :

وما ل أعداء مجير الدين مقتسمهم
 نت المباد فانت الحل والحصنهم
 صادق الحزم في أوساطها الحصنهم
 كالليل ه يلتهم الدنيا له ظلمهم
 يومود حاسبه الأعياء والسهمهم
 أمواجه بأوامر الهامر ثلثهم
 سياحة ما يمتغي أثرها نسيمهم
 بالنصر ه كل قناة فوقها عليهم
 والله يعضم من بالله يمتهمهم
 وأقبلت أوجه الأقبال تبتهمهم

الحق مبتهج والسيف مبتهمهم
 قدت الجياد وحضنت البلاد وأممهم
 وجئت بالخيل من أقصى براجلهم
 حتى اذا ما أحاطوا المشركون بنسبهم
 وأقبلوا ه لا من الإقبال ه في عسدهم
 أجريت بحرا من الماذي منكسرا
 وصمت بندق ه والرحمن يكلسمهم
 وتفتفي الجيش والأعلام خائفهم
 يحوطك الله هونا عن عيونهم
 حتى اذا بدت الآراء ضاحكة

(١) الخريدة ه قسم الشام : ج ١ / ١١٢ - ١١٤ وانظر الروشتين ج ١ ق ١ ص ٤٩

فيها نجوم إذا جدَّ الوقي رجموا
ترجو الشهادة في الهيجا وتنتقم
عما دروا أيضا الهتالة الديسم
قتلوا ويقتنوا الاموال فاغتموا
مجنونة وعلى أرماحنا القمم
حرر السنة وهو البارد الشبم
ففارقوها وفي أيديهم الصمم
إن لميزولوا سراعا زالت الشمس
وحلفوا اكبر العلبان وانهمزوا
أغرى القنا بتمادي بخطفهم نهيم
كانه حين يخشاه الردى صنم
عن مسجد القدم الأقص لهم قدم (١)

أثبتت جن سراياهم مضرة
والنصره أن وخيل الله مقبلة
سأب الخطام عليهم والتهام
سروا لينتهموا الأعداء فانتهموا
وأقبلت خيلنا تردى بخيلهم
وأدبر الملك الطاعي يزعمه
واثوا دمشق فظفوا أنها جده
وأيقنوا مع غيا الصبح أنهم
فنادوا أكثر القربان وانجلفوا
مستسلمين لا يدى المسلمين وقسم
لا يملك الجسم دقما عن مقاتلة
وحاولوا المسجد الأدنى فما عسرت

وله في كنيسة القيسان :

أنت من غال ذكره نسيان
فإذا الليل جن جن جنان
بعد ما أطلق الفراعنة
سرتنا الثعبان في الكثران
يقرم الأسد من بني الفرسان
دني غير ضبت الأغصان
.....
سأ على الأرض ثاني الألبان (٢)

يا غزال الثفور بالقيسان
اسأل السامحات عنك نهيارا
كيف يصفي إلى السلو جماع
حبذا يومناكرتنا الزنايين
وعلى بوق الأساقف طلب
عن كابت من الممر المنص
.....
فأرى من أرائي الشمس شمس

ولقي دير سمان وهو على فرسخين من أنطاكية :

وما به للميون من عسبان
أمنيت من منابت البسبان
تلقاك من مثلها ببسبان
وذات جان بيد وعلى جبان
ما كل قوس ترمي بمرنبان
.....
في الاثني عنصوبهم
مع كل نصرانة ونصبان
ن الدهر فيهم أعياد صلبان (٣)

يا هل سمعت يد سمان
أبوقت للصلاة هيكل
في كل من تفاحنا خجل
من ذات بشر يلح في بشر
يرمي فيصبي عن غير نادق
.....
تسجد للشمس وهي مصرفة
وانصرفوا والفواد أغص
يا حسن عيد الصليب لو أن كسا

(١) البرونتين : ج ١ ق ١ / ١٤١ (٢) ديوانه : ورقة ٦٧ (٣) ديوانه : ورقة ٧٢

وقال في ثغرياتهم :

فما سجدى وما ريت	إذا ما زرت ما ريت
نيتنيها الصبا طيبا	فتاة كفتيب البس
أطالت عذرها ليس	تلوى كالمواعيد
تري الدتبه حرم	لها وجه مسيح
من لم تبصر له غيب	إذا ما قابلتها الشمة
ضى دلالا ومن حيت	نبا أحسن ما أعبر
(١)

وقال في ثغرياتهم :

فما سجدى وما ريت	إذا ما زرت ما ريت
نيتنيها الصبا طيبا	فتاة كفتيب البس
أطالت عذرها ليس	تلوى كالمواعيد
تري الدتبه حرم	لها وجه مسيح
من لم تبصر له غيب	إذا ما قابلتها الشمة
ضى دلالا ومن حيت	نبا أحسن ما أعبر
(١)

(١) ديوانه : ورقة ٧٦

قال يمدح نور الدين :

وما يوم الفرنجة منك فسند
أجاش الاربعاء لهم خميس
وأحكم بالحليم لهم خطام
مشوا بمنادين الى علي
ثقتهم الناي في الثنا
أطاعتهم كبشهم هناء
حللت التاج عن مصل تاج
أناك على السحاب فكان أشبه
فأشرف وهو عن شرف
تكاثر الشواهد وهو شمس
يبعدا من قراع واقبلوه الص
وكم سوط بختيارك أقبلوه الص
تركتمهم أرض الشام شام
هتكت حجابهم والشمس وس
بأبيهم من حبيبك الهند ص
له سعة الشيوخ صفاء شيب
الا يا ناظر الدنيا بعين
تبعثها فداها ثلاث
فلا يأوى الى رأي شمس
ترقى عن مواءمة الأمان
صالة الله كل دور شمس
نقد ألقى الى الأمان عن
تجيش له رواس كالرواس

فتحصر عده خطط الحسب
بعيد النور ملثطم العيب
أمر يرميه من الضرب
يبرق طبوة الصم الصم
وتفجأهم شعوب من الشمس
تكت ذباب رائحة الذب
كان الدقة من عقد الكسب
وأبهر منه في ظل النقشب
وأبعد وهو غاية الأنص
شاه مناه عن رجح الجسب
يوعوب له الى يوم الصم
دور فكان سوطا من عسب
لنافر تقيه أو لنسب
بشمس لا توارى بالحجب
صون المتن متبدل الذب
وفي خطواته نزع الشيب
أرته فلا بها خدع السب
على عز التلق والخسب
ولا يثني الى أمل غسب
وحلق عن صاغرة الصم
على مشى أبيض من الصم
يتلج في النواكب غير ناهب
تعد لها بفان كالجواب

وتال في تمخطة نور الدين بفتح عساز وغيره سنة ٥٤٥ :

ندك القلوب بالبا به
كتاب تربي جنود الملب
اذا ما أنشت من قراع الك
تبرنس منها البرنس الثيب
عشيت تحت على انسب
وقام لاجسد محمود

وساع الطوك باربا به
ب منها بفتح أصلا به
كست وقد ها به
وحلته وقصع أصلا به
ثوس النصارى بمصا به
يجدع مسوارن أخرا به

(١) الروضتين ج ١ ق ١ / ٢٢٩

ع أغلب مودر بفانهم
 اكول الفوارس شرايم
 د هاشا بهاشم أعصابهم
 د دما تملق من صابهم
 تخرج مقير أوصابهم
 بنيرك طيس اثوابهم
 زبور الوغ بين أحدايم
 غنم جرة أجذبهم
 وفازت رقاد بأصحابهم
 م من حمير تأخير ركابهم
 بخرلك أغبار طابهم
 تمع القناسم أنابهم
 اليك أمة ضرابهم
 بمجر ضيق لأصحابهم
 وأكثر من عد تورابهم
 م في الامر ابطاء أترابهم
 ظنون اللهاالي لإشرايم
 م ممة دنام أوشابهم
 ذكاء لإرسال نقابهم
 مازعظ السن خطابهم
 متى زينتها بأعقابهم
 ب الأسجدن لأصحابهم
 وهوب الممالك أصابهم
 هموس السرى غير ديابهم
 ووصف التهانى وأربابهم
 ياد ايه تلك آدابهم
 بنات حبيب بأعقابهم
 من الاء أودت بحسابهم
 ورد عليها ابن خطابهم
 يلير بها فرط أعجابهم
 وتامت أدلة إنجابهم
 أتيت السيادة من بابهم
 حريق ودية محرابهم
 تملط هواها خا هموى بهم
 ش تخشى عواقي الهابهم
 ش فالنار في برد أنيابهم (١)

تجلى لها حيدر المصا
 مورت أركاسها من أب
 همام اذا اصوصتنبه
 مضى وجنى لك حلو الفم
 وأوصى بها لك من بعد
 وأقسم جذك ألا يلبس
 صحت د مثنى بمثنى الجي
 وأصلحت رأيك قبل الحس
 فأعدلك ما لم تناله ي
 وانتعصر نضل الزم
 تخونهم الجور فاستدرك
 وثاجات قورس بالشائ
 فط رمت حتى رمتهم
 وعزت عزاز فاذ للتم
 بأشمن من أنفها منك
 د لنت لميطاء أم الدج
 وهذا ما عقرت ما اهت
 تفرعها بفروا لوش
 وعوج اذا انبضت أغص
 ومحدود بات تحاير الخط
 تصوب عقبان ديب المن
 وبا ركعت حول شمل
 فلاذت بمعتصم بالكت
 بمقتصم السدى والهم
 محلى المحل بوصف الفت
 ونسجز مذاحه أن تحي
 بدائع لو رد د دوز رم
 وأين أين أوس وأيات
 من الاء عاد عتيق لم
 فأياحه من حبور فك
 لك النضل إن راسلك الجي
 اذا اعتصفت هم الجائر
 أبوك أبوها وأنت ابن
 أثول لموة جرة بالف
 حذار فمعد اهتمام الني
 ولا تخذعوا بافترار الليم

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٨١ وانظر عقد الجطان ج ١ ق ١ ورثه ٢٠٦

وأشده يحلب سنة ٥٤٧ هـ قصيدة أولها :

المجد ما ادرت ثراك هذا بـ
ملك تكنت دين أحمد كنـ
نالعدل حيث تصرفت احكامـ
مقبل الموت في نيراثـ
قد المراء وسار يقدمه وـ
أسد غرائسه الفوارس والخابـ
طبع المحدث فكان منه جناثـ
وتشأن ان كتب الوجوه كأنـ
نشرت بمحور شريعة احـ
ما غاب أصلع هاشم فيهمـ ولا
ابناء تيلة قائمون بنصـ
صبحوا مخلقة البرنس بحالـ
ما زال يحلب من بغا ضلالـ
ملقى بوجه الاضربين تزلـ
دون الارط سحت به نبت اتـ
سلبته درة تاجه يد ضيفـ
وأنته تحلب جوسلين جناثـ
أسرته لا منحت سراه وعـ
يمشي فيسمعه وقائ قيسـ
لا تل باشره ولا كيمونـ
ضجت شقاوته سعاده صافـ
ما زال يندر ثم يندر قمـ
تصر الاماني ان يجله صـ
مجر يجر الى الننائم قيمـ

وتفتت شعوبه وشما بـ
فأضاء نير مصاب شهابـ
والأمن حيث تصرفت امرابـ
يرجى ويرهب خوفا وثقابـ
حلت عقود تدومها أترابـ
أظفار موا السمرة ثقابـ
وسنان مواها بموشيا بـ
أعداؤه تحت الوغى أعبابـ
وأرى الصنابة ما احتذاه صحابـ
غاروق باء بخطبه خطابـ
ان أجليت من قاسط أحزابـ
خروج الثياب من القلوب شهابـ
حتى أتيج من الهدى غلابـ
آراءه وتزاي ليست الألبـ
وتبادله وترايه وثقابـ
لم تنجيه من بامه أسائبـ
هبتت نفل الى القتال شبابـ
بالقاع ان رام الورود مرابـ
هزبا نقي دما له أندابـ
صدت معنى عنه ولا ثقابـ
غطى على إغاثاته إصابـ
حتى أناه بجاهن أصحابـ
سألمهم روبا عليه حجابـ
وشق يزور على الفتوح قبابـ (١)

وقال يمد حميد كز ظفره بصاحبه ب انطاكيه واصحابه :

أقوى الضلال واقفرت عرصاتـ
وأنتاش دين محمد محمـ
ردت على الاسلاب عير شهابـ
أرض تواشده وقد عمسـ
وأعاد وجه الحق أبير ناصـ

وعلى الهدى وتبلجت تسامـ
من يد ما علت دما عبراتـ
وثباته من دونه وثمانـ
سندا وشيد سوره سورانـ
إصا نمر كذا نمر صا نمر

(١) الروحيتين ج ١ ق ١ ص ٢١٨

رجعت لها عن طبعها ظلمات
 ومشوقة بين الصغرى منذ انتمت
 ان لد حثثة الكور والدا انتمت
 لا الشجر يعبث في لماه لثانتمت
 نطق النفوس تديرها نشواتتمت
 وهفت على اغصانها عذبانتمت
 وانتال في اوضاعها جبهاتتمت
 وسرت الى سكناها نضجاتتمت
 واليوم ذبح وشيه ساعاتتمت
 ضرب يصلل في الدلى صقاتتمت
 غرس الفوارس والقنا غاباتتمت
 لله مقتضية غزواتتمت
 وتغيض ما شوقونها نقاتتمت
 كالذود نابت عن براعد انتمت
 خلل الربيع تناسقت زهراتتمت
 واستوارت حماله حماتتمت
 شرب املت هامة قمواتتمت
 شجرا اصول فروعه ثمراتتمت
 شربات غرس هذه مبانتمت
 خير الثرى ما كنت انتباتتمت
 لقر ضحك النوى سرانتمت
 ان الكواكب لي الذرى سرانتمت
 غوى السماء وتحتلي درجاتتمت
 مجددا والسنة الزمان رواتتمت
 عن نرف بحر هذه قطراتتمت
 من جوهر فانتهم فذاتتمت
 سمرت بما افعلوا لهم فذاتتمت
 غوى القوانسيرا القنا قيناتتمت
 حركاته وتعيمها يقناتتمت
 وسمت به شى قناتتمت
 زحل الرحال من السها عزمانتمت
 بامت بحمل ثاومبا انتمت
 لا حش من تاريخه حشواتتمت
 ففترقت ايدي سبا غشباتتمت
 بالريز مقر ما جنت فذاتتمت
 يوم الشطيم وانتمت سرواتتمت

رقت لنور الدين نار عزمتمت
 ملك مجال لى لهو بهذاتتمت
 يشرى بحتحة اليراع بناتتمت
 ويروقه نثر الصدى قان دتمت
 غصونحه غمر الطلى وغبوقتمت
 نتمت تعصت السماء بفختمت
 مبيت على السلام يهون حجولتمت
 وانهل غوى الابطحين غمامتمت
 لله بلجة ليله حجت بستمت
 حذا التوامه فيه بمد قناتتمت
 نبدوا السالاج لفيهم عاد اتتمت
 لجرب عمرة فضباتتمت
 تحيا لشيق حفا ماسر اوتتمت
 بين الجبال خواصا اعناتتمت
 نشرت على حلب ففود بنودهمتمت
 روض جناه لها مكر جيمتتمت
 مشاندن على الرجال كما انتشىتمت
 لم تنبت الاجام قبل رماحتمت
 فليحمد الا سلام ما جدحت لستتمت
 وسقى صدى ذاك الحيا صوب الحياتمت
 نصب السرير ومال عنه ومهتتمت
 ما ضر هذا البدر وهو محلستمت
 في كل يوم تحت طيل قناتتمت
 وتظن ترقم في الشحى آتتمت
 أين الالى مالاوا الطروس زخارفتمت
 غدقوا باعناق السواطل مالمتمت
 لو فسلوا مطا ببعض فتوحتمت
 يعمي قنانيه بنا شقونتمت
 بسلطان من دون البلوك تفرهمتمت
 قعدت بهم عن خطوه جئاتهمتمت
 سكنوا مسجفة الحمة واسكنتمت
 لو لاج للماقي فرة فتحتمت
 اودت الطهرى طيب نسيمتمت
 ضد المصليب على صلاية عمودتمت
 وسقى البرنس وقد تبرن ذلتمت
 فانقاد في خطم المنية انتمت

أست زوافر غيهمما زفرانسمه
فتبوا طرف المنا شواتسمه
أغضت وقد كسرت لها لحظانسمه
بدم اذا ضحكت لمشمانسمه
نظمت مدار النيزين قناتسمه
لأراك شاعداً خفضه إخبانسمه
كلا ، ولا همت لها هدرانسمه
نحقت سطاك له غطال صانسمه
مبيخر نصرك نكست رايانسمه
مثل الكسرين تقلعت كراتسمه
تعت الصجاج وأسلمته خمانسمه
بالبيهر ينهب ما حواه عفاتسمه
داه المطال ولا تعيش عدانسمه
ما كان قبل بريدة يقتانسمه
متنما ما استغرقت شرفانسمه
متوزعات بينهن بناتسمه
فتقالت بستيقتها قد غاتسمه
أبدا وكلفت في الحبير شنانسمه
من شاء فلتسرع اليه هنانسمه
وتهب أرواح القصيد هبانسمه (١)

ومضى يوجب تحت أنب همسمه
أسد نبواً كالخرف فجاتسمه
دون النجوم منخفاً ولداً المسمه
عجلوته تبكي الأصادق تحتسمه
تمشي القناة براسه وهو المسمه
لو حانق الميوت يوم رفعتسمه
ما انقاد قبلك انغمبخرامسمه
طيان خلف السرح طال زسمه
لما بدا مسود رأيك فوقسمه
وراي سيوفك كالصوالج طاوحتسمه
ولي وقد شربت ظباك كمانسمه
ترك الكنائس والكناس لنا همسمه
غلاب أروع لا يجهت عدانسمه
للوحش ملق بالمر يقتانسمه
اليوم ملكك الفراغ قلاغمسمه
وقدا تحل لك الحائل أسهمسمه
أوطأت أطراف المنا بك هامسمه
لا زال هذا الحلك يشخ شانسمه
ما أخذناك يد الزمان فدونسسمه
أنت الذي بخلي الحياة حياتسمه

وقال يمدح نور الدين :

ومد شاع عدلك فيه اتسمه
ة أمين العثار شمين السمسمه
وتدان غشكلسه ما استشمسمه
غفضوا كأن نسا ما شمسمه
عرا ما تشعلب منها لا شمسمه
وعفوك غنما عم الصفسمه
موازي مرقن جرد الجسمسمه
قياماً لابناءه ان قمسمه
وتصلح من طبعه ما فسمسمه (٢)

أيا نور دين شبا نسمه
رآن الصليب صليب القنسمه
تبه فتسلبه ما اتسمه
زيتهم آمن عن صرخسمه
ويوم الصريمة أقيانسمه
حييت ملكهم في الصفسمه
وقبل أزرهم في الرهسمه
بتيت ترقن شرق الزمسمه
تتلف من زغما التسمه

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٦٥ وأغلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ١٦/٢

(٢) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٥١

وله فيه :

أيا ملك الدنيا المحال للخل والسفلى
وليست بدعوى لا يقوم دليلها
أخو الفزوات كالمنقود تناسقت
لسان يذكر الله يكوم نهجاً
وبذل وعدل أعرقاً وتالفاً
مرام سائى . وحزم مسند

وله غيسه :

أبدا تنكب عن ضلال سداد را
سدت الكهول من الملوك مراهقاً
ان شيدوا صرحاً أناف منساره
واذا استهزئتم قلائد معبد
قسماً لشم الشام منك مهتد
وتحمك الاسلام منك بصيرة
أشقى فكنت شفاه من حساد
كنت الصباح لليلة لما يجمع
لله يوم طلعتك به النسيوي
نشان غنتك الداني مخلو
في معرك ما قام بأسك دون
ولكم مكرت فيه معلوم
يوم القربة والحليم وحسار
لا يعدم إلا شراك جدارك إن
أهدتكم من يند ما ماله المبالا
طلعت نجوم الحق من آفاقهم
وهوى الصليب وحزبه وتبخرت
هبت الجلي للخطي فرغم

له الارض دار البرية أعين
والكنه الحق الذي ليس يحسد
تحل بأجساد الجياد وثمق
بهاء وحتى في الدجى ليس يرقس
فلا الورد مشود ولا الباب موصد
ورأى شهابي وعزم مؤيد (١)

بثوب زندان أو تدل على همد
وشاوت شيبهم البوازل أمردا
أو أسجدوا للكا مرآجد مسجدا
هزتم موعلة فسرف مهبسدا
أرضهم مشهوراً وراع عقلسدا
اللأبرم حبليها فاستصحبسدا
غاد أمارضهم يالسي سردى
والشوث كفا لظاه حين توقيسدا
يجتنب من مهن الا صاغر مجسدا
وأمال عناقيد الوشيع مقصسدا
الا أقام المشركين وأقسدا
أرض الهك والمسيح وأشمسدا
وشعاب باسوطا وهاب وصرخسدا
ماسل فيهم حاكما الا اعتسدا
رجال فهل كانت سيوفك مرتسدا
وأعادها كسر الصور كما بسدا
سلام من بعد التساقف أعيسدا
نستق بتم . وقد رفعت بالابتسدا (٢)

وكتب الى نور الدين من حماه وهو محاصر دمشق قصيدة ينال فيها من صاحبها يقول :

أبوك أب لو كان للناس كلهم
وما مات حتى سد ثلثة ملكس
صدت ابن ذى اللندين فأنحل عقده
يقلب خلف السجف عينا سجينس
ولا غرؤ قد أبى أبوه وجيسده
فيها راكبا إماما عرضت قبله من

أبا ورضوا وطه النجوم لفتسدا
بك الله ترمي ما رماه فتصسدا
وكالملك قد أمسى يحل ويغتسدا
ويكي بأخرى ذات شتر وسيسدا
لكل يوم ثوب عجز يجسسدا
بيوتا على جيرون بالذل تهمسدا

(١) الزوختين ج ١ ق ١ ص ٥٢

(٢) ١١ - ١٠ - ٩ - ٨ - ٧ - ٦ - ٥ - ٤ - ٣ - ٢ - ١

يزعم لموجه الحقيقة أزســـــ
 وتفرغ مطووس النبســـــ
 لنا عمرو من أحمد أحمـــــ
 ولا بد من يوم به تنهـــــ
 وموضعها من يختنض أســـــ
 وأيد فيه من عماك الوـــــ
 وتصحيفه تثل عليك موـــــ
 سوى بقلة حقا بالحق تشـــــ
 تذكرت والجلاد أدسى وأجـــــ
 وراة زحفا أنا أنتقـــــ
 سنة بتر والموامل تحـــــ
 حملت لقد ناجتك صمـــــ
 ونشوان يعلى مصمـــــ
 وعقا فخرى الكثر غياك مســـــ
 لكي يصلحوا نوري يديك ثاـــــ
 والي وتوايه خوانا غيحمـــــ
 له الشامرقا والصراى مرقـــــ
 الى امرتسى قما وتحفـــــ
 لما الصنع دين وأقبلوا النصـــــ
 عن الخير يزوى أو الى المين يســـــ
 عليكم أيا وشها ليمريجـــــ
 وضويون عند حوران يشـــــ
 رعد غري الموت ضمن يرعـــــ
 وعون موهون وغر مزـــــ
 بأن الجرار السود بالجرـــــ
 وزد أبصرت بعري رداها وصـــــ
 كما انصاح من أسد نساء مشـــــ
 وما ن نيران الوغى تتوقـــــ
 بمشرقها غنجان يحدو ويســـــ
 أثار تهورا غلة لير تبـــــ
 غيمهد ان يصري ويصري غيـــــ
 ومركزها صر عليها مســـــ
 بهم أجل حتم عمر متـــــ
 يرغرف في أرجائها ويشـــــ (١)

وقل لمبير الدين وهو مجـــــ
 حطت الصليب باغيا ونبدتـــــ
 وحاربت حزب الله والله ناصـــــ
 تنصرت حينما والبلاء موكتـــــ
 وأتصمها ذاق اليهود بايلـــــ
 كبعض الذي جرتهم فسرطـــــ
 ولايته عزل اليك موجـــــ
 رماك بباقلا دمشق فلم تكـــــ
 وجالدت جلادا وأنت موـــــ
 تلاوات لا تغدر تسمى ولا أبـــــ
 أصعاة نور الدين تبني ودونـــــ
 بمحدود المعبود سيفا وساعـــــ
 وهلى يستوى سار تأسد طاوـــــ
 تنصرت أما بل تجنت والســـــ
 تنفذ بني الصوفي أسرا واســـــ
 لسمي لنعم المهد أنت تجيـــــ
 اليكم بني العاذت عن مشـــــ
 وما مصر إلا بعض أمصاره الســـــ
 أنبيوا اليهم وأرحم قـــــ
 ولا ترشفوا نفث الجويد أنـــــ
 وفروا الى مولاكم والذي لـــــ
 ولا تكفروا بنا أنتم لـــــ
 غداة على الجولان جول وللظبـــــ
 ولما اكفهر اليوم وأرنت وجهـــــ
 وأيقن من بين المدير وجاســـــ
 ردتهم على بعري وصرخد غيـــــ
 وطاروا تهبز المرفقات طابـــــ
 وليلة ألقى الشرك بالمنج بركـــــ
 رمى وأخوه مغرب الشمس دونكـــــ
 فخذ ورد تمام الأرط مفســـــ
 أيا سيفك شانه يد الملك صارمـــــ
 دمشق دمشق : أنا القدس مرحـــــ
 حموها لكي يحموا وتد بلغ المـــــ
 حتى أنا راء طائر الفتح صادحـــــ

وأُنشده بحض سنة ٥٤٦ قصيدة منها :

الدهر أنت ودراك الدنيا وممن
وارثا لاقدار طوع يد يدك والا
فت الورى وعقدت ناصية المسمى
تال أبائك لهل سليمان يبرى
جلى وسدت مصليا لا يرفى
لهيخترم جد نملك ولا أب
شخت طاراك في الفخاع وأم
وحببت لاسانم وهو مسمى
وفتات بهمة صا ليهبصن
خطتهم فوق الخليل لوافى
وربوا على الجولان ملك بجولسنة
ولحا عظامهم بقرقة سارق
وشلت بالروح السروق وفوقها
وعلى عزاز عتوا وثل عروشم
وبتل باهر با شروك فمافسوا
أودوا كما أودى بصاد غيرهم
ان آلموا غرا فانك صا لى
وزعتهم بىكل مهبط تلسمنة
وعبتهم بمصائب بل المسمى
آثارها محودة وأثارهم
لمست من أسك في الكريمة ملهسا
وقتيرة الأجال طول باهم
ملرورة الاساب مذ هزفتهم
أشرفت بها فصى شريعة أحمد
ولكن نثرت ذلجها في موقسم
يجلو سناك ظلامه ويحل
في هبة زحم السماء رواقهم
ضربت مخيمها فكان كاتهم
لي كل يومين فتوحا مسمى
تهدى لمانق كاسه فرغانسنة
فترار سيفاك للاحاش محبسى
لا تحيد بين هذا الطلد أمسنة
الورد قر والمسامح رجبسنة
والعيش أبلج مشرق القمصات والاش
والملك مدود الرواق مسمى

في الحد يمد موئل يسمى
ياع جنداك والأنا مسمى
يعد مر الشورى غاين ترسمى
في الدست مهد ملكسنة داود
معدوم ما لم يشغ الموصى
ان النباعة في الخليف خلسم
من لم يمد غارته كيف يسسمى
غانتز أعضاب ورق منجسمى
نصيح الجنة يومها المشسمى
نفس الارين لو أرهين بسمى
توئيدها نسر الضائل وثسمى
ما زلت تمخض بوجه فيسمى
زرج تحصد الرماح حصسمى
ملك بقيد من عناه مقيسمى
أعجب الاسود حشوهن أسمى
وعقوا كما استنوى الفصيله ثسمى
أو آلموا غدرا فانك هسمى
خذ به من وازح أشسمى
شقى وان خل البسالة عسمى
مشهودة وشمارها مسمى
يئلى جديد الدهر وهو جد يسمى
بوعسا صي هامها وقسمى
تاما لهدى وتبختر التوحىسمى
ما جنته بوارى وعسمى
تنريد صالى حره التفرىسمى
تقدت قناه لواواك البسقىسمى
والارز ترجف تحته وتمسمى
أوتاد ما لقصى وأنت عسمى
هزج الفناء وطائر غرىسمى
وتسبح زبدة ما شدا مزيمسمى
ومثار نغمك للصعيد صمسمى
ملتى اليه لرعينها الاقلىسمى
والرغد مد والضائل مسمى
جار غروا الأشائل فيسمى
فائق وغا المنى مسمى

نشر الرغبات وأشر الجمل
كل البواصم عبيدها تنبيها (١)

في دولة مدح نشر ربيع
محمودة الاثار محموديت

وله في مدح نور الدين وتهنئته في غزاة حصار :

فعلهم يقلق عزك الاجم
فالشهب اطمأنا لها وعصم
والفضل ما اعترفت به الحسن
دد وانجلي للآثار الاسم
ان المهبط ودوحها مصم
فالبرق نجم والهشيم مصم
والنوم الا في حماك سم
كيدا فمزمق ناقص حصم
جن الملا وكانها اطمم
فالزجر قيدو الندى قيسم
فالحزن سهل والهضاب وطسم
بدر بمرجك نير وقتسم
عزا له فوق السماء اسم
حتى تحلف عوده المومسم
عند يراجه ولا استعسم
حمدك عن خطباها الاضم
فلهم الى البرى الوسم
قامت به لطلبكم الاشهم
داروا ضرب صادق وجسم
شاموا برائد كيدهم اوكسم
حرما بحارم والمضاد مصم
بيوت تناسب في الحديد خصم
من دون ملة احمد الاصم
تجني فواكها منهما بنمسم
خدمت جحيم الشوك ثموم
عودا غواتاهم اليهمسم
فأقام منهم في السلي فسم
وابوه ذاك المارش المسم
نار لها ذاك الشهاب زسم

ما فوق شاك في الصلى مصم
شم ضرير على السماء مراد
انت الذي خبايت له حمسم
قام لدليل وسلم الخصم اليك
زهرت لدولتك البلاد فروجم
أحيا ربيع السدل ميت روعم
فالعيش الا في جنابك ميت
واذا العدى زرعوا النفاق واحصم
بالقربات كأن فوق متونم
تدأ ومن حي الكماة صفورهم
سحب اذا سحبت بأرض يلمهم
يهدى النواظر في دجلة نغمهم
الاستدين محمد يا نسوره
ما زلت تصكك بمهاد القنسم
لم يبق مذ ارفقت عزك دونسم
ان المناظر لو تحلق تكلمسم
ولكن حمت ملك الأعادى منسم
ولكنكم في أرضهم من مشم
ملئ باطراف الفرنجة كلهم
حاموا فلما عاينوا حوض السمردي
ورجا البرنس وقد تبرنهم لسم
ضجت ثمالها خرس جرمهم
ومواعت ضرت بهم ربا القنسم
يركزن في حلب ومن أفنانهم
يا من اذا عصفت زعازع باسم
عجبا لقوم حاولوك وحاولسم
ورأوا لواء النصر فوقك خافقسم
ننمكر أن ينسف الميل الرسم
أو ان يسيد الشمس كاسفة السنسم

وقال يمدح بهظا امر ~~جـ~~ ص :

هياك يعصم من اردت حذار
 ظلمت عليك بجوسلين ذرمة
 وسعادة ما زلت تمرى خلفها
 غارتك ما يجنى الوفي وفاءه
 عود امر على ابارك ظلمه
 ما زلت تنصو هو يكثر عاتيه
 حتى اتاح لقومه ما جسر
 أسرى فاصبح في براثن سر

وكتب اليه قصيدة بن حمزة وبنو مخاض وبنو مشق سنة ٥٤٦ :

أخليفة الله الذي ضمنت له
لا المستطيل بضر ظن قصوره
يا نور دين الملوك بن عمه
صفر بحد السيف دار أشائيب
هم شيدوا صرح النفاق وأوقدوا
اذكوا بجلق حرها واستشمرت
شردتهم من خلفهم مستنجسدا
لا تصف بل شق الهدى نفس الذي أد
قلده ما أهدي علي لمرحسب
ما الفش من أنصرانسة
اذكت لنا هذي العزائم لا خبست
انجاب اراء الصر وخفست
شمر نقد مدت اليك رقابهم
أولست من ملاه البسيطة عد له
حدب الآب الهر الكبير ورأفة الآ
يا هبة الأمائم من معصم
كانوا على صلب الصليب مراد تسببا
آثارهم نجر اذال المسجست
جار الخليل ومن بخزة هاشم
بمررم علمت وعاقبه عيسى
يغتر عن ملك الملوك منحسلا

(٥) الروحانيين في ا ج ا من ١٩٠

تصدیق واصله سراً الضمیر
والمستطال الیمشقة صر صر
والکثر ابن الکثر ابن الکثر
عقلوا جیادک عن بنات الاصف
نارا تخش بهم غدا فی المحشر
لخاتنها بین الصفا والمشمس
ما ناعز الکفار من لم یکن
وع النعال علی أغر مشم
فلقد تهکم فی الخداع الخیر
لم تفتن کالفش من مستنص
ما غار من سنن الملوک الف
یات عزیز وبقطة المستنص
لا یدرک الفایات غیر مشم
واجتب بالمصروف انک المنک
م الخفیة لیتیم الاصف
یوم من ء ومن یتول عنها یکن
أنهت بنهته بكل مذکب
قص قصن ما د تسو وطم
بلها مک المقد مشق التمت
اسماع جیحون وسیف الہر
نواہل سعد السمود الاکبر

وتمم الاحسان غير مكتمل
ساد في غاب الوشيع الشومر
عذر القل بيان عجز المكتسب
في سائر الافاق هل من محسب
في ظل ملكك غاليات الامه
فأنا الذي غبرت في وجه المسير
باسم ابن اوس وما تخلصوا البحتري
ان تفسر تفسر أو تقاقل تظلم (١)

عن طاعن الفرسان غير مكتمل
بدر الجحافل والمحافل فسارس لا
ملك تساوى الناس في اوصافه
يا ايها الملك الضادى جوده
ان القصائد أصبحت ابتكاره
ان كنت احببت ابن حمدان لهما
ولانت اكرم من اناس نوهوا
ذلت لدولتك الرقاب ولا تفسر

وقال يمدح نور الدين ويهنيه يفتح انطرسوس ويحمر سنة ٥٤٦ :

أهدا تباشر وجه غزوك ضاحك
تدني لك الأمل البعيد سواهم
مثل الصهام لو أثبتى ذوارهم
نهبت علائقهم بحمص وأغلقهم
وعدون صاغيتاه لاح سوارهم
القلب أنت فان تصاب عن همدى
عرفوا مكانك والظلميرة بينهم
أين الذبال من الفزاة أشرقست
غضبان أقسم لا يشيم حصارهم
فصل العواصم من أدراهم
لم يبق بين الحولتين وأمد
أعلى ديار الشرك من أوثانهم
وشع القصور على نضائد هامهم
بشواحب الاليا طرقتو في الظلال
غادرت انطرسوس كالطرس احمسى
وهي الرصاد لفتنة كانت على الا
هتعت طرا بلسا فاصبح ثفرها
أتلیدها كانت وقد انطيت
ان الألى آمنوا وقاعك بحد همدى
القد الصا فيمن أطاع ومن عصى
لا يلهمهم أن قد مننته وشتمهم
باكر بركز قنا تنعت اسمهم
وتريك لا معق لنريك بساحسة الا

وتعوب منهمويدا منسجورا
مخقت أثلثها وكن بسجورا
في الدجو مطالعها لكن طيسجورا
محرا بضر عرقا لا ظف سجورا
قد أثلعت عناق إليك مشجورا
غصوا هاب به غناد بصجورا
يفري بياض اديهم اديجورا
وجها وطلبت البسيطة نسجورا
والارض تحمل في الكفور كفسجورا
واليوردة به السواحل بسجورا
وترا المضائق ولا موت سجورا
حتى غدا ثالوثين نكسجورا
من بعد ما جعل القصور قيسجورا
م قطا وتهوى في الصباح نسجورا
رسا وحمز درها يحم سجورا
سلام أحكم كمره اكسجورا
بشام من عز الشفور ثنسجورا
وامال به من يد بشم سجورا
غروا وقد ركبو الا فر غسجورا
مهم ودمر ارضهم سد سجورا
شعرا تصلي الكافرين معسجورا
والخيل صوركي تزرك عسجورا
قص مطهرة لها تطه سجورا

أَوَلَيْسَ مِنْ قَوْمٍ إِذَا هَزُوا الْقَنْدِيلَ
وَإِذَا هُمْ يَخْطِبُوا الْبِرَاقَ عَزِيمَةً
أَلْقَى قَعِيمَاهُمَ إِلَيْكَ أَزِمَةً إِلَى
ضَحَكِكَ لَكَ الْيَوْمَ وَكِتَابُ الْحَبِيدِ
لَا مَلِكَ إِلَّا مَلِكُ مُحَمَّدٍ الْمَسْمُومِ
نَحْشِي وَرَاعِدُودِهِ أَحْكَامُ اللَّهِ
يَقْتَضِي أَنْ يَنْشُرَ عَدْلُهُ فِي دَوْلَتِهِ
خِلَافَ الْخُلَافَةِ قَائِمًا عَنْهُمْ بِمَنْ
الْبِرَّةَ وَالْمَصْرُومَ وَالْمَهْدِيَّ وَالْمَهْدِيَّ
بَشَرُوا بِهِ فَمَعْرُودُهُمْ وَعَهَادُهُمْ

وله في

أيا سينا أعز الدين مني به الس
ملات جوانح الاقطار وجف
عالمه حل على الدنيا فتب
أدوات شمس عدلك في دجاء
محروك من مصاك وأنت من
ألا لله وجهك والنايا
هتكت حجابها والنصر في
يطمن للقلوب بما تنظير
تبادره كأن الموت غس
أنحت على الصليب مطا صلي
بشرفنا لناكب مقر
جبين يا نبأ النب العناص
وفي هاب أهبتها فج
وكم في في حار من حر
وإنطاكية استنت اليه
وصنع في عزاز بها ع
بشق بها دجا الفمات ع

فَعَلُوا مَا صَمَّهَ لَهَا تَمَوتُ رَا
مَاقُوا الشَّارَ عَلَى الْمَهَارِ مَهْمُ رَا
لَكَ الْمَطْلَ عَلَى الشَّهْمِ تَأْتِي رَا
قَلْبًا فَعَجَبَ مَهْرًا وَنَدِي رَا
تَمَنَّى الْكَتَابَ مَظَاهِرًا وَوَزِي رَا
تَأْتِيهِمْ فِي حَكْمِ التَّقْدِيرِ رَا
جَاءَتْ لِمَطْوَرِ السَّمَاحِ نَشْرَارَا
عِيَّوَا بِهِ ، أَلْوَى ، أَلَدَّ ، غِيَرَا
سَيَّوْنَ ، وَالتَّفَاحِ ، وَالْمَنْصَرَّارَا
يَمْنَحُنْ تَحْتَ أَوَائِهِمْ رَا (١)

شزار المنيب والنوم الشزار
 كان الأرض خايرة دوار
 بمفرقها وفي يدها سوار
 فكل زمان ساكنها ثم سار
 وتخرق من رجاله وأبت سار
 مكحلة والبيضا أفسار
 وللهبوات طلي وانتشار
 وضرب للزور به أنتشار
 وما من عادة الهدر البسار
 به من عاكة صبركم فسار
 لهم بمن كل وعي حصار
 وأضن وللقنا منها ثمار
 كما أجلي من الكسار السوار
 عثه فلا جدير ولا جوار
 فاجفل خيطها وله عسار
 فاسي وهو وعي أو عجب سار
 جواد لا يشق لمعبار (٦)

أسنى الممالك ما أطلت منارها
 وأحد من ملك البلاد وأهلها
 من عام سام الخافقين وحامهم
 ضربة طهبت مغاربهم زان
 آل الرعية وهي تجهل آلهم
 غار خجعتها وأبنت نبيهم
 ملك أبوه سما لها تسما بهم
 شمع السبيل له فأوضح خلفهم
 أنشئت يا منجود قلة أحسنهم
 ابن جانات تدل السنان توأمهم
 هذا بن العظم السواصم قد غسدت
 وثقلت الثمن أنضيتهم
 كذات هواطها وردة مطارها
 كم حاولت من كفتها غيرة
 أنى وحاصي سرحتها من لو سمست
 في كل يوم من فتوحك سمورة
 ومطيلة تدبر المناظر ان غدا الم
 هم تحجك الملوكة وراههم
 وعزائم تستوثر الأساد عمن
 أبدا تقصر طول مشرق السديري
 فنرت أقامة فما فهتفتهم
 ارتقت رائك فوق رائك تحتهم
 أدركت نارك في البغاة وكنت ي
 عارية الزمن المميز محالهم
 زار الميزير فقيدت عاناتهم
 شاءت دجوتك فوقها ولربهم
 أسست مع الشورى العبور راصبهم
 ولكم قرعت بقرباتك مثلهم
 حتى اذا اشتعلت أشرق سورهم
 خرا الصليب وقد علت شمامهم
 لما وعاهم صبح أنطاكيهم
 فاليوها تحت حشد هجيرهم
 علمت بان سشد وق جرة أختهم

وجعلت مرهقة الشفار دسارهم
 روهف تكثف عد له أقطارهم
 مننا وزاد هوى فخر نزارهم
 عدته ذروة قارهم أسوارهم
 وتعاك نطقها وتكرمدارهم
 وأماخ جرعته وأثبت زارهم
 وأجارها فمليت سمها بجارهم
 وشدا له يمن الملى أبقارهم
 من بعد ما شمل البلى أصغارهم
 أو نانات كان المحسام جبارهم
 عذي العزائم أسرها وأسارهم
 في صونها أن تسترد عمارهم
 ما أرى فتوتفت أطارهم
 غلب الاسود غلبت أظفارهم
 للفاك بسطت له أحال مدارهم
 للدين يحمل سفره أسفارهم
 خلباء تنثر فوقها تقصارهم
 بدم الثار وما اقتنت آثارهم
 نهش الفرائس إن أحسن أوراهم
 بالمشرقية أو تطيل قصارهم
 كبوار أجناسه الأران بوارهم
 فحطبت من سمفاتها أعفارهم
 مختار أمه أحمد مختارهم
 منك المميز فاسترد مزارهم
 عصر الفلال وأسلمت أعارهم
 باتت تناغشها النجوم مزارهم
 شرا تستقلي الفحول شوارهم
 تلما وقلدت الكمامة أزارهم
 عزاً وحاذما مناه سوارهم
 وأستوبلت صلواته تكرارهم
 سرت الوقار وكشفت أمارهم
 من جورهم وغدت تدم بوارهم
 إن زر أطواق القبا وزارهم

أقلت لعقيل القراح إزارهـ
 ملقاة أسجد كالجدير جدار هـ
 حتى استرقت آية أحرار هـ
 أبداً ويضي بالظلي أبكار هـ
 وهي لسابقة المني فأزار هـ
 أنصار مرجعت له أنصار هـ
 وأما تحت عمارها عمار هـ
 رجعت يقطع في اللهى دعار هـ
 سلب البدور يدارها أيدار هـ
 أرى بنفس أسرعت به خيار هـ
 وسطى تدل إذا عنت جبار هـ
 لو لزع فاعلة بها لا بار هـ
 بين النجوم حمودها أسرار هـ
 عنقا غصغر منقما عثار هـ
 خرس البساتين حارت أوكار هـ
 ينشئ إذا اكتحل به أبصار هـ
 قدار عجزاً أن تشق غيار هـ
 حطت بها أوقار هيئت وقار هـ
 هيرا وتكتحل الشفور شفار هـ
 جذب المواتع غاورت أيار هـ
 مملها صدر السلي وصدار هـ
 زبر تنق في الطلي أسطار هـ
 وحديقة ضمت يدك إيار هـ (١)

ماض إذا قرع الركاب لبلادة
 وإذا مجانقمر كمن لصعبة
 ملء البلاد مواهبها ومهابدة
 يذكي الميرون إذا أقام لموندة
 أو ما إلى رم الندي فأعاشه
 نبوي تشبيه الفتوح كأنمودة
 أحيا لصرح سلامها سلطانهم
 إن سار سار وقد تقدم جيشه
 أو حل حل حيا القروهم يئسدة
 وإذا الملوك تنافسوا دج المسلا
 ونهى إذا هيئت تدل بغيره
 تهدي لحدود السجايها كاسمده
 الفاضل النعمات ينظم في الدجيس
 ما عسى والسابقينات وراة
 كالمرجي إذا يصصر آييه
 عرفت لنور الدين نور وقائيه
 مشهور تسخط وقد حاولته إلا
 لله وجهك والوجه مكانم
 والبيض تخنس في الصدور صدوره
 والشيل تدلج تحت أرمية القنص
 فيبيت تستجلي الفتوح عرائس
 في دولة للنصر فوق لوائهم
 فالدين مومة رفعت بها المستوى

وقال أيضاً :

يحضر اللهم إحصارهم
 وسرت قلمت أظفارهم
 قلوبا تكابد أذعارهم
 ع أن تضج العرب أوزارهم
 م أن يتوكر أوكارهم
 فتود عما السن أعمارهم
 ولو شفع القطر أكتارهم
 فصلل فحرك فغارهم
 فتوح النبي وأعمارهم

هي الخيل خير عباد الكريم
 ضففت فأدرت أغواهم
 الأم ولم تبق رما غسزوت
 أما في فضل أي القسرا
 عس أن يحرك هذا الحمم
 وما يوم من غلته وأحسده
 وأين القاول ما فعلت
 فكم أجليت خلفك الجافخينات
 أعد تبصرتك هذا الانبيق

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٦٠ وانظر الكامل ١٥٠/١١ والباهر ١٠١

وأنصار رأيك أنصارها
وعمر جدك عمارها
ك ه بل طال بالبحر أقدارها
تسعد إلى الطي أغوارها
يا هياخذ بك أبصارها
ة عز غسقطها عارها
أذابت مع الماء أحجارها
بزخيف تصور أموارها
شدت فصدقت أخبارها
عليها فوكتها أديارها
على صفحة الدهر أسطارها
وتستفر السفر أسفارها
تجير الليل أستارها
تكدت تحدث أخبارها
دجها ومهشمت أنوارها
وصلت فأن للت جبارها
على عنق الدهر أزارها (١)

وكان مهاجرها تاهمها
فجددت إسنم سالماها
وما يوم إنب الأكتفها
وأياك الفتر من بمها
ولما هببت بهصرى سكها
و على الجون جمن السها
صد متعريتها صد مها
وفي تل باشر باشرتها
واند الكتفم د لوانفقتها
وشب التدامر حتى ظلمها
مشاهد مشهورة تشتمها
يلذ الانساني ترجيمها
بنيت لوفد المعنى كسبها
ملك الاراضي مفبرها
لما زلت قد جن حتى محموت
وعلت فاعزت مسكينها
وصنت حلى من على أحكمها

قال يحدح عماد الدين زنكي وهنيمفتح الرها سنة ٥٣٩ هـ :

أزحت به ما لي الجناحين من نيم
ليفضل أضفا كثيرا عن الرسل
تصك قلوب الماشقين بما تسلم
بأنه أمض منفي الشر والحق
إذا ردت عنهم المآل والألم
.....
أنح على أماته ككل النك
بجما بين الذهب والاحمر والقتل
وتون مسطور الرواية والنقل
جزيت جزاء الصدى عن خاتم الرسل
تبتك أسباب المذلة والشغل
يشوب بأقدام الفتى حنكة الكهل (٢)

وما يوم كلب الروم الا اخو السدي
أنا بهش الروم جسد أزارها
ثقافته بالله ثم بمنزله
توهم أن الشام مري وميها
غطار وخير المقتنين ذ ميها
.....
أيا ملكا ألقى على الشرك ككها
جمعت إلى فتح الرها سد بابها
هو الفتح أنس كل فتح حديثها
نصفت بمنقش الشواتم بمها
تجردت للإمام دون ملوكها
أخو الحرب غذته القراع معظما

- (١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٩٣
(٢) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٨٣ هـ ص ١٠٠

وتأل يجمع نور الدين زينته بالمود من غسرة سنة ٥٦٠ :

أخبرمت شقيقة النبال ، وقد تنسبه
ورميت دار المشركين بصياهم
وسرت بين تربهم وترابهم
نوق النباليم ، وقد خطمت زعيمهم
بديا ما زلت ثرنجة من حصاره
ويشخ شارم أخبرمت لقراعهم
مجا على جسر الحديد حديد هسما
زلزلت أرضهم بوق صواعهم
في ما زلت شمرت ذيك تحتهم
أي دولة غراء محدودهم
تنسي الفتون بها الفتون ، وقد تنسني
ليست بنور الدين نور حدائهم
ملك تججب في السير بزاره
تنجاب غنذي لبدتين شد اتسبه
رفع الرواق هروق أنطاكيتهم
بدر لا ربع عشرة اقبين السنسما
فوز الطال أخاضه ماء الطلسي
تنقسم بين القسامين الصبلا
لا زلت تحطلي من ثنايا جعلهم
لك أن تحلل على التواكب واقبهم

وأشيد نور الدين بحلب سنة ٥٤٧ تصيدتها :

لقد أوطأت دين الله عسى أن
دعاك وقد تناوشت الرزايا
نقمت بنصره والناس فوضوا
جذبته بنفسه من قسر
ولمأت على ما أذلهم فحسرت
بصرحت والخطير وفي عسى
ولو لم تخرق وتشم لأن
صبيت على السليب صليت
يوم بالمريضة كان حنفت
لتواء كان ما جلوه
وهاب وقور ويكثر لائن

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٣٥٧

قود الذلول أطلح بعد حيســــــــــــال
المخت غيبها الحرب بعد حيســــــــــــال
فأعرا يشيب نواصي الأطفـــــــــــــســـــــــال
شربا سوابقه بنير توالـــــــــــــــــــــــــــــــــســـــــــي
رثبها ه به سوف الصقال صالـــــــــــــــــــــــــسي
تيم أعلن النوف غير حســـــــــــــــــــــــــــــــــال
نهبنا يناديه أدبره صـــــــــــــــــــــــــــــــــال
اعتابنا أسنا من الزلـــــــــــــــــــــــــــــــــزـــــــــال
والنصر فوقك مسبل الأذيـــــــــــــــــــــــــــــــــال
سحب رداء الشد غير مـــــــــــــــــــــــــــــــــال
زهو البقايا بباشر الأفســـــــــــــــــــــــــــــــــال
ثمراتهن غرائب الألفـــــــــــــــــــــــــــــــــال
زرت خواصها على رئيســـــــــــــــــــــــــــــــــال
غي بردتي بدل من الإيـــــــــــــــــــــــــــــــــال
فرص الخليل بسرهة الابلـــــــــــــــــــــــــــــــــال
من شمس عشرة سورة الأنفـــــــــــــــــــــــــــــــــال
وسواميتجد ما احتياز السمـــــــــــــــــــــــــــــــــال
عن عمّ عم أو مغايل شمـــــــــــــــــــــــــــــــــال
يقفو لواحق كاللوى الضمـــــــــــــــــــــــــــــــــال
ولاحدا يدك بكى على الأنفـــــــــــــــــــــــــــــــــال (١)

أديب الشريين له رخصه
له أهبا يؤزعهما الصم
تيا م ذم ما اتترفت فثم
له من فوق قسما لتطس
ولاه ملى ما انتفى الثا
وقاين دثر مشهد دما الأمت
وأصبح لأشراق ولا شام
تواء تحت كل كاسه دما
على الأشواق أقره الشمر
وما اعتقلوه من شمسور
ذمت وأنت للجللى ذم

كان مطار أنسره شهيداً
لهم طيفاً يروح به شهيداً
تفت في الثرى منه الرمم شهيداً
حصى من أن تراخ له شهيداً
فلا حيف يخاف ولا أعت شهيداً
وانفع ما يبل شهيداً أوام (١)

وله شهيد :

بردا تبد بين الطبا محله
يقطر من قتل عسداء دمه
لم نل في أقطارنا مسلمة (٢)

وقال يمدحه ويذكر بواقعه :

أمين العماد مكي القمص
وتد أغلظ الظلم فيه الظلم
وقئت قري الدين لما أد له
ومثله أد راء أما عس
على الكهف من ركنها فأنه
دارا لكانا رد يلمني أرم
من فخر الصليب له ما نل
تعد البربر بيبر شهيد
ال لا مقبلة للسنة
أجاءا أغصموا اصطالم
عرام بيوشا سيل الدشم
مباح الجريم مسدال الدشم
أبارتهم غلبوا بسد
بما خط في اللوح منه القلم
ومن ديننا راقع ما انشم
وتخفق من بعد رقع صنم
فكم منجم تحتها قد نجم

حد منهم بارعن مرجح
وأية ليلة لم تلت فيه
بنور الدين أنشر كل عس
وتاد الحق بند كلال حشد
تألق عد له وذكت سلا
بقاؤه غير ما يرجحوه راج

ملك كما الاسلام من ذبه
من أصبح الشام به شامية
لو لم يقمضلتا دونيه

فدا الدين بأسك ساي العالم
لذلك لتبت نورا لب
أضاهت بعد لك آفاق
ولم تزدوا لنصر الره
وبسوطا بسطت الجحيم
وبسوطا وصرخ لو لم تشر
وبد لجهنم في النوط
وفي كثر لانا وحاب حلق
معدة أنها لا تسم
ويوم سرفود جرحتم
ونوى السرير غشا
وانت بكلهم في الكب
وبارتم أذنت أنهم
بنوها وأخلوا ولم يمل
وأنت خاتم ما أحكم
فترفع من بعد خفض
سكت المدارس فوق النجم

(١) الروضتين ١/١/٢١٠

(٢) الروضتين ج ١ ص ٣٣

بما شددت منها وكاننا رصصنا
فأبداً فرج المذير المشصص
وأنت ابن من عز لنا اشتكنا
سنارمه عين نغذي الشصص (١)

وعاش الحنفي والشافص
وان لم تكن هاشي الاصص
ومن يدعي في الصص ما ادعصص
وانسما غاب سيفتصص

وقال ابن خنير يمدح عباد الدين زنكصي :

غدك الدوا وأيامهم
وزلت لصيغك أقدامهم
ولو لم تسلم اليك القلبصوب
أيا محيي العدل لما نصصاه
وستنقذ الدين من أمصصة
لثت لها ثقفيك الاصص
جزرت جزيرتها بالسيص
وحارت عوارق أكتانص

ردا لثقتك أبرامهم
وزال لبطشك إقدامهم
فواشا لما صح أمائمهم
أيا نسي البرايا وأيتامهم
أزان المحارب أصنامهم
د والبيض والسمر آجامهم
نححتي تشاء منها شامهم
مقي شئت أرخص مصتامهمصصا (٢)

وله في نور الدين يذكر رقعة الجولان وغيرها :

ما برقت بيشك في غمامهم
محبود الصعود جدًا وبصصدا
ملأ أزال الروم عن عليانهم
بنان على الجولان أمصص
والدين قد برعها اجونص
وشد في القد له مليكنهم
وفي الرها صابت له محابص
وهب في شاب لمعاصص
وكفر ثلاث في جبينهم
وقا يرفق تحت وقصص
لساعة لبيبة اذا عدد مصص
واعجب لمصب الشراك الصصتي
حكمة استوارها في عيهم
منظر الرايات والبصصراي اذا
عدت به حد الحاصص
جلت له الدنيا على زرجهم
رأته وسو الليث يمد في ظمصص

الا وفيث الدين لا ينعاصص
أرخص جلد الاوش حكهم عامهم
د فاعصوك من أصنامهم
صغرت الادحوي من نعامهم
ونزل مشعروا من اعتزامهم
قود عقود القوط في شامهم
صاروا جفائف في القمامهم
تجربتها ألف من جدهام
لثم ايا ايت على أشامهم
نظم الشرا في غصا مصامهم
سوط عذاب صب في أيامهم
لم يصب الرشد على أصنامهم
في نقر ما أحصد من أبرامهم
الشرب مشيت تعثر في خطامهم
هن النجوم أو نواصي شامهم
غفوا غلم ثلج على خطامهم
أنفذ في المشكن من حكامهم

(١) الروغتين ج ١ ق ١ ص ٢٢٤ (٢) المصدر السابق ج ١ ق ١ ص ٨٩

عزت سيوفك ، فالمرآق عراقتها
 ان أغدت حمل المزاميل حليها
 شغبت عدانك بها ، فلا اشراقها
 سريت نصيحها بها يخلانها
 كالهاء ، الا أن في رشفاتك
 خفت على أيمانك أوزانها
 حتى أحلن الشاهما صرصرت
 ورعثن أدران الجزيرة بحدما
 شدارا أبرت ، ومثلته أنارتك
 بالخابلات الخاب ، تزار أسنده
 أوردتها أجما أنلاكيسة
 تلقى المشافر في مرأشف ، كلما
 فندت وقد عز السراج مراحها
 ومضى الضلال القهقري واستأصل الا
 وغدا يخللها الخليل سواحها
 غنبا لدين الله خص جناحها
 فالان رد النور فيه نور
 محمود محمود أقدامها اذا
 القانج الكرب المظالم تضاجمت

والشام غير مدافعتات شامها
 أو جردت حرم الكرى احرامها
 بمفازة منها ، ولا اعتامها
 هدأت فستها بها أحلامها
 نارا حشاشات النفوس خرامها
 يوم الوغى ، واستثقلتها شامها
 فيه جنادها وصدق ديامها
 غمرت بها وهدانها وأكامها
 وقع الخداوب ثكرها أيامها
 والمجفلسي الحي اللقاح صيامها
 عفا وقد شب الصدا اجماها
 بردت بها الاكباد زاد هيامها
 وتوزعت في كنسها آرامها
 ذان من رجح الإذان صلامها
 عذبا يمر لها المذاب غمامها
 بغيا وأدمى صفحتيه لدامها
 وانجاب من تلك الهبات ظلامها
 خام الكماة وزلزلت أقدامها
 أشداقها وفرى القلوب ضمامها (١)

تحتلها الجزاء في نظامها
تصادمها للتصحر من احادهم
ساق واستصرف لا غشام
عراقها مسترد يشام
واقعد الفائز من قوامهم
يقصر باح الدهر عن فطامهم
من أهله الا شرف من مقامهم
من مؤلم الارواء اولامهم
يقرا آياتهم من اعادهم
ومازل بكنيت من زمانهم
سلم الليالي آية امتثالهم
لا نسأل الله سوى دوائهم (١)

فتوجته السز في ترتيبه
عبدان للاسلام لا ينيطه اسسه
خط على مثل أب طاعت لسه الآ
(٢)
تصرف الدنيا على إيتصاره
لو لم يكن دون منى فات الرسمى
وأما ما نكتروا ض
وعار كالجر الدمار وش
ودونها لا زلت ترقى فسي حمسى
تلبس بيتا لله وفي يمس
فانما الدين رحي قطبتهم
أعت بنا الامال منك كمبسة
وأرغفتنا بك شر نعمسة

وقال يمدح عماد الدين زنكي ويهينه بفتح الرضعا :

بعماد الدين أغحت ضرورة السيرة
واستزادت بقسيم الدولة السيرة
ملك أصهر عينا لم تسير نزل
لا غلت من كحل النصر فقسم
كل يوم من أيام
لو جرى الانصاف في أوصافهم
ما روى الرايون بل أسطروا
أذ أنام الشرك في أكتافهم
وقعة طاحت بكذب الروم مسير
ان حيت مسر نقد تام لم
دين الدهر عليها محصرا
والرضا لو لم تكن الا الرخصة
ولم من ملك حاولهم
هي أغحت النجم إلا أنهم
نيت منه بليث قائمهم
زارعا يزار في أسد وغهم
صولجو البيض بشربهم
يا لها طعة شر أضحكت
برنمت رأه برنم ندمهم

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٠٢

فرقت جماعها عنها عبيد
 عزه الماضي بخير الفائحين
 مو من الخوف مثير الاغبيين
 منه بعد الروح في ظل الشمسيين
 فاحلتها القطا بعد القطبيين
 بين بين تنباري في البربيين
 ترة الناقور تثويب الاذيين
 هر في علك لجين او لجبيين
 يردا من يوم ردت ما رديبيين
 نلم جيش رقبهم للناظرين
 كل كل يد رعبها درون الدريبيين
 ليس حصن ان نحتة بحصنيين
 ستد وتون شذاه بعد حصنيين
 غرمنه مشعا للمناظرين
 انها حيل لن تاب مقبيين
 من غداة تبرة لا غربيين
 و في الكهين من دنيا وديبيين
 تلك الاثر يمين لا يمينيين
 منسيا مو لم عمن الدائريين
 كسبة معقودة بالظافريين
 من نظم الدرع بالدر الشمين
 لك قالت السن الشلر اممين (١)

وسوي مذ وقت اسراجيه
 تله اثنان رمانا الله ميين
 شام منه الشام برقاً ودقني
 كم كنهم كنست قد راميها
 دنت الاجال من آجالهم
 وبنار يجللي صلبانهم
 قرعته البيض حتى بدلسني
 بالقسيمات مقصور لهم السد
 حل بها حران كم عري سقني
 سحلت امير سحرها طهميها
 وفدا يلقي على القدر لهميها
 شقتمني وشعبي عزم سبيها
 قد القوم فرهم اسها السني
 انه الموت الذي يذرك ميين
 وهو يحيي مسكبي عزومني
 ترمط يني ومن يخر يكمين
 بك يا شمع السالي ردت السر
 انهم الجند بان تبقى لكمني
 وتفين العدل في اقطارهميها
 لا قول دارك كيف انتقلهميها
 كن يوم يتحلل جيسهميها
 كلما اشلر فيها دعهميها

وقال يمدح نور الديين :

بجدها اصحاب الجند الحزون
 وفي كنفك مولت اليا السني
 ونفذ تعلم القطان الواسني
 وانت السيد لم تحسه نسني
 تترقي فوق صفحته الاماني
 وتبلا ما سمعت بذي فقسني
 ولا نيت سواته سريسي
 ولا ثمر له الهيجاه هسني
 جيلت ندي وغفوا وانتقامني

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٠٠

واطلح فجرة الفتح البمين
 وفاروق طبعه الزمن الخمين
 وقد زينت بها الحرب الزمين
 ولا شجدة مضارب القيمين
 ويقطر من غرابه المنمين
 يخبر الفركان ولا يكسين
 ولا ليت وسادته عريمين
 ولا تاج له الدنيا بجهمين
 وما كل مجبول وطمين

تأمرت الأوامر والأحكام والخصم
 إذا الأيام عند موته جـ
 يبين لشأنيه ولا يـ
 إذا عقت مشاربها الأـ
 وقد شيدت من النـ
 تفيه له المشاعر والحجـ
 قوى مثق في الدنـ
 أسير في صفائك أو كنـ
 ويخرج من جـ
 يتام لمنتهاه أو مـ
 غدا حتى فزتهم فـ
 وكهم عبر السـ
 وما مشارب بدار الشـ
 ما من عظام ساخـ
 بارب في القنا تجرى نجـ
 وبين جرار صرخـ
 وفين من العـ
 وكهم حرم لحارم فادرتـ
 وفي شـ
 وثاق صـ
 ناء أب إذا عـ
 شيلا كان أمـ
 تني وقضاؤه في الأرض حـ
 لهذا اليوم تتخـ
 ونحن احـ
 صلت لنا غـ
 تراينا بمقـ
 (١)

وملكك من الاقطار قطـ
 تـ
 وانت انت المجـ
 وعندك مشرب النـ
 تحكم في عطاءك كل عـ
 لقد اعصرت وبين الله عـ
 وتام بنسره والناس فـ
 ربست ملوكهم وهـ
 لبرست البرنس لفاغ خـ
 اذا ما الفصل عن تـ
 غدا حتى فزتهم فـ
 وكهم عبر السـ
 وما مشارب بدار الشـ
 ما من عظام ساخـ
 بارب في القنا تجرى نجـ
 وبين جرار صرخـ
 وفين من العـ
 وكهم حرم لحارم فادرتـ
 وفي شـ
 وثاق صـ
 ناء أب إذا عـ
 شيلا كان أمـ
 تني وقضاؤه في الأرض حـ
 لهذا اليوم تتخـ
 ونحن احـ
 صلت لنا غـ
 تراينا بمقـ
 (١)

وقال محمد نور الدين :

عنات مجـ
 يا عاربا بيمين الله قائـ
 أصبح دون بلوك الأرض منـ
 فداه من حاولت سماك هـ
 قل لأعدى : ألا موتوا به كـ
 ملكه تنام عن النـ
 (١)

(١) الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٠٥

فان استرد الذي أعطاكه الله
 وفي أعالي أعادى الله حـ
 يـ
 جهـ
 فالله خـ
 تـ

فيما أبقاه وتدني ما توخسه
قدرا وبناوزت الجوزا
وأين بما روه ما رأيته
مظلل أثق الدينا جناحه
مقلوبة بفتية المسك ريشه
فأعتر بهمه وأعتر عافيه
حديشها نبح الماني وأنسه
من رامها ليس مخزاه كمشزاه
بن الملوك لها وقها حوانسه
رأى بيت فوق النجم مشزاه
عن يد فرس لهم أعار عبيسه
وتامر الجود لما مع منسه
للشاكرين ويستغني عفايه
من لم يتوبه هذا القاع الا هو (١)

ما زال يسطك والايام تخدمه
حتى تعالت عن الشصرى مشاعره
وقد روى الناصر أخبار الكرام
أين الخائف من فتح أنبي
على النابير من أنباء
فتح أعاد على الاساطم بهجته
يمدح بمستمع باللمشكت
ان الرنما غير عبورية وكشفها
أخت الكواكب عز ما بشي أحسن
حتى دلت لها بالسر بهجته
مشيرا وينو الاساطم في شفتيه
يا يحيى العدل إذا قامت نواديه
يا نسمة الله يستغني المريد به
أبقاه للدين والدنيا تحوطه

وله فسي نور الدين :

قطالا أعزنا إنذاره
عارضا شيب الدجى إبراقه
علائ من أعتاقها إعتاقه
شامة والبراق بعد عرائقه
في يدينا إغارة طلائقه
وم لما أظله إرهابه
جله دون نيله أخفاقه
سات وأبتر من لهاه عراقه
خلقته نيكه مضلة خلاقه
ما ونى سحبه ولا إصمائه
من على الدين كظله إعتاقه
خلف عذر ينشئ عنه شتاقه
مع يكي في النافقاء نفاقه
ل له ركنه ولا إنفاقه
أعيا على الملوك لعائقه
مخلو بالنيرات نفاقه
ليس إلا إلى المسالي سباقه
من أمار الموت الزوام عتاقه

ملك ما أذل بالفتح أرضه
والوحي في الرهاء أزعج اليه
جارت جارة اليه فحلته
قله بكر الفتح فالشام ضم
أين كان الملوك عن وجهها الطلح
مقتسما أبوه بكل سب السر
شافقا قلبه إلى أمل عسره
قسمت راية المواضي القسيه
وكذا أنت يا الله ما عسدا
وكفى البحر أنه ابن سحاب
لم يمت بن سدوت شلته
وهبة لم تدع على الأرض قلبه
كلما طن ذكرنا منه في السم
ويعاد عن حوزة الدين لم يمس
أي شأن أدركت يا نور دين
نطق الحاسدون بالعجز عن مله
غض أبصارهم لحاف جسد
سل بصيرا كم اعتقت يوم بصري

(١) الروضتين ١/١/٩٩

ضاق منه على الصليب غنا
لها لها عكت الأمارى ربنا
ولا ولكن طواه عنه ارتفاق
بال منه فزيان كالنار ما تم
اذ علقى أدواءهم درياق
رة ان عزيابها لا ثياق (١)

كم غرام على الصريخة
ولكم دابة بهاب واختي
بمنا الذل فوق بسطة با
كان نيدا ليد الدين حمى ال
وشية النبي يوم حن
وجي الحرب مخلص الك

وتان فيسسه :

مظفر النزم محدود الرواق على
رد اللثام ركننا للمدى فج
وأورد العلم بدا من إيا
وبت المشرق أعزانا د
يا بدر مذ أفرقت في الدست
أقام أحد من مخودنا علم
محيي شريسته من بند ما
شابت بواضبه فيها مهابت

وله من أخرى :

أبا الرضا ثانيا رشف
سلكت نهى البدل القويم
وكم أنيت خوفا نأكت
لله ألقارني التي تلمس
أنت لي انبغاوسه
أهجت لهاة البرنس هيوته
وجوسلين استعاض نطقه
ردته علفا من كل ما ملك
جوير جاسقه أوبسسه لا رات
سرية لو تكون نارسه
لا زال ظل النعاج عن
والله جنازه من مقيم
محبون المستلي الى فلك
اعداكه جواد المتن
نذر عتونه عن الشنا
أنت الذي سلم الانام
وأنت مولى الدلوام تاه
والشمع هذا لا قول أح

صالح الدين يرفيها وبين
نار الخلال ووزنها أثافي
فاستن وأثرت بها في صوا
داربدة منه إلا استوفيت
غيت الرعية واشغلت مراعي
به اءتقام على البيضا ساري
واستفحت بعد انصاع ما
حتى استتوت على مستر سواريه (٢)

لديك نسق عذبا ثانيا
فأعذت ديشها رديا
متانف الغروف خوفك الل
لها ضادا الى منايا
تروي غثري أولاء أخرا
وكم عتا غانيا ناهجا
فأعطب الذي تحت رعد
يداه أيدى ما غل مسرا
بوسا وجماد الحيا محيا
يوسف ما انبشت أشقا
ما الشمر كفاء له اذا با
أعزنا الله مذ تولاه
مد وثيرا له ولايا
نذ ونشر لله عزرا
نؤدنها الله يوم نوا
يمنى طباق الخلق وسرا
من كل فنا خسرو وشا
أوه يدل من تولستي واسب (٣)

(١) الروضتين ١/١٢٧/١٤٤٥ (٢) الروضتين ١/١٢٧/١٤٤٥ (٣) الروضتين ١/١٢٧/١٤٤٥

قال :

توالث علينا في الكنائج والكتائب
بشارت تهدي للوالي سـ
نفي كبد بن حرها النار تلتظـ
جسنا جبال القد في غيرها وتد جـ
نقد أصبحت أوعارها وحزونها
ولما غدت لا ماء في جنباتها
وجادت بها مسح الذروع من المـ
وأجرت بحاراً منه فوق جبالهـ
نقد عنها خصب به من رؤوسهـ
وتد رؤسها خيلنا قبل هـ
وأخس صهيل الخيل أصوات أهلهـ
وأبطل حرب من كثافة دوشهـ
وحادوا إلينا بالروء ورعلى القـ
وإننا بنو رزيك ما زال جارنـ
ونحن بالأموال في السلم دائـ

كتب إلى أسامة بن منقذ :

يا بني شغفك الذي لا يخيب
يا ظمأ في الصدر قد شفت أن يؤـ
وأرى الدمع ليس يفي حـ

بشارت من شرق البند ومن غـ
وتحدث للباغين رعباً على رـ
ونفي كبد أعلى من البارد السـ
عليها عنات الخيل كالنفث السـ
سهولاً توظا للفرار والركـ
صبينا عليها واباء من دم سـ
نجيماً فأغنتها الفداة عن السـ
ولكن بخار لير تعذب للشـ
بها ولكم خصب أضر من الجـ
مراراً وكانت قبل أمة السـ
غسقت نواقيص الفروع عن النـ
بازد الأعادي بالمسوة القـ
وأغناكم كسب الثنا عن الكـ
يحل لدينا بالكرامة والخصـ
كما نحن بالأعداء نفتق في الحـ (١)

عن عياني وهو الوحيد التـ
ذيات التلح حرة ووجيـ
وبعد : إن جاد غيثه المسـ

ومنها :

قد علمت بأن غيت أساد يـ
وبنا يدرك الجول ما يـ
نحن كالسحب البوارق والرـ
تارة نسم الحروب على النـ
كره الشام أهله فهو مـ
إن تجلت عنه الحروب تلـ
رئعت أرضه عشية غي السـ
وثبتت حيطانه فأما تمـ
وأرى البرز شامسا ضاحك المـ

(١) ديوانه ن ٥٨

ذكروا أنه تذوب بسما السخائب ، فطما للبخور أيضا تذوب
 أبدني أصحابها قد زال الله ، فطما للبخور أيضا تذوب
 إن ظني ، والذين مثل سمها ، فطما للبخور أيضا تذوب
 إن هذا لئن غدت ساحة القبر ، وطما للبخور أيضا تذوب
 تغزى الوحي تبل بمت رسول الله ، فطما للبخور أيضا تذوب
 نزلت وسله الخازر ، والخمسة ، فطما للبخور أيضا تذوب
 لو رآه المسيح لم يرض فطما للبخور أيضا تذوب
 أبعد الناس عن عبادة رب النسيم ، فطما للبخور أيضا تذوب
 لم ينفس على ديار من السمك ، فطما للبخور أيضا تذوب
 ولكم علمنا فأنسته أوطى ، فطما للبخور أيضا تذوب
 فاحتسب ما أصاب قومك مجسد الديم ، فطما للبخور أيضا تذوب
 هكذا الدهر : حكمه الجور والتقصير ، فطما للبخور أيضا تذوب
 إن تخصصكم نواب مسا زال السم ، فطما للبخور أيضا تذوب
 فكذا القناة ، يكسر يوم السم ، فطما للبخور أيضا تذوب
 ولسمري إن المناهج فسي الديم ، فطما للبخور أيضا تذوب
 وجهاد العدو بالفصل والقسم ، فطما للبخور أيضا تذوب
 ولكم الرتبة العالية فسي الامم ، فطما للبخور أيضا تذوب
 أنت فيها الشجاع ، فطما للبخور أيضا تذوب
 وإذا ما حرضت فالشاعر المفضل ، فطما للبخور أيضا تذوب
 وإذا ما أشرت فالعزم لا ينمى ، فطما للبخور أيضا تذوب
 لك رأي يفتلسان إن فطما للبخور أيضا تذوب
 فأنه في الآن مسرعا ، فطما للبخور أيضا تذوب
 والثمن رسالة عند نور السم ، فطما للبخور أيضا تذوب
 قل له دام ملكه ، فطما للبخور أيضا تذوب
 أيها العادل الذي سمى الديم ، فطما للبخور أيضا تذوب
 والذي لم يزل قديما عمن الاسم ، فطما للبخور أيضا تذوب
 وغدا منه المفرج إذا لا قس ، فطما للبخور أيضا تذوب
 إن يرمى نرف حقد دم فطما للبخور أيضا تذوب
 غيرنا من يقول ما ليس به ، فطما للبخور أيضا تذوب
 تد كتبنا اليك ، فطما للبخور أيضا تذوب
 قصدنا أن يكون منا ونكس ، فطما للبخور أيضا تذوب
 غلدينا من السماكر ما ، فطما للبخور أيضا تذوب
 وطينا أن يستعمل علمي الش ، فطما للبخور أيضا تذوب
 أو تراشا مثل السرون : فطما للبخور أيضا تذوب
 لئلين السيوف في فلق الصب ، فطما للبخور أيضا تذوب

ولجنى الحشود من كل حصص
ويحول الاله ذاك ، وممن غلب
سلباً من كل ايم ونم
ألب ربي فإنه منسوب (١)

واجاب طلائع أسامة بن مخنف بقصيدة ردأ على قصيدته الطائفة ، وحرره على الجهاد صلحها :

هي البدر ، لأن الثريا له قسـرط
ومن أجم البوزاء في نحرها سـرط
ونمها :

سللنا بها البيض السيوف فأتى يغـسـه
سيوف لها في كل دج وجـسـه
ذخراً سطاها للفرنج ، لأنهم
لهم قسطنهم في الحرب منها ، وما لها
وتد كاتبوا في السـلج ، لكن جوابهم
سـطـور عيول لا تنب ديارهم
وحرب لها الأرواح زائقة أمـسـا
إذا أرسلت فرسا من النـقـع فاحـمـسـا
كان القنا فيها أنامل ما سـبـب
رددنا بها ابن ألفـنـسـر عـنـا ، وأنـمـا
نقولوا لنور الدين : أيمـر لجائـف المـسـا
وحسم أسول الداء أولى لساقـسـل
ندج فـنـك مهـلا للفرنج وهدنـسـه
تأمل فكم شرط شرطت عليهم
وشمر فانا قد أعنا بكل مـسـا
ودونك مجد الدين تـذـرا ، زفـمـسـا
هدايا تهادن بين حسن وفاقمـسـا
على أنها تشتغل إن هي سا جـلـسـت

وتال قصيدة أرسلها الى أسامة مكتوبة بخط يده :

أيها الطقـذ أنت علي البـسـمـسـد
ليدنيا تأنيه من سـمـر أغـمـسـا
فلم هذا نرى مواصلة الكتـسـسـا
سـبـب تباط اليك ما يلـسـسـا

(١) ديوانه ص ٦١ - ٦٥ وانظر الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٩٥

(٢) ديوانه ٨٤ والروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٩٨

والبيضاء لا مفسدة وببعضهم
 عندت كأن لم يسميها
 هذا وفي تل السجدة
 إذ مررتي لبيد
 واشتاق عسكرنا للبيد
 وسرمة ابن فريج الطيب
 سارت الى ارض الخليل
 فلو أن سور الديس يجمع
 وسير الأجناد يجمع
 وبقي لبيد
 لرأيت للفرس طيب
 وإذا أبيت إلا أطيب
 عدنا بغير الأسماء
 في أرضها حباً
 لملأ من يالقتلى
 في نحو رثته
 أهلاً يحبهم
 طال بهم
 فلم تدخ فيها
 عمل فملأنا فيها
 را كفي ينزلهم
 دل دولته بما تد كان
 ترا في معاقبتها
 راحاً للنصيحة وأعطى
 لبحكم مثاقنا

وكتب بخط يد مقصيدة الى أسامة :

أيها السائر المجتهد الى الشمام تبارى ركابه والخميس
 خذ على بلدة يها دار مجيد الديس من لا ربح ربحها المأمور
 وتعرف أخباره وأتبعه من سائر الأسماء فيه الكتاب يجمع
 قل له : أنت نعم فسر الصديق السوم ، لكنك الصديق الملمس
 ما ظننا بأن حاله في القسرب ولا الهمد بالمال تحسول
 لا كتاب ولا جواب ولا قسرب
 ل به للقسرب منا عصب
 غير أنا نواصل الكتب أذ تصعب
 ر منك البر الكرم الموصول
 ذاكرين الفتح المسمى المسمى علينا ، فالصنع منه يجمع
 لم يزل نسلنا لبيدنا وهو
 جاءنا بعد ما ذكرنا في كتبنا
 أن بعض الأسطول نال من الأسماء
 سار في ثلثة ، وما زال باللبس وعقد النيات ينبي القليل
 وثقيا الأسطول لبيدنا
 عدة لم يحبط بها الشخص
 فحوى من عكس وانظر طيب
 جميع ديوتهم بهم كان
 قيد في وسطهم قد منهم
 بعد ثوى جماعة ملكهم
 جند منحة الإله وتمديس
 بلغوا قولنا الى الملك المصا
 دل ، فهو المرجو والمأمور

قل له : كم تطاع الدين في الكفــار ، فاعذر أن ينصب الصليــول
 من المــى القدــة ، واحتسب ذلك في المــســة ، فالصليــب
 وإذا ما أبداً صيرته فاللــســة إذا حشبتنا ونعم الوكيــل (١)

وقال إثر وخشة حصلت بين نور الدين محمود بن زنكي وبين قلاع أرساذن بن محمود صاحب
 الروادت إلى الحرب والتطاحن والتضاغن ، فعند ما بلغ خبرها إلى صركتب الأبيات بهذه إلى
 قلاع أرساذن ، يخاه عن ذلك :

وسلم وجه الرأي ، والرأي مــهم
 يوقــن لأمر الذي هو أحمــل
 وما أحدٌ منا تضى الله يســل
 بشيــء ، وكانت وهي صاب وعقــب
 وفيم من الشخاء نار تضيــت
 أما نبي رعاياكم من الناس مسلــم
 إذا ما نصرنا الدين نحن وأنتمــم
 بأحقالها تحوى البلاد وتــم (٢)

نقول ، ولكن أين من يتفــت
 وما كل من قام بالأمر وما مــا
 وما أحدٌ في الملك يبقى مــلدا
 أمن بعد ما ذاق العدى طعم حركــم
 رجعتكم إلى حكم التنافر بينكمــم
 أما عندكم من يثقي الله وحــده
 تسالوا ، لعل الله ينصر دينــة
 ونهضت نحو الكافرين بحزمــة

وارسل إلى أسامة بن منقذ قصيدة خرج فيها حال النزاة ، وخبر فيها نور الدين عليه
 قتال الصليبيين :

وتنضى لدى الحرب الصوف الصــوارم
 وليد سوي صبر الرماح ما لــم
 ويوماً حملاً ، والآنوف روافــم
 وإن بذلت فيه النفوس الكرائــم
 ضيق نفسه حتى أثنى وهو غائــم
 مقاوــم وشند المشير فيهم دافعــم
 بجنبيهم مشبوب من القيد باحــم
 إذا ما ألقا السكرك المتراحمــم
 عزيزته جريد الظلم والســم
 ومضى إلى الأعداء والنهم ناعــم
 عدت غوماً منها الطيور الشوائــم
 إذا ما هي أشتت نسور تماــم
 قوادمها في جومنا والتوائــم
 نان داليت أعداءنا غالا دافعــم

ألا هكذا في الله تضي الضــرائم
 وتستنزى الأعداء من طود عزــم
 وتنزى جيوش الكفر في طور دارــم
 وبقي الكرام الناذرون بنذر هــم
 نذرنا صير الجيش في صف فمــم
 بمشتاه من صبر إلى الشام فأطــم
 ونافيت من أرض الجفار التظــم
 وصارت هيون الماء كالعين عــم
 فما دنا له بسد الديار ولا شــم
 يهجر والسفسور في قمر وكــم
 إذا ما طوى الرايات وقت مــم
 تباري شيولاً ما تزال كأنهمــم
 نان طابت مصرنا تساوي من مــم
 هي الدهر ألوانا ، وصبح عجاــم

(١) ديوانه ص ١٢٨ والروغتين ج ١ ق ١ ص ٢٩٦

(٢) ديوانه ص ١٣٢ ، الكامل ١١ / ٣١٨

تصاحبها علما بأن سوف نفتقد
 كما أن وحش القفر ما زال منهم
 خيول إذا ما فارقت صعر تبتغي
 يسير بها خرطوم في كل مسار
 ورفقتهم الزمان ومعاتبهم
 مضى ظاهر الاثواب من كل ريب
 هنئا له ، يلقى البرحيق إذا غسدت
 ولو أننا نيكى على فقد ما لك
 ولكننا بعنا الآله نفوسنا
 تهون علينا أن تصاب نفوسنا
 وما خام أن لاقى همام وصنوه
 (ويرثية) شاعوا السيوف ، فلم تمش
 وأثناء جند لو توجه جمعهم
 وجمع ما ليك بأعمالنا اقتصدوا
 (وسنهم) قد شادوا المصالي بفعلهم
 و (ثعلبة) أضحوا بنا قد تأمسوا
 وان (جذام) لم يزل قط منهم
 جيوش أفدناها اعتزما ونجسده
 إذا ما أثاروا الفخ فالتفوا عابسين
 ولما وطوا أرض الشام فالتفت
 وواجههم جمل الفرنجة بعملهم
 فلقوهم زرق الاسنة ، وانطسروا
 وما زالت الحرب الموان أشدهم
 يشبههم من لاج جمعهم لسنه
 وخسيت أن لم يبق في القوم فارس
 وطادوا إلى مل السيوف فقطعت
 فلم يبق منهم يوم ذلك مخبئ
 كذ لك ما ينفك تهدي إلى السدي
 وتبرى لهم آراؤنا وجيوشنا
 نقتلهم بالراي طورا ، وتسمارة
 وما السارم المحمود الا الذي يبرى
 وتد غرق الكفار منه بقطعة
 فكيف إذا مات عليهم سيولنا
 وما نحزنا لاسلام للشرك فسمنا
 فقولوا لنور الدين : لا قل حسده
 تهز إلى أرض السدو ، ولا تهين
 لنا مثلها تهدي احتفالا به ، ولا

بها ، ولها في الكافرين مطاعهم
 مدى الدهر أعرا ، لهم ولا فسم
 عدى ، فلما النصر المبين مسنا
 وما يصحب الضرع الا المراضع
 ويحيى ، وان لاقى المنية حاتم
 شهيدا كما تمضي المرأة الأكسار
 تحية في الخلد الحسان النواعم
 لقلت له منا الدجج المواجهم
 ورحنا ، وما منا على البوح نساد
 إذا لم تبينا في الحياة المائس
 عشية أصوات الرجال هاهنا
 أبارقها في ساحة الشام شائس
 لروية ، قالت عليها المقاسم
 فكلمهم بالظعن ، والفرج عالمهم
 وليس لهم الا الموالى دنا
 فما لهم في المشركين مقسم
 قديما لمخل الكفر بالشام جسام
 غلغلتنا منهم ، وما المرافع
 وان جردوا الا صاف فالتشر باهم
 غاضت جميعا عربها والا عاجس
 تهون على الشجسان منها المرافع
 عليهم ، فلم ينجم من الكفر نابهم
 إذا ما تأنق المسكر المتصم
 بلجة بحر ، نوجها مطلاطم
 من البشير الا وهو للرجح حاطم
 رؤوس ، وحزت للفرنج غلصم
 ولا قيل : هذا وحده اليوم سالهم
 وللوحش أعرا ، لهم وما تسم
 بداهية تبييض منها المقسم
 تدوسهم منا المذاكي الضم
 مع السرم في أحواله ، ودو حسم
 سحاب انتقام عندنا متراكسم
 وجاست لنا تلك البحار المضسم
 ولكننا الايمان للكفر هسم
 ولا حكمت فيه الليالي النواشم
 وتظهر فتورا ان مضت ملك حسم
 تشار عليها لملوك الأباشم

علمنا يقونا انه لك واحسب
 بانك قد لا تيت ما الله حاسب
 وحلت بها تلك الدواهي المظالم
 فموتت سوايا ، واستحلّت محاسنهم
 ومن يحتويه انه لك عسيب
 اللهم ، فشكر الله للدليلين
 ونحلف بجمدا أننا لانعالمهم
 ولهم ينحسب القوم منها المواقف
 اليهم ، فلا حصن لهم منه عاصم
 ويحوي الاسارى منهم والمناقبهم
 نفاخر اهللك الوري ونقبهم
 وطاقتنا ، والله معطوهم
 تزيّن اعمال الرجال الغواصم (١)

فعدك من اللطاف ربك ما
 أعادك حيا بعد ان زعم السورى
 بوقت اصاب الارض ما قد اصابها
 وختم جيش الكفر في ارضهم
 وقد كان تاريخ الشام وهالكهم
 نعم ، واشكر الله الكريم بنهمه
 فنحن على ما قد عمدت فنوعهم
 وثاراتنا ليست تفر عنهم
 وامتلونا اضعاف ما كان سائرا
 ونرجو بان نحتاج باقيهم
 على أننا نلب من المجد ما
 ولكننا نهني المشوية جهدينا
 ونشتم بالحصى الفصال ، وانصبا

وكتب الى اسامة بن مقلد في وصف غزو جيوشه للفرنج

يا سيداً يسو بهم	ته الى الرتب الملهمة
فنهال منها حين يحميهم	م غيره اولى مزينة
أنت الصديق وإن يمشي	ت وصاحب القيم الرشيدة
يهمك أن جيوشهم	فعلت فعال الجاهلية
سارت الى الاعداء	أبطالها ما لنا سريرة
فتسير هذى بكثرة	وتعاود الاخرى فشيعة
فالويل منها للفرنج	ج فقد لقوا جهنم الهلية
جاءت رؤوسهم تلسو	م على رؤوس السموم
ويدافع قد قسم	بين الجنود على الصويرة
وشالقي كثرت من الاسنة	رى تقاد الى المنيرة
فأنهض ، فقد أنيبت	سدد الدين بالرجال الجليمة
ألم ينور الدين وأعلم	م بهاتيك التسمية
فهو الذي ما زال يخلص	م منه أفعالا ونيرة
ويبيد جمع الكفر باليد	م من الرقائق المشرفة
فسماء ينهز نهضة	يفني بها تلك البقيرة
أما لشجرة دينهم	أو ملكه أو للحميرة (٢)

(١) ديوانه ص ١٢٥ وانظر الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٨٦

(٢) ديوانه ص ١٢٢ والروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٩٠

قال حين سمع تأويل نظام بإعلان الخلافة المباسية بصغر قعيدة منها :

لتهنئة يا مولى الانام بشيخة
نعمت بها هام الاغادي بهيمنة
بشت الى شرق البلاد وغرب
ثقافت مقام السيف والسيف قاطع
وتدت لها جيشا من الروح نائلا
ملكته به افسى الدنارب عنسوة
ايها يا مولاي نتحا تبايسنت
أخذت به سرا وتد حال دونها
وتد دعت منها البنا هو عبيدة
فطهرنا من كل شرك وبدع
فمادت بحد الله بأسم اما
ولا غرو أن دانت ليومها
تملكها من قبضة الكثر يومها

بها سيف دين الله بالحق، نور
تقاصر عنها السموي المقتبس
يسوا من الآراء تعيي وتلكس
ونابت نواب الريح والريح يرعس
الى كل قلب من عداته يزعمس
وكادت من نعيمها المشارق ترعس
اليك به جوار الركائب توجس
من الدماء نادر لحي لهن الله
يسان القتي والدين منهم ويأنس
أغر غريز بالكارهيشنيس
تقيه على كل البلاد وتشمس
وكانت الى عليائه تتشس
وخلصها من عبدة الرقار، يومها (١)

قال المهذب بن الزبير يمدح طلائع بن رزيق بقصيدته : منها :

مغاثة أن يحطمها حبينسنا
يدق بها الكواهل والمتونسنا
وتوصف بالظما ، بحرا معينسنا
نحاطا من دروع الدار عينسنا
وقد شربت دماء الكافرينسنا
حسبت نملها تلكا لحيونسنا
صنائع في النفاة المبتدينسنا
وأناقم أقر به عيسونا (١)

وما أضطربت رماح الفرسنا
وما تندق يوم الروع حميسنا
عجبت لها تصافح من يديسنا
ويوردها ولا يشغلي بسنا
وهل يشغلي لها أبدا غليسنا
إذا لقيت عيون الروم زرقيسنا
وتأثرت في العداة له تيسنا
وأرغام به أبكى شيونسنا

وقال فيه أيضا : يصف أسطوله ونسبته على الروم سنة ٥٥٣ :

إن القلوب موافد النسيميران ؟
حتى تصير كسر السلسلسنا
عن توطأ الماضين من غميسنا
قد ما فصل عن حادث الجيسنا
فأسند روايتها الى حشيسنا

أعلمت حين تجاور الحيسنا
يا كاسر الانعام قم فأنهض بنسنا
فالشام ملكك قد ورثت تراثيسنا
فاذا شككت بأنهم أوطانيسنا
أورمت أن تتلو محاسن ذكرهيسنا

ومنها في وصف الزلزلية :

بقلوب أهلها من النفتيسنا
أوتيت من ملك ومن سلطيسنا
لأشراك يصعد شام البنيسنا
كالأسد عسرين تسول في خفيسنا
أن البشار تخل في غميسنا
جرداء مناية من المكيسنا
يعزرون تحت كواكب المخرصيسنا
هو في السديد ورمله ميتيسنا
بسطاك بعد المزداد شمسنا
وشم لك البشيفان مبالذيفيسنا
بصوارم سلت من الاجفيسنا
بشبا شراب عادت ويطيسنا

ما زلزلت أرض العدا بل ذاك مسنا
وأقول إن حصونهم سجدت لفسنا
والناس أجدر بالسجود اذا غمسنا
ولقد بدشت الى الفرنج كتابيسنا
لبسوا الدروع ولم تحل من قبلهيسنا
وتيمحوا أرض المدو بقتيسنا
عشرين يوما في المقار ولبسيسنا
حتى اذا قطعوا الجفار بهجفيسنا
أغريتهم بحصى العدا فجعلتيسنا
عزلت في تلك المجدول قراهميسنا
لما أبوا ما في البغاف قريتيسنا
وثلثت في يوم السريش عروشيسنا

(١) الخريدة قم شعراء مصر ج ١ ص ٢٠٥

منه ومن ذمهم منا يحسب
في يوم حروبهم من الأتقيان
ممن تجارب بالندب والقياس
كشفاً نثر على الرمح

الجاتهم للبحر لما أن جبري
يدع الورى بالياس إذ خضبوا الظبي
ولاءت تخشب كل بحر زاخري
حتى ترون ذمهم وخضرة بافسي

ونبها في وصف الأسطول :

وكان بحر الروم خلج وجهي
ولقد أتى الأسطول حين غزا بصي
أحب الي بها شواني أصحبي
شبهن بالنيران في ألوانه
أوترتها عدد القتلى فقد غسدت
ثابتة دوترة يسي بيبي
حرب عوان حكمت من السبيدا
وأندت رسل ابن القبيم اليه غسبي
والقال يشهد باسمه أن سوف ينسدو

ونبها في مدح نور الدين ووصف قتله للبرنس :

وأراء من بعد الشهيد أبا السبي
ونسوا الذي ما زال يفصل في المي
قتل البرنس ومن عناه أعاني
وأرى البرية حين طار براسي
وتعجبوا من زرقه في طرفي
فليهنه أن فاز منه سبي
قد صاغ من أراحه لهما مبي
والشغل تسل في الكريمة أنسي
عجا لجود يدية إذ بيني الصبي

وظفت عليه مناهت الرمح
لم يأت في حين من الأتقيان
من فتكها ولها الصداة شواني
وفعلت نعل كواسر السقي
فيها ألنا عونا من الأخطي
أسراهم من لولة الأتقيان
في كل بكر عندهم وعبي
فسيان كي بقايم الشبي
الشاموونو عليكما قسي

وجعلته من أقرب الإخسوان
ما لم يكن ليسد في الأمكن
لرا عا في الشبي والسبي
مر الدني يبدو على السبي
وكان نور الرمح نعل ثاني
أوش برتته على كسبي
نور أقراط من البخر
قد خطت يكلها على الترس
والجول بينهم ثابت الأركسيان (١)

(١) الخريدة : قسم شعراء مصر : ج ١ ص ٢١٠ ، وأنشأ الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٢٧٥

قال يمدح الأمير معين الدين أنو الطفتكي ، وقد وجه يستنجد بالافرنج :

تضاعف ضمفي بعد بعد الحوائسب
وبدأ أفلت تلك الكواكب لسم تسزل
فما آيب للمهم عسني برائسب
ونادسة ناحيت محيرا بأيكسب
تنح على فغن ، أنو لثلسب
بواد ، بوادي الخوطين ، ربوعسب
يزيد احتراقني واشتياقي اليكسب
وأهوى عواها من ريساف أنيقسب
تظل ثبور الاخوان واكسب
كان لعم البرق لي جناتسب
فتى لم يدع حتى تغفر قرنسب
حشيتة من على شهر مايسب
غدا في المعالي راغبا غير زاهسب
يظن صالاح الدين فرسان جلسسب
غدا تطلع الشام الفرنج بفيلسب
رجال اذا قام الصليب تصابسب
لها الليل نوح ، والأسنة أنجسب

وقد حجبتوا عني قسي الحواجسب
مؤكلة عني برعسي الكواكسب
ولا راي لليسر عني بأيسب
فهيجت الوسواس عني قلب نسب
ومل حاجر يكي أس ، مثل غائسب
ريسي ، ومن ذاك التراب ترابسب
اذا حاح بي : عن على الدار صاحسب
فتعز عني عنها صبروف النوائسب
اذا ما يكتفيها عيسون السحائسب
صبروف معين الدين بين الكتائسب
كان نايه الضرب فرسب
وحلته دوح على غير دمسب
وفيما سواها ، زاعدا غير راغسب
كفرمانه ، ما الاسد مثل الثالسب
معوذة ابطاله للمصائسب
راحب في كل ما شى وراكسب
فما غير ابطال ، وغير جنائسب (١)

وقال يمدح الأمير مجد الدين أبى بن محمد بن بوز بن طشتكسين :

عز على نجد لملك منجسب
بدوية الالفاظ دون غبايسب
قد كان يخني لحظها وقوامسب
ياسائلي ، إم دمع عيني سائسب
من لي بمصول لثنايا عذ يسب
أبدأ هواه لي مقسيم مقسب
والقد نعمت بوصله في نسب
أزماره من جوهري ونسب
وعلى النصوص من الحمايم قيسب

بنسبها ، ويذكرى سعدى ، مسعدى
خيل تنوي الى الطمان وتنتسب
عن كل شطري ، وكل مهنسب
ذاك الحديث عن الفمزال الاغمسب
لذن كخوط الباعة المتسب
روحي فداء ، من مقسيم مقسب
الف الربيع بروعه الحسن النسب
من جنهر ، وشماره من عسب
ثمناء عن شدو الشريف ونسب

برد جنته الريح غير متعصم
 حتى تراه أجمدا كالصبي
 أبقا الهام الماجد بن محم
 وعلت مناقبه فوق الفرق
 شمر تجلت من يرون الاس
 الا انطوى جيش المدو المت
 والخيال مثل السيل عند الم
 ومن الجياد بكل نهد ا
 ومن النجاة بكل نفع ا
 وهذا يحمد من عريضة ا
 مثل المنيا فسي النسي طلس
 في ذا الزمان ، وعنده لم يك
 والسيد بن السيد بن الم
 والعلم ، لا قوت عيون الخ
 فيها الذي هناك غير م
 بعد الكرى مدنية فسي قد

والهاء في بردى كان حبا
 بينا تراه كالسجنجل ساكن
 وكاننا أنفاس ينسأه ث
 ملك تشرفت المناير بأسم
 وعلى الأسرة من أسرة وجه
 ما نشرت راياته يوم الوغ
 من قاتل الافرنج دينا غ
 رد الامان بكل ندب باس
 ومن السيوف بكل غضب ابي
 حتى لوى الاسلام تحت لوائ
 طلق المحيا واضع مقبل
 كسند القريش وكان قدما ن
 امير دين الله ، وابن جمال
 كم حاسد لك في الشجاعة وال
 أضحت دمشق بحسن وجهك جن
 لا زلت لادبام عسدا ما

وقال يمدح الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب :

وأمر من جفاك ولن أص
 وصناني المدام والحب
 اذا ما ثلث الامم سواي ز
 تملك غودها مني القس
 تشقى في غزائها وم
 وشعر لم يزد إلا
 ومن يرد السلو وقد تم
 بآب ، ومن جواد في
 فاز سدي أريد ولا
 اذا ما يوسف بالجمال
 وللأموال لم يبرح ف
 جواد لم يهمل إلا الج
 وعند سوا قد ما تشك

الام الأم فيك وكم أص
 لقد ألف الضنى والسقم جسم
 وما أنا قد وقن صبري ، وشوق
 بقلبي ذات خلخال وقل
 مهففة كان قديما ي
 بوجه لم يزد إلا بياض
 توجب عبادتي من جز
 ولا عجب اذا ما أب
 وقد أناني الشيب الشوان
 وهل أخشى من الأنواء
 فنى للدين لم يبرح
 هو المعروف بالمعروف
 به الأشعار قد عاشت نفا

ويا يهوى زيدا أو زيدا
فإن الله أعطاه البسمة
وقد جاءكم مصر ته
يصيد المعتدين ولن يصير
وراء لوائه تلقوا رشما
ما مونا كمن صلى فسرادي (١)

يحب النخلة الأدهاج دينها
لكن أحلام نور الدين حنينا
إلى كم ذا التواني في دمشق
عروء بسلام أسد مصر
إلا يا حشر الأجناس
وما كل أمرى صلى من النسا

وقال يمدح صلاح الدين الأيوبي : وقد وعده بألف دينار إن ملك مصر :

يا ألف مولاي أين الألف دينها
ويا تفي بجنة الفردوس بالنسا
من مصر ما خلف الطاغى أبو النسا
عتقا ثقلا كأعدائى وأطمعنا (٢)

قل للمصالح : صيني عند اعسار
أشقى من الأسر إن حاولت أرضكم
فجدد بها قاضيات مصطمة
حبرا كاسيا فكم : قرا كحيلكم

وكتب إلى صلاح الدين من قصيدة :

زمانا على الحر الكريم يعسر
بها : في يدي : قبل الممات تصير
سراج : قتل دونه وأسر
بمصر : وانى في دمشق فسير (٣)

إليك صلاح الدين مولاي أشتكى
ترى أبصر الألف التي كنت وأعسر
وديهات والآخرى بيني وبينكم
ومن عتب الأيام أنك ذو غسر

- (١) ديوانه صفحة ٣٠ - ٣٢ والروضتين ج ١ ق ٢ ص ٢٩٤ وعقد البطان ج ١ ق ٢ ورثه :
(٢) ديوانه صفحة ٤٩ - ٥٠ والروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٤٩ والخريدة قسم شعراء الشام
ج ١ / ١٧٨
(٣) ديوانه ٥٠ والروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٤٩ والخريدة قسم شعراء الشام ٢٠٨ / ١

أُنْفِخَ مِنْ شَوْ شَاكِي السَّمْسِ
فَمَلَكَ صَرْطًا عَلَيْهِ أَصْلُ السَّمْسِ
أَرْجَحَ إِلَى الْجَنَّةِ وَخَلَّ الْمَسْمُورَ
عَلَى يَدَيْ يَوْسُفَ بِالْإِنْتِزَامِ (١)

قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا يَوْمُكُمْ وَكَمْ نَاصِبٌ
حَارِبٌ عَلَى مَثَلِ نَجْمِ السَّمْسِ
قَوْلًا لِمَنْ فِي عِزِّهِ فَسَبَّحْتَ
فَالْقَدْرُ قَدْ أَذِنَ لِفَتْحِهِ

وله في صلب الدين أيضا :

لَكَ الْحَسَبُ الْبَاقِي عَلَى عَقَبِ الدَّهْرِ
كَذَا فَلْيَكُنْ مَعِي الْمُلُوكُ إِذَا سَمِعْتَ
نَهَضْتُمْ بِأَعْيَاءِ الْوِزَارَةِ نَهَضْتُمْ
كَسَفْتُمْ عَنِ الْإِقْلِيمِ غَمَّةَ كَسَفْتُمْ
حَبِطْتُمْ مِنَ الْإِفْرَنْجِ سَرِبَ خِلَافَتُهُ
وَلَمَّا اسْتَنْثَاثَ ابْنُ النَّبِيِّ بِصَرْكَرَتِهِ
جَلَبْتُمْ إِلَيْهِ النَّصْرَ أَوْسَا وَخَزَرَجْتُمْ
كَتَائِبَ هُ فِي جِيَرُونَ مِنْهَا أَوَاحِشَ
طَالَعْتُمْ فَطَالَعْتُمْ كَوَاتِبَ نَصْرِهِ
وَأَمَّتْ إِلَيْكُمْ يَا ابْنَ أَيُّوبَ دَوْلَتُهُ
حَصَى اللَّهُ فَيْكُمُ عِزَّةَ أَسَدِيَّةٍ
اِخْتَدَمَ عَلَى الْإِفْرَنْجِ كُلِّ شَيْءٍ
لَنْ نَصْبُوا فِي الْبَرِّ جِسْرًا فَأَنْكَرْتُمْ
بَارِقَ تَقَارَعْتُمْ عَلَيْهَا مَعَ الْعُسُودِ
وَأَزَعَجَهُ مِنْ حَصْرِ خَوْفِ الْبَلَدِ
وَكَمْ وَقَعَتْ عِذْرَاءُ لَمَّا اغْتَضَبَتْهُمْ
وَأَيْدِيكُمْ بِالْهَاءِ كَأَسْرَةِ الْعُسُودِ
أَبْوَكَ الَّذِي أَضْحَى ذُخِيرَةً مَجْدَكُمْ
وَمَنْ كُنْتُ مَعْرُوفًا لَهُ فَاسْتَفْسَدَتْهُ
فَكَيْفَ أَبْأَسْبَحْتَ نَارَ زَنْبَانِهِ
تَوَفَّرَ يَوْسُفُ الَّذِي كَرَامَتُهُ
وَتَخَلَّفَ حَزْبًا وَسَلَامًا خِلَافَتُهُ
وَكَمْ تَمَّتْ فِي بَأْسِهِ وَجُودُهُ وَرَتَبَتُهُ
وَلَوْ أَنَّهَا لَلَّهِ الْهَيْطَاتُ لَمْ تَقْصُرْ
يَدُ لَا يَنْقُومُ الْمُسْلِمُونَ بِشُكْرِهِ
بِكُمْ أَذِنَ الرَّحْمَنُ أَعْلَمَ بِشَرْبِ
وَلَوْ رَجَعْتَ صَبْرًا إِلَى الْكُفْرِ لَا نَطَمَسُوا
وَلَكِنْ سَدَدْتُمْ أَرْزَهُ بِسِيَرِ
فَهَيْتُمْ فَتَحًا تَنْدَمُ جَلَسَتُهُ

بَلِ الشَّرَفُ الرَّاقِي إِلَى تَبَةِ النَّسْرِ
بِهَا هُمُ الْعِلْيَا إِلَى شَرْفِ الذِّكْرِ
أَقْلَعْتُمْ بِهَا الْأَقْدَامَ مِنْ زَلَّةِ الشُّبْرِ
كَسَفْتُمْ بِأَنْوَارِ الشُّعَى ظِلْمَةَ النَّقْرِ
جَرَيْتُمْ لَهَا مَجْرَى الْأَمَانِ مِنَ الذِّعْرِ
وَدَائِرَةُ الْأَنْصَارِ أَضْيَقُ مِنْ شَبْرِ
وَمَا احْتَقَتْ الْأَنْصَارُ إِلَّا مِنَ النَّصْرِ
وَأُولَاهَا بِالنَّيْلِ مِنْ شَاوِيِ النَّصْرِ
أَشْيَاءُ هُ وَكَانَ الدِّينُ لِيَا زَافَجِيرَ
تَرَامَكْتُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْمُسْرِ
فَكَلَّمْتُمْ بِهَا الْأَمْلَاقَ مِنْ رِبْقَةِ الْأَسْرِ
وَقَلَّمْتُمْ لَا يَدِي الْخَيْلِ مُرِّي عَلَى مُسْتَوِي
عَبَرْتُمْ بِبَحْرِ مِنْ بَحْدِيدٍ عَلَى أَبْجَدِ
فَقَزَمْتُمْ بِهَا وَالصَّخْرَ يَقْرَعُ بِالْصَّخْرِ
كَمَا لَمْ يَهْزَمْ مِنَ اللَّيْلِ بِالْفَجْرِ
بَسِيفَتِهِ لَمْ تَتْرَكْ لِفَيْرِكَ مِنْ عُسْرِ
وَلَكِنَّهَا بِالْجُودِ بِجَاطِرَةِ الْكُسْرِ
وَأَنْتَ لَهُ خَيْرُ الْفُقَارِ وَالذُّخْرِ
بِمَتْلُوكِ تِيهِ فَهَوِيَ أَوْسُ النَّصْرِ
وَالَا كُنُورُ الْبَدْرِ مِنْ مَنَةِ الْبُسْرِ
وَتَخَمَّلَ عَنْهُ مَا يُوَوِّدُ مِنَ الْوَقْرِ
تَوَلَّى الْبُحْدَادَ مِنَ الْمَاءِ وَالْجَمْرِ
بِمَا سَرَّهُ فِي الْأَخْطَابِ وَالْأَسْتِ وَالشُّرِ
لَنْتَكُمُ بِالْمُسْتَحَقِّ مِنَ الشُّكْرِ
لَكُمْ آلُ أَيُّوبَ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ
وَأَمَّنْ أَرْكَانَ الثَّنِيَّةِ وَالْحُجْمِ
بِمَا طَالَ مَدَى مِنْ مَسَاةِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
غَدَا لِفَتْحِهِ يَشْتَقِي مِنَ شَمْسَةِ الْأَزْرِ
وَيَسْتَرَأْنُ الْكَلَّ يَتَلَوُّ عَلَى الْإِسْمِ

تَقَمُّهَا فِي ذِمَّةِ الْبَيْتِ وَالْمَصْرِ
وَمَلِكاً أَجْرَ الدَّهَانَةِ وَالزُّبُرِ
أَرَبِيٍّ بِهَا نِيلُ الْمَثْوَى وَالْأَجْمَرِ
وَلِيَّ سَنَوَاتٍ مِنْذُ تَبَتِ عَنِ الشَّصْرِ
مَصْرُفَةٌ بِالْهَبِيِّ مِنْكَ وَمَا لَمْ يَصْرِ
وَمُلَاقَاكُمْ لِي بِالطَّرِيقَةِ وَالْبَشْرِ (١)

وَمَا بَقِيَتْ فِي الشُّرَكَ إِلَّا بَقِيَّةُ
وَمَنْدُ تِلْكَ الْمَلِكِ آتِي مَهْنَةً
وَلَوْلَا اعْتِقَادِي أَنَّ مَدْحَهُ قَرِيبَةٌ
لِمَا قُلْتُ شِعْراً بِحَدِّ اعْطَاءِ خَاطِبِي
فَأَوْصِرْ بِي الْإِيَّامَ خَيْراً ۚ فَإِنَّهُمْ
وَجَائِزَتِي تَسْهِّلُ إِذْنِي عَلَيْكُمْ

وقال يمدح صلاح الدين أيضاً سنة ٦٦٦ هـ ويذكر غزوه للداروم بقعدة منها :

تَغَلَّمْتُ مِنْهُ أَنْ يَرْقُوا وَيُشْفِقُوا
جَهَاراً ۚ وَطَرَفَ الشُّرَكَ شَرِيحاً
يَغِيضُ إِنَاءَ الْبِرِّ مِنْهُ وَيَفْهَمُ
طَارِئاً مِنْ شَوْكِ الْقَنَالِ يَمْزِجُ
تَأَنُّوا عَلَى تَحْصِينِهَا وَتَأْنِيقُوا
بِهَادِرِهِ سُرُورَ عَلَيْهِمْ وَخُشُوعاً
يَمُرُّ بِهِ طَلِيفُ الْخِيَالِ غِيغِيلاً
تَلِيلاً ۚ فَأُبَشِّرُهُ أَنْتَ غَازٍ مَوْجِعاً
يَطُولُ بِهَا مِنْهُ إِلَيْكَ التَّشْيِيقُ
تَحَابُّبٌ عَلَى قَلْبِ الْهَدَى عَيْنِ تَشْفِيقِ
قَرِيباً ۚ وَالْأَرَادُ وَمَطْمَئِنِّ
فَمَا يَمْدُ مَبَابٍ مِنَ الشَّامِ مَلْمُوسِ (٢)

لَمَنْ بَنَى أَيُّوبُ أَنْ عَلِمُوا بِمَصْرٍ
غَزَا عَقْرَ دَارِ الْجُشُوكَيْنِ بِخُشُوعِ
رِزَارٍ عَلَى عَقْدَانِ بِأَرْعَافٍ
وَكَانَتْ عَلَى مَا شَاهَدَ النَّارُ قَبْلَكَ
وَمَا عَصَمَتْهُمْ مِنْكَ إِلَّا مَقَاقِلُ
بَلَيْتَ لَهُمْ سَوْرَةُ الْحَرْبِ مَا التَّقِيصُ
وَأَخْرَجَتْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ كُلَّ طَائِفَةٍ
أَفْغَتْ إِلَى أَجْرِ الْبَهَادِ زِيَّاسَاةَ الْمِ
وَدَهَجَتْ لِلْبَيْتِ الْقُدْرُ لَوْعَةً
تَفْشُرُ مِنْ مِلْقَاقِ أَعْلَمَ نَفْثَةٍ
وَفُتُوهُ هَذَا سَلَّمَ نَحْوُ فَتَحِ
عَوَالِيهِ ۚ أَنْ تَتَحَنَّنَ ۚ وَاللَّهُ فَاغْشِلْ

وقال يروي الدولة الفاطمية بقعدة أولها :

وَجَيْدُهُ بِمَدِّ حَلِيٍّ الْحَسَنِ بِالْمَطْمَئِنِّ

رَمَيْتَ يَا دَهْرُ كُنْتَ الْمَجْدُ بِالْمَلْمُوسِ

ومنها :

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْ تَصْرَتْ فِي عَذَابِي
عَلَيْهَا ۚ لَا عَلَى صَنِيعٍ وَالْجَمْعُ
فِيكُمْ قَرُوسِي ۚ وَلَا جَرَحِي بِمَنْدُ
فِي نَسْلِ آلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَمِي
مَلَكْتُ بَيْنَ حُكْمِ السَّبِيِّ وَالنَّفْسِ (٣)

يَا غَاذِلِي فِي دُنُوِّ إِيْنَاءٍ فَاطِمَةَ
بِاللَّهِ زُرْ سَاحَةَ الْقُصْرَيْنِ وَأَبْكَ مَعَمِي
وَتَلْ لَا تَنْلِهَا بِمِ وَاللَّهُ مَا التَّحْمِي
بِأَذَا تَرَى كَانَتْ الْإِفْرَنْجُ فَاغْلِي
هَلْ كَانَ فِي الْأَمْرِ شَيْءٌ غَيْرُ قَسْمَةِ مَسَا

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤١٢ وانظر الكتب المصرية ٢٦٩ - ٢٧١ والكمال ١١/ ٣٠٠

(٢) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤١١ (٣) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٥٢٠

وقال يمدح ^{بها} ملائكة بن رزك من قسيسه :

ولما تشكى الحوف حيفا على الهـ
نهدت الى الافرنج تزجي كتابهـ
فولوا وتد ابقت عليهم نفوسهم
واتبعتهم ركناً على كل سـ
جياناً اذا جردتها يسوم غـ

وكاد الهوى يسدو عليه غـ
تغلّ بها أفتاقهم وتغـ
سباسب حالت دونهم ورـ
اذا الريح كلفت لم يصبه كـ
فليس لها غير الوشيع ظـ (١)

وقال يمدح أمير الجيوش شاورا عند رجوعه من حصار بلبيس :

وتداركت بلبيس ملك عواطفـ
أقممت لولا حسن رأيك لا تخدي الناقـ
بلد لو أنهدمت قواعد سـ

بيج المزمعان وأسله غفرانـ
ورشي بلبيس وهو اذا انهمـ
بيد النصاري لم يند بثباتها ١٠٠٠ الخ (٢)

(١) النكت المصرية ص ٣٠٧

(٢) النكت المصرية ص ٣٦٩

قال يمدح صالح الدين عند وصوله إلى دمشق وملكها سنة ٥٧٠ بتصيدة أولها :

فكن لأنك فاعدا النصر مرتبها

تد بجاءك السند والتوفيق وأصلحها

ونظمها :

لله أنت صالح الدين من أسس
رأيت جلت قنرا لا دليل لـ
نادى به بالذل أما قل لنا عروها
أحييت مثل ما أحييت مصر فـ
هذا الذي نصر الإسلام نأتجست
يوم هاوره واليمان تد هـ
أبت لنا لنجم نصرته ويسـ
يستدير المدح يتلى في بكاره
يوم ديا طوالا سكندرية تـ
والشام أو لم يداراه أهله أندرسـ

ونظمها :

هو الجواد ولكن لا يقال كبـ
وهو المزين ولكن لا يقال طفـ
فانت أسكندر الدنيا ووارثـ

أدنى غرضته الأيام أن ونـ
فجئتكم عامراً منها الذي غـ
وأزمن الخلق من أوطانها غـ
أعدت من عدلها ما كان تد هـ
سبيله هـ وأحان الكثر والمـ
بيوته هـ كان فيه البهـ
غزالة هـ وفؤاد نظام وجـ
زهدا ويستصغر الدنيا إذا وـ
أسارهم مثلاً في الأوسـ
آثاره وعت آياته خـ

وهو الحسام ولكن لا يقال نبـ
وهو الفارام ولكن لا يقال شـ
فانت بلوك خراسان ودرج حـ (١)

(١) الخريدة قسم الشام ٢٤١ / ١ هـ الروشتين ج ١ ق ٢ ص ٦٠٦
وعقد الجمان ج ١١ ق ٣ ورقه ٥٧٠

قال يحدح صاحب بصرى بتعديدة أولها :

خال الصريم لواصفهسي آرامه
وغزاله لثيم بيتفامه

ونشأ في الصدح :

أمد ولكن من برائن كفه
لو لم يكن أحد الضراغم لم يكن
سائل به يوم الظليل فأنسه
ان جاءه جيش الترنج منكم
وغدا يحدث في النجاص كفرهم
ولمبارض التدمر فيهم جوتهم
كم يحفل للشرك دم بصره
فيثور شمس الدين قد كسفت من السم
قال ليث في سريره والشيبت ييب
ماء الناي والمنى في كفه
حاز الباخسر والنهي في مهده
لأريحية والندی في عذابه
وتبرز عظميه البدائع هسزة
يخنك في المام الجديب بجوده
كرم غدا هذا الزمان لك لذي

بيش الطبا والسر من آجامه
كسر الكماة الشومر من الهامه
يوم تجلى عنه من أيا صمه
غسل اليه فحل عقد نظامه
بالبار والسطوات عن سانه
سلبت ملكهم لذيد سانه
فاحل صدر الرمح صدر همامه
كفر الترنج عاكفات ظلامه
من بنائه والكبد رعت لثامه
ببار وغور الطرم من أقالمه
وسدا الى العليا قبل غلامه
فعل يقصر عن فعل مرامه
كنواسل الزمان يوم زحامه
عن جيش أبصره وجود غمامه
أمل يروض به نخوس كرامه (١)

أنشد الملك الناصر صلاح الدين قصيدة فيها :

سِرْتُ فَقَتَى هَذَا الْمَلِكُ مِنْكُمْ
وَبَرَحَ بِالْبُورِ جَنَابُ قِسْمِكُمْ
فَلَا تَقْبَلْ لَهُمْ مَا عَمَتْ عَنْكُمْ
هَمَّ حَمْدُوا عَلَيْكُمْ بِكُمْ سِلْ وَادِ
وَبَيْتًا فَذُ طَانَتْ عَلَى أَصْبَحِ تَرَارِ
بَارِعِنَ مَثَلِ رَعْنِ الْمَلُودِ مَجْمُورِ
نَحِينِ مَوْفِ تَرْغِيهِ الْبَيْضِ عَنْكُمْ
تَكَرَّرَ عَلَى الْمَقُورِ بِهِ أَسْمُورِ
كَانَ نَارَ تَمَلُّلَةٍ عَلَيْهِمْ
فَلَمَّا أَتَدَمُوا لِلطَّمْعِ وَلَسَّوْا
ذَلَّغَتْ أَيْهَا الْمَلْفَرِ بِالْأَعْيَادِ
وَكَانُوا كَالْحَدِيدِ نَحِينِ أَسْمُورِ
أَسَاهُوا بِالْمَزِيحِ مَسْتَحِينِ وَلَسَّوْا
فِدَاةَ هَزْجِهِمْ فَلَمَّوْا وَقَالَسَّوْا

ومنها :

وَمَا نَمَحَتْ تَنُورُ الْبُشَى إِلَّا
فَأَوْجَهَكُمْ كَوَاكِبُهَا رَارِ
صَحْبُهَا بِأَمْوَاسِ كُنْ تَنْسُورِ
أَلْزَمَتْ عَنْهُ عَادِيَةِ الْأَعْيَادِ
وَعَلِمَتْ فَالْعَذَابُ بِكُمْ نَسْمُورِ
مِشْكِرَ تَنْجِيكُمْ عَنْهُ رَجْمُورِ

تَوَاضَعُ ، لِلرُّوسِ بِهَا أَنْتَضِيبُ
لَهُمْ عَنْ نَمِرَةِ الدِّينِ أَجْتَنُوبُ
وَأَنْ خَضَعُوا لَدَيْكَ وَأَنْ أُنَابِيبُ
عَنَابِ ، بِالْمُتَأَذِّلِ لَهَا أَتَضِيبُ
صَالِحِ الدِّينِ ، عَابِدُهُ الْجَمُوبُ
فَتَقِيقُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ الرَّحْمُوبُ
أَنْ زَارَتْ ضَرَاغُهُ الْفَضْلُوبُ
عَلَيْهَا الْقَنَا الْخَطِيئُ غَسْبُوبُ
أَنْ بَالَعَتْ شُجُورَهُمْ غَيْبُوبُ
وَلَمَّا أَيْقَنُوا بِالنَّبِيحِ غَابُوبُ
وَقَلَّلَ مِنْهُمْ ظَفَرُ وَنَسْمُوبُ
صَالِحِ الدِّينِ ، نَارَ حَطَاكَ ذَابُوبُ
وَلَوْ وَقَفُوا الْفِدَاةَ لَمَّا أُنَابِيبُ
غَنِمَتْنَا السَّاعَةَ وَالْإِيمُوبُ

وَمِنْهَا مِنْ مَنَاسِكُمْ رَشْمُوبُ
وَأَيْدِيكُمْ مَشَارِبُهَا الْمَسْمُوبُ
بَذَلًا لَا يَقُلْ لَهُ ذَيْبُوبُ
كَمَا نَارَتْ مِنَ الرِّيحِ الذَّيْبُوبُ
وَسَلِمَتْ فَالْخَيْمُ بِكُمْ مَسْمُوبُ
لَهُمْ فَيَكُنْ دَعَا مُسْتَجَسْمُوبُ (١)

وأنشد في مجلده السلطان صلاح الدين يحرره على الوحدة والجهاد ضد الأعداء سنة ٥٢١ هـ بقصيدة طويلة أولها :

لَا يَقْدِرُكَ مَا حَلَّوْا وَمَا عَقَبُوا
كَمْ يَخْدَعُونَ بِرُوقَا مَا بِهَا مَلَمُوبُ
وَالْقَوْمُ قَدْ قَسَدُوا عَمَّا نَهَضَتْ بِسْمُوبُ
فَلَا تَبَابُ الْمَسَالِي فَوْتَهُمْ جَمْسُوبُ

(١) الخريدة ، قسم شعراء الشام ٤٢٦/١

هَمُّ الذَّخَابِ ، وَأَنْتَ الضَّيْمُ الْأَسْمُوبُ
وَيَتَسَفَّوْنَ رَعْدًا مَا بِهَا بِسْمُوبُ
مِنَ الْمَدَادِ ، فَتَلَامُوا وَلَا تَمْسُوبُ
وَلَا طَرِيقُ الْأُمَانِي نَحْوَهُمْ جَمْسُوبُ

أياك ترقد عنهم مثل ما رقصتم
 من قبل سيفك قد أودى به السهم
 يشبهها القاتلن : الخوف والمهم
 حيران فيه ، وفي أرائهم أود
 ضلل الرأي لا يقناده رشهم
 أم كيف ينطق أمرا وهو مقسم
 أسدا عرائنها الاقدام والعصم
 ثغرى الروم ، ولا ذقت ثنا لمهم
 ومن نحاك بجمع صوت ينهم
 حزن له منه وجد فوق ما يجمع
 وفي عشاء الذي ألقته دمهم
 أضحى القنا وهو في لياهم تنهم
 نابوا غابوا وما نالوا الذي تنهم
 المشى ناعره والواحد النجم
 كأنه من ثبات في الوش أهم
 ولوا وما ريسوا ، ذلوا وما أهم
 بظاظر القرن ، والأثران تطهم
 نالت ما وعدوا ، حلت ما عظم
 منها حدود لها من دماهم
 ولو ترى القتل رأيا ما نجا أهم
 وإن أثرنا بط أوليت أو أهم
 شفا يحدث عنه الناس النجم
 بزائر : لجناة النج والنجم
 شلح ، وأواجه لها طش الزمهم
 على الكفاة غانه من دم زمهم
 تمس الرمان ولا يخص له همهم
 لم يبق من طشها غمر ولا شهم
 مبيتة من قناة شعثها دمهم
 من الاسنة شهب، كلها رهمهم
 تكاد قطرها وهي تنهمهم
 لا يبرء الجوا لا كلما رهمهم
 في الثابت وفي أقوالهم همهم
 ما أسد بمشة أسد كلما همهم
 لا يستشير ، وأما سيفه فهمهم
 عرو من ود عبا الكبر والهمهم
 إذا غاب المواضي لهم ، ينهمهم

أياك تتفل عنهم مثل ما غفلتم
 ماذا الكرى يا شلح الدين عمن أرق
 ولها ن ترمز نار في جوانحهم
 لا يستلين اهتداء فهو مرتبهم
 صخب السعي لا يعتاده ظفهم
 فكيف يرقع خوفا وهو مقسمهم
 لما رآك وقد أقبلت تقدمهم
 ألقى السلاج وما غلت ظفهم
 وراح من بعد ذاك الجمع منهم
 يطوى الخزون فيداويه وينهمهم
 وفي شبه الذي أغدته ظفهم
 وحول غزل لو أنهم تنهمهم
 شاموا لحاثوا ، وما حازوا الذي ظفهم
 لما دعوا أجبت القوم في لهمهم
 حتى إذا ما رأوا في الدرع ظفهم
 عدوا وما عطفوا ، ألوا وما ظفهم
 فرتهم لرتنا فاستلوا فرتهم
 بدعت ما شهبوا ، قطعت ما وعظمهم
 حقت عنهم دماء أو تراى جهمهم
 عشت من قتلهم يوم الوش فنجهم
 نهم عبيد ، إن لانوا وإن خنهم
 وشم أساءوا فاستنت النداء بهمهم
 أوسست فرتهم لهم لما ظفهم غرقهم
 حباية البيض ، وأبهر الحداد لهمهم
 إذا تلاحق من السابحات بهمهم
 عزمهم كالدين الحيار منتهمهم
 إذا نهضت إلى أرض العبد وبهمهم
 سمو عليه سما من عجا جهمهم
 سما نقع لشيطان العدو وبهمهم
 وفي دياجيه نار من حوارهمهم
 نار تشب على أيدي فلارهمهم
 شم اللواتيك في أفعالهم رشهمهم
 ما جن عتد جن كلما عزهمهم
 من كل أرو ، أما رجه تمهمهم
 في كل يوم يجازد لو ألم بهمهم
 شم يا أقام سيونا من عزائمهم

حلوا الجناء والمصالي غابها شمس
في أنفها شم في جيبها غيب
زفت إليه ينادي كلها غيب
وتد تحلل منها مسكل غيب
وتد عنا لك منها المحسن والبلد (١)

ولا تخف فالعوالي شوكتها شمس
وأخبط بعد المواضي كل شمس
نحن يكن بالمواضي خاطبا أبسدا
هل بسد جلق إلا أن ترى حليبا
وتد أتنا كما تختار طائفة

وقال يهني صلاح الدين بفتح حسن بيت الأحرار سنة ٥٢٥ هـ :

وسرت فكنت التمزني الوي
فأقعدت أعداء ولم تغش
وكل أبرئ مشري بما قد
فناداه حزب الله يا ناسر
غارضيت لما أن غضيت
من الخير ما قد غار غينا
غفقت بجهن النار بالأس والنس
إذا أبرقت فيه السوارم
ولم تهت للإيمان شمس
فأقعدت لما أن نهضت به
غلا دجى ليل العجاج
فوارسه بالنجم أوردته
وشهدته لما غفا فتشبه
تعيد دماء كل ما كان
نواجذ شر الهنري وقسم

حللت فكنت الالهي الصمد
وتحت بأهواء الدماء
تسودت شرب السيف والظمن
تسرت الهدى لما تخاذن
غضبت لدين أنت حقا
غيا يوسف النير الذي
وسلت لدى سلم وعلت
وتدت إلى الأعداء جيشا
نلم يبق للخلفيان شمس
فناهيا من جيش نهضت
حللت ذبالا في ذواب
وزرت بما لحسن الذي لو
قسمت به سلب السليب
هبت إليه هبة يوسف
ولفت بها قد فقه من

وقال سيف غارته على غزة سنة ٥٧١ هـ وعوده من ذلك النزول العزة بقيدة صليها :

وتوف بوانى على قبة الشمس

وقفت وأنشاء المطي نحى

وبها

نار عن نواحيها الرغا ودنا
ولا أجم إلا الذي ينبت
من الترك لا روم طغام ولا
عليها أسود بل أسودة
ففي كل سقط من جماجم

فتى ند فزا بالخيول والرجل
رماها بأسد مالهين
وطاف نواحيها ضعى بكتائب
رماهم بأنال السراحين
وطاحت على تلك الرمال

(١) الحزبة تسم شعراء الشام ٤١٢/١

(٢) الروضتين ١٢/٢

(٣) الحزبة تسم شعراء الشام ٤١٦/١ والروضتين ج ١ ق ٢ ص ٢٤٦

وقال يثمد مئة ، و يحرق من الدين على الزهاد بقيدة طويلة أولها :

حيث أن أعطاف القدود بيانهم

لما أنشئت قبيهاً على كتمانهم

وسد النزل والوصف يقول في علاج الدين :

وفتي إذا زحرت بحار نواله
فيث يكر من التلبى بصواعقه
بصوارم أجنانها قم السعدى
ثنية ذ هبة فلجيني
مخزلة بدم الفوارس مشرد
من كل لامة بليل قنانه
تلك السيوف المرفقات بكف
تصب إذا افترت كواكب بينه
مخزلة المخراب في يد ما
ملكه إذا جلوت مرائس ملكه
وإذا جحافل أثرت ساعته
من كل شهها العديد كأنها الام
وكتيبة كم قد كتبت لها الدليسى
وإذا ذوابله هززن رأيتهم
من كل جائلة بكل كريم
سحراء لا يثنى حيلاً عدده
وإذا عواطفه مزعن حسنة
من كل سلجة ألح بها الدليسى
جرداء تلح البروق إذا دنت
خيل هي السحبان في ديرانهم
فالشهب ما حملته في أوطانهم
كم قد تهنأ بها المناظر ظاهراً
مواثبات اللطمان ، فلا كبريت
طدت سباعهم بالهجم السعدى
هم رقت بك فأرتقت من السعدى
أقصمت ما ندد من أركان السعدى
فأفخر نلو روعت روية بهم
أو لو بها سبحت لسانهم
فأنه إلى فتح السواحل نهمة
وأما من الدين وأبن لدواصة
منحت لها الشيطان عند حياها

فرقت بحار الارض في شلجانهم
ماء الردى يجري على نيرانهم
لا ما كسادا القين من أجنانهم
يقتال يوم الروح في عيانهم
فالورد منتور على ريحانهم
كالنار لامة بليل دنانهم
أضى على الأيسام دن مدانهم
بكريمة كانت ردى أترانهم
عرب أطلع الروم عن أيدانهم
وسعت فريد النذل في قبانهم
لمدت يروق النسر في أحضانهم
وايح ما تبة على شمعانهم
كتبا يلوم النزم من عنوانهم
والبوت مشعل على غرسانهم
رأى الفتى رأسا على جثمانهم
الاروس نعر ثم لسانهم
ما دت يوم الروح من أرسانهم
حتى طواها النمرطي غنانهم
وشوت ما قد فات من لمانهم
لا بل هي السعدان في صانهم
والغلب ما نقلته في عدوانهم
والأشد سائلة على عيانهم
تلك المعتاق الجرد يوم طمانهم
أشطانهم تنوب عن أشطانهم
ربياً ، فكان الشمردون مكانهم
الابطا شيدت من أركانهم
خربت كنائسها على رعيانهم
خففت ما رفته من سليمانهم
قادمك الاعداء بعد جرانهم
ذلت لدواصها ملوك زمانهم
وسعت لها الأقران عند قرانها (١)

(١) الخريدة لحم شعراء الشام ج ١ ص ٤٠٦ والروثين ج ١ ص ٦٤٦

رأيت المارقين ومن يليهم
 اذا غنت صواهلهم وأبسى
 غراما طابت نارا فأبسى
 فأوسن لمن من عاداك ظلمسا
 ألمتني الهوم بأرض قمسا
 وما قد قت من قبري لتحيسا
 وقد هاجرت إنكارا لما قسا
 ولي دهر يراقبني فأرمسا
 وشمي تحرق الشجاد كبتسا
 علت في أوجها وحشيش حطسا

جميعا من عصى أو مجيب
 لها الخطي أخلاق الخسروب
 تنالها على جمر اللهيب
 كما وسعت رزق المستثيب
 بما فعلوا وأخذ لني كروب
 بقربك مهجة الميت الغريب
 رأيت من المثالب والميسروب
 يلحظ منك الحاظ الرقيب
 وشعبي وصف في اللسن الخطيب
 يجاذبها بأرومان المشيب (١)

قال يمدح نور الدين سنة ٥٦٤ وكان نور الدين قد أضحى أهل الشام من المطالبة بالنشيب:

عومت مصر بما فيها من النشيب
للاجرة ٤ جوزيت خيرا غير محتسب
فيما يشيب عليه خير مرتقب
خير من الفضة البيضاء والذهب
أصبحت تبتلع من مصر إلى حلب
لما تريد فهادر فجأة النشيب
حتى ينال بها العالي من الرتب
عليه فاقصد العالي من القرب
والخزم في المزم والأدراك في النشيب
من النجاسات والأشراك والنشيب
وفي القيامة تلقى حين منقلب (١)

لما سمحت لأهل الشام بالنشيب
وان بذلت لفتح القدم محتسبا
والاجر في ذلك عند الله مرتقب
والذكر يا خير بين الناس تكسبه
ولمست تمذر في ترك الجهاد وقبيل
وعاصب الوضد النجاشي مبتلي
ناحزم الناس من قوى عزيمته
وتد بلغت بحمد الله منزله
فالجند والجند مقربان في قسرين
وظهر المسجد الأقصى وعوزت به
عساك تنظر في الدنيا بحسن ثوبا

(١) الخريدة قسم شعراء الشام ١٧٧/١ ، الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٠٥

قال يمدح السالحي بن رزيق سنة ٥٥٤ بقصيدة مطلعها :

تخرج بالشكوى اذا غلب الصبر

ابنك لو ان نائبة تسمى

ونفسها :

ابادوا ، وان اجروا الى غاية جسر
ليوت اذا كروا ، غيوت اذا هـ
وان عرفت احدى الدنيا لهم فسروا
فان حاربوا ساءوا وان سالموا سـ

من القوم ان ابدوا العادوا ، وان عدوا
بحور اذا اجذوا ، بدور اذا هـ
اذا قيل هذا صائل الدهر اقدموا
تدلين الدنيا والاماني ابرهـ

ويا مسبح النظم ان منما هـ
صروف الردى عنهم ميثاق النـ
ولا دولة الا وانت لها ذـ
ولا سحر الا وانت له يسـ
به أنكسر الا مائمه وأنكسر النـ (١)

ايا كاشف النظم ان جن فيـ
حفظت شئور المسلمين ، وصانـ
لحلا ديرة الا وانت تقيمـ
ولا يقتل الا وانت له فسـ
فهنئت الايام منك بما السـ

قال ابن سعدان يمدح السلطان ويذكر ما فعله على عتقائهم ويهون عليه امر كسرهم
بقسيدة منها :

يا بنت تقي بؤكاف من الأسس
فأصبحت مرتعاً للخيل والإسس
بالنار أو شغل الشجر من الشمس
شوارق الأبرق تمحو رونق الأسس
كأن من البود عريان من النجس
أن يقرنوك بجزع خير مندس
دوت على أبعيه لذة النسل ؟ (١)

ترئت من عتقائهم كل نائس
ناحي النجس عليها وهي محس
قل للترنجيتا لخداني : ريدكس
ترقبونا من الثوار طالعس
كأنني ينوا سيهم يقدّمس
حسب البدن يا سناج الدين حسبهم
وهل يخاف لسان النحل ملحمس

قال يحدج عز الدين فرخشاه في القاهرة سنة ٥٧٦ :

فأعز نصران ناصر لا يشهد
حتى نعدت من خيفة تتسلسل
فأجابها فتح أغر منجسل (١)

أنت الذي جاهدت عن دين الهندي
وأزرت أرض الشرك أطراف القنصل
وبالمن لا غماد خلطت المدي

(١) الخريدة ٦ قسم شعراء مصر ٥٥/١

الامير نجم الدين محمود بن الحسن بن نبهان الحراقي

ونيل الأمانى الشر والفتنة البكر
 ومن ثنا بيتي الى آخر الدهر
 سوا أبي لا ينال على وتسمى
 قطعت بها يوم الرغى دأب الكشمير
 وخضعت سواد الليل وهو دم يجرى
 وجرعهم منه أبر من البسمة
 فاسمع بالشعواء منتهك السمير
 أنا ملها الأعلى سنقة الضمير
 بأعلى في الدين في السر والبرير
 وفي كل قلب منه بغير من الذمير
 غطوا الألى شيمة النسيمير
 لأفنت عيون العبد منها على أمير
 بأخسها تملو على الأديم الزمير
 ذوا الفيزت الشر والناقل الضمير
 وبذل الكلى على السنا عذر الذكر (١)

هنيئاً سلاح الدين بالفتح والنسيمير
 وما حُزرت فيها من غفار ومن عشمير
 صوت لها بالشرقية والقنصير
 وبات بها حبل الفاخر مناسير
 ملكت بها من السبع وهو مناسير
 وقد عرف الإفرنج بأسك في الوقير
 وظنوا بناء الحسن سونا لملكهم
 غطت قنيت منهم يد الغدر قطعت
 في الفتنة الغراء لا زلت قائمير
 وأبى في اتقى خراسان ذكرهمير
 غدا ترضيهم بعد هذا بذل طاعير
 فسر وأبى الاربع التي لو تركتهمير
 فيا آل أيوب عويت مناقير
 اذا قد أرباب الفغار فأنتمير
 وانت الذي أسبحت بالباء وواقتسمير

قال بعد السلطان بعد إغشاع ملك الأرمن ابن لاون سنة ٥٧٦ بتسيدة منها :

يا وغي ملك، وفي هجـ
في المها لانحات القـ
فانحى به شبرا عزـ
حذارا من الراحـ
ت وليس له بحالكم يـ
وغادر للهدم تلك المـ
ة يخال إلتاقـ
فتوقفا من الأرتقي المـ

لقد جدل الله ملك السـ
تمش إلى نجات السيـ
أزرت أبـ من لاون لاءـ
ودان من الذل لا يرعـ
ثلا قدم عنده للثـ
وأخلى اليكم فـ
وأرسل بالأمراء الحـ
وتقتت بمنزلة والكرـ

قال يصف نزول الفرنج على مصر ، ويذكر شمرا الذين ثوران شاه بن أيوب وآل أيوب :

على كل نهد لين المنق يحبب
 نهم بين مطلول الدماء ومطلسوب
 صليبا ولا عجا لهم غير مسلسوب
 بهم حنقا غيهم صدور الانا بيسوب
 يوم طريقا بينهم غير ملحسوب
 جريح بأنياب النوايب منكسوب
 ويرى بتبديل وشيك وتثليسوب
 وتصعيد آراء كفته وتصويسوب
 حوا بيضة الاسلام أو غي محارب (١)

ولما دعوا من مصر لبثوا دعاء نسا
 فأروى كفاة الروم شدة بحاشهم
 فلمست ترى في عصبة الشرك حاملا
 وحسبهم ذاك الطعان الذي غدت
 وظل عميد الروم من حذر المروى
 ونكب عن مصر وولى بمنكسوب
 وقد كاد دين الله يخفت نسوره
 فحسنتوه بالامتنوا لظلمسي
 فلمست ترى الا محارب في وغسي

فكانوا يقولوا بالحشد جهنم
وهم في قولهم إنا نذق
ألا يا سيل مخجل كل سبي
ويا غيث البلاد إذا تشمس
تركت بني الزمان فلم أسلمهم

وما تخش الأ سود من النبي
صلاح الدين أكذب من حجب
تظل المحجرات لمواحي
وضن الخيث في شهري تم
ولم أر أهله أهل أمداح ١٠٠٠ الخ (١)

وقال يمدح صلاح الدين بقصيدة مطلعها :

أعلمت بمدك وقتي بالاجبر

ورضى ظولك عن دموعي المهي

ومنها :

جمع الجيوش فشتت شمل عدائهم
لهيئته عن نصره خائفاه
بجحافل مثل السيول تدافع
من تبيع فلكم أرجت لهيئته
المرضى إذا تمزق ماضيه
والفارين الهام يبرق بينهم
توم إذا يقن الصريح تبساده
لا ينزول الروم بعد ديارهم
لو أن مثل البشر سبعة أبحر
كم وثقة لك في الوفي محمده
والطير من ثقة بأكل مشبهه
والناس بمدك في المكارم والسلس

(م)

ما غرق الإعداء مثل تجميد
عظم العدو ولا يهاد الموض
وإذا السيول تدافعت لم تد
نها لطيب شذى لها مقصود
والقيلين إذا دعوا في مش
والخارقين بضاعة سادات الأ
نحو الحمام بكل أب
ان الخليج لديك أقرب مش
من دونهم جازدتهم لم تض
أبدًا وكم جود حميد الموت
تبعت جيوشك فوق غاب مش
رجلن : إما حارق أو مدعي ١٠٠ الخ (٢)

وقال يمدح طلائع بن رزيق سنة ٥٦٥ هـ بقصيدة مطلعها :

أما كفاه ثلاثي في ثلاثيك

ولمت تنقم لإفرط حبيك

ثم يقول :

يا كاشف الفجة الكبرى وقد نزلت
برزت سبقا فما دانك في أم
أرت مساعيك سبل المجد بجاهلهم
يخافك الملك ناء عنك منزله
يشكو اليك بنو الآمال فقرهم

يشمير شمل الملا لولا ثلاثيك
خلو، تدبما ولا خلق يدانيك
فلو سمى كان أيضا من مساعيك
ويقر المرء عن بسدر ليرجوك
فيثنون ويبت المال يشكوك

(١) ديوانه ص ٥٩ - ٦٩ وانظر الروضتين ١٠/١٦ وضممار الحقائق ٢٤٠

(٢) ديوانه ص ٣١ هـ ضممار الحقائق ٢٤٠

سيقضيكم يشرب عند أهون
 ملك بهيد من الأذن ذو كلف
 فالسمر ما أصبحت والشمس ما أفلت
 كم قد تجلت بنور الدين من ظلم
 وبلدة ما ترى فيها سوى بطمس
 قل للمولين كقوا الطرف من جبين
 والميت السهل تبخون الدجاة ولو
 أسلمتوه فوالتهم فسلكتهم
 بصارعين ولم تنل كنانك
 ولا طرقتهم بويل النبل طارقتهم
 فقام فردا وقد دلت جحافلهم
 في مشهد لو ليوث الفيل تشبههم
 وحيد المدن وحده ثبت الجنان وقد
 يسود عنهم هويدا غير مكسرت
 يزاد قدما اليهم من تيقنهم
 ما كان أترهم من أسر أبعدكم
 ثباته في سدور الخيل أنفذكم
 ما كل حين تصاب الأسد غافلهم
 والله عونك فيما أنت مزعمهم
 كم قد ملك لهم ملكا بلا عسوف
 وكم سقيت الحوالي من طلى ملسمك
 وأسر من وريد النحر منورده
 حصيد سيفك تد أغنيته زمزمهم
 لا أكتبت سبهم الاقدار عن فمهم

٣٩٥
 البيض كالبيض والأدراع كالحل
 بالصدق في التول والإخاء في النمل
 والسيف ما غل والأطواد لم تسزل
 للظلم وأنجاب للأضلال من ظلم
 غزا فأضحت وما فيها سوى ظلم
 عند اللقاء وغصوا الطرف من غم
 لذتم بملككم لذتم الى جبين
 بثقة لو بناها الطود لم ينزل
 والسمر لم يتدل والبيض لم تسدل
 ولا تصاقت الأسياق في القل
 فكان من نفسه في جحفل زجس
 خرت لأذقانها من شدة الوهم
 طارت قلوب على بند من الوجس
 بهم وقد كرتهم غير محتشم
 أن التأخر لا يحيي من الاجس
 لو أنهم لم يكونوا منه في شمس
 لا تحمبوا وثبات الضم الذلس
 ولا يصيب شديد البطش ذو الشلس
 كما أعانك في أيامك الأول
 وحزت من بلد منها بلا بسمل
 وكم دريت العواني من قرا بطمس
 وأبدل أكله من لحم منجس
 لو لم يطل عهده بالسيف لم يحلس
 ولا ثقت يدك الايام عن أمس (١)

قال يحدع سلاح الدين بقسيدة طويلة أولها :

والى متى تنهى علي وتستعجب

حتم أرض في هواك وتشتعجب

ومنها :

فأطاح ، وهو الخالق المقتضب
ثاليه أغدق الفضائل تجلسب
الزلمات ، تراب من بناء وتشتعجب
في الله ترضى منذ كنت وتشتعجب
لتي الجنام ، وثاني يترقب
رض الضياء ، وأين منك المهرب
النسر فيها رائد لا يكسب
تأرجع يبرانه تلمسب
باسم الشليفة ثم بأسطه يخطب
تدبو اذا ذكر السليب غتطسب
علق ولا ثاوه رد ير يشسب
بالسيف من بسواه لا يتهمسب
منهم ثرب بجريمة لا توهسب (١)

ذلت أخلاق الزمان لأدلسب
وأتمت سوقاً للمدائح برحسب
ونهبست لأدسكتم نهضة صسادق
ونهبست للدين الحنيف ولم تسب
فأدرت أذل البشر بين مجنسب
أو نارب ضاقت عليهم حبسبها
فأصبح يأنذ الروم منك بفسبارة
وأرم الكنائس من سطاك بمسب
وأرفع بها للمسلمين منابسب
وأخرج بحق على الفادح مسب
لا تفر زنا را يشد بها علسب
وأحد لحرب المشركين مهبسب
لا تمفون اذا ظفرت بمجسب

وقال يحدع سلاح الدين ويذكر دزيمة النور سنة ٥٧٠ :

يشبع منها النسر والسرب
وزرعهم بالسيف مخصسب
في نسر دين الله مجسب
في الأسر مكبول ومشسب
بالنسر في الأعداء مشسب
بمثلها والفخر مخصسب (٢)

فأصبحت بالندو أشادوسب
جيوشهم بالرب مفلولسب
جهاد بن لم يبق يولسب
ومن ثبناه الردى منهمسب
فأبشر بنسر عاجل يومسب
وأتمت لها عذراء بيت الدلسب

(١) مطبوع الحقائق ر ١٩٢٢ - ١٩٤٤

(٢) ديوانه ص ١١١

(٣) حذف من الديوان خمستا بيان وقد تضمنه المحقق ذلك

وقال يحدّثه أيضا :

يُخلّصني الأعادي كل كريم
يزجي لهم سحب الحطام رعوده
فزمانهم بالرب منه ليل
قال يحدّث صلاح الدين سنة ٥٧٥ بقسيدة أوله :

إن كان دينك في الصباغة ديني

ثم قال بعد تمام الفزل :

ليت الضنين على المحبّ بوصلي
ملك إذا علقت يدك بما
قاد الجياد معاقلا وإن اتفقت
سهرت جفون عداه خيفة ما
لو أنّ لليت الهزير سلاها
أصحت دمه وتد حلت بجود
لك علة في قدرة وتواضع
وأرتنا بجعل عندك مما روى
وضعت أن تحيي لنا أيامهم

لله ما اشتعلت عليه قبابهم
من كل تائهة على أترابهم
خود ترى قمر السطأ إذا بسدت
غادين ما لمعت بروق ثغورهم
كاد الأعادي أن يسيبك كيدهم
تخفي عداوتها وراء بشاشتهم
دفنت حبايل مكرها فرددتهم
وخلعت ما أخفوا كأن قلوبهم
كمنوا ركم لك من كمين سماد
فهبوت نجوم صودهم وتضى لهم

يشوى الوجوه حريقها المتضر
زجل الكماة و صوب عارضها السدم
ليلاه أو يوم عبوس أي

فقف الهلي برماتي يبرم

لئن السماحة من صانع الدي
علقت بجبل في الحفاظ
بمحاقل من رأيه وحصون
خاقت صوارمه بنجر جفون
يلجأ إلى غاب له وترين
ماوى الداريد وموئل المسكين
في عزه وشراسة في
راوون عن أمهات وترون
بالكرط فكنث شير

يوم النوى من لؤلؤ كنهم
بالحسن غانية عن الشمس
ما بين سالفه وبين جبين
إلا استملت بالدموع جفون

لو لم تكدك برأيها المأفون
تشتت عن نظر لها مشفون
تدوي بفيظ صدرها المدفون
أخضت إليك بمرها المخزون
في النيب يظهر من وراء كمين
بالنحر طائر جندك الميمون (١)

غدا يبرقها شوم وخمس لان
ملكته وملوك الارض خمسون
من ان يضام ويلقي وهو حسيبان
فالكثر في سنة والنصر يقظ حسان
معبود دونه رب النور سلب حسان
يطوى لأجر صالح الدين ديوان (١)

يا قبح أوجه عباد التليب وقبيل
خزنت عند إله النور سائر مسا
فالله يقيقك للإسلام تحرس مساه
وسنة سنة أكرم بها سنسنة
يا جامعاً كلمة الإيمان تامع مسمن
إذا طوى الله ديوان العباد فمسا

وكتب الى محين الدين اثر لدا لقي الفرنج في أرض مصر سنة ٥٤٤ قسيدة يتولى فيها :

كل يوم غنى مبين ونسب
عذر الفتى فيك أنت مسكين السجين
أنت سيف الإسلام عقلاً فـ لا كـ
بـك زاد الإسلام سيفه المشـمـم
لم تزل تضر الجهاد مسـمـم
كل ذر الملوكة يغنى وذـمـم
للندى طالع الذهبان وما
عم أدنى الشام عدلـك
وكتب ردا على قسيدة طلاق بن رزيق التي مطلـسها :

أبي الله إلا ان يبدى لنا الدهـم
قسيدة أشار بها عليه نور الدين وهي :
أبي الله إلا أن يكون لنا الامـم
وتخذ منا الأيام فيما نرومـم
وتخضع أعناق الملوك لمزمنـم
بحيث حللنا الأمن من كل حـمـم
بظافتنا للناهب طوقنا الأثـم
.....
وما في ملوكنا المسلمين بجاهـم
بجملنا الجهاد هـمنا وأشتتنا لنـم
دما العدا أسهى من الراج عندنا
نوا علمهم وصل الحبيب ونم عـمـم
وثير حشايانا الصبر ، وتمننا السـم
تري الارض مثل الأفق ، وهي نجومـم
وتم الملوك البيـم والسمر كالد مـم
سوارمنا حذر المضارب مـم
نسير الى الأعداء والطير فوقنـم
نبأ مريدوب الصغر من حزنـم
وجيش اذا لاقى العدو وثقتهمـم
تري كل شهم في الوشى مثل سهمـم
هم الاسد من بين السوارم والقنـم
يروون لهم في القتل شلدا فكيف بالقـم

ويخذ منا في ملكنا الصر والنـم
لتحيا بنا الدنيا ، ويغتر المصـم
ويشقاد طوعاً في أرتقنا الدـم
ويرهبها منا على بعدنا الذكـم
وفي سائر الآفاق من بأسنا ذـم
لنا ، فما يفتن لنا غيـم
.....
موانا ، فما يثنيه عرو ولا قـم
ولم يلهمنا منه السماع ولا الخمـم
ورق المواضي فيهم الناي والوتـم
زيارتهم ينخطقنا بها السيـم
روح ، ومنسوب الخيام لنا قـم
وإن حصدتها عزها الأنجم المزـم
ونحننا البيـم السوارم والسـم
تواثمها من جودنا نضرة شمـم
لها القوت من أعدائنا ، ولنا النـم
واحتل له بالما ينبجس الصـم
أسود الشرى عنت لها الأدم والسـم
نفوذ ، فما يثنيه خوف ولا كـم
لهم في الوشى الناب الصديدة والثـم
لقوم قبلهم عند شم عـم

فطعنهم شزر ، وشربهم دبس
 غما غدحم يوما لإنسانا كفس
 وسألهم إكرامهم والندى الفس
 وذل لنا من بعد عزة الكفس
 تحف بما لفرسان والمكر المفس
 بقاء لمن أخنت عليه النلبا البفس
 وإن لم يكن خير لدبهم ولا بفس
 وقد قتلت فرسانه فهم جفس
 إلى اليوم فيه من دماهم غفس
 فمن تربه يوم المحاد لهم ففس
 ليخشي من الايام نائمة ففس
 بطان ، وكمنظن به يهلك النفس
 ولم يبت ، بل يستباح ولا شفس
 وفي بقل ما تد ناله يحرز الأفس
 كسرناه إهليل يربى ولا جفس
 له النذر دمن فإبه عن النفس
 فلم ينجبه بر ، ولم يحمه بفس
 بأنجيله بين الأنام له عفس
 بذمه النفر الخسيسة والمكفس
 تعاد إلينا ، ودنى من دمهم شفس
 وما المعجز إلا ما أتى الهائل الشفس
 ولم يمتنه عن جهله الذي والزفس
 وبأن له من بأسنا البؤر والشفس
 وفي سمه من وثق أسياغنا وقفس
 غشطر له قتل ، وشطار له أسفس
 ولو دار في أغت السماء بما لنفس
 له في دياج ، ما ليلتها ففس
 ويثلى بأذن الله في المضخرة الذكفس
 فلم يبق منها في مالكهم شفس
 بغاشها : بيض ، مزارها حفس
 ورمناه ، ذل الصبب واستهل الوفس
 ووقع المذاكي المرعد والبر ، والقفس
 باد ، فاز خوف عليهم ولا قفس
 حياتنا ، وسنى ملكها لهم الشفس
 وملكنا أبقارها النكة البكفس
 وقد عزت عنه الاكامرة النفس

إذا نسبوا كانوا جميعاً بسني أب
 يظنون أن أكثر عتيان أدنسنا
 لنا منهم أقدامهم جفسم وولاوهم
 بنا أيد الأسانم ، وأزداد عفسزة
 قتلنا البربر ، حين سار بجهلهم
 ولم يبق إلا من أسرنا ، وكيف بالفس
 وفي سجننا ابن الفخر خير ملوكهم
 أسرناه من حصن المرومة وأغفس
 رسل عنهم الوادي بأقلية إنفس
 دم أنتشروا فيه لردت وعيلنفس
 ونحن أسرنا الدوسلين ، ولم يكفس
 وتان يظن النمر أنا نبينفس
 فلما استبحنا ملكه وبفسنا
 كحلناه ، نبخي الأجر في فعلنا بفس
 ونحن كسرنا البشدين وما لمفس
 له اللعين الحائن الحائن السفس
 وقد شافت الدنيا عليه برحبهم
 أفي غدرة بالخيال بعد يدينفس
 دنته إلى نكت الهمدين وففس
 وقد كان لون الهمدين شتى فأصبحت
 توهم شبرا حلينا وأنا تنفس
 فلما تطادى غية وغنا لفس
 وسرنا إليه حين شاب لنا نفس
 نولي يباري عافرات سنا منفس
 وشاق لنا فرسانه وسنا تنفس
 بما تنشئ عنه أغت عيلنفس
 إلى أن يزور الجوسلين بما تنفس
 ونرجع القدر الجطر منهم
 كأفسنا في أرض من حان منفس
 إذا استنقلت شم الحصون فعند نفس
 وإن بلد عز الملوك مرافس
 وأضحى دلي النسيان وللظفس
 بنا أستر جبال الله البلاد وأفسمن
 فتحنا الرها حين استباح عدائفس
 جعلنا طلي ، الفرسان أغماد بيضنا
 ونحن فتحنا تل باشر بعد هفس

إليها ، وممراتهم إلى بابنا شهر
ولا كل ساع يحتجب له الأُمم
غلبت حجة عنا الرجال ولا الجُمم
لنا السُد ، لكن الرصاص له قطم
وفيها لها والساكنين بها حصم
لنا ، وذراعا للذئوق به وكسم
لنا والنسر يقده الصبم
لنا دقة من دونها الفخم والغشم
لنا واستحال السر وهو لنا يسم
وفي سمن سائقين لمملكة قصم
لمتنح ، لو لم يسهل له التسم
ومزروعات لا يحيط بها الخشم
ولم يبد في إقتارها لهم أشم
وأما ذكهم ، فانزاع عنهم بها التشم
وتد منهم من غدها البوم والشم
عليها ، وعمر من بعده عمم
كما نالنا من ردها الأجر والمشم
فأبهم سرورا بمشجروا لششم
تكدر تحاها لا يرونها عشم
وعزهم سر ، ووتحاتنا جشم
روا وسر أعادهم بأسياننا نشم
هداياهم ، والبتر يرهقها البشم
.....
تعدونه من فلكم ، بل كذا الفخر (١)

أنى ساكنوها بالمفاتيح طاعسة
وما كل ملك قادر ذو منها بسة
وثل عزاز ، سبحة جيوشنم
ولنا إلى بين الرصاص وأنسم
وأضحت لإنطاكية حاتم شجسم
وعصم كثر لانا وهاب تدانيمم
وفي حصن بأسوطا وقورس ذلت الصاب
وفامية وإبارة استنفذ ششم
وحصن سترقود وأتب سشم
وفي تل غدار ، وفي تل غالمسم
وما مثل راوندان حصن وأنسم
وكم مثل هذا من قلاع ومن قسرى
فلما استعدناها من الفخر عسوة
رددنا على أهل الشام راعهم
وجاءتهم من بعد ياروغا قسوة
وبر عليها الدبر ، والكفر حاكمم
فنا لهم من عودها الخير والمشم
ونحن وشعنا الكس من كل بلمسم
وأصبحت الأفاق من عد لنا حسم
فكيف تصامينا الملوك إلى الصسم
وان وعدوا بالنزو نلما ، فشم
سنلقى السدا عنهم ببشر عقالهم
.....
فقل لملوك الأرض : ما أالفخر في الذي

وكتب إلى صلاح الدين سنة ٥٧٦ :

لا زلت يا ملك الإسكندرية في نعم
تردى الأنادي وتمتني ما لكهم
فأنت إسكندر الدنيا ، بنورك تسم
أعدت للدهر أيام القباب وقسم
وجاد غيث نداءك المسلمين فسم
وسرت سيرة عدل في الأنام كسم
نفق بنصر على الفار أنهم

(١) ديوانه من ٦٠١ - ٦٠٦

تربتها السعدان : الشر والظشم
وعونه الناضيان : السيف والقسم
تضائل المظلمان : الظلم والنسم
أظلم المهرمان : الشيب والكسم
سحابه المغيثان : الدار والبسم
قضى به الصادقان : الشرح والمسم
يُرديهم المملكان : النذر والأشم

إليهم المزعجان : الخوف والعسر
من بأسمه المدركان : السر والبتسر
وجيشه المخبران : العين والأتسر
لسيفه العاصمان : الحصن والسيور
ما أستودع المخبران : القتب والعيور (١)

تأهّم إذ رأوا إقبال ملكهم
وما الفرار بجنحهم ، وخلفهم
وسوف يصفو غداً منهم بشارهم
ولو رقوا في ذرى شهبان أصلهم
تذى بتفخيله عن تقدّمهم

وتال فيه نصر بن الفضل :

وعيت البلاد بالسيف فأستصعب منها سهل ، وعزّذ ليسهل
وقسمت الفرنج بالنزول هائل
والذين لم يحن بسيفك من خسو
مثل الخوف بين عينيه جيش
فالزبن عنده جيوش وروح البصر
وإذا ما غص أقرّ به الضمير
فأبى للمسلمين كهفا ، ولزّفت
وكتب إليه الملك الصالح :

أيتها السائر المجدّ إلى السرى الشا
فرد عليه أسامة بقيدة محالها :

أين سمحي فما يتول الحسب ذول
وأنها :

يا أمير الجيوش ، يا أعبد الحكيم
أنت تفتني بالحق لسبب وإن
فيماذ اقتضيت ، يا سيّد الحكيم
من يملّ الحياة أم من عليه
لا ترعني بالمتعب ، فهو على تطم
لي رسوم ، منها بواصلة الكتف
يا أمير الجيوش ، يا أعبد الحكيم
أنت تفتني بالحق لسبب وإن
فيماذ اقتضيت ، يا سيّد الحكيم
من يملّ الحياة أم من عليه
لا ترعني بالمتعب ، فهو على تطم
لي رسوم ، منها بواصلة الكتف

(١) الشريدة تسم مشرّاء الشام ج ١ ص ٥٤٥ .

(٢) ديوانه ص ١٩١ .

(٣) ديوانه ص ١٤٠ وانظر الروشتين ج ١ ق ١ ص ٢٩٦ .

يا أشرف الوزراء أغشى وأكرمهم فمنا لا
 وأعزهم جساماً وأمنهم حساً وأجس لا
 فلذاك قد أغشى الأتقى م على كارهه عينا لا
 وغشى البلاد بميف عن أن تذل وأن تست لا
 وأحل بالافرنج نسبي يروني بحر نكس لا
 نبهت عينا طالما نبهته قدرا وحس لا
 وتعبته فالتقى مرنا ومجدا لن ينم لا
 لذك ذلك العتق سل في جوانبه اشت لا
 أسفا لجدد الحان الى صمائه وم لا
 أما السرايسا خمسين جن يتعد شفتها لا
 فلذاك عباد وثمود بك مقتلين نشا لا
 وصيرنا في كس تفتني منها الم لا
 فلذاك فذلك مثل لاني الدني سارا لا
 فأسلم لنا حتى نس لك لي بني الدنيا مش لا
 واشدد يدك بس ر الدين والقي بما لرج لا
 فهو الصافي عن د الشام جعنا أن يس لا
 وصهد أملاك الفرن وجهم حالا فم لا
 ملك يته الدبر والد يا بدواته أغش لا
 جين الخلال الد تر غلم يدع منهم لا
 فاذا بدا المن رأتهونهم الك لا
 ثبقتهم ين حق وللدنيا ج لا (١)

وبعت الى ممين الدين أنز من مصر قصيدة يبين له فيها الدسائس التي يحكوها ماسة دمشقي
 أولها :

ولوا ولما ربونا عد لهم ظلم فليتهم حكوا غينا بما ظلم لا
 ما تر يوما بتكرى ما يرب ولا سمعت بر إلى ما هاء لهم ق لا
 ولا أضعت لهم عهداً ولا أ ودائعهم في صدري الت لا
 فليت شعري هم استوجبت هجر ملوا غمدهم عن وصلي الم لا
 حفظت ما يتعوا ه أغضيت حين وغيت إذ غدروا ه واصلت إذ ع لا
 حُرمت ما كنت أرجو من ودا ما الرزق إلا الذي تجري بما ل لا
 محاسني ه منذ ملوني بأعينهم قدي ه وذكرى في آذانهم ص لا

وسد لو تيل لي ماذا تحب وسما
هم مجال الكرى من قلتي ، ومسين
تبدلوا بي ولا أبقي بهم بسكدا
يا راكم تطلع البيداء همتسه
بلغ أبيري مسين الدين ما لكسة
وقل له : أنت غير التراك فذلك
وأنت أعدل من يشكى إليه وليس
هل في القضية يا من قتل دولته
ينصني واجب حق بسد ما شمسدت

أكرت ثقاتي زالوا بسبهم
بأفوك باليهن يبنون النخى ولهم
والله ما نسحو لما امتشرتهم
كم حزنوا من صان في سفارته
أين الحجة والنفس الأبيسة إذ
هنا أنت حياء أو محاضلة

أسلمتنا وسيوف الهند منسدة
هنا جئنا ذنوبا لا يكثرهم
القيهم في يد الإفرنج متبهم
هم الأتادي ، وقاك الله شرهم
إذا نهضت إلى مجد توكلسه
وانعرتك من الأيام ناهية

ورد على تسيدة طلائع التي مطلعها :
ألا هكذا في الله تضي الزائهم
تسيدة :

لك الفضل من دون لوري والكارم
رمت العبد بالأسد في أجم القنا
بمثل أتي الميل ، ضاق بما القنا
يبارين شهاب القذاح يحلن مثلهم

(١)

ديوانك من زينة الدنيا لقلت هسم
قلبي محل الحق ، جاروا أو أحترموا
حسبي هم انصفوا في الحكم أو المصموا
والعيش تحجز عما تدرك الهسم
من نازح الدار ، لكن وده أسهم
حيا والدين والإقدام والكسم
شكية أنت فيها الخصم والحكم
وعدل سيرته بين الوري علسهم
بما لنصيحة والاشلاء والخسهم

حتى استوت عندك الأنوار واللمسم
لو أنهم عدواك ، الويل والهمسم
وكلهم ذو نوى في الرأي قهم
وكم سموا بنسابة ، ضل سنهم
سأوا ، مخطئة غصفي عارضا يسم
من ضل ما أنكرته الحرب والسهم

ولهم منان السم سري دم

عذرت ، فماذا جنى الأطفال والهمسم
رغم عدو يسطط الرحمن فسلمهم
وهم بزعمهم الإخوان والخسهم
تعاذوا ، فإذا شيدته عد مصموا
عكلهم الذي ييكيك مبسم (١) الخ

وتصني لدى الترب السيوف الصموا

فمن ساتم ، ما نال ذا الشر ساتم
على الجرد ، ثقاد الردى وسو راغم
وضاق على الأعداء منه المسم
من المعتك للباغي الرجيم رواجهم

(١) ديوانه من ١٤٦ ، الروحيتين ج ١ ق ١ ص ٢٨٦ الخريدة قسم شعراء الشام ج ١ ص ٥٣٤

سرايا كمن البحر ، في ليل عَشَسِير
تسير جيوش الطير فوق جيوشهم
فان غفسي الفرسان للظلمن في الوغى
تتروى منها فوق غرة عَسَسَارِ
فللتل سحبت والسيوف عَسَسَارِ
يواند منها الثوب ، لا النيث يرتجى
عليه لراج غير عفو ملجس
تنزعت عن اموال من أنت تاتسل
فشيء اروع تنقلها الذهبى
.....
يشن ابو الفارات غارات جوده
ويستبها شمت النواصي كأنهم
تلتظ بارزى المشركين كأنهم
لويح المدي من بأسها ، إنما سمري
لهم جزر للبيش ، والبيش كالدمسى
فزوتهم في أرضهم وبلادهم
فأنهيتهم قتلا وأسرأ بأسهم
فلما أبادتهم سيوفهم ، وأنجلست
فزوتهم في البحر حتى كأنما الأس
يفرسان بحر ، فوق دهم كأنهم
يسرقها فرسانها بأعساسة
إذا دعوونا قلت ، فرسان غسابة
يسوة ، أساطيل القرنى الهم
دماؤهم في البحر حمر سوائهم
لهم يفتك في نوح من الارض عسار
وطاد الأسارى مردفين ، وسفنتهم
وتد حذر المكان في الله ، طالبي
بجدة ، وهو العصب الحسام ، وحده
وقاما ينصر الدين ، والله قائمهم
وما دون أن يغنى القرنى وتفتح البي
ثيا ملكا ، قد أحمد الله سعيهم
فهم ثناء ، طبع الارض نشمره
تناء به يحدو الحداة وينشد ال
يسير من الركبان ، أنى تيمنوا

(١) الروضتين ص ٢٢٤

به من عواليهم نجوى نواجيسهم
لها كل يوم من عداها ولا عسهم
رباحهم انتقت عليها التشاءسهم
سحاب النيا غوته متراتسهم
ولدم ريد ، والنبات جما جسهم
أشائم ، لا يروى بها الدهر شائسهم
وليبر ، لعاير ، لم ينب منك عاصسهم
فقد جهلت بين الجيوش المتاسسهم
ومر الحوالي ، والبلاد مثائسهم
.....

على ماله ، ودوا المدين المسالسهم
ذئاب القاذ تردى عليها الشراغسهم
صواد الى ورد ، حوان ، حوائسهم
اليها ، ولم تفسر ، ردى وأداسهم
سبايا تهادى ، والبلاد صالسهم
وجعفلهم في أرضها متراحسهم
فناجيتهم مستسلم أو صالسهم
عن الارض منهم ظلمة ومظالسهم
الليل فيه موجه المتناطسهم
على الباء طير ملهين قسواد
جرت ، شيت لم توصل بمن الشكاسهم
" سرى بجياد ملهين قوائسهم
حمام ، وطير القرنى أشائسهم
ودناهم في البر سخم بجوائسهم
ولم ينح في لجج من الماء قائسهم
نقاد ، كما قاد المهارى المنزائسهم
رشاء ، بمن لم تمقه اللوائسهم
لعادية الاعداء والكفر حاسهم
بشردط ، ما دام للسيء تائسهم
لزد ، سوى أن يضرب العزم صمسهم
ونيت ، والله بالسر طالسهم
هو المصك ، لا ما مئنه اللطائسهم
رواة ، وتشدو في الغصون الصائسهم
على أنه في ساعة الشىء ناجم ... (١)

وله في صلاح الدين قسيده منها :

ومن ندى كنه ينغي عن الديس
هيجاء أغمدها في البيض والقمص
تراعه بشبا الهندية الحمص
رجاه من ملك صر كان في الحلص
بعد الطاعة من ياربون نصص
لولا فح البحر أضحى ألوص كالحمص
لمن أراد نزال الأسد في الأجص
ملك لديه الأسود القلب كالنصص (١)

الناسر الملك الموفى بذممه
ومن إذا جرد البيضة الصوارم فسي
ومن حوى الملك من بعد الطاعة في أنص
ورث طانية الإفريق يحصب مص
ولى وراحته صفر وقد ملص
يتخذون على طائهم نفس مص
وفي السطة ، لولا جهلهم ، ظفر
وهم أسود الشرى ، لكن أن لهم مص

وكتب الى ابن عمه الأمير ناصر الدين تاج الدولة ابي عبد الله محمد بن سلطان بن علي بن علسد
يحثه على تشجيع أخيه من أسير الفرنج ، يقول :

ينغي ندى كنه عن وابل الديس
لا كدر الله ط أولاه من نصص
حول تبرم ، في الإطس والالص
يا خير من علقته كنه نصص
في ويرجوه للجلل ذو الرصص
فكيف تسطو عليه كنه نصص ؟ (٢)

يا ناصر الدين ، يا ابن الأكرمين ومسن
تولى البهل بلا من تكسره
هذا ابن عطاء في أسير الفرنج لسه
يدعوه لا بل أنا الداعي نذاك لسه
وأنت أكرم من تشيه ط طقة القصر
ومن تكن أنت مولاه وناسره

وقال يمدح صلاح الدين بقسيده مطلقها :

وتروحي لثوة وطمص

لهفي لشحن شبيبي وزطص

ومنها :

عنه الملوك ومظهر الأيمص
وأنل حذب الكفر والطمص
سلطان بالالإحاد والسيص
في الملك بل طاعة الرحمص
بالسيف ما رقصوا من السليص
مل الحكم غلبة ثائر حصص
نجى الفرار بدلة وهيص
هرمت وراء خواتم الخصص
ومبارز وتنازل الأثص
عشب ، ويسدر وهو أخمر ثص

يا ناصر الإسلام حين تغاذ لست
بك قد أضر الله حذب جنص
لما رأيت الناس قد أغواهم الشيص
جردت سيفك في السدى ولا رغيص
فخرتهم شرب الشرائب وآمص
وغضبت لله الذي أعد مص
فقتلت من صدر الوفى ، ووصت مص
وبذلت أموال الخزائن بعد مص
في جنم كل مجاهد ومجالص
من كل من يرد الحروب بأبيص

(٢) ديوانه ١٤٩

(١) الروضتين ج ١ ق ٦ ص ٣٩٥

قال يمدح بعض ذرية صالح الدين :

طليح من القوم الذين رباهمهم
ثم نسروا التوحيد نسرا مستورا
وهم قهرروا قلب الفرنج بآسهم
وردوا الى البيت المقدس ثوبهم
وهم سئلوا سبل الحبيب وأمنسوا
وتدركت نرسانه بحر أيلسهم
وهم رجعوا سيرا الى دعوة الهيمس
وهم شهدوا ركن الخلافة بالسلمس
وهم شرفوا تدر المناظر بأسمهم
وهم وهبوا عز المالكة واكتفسوا
فصل عن طليحهم يوم حطين كم بفسهم
وغمف حديث العدل والياسروا لنفسهم

دعائم هذا الدين في كل مشهم
بمعز في الآفاق كل موخسهم
قد انوا لهم بالرغم لا عن تمسهم
وتد كان في ليل من الشره أسهم
بها الركب غوى الكافر القشهم
يخوضون في بحر من الكيد مزهم
بمخر رأيت في العنائن معهم
أطادوه من حقة طريفا ومثلهم
وذكر ضوط بالرسول معهم
بمخر السوالي والشار المشيم
بخر مراد الله في كل أسهم
إذا كان عن أيامهم غير مسهم (١)

قال يدهج صلاح الدين :

دع مهجة المشتاق من أهوائهم _____
يا لائي ، ما أنت من نسخائهم _____
وبنها :

جاءتك أرض القدس تخطب ناكسها _____
زُفَّت إليك عروس مندر تجتلسي _____
أيها صلاح الدين من هذا غسادة _____
كم مخاطب لجمالها تسدد رده _____
يا كفأها ما العذر عن عذرائهم _____
ما بين أعبدها وبين إياهم _____
بكرا ملوك الأرض من رقبائهم _____
عن نيلهم ما أن ليس من أكفائهم (١)

قال في فتوحات صلاح الدين :

أترى ضاماً ما بسيني أبصرت
وقد أمة تمت من الرجز السندى
ومليكهم في القيد صفود والسهم
تدبوا نمر الله والفتح السندى
فتح الشأم وظهر القدس السندى
من كان هذا فتحه لمحمد
يا يوسف السديق أنت لفتحها
ولانت عثمان الشريعة بمحمد
ملك فدا الامام من عجب بسهم
نشر ونظم طعنه وشراب بسهم
حيث الرقاب خواف من حيث السهم
غاراه جمن فان خطبت السهم
اذ لا ترى الا طلي بسنا بسهمك
وصوافنا تختار ان تبال السهم
تمشي على جثث المدي عرجا ولا

القد سر يفتح والفرجة تكسر
يزواله وزوالها يتطم السهم
ير قبل ذاك لهم مليه يوم السهم
وعد الرسول فسبحوا واستغفروا
هو في القباة للأنام البهم
ماذا يقال له وماذا يذكسهم
غاروقها عمر الاطام الاطهم
ولانت في نسر النبوة جيسهم
يعتال والدنيا به تنبشهم
فالرجح ينظم والمهند ينتهم
في خواشع حيث الجباه تعفهم
فيها السيوف فكل هام منهم
تخدي فعلا او دماء تهمهم
فيصد ها عنه طلي وسهمهم
عن بها لكنها تنعمهم (١)

قال يمدح نجم الدين أيوب والد صلاح الدين سنة ٥٦١ بقصيدة مملوكة :

ولا الفراق إلى عيشي بمنسوب

يوم النوى ليدري عني بمنسوب

ثم يقول :

يا الله ، والنصر وعد غير مكسب
تسودا غرب هام أو عراثي
بلفحها يسبح الشبان كالشباب
في ندى النور بتأثير وتأييد
تترصد الفرائس عين يستب
والله يجمعهم من غير تئيب (١)

أخوك وأهلك ، صدقاً منهما ، اعتصم
هما حماة في يومئذ وفي وقته
غدا يشبان في الكفار نار وشبه
هملك مصر ونصر المؤمنين غسدا
ويستتر بمصر يومئذ ويسته
ويأتي يومئذ فيها بأخوت

وقال في تهنئة أسد الدين شيركوه ملك مصر سنة ٥٦٤ :

بالجد أدركت ما أدركت لا اللبيب
يا شيركوه بن هادي الملك دعوة من
جرت الملوك وما حازوا بركضهم
تحت من ملك مصر رتبة قصرت
فتحت مصره وأرجو أن تصير بهي
قد أمكنت أسد الدين الفرصة من
أنت الذي هو فرد من بسالتهم
في خلق ذي الشرك من عدوى سطاك شجى
زارت بني الأصفر البيض التي لقيت
وابتها نقد بن خلفها أسد
لقد رغبتنا إلى الرمن أيديهم
شكا إليك بنو الأصنام يتهمهم
في كل دار من الأفرس ناد بسنة
من شر شاور أنقذت العباد فكسبهم
هو الذي أطلع الأفرس فسي بلد الأ
وإن ذلك عند الله يحتملهم
أن له الملك المنصور منقصر

كم راحة جنيت من دوسة التمسب
نادى ، فصرف غير ابن بخصب
من المدن في السلى ما حزت بالخب
عنها الملوك غطالت سائر الرتب
ميسراً فتح بيت القدر من كسب
فتح البلاد ، فبادر نعوتها وشب
والدين من عرفه في جحفل لجسب
والقلب في شجيرة والنفس في شجب
حمر المطايا بها مرغوة المتجسب
أرى سائمتها من أعجب التمسب
في شكرنا ما به الأصنام مثب
لقد فطمهم مقام الوالد التمسب
بما دناهم ، فقد باتوا على نسب
وكم قضيت لحزب الله مسب
سائمت حتى سبوا للقب والتمسب
في المنبر من أغص الطاعات والتسب
لما دعا الشرك : هذا قد تفرز

(١) البروضين ج ١ ق ٢ ص ٣٦٩

حتى تفني الى هداك بغاتسسه
في ملكه حتى تطيح عصاتسسه
فرضت عليه كالملة صارتسسه
شدت على اعدائه شداتسسه
رجحت وقد نجحت به مساتسسه
من كان بالتوفيق توقيماته الخ (١)

والغرب منتظر طلوكم نحمسوه
والشرق يرجو عزب عزك مايسسسا
مغري بأعداء الجبل كاتسسا
هل للملوك مضاوهم في موتسسف
وانا الملوك سحوا وقصر سحيهم
كم جاء بالتوفيق في وقساتسسه

وهنا نور الدين بفتح منبج سنة ٥٦٣ وحرره على فتح القدس :

فليهن هذا النصر كل مسسج
في الملك يفتح كل باب مومسج
فانهمز اليها بالجيوش ومومسج
ولكنهم لسوا كالاتسج
رأيا ، فكيف خوان في امسج
أمر السيوف بوجهك المتبلل مسج
في ضمها تقويم كل مسج
وعلى رارابلس ونابلس مسج
مأثورة ، وماكنت أوضح صلصك
جددت منه كل رسم مهمسج (٢)

بشرى الممالك فتح قلعة منبسج
أعطيت هذا الخش مفتاحا ، بسسه
واشي يشر بالفتسج وراءه
أبشر ، فبيت القدريتو منبسج
ما أعجزتك الشهب في أبراجه مسسا
ولقد ر من مسيك أحقر أن يسسري
لكن تهذب من مصاك سياسسنة
فأنهد إلى البيت المقدس غازمسسا
قد مرت في الإسلام أحسن مسسيرة
وجدهم ما استقرت من سنق الهمسدي

وهنا السداد صالح الدين بفتح الموصل وحنه على فتح القدس :

حلوا الجنا ، وعلى السنا ، وشاحسسه
في ليل ويل قد جنا مصباحسسه
في قبضة البازي فهبس جناحسسه
أن الذي يجني عليه ساذحسسه
وغدا يجيد رثاه مداخلسسه
فالناصر الملك الصالح صاخصسسه
نهم ، فأنهم ، كما رأيت ، فذاحسسه
ساحت بشردم الترد : صاخصسسه
موت الأبطال ، فقد لى طفاخصسسه
عبد ، ويدراك ليلها أصباحسسه
حزان قلب نعوك ملتاحسسه
فالملك باد في البين صراحسسه
فيها ، فركم لكم فقاخصسسه

فالحمد لله الذي أفضالسسه
عاد الصدو بالممة من ظلمسسه
وجني عليه جهله بوتوعسسه
حمل السلاح الى القتال ، ومسادري
أحى يريد مواصليهم سدووه
ان أئسد الدين الثلاثة بختهمس
قد كان عزك بالاله مسسسسا
وكانني بالساجل الاقص ، وقسسد
فأغير الى التوم الفرات ، ليشرىوا المس
لكنك من أيديهم رهن الرخصسسا
وأيضا لحران الخلاس ، فكم بهمسسا
نبوا البلاد من البلاء بسد لكسسم
وأستفتحوا ما كان من مستفلسسقي

(١) الروشيين ع ١١٥ / ١١٦ (٢) الروشيين ج ١ ق ٢ ص ٢٨٠

ولذي المخلوم الناعشات رجاءه
نفاعه ، مناعه ، متاحه
ملاعنه ، مقدمه ، جحاحه
واذا غدا في جحفل غوقاحه (١)

أنتم رجال الدهر بل فرسانه
نناكه ، نناكه ، ضاراه
وأبو المنظر يوسف ملامه
واذا اغتدى في محفل فحيته

قال يمدح نور الدين ويصف الزلزلة سنة ٥٦٥ بقصيدة مطلعها :

هل لماني الهوى من الأسر غادي ولساري ليل الصباية هـ غادي

ثم يقول :

جل رزء الفرنج فاستبدلوا من بلبس الحديد لبس المشداد
فرزء الرب منه نبي أنفوس الكف ر بين الأرواح والأجساد
مطوة زلزلت بمكانه الأرواح وبودت تواعد الأطلواد
أخذتهم بالحق رجفة بـاس تركتهم صرع صروف الصواد
خلفت في قلاعها كل عـمال وأعادت قلاعها كالوهـاد
أنشد الله حكمه فهو مـاض يظهر سرغيبه فهو بـغادي
آية أثرت ذوى الشـراك بالهـاك وأعلن التوحيد بالارشـاد
والأغادي جرى عليهم من التدمـير ما قد جرى على قوم عـباد
أشركت في الهاليل بين الفريـدين : دعاة الإسرائاء والإلـهاد
ولقد حاربوا القضاء ، فأضـى حكمه فيهم بغير جـاد
والله الرووف في الشام عـتـبا دافع لدفعه بلاء البـاد (٢)

ومن قدسياته تسيدة عدد أبياتها مائة وأثنان وخمسون بيتاً أولها :

نصارف دهر أغربت لمن أهـدى وسئلة أمر أغربت من تصـدى
لسرعة فتح القدس سر مغيب وفي صرعة الاغرنج معتبر بـدى
أثوا كحبال أبرمت لأـوانـبا فسقناهم غيها قطينا مجـدى
وساموا تجارا تشترينا فوالـبا فيسناهم بالرخس جهرنا على النـدى
وجروا جيوشا كالسيول على الصـوى فأضت فناء في البطـاح مـدى
وقالوا ملوك الارض طول تباد نـبا اذا الكل منهم في القيود مـدى
وتد أقطع الكند المراق موقـبا فأودع سجننا وحط جلـدى
وأقسم أن يحقي بدجلة خيلـبا عما ورد الأردن الا مـدى
فكم واثق خجلان قلبه خصـبا وكم سائق عجلان قهقر مـدى
أنى الكند من إسبان يحيى تماـبا فكان تقضي ملكه قبل يـدى

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٥١

(٢) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٦٨ - ٤٧٠ والنديدة ، بداية قسم شعراء الشام ٤٦٦ - ٥٠٥

ولا حُلَّ الرايات الا معقدا
جبايرة الإغرنج خيري وشهدا
ومن ذل ماتت نفسه فتقيد
كشلة عصفور من الريش جردا
يسرونها الأشجى وتنتهدا
دم الفادر الإبرنغر فاقيد أرسدا
وعاينه اللند الكليك فارعدا
فأدركه الموت المفاجي مكعدا
كلحمة القل التي تلت المسدا
ويصني بسقى الدار طائفة المهدا
ذراه وذا فيه شبيب تأيسدا
لأمر صانع الدين في النار مخلصدا
وسلم يمدح المسلمين مجتهدا
سبتهم جيوش ليس فيها من أرتدا (١)

فما عقد الرايات الا محلا
ورقة يوم القتل اذا قبضت بسدا
عليهم من البلوى مودق ذلدا
تري المنصر الديوي ياتي صلاحدا
فتلقى نصارى جلق في ماتدا
ألبر للسلطان صدق نسدا
ويأشره بالقتل وسط جناحدا
وضاقت بنفس القصر الأرض مهاددا
وما طرى الاسطاح من عهد آدم
أتوا واديا ما زال ينفي خباثتدا
به جئت أصحاب ليكة وهي فسدا
أرى الله فيه مسجز النصر مخلصدا
وأعدى جنود العرب يردى قدا
وبن عجب خمسون ألف مقاتلدا

وقال يحد نور الدين بتصيدة مخالفدا :

لو حفظت يوم النور عهددا

ونفدا :

ان الرعايا منه في رعايهدا
لنومها يسهر بل لأنهم هدا
بالدين والهلك له قياهدا
ودأبه تلم تشور الكشور هدا
قد أسبح الله لنا بعد لهدا
غدا ملوك الروم في دولهدا
لما أبت هاماتهم سجود هدا
إن غارت سيوفه غود هدا
كم مفلقات ه من حصون عزمهدا
وتد ودت الافرنج لو ثرت نجهدا
قهرتها حتى لو تقيهدا
أناها رعبك في حصونهدا
وإن تميرا لك تمنو بعد هدا
والحلة النراء خال بالهدا

(١) الروضتين ١١٢/١

ما مخالفت بوسلكم وعود شمسدا

ونعمة مستوجب مزيد شمسدا
يخاف ه بل يخصبها بجود هدا
وللملوك عنهما قمود هدا
لثم تشور نافع برود هدا
ظلال أمن وارغ مد يد هدا
وتم على رغبهم عبيد هدا
لله ه أشجى للظبا سجود هدا
فإن هاماتهم غود هدا
مفتاحها ه وسيقه إقليد هدا
ملك ه ولكن رعبها يبيد هدا
من ذلة لو أنه غنيد هدا
كانا حصونها لحد هدا
لسيف الفصب عنا صعيد هدا
عال سناها ه بك حال جيد هدا

ثغورها ، محفوظة حدودها
 فانت في اطارك داود
 خرت له بن الملوك صيد
 يذيب أكباد الصدي حقود
 وخصيها ، وجودها ، وجود
 بالخرع الا قرة ودود
 فتر يشوب زهد زهد
 في كل عام للترايا عيد
 ودولة سعيدة جدود (١)

مفترة تنورها ، منوعة
 وان بنى جاراتها
 يا ابن قسيم الدولة
 دح السدا بقيظها ، فلي
 يا دواقنوتة ان السور
 ما تمل الدنيا لمن يجمع
 أنت الذي يرففها عن قسرة
 نايه لنا يا ملكا ، بقى
 في نمة جديدة سعور

وانشد أسد الدين شيركوه في سنة ٥٦٢ :

أسد الدين شيركوه بن شيرازي
 والي الخير داعم الاغنياء
 ت لاهل الإيمان خير صيد
 بل بصدح الاكباد والاف
 من المشركين غير جسد
 لنصر الامام في بفسد
 من الشرك ايما انفس (١)

دعت في الحلق آراذا
 يا كريما عن كل شهر
 ويلاذ الاسم أنت ، فلي
 في نفوس الكفار رعب
 لم تدع باللبى ، رؤوسا
 أنت من نازل الدعين فلي
 ويلاذ الاسم انفسه

قال يمدح أسد الدين شيركوه سنة ٥٦٢ :

ونلت ما عجزت عن ثيله القسود
 ومن له مثل ما أثرته أثم
 فانت اسكندر في السير ام خسر
 عن الثرات يقاضي وردنا الصر
 الا حديثك ما بين الوري سم
 وزاد غوث الذي جاءت به السير
 في هذه السيرة المحموده السور
 غفل لنا : اعلى أنت ام عسر
 ونحن فيك رأينا كل ما ذكر
 وصار فينا عيانا ذلك الخسر
 ما قد فعلت ، فكل فيك مفكر
 وصلت ان جبنوا ، بل طلت ان قصروا
 وذلك في جنب ما نرجوه محتسرا

بلنت بالجد ما لا يبلغ البشر
 من يمدح في للذي أنت اهتديت
 اسرت ام بسراة الارض قد طويت
 اوردت خيالاً باقص النين عادية
 تنالنت ذكرنا الدنيا ، فليس لها
 فانت من زانت الايام سيرت
 لو في زمان رسول الله كنت ، أنت
 أصبحت بالعدل والاقدام منفرد
 اسكندر ذكرنا اخبار حكمت
 ورستم خبرونا عن شجاعته
 أختر ، فان ملوك الارض اذ هلم
 سهرت ان رقدوا ، لهجت انه سكنوا
 يسته ظنون الذي ادر كته عجب

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٧٧

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٨٣

حتماً ، ووافقت التوفيق والقدر
من فلها البيز ، بل من حلها العر
لغير رأيها فتحة عس
مارب لك عنها أسفر المسفر
في أموه ، كيف لا يتوى له المسفر
فانت منه بحيث السخ والبص
منها ، باقداك ، الهندية البستر
أشجار خط لها من هامهم شمس
به الحديد غمام ، والدم الماس
منها إلى النيل في واديهم نهم
نصرا غما عبروا حتى قد أعتبروا
تحت الصوالح يوما شئت الأكس
قوماً فهم نمر من قبلها نهم
وخير القاد ، وهو للمخدر شئت
نادى القصور عليهم أنهم قهم
فكان ما الكيد لما خانه الحمر
و حين أمتهم من خوفهم شئت
والكفر مخذل ، والدين منتصر
وعد عن تركان قبله غم
والقائدان له التأييد والتأييد
يطيب بالليل من أنفاه المسحر (١)

قضى القضا بما ترجوه عن كسب
شكت خيولك إدمان السرى ، وشكت
يعتدت فتح بناد كان أسره
قرنت بالحزم منك العزم ، فانتصفت
ومن يكون بنور الدين مهتدي
يرى برأيك ما نفي الملك يرمي
لقد بذت فئة الإنزع فانتصفت
غرس في أرض مصر من جسمهم
وسال بحر نجيع في مقام وفسي
أنهت بنهم دماء بالصعيد جسر
رأوا اليك عبور النيل إذ عدوا
تحت السوارم هام الحركين ، كسب
أنفت سيوفك من لاقى ، فإن تركست
لم ينح إلا الذي عافته من خبيث
والساكنون القصور القاهرة قس
وشاور شاوره في مكائدهم
كانوا من أرب موتى في جلودهم
وإن من شيركوه الشرك منخزل
عول على فئة عند اللقاء وفست
وكيف يخذل جبهته أنت بالكم
أجاب فيء اله الحق دعوة مسن

وقال في صالح الدين ، وهي أول كلمة خدعه بهما :

وأرادنا بانة غفور نهم

كيف تلتم حقلته نهم

ونهما :

ن ، فذل اللذبي ومن السب
شاركها قريظة والنض
حرة أرتاع إنه مقهم
ذا ارتعاد كأنه مقهم
ومن الأسد كل كلب فمسرور
حيث ما كان للأسود زهم
غهو بالربع مطلق ماسرور

لأن بالنين شاور مثل نهم
شارك الحركين بنما ، وقد
والذي يدعي الإمامة بالقضا
وفدا الملك خائفاً من سطاكم
وينو الهنري هانوا غفهم
إنما كان للكلاب غفهم
وتليب عند الفرار سايسب

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٧٠ - ٣٧٢

لم يبتوا سوى الأصغر للسبب
 وحقيقاً الإسكندرية عنهم م
 حاصروها وما الذي بان من ذب
 كحصار الأحزاب طيبة قد م
 فاشكر الله حين أولاك نصرا
 ولكن أرجف الأعداء فقلنا
 وربنا كالصيد عوداك فاليست
 عاد من مصر يوسف والى ي
 فتوب من أياب صالح السن
 ولكم عودة الى مصر بالنصر
 فاستردوا حق الإمامة م
 وافترحوا بكراً لها في ممدى الدهر رواح في مدحك ويكسر ور الخ (١)

وقال في وصف دمشق وفتح صالح الدين :

صالحها :

أجيران جيرون مالي م
 سوى عدائكم فاعدوا أو نجد ورا

ونظها :

وكم قد فلتت جنود الفرنج م
 بضرب تحذف منه الروس
 وشادرت فاد رهم بال م
 بجرد عليها رجال الهي م
 من التراء عند باب م
 سبها كنفاتها الدائ م
 وحدهم مثل صيد الص م
 بجيعة أزجعت جاش م
 تركت مصارع للمشرك م
 نزاحم فرسانها الضار م
 وان تولد بكر الفت م

بعد اعتزام شهاب طر م
 وطنين تخطف منه م
 ومن دمه كل قطار م
 كأن صقورا عليها م
 صحاح النمل والمهادي م
 لهم قلوب الأعداء م
 اذا حاولوا الفتح م
 لما نشر منه الا م
 بطون القشاع م
 فتصدع فيها م
 اذا ضربت بالذكور م الخ (٢)

(١) البروضين ج ١ ق ٢ ص ٣٧٢ والخريدة بداية قسم شعراء الشام ص ٣١
 (٢) الخريدة ه بداية قسم شعراء الشام ١٩ - ٢٩

أيا يوسف الاحسان والحسن ، خير مـ
ومن المهدى وجه النجاة برأيـ
حق حوزة الدين الخفيف بحبـ
أبوه أبى الآلاء ، وعـ
وظال الطواك شيركوه بطولـ
بنو الأصغر الأفرنج لا تقوا ببـ
وما أبين يوم النصر واخضر روضـ
راى النصر في تقوى الإله ، وكل مـ
ولما رأى الدنيا بعين مـ
وقام صالح الدين بالملك كـ
ولما صبت مصر الى عمر يوسف
فأجرى بها من راحتيه بجـ
هزمت جنود المشركين برعبـ
وقرت من حول مصر جنوعـ
وأمنت فيها الرعايا بعد لكـ
بحقك دم حطمت دماء كـ
وما يرتوي إلا السلام حتى تفادروا
فسبوا على الإفرنج سوط عذائـ
ولا تمحلوا البيت المقدس ، وأعزمـ
تديون باليسوف طيب ذكر كـ
وان الذى أثرى من المال مقـ

حوى الفضل والأفضال والنهى والأصمـ
تجلّى ، وشعر النصر من عزمه أفسـ
من الخالق الحسنى ومن خلقه الشكرـ
بصروفه عم الورى : البدو والحبـ
وما شاركوه في السار شعوى الفشـ
ومر عواليه مناياهم حصـ
من الخصب حتى أسود بالنق واغمـ
تقوى بتقوى الله لا يعدم النصـ
أغد من الأولى مسيرا الى الاغـ
وكيف ترى شعرا الضحى تخلد البسـ
أعاد اليها الله يوسف والعصـ
بشارا ، فسمنا الورى أغلا عشـ
نلم يلبثوا خوفا ولم يكتسوا ذعـ
بكسر ، وهاد الكسر بن أهلها جـ
وأطافتم من شر شاورنا البصـ
وهزمت بما أبدىتم الحد والشكرـ
لكم من دماء الفادرين بها فـ
بأن تسموا ما بينهما القتل والامـ
على فتحه غازين ، وانتموا البكـ
وما الملك إلا أن تديوا لكم ذكـ
وان يفهم في كسب محدة أنـ (١)

وقال في إهانة الخالفة العباسية بمعمـ :

وأسمنا بها شعار بني العبـ
وتركنا الدعوى يدعو تـ
وتباهت بناهر الديـ
ولدينا تشاغت نسـ
فأغدى الدين ثابت الركن فـ
وأستنارت عزائم الملـ
وبنو الأصغر التواضع منـ
عرف الحق أهل مصر ، وكانـ

س ، فاستبشرت وجوه النصـ
وتعو بالذل تحت حجر وخصـ
سبة للناس في أرض مـ
، وجلت عن كل عذ وشـ
مصر ، مخطو الحسن ، مصون الشمـ
دل نور الدين الكريم الافـ
بوجوه من المناقة صفـ
قبله بين منكسر وقـ

٤٢٣

قل لداي : مي : حبك ، فالله
هو فتح بكره ودون البراي
وحصلنا بالحمد ، والاجر والنصر
ونشرنا اغانينا المودقه
واستدنا من ادعياء حقوقنا
والذي يدعي الانافسة بالقول
خائنه الدهر نبي مناه ، ولا يحل
ما يقام امام الا بحسب الحق
خلقاء الهدى سراة بني العبد
بينهم الدين ثائر ، مستقيم
كشعور النحي ، كمثل بسدور التميم
قد بلذنا بالعبر كل مراد
ليمر بشرى الرجال من ملك المسند
ولهذا لم يختلج صاحب القصص
دام نصير الهدى بملكه بمشي المحيد حتى يتروم يوم الحشم (١)

وقال في تهنئة نور الدين بتطهير ولده الملك الصالح اسماعيل يوم عيد الفطر سنة ٥٦٢ :

عیدان : شرطوطہ
کتابا لک نمبر

فتح قریب و نصیب
حقا ہنسنا و آب

وینچسٹر :

يا اعظم الناس قدراً
وما فرحين ناماً
ما أعفدت الاوفياء
وفعلك الدهر غسباً
وتحل غيرك ظلماً
يفتر من كسل شمساً
لروم به وترسباً
حرب توان وتنبأ
بنسب الاضافر من خشب
لم يبق للكفر ظفراً
وما دجى ليل خطب

وغمسه بالانغمزو عجبنا
 اسباع برءاء عجبنا
 من حر باسءاء عجبنا
 له الملوك عجبنا
 به ود سميت وصمنا
 دير المملوك عجبنا
 على الزمان وامسنا
 بمسكنه طاب نشمنا
 ما طان لك عجبنا (١)

ايحسب بالانغمزو عجبنا
 اكبر كل يشمنا
 في كل قلب عجبنا
 تمل تملير طمسنا
 يزعمسى سرير وشمنا
 وكيف يمل للطمسنا
 هذا الدهور طمسنا
 وذا العتبان ختمنا
 رزمت عبرا طومسنا

وقال في فتوحات صالح الدين سنة ٥٨٢ :

فدو البصيرة في الأحداث عجبنا
 أين القواضب والمساءلة المصمنا
 كأنهم سد يا جوج اذا استعجبنا
 وفي المقادير ما تسلي به المصمنا
 جحافل لم يفت من جديها بشمنا
 تهودوا أهلكوا الطعن قد سكمنا
 كمدن أم لقوا رجفا بما كشمنا
 في ساعة زال ذاك الملهو القمنا
 وشو التشنفر أدي ظفزه الدقمنا
 كسرب ظير خواصا القاهر الذقمنا
 ونذره في كنور دينه البطمنا
 ثبات حيا ونحي وهو يستعجبنا
 والنجم يخدعه والمهمر والقممنا
 ويختفي وهو في الانهال مشمنا
 على صدور علي من قبلنا صمنا
 أكتاف لوبيسة تجلى وذا عجمنا
 والكفر يطمروا الايمان مزد شمنا
 في غفلة البغي لانساهم ينشمنا
 له الرواة بما لم ينه أشمنا
 فانه ثقل : كيف هذا الحاد البطمنا
 ملك الفرنج من الاتراك مشمنا
 مصفدين بخيل التهر قد اسمنا

في باطن الشيب مالا تدركه النكمنا
 مالي أرى ملك الانرج في قشمنا
 والاسفار إلى الداية التامنا
 والنفس مولدة عذبا بسيرتنا
 يا وثقة البلى ما أبقت من عجبنا
 وما شحى السيث ما للقوم قد ستمنا
 وما شريح شبيب ما لهم شتمنا
 حلقوا بمحتلين ملكا كافيا عجبنا
 أهوى اليهم صالح الدين فخرنا
 أملى عليهم فصاروا وسطا كفتنا
 وأنجز الله السلطان بوعبنا
 وتأمين الملك الإبرن في دممنا
 رأى ملكا ملوك الأرم تنبنا
 اذا بدا تبهر الاعيان هيتمنا
 تتدج الجبل في أغرى الزمان بسنا
 أما رأيتم فتوح القادسية شمنا
 والحق يصرر والدغيان مشمنا
 هذا الحليك الذي بشرى النبي بسنا
 أنسى ملاحم ذي القرنين وأعترفنا
 وضع ذي القروش إبداع بلا سيمنا
 بينا سبايا تجلى في دشمنا
 ازاءه زعماء الساحلين معسنا

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٥٢٩

وحوله كل قسيس له زبـــــــــــــــــــــــــــــــــر
يفتح عكا التي مدت بها الشـــــــــــــــــــــــــــــــــر
فتدعر الروم والصقلاب والخـــــــــــــــــــــــــــــــــر
الك بل سفر يعقوب له الشـــــــــــــــــــــــــــــــــر
من باب عكا الى طرطوس تنتشـــــــــــــــــــــــــر
مع المجوس حروب قدحها شـــــــــــــــــــــــــــــــــر
ومضهم رومة الكبرى له وطـــــــــــــــــــــــــــــــــر
جمع تقول له الاحـــــــــــــــــــــــــــــــــم لا وزر
بدأت فالصبا للمحبوب مدكـــــــــــــــــــــــــر (١)

يتلوهم صلبوت سيق منكـــــــــــــــــــــــــــــــــا
ونحن في ذا وذا طير صحيقتـــــــــــــــــــــــــه
تغزو اساطيلنا مدنا صقـــــــــــــــــــــــــــــــــة
من ذا يقول لعل القدـــــــــــــــــــــــــــــــــم منفتـــــــــــــــــح
أبو المظفر ينوبها فخذ ســـــــــــــــــــــــــــــــــا
يسبي غرنجة من أقطارها ولـــــــــــــــــــــــــه
وبعض ابنائه بالقدـــــــــــــــــــــــــــــــــم منتـــــــــــــــــــــــــدب
براية تخرق الارض الكبيرة فســـــــــــــــــــــــــي
قالوا أظلت مدحها فيه ثلت كمـــــــــــــــــــــــــا

وقال فيه بعد ان اخذ حصن غراز وقطع بين الحلبيين وبين الفرنج الجـــــــــــــــــــــــــواز:

عزة اصل الدين في اعزازـــــــــــــــــــــــــا
وهو أحق الغلق باحتيازـــــــــــــــــــــــــا
لوك في الجدة على اكتنازـــــــــــــــــــــــــا
أرغها ، أفرنجها ، انجازـــــــــــــــــــــــــا
تفاخر الفرسيان براوازهـــــــــــــــــــــــــا
أوقمت السداة في اعزازـــــــــــــــــــــــــا
كانت تنال العز من عزازـــــــــــــــــــــــــا
كما انتفت بغداد من قيامـــــــــــــــــــــــــا
وغيره من الحق في ابرازـــــــــــــــــــــــــا
عجز عجوز الحي عن عكارـــــــــــــــــــــــــا
وعد عن همارها لهازـــــــــــــــــــــــــا
كحاجة الخيل الى مهمازـــــــــــــــــــــــــا (٢)

أعطاه رب العالمين دولـــــــــــــــــــــــــــــــــة
حاز المال بها به وجـــــــــــــــــــــــــــــــــود
بجده أفنى كنوزاً غنيـــــــــــــــــــــــــي المـــــــــــــــــــــــــود
مهلك أهل الشرك طراً : رومـــــــــــــــــــــــــا
تفاخر الاسلام من سلطانـــــــــــــــــــــــــه
تهن من فتح عزازـــــــــــــــــــــــــــــــــة
واليوم ذلت حلب ، فأنهـــــــــــــــــــــــــا
وحلب تنفي كمشكـــــــــــــــــــــــــــــــــم
برزت في نصر المهدي بحجـــــــــــــــــــــــــة
كم حامل للرمح قاد مهديـــــــــــــــــــــــــا
أرفع ظلوظي من حضير، نقصـــــــــــــــــــــــــا
والشعر لا بد له من باعـــــــــــــــــــــــــت

وقال يمدح تقي الدين عمر سنة ٥٨٣ بقصيدة تشتمل على مائة وأربعين بيتاً مطلعها :

فقد تالفت منا قلوبٌ وأنـــــــــــــــــــــــــس

عفا الله عنكم عن ذوى الشوة، نفـــــــــــــــــسوا

ومنها :

لدى الأسر في غل الصنار مكـــــــــــــــــــــــــر
وأبيضكم من أسود القصر أشـــــــــــــــــــــــــر
وما يستفاد البطر لولا التنجـــــــــــــــــــــــــر
فلله نصر انية تتمجـــــــــــــــــــــــــر

رددت كرادير الفرنج وكلهـــــــــــــــــــــــــم
وبعثت وجه الدين يوم لقيتـــــــــــــــــــــــــم
أناد دم الأتجاس طهر ميوقـــــــــــــــــــــــــم
شحوس ظبي تشدو لها الهام مجـــــــــــــــــــــــــد

(٢) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٥٢

(١) الروضتين ١١٦/٢

كفيتم على رغم المهادين كل مـ
وبيتكم من كل عاب مقـ
إذا نصرنا التوحيد في مـ
لأقدامه من عصبة الله شرك أروـ
شديد على الأعداء ثبت عمرس (١)

وكم كفى الإسلام سوءاً بملككم
ولا يفتح البيت المقدس غيركم
لهم كن يوم في جهاد مثـ
إذا ما ثقي الدين حال تساقطـ
وما عثر الاشبیه مـ

وقال في يوم حطين والقدس :

يا يوم حطين والأبطال عابسة
رايت فيه عظيم الكثر محتررا
يا طهر سيف برى رأس البرنس فقـ
وغامراني طار ذاك الرأس في دمه
ما زال يحطس بزكوا بقدرتـ
عزى ظباه من الأغداد مهترسة
من سيغ في دماء القوم منمـ
أفناهم قتلهم والأمر فانتكسوا

ومنها :

قل لأمليك صلاح الدين أكرم من
من بعد فتحك بيت المقدس ليس سوى
أتر على يوم انخرسوا ذا الجيب
وأخل ساحل هذا الشام أجمعـ
ولا تدع عنهم نفساً ولا نفسـ
نزلت بالقدس فاستفتحته ومسنى

وقال في تهنئة صلاح الدين بفتح القدس، وغيره سنة ٥٨٣ هـ : صلعمها :

وتعاش من ذكراكم وحشتي أنـ

أطيب بأنفس تدلب لكم نفسـ

ومنها :

وأشرف من أضنى وأكرم من أمـ
ولسنا نرى إلا أنا مله الخمسـ
وحاشته الكبرى وعزته القسسـ

رايت صلاح الدين أفضل من فـ
وقيل لنا في الأرض سبعة أخصـ
سجينة الحسنى وشيخته الرضـ

(١) الروضتين ٧١/٢

(٢) الروضتين ج ٢ ص ٨٣ ١٠٢

بقي السمع الامن صليل المطي
 امارى كسفن اليم نطت بها القلسا
 وقد شربت بخسا وقد عرضت نخسا
 لكثرة بها كم كثرة توجب الوكسا
 تندى حمام حاسم ذ لك اليبسا
 وما كان لولا غدره دمه يحسسا
 وأطهر سيفاً معدماً رجسه النجسا
 غاشبه راسي راحه المسهن والبرسا
 فصال عليه السيف يلحسه لحسا
 فزار أمام اربنا طها ذ لك الحبسا
 فلا قونسا أبقى لأمر ولا قنيسا
 طيرير الشبا عوداً لضرايه حسا
 وأنت وهيت الثانمين به الشبسا (١)

وقد خشمت أصوات أبطالها فضبا
 تقاد بدأ ماء الدماء ملوكهم
 سهايا بلاد الله مطوئة بهبسا
 يطاف بها الأسواقي لأراغب لهبسا
 شكا ييسا رأس البرنس الذى بنبسا
 حسا دمه طاضي الشرار لفبسسا
 فله ما أهدى يدا فتكت بسبسا
 نسفت به رأس البرنس بضربسا
 تبوؤ في أوداجه دم بنوبسا
 بعثت أمام أمة النار نحو بسا
 ولله نصر النصر جاء لنصل بسا
 حكى عنق الداوي صل بضربسا
 أيوم وفي تدعوه أم يوم نائسبا

وقال يمدح صالح الدين :

فنصال رب السلا أن تعيش بسا
 وبألبا برقي البرصدت الوحوشا
 فهدمت للمشركين الدروشا
 من العرب نحو الأعداى جيوشا
 كما طيرت بالفاذ الريح وشسا (٢)

سواك لهم السلا لن يربسا
 من الناس بألبرصدت الكوشا
 وكهسرت من مصر نحو العربسا
 سرايا انتجست قدأهمسا
 ويوم حياة تركت المسبدا

وقال في تهنئة صالح الدين بالنصر في دماط سنة ٥٦٥ :

بجده صاعداً أعداؤه مهبسا
 ومركز الشمع من أفاكها الوسبسا
 لها الفرنج فما حلوا ولا رطبسا
 وكل أمر لها بالعدل مضبسا
 فللمصالح من أيامه نمبسا (٣)

يا يوسف الحسن والإحسان يا ملكسا
 حللت من وحناء العلياء في شمسبا
 هتيت صوتك دماط التي اجتمعت
 مصر بيوسها أشحت مشربسا
 وخمين وافى صالح الدين أصلحها

(١) الروضتين ج ٢ / ١٠١ ، ٨٣ وأنظر عقد الجمان ج ١٧ ق ١ ورقه ٥٠ - ٥١

(٢) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٤٣

(٣) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٦١ وأنظر عقد الجمان ج ١٢ ق ٣ ورقه ٤٥٨

وقال في صلاح الدين قصيدة طويلة مطلعها :

قسطنتم ، ومن قلب المحب لكم قسطنط

عفا الله عنكم ، ما لكم أيها الرهسطنط

ومنها :

على الأرض من أوداجه دمه المبيطنط
غداة عوّث من دونه الأذوب المصطنط
بسمهم الرزايا غي الكرام لها المصطنط
وهبّ نسيم النصر وانفجّ الضفطنط
ولم يكف رهط الكفر حتى يفي رهسطنط
وصلت وقد خاروا ولنت وقد بطسطنط
هوى ويقوم خشو جيشهم رطسطنط
وهم - لا أصابوا رشدهم رهمل رهسطنط
وقلت فلا ميقن ، وجدت فلا قحسطنط
.....

حليف قبول لا يكون لها حبسطنط
سعودا ولا تُخبر صمودا ولا هيسطنط
« لمن جيرة سموا النوال فلم ينطسوا (١)

لتيك دما عين المدو فقد جسطنط
منعت حتى الاسلام للنصر مصطنط
وصلت وكم فرجت عنا ملطنط
بعودك عاد الحق واتضح الهسطنط
وانت أجزت الشام من شوم جسطنط
أجزت وقد جاروا ودنت وقد عسطنط
فلا يحبأ الولي بمن ملء جاشطنط
كثير تعدّتهم ، تليل غناؤهم سطنط
عدلت فلا ظلم ، وطلت فلا مسطنط
.....

فدم ظافرا أيا المظفر بالمسطنط
بقيت ولا زلت عداك طيطنط
ولو كنت جارا للمصري لم يقسطنط

وقال في تهنئة نور الدين بفتح قلعة جعبر سنة ٥٦٤ :

ودم لملك البازد منسطنط
غدا بسبب الشاوب مضطسطنط
لكشف ضيق الأمور لنسطنط
ورافع الحق بمد ما أضمطنط
رك ، وعفى الضلال والبدعطنط
ملك ، وتحكي بزهدك اليسطنط
محض ، وحسن اليقين ، والورعطنط
..... الخ (٢)

اسلم لذكر الفتوح ففتحطنط
فإن أولى الوري بها ملطنط
ان ضاق أمر فغير هسطنط
يا محبي المدن بعد ميتطنط
ونور دين الهندى الذى قمع الشطنط
أنت سليمان في العفاف ونسبي السطنط
حزت البقا ، والحياء والكبرم ال
.....

وقال يمدح صلاح الدين سنة ٥٧٢ هـ

وناهيك من باخل مسطنط
قصدت بصبر ذرا يوسطنط
وبذل الصنائع لم يوصطنط

فديتك من ظام منصطنط
أبلغ دهرى قصدي وقسطنط
ويوسف مصر بخير التقسطنط

(١) الخريدة قمع شمراء مصر ج ١ ص ٢٥ - ٣١ وانظر الروغثين ج ١ ق ٢ ص ٦٣٦

(٢) الروغثين ج ١ ق ٢ ص ٣٨٧

فسر وافتح القدس واسفك بسفحه
وأحمد الى الإستبار البتسلا
وخلص من الكفر تلك البسلا
دماؤتي تجرها ينظف
زوحذ السقوف على الأسقف
يخلصك الله في الموقف (١)

وتال يمدح صلاح الدين بقصيدة طويلة مالمها :

يروثني في الحما مهنهنه
ومن قدود الحسان أعينهنه

ومنهنه :

كم جفصل بالمرأ ذى لجسب
كالبحر طامي السباب لا عسبة
كتينة منقش مهند
فادرتها للنسور مأكلسبة
منقفا من رؤوس طاعسبة
وحدث دمياد إذ أعاط بهسبة
لاقت فواة الفرع غيتمسبة
فرقيرها وأزعجهسبة
يصلر مدارنها العذاب كمسبة
تجير صلبانها وتكسبسبة
وليتها سفكها فحاملهسبة
تعمقت دعوك الدريق فمسبة
وحسينها في الحمى تهاقمسبة
يضي لك الله في قتالهسبة

بالصف منه يشوق صفهسبة
يحوجه للرياح أعفهمسبة
الى الردى مشرق مثقمسبة
حيث بأشلائها تنفهمسبة
بياترات الطبى تنصهمسبة
من برجوم البلاد يتدفهمسبة
فزاد من عسرة تأسفهمسبة
نداء داويتها تلهفهمسبة
يردى بهد السقوف أسقفهمسبة
من القنا للدماء تنزفهمسبة
عالمها والسنان مشرفهمسبة
أجدى سوى ملكها تعسفهمسبة
بل لسهام الردى تهدفهمسبة
عزيمة للجهاد ترهفهمسبة

(١) الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٩١ و انظر مفرج الكروب ٥٧/٢

أبهى ليالي البدور صد ثم
تواعد الله ليس يضلها ٠٠٠ الخ (١)

إن سألوا أضوا أو حاربوا
عكا وصيدا وبيروت وأرس
كانه جبل بالريح منسوف (٢)

في عصرنا أوجه الضائ
شكرا لطجاد من نوائ
تشد آملنا الرواح
ميل نجيع ونهل نائ

قد آن أن تفتح السوا
أرجاء كثر غم أراذل (٣)

فأمد وأبشر بنصر الله عن
وخل بعد لك شيء غير ملتئم
وولي السرف عن شلة بار
لا لثم شمر شبيب واضح
بالنرم مفتوح بالنور
وسره لك باد غير مكتسب
تخاف ربك خوف المذنب الأثيم
ثنى الأنة إقداماً على اللج
وقد بها بدما الهام منج

ان اظلمت سدفة أنزلت لهم
بشائر الدين في إزالته

وقال يمدح الملك الظاهر غازي :

هم الملوك ذوو بأس ومكر
أغناهم التدبير من تول الوري فتخست
جيش الفرنج إذا لاقى سوابقهم

وله في صلاح الديسن :

بالملك الناصر استنست
عليه بن حقه فستروني
يوسف مصر الذي اليه
أجريت نيلين في ثراه

وظفها :

يا مخجل البعر بالأي
فقد من القدر من خب

وقال يمدح نور الدين ويهنته بملك مصر :

بملك مصر أهني مالك الأ
أضوى بعد لك شمل الملك ملتئم
يا فاعل الخير عن طبع بلا كل
وراقما ثلم شمر الكفر تحج
لاه ذاك نور الدين من سل
آثار عزمه في الإسلام وان
بما من العدل والإحسان تن
أوردت مصر خيول النصر عا
فأقبلت في حجاب من ذوا

(١) الخريدة قسم شعراء مصر ج ١ ص ٩ - ١٣ وانظر الروشتين ج ١ ص ٢ ، ٤٦١

(٢) الروشتين ١٠٧/٢

(٣) الروشتين ج ١ ص ٢ ، ٤٥٦

تكن النار بالإحراق في الشمس
 واه به وتوصل ما للدين من رخس
 ياه مقتضات أصعب القحس
 والقيد في موضح الأطوار والخمس
 من المدو بحد الصارم الخمس
 من شر شاور في الاسام مضطرس
 للذين والمز والإقبال كالخمس
 وعاودت دولة الاحسان والكس
 بها عبيدك أمازكا ذوي حس
 في البأ من عنتره في الجود عن طرس
 عدل لحفظ أمور الدين ملسم
 بكشف دلتها لحما على وشس
 جارا لبحر نوال ملك ملنطرس
 وأعلم بدوعهم بالذابل الخطرس
 على البنسات وثوب الأبدل القاطرس
 في عقد عز بين الاسلام منتظرس
 بالفضل والعدل والافعال والندرس
 محمود الملك محمود بكل قس
 كمتنفي والى كم تشتكي وكسم (١)

تكن الرب في قلب المدو بهسا
 سرت لتقطع ما للكفر من سبب
 مستعجلات وعور الطرق في طلب العلب
 وجاعات من الإفرنج غلب
 لقد شفت غلة الاسلام وانتقمست
 اعانها الله في إطفاء جمهر اذى
 واصبحت بك مصر بعد خيفتها
 والستة اتقنت والهدعة انحققت
 ملوكها لك صاروا أعبدا وغسدا
 أنبت عطفك بها قرط يثوب بهسا
 لله درك نور الدين من ملسمك
 كانت ولاية مصر قبل عزهم
 فالليل ملنطرس جار على خجمل
 أغز الفرنج عهدا وقت غزهم
 وطهر القدس من رجس الصليب وثب
 غلبك مصر وطه الشام قد نظم
 محمود الملك الشاذي يسوسهم
 بالشكر كل لسان ناطق أبسدا
 فاشك مصر وأظهر عز سنتهم

وقال حين علم بوفاة الماضد الفاطمي سنة ٥٦٧ :

يفتح ذو بدعة بصير فمسم
 يوسفها في الأمور مشككسم
 باع من الشراء كل ما اضطرسم
 بها وعقد السداد منتظسم
 مباحا ربحا والباطل اكتنمسم
 ومن دعاة الإشرار منتقمسم
 داجية من غيابة وعمسم
 لما أغامت منابر الملمسم
 بناء حق قد كان منهدمسم
 وانتصر الدين بعد ما امتنمسم
 وافتترش الإيمان وابتسمسم
 فليقرع الكفر منه ندمسم

توفي الماضد الدعي فمسم
 وعصر فرعونها أنقضى وغسدا
 وانكفات جمرة النواة وقسم
 وصار شمل المصالح ملنثمسم
 لما فدا مملنا شعار بني المسم
 وبات داعي التوحيد منتصمسم
 وظل أهل الضلال في ظلمسم
 وارنك البهالون في ظلمسم
 وعاد بالمستضي مجتمسم
 واعتلت الدولة التي أضطهمسم
 واهتز عطف الاسلام من جسم
 واستبشرت أوجه الهدى فرحسم

(١) الروشدين ج ١ ق ٢ ص ٤٤٣

عاد حريم الأعداء منتهبك
 تصور أهل التصور أغربهم
 أزعج بعد السكون ساكنهم
 وقال مهنا السلطان صلاح الدين بفتح بعلبك :

بفتوح عسرك يفخر الإسلام
 وفتح تلعة بعلبك تهذب
 مكي العسود دما ، وفتح الثغر ، من
 فتح تسني في الصيام ، كأنه
 من ذا رأى في الصوم عيد سعادة
 أسدى صلاح الدين والدنيا يسدا
 فتمل فتحك ، واقصد الفتح السدي
 دم للمنا حتى يدوم نظامهم
 وقال يمدح السلطان سنة ٥٦٨ بقصيدة تنيف على مائة بيت منها :

أرى الراية الصفراء يرمى اهتفاقهم
 فتسبى قلعتنا وتجهى جزائهم
 وتصفولها الأملاك شرقا ومغربا
 وقال يهنئه بالعافية سنة ٥٨٢ وهو على حمص :

فيا ملكا لم يبق للدين فسييره
 تشوهم فريق الشرك في الشام طائرا
 بخصمت بتمكين نعمم المسمى ردى
 اذا صيرت من آل الاصفر ساحة ال
 لذا المسجد الاقصى وحتك المسمى
 فما هو إلا أن تهم وقد أتت
 وعلت عند الاسانم فاشدولها دعما
 نقص جناحيه بأقصى القوى قصما
 فأنهم يأجوج أثروا بها ردما
 مقدس ضاهت فتح أم القرى تدما
 وعزمتك التصوف ورميتك الصمما
 فتوح كما فاض الخضم الذي داما

(١) الرويتين ج ١ ق ٢ ص ٤٩٦ وأثار البداية والنهاية ١٢ / ٢٦٥

(٢) الرويتين ج ١ ق ٢ ص ٦٣١

(٣) المصدر السابق ١١٦ / ٢

أهدى لهم شلالاً إلى الأيمان
نحو الموائد رأذوا بهم

وأزارنا الشلالة الشل السدي
ولّى وجوههم سواد وجوههم

ومنها يذكر القادة :

لم تدبر غير حمية الفتيان
غزوا وطم بهم عاب " دامن "
وتهبوا الحملات من " عثمان "
بدما " أبل الخدر في غسدران
فقت عيون الكفر والكفران
بسهم كل حنيضة منسيان
ماضي الشوارب بهم من الأجران
من جند بصرى بصرى كل جمران
عقبان ملحة على عقبان
أنصارك الأبدال من مهران
بالنك والارهاق والإغمان
أهدى إلى أنسان عين الرانسي
أملأه مصر لالكبي بنسندان
نصر النبي " وثبت عن حسنان
في ملتقى حرب " وفي مسندان
ما تملي إلا بثبني يمسنان

عملت عليهم من جنودك فتيسنة
زغرت بهم أمواج أجال في الوغسي
وتدّموا من حرباً " محمّد "
وسيف " جرديك " الحجرد غودروا
وحين دلتك الذي قدّمسسه
واليارقية أرتهم فسي الدجسي
أجفانهم نشت النمرار كما انتفسي
بخلوا محسك بحايك وأبصروا
وكأنما الأكراد فوق جيادهسسا
ولطالما مهت علمي نصر الهسدي
لم يترك الأتراك فيهم غايسنة
من كل رام سبته من وهمسسه
ولك المالحك الذين بهم غسست
دم كالح حابة يوم بسدر حاولسوا
الحائزون من المباق غصالسسه
من كل مهسودا الديمن يمينسسه

ومنها في تصيّن حضر من الفرنج المادعين خذلهم الله تعالى :

ولّى بطاعون بشير طامسان
متباعدة من ملكة المتدانسي
لسلامة " والهون شأن الشانسي
مود " وسيرهم أسير عسان

لما رأى الداوي راونداده
اللب القري القرار بدالمسسه
والهغري مذمان قر مؤمسسا
باروا نهارونهم بفنائسسه

ومنها وصف ما اعتمده نور الدين في ذلك اليوم " حيث أنفذ سرية إلى بلاد القسوم
فأحرقت ونهبت " وكبست أهلها وكبست " وذلك من طريق مخاضة الأحزان :

منك الخداة طوارق الحد ثسان
أخلى قواعدها من البنيسان
فجنى ثمار النصرة الجيوشسان

أخلوا بلادهم فحل بأهلهمسا
أنهضت " حين غلت " إليها عكسرا
وشملت جاشهم بجيشهمسا

فتمجّلوا الأجرار، بالنسييران
يئسوا من الأوطار والأوطان
مما لقوا بمخاضة الأحزان
والمسلمون تهاديا بشهيران
لكن ، وثقت بنصرة الرحمن

حققت له لنفاد أمميران دان
مصر إلى قوس إلى أسسيران
ألهالك فرض الخزعن هميران
لك أوجه الاملاك بالاندسيران
مأكن من عرب ومن عرسيران
قد عاش في أيامك السسيران
أبد الزمان بهذا جان فسان (١)

وتال يمدح الملك المظفر تقي الدين عمر لما أبداه من شجاعة يوم معركة الرملة سنة ٥٧٢ هـ

وانت لها كأنزعها البطالين
تركك الشريك مغرعب القاتلين
أوى منه إلى حصن حصين
وأوا آثارنا عسرين اليشسين
حمله أو ان ولي كل ديسين (٢)

وملاّت بالنيران أريج أعلمسيران
عادوا وعين رأوا خراب بيوتهمسيران
باءوا بأحزان وخاضوا هولهمسيران
وقد استفاد المشركون تعازيمسيران
لم تلقهم ثمة بقوة شوكمسيران
ومهمسيران :

دانت لك الدنيا ، فتاعيمسيران إذا
نعمن الصراق إلى الشام السسيران ذرى
لم تله عن باتي البلاد وإنمسيران
أذنت لله المهيمن إذ غمسيران
أنت الذي دون الملوك وجدتمسيران
عسيران عدلك للبلاد كأنمسيران
شدت في الأقاليم ذكرا بأقيمسيران

بنو أيوب مثل قريش مجسمسيران
ويوم الرملة المرحسوب بأسمسيران
وكنتم لمسكر الاسلام كهشمسيران
وقد عرف الفرنج سطاك لمسيران
وانت ثبت دون الدين تحمسمسيران

(١) الحميدة ، بداية قسم الشام ٥٣ هـ والروشتين ج ١ ق ٢ ص ٥٢٩

(٢) الروشتين ج ١ ق ٢ ص ٧٠٣

قال يدهج الملك المنصور صاحب حماة بقصيدة مطلعها :

ريم براقة ماري حتى رسمت

أمن اللواحظ أن يفوق أسهمها

ومنها :

بسطا نفي يوم المشارع تهدمها
جيشا يحكي البحر العظم عورمها
ليلاً وأطلمت الأسمعة أنجمها
بني المجاج لنجم صارمها سمها
بلعانه كم شق من كلم فمها
تضحى نفوس بني الأيغر عومها (١)

كم بلدة للمشركين بناؤها
وشنت منقط بساحل بحرهمها
أسدلت في الآفاق من دبواتهم
ودحيت أرض طلال الكماة براجمهم
وشدا لترقيص الجمالهم صمامهم
سيف هو النهر الذي في سيفهم

(١) غن الكروب ١٤٩/٤ - ١٥٠

قال يمدح صاحب حماء الملك المنصور بقصيدة مثاليها :

والمشرفية لا بالوعد والائتمار

المبعد يدرك بالعمالة الذب

وَمِنْهُمْ يَخُصُّوا :

من بات يسهوها في اللهو والجسـد
يسـتمـتـرون بذات الدنـي والخلـبـل
حـلـيـت طـالـمـا ضـرأ من القـلـب
لـهـم آجـاز يـبـقى الـى أـجـل
وارجع لـجـدك اعـلـا عـلى جـيـل
مـجـونـهـم فـهـم فـي غـايـة الفـشـل (١)

أسمرت عينك في كسب السلا ولكسهم
جاءت في الله طوعا والملك غسدا
أعدت بيد النواصي في الرقاب وتسد
عاجلتهم بالإنيا والمستوف فلا تتسبرك
فأكسر صلبهم عن صلب حشهم
عندهم عا جلا واجعل حصونهم

(١) طبري الكروب ١٤٤/٣ وانظر تاريخ ابن الفرات مجلد ٤ ج ٢ ص ٢٥٢

قال يمدح صالح الدين بنند فتح حصن بيت الأحرار :

هناك الفرع أنى عاجبنا
ولو لم يكن قد دنا حتفنا

وقد آن تكسير صلبنا
لما عصرت بيت أحرارنا (١)

(١) الروضتين ج ٢ ص ١١ وانظر الكامل ٤٥٧/١١

قال في فتح ياغا ، وذكر الهدنة مع ملك الانجليز قسيدها ولها :

الوقت أخير من سماح قصير
الجسد في هذا الزمان ميسر
بالناصر المهدي والهادي النسي
المستبين برته والواثق السيق
هدت قوي أركان ملكه أحسن
ملك إذا أزال الملوك جنابهم
وإذا أتوا أسرى إلى أبوابهم
بولى ه فدا للدين أكرم والسعد
عزل الفرنجة ثم ولى جيشهم
قد أنصف التوحيد من تظلماتهم
منرى بتجريح الرجال لأنفسهم
ملك له في الحرب بحر تفقده
وعلياً نزل في الجهاد مفضل
تزوهم أنسيا ما كان مضمون
يا أيها الملك الذين لديابهم
للد يوم غربة إذ فرقتهم
سنت سيوفك في الروم وخاتمة
آفاتهم وأنت بأخذك منهم
أولاً رأى العلاج حين دعوتهم
لم تستطع عصيان أمرك بل أنت
فأمتدح جارتها وثني بأختهم
ما للسواحل غير بحراك حافظك
هذا الطراز الأخضر أستنتحتهم
أحييت دين محمد وأنتهم
وهدمت ديوان الجهاد بحاسل
وجهدك النزم الذي لا ينشني
فخذ الخراج من البسيطة كلهم
واقض على الدنيا بكف زعماءه
جاءت جنود اللشرك بأرهم
فأبقتهم وتقاضى حقاك موقنهم
هم نية الاتراك كل برفجهم
توم يذوقون النعام شجاعهم

موسوعة له غات أغيد أغيس
والهزل فيه مع النواية منتسب
سبل الجهاد أبي المظفر يوسف
مصور والمستظهر البر الوثق
وتجلبت بجهاده في الوقت
لأذوا بأكرم من يوم وأشمس
وتنوا بأعظم من يوم وأشمس
حذب على أبنائه مترشع
أعظم به من مارش ومشمس
وأقام في الانبساط حد البصيص
يروى أئمانيت النوالي المرفع
وله غداة السلم زبد نصيب
لذلك يقرأه ببيعة أحسن
عزم أبين مرداء وحلم الأخس
وسيوته خلقا رضى ونفسهم
ساعاته عن نصراء البصيص
ذ شبت بمهجة كل على أقميص
ياغا فكم دن مشرة وتأسهم
بلسان سيف في الكريمة دلمص
مقادة طوط ولم تتشلمص
وكذاك حتى الاربعين ونهم
بشبا سنان أو بشقة مرشمص
غزوى بثوب من عازم مشهمص
ومترته من بعد طول تكشمص
من طبل ومشمص من مشرمص
وبناظر الرأي الذي لم يطمص
وأستاذ فرعي جزية وبولشمص
وابسط لرحمتها جناح شطشمص
وعدور منابل عن قليل تششمص
ان الآله بما تومله حشمص
يفشى الكريمة فوق كل بجمص
لا ينظرون اليه من طرف خشمص

تركوا ديارهم كفاح ~~منهم~~
لله در المصطفى والمصطفى

ان صَبَّحُوا الاعداء في اوطانهم
انتا صلاتهم لندرة دينهم

ونهمسا :

يا سلم تل لالتكثير الكل ~~منهم~~ دح
التدين ما فيه لسرجك ~~منهم~~
والمسجد الاتقى فمعه تقى ~~منهم~~
واستفتت نعتك فهي انسيت ناصي ~~منهم~~
واعجب لرمح بالروءوس ~~منهم~~
قد قلت لما قيل صلح قد ج ~~منهم~~
ملك تولى السيف عند شروط ~~منهم~~
ظنوه سلم ودين في ارواحهم ~~منهم~~

عكك الجنون وخذ مقالة ~~منهم~~
كلا ولا نور الاله بمنشط ~~منهم~~
وقد الد بايسر الالحة تنس ~~منهم~~
واترك متابعة اللجاج المتلس ~~منهم~~
واطرب لسيف بالدماء منلس ~~منهم~~
هذا حديث مخرف ومخس ~~منهم~~
احببه به من مسلم ومسلم ~~منهم~~
سلم الى اجل لهم متخلص (١)

يا بنقد القدس من أيدي جبابرة
 ناكذوا كذبهم في وصف ربهم
 أما رأيت ابن أيوب استقل بمناسبتنا
 حاج الترضي وقد خاروا لتفتيسنا
 لما سبى القديس قالوا : كيف نتركنا
 نكم مليك لهم شق البحار سمعنا
 وكم نرحل بهم غلاتنا بفلسنا
 استغروا الإهل والمدوى تزلزلنا
 دم الغرام المريب الحرب شرعنا
 سيف أدام فلسطين يرى أمنا
 كم تدأعدوا وكم قد قل جمعنا
 وأنت اسم نكح الدين يذكرنا

قد اتسوا بذراج الرب قد علمنا
 صدق الوعد فأبونا صغرنا
 يسي الزمان وأهليه ففلسنا
 فأجتنفوا كل مذهب ففلسنا
 والرب في حفرة منها تشاسنا
 لينصروا القبر والأقدار تشاسنا
 إلى الغرام ألقاه ففلسنا
 واستكثروا المال والينجا تشاسنا
 وكلما لجأ عدنا جمل ففلسنا
 خلف البخار لقد ألقاه ففلسنا
 من غير ضرب ولا طعن يزلنا
 جبر النبو فيسبهم تشاسنا (١)

يا من يمدح صلاح الدين عند فتح القدس بقصيدة منها :

أبا المظفر أنت المجتبي لهدي
فلو رأيت وقد حزت الملقى عسى
ولو رأيت وأهل القدس في والسبي
غداة جزوا النواصي تطامس
دارت بك الملة المعنى فتحن على
وأنت كاسمك صدقة وصاحب
وفي الثلاثة عثمان يؤيسر
وكم أديك ذوو تربي رتوا شر
يشبه الفتح ما بين البزاة لقسي
أما رأيت بحالي يوم تسقست
أشحن لشرا الهدي في فتح منهج
واحتجب الرجس بمنوا بحش
أكن بالمدح الدين أن هلمهم
يسبي الجوان والفرسان وهو على
يا فاتح المسجد الاتس على بهم
أبشر بملك كظهور الشمس بالمدح
حتى يكون لهذا الدين ملهم

وله فيه من قصيدة طويله :

أبو المظفر ماوى كل مشك
محا يمل جائر أو فاكست شمس
أحيا به الله صبرا فهي ناشمسة
كم للفرنج بها وردا ومنجس
ثأنا الناسر المنصور جذوهم
ملك تقلد ملك الملك منتظم
تفرق المال جيعا للقلوب بسم
ان البلوك الذين امتد أمرهم
كذا السيامة غالا جناد أو علموا

(١) الروشدين ١٠٣/١

(٢) الروشدين ١ في ٢ ص ٤١٥

أشقى الزمان على من يخبى
في قلة القل تضى كنه عبرته
أبو عبدة غدى من سرته
وأعولوا بالقباني حول
عهد الصحابة في استمرار ملتزم
لك المظفر سام في عبرته
عاد على على أثار نصرته
وكم بعيد رأى الزلنى بهجرت
ملك الفرنج أخذا بين شرت
حتى رمت كل ذي ملك بحسرت
وبات يطوى السدى في صد شرت
ناستنج القدس حشوا بزمرة
بوقمة القل وأستشرا سورت
بدء النشاط عشيا مثل بكرت
وقاصر البعش لا يحصى بقتل
على البسطة فتح بشت
تخلى النبوة في أيام فترته (١)

بخله ونداه يشرع المشرك
سند عدل صلاح الدين يستمد
وافتكها من ندو ما يقبسم
ونارهم حولها تذكو وتشتعل
وأدبروا بقلوب شهمها وجسم
وقال للمال هذا ملك لي بسم
وحسبه فيهم أدراك ما سألهم
لم يخزنوا المال بل منها عوروا بذلهم
بخل الحلياء وجاءت شدة خذلهم (٢)

قال يمدح صالح الدين بعد هزيمة سنة ٥٨٨ مع ملك الانجليز ، بقصيدة منها :

وأشد ما أشكوه فيك ظبائســـه
كنايب صالح الدين في أعدائـــه
خفائسه ما شئت من أنبائـــه
وأسايل ميل نداه في بطائـــه
لترنم الناقوس في أفنائـــه

منبت ظباء المنحني بأـــوده
فسلت بنا وهي السديق لنا ظهـــا
مل عنه قلب الاكثير فان فـــي
لولاك أم البيت غير مدافـــع
وبكت جفون القد من ثانية دمـــا

وقال يمدحه بقصيدة منها :

فلقين دلوأ لا تحفد أنا نـــه
دالمت لما وجد الشفاء شكا نـــه
عند الزحاف تحركت سكا نـــه
عن شمل دين جمعت أشتا نـــه
لا زينه يخشى ولا هفوا نـــه
ولك الفصال كثيرة حسنا نـــه
لبكائن تبسمت حجرا نـــه (٢)

عصفت به ربح الخيلوب زعا زـــا
هو منقذ البيت القد من بعد مـــا
بيت تأسر بالسكون وانـــا
أشقت الأعداء وهي جعا فـــل
أوتيت عزما في الحروب مـــدا
أحسن بالبيت الحقيق ويشـــرب
هذي سيوفك محرمات دونـــه

وقال يمدح الملك الظاهر وسيرها في رجب سنة ٥٩٤ أولها :

بنا صريع نواظر وحاجـــر

كم بين أكتاف السديب وحاجـــر

وبنها :

فهو المنقوش بكل فضل فاخـــر
وحسامه الهندي أبلغ نائـــر
شكرا لمد يد على نداه الوافـــر
لبناء علياء ورفح حاجـــر
كالبرق يضحك في الشطام الما نـــر
بوغى فما وجه السباح بسافـــر
والخيل تسبح في النجيب المائـــر
فسرى الردى مهن فوق قنا نـــر
عمر ضرابا دون ملك عامـــر
حلب الساج لغائب ولخائـــر

لا تغشرن ألامه بفنيـــة
من رجه الخليلي أفسح نائـــم
بحر من الأنعام يملك ســـه
هو خافض الأعداء ينصب نفســـه
يصلني ويضحك في خلال عداـــه
ملك اذا نشرت ملاة نقصـــه
نشرت حياة البيض بيض سيوفـــه
وبنى مثقفة القنا هوجـــة
وكم أشرمت نار الحمام وغـــا
درت مواشبه فلا عدم المـــورى

(١) الروضتين ج ٢ / ٢٠٤ تاريخ ابن الفرات مجلد ٤ ج ٢ ص ٨٦

(٢) الروضتين ١٠٦ / ٧

فليت فتي الخطاب شاهد فتحها
وقد أوتي الفتحين : ما لا يلبس
ففي لهوات الشرك أرسلها تجسسي
وما كان إلا الداء أعينها دواءه
وأصبح شر الدين جذلان ياعمها
ملوا الساحل البشعي عن مدواته
تجازرت ما أعيا الجبال من السه

فيشهد أن المسمي من يوسف ~~أحمد~~
 غلام يمين، نصرنا ما خواه ولا ~~غنى~~
 ونبي جبهة الأيام غادرنا ~~ومن~~
 وغير الحسام الحشيب لا يحمن ~~الشمس~~
 وألسنة الأعداء توسعه ~~لتمس~~
 فما كان إلا ساحة صادف ~~اليمن~~
 فمن يقظة كانت مساعيه أم ~~خلصا~~ (١)

وقال يمدح الملك المظفر فتح الدين أسحق بن صلاح الدين ، بقتيدة أولها :

ان حجيتكم اشبا بكم والمنا مننا
وبينهما :

فَابْتَغُوا لِي مِنَ النَّعِيمِ الْمُنَافِعِ

ط نداء طائراً ولا حشره الفيلسوفه
 واهب المرفقات من عشقهم اله
 ويرد الخميس طعنا فان السج
 كاتبها بالحيوت في جبهات السج
 شاعر ينظم التلويح ولا ينسج
 ويجز الإزاق أو يرفسج الاتسج
 وإذا عات السجوت فللمسج
 في الوض والتدريج تحريا وسلمسج
 فإذا لم يكن بدجال لسمسج
 لا يسام الخسوف بدر حيسج
 فئناه كالصك طالب شمسمسج
 حبذا عرته النمسج ومسج احسج

بك فتح الدين المحيى من أذل السبي عزالسليب والأزلام
 ما شكاه جنة الجرم السبي كفى سبدا حتى أنت الانا
 خات من عولوا ارسا واولا الما ارق الضحك ما بعثت السهام
 فالت زغليك جنة وأسطب سارا وحمايك صارما واعتزما
 غلقت كلت الطبق النرب والسمن من الطمن والجياد الصدام
 وأمتحان الهجير ظلا ونسار الـ كثر عارت بردا لنا وسلا ... الخ (٢)

(١) الرونتجين ١٠٦/٦ ، ديوانه ٣٨٥/١ ،

(۲) دیوانہ چ ۱ سہ ۱۴۱-۱۴۶

سقيت حيا جفني يا بانقا الحمسى

ونهبها :

غنى أفصحت عنه مغايل مجسده
يريك ربيعا كل وقت جنا بسده
سلوا السن الاعلام عن فتكاتسه
حتى القدس من زرق الاعادى بصورها
شكا أهلها دائي محول وخيفسه
مضى رثها ماء النجيج سيوفسه
علم يبق في ساحاتها غير مسلمه
وبنا صانها دارا تحلل واخته
إذا ملء بالبين الحنادر اشمس
يشي بحياء والمركب هبسه
وما جللت في المدن الا كفيره
مضى الله عهد النيرين عمسه
فلم أر ظلا سابها غير ظلمسه

وقال في فتح طبرية :

جلت عزما لك الفتح الهين
رددت أخبذة الاسلام لمسين
وهان بك الصليب وكان قد مس
يقا تل كل ذى ملك ريس
قدت في وجنة الايام خسا
نيا لله كم سرت قلوبهم
وما طبرية الا همدى
حصان الذيل لم تقذف بسو
فضضت ختامها قسرا ومسن
لقد لكحتها صم الصوالسي
هناك ندى أهل الارض طسرا
تست حتى رأت كفوا فلانست
تذبت فريضة الاسلام بنهبها
تهز مطاف القدس ابتمها جملها

وان كان ماء أنت صيرته دمس

ففي مهده طفلا بيهن تكلم
وباب نداء أن يكون محرم
وقب المذاكي والموشى القوم
فما تجد الخطي الا تحطم
فأجرى على أعظافها الماء والد
ففي غيرها لا يستجير النيم
ولولا لم تبق الفرجة مسلم
ولكنه كان المحيطوز مزم
وان كف ثوب الصبح بالنقح عتم
فتلقاه فيها شافرا مثلشم
إذا لم يحطها شاعنا ونعيم
وعيشا لنا بالشوطنين ترمم
ولم أر وردا غيرها ينقح الظما الخ (١)

فقد قرت عيون المؤمنين
غدا صرف القضاء بها ضمير
يمز على السوالي أن يهون
وأنت تقتل الأعداء دين
ولبي جيد العلا عدا تين
ويا لله كم أبكت عيونهم
ترفع عن أكف اللامسين
وجل عنها الليالي والسنين
يصد الليث أن يلج العرب
فكان نتاجها الحرب الزبون
سواك ومقل أعيا القرون
وغاية كل قاس أن يلين
وصدقت الاطاني والظنون
وترضى عنك قلة والحجون

(١) ديوانه ج ١ ص ١٧٧ - ١٧٩

نور...
 جعلت نبال آهلها ظالما
 تفلان حيلة جوزتها نسبا
 لبيك في جملتهم غنما
 تمل الى الحنقة الصوالسي
 يكاد القرم يذهلها فالولا
 فكم حازت قدود قنك منهم
 وغيد الجاذر انسابات
 ولما باكرتها من نصيب
 أعدت بها الليالي وهي بيبي
 فليد بنادم برعى خصب
 فاذ عدم الشام وساكنيه
 جهاد جهونها في كل في
 فلألم بالمواعيل فهي سور
 فقلب السور مسرور ولولا
 أدرت على الفرنج وقد تلاقست
 ففي بيسان ذاتوا منك بوسا
 لقد جاءتهم الاحداث جمعا
 وخافهم الزمان فلا مسانم
 لقد جردت عزما ناصري
 فكنت كيوسف الصديق حقا
 لقد اديت بن دالب الجمالسي
 وان لك آخرا وخسلا

وأبدلت الزئير بها أنين
 يخوضون الحديد مقننين
 اذ يد علم الطير الحنين
 ثم لم أمت رجا أم حصون
 بروق القانيات لما حدين
 قدودا كالتنا لونا ولين
 كفيد نذاك أبكارا وعون
 بنان تفتح الفيت المهنون
 وقد كانت بها الايام جهون
 أخو سغب ولا ماء مهنون
 تلي تغيي بها الداء الدفين
 جهاد ينج الفخر الجفون
 اليك والجرم الهام الحنون
 مطاك لكان مكتبا حزون
 جموعهم عليك رحي طحون
 وفي عهد أتوك صفد ينون
 كان صروعا كانت كمين
 غلست بمهتر زما شؤ ونون
 يحدث عن سناه طور سين
 له هوت الكواكب ما جدين
 وحاول أن يور المسلمين
 فان محمدا غر الاخر ينون (١)

قال يمدح صائح الدين :

طالت غروب الحمى فيـــــــــــــــــه كما زكت منه الاصلـــــــــــــــــول
 راياته تحكي الاصيلـــــــــــــــــل فرايه الراي الاصيلـــــــــــــــــل
 حيث المخيول على الـــــــــــــــــوعو ركبتها فيها الوعـــــــــــــــــول
 انا وقد قصد الغـــــــــــــــــزاة وهنت القرب النصـــــــــــــــــول
 وكنت به ام السليـــــــــــــــــب وشهد صاربه الصليـــــــــــــــــل
 وبت له ارض الشـــــــــــــــــا من تهون اذ كانت تهـــــــــــــــــول
 فلم يفتح فخلـــــــــــــــــم من قبل ان يقع القـــــــــــــــــول
 ويحيد ما فـض الـــــــــــــــــدي بكراتك لها الفـــــــــــــــــول
 يا ايها الملك الجـــــــــــــــــلبي الامر والملك الجـــــــــــــــــل
 كم منـــــــــــــــــة تستطـــــــــــــــــيك روضة بل تستطـــــــــــــــــل
 ولكم صفحت عـــــــــــــــــن الفرو وقد تبطنه الفـــــــــــــــــول (١)

وقال ممدحه أيضا سنة ٥٧٦ :

يا صائح الدين يا ملكـــــــــــــــــا ف براه الله للـــــــــــــــــم
 اشدت الفـــــــــــــــــارني تقـــــــــــــــــم وغدا الاســـــــــــــــــم (٢)

(١) الخريدة ، قسم شعرا مصر ١٠٨/١

(٢) الخريدة ، قسم شعرا مصر ١٠٦/١

قال يمدح الملك الناصر صلاح الدين ، ويهينه بفتح حلب من عماد الدين زنكي بن مسعود
سنة ٥٧٩ :

بدولة التراء عزت ملكه العرش
ولو زمان ابن أيوب غدت حلب
ولا بن أيوب وانت كل ملك
مثل النصر مضوت بهجته
والدهر بالقدر المحتوم يخذ
ويجلى الخلق من رايته أبدا
ان السواجم كانت أي عام
ما دار قط عليها دور دائر
لو رامها الدهر لم يثر بيثيق
ولو أتى أسد الأبرار فثب
جليت النجم في أعلى منازل
تلقى اذا عظمى والبرق أرسى
كل القلاع نروم السحب في
حتى أتى من مثال النجم
من لو أمي الملك الدوار
أتى اليها يقود البحر ملتحما
بستلهم يولوا أديم حفظ
جم لهم من مخزيم اذا قفلوا
فطاف بها بركن لا يقبل
وحل من حولها الاقنى على
.....

لو لم تجب يوسف من قبل دعوت
شافت وشاف هوغو لما كون
ثم استجابت أفلا حين بدت
وأصبحوا منه في هم وشبح
شرغوا لنسيم الحين واشتعلوا
أن الديرة لم تلتف ما كهم
ملائك لم يدبرها مدبر
حتى أفاها شيخ الدين فأنصحت
واستعمل الجند فيها غير مكره

(١) ديوانه ص ٩ - ١٤ والروشتين ٤٣/٢

ويابن أيوب ذلت شيمته الملك
من أرض صرغيات مصر من حلب
بالفتح والفتح أو بالفتح والمنعرب
الى الزايم بدلول على المنعرب
والأرض بالخلق والأفلا بالفتح
مهيضة النصر من صفرة الشمس
معدومة بتعاليمها عن الرتب
كلا ولا واعلمتها نوبة الشمس
ولو رماها بقوس الأفق لم يثرب
خارت قوائمه عنها ولم يثرب
وطالما غاب عنها وهي لم يثرب
كواكب الدلو في بئر من السحب
الا السواجم تبنى السحب في
يا طالب النجم قد أوفلت في الدار
لنير الراية منه موضع الذنب
والبيد كالأجور والبيضات كالجرب
عوائد الحرب لا مستغنى عن اليأس
حما لقا لسي لا حبالا لعظم
الا أمنة أطراف القنا السلس
ودار من برجها الأعلى على قطيب
.....

لساد طبرها كالجوسق المنعرب
غالمدن في رهيب والتوم في
بها على ولا ملك بهجت
وهم سكارى بكاء من اللهو والمنعرب
عن الشفور بلتم الثمر والشمس
بلك فطن أو سائس من درب
الا برأى خصي أو بعث من
من الفساد كما صحت من الوعرب
بالجند حتى كان الجند كاللعب (١)

وقال يمدح الملك المظفر تقي الدين وكان عازماً على المضي الى اقتتاح المشرب سنة ٥٨٢ هـ :

قد اجتمعت زهر الكواكب في النسر
بسعدهك يثني عن ميادة الشهب
وباسطت قبل الحرب تنير يا مريض
تشرنها مع بعدنا منك يا قبيح
يظفر من ياقوت الى قلبك الحمير
تكشف عن شمسها ظلمة العظمير
فيسهل منها كل مبتور عسير
يساعد المريح في حومة الحسير
.....

تخط خطوبها النسر حتى على المستر
ومن ذا يرد الاسد عن طاعة الوثعير
غلبوا لهم غير النوار من كسير
ويلهمهم نهب النور عن النهمير
فان طعن في طعن ولا ضرب في ضرب
ورب سيف قطعت وهي في القبير
بهم وتراهم غير آمنت السير
أثمة عازوا ذاك العيب بالنصير
.....

بذل لك جهدك الفير في طاعة المستر
تسوق الى السلطان قاصدة العسير
وتد عدقت أمدى بنا من الجحير
من المنجل الفياض والورد العسير
وان كنت من نور الجلالة في حجير
شروحت من قلب ومزجت من كسير
فاظهرت ذاك الفرض من ذاك النسر
وتولي له عصبي بملك من حسير
ولا عجباً ان أسرفت بك في الشجير (١)

وقال يمدح الملك العزيز عثمان سنة ٥٩٤ هـ حين رد الفرنج الالبيين عن تينين :

وكان من قبل طريق الشمرار
فجاء عثمان جاً والنهميرار
وجاءه باليمن بعد الجحيرار
بمدار ما الشام لكثير يسيرار

لنيرك حتى عيلة الشرب بالخلير
وما اجتمعت الا لتجد عسكر
وباسطت من قبل الوفي تهزم الحير
ولكن ارادت ان تفوز بخدمير
وتأوى الى حزب المظفر أنيسير
وتبذل فيه ما اقتضته طاعير
ويجلو لها ليدرا النير مسا لكسير
ويسعد بالبرحيه في السلم مثل مسير
.....

لك الجحفل الدرار للبيز والتسير
به كل وثاب الى البوت باسسير
يبتون من كعب المناير في الوفير
ويشغلهم بسبي السود عن المير
لهم بجز في الحامن والشرب باهير
ويهرب من أسياهم قبل ملير
فعدن الاهادى غير متهمة الحير
وكم ملك بالناج يحصب رأسير
.....

هنيئاً لك الملك الذي أنت ربير
ويحذرك للكفار حادة التسير
ويستطك كفا تشهد السحب أنيسير
وإدناؤك للثمان للوجود والنسير
وتقريبك المظلوم من غير حجير
وسيرك فينا سيرة عزيزير
ورداً فينا من سحير سفير
فيا من تيمى واستطيل بملكير
ولا غرو ان تاهت بملك وأزد هسير

الشام للأمان دار التسيرار
وكان في ظلمة ليل دجيسيرار
وجاءه باليمن بعد النسيرار
فيا أمان الكفر لا تأمنيسيرار

ويا عماد الدين يا من لـــــــه
 وجئت لتبين ومن حولـــــــه
 سدوا عليها الجـُزْءَ حتى لـــــــه
 يجوزها الدايـف ولكن عـــــــلى الاخـــــــه
 ساق اليها الكثر اجناســـــــه
 من كل من يزار من غيـــــــه
 انما على البرأتى واكثـــــــه
 وطبقوا البحر سفينا فمـــــــه
 واحوا الشجر وناغوا بمـــــــه
 واجتمعوا حولاً وضم حولـــــــه
 وكان ذاك الشجر من اهلـــــــه
 وكان اهل الكثر في جمـــــــه
 وانهم زوا للبحر ان ابـــــــه
 وعذروا ان هربوا واضـــــــه
 اتسم ما شدوا ازارا لـــــــه
 لولا سرى القوم يعجلـــــــه
 وظلمت اشهر ان تشـــــــه
 وكان للذئب يد عند هـــــــه
 لولم يحمى سيفك ما ســـــــه
 عجوا وطابوا من دارك الســـــــه
 وسبهم بهم من خوفـــــــه
 وانقلب بالذل ازياء هـــــــه
 امتت ذاك الشجر من عـــــــه
 ومن حصار الكثر خلـــــــه
 وما سمعنا قط فلتنا بـــــــه
 نروا ولا طار عليهم بـــــــه
 نراهم الراى اجتناب الوغـــــــه
 يا ملككم اعدوا هـــــــه
 قضيت حق الشام ان زرـــــــه
 وذل ملك الكثر نيه فـــــــه
 فارجع الى مـــــــه
 وانتشرت مودك مشتاتـــــــه
 تشتاق ملك البدر والمليـــــــه
 ومن اذا ما حل في موطنـــــــه
 والشام قد اوسعتها وحمـــــــه

كل مزار في الاعادي مـــــــه
 قوم كاعداد الحصى للخصـــــــه
 كادوا يسدون باري القطـــــــه
 طار ادا ما ليه الشطـــــــه
 نظام قادتها الحلواء الكبـــــــه
 كانه من مغرب الشمس نـــــــه
 او يفتح القلح في البحر طـــــــه
 بان وساروا غوتها في قـــــــه
 واحدتوا كاللؤلأ كالســـــــه
 مدوا كسول واحاطوا كنـــــــه
 وقبل ان يحضره في استـــــــه
 فمعد ما اطلت طاروا شـــــــه
 بحروفي تنرت فيه البحرـــــــه
 هل يثبت الليل امام النهـــــــه
 الا لان الليل مرغـــــــه
 عجلت في القوم شقاء الشفـــــــه
 فاشكروا منه ليالي الســـــــه
 لانه ملك لهم قد اجمـــــــه
 هام مطير سمع هام مطـــــــه
 نجا خلوا من غور او شـــــــه
 فجا حديث القوم الا مـــــــه
 فصار ذو المنفر ذات الشـــــــه
 ومنك لم يتدر عليه تـــــــه
 بالاسر بل من خلقات الـــــــه
 ما فيه لا بل ما عليه غيـــــــه
 ان تراا منك ما فيه عـــــــه
 وهو لهم قد احسن الاستـــــــه
 بالرب هذا وابلوك الشـــــــه
 مناموا اهلوا تلك النـــــــه
 اضحى يوم الجبار فيه جمـــــــه
 اليك شوق وشجاءا او كـــــــه
 ما احسب المشتاق بالانتـــــــه
 توهاب الالوف النظـــــــه
 حل بنا لخر وان مار ســـــــه
 وان ان نرحم نفسي الديـــــــه

ومر أهل الحلة وهي السيمسي
ثم ولا زلت لنا عاتسدا
والدهر لا زلت به لا بسدا
تبقى لدى الدنيا وأمثالها

وقال يمدح القاضي الفاضل ويهنته بفتح عسقذون سنة ٥٨٣ بقعيدة مالمها :

بأنت معانقتي ولكن غي الكسرى
ومهمسا :

بلغ السماء صالياً ونكاً رمسدا
فقل الملوك فصار يُسنى فاضسدا
ويحد ألوية الملوك وأنسدا
فقتواه حد النصار بغلسدا
الراى أبين والبراع مسدا
جملت براعة الكلام المغلسدا
وسنى الدين بن راعته يراعسدا
كسر السليبي سيده من رأيسدا
واقدر أقر الله عين نبيسدا
ما زال أو جعل الكنيسة جاعسدا
فتح الشام به وقال زمانسدا
الشام دارك لو أردت أخذسدا
منه بزفت وكنت بدرا نسدا
وله ملكك فأن برحت ملكسدا
من مبلع بيمان سيدة القيسدا
فلو استلج البيت أرسل حجسدا
ولقد أعدت لمسقذون روحسدا
وأدمت راحتك لدمت بكلسدا
كفر الشام وعسقذون بوسدا
ولكان مؤمن آل فرعون بهسدا
لأغرث صر به وأيسر حقسدا

أجنت يد الاسام تلك الثمسدا
بالفشل والبسطة والاقشسدا
عمرا طويلاً في ليال قيسدا
طولا وبذا القول غنى اختسدا (١)

أخرى دري ذاك الرقيب بما جسر

ظهورت ويبلغ نور ذاك مظهر
نشرُوا لديه غمار يد غي الأكسدا
يتكبر عن أن يرى متبشدا
وبرأيه غدا المهزبر مسدا
ثيقوم غي حرب البدو مشهسدا
عبداً هولكننا نراه محسدا
فلذا أله أزهى باليهان وأشمسدا
فصل البدى من كان أعلا بكسدا
بدليهم جعل الشام مظهر
والأكبل المظفون منها مظهر
أن كنت ثاتحه لئن يشسدا
بالأرت من آياتك الشم المسدا
وبه طلعت وكنت صبحا مسدا
وبمظفرت فأن برحت مظفسدا
أن الهناء أناه من أم القيسدا
وغدا وأرسل بالهناء المشسدا
ورفعت شاهته وكان مد مسدا
وعمرت ساحته فمشت معسدا
حاشاه وبنو عريشه أن يكتسدا
اذ كان يضر من ما قد أظسدا
أن لا تشار وعقها أن تفسدا (٢)

وقال يمدح الملك الحادل سيف الدين أبا بكر بن أيوب ، بتسيدة مطلقها :

على أن دارني أي ساء وساءت

تنزهتني بين زاه وزاه

ومنهما :

يوم البدن في عسكر من جنسوده
يبادر للأقربان قبل بدادهم
وتسري إلى النصر البين وما حمله
فحمله لا تنق بمرأى من
له الله ما أمناه حد عزيمته
يظل بوجه ضاحك الشرباس
تراه إلى الكهيج أول وارد
تخر الجبال الشم شوق خيل
سنا بكها بين الصراخ وشوق
ينور الاطادي في حنون شوا
ملوك عداه ما لها من ساكن
فكم من قلوب في صدور مغال
إذا ثقلت أجناده فجهل لها
يبيتها منه بأحقق ناس
يلوذ بفشار الجرائر ساقط
كريم غدا يثقل مخدم

وتد سبت أخباره في عساكر
ولا يدرك العليا من لم يسا
فتسير من أجسادهم في محاسن
وفعائله لا تنق بالمصير
وأثبته بين اختلاف البواتر
أمام نهار كالح الوجه بالسمير
وعشها إلى الأوطان آخر صا
وتندك رجا قبل وقع التوائ
وعشرتنا بين الحديب وحاج
ويقتل منها عن طول دواش
وتقتلهم ما أن لها من مقاب
وأعنت أغواها من مناس
مخاني الفواني بل تصور التيا
ويصبح منه عند أكرم
سراير غلاب المقادير تمس
حليم لنا يثقل عاذر عاشر (١)

وقال يمدح القاضي الفاضل ، بتسيدة مطلقها :

وحاشاك نهمين وجهها ضحك الشمر

ألا فانتبه من ألقها طلع النجم

ومنهما :

أما نوا برقع الفاضل الندب فسلم
وما فاته إلا الجيوش يجره
ولا فرق لولا اللون بين صلاحهم
وخاض بهم في البر بحر من السردى
وجاز طريقا يرهب النصر قطعها
ويطلع نبيها السبع والليل بعسده
تهاب الرياح الهوج من ترابها

وأعلوا له قدراً غبار لهم قسدر
وقد جرح منها ما يثقل به اليمسدر
غاراه بيض وراياتهم سفهم
باراقته سود وأواجه حمسدر
على أنه نسر الكواكب لا النمسدر
وفي ثلبذا خرف وفي عذر ذارمسدر
فما ناله ذل السبا ولا الأفسدر

(١) ديوانه ص ٣٦٦ - ٣٧٠

له سارم يشفي به الدين عسسه
 ينهب فلونه بنجيه عسسه
 قد تحسبوا بالك جرد عسسه
 ثلها كمثل البقل لونا وأنهم عسسه
 حداد عداة للحديد عسسه
 فكان قد الهام من قبل طبع عسسه
 يجرد ها من يشد الجوز عد عسسه
 ويحملها من حمل الدين كل عسسه
 هل الذكاء التكلي بأولادها أنتهم عسسه
 وكانوا لها كالعقد لكنه عسسه
 أتاها بمثل الرطل ينقل خيام عسسه
 عساكر أرواح الصاكر شرب عسسه
 وما طال دوح الأذير منهم تحش عسسه
 إذا ما انحسروا للحمل حاكوا قس عسسه
 يكلهم فزو الفرس بدار عسسه
 إذا كنت من قتلك تحلا سهل عسسه
 جباد هم تحشى العتار من القنا عسسه
 وما خالفك الجرد قحوا عسسه
 وأرجلها لو قطعت لسرت عسسه
 جنى أهل تلك التلعة الشراذ راوا
 غدا يعلها الأبرر يلعن عسسه
 يرى النخيل والفرسان ينشون روحه
 وقد رجسها البندقيات أذ رمت
 فباتت هوما قد بات يفتح ملك عسسه
 وصيحت أخرى صيحت بأهل عسسه
 فتألمس لما نزلت بربع عسسه
 أحسوا بطل للخريف فجاء عسسه
 ولم أراضا جادها النيث قبل عسسه
 وما شرتوا بالباء والريق أذ راوا
 شبيت وتود الحرب بالبير والتم عسسه
 وما أغدت عنهم سيوفك أو أن عسسه
 يمانق في قتالهم فيه عسسه
 أيدت النصارى واليهود بعسسه
 وكانت بهم تلك البلاد تنجم عسسه
 ولم يبق إلا من سبي الجيش منهم عسسه
 عذاري أمارى كبلت بشعور عسسه

ربح جزوع النمر منه بلا عسسه
 فما يتعلل سيفه حلة الشك عسسه
 ولكنه قد جرد الكف بالنص عسسه
 لترى السدى رعي الطير ورق البقم عسسه
 من البعد حتى كل غمد يار عسسه
 وتخرن من سجن الفهود يار عسسه
 ويتوى بها من يشرب القتر باليس عسسه
 عليه وما يشكو سوى خفة الك عسسه
 عن النسل ما جرعت من الك عسسه
 واضحى لها جيش ابن أيوب كالشمس عسسه
 إلى الأفق ما غور الطريق من الر عسسه
 وليد لها غير الفوارس من الك عسسه
 ولكن ليندوا دارفه منه في ج عسسه
 على أنهم للموت أجري من الن عسسه
 ويسهل إلا أنه ليس بالصع عسسه
 فكيف يسير الجيش فيها يار عسسه
 قنينة وتخشى في الدماء من الوح عسسه
 لتلحق من عاديته وهي في الشك عسسه
 عليها لهم والصل يصح يار عسسه
 شواد يها كالباسقات من الن عسسه
 بها وهي لا تفك من لينة ال عسسه
 فيضطر لاستعجاله غلة الش عسسه
 لشين لسين كافر جاه عسسه
 فتأقمتا تبكي الخروج على الأص عسسه
 ومساء إذا أصيت وهي يار عسسه
 أقامت بهم حق الضيافة والن عسسه
 ويخرج من النبل المسدد كالو عسسه
 وتصبح تشكو بسدة مقله الح عسسه
 جيوشك لكن بالفوارس والرج عسسه
 عليهم فقد أضحت دماؤهم تش عسسه
 على السر والشين المشغل والك عسسه
 صليبا بلا حب له عابد الح عسسه
 وما جاء هذا قط في مالك الن عسسه
 غناب دم منهم عن الماء في الن عسسه
 وأن كان يسبي الجيش بالحدق الن عسسه
 فجرحها في العاق والمصم الم عسسه

وأنت بشكر الله في أشغل الضمير
جمعت به بين الفريضة والنفس
تناديك لأستأمن يا جامع الضمير
وأبي زمان لم تعد غيه بالضمير
سوى أنت بالريحان والرائع والنفس
من الملك المني عن القول بالضمير
مع اليهود بالدينيا وما بنو بالضمير
ويعلم هذا فجاء بالحق والنقل (١)

وقال يجمع الملك الناصر صالح الدين ، بأشغاله على الفريضة قرب بانياس ، بقسيدة أولها :
أبي صدها أن يجمع الحسن والحسين

وبهها :

أنا بني الأصنام في كهف أنفهم
وعوشتهم من بعد مشطهم وشعير
وما شاقه صوت العظام إذا شجدا
له النعل يجلي وأثناة بكفهم
أقام بدار الكفر تجوي لالههم
يشن عليها غارة بعد غيرة
ففت وقلت من سائتهم ديارهم
زمان على تلك المعاهد قد شفى
أصاف وشقى بين عكا وعرضة
أتمت بها التوحيد لله وحسبه
ولما رأوه أدهوا حين غابهم
وود وثقوا لكن لاسر رقابهم
ثبت لهم والسياف قد أتره الطلسم
بضرب يذيب الشمس في الأفق حسره
مضى ملكهم في أول الأمر هاربا
عني حناق ما نجا من نجابهم
وما زال أحن الدين والقلب فانتفى
وتد أنفت منه الدواخي لجينهم
ولم يبق الناقوس بعد انهزامهم
وأشحن أسيرا بأدويل وغسبيره
أسارى جباري ، لا يرجون غديسة
وهل زادهم السجن شيئا عليهم

(١) ديوانه ص ٥٥٩ - ٥٧١

وأومضهم تد لا سيكنهم تد نسما
وبدلهم من بعد موتهم أنفسا
ويداره صوت العظام إذا غسما
تقوم والقوس الشديدة له يعضها
وتودي له القتل وتسمى لالههم
فقد أصبحت من من غارته شمسها
فلا معقل ينش ولا منزل يشعني
ودهر على تلك المعاهد تد أشعني
نظام برادها حافة وهو قد أسعني
وأسميت فيها الرق والاب والابن
أعنة خيل لا تسود ولا تشعني
وقلب رزوس منهم أن أن تشعني
وجالدهم والقرن تد حثم القرم
ويحرق ما بين القلوب من المشعنا
يحب تغاه الطمن فيه ولا شمسنا
ولا فاز من كان الفرار له حشعنا
وتروح السوالي قد أتم له الأذعنا
غلم نجت حواءه شكر الجينعنا
ولكنه من بعد تروح السمسنا
تروى ملوك كم أبادوا لهم ترنسنا
ولا يملون الدمر فكانوا أشعنا
وقد جعل الأرض الفضا لهم حشعنا

ولكن على نفسيهما أميلا الدجفنا
ويوحشه الليل البهيم اذا جفنا
وبدارب لكن ان هذا تبيده احفنا
فحنت وأنت مثل ما حن لو أنفنا
بنيت اذا ركننا هدمت لذا ركنفنا
كمحنى ياد الفكاكولفنا ياد عففنا
سميت عنه تشكيتي اليك والحزنفنا
والا السحب قد أفلمت عففنا
معلتك من مئون ومثلك من مئفنا
وأنت يغني الزمان ولا تشفنا (١)

بكي الكند واليسكنند لا وحشة لهم
يرفعه السبع النير اذا بسفنا
ويشرب لكن ان جرى دمه دسنا
وتد ريشا زنت عليه تيسفنا
وتد أبع الاسانم والكفر كلسفنا
وتد أبعيت مد سرت بسر وأهلفنا
غدت مثل يحقوب النبي وقد شفاي
وما أنت الا الشمس أظلم يندها البلاد
فداوي لسين أهدر يا وديفنا
فلا زلت تبقى للنبي وديفنا

(٣)

وقال يمدح صلاح الدين وبهنته بكسر الفريخ وملك يازد الشام :

يا ضيل الاسانم ما قد تشفنا
وهو أولى لانه كان أهفنا
أم نهنيك ان تملك عدفنا
ان غدت الشام حسنا فحففنا
تي وانت الذي على الدين عففنا
ثم أعتقه وقد كان قنفنا
شرف وفي عرصة الملائك أشفنا
ومحل فوق الأئمة يشفنا
ل فوافي اليه شوقنا وحففنا
ت في بيته أحق بسكفنا
ل رد الاتزان ترنا فقرنفنا
واكم طينة ولم تر كنفنا
ه فرادى جاءت اليه ومشفنا
م ولما نهشت لم يتأنفنا
ه بالخرب والحب مشفنا
وتحنى فانه ما تشفنا
ر منا والبدر يطلع وشفنا
كنت يا يوسف كيوسف حسفنا
ضرب قد صخفوه أو صار هففنا
ما أملوه عنك وعففنا
جملتها مملات خيلك عففنا
نا نحن قد فارسا هففنا
ك لاقيتهم يازد ا ومدفنا

لست أدري بأي فتح تشفنا
كن فتح يقول أني أولفنا
أنهنيك ان تملك شاففنا
تد ملكت الجنان تصرا نففنا
ان دين الاسانم من طسفي الشاففنا
أنت أحييته وقد كان ميتفنا
فاشكر الله ما صنعت على العففنا
لك مدح فوق السماوات ينشفنا
شاق جبريل بيته يشفنا
يخفق الساكنون منه ورب البيففنا
شهد الناس أنهم شاففنا
فلكم ضربة ولم تر عففنا
ملاء جنده ما لكفنا
كم ثاني النصر العزيز شفنا
تد تشيت حين أعبت وجهفنا
ولسبون من حاز نقدا جلفنا
تحت في ظلمة الكربنة كالفففنا
لم تفلت قد في الدجفنا
تجفتي النصر من ظهرك غسان العففنا
تهدت نصوص الأفسادى فرد اللففنا
حملوا كالجبال عظمنا وكشفنا
جمعوا كيدهم وجاءوا كركففنا
لم تلاق الجيوش منهم ولكنفنا

يا وتاجا وظيلسانا ورد نسبي
 أنت بالشر كنت أغنى وأقسم
 تشي ولا المهند طنسي
 حين عادت تلك الشجاعة جينسي
 ح هروبا والمفرار مجنبي
 هل يطيقوا الهروب عقرى وزمبي
 تخرج الليث والخرال الاغبي
 فجرت فوقها الخزائر مغمبي
 رقت المشرقي فيها وغبي
 مستظاما فاجعل لها النار سجي
 من رأى بقدر صلبه قط اغبي
 ر يغني وملكه ايسر يغبي
 يتشنى في ابدنم يتشمبي
 طودا ويبرر الشمر د جنسي
 فتمني لو انه ما تحصبي
 به يقينا وكان اكدب طنبي
 عليه تكلمنا ان انبي
 حاه تمنع لم يندم اليوم ينبي
 كنت قد مته فبوزيت حسبي
 وشار الاطال منهن تجنبي
 كل عقس وكل قطر تم جنبي
 وحيث الافاق سهار وجزني
 وتوحدت بالذي هو اسمنبي
 اي لفظ يقال او اي مسمبي
 ه سمنا لربنا وأطمنسي (١)

كل من يجمل الجديد له شنو
 يدعون الغنى من الناس لكشن
 خانهم ذلك الصالح فسنالارمن
 واستحالت شقائق الكفر صنبسي
 اشجع التوم فيهم جاعل السند
 ليحاطوا الهروب شحفا وعجنسي
 وتعيدتهم حلاقة مغمبي
 وجرت منهم الدهاء بحسبي
 صحت منهم وليمة وحسبي
 ظل صبودهم لذيالك اشمبي
 عليوا ربهم فلم يغني عنهمبي
 وحوى الاسر كل ملك يدشن الدهر
 والملك السليم فيهم اسمنبي
 يحسب النوم نقلة ويظن الشين
 كم تمنى اللقاء حشبي
 ظن ظنا وكنت اهدق نسبي
 رة من رحمة له القيد والشمبي
 والمعين الابزير ابعج مغمبي
 أنت ذكيت فوحيات نسبي
 وتهادت عرائد بالبدن نجبي
 لا تنزع الصام قبلك التهانسي
 قد ملكت البلاد شرقا وغربسي
 وفردت بالذي هو اسمنبي
 وأخذت اوصف في عاك حشبي
 وسمنا الاله قان اطمينسي

قال يمدح صالح الدين ربه الله بالفتوح :

هذا الذي كانت الآمان تنتهك
بمثل ذا الفتح ه لا والله ما حكمت
حين به حان هلك المشركين فيسا
مدوا كما مد فيض البحر ملتطم الام
لقد فتحت عصا ما من ثغورهم
تركت ارضهم من طول ما عسرت
نقضت ما أبرموا ه أبرمت ما نقضوا
الآن قرت جنوب في مضاجعهم
الآن طابت الى البيت المقدس
يا بهجة القد براد أضجى به علم الاس
يا نور مسجده الاقصى وقد رغب
شنان ما بين ناقور يدان بس
الله أكبر صوت نقشور لم
يا ما لك الارض مهدها فما أحسد
ما أخضر هذا الطراز الساحلي ثمرا
أضجى بنو الصفر الانكاس موعظ
صاروا حديثا وكانوا قبل حادثة
سلبتهم دولة الدنيا وعيشتهم
هذا الذي سلب الافرنج دولتهم
مراكز ما اختطها الخوف مذ مائة
ولا أسرع أسماء البلاد فقصد
يشنيك أجمال تولي عن طفلسه

فليوف لله أقوام بما نسندروا
في سالف الدهر أخبار ولا سبر
لله طيب المشايخ منه واليك
واج حتى اذا قابلتهم جسر
لولاك ما هد من أركانه حج
منهم بالاقع لا أنش ولا ذكر
عبرت ما هدوا ه هدمت ما عسروا
ونام من لم يزل جلفاً له المسير
بيت المحرم أحرا يستمر
لام من بعد طمر وهو منتشور
بعد الصليب بالآيات والصور
وبين ذي منطلق يضي له الحج
شم الذرى وتكاد الارض تنفطر
سواء من قائم للمهد ينتظم
الا لتسلو به أعانك الصفر
فيها لا عداك الآيات والنسور
على الورى يتيها البدو والحضر
حتى لقد ضجرت من وفد هم مقبر
وملكهم يا طوك الارض فاعبروا
عالم ولا ربح املوها ولا ذعر
أسهت والقائل المنطير ينشع
في لفظة البحر سنى تحته الدر (١)

وقال حين قصد الافرنج القدس سنة ٥٨٧ من جملة قصيدة له :

وجع الفرنجة بل ويل أهمهم أومسا
فكم نثرتهم ضربا اذ انتقمسوا
كم قد حقيتهم ذلا فلا عجب
ان يحسوا فاذ بدع لجهلهم الوهم
زاروا نورا ولا تشفى وقاحتمهم
فحام عن حولة البيت المقدس لا
هو الشريف وقد ناداك مستعمسا
وموت تستنفر الايام هفوتهم

فيهم لييب على السلاخ عتبر
وكم نظمهم طمنا اذ انتقمسوا
ان عر بدوا سفها فالقوم قد سكب
تسعى الى الاسد في ظلماتها الحمر
اذا أسود لي لي أبطلهم زاروا
خوف ه وحاشاك من خوف ولا ضرر
فما على دجده من بعد ها حسر
وتحصد الفئة الاوغاد ما بسدروا (٢)

(١) الروضتين ١/٨٠ عند الجمان ج ١٧ ق ١ ورته ١٨٠ (٢) الروضتين ١/١٤٤

وقال يمدح النادل حين حاصر كوكب سنة ٦٠٦ وخربها بقسيده أولها :

وظاير الماصيان الدهر والقسم

وثق لك السعدان النسر والتفـ

ومنها :

فلان جامحه اذ أسهل الوعر
ان يستطيعهما التاميل والمنظم
من أن ينالا تنال الانجم الزهر
لولاك عز على ورادها المصم
أن ليس ينقض من مريمها المصم
مع اعتزالك واستشوتهم جسم
قطراه لاندك منه القطر والزهر
ما ليس يتقي غوايه ولا تـ
اليك من جنات الافق تبتـ
وكاد كوكبه الدرى ينكبـ
أنفاسها في نفوس الشراء تزدفـ
قلب الحديد ولا يستحيك الحجبـ
عنده بصيد الارض مشغـ
عقود خيلك صدودا بها الشـ
من رأيك الحزم أو من كفك البـ
أن لا يروهم خوف ولا ذـ
في جنب تياره الافهام والفكـ
صرف القادير أو أحداثها حـ
قسرا اليك سلى للأسد تنـ (١)

خطب طرى وطفى حتى شهدت له
وشامخان رفيعا الآن يحسر عـ
في ذروتي مشغرا العز دونهمـ
أوردت حصنك بن تلك الحصون منى
وكان أهلاهما قد اكدا حلقـ
يا ويحهم أو غرتهم بني شـ
ولو صدمت به السد الذي أطـ
أو رام شامحه الاحرام حل بهـ
بل لو دعوت النجوم الزهر لا بتـ
لقد رأى كوكب في نفسه عجـ
أرمت جذوة بأس في جوانبـ
رطوقته مجانين يلين لهـ
هوت عليه بمثل الشهب قاذفـ
أضحت بخانيق في أعناق هـ
بادرتهم برجال لا ينهمهمـ
مسودين قراع الموت قد الشـ
جيش اذا جاني ضاي لجه فرقتـ
لقد بطشتهم بطشا لو انهمـ
فاستحمروا الذل جلبابا وقادـ

وقال يهني السلطان صلاح الدين بالفتح بقسيده وأشده أياها بحرج عكا أولها :

من همار النابى وأعظم فتكـ

بحرق النانيات في القلب انكـ

ومنها :

لا يحيلون المنجا منه غاكـ
صاح فيهم داعي البسوار فلانـ
فتراهم من التنازل كالوهمـ
بهميون بيض يرون بهـ
رض فأوسمهم بوارا وهلكـ

ما لجيش النبال في بحر حلكـ
صاح فيهم داعي البسوار فلانـ
فتراهم من التنازل كالوهمـ
بهميون بيض يرون بهـ
رض فأوسمهم بوارا وهلكـ

عند الجمان : ١٧ ق ١ ورقه ٣٣٨

أيقنوا بالبراءة منك وتصدقك ~~ك~~ ~~ان يقين الاوطاد من قبل شكسا~~
 وعدتهم بل أوعدهم ندموس ~~كان مبادها غرورا وأنكسا~~
 وليبذلوا الهند الرقاق وسحر ~~خطأت رؤوسهم دون عكسا~~
 فقتل منفر ليس يهودى ~~واسير مكبيل لن يثكسا~~
 أنجاة وقد طرحت عليهم ~~كلما يهدم النبال ه وبركسا~~
 وتوختهم ببيض طيسا ~~كلها يهتك الضرايب هتكسا (١)~~

بحث الى الخليفة العباسي حين نزل الفرنج بآرض الطور :

لها الى النصر اصدار وايسر
لا ينقلن فحصرن الطور بنسداد (١)

قل للخليفة لا زالت عساكره
ان الفرنج بآرض الطور تدنوا

قال يمدح صالح الدين ومهنته بالفتوحات سنة ٥٨٢ :

صمود من الفلك الدائري
تمد إلى سيفك الباتري
حكمت غنكة الأسد الخساري
غلله درك من كاسي
غلبها لها الدهر من جابري
فتصا لجدهم المائري
م رولي كاسهم الدائري
فناجز متى شئت أو صابري
بتيار عسكرك الزاخي
فأترك الله من ثاقبي
فصاك بالملك الناصري
غلله أجرك من صابري
وترفل في الزرد العابري
د على طيب عيشهم الناصري
سيرضيك في برفك الماصري
فنادت إلى رشفها الطاصري
فخلسته من يد الكاصري
وأحييت من رحمه الدائري
ج من الزمن الأول الشابي
بها لاصطناط في الآخري
من يذكر لكم في الموري
ك لمثل من مثل حائري (١)

أبالت على أفك الزاهري
فأبشر غان رقاب الصدي
وكم لك من فتكسة فيهم
كسرت صليهم عنسوة
وغيرت آثارهم كلهم
وأضيت جدهم في غزويهم
وأدبر ملكهم بالشامي
جنودك بالربح منسورة
فكلهم غرق هالسي
ثارت لدين الهدي في السدي
وقمت بنصر اله المصوري
وجاهدت مجتهدا صابري
تبيت الملوك على فرسهم
وتواتر جاهد عيش الجهمي
وتسهر ليلك في هذا صبي
فتحت المقدس من أرومي
وجئت إلى تدسه المورمي
وأعليت فيه منار الهدي
لكم خير الله هذا الفتوي
وشبك من بعد غاروقيه
محبتكم التي في النفسوي
فكم لهم عند ذكر الملوي

قال حين أمر المعظم عيسى بتخريب القدس : *

مررت على القدس الشريف مسلماً
غفاضت دموع العين مني صباباً
وقد رام علي أن يحقِّي رسومه
فقلت له شئت يمينك شلماً
فلو كان يُغدي بالنفوس فديتسه

على ما تبقى من ريوح وأنجسهم
على ما مضى من عصرنا المتقادم
وشمر عن كفي لثيم مذموم
لمعتبر أو سائل أو مسلماً
بنفسي وهذا الظن في كل مسلم (١)

(١) الذيل على الروضتين ص ١١٥ - ١١٦

(٢) ذكر محمد زغلول سالم أنها قيلت بسبب تدوير القطار لها ، وهو غير صحيح ولا يستند إلى رواية علمية (الأدب المملوكي ج ٢ / ١١٣)

والعدل والاحسان والمعروف
كفعمال مولانا صلاح السعدين ذي
أعيت وأعجزت ألبليغ صفات
خلعت عليه خلعة الملك السني
أهدى صلاح الدين للإمام
رب الملوك لمهرون من
من رام من كل الملوك مرا
من منجز وأقل دلوها
ينزوا الملوك المريب قبل
هو كاسر كسرى وتبين
فالجيشه ولجزه متنا
راياته صفرا ثردن وتنشني
لم لم تدن شوس الملوك له وقس
واستنقذ البيت المقدس
كم مايج من خيلتي رسف
كم رد من ملك عزيز
ان الاقاليم التي هي
والسبعة الافلاك تخدم
لم يال معترى الثناء
تنهل يناه بجسدواه فخم
كالنيل في ضر وسيدون وجيش
فليمه الفتح الذي مدت
فتح ثدا لا كل فتح دون
يا ناصر الامم نسرت بمسود
البحر أنت لك السراجل بالشمس
انشأت ملحة يمل بقا تمل الس
أعرا بها شرب الحيا ونشظها
والحبر بحر دم نشظت بوجبه
والبيض تنشر وهي فير خواطسب
والخيل مطربة كان صهيلها
نشوى حميد من السرور كأنها
فانقد وأدت الشراء يوم لقيت
وأريتهم لما التقى البهمن بالبي
وردت دينها لله بعد قطوبه
وأعدت ما أهداه قبلك فاتع
حتى جمعت لمعشر الامم بس

لو الحياض لموسر والمعسر
المجد القداس والحناء الكوثر
فالمسهب المظيف مثل القدس
زبدت بها بالطرار الاخضر
أردى قبيل الكفر ما لم يكفر
الملوك قدما في قديم الأعصر
تخفوا معاهه ويكب ويمش
أعلى وأعلى قيمة من سند
في عسكه أثق به من عسكر
ذ لا أعات به وقامر تيص
جيز الهرقل وعزة الإسكندر
حمرا تمج نبيح آل الأصف
ملك السواحل في ثلاثة أشهر
من كل ذي نعيم بكل من
تاج لملك في التراب محف
يدعى بملاوك ذليل أصغر
دانت لمقسرا بسجنتا بحس
حتى قوى كيوانها والمشمس
حسنا نعيم المشتري والمشمس
ربنا لله للخلق خمسة أنهم
ون ودجلة والفرات الكب
عن سلكه أبواب قدر الاد
والشمع تكسف كل جسم
حسن الثنا في العالمين وم
سحب الدنيا جودا وقاذف
نرمسان بالصدو الذي لم
وقع الهام وخطها بالسهم
اذ لير سموى الترى من دفس
والشمس ناظمة وان لم تش
شدو النخيلة في نسيب البح
صبحت كؤوسا من شراب مسك
وغدوت لأمم عين المنش
ت المقدس بلول يوم الجش
بالمسجد الاقصى بوجه مش
عبرو فانت شريكه في المتج
مين الصخرة المظى وبين المش

فلتخزنا البيت المتد من كفوءه
 فكانت انما نعين عسرة
 جاءت جيوش الضرك يوم لقيتهم
 وكانهم بحر تدافق موجته
 اوردت اباران الرطب صدورهم
 فمهاك امير غير نجم يقبيل
 ولوا وحقبان الموف منتهية
 لا ينظرون سوى حسام مشهور
 رنست من منابله غيلهم
 فالقوا نهب للمباح تنوشهم
 ففنا الذي من جيشهم لم يبق
 حتى لقد بهت عقائل اهلهم
 من كل حور وشيل
 واولاد مثل الدجور سوانسرا
 آتت اسودهم ثعلب ذليمة
 طنوا بخلتهم جوارى مشهور
 سرى كأنهم تباثيل مسنن ال
 ط قولوا بهجافل بل توتلسوا
 شكت الفياغي ثقل وطء جيوشهم
 فالشيل لا تنهي بها الا غلبي
 نهبت غلة المطير من حدب بهم
 كم اودعت دوية صحراء اويسمة
 جعلت لها الثارات في آفانسا
 بالسيف رد السيف بخر من دم
 بحر صواره القنا وقلوعهم
 حصن الخوافني والقوادم من جنسا
 حصدوا وكان القدر يذوهم غلبي
 ما ان ترى الاماكنهم وطمعهم
 سقت الدمالكة الكرام ملوكهم
 ضمت الجلوك ولم تنل عشر السبدي
 وبذاك آثرنا الاله عليهم
 ارسلت من تخلل الحجاج سواعثهم
 وعجمت عود صايهم بكسرهم
 اغلى الاداهم من اسرت وارخصهم
 وجعلت شرق الارض جعد غريبنا
 يرجو شفاء غلبه ويومئلا

الحجر المفضل عند اقبل
 يلقاه اسود بهنى أنيسر
 يتد امرون على مقول الضمير
 يثاب وزغف محكم ومنكسور
 فولفن في علق النجيم الاخضر
 في اثر غريت رجيم مدبسر
 والغيل تعثر بالقنا المتكسر
 ومن الدماء كانه لم يشهر
 سودة ارجاؤنا من عتسير
 من كل ذي ناب وشاحب منسور
 تبا ومن من جيشهم لم يؤسر
 بالمبي بالثمن الاخر الحقير
 كالنسن ياداً ثقل مسور
 من كاصب مثل النزال ومسر
 عنهم غرائر كل ليث تسور
 بين السوارم بالدم المتسور
 كانوا من دمهم ره من بخر
 بمانع من رت بايمن مخسر
 غبناهم رخصا كبسط الممر
 هام منقذ توشعرا شتسر
 زرق فصوصا من نغير الجوعسر
 صرعوا بها في السرك المستور
 أن الفرار وطيب عرق العجمسر
 ينبرون من حامة أو منحسر
 راياته والسكن من كل مشسر
 حينهم وشرق القلب بالقلب البسر
 درسوا به وذروا بأوشم بوسر
 صرى السوارم باللياب المتفسر
 كما به سقت اللقيم الهنسر
 اوثيته من منجم أو مشسر
 يا مؤثرا أو زعت شكر المؤثسر
 تنهي عليهم من فتوق كنسر
 وسواء الله صليب الكسسر
 بين السوارم من نهباب النسكر
 بل فهو داخ دعوا لمستصسر
 قاح نيه بمنن وششتر

تَدْرُ الْمُبَرِّزُ فِي الْفَصَاحَةِ نَاعِشٌ
 وَالْأَبَاسُ جَارَتْ فِكْرَةُ الْمُتَكَبِّرِ
 كَرُمًا وَسُلُوكًا كَالْفِي عَشِيرِ
 رَبِّ الْعِبَادِ إِلَى سَنَاءِكَ الْإِيْشِيرِ
 نَاعِشٌ صَوَّرُوا مَا اسْتَقْبَلُوا بِالْمُحِبِّ
 الْأَقْلَامَةِ بِمَنْزِلِ ظَفَرِ الْغَنَصِيرِ
 أَوْلِيَّتُهُمْ مَسْرُوعُهُمْ يَنْكَسِرِ
 وَدَرَاتُ عَنْهُمْ قَاعَاتُ الْأَظْمِ
 لِلْمُسْلِمِينَ وَمِنْ سَمَاعِ مِشْرِ
 فِيهِمْ بِمَصْرُوفٍ وَمُنْكَرٍ مُنْكَسِرِ
 وَبَنَاءُ شَمَلَتْ مَطْوَةَ الْمُتَكَبِّرِ
 عَاتِ كَفَفَتْ بِخَوْفِهِ أَمِنْ الْإِيْشِيرِ
 لِلَّهِ أَهْنُ يَسْرُورٍ وَيَنْشِيرِ
 نَشْرًا لِمُنْتَظَمِ الْكُثْرَا يَنْشِيرِ
 سَوْرُ الْمُتَضَاعِفِ عَاصِمِ لِمَسْرُورِ
 إِذْ رَقَّتْهُ بِخَمْسَاءِ الْمُتَضَاعِفِ
 يَحْنُو لِحَرْ طَابَ فَيْرُ مَكْسِيرِ
 فِي هَيْكَلِ الدُّنْيَا بِدَتِ الْمَسْرُورِ
 بِقَرَارِ الْمَلِيْبِ وَخَزِيْنِ مَطْمِ
 بِدَوْدٍ مُتَوَاضِعٍ فَعَكْبِيرِ
 مَدَّتْ يَدَا عَنْ مَذْلَبٍ لَمْ يَقْصِرِ
 فِي الْأَفْزَاقِ ذِي مِثْلِ يَرْوُحِ
 مَلِكًا سَامِيَانًا وَجَاهِدًا وَأَظْفَرِ
 فِي الْبَلَاءِ يَبْلُغُ عِزَّ سِدْرَةِ الْأَنْصَرِ
 بِرِ الْفَلِيْسِ مَوْسِرًا لِلْمِيْشِيرِ
 مِنْ ذِكْرِكُمْ فِي الدَّهْرِ ذِي رُوْنِ مَنِيرِ (١)

وَحَمْرُ اللَّحْيِ يَنْسِرُ عَرِيْفِينَ وَالشَّحْمِ

وَلَمْ نَرِ جُودًا قَبْلَهُ مَذْذُ الدَّهْمِ
 وَرَشْفٌ شُورُ الْبَيْضِ أَنْ تَمْلَأَ لُثْمِ
 حَسَانًا عَلَيْهِ تَشْتَبِهُ الْفَتَكَةُ الْبِكْمِ

وَعَتِ الدَّائِحُ يَا صَالِحُ الدِّينِ فَاعِ
 نِيمَ الْعَفَاةِ يَشْبَهُونَكَ فِي الْفَسْدِ
 كَمْ خَازِنٌ لَكَ مِثْلُ الْفِي حَاتِمِ
 أَفْلَاحِ أَكْبَادِ الْعِبَادِ طَلْحَا بِهِمَا
 وَاسْتَعْظَمَ الْأَشْيَارَ عَنْ مَحَاشِيرِ
 مَا كَلَّ مَلِكٌ عِنْدَ مَا أُوتِيَتْكُمْ
 لَا يَنْدُ مُنْكَ الْمُسْلِمُونَ فَكَمْ يَسْدُ
 أَطَّتْ سِرِّيْنَهُمْ وَبَسَّتْ حَرِيْمَهُمْ
 لَمْ تَنْحَلْ سَحَابًا مِنْ دُنَا مَهْمِي
 مَا إِنْ رَأَى إِلَهًا إِلَّا آمَنَ
 مَتَوَانَهَا لِلَّهِ جَلَّ جَانُ الْمَسْمِ
 كَمْ بِاللُّنْدَى طَارَ تَلَكَّتْ وَبِالْمَسْرُودِ
 دَهْلٌ تَعَجَزْنَ صُورُ مَلِيْكَ نَاصِرِ
 حَتَّى لَخْلَيْنَا أَنَّهُ إِنْ يَلْتَمِسُ
 مَا سَوَّرَ صُورَ عَاصِمٍ مِنْهُ وَهَمْسِ
 فَلْيَنْحَلْكَ الْهَجْرُ دَرَّةً فَاجْمِ
 بِحَرِّ زَعَايَ طَوَّاهُ يَنْكَسِرِ
 فَانْهَيْتُ لَصُورَ فِيهِ أَحْسَنَ صَبُورِ
 لَمَّا مَلَكْتَ حَصُونِ الْخَالِكِيْسِيَّةِ
 أَرَدَيْتُ كُلَّ مِثْلِكَ يَنْكَبِ
 بَرَزْتَ إِلَى (نَزْوِيَّةِ) عَزْمَتِكَ الْبَسْتِ
 فَتَنَاوَلْتَهُ بِأَيْدِنَا مِمَّنْ بِسَادِخِ
 عَنْ عَمْرِو بْنِ يَا ابْنِ أَيُّوبَ وَكَمِ
 لَيْسُوا كَالْأَسْبَاطِ كَيْفَ يَنْهَضِ
 فَازَتْ تَدَاخُلَكُمْ وَكُلَّ مَلُوكِهِمْ
 لَا زَالَ ظَلْمُكُمُ الضَّلِيلَ وَلَا شَلَسَتْ

وَقَالَ أَيْنَمَا يَصْدَحُ بِقَسِيْدَةِ مَظَالِمِهَا :

لِحَاظِ الْهَمَى لَا يَابِلُ تَنْفُكُ السَّحْمِ

وَمِنْهَا :

فَجُودَاتُ عَمِّ الْعَالَمِينَ وَخَصْمَتُهُمْ
 أَيْبَى لِكُلِّ السُّرَاعِيَّةِ الْمَسْمُورِ
 وَغَمُّ الْحَصَانِ الْبَكْرِ رَكْعَةً فِي الْوَعْمِ

(١) دِيْرَانَهُ ١٤٠ وَالرُّوْضَتَيْنِ ج ٨٤ ص ١١٨ ١٣٦٤

خيام المدن بالبحر أن تالف القصص
 وأعدادها ربا تبع دما حصارا
 شواذب قد عودتها الفتق والنص
 وصبر القنا دوحا وخرصاتها زهرا
 غداست غدودا كن بين عزها حصارا
 وطلقت منها بعد عصفتها الكف
 ينرد ، والأعداء تنظرها شمس
 ولكن نكحناها بأسياننا تسرا
 لديك فكانوا الهدي ينتظر النحر
 لتطعنهم شرا ، وتضربهم هيم
 فسادت منها ملك ما لم يزل وقصر
 ولا تنافس من عزة ولا هاب حنبر
 إذا ما رأيت أعداء ، الصبر الصبر
 وأنت بأمر الشام ، طاغرة ذعر
 وخولة الدنيا وأوزك الشكر
 تريد به بشرا وتهدي لنا بشرا (١)

وحبك تطيب النيام مقوض
 وإيرادك الرايات عثرا عواد يسا
 فحيلك تخشى الروح شعثا ضوامرا
 ترى المعرب روعا والدروع بها أغصا
 سنايكها عزت بأذلاك العسدي
 وكم قلعة أنكحتها السلم عاصم
 فغنى بها الامان رافع صوتك
 وما أنكحونا طائمين فقاتهم
 وجاشت جيوش الشرك تطلب نار حصارا
 أتوا وأفواه الناي غواغم
 غرمت العثا في أخذ عيده مجاهد
 فجيشك ما يشيققظ عن العسدي
 صبور كان الصبر أرى يشهور
 قلوب الالى خلف الفرنجة كلهم
 جزاك العالما خير جزائهم
 فلا يؤا ليه فتح عسدي

وقال يحدح الملك موسى بن الملك العادل وكان نازلا على الطور للفرقة :

بجدة وحدك كلمه الدهر ما يؤسس
 متصحي لكم أحشاؤهم نواويس
 تشاد من رايته في التراب مردوس
 ملائكة بالشهب ترمي الأباليس
 تسيد الملوك السيد والامد الشوم
 به كان كل بالشتد دوس
 تكب على الأذقان شرباته الروم
 ينفض في سم المنية بنوم
 بلمع الطلي والبيض تجلو الحناديس
 ويركس في قصر المنية مركيس
 تنكست السلطان بالكر تنكيس
 كما أخرجت رفاتهن النواتيس
 أغص الزرد الضافي على الأشد ملوم
 هو الليث لولا أن في الميت تميس
 ويوسف عينا وألق موسى تود موسى

هنيئا لقد أوتيت سؤلك يا موسى
 وجيشك ظام حلق الطير فوتيس
 ورعي سها من قسي ينضم يسا
 كان كما تالرك عند نز الهيم
 وقد جالت الأكراد بالسر والظهير
 إذا الحرب الشم الانوف تنحروا
 ولهم موسى من عسا غير صصارم
 وشعبانه الرمح الاسم لسانيس
 ويزجي سحابا من سنايك خيليس
 فيرمي انكبارا بانكدار الى لئيس
 إذا أشرقت لأشرف التيل راييس
 وقد نالت بالسر بيض سيونيس
 تعالب أطراف الرماح بلندن فسي
 هو البحر لولا البحر فيه ملو حيس
 هو الخضر المشهور نورا وسوس

بجحفله في أمة عبد تحسب
ويستخط في كل المواطن أبليس
ولو كان تطبيقاً يروح وتبني
أو مل أن القى لها منه تنفيس
أرى حكمتي أدله صار يحكوس
بذناي من الطير الذي ليس طاور
وصلي ألونا فضة تملأ الكيم
تخذن لها سمر التنا اللدن عرس
أجل وهم عند النوال ابن باد يحس
بالحمر والبيض الرقاق الدبا يوم
ومن ذا يرد الكيت من منه الخيم
فبالطور نشر السلام أصبح محروس
سليب وفيه أشد النصر تأوس
يردد تمبيحا هناك وتقد يس
إلى التدي أنا لا يزال وتأنيس (١)

ويحمده عيسى على فتكات
وما زال يرضي الله سرا وجهه
إذا قال لم يترأ مقالا لقائيل
إلى جود ما فكو من الكرب السبي
فلذ تروى في حكم الزمان فأنسني
ففيه الذناي الرأس والرأس أصبح
هو الهازم الألاف في الروح وحده
فما جند ما لا أسود خفيته
فكلهم (ابن المرد بيتر) شراصة
نكم من ربحي حرب أدار بها سقمي
هو الأحد الحامي الحقيقة قد صمما
على الطور ناجي الله دوسي بنصيره
عبارت خرب أعمار تابد في الصم
نلا مشمورا في السط بنمسواوه
مظفر دينا الما ندي تدومس

وقال يندع الملك الأفضل نور الدين علي بقسيدة مطالعها :

وشنرك أم در تضمه السمسط

أرىك أم صهباء في الكاس أسفنت

ونهما :

سواشم ومن تحت المحتاج لها نمسط
سراحين من فرسانه في العضا مسط
ولا رجم لها استبيحوا له سمسط
جريح ومستول على جنبه السمسط
فمن بأسمه المادون أفتا شم السمسط (٢)

وصل عنه نهاد السليب وخيل سمسه
حكوا بلة الضان الممزق شمل سمسا
فما عطفتم عند ذلك رخص سمسة
فمنهم قتيل أو أسير ونهم سمسم
فإن بكر المافون أفتا شم الرشسي

وقال يندع سلطان الدين ، ويذكر نزول الفرنج على دماط وهزيمتهم عنها : مطالعها :

فواتك غينا ودوي للبحر بأسمسط

لا جنانك الدري الصبح التواتل

ونهما :

فكل عظيم عنده شنائسمسط
وما غيلها إلا القنا والقنا سمسط

تظل ملوك الأرض شاذمة لسمسه
جحافلها مد تزار في الوغسمسي

وتبدو لها في كل قسطنطين
 من الطير ظل يحجب الشمس سجاد
 وترتجز الحرب الكرام البواسل
 وجوشهم غمضي البدور الكواسل
 سرورا مشرفيات وشرفا وباسل
 رجوم بأكياد الأعدى أوافسل
 فليفر لها إلا الدماء مناسل
 لهيبته أكبادهم والدفاسل
 ولو لم تند لم يبر للذرا ساسل
 أكانوا كذا سرا رعت الضاسل
 إلى حيث صارت في الهياج التماسل
 لديه رطاح أشرفت وسلاسل
 وليه له من كثرة القوم ساسل
 أوف ألوف خيلهم والرواحسل
 وبينا رفاقا أحكمها التياقسل
 ونيش لأشياء الملوك أواكسل
 ومن دونها مد من الموت حائل
 فشاب غلام الملك والروم ساسل
 وأنى ينال الدرهم المتسلسل
 كأنهم ذ لا نعام جوافسل
 ولا صدر الأئمة بالطنع عامسل
 فليس لهم في سائر الشان ساسل
 لتعصمهم بأروه الباتسل
 وقام بها لم تستطع الأوائسل
 ونول حتى قيل لم بين سائل
 بمصر فقاوا لم يكن قبيل سجاد
 وفيه لمن والاه جود ونائل
 له بالدعا والشكر لله جاء سسل
 ليوسف يحقوب النبي مساجسل
 وأحسانه أن ضنت السحب وابسل
 ولا مثله يوما يقلب ذابسل
 فقمز أديبه إن تكلم بأقل ... الخ (١)

يسير بجيش يرجف الأوز يا سسل
 خيمه له الرايات ظل وفوسسل
 تراطن غيما لحجم من كل سسل
 دروعهم سحب تلوي خالسل
 هم الأسد إلا أن عصه سسل
 أسنتهم والليل نقح نجوم سسل
 إذا ما أشتكت يوما أسنتهم سسل
 بقي عاينته المشركون تقط سسل
 ولا غرو أن عاد التريج طيز سسل
 وتد علوا لو أنهم تبتوا سسل
 وطارت رؤوس منهم وقوائسل
 فقد ألفت أعداؤه أن حظ سسل
 ولما أتوا دمياد كالبحر دلا سسل
 يزيد عن الأحباء والعق سسل
 رأوا دونها أسدا بأيديهم القن سسل
 غيوتهم فيها تصور تشاع سسل
 وداروا بها في البحر من كل جانب سسل
 رجا الكلب ملك الروم إذ ذاك فتص سسل
 غاضى هباب الدودون مرام سسل
 فسادوا على الأهاب منها هزيمة سسل
 فلما رآه بالأئمة باله رب سسل
 إذا الله يوما كان ناصر سسل
 وما أملا أن يلعنوا ببلاد سسل
 فيها أيها البحر الذي هم سسل
 وعارب حتى قيل أفنى عدائ سسل
 وطبق سهل الأرواح عزن عد سسل
 سحب على الأعداء تحار قسمة سسل
 فكل لسان دار في قم ناطق سسل
 فيومئذ أيوب بخير صاحب سسل
 فلما قيل مصر جاريا غير كفت سسل
 هو السيف لا تشفى له الدهر نبوة سسل
 حلیم نليم بالديانات سسل

وقال يمدح الملك الافضل علي بن صلاح الدين * بقصيدة مطلعها :

أنا بالفرلان والفسـ زل
عن عدل الماذل في شقـ زل

ومطلعها :

وربي الاتيال على التهـ وات
فالخيل تنشر بالتيجـ وات
أبرون بالماجل بـ وات
وصحلا التأييد يا شـ وات
ثالثها : هذا من شخص زل

الى الاقتاب على الـ وات
ن وبالا وات
فالبحر لديه كالوشـ وات
حجن وبانـ وات
والسلم بدال ذو جدل وات

وقال يمدح الملك الامجد مجد الدين صاحب بعلبك بقصيدة مطلعها :

أوضح البرق بملها منسـ ين
مؤذنا بالنشر والفتح ين

ومطلعها :

كانت الاغربي أصنافا وكـ م
وفتاة دونها الشمس على م
دانة بل دمة في هيكل م
يمصك الأصناف في تقريب م
الزم التوحيد في حبي له م
وسأستعدي عليها الملك م
أحال البارئ أن يملك م
فهو بالعدل وبالا حسان والجـ م

من حنيف راغ غربا باليمـ ين
خوط بان فوق تل الـ ين
بيعة الروم لديها حاجد ين
قلبه غوغا عليه أن يـ ين
وترى في الحب رأي المـ ين
جد السعد في دنيا وديـ ين
ثم يحبوني بها * قولوا أمـ ين
دنيا الانصاف في الحكم قـ ين

(١) المروضتين ج ١ ق ٢ ص ٣٢٢

(٢) المروضتين ج ١ ق ٢ ص ٤٨٣

كتب الى الملك الكائنسي الابيات التالية وألقاها اليه بسمهم شباب لان الفرنج كانوا يحاصرون
ديهاك وهو فيها :

يا مالكي ديهياك شرفك هذا مستمسك
تقريبك من أركى السلام تحييتك
ويقول عن بعد وأنت سامع
يا أيها الملك الذي ما أن يسرى
هذا كتاب مؤمن من حالتي
أشكو إياه عدو سوء أخذت
فالبر قد منحت اليه طريقته
فخضوعة بادي على أبراجه
ولو استحتاج لأمر بأكبر لا شئ
ورسوله في أن تجيب دعائه
فقد انتهت أدواؤه وتحكميت
وقتي له رمق يحير يترجى
فأحره بحماك بمنزلة تشفي به
قاله أعتاك الكثير بفضل
فالسدر في نير الاله ود ينسبه
والشرف ناظره إليك بحسن
ولكن تحدث عن القيام بنصيره
وهبت قوى القرآن فيه ورغبت
وعلى عدى الناقوس في أرجائه
هذا وحقق وصف صورته حاله
وكفاك يا ابن الأكرمين بأني
حقق رجاء فيك يا من لم ينسب
وأن حر يوم البعث فعاد صالحا

رفاته ، كادت تجتأ أصوله
كالملك طاب ديقته وجليله
حتى كأنك جازموتز يلسنه
بين الملوك شبيههم وعد يلسنه
ما ليس يمكنني لديك أقول
بجهمه ثمراته وخيوليه
والبحر عز لنصره أسطوليه
وخينه وبكاؤه وعويليه
لكنه سددت عليه مهيليه
دين الاله وخلقه ورسوله
علاته ونجا عليه تحوليه
أو يشتفي لما دطاك عليه
داء الملك يرتجى تحييله
ورضاه من هذا الكثير قليله
ما ناع عند المسلمين قبوليه
ما أن يطل من الدوح هويليه
جنت نضارته وبان ذبوليه
عليه وتلى به أنجيليه
وشفي على من أورى تمهيليه
حقا وطلته ، وذا تشييله
أضعى عليك من الورى تحويليه
أبدا لأجبر بوجه تأويليه
الله ضاير أجره وكفيله (١)

قال في رثاء القديسة سنة ٦١٦ هـ :

أعني لا ترقى بن العبيدات
لسل سيول الدمع يخطي نيشها
وما قلب أسحر نار وجدك كشمسها
وما غم يح بالبحر منك لشمسها
على المسجد الأقصى الذي جل قدره
على منزل الأملاك والوحي والهدى
على سلم الدجراج والصخرة السقي
على القبلة الأولى التي أتجهت لها
على خير محبوب وأكرم غامض
وما زال فيه للتبيين معبد
هذا المسجد الأقصى المبارك حوله
غنا بعد ما تد كان للخير موصفها
يوافق إليه كل أشمت قانس
خلاف من صادة لا يمل قيمها
خلاف من حنين التأبين وحزنهم
لثبك على القديس الباذر بأسرها
لثبك عليها نكتة غمها أفتهمها
لثبك على ما حل بالقديس طيبة
لقد أشقتوا عكا ونور بهد منمها
لقد شتتوا عنها جبا عا هلم منمها
وتد هدوا بهجد الصالح بهد منمها
وتد أخدموا عونا وصيتا أنساره
أما علمت أبناء أيوب أنهم
وأن اغتناع القديس زهرة ملكهم
فمن لي بكواح ينحن على الذي
يرددن بيتا للخرافي فالسهم
مدارس آيات خلقت من تسامو

صلي في البكا الآصال بالبكسات
توقد ما في القلب من خصسات
خبت بأوكار يبيت الخصسات
يربي ما ألقى من الكرسسات
على موطن الأخبات والسلمسات
على مشهد الابدال والبكسات
أنافت بما في الارض من خصسات
صخرة البرايا في اغتناع جسمسات
وأشرف مينة لشير بقسمسات
يوالون في أرجائه السجسات
رئيس الساد السالي الشرعسات
ولله والاحسان والقربسات
لمولاه برزائم الشكسات
توسم بالآيات والسجسات
فمن بين نواح وبين بكسات
وتعلن بالاعزان والترجمسات
وتشكو الذي لاقت الى عرسسات
وتشرحه في أكرم الحجسات
وما ظالم فادت بها بشمسات
وكل اجتماع نوذن بشمسات
وقد كان بعدا باذخ الشرعسات
لهم عظم ما والوا من الشكسات
بمسحات عدوا من المسجسات
وهل شمرا لا من الزشمسات
شجاني بأعوات لهن شجسات
يوهم فيه شيرة الششمسات
ومنزل وحي بقدر المرسسات * (١)

(١) الروضتين ٢٠٥/٢ وانظر مخزج الكروب ٢٤٦/٤
نسبها د. عبد اللطيف حمزة الى ابن الجوزي (الادب المصري ص ١٢)

قال يمدح السلطان موسى الاشرف :

للذة العيش والأفراح أوتيت
 أمام جيشك أنتي سار أرسيت
 تحت غيل القنا أساد بمركيت
 أهلة في ساء من بنا فرحت
 تهتز أعلافهم يوم الجيت
 صفائح هي ان دب المنون بهم
 ان من شمس الضحى من لمها رميد
 جرد كرائم تلتق عن فوارس
 مستخرقات بأذان موكلت
 الويل للروم والأفروج من طبعك
 أين المثل لسرب الروم من أسعد
 دما طاور منار الحرب موقد
 ألق المعنى تتلف كل عني
 طاهم بجيشك لا تحفل بكثرتهم
 أنت الصباح غمزق ليل كفرهم
 زلزل بشارتك السواء دارهم
 أصبتهم سهام الرأي من خلعت
 غطهم الله ذاك الثغر من قلع
 تذكروا يوم عفين وما لقيت
 قتلا وسبيا وأسرا وأنتهاب تسرى
 شنتها ظرة كالنار محترمت
 للمن تفر دما طاور زخرف
 شرحت صدر رسول الله وانحسرت
 يوم على الروم ينش رجه سحب
 رأوا جيوش بني أيوب بقدمهم
 فللمراج كلالهم أو صدورهم
 تخلق البحر ذاك اليوم من دمهم
 نفاؤا أن عيسى نصره لهم
 هذا تحوت به أحياءكم أبعد
 بوادر وهنوا من صدقهم
 يا أبا الفتح بالفتح الجبين غلم
 عكا وصور إلى رؤياك عاطشمة

فانشر لواء له بالنصر عبادات
 نصل ونصز وآراء ورأي عبادات
 لها ثبات وفي الهيجا وثبات
 لها الكتائب أفلاك وهبات
 غنت لهم بن بنات القين قينات
 صفائح كتبت فيها المنينات
 كحلنها بالصباح الأعوجيت
 شبي الأمنة أعناق ولبيات
 لها إلى الثغر من دما طحبات
 لهم النصر والتأييد عبادات
 ضار لهم رطاب الخطا غايات
 وأنت موسى وهذا اليوم موقد
 ولا تحذف ما حياك القوم حيات
 فأنهم ليشات الطير أتموات
 وأصبر ورابط غلذات نيمات
 فشيمة النيب الشر الأغلبارك
 وللنكائد من بعد إصابيات
 أصابه وانجلت تلك الثنيات
 من حد سيفك عرفا والقيادات
 لله كم أحصت تلك الاسماءات
 للكفر وهي على الامانة جنات
 فتح له شمع السبع السموات
 بنصرة الدين والدنيا غايات
 أمطارهن مصيباتهم موات
 ليت له في جيوش السموات
 والمصارم أعناق ودامات
 والنون ترقصه تلك المسمرات
 فقلت بينهما فرق واشتات
 وذا تحيا به في الترب أموات
 فكيف لو قد أنت منها النمايات
 فنسب لشير أبيهم الفتوحات
 فانهمز فقد أمكت منهم خلعات

واستخير المريح عنها إذ تـ
اللد أكبر ان تـ مـ
وان يخور على القربان عـ
ما كل من طلب السلياء أدركـ

اليك فهو سائـ أو تـ
تتلى وتنسى من القرآن آيـ
جهرها ويخفى آذان أو تـ
ورافقت سعيه فيها سـ (١)

وقال يمدح الأشرف ويري الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين وتمدح ولده الملك المنصور
ثم يمدح إلى مدح الأشرف ويهني به بالسيد ويحرضه على قتال الفرنج ، بقصيدة مائلها :

هوته رشاي الدار والجـ
ونـها :

يا قاعد الأشرف أمك عن سؤال غـ
أفريلقات بالأحسان مـ
السائد الرأي في أعظم عـ
القائد الجيـ كالبحر الغـ
شوي إذا امتدوا البران خـ
تـ لو لهم في ظلم الفـ
وتستجير مواضعهم تـ
يا مـ لقا ظن كـا ووسـ حين اتـ
في مـ فـ مذبات الكـ فـ
فأستقبلته من لاسـ شـ
نجا وأسلم المـ سـ
لو شاء شا * أرمـ ما فـ
ورد أسراه بـ السـ في نـ
هذا هو الجود لا تـ بان من لـ

إلى الكارم صب القلب مـ
عذر المـ على مـ
فان نشرن فـ نصر وتـ
أواجـ غير عـ أو صـ
أعدا فأبدان أسـ الأـ
مواق الطـ من نـ وتـ
فما يد عن وريـ غير مـ
يخزوا مـ اسـ وتـ
من جانبـ مـ غير مـ
تـ دت شـ في المـ الـ
عـ التـ رزـ النـ والسـ
لكن عـ عن أمير القلب مـ
ولو أـ لأـ كل مـ
والجود بالنـ اتـ غاية الجود (٢)

وقال يمدح الملك العادل ويذكر بناءه لقلعة الطور ، بقصيدة مائلها :

وأختـرت لكن بـ يـ

تنقبت بالنور والنـ

ونـها :

يا ليلقا لوسـ استـ ويـ
الملك العادل من أمـ

سيرة سلطان أور سـ
نقد رأى موسى على الطـ

(١) ديوانه ص ٥٥

(٢) ديوانه ص ٦٢

(٣) في الديوان : شاه وينكسر الوزن بذلك

عبرته أحسن تحسيرا
 اذا استدارت شرقا
 كالنجم في الرفعة والنسور
 ينظر من عكا الى عسور
 يرتعد الصخر من السور
 وأنت بالسر الجها
 لا ترتضي لمر الدنانير
 ما بين أمار ومأمور
 ما بين تحسير وتيسير
 ولا ليوم النفع في السور
 ما خط في لوح القاديسور
 ما خط من أفك الاساطيسير
 عشق ربيبات القاصير
 حالة تدبير وتدبير
 ما خدع الحرب بتقصير
 وقائغ غر مشاير
 ما بين مقتول وبأسور
 وكان مأوى للشنازيسير
 للمرف مع كثرة تكريمير
 أكرم ما جور ومشكيسور (١)

ان كان قد دك قديما فقمير
 كأنما على فقسور
 يزاحم النجم له منكسور
 كأنما أوقفه حارسور
 فكلما لاح له بسور
 بني سايطان بأعوانيسور
 تنافح الاحجار أيوليسور
 وانت له الدنيا وسكانيسور
 تجرى القادير بما تشئيسور
 معادة ليس لها أخيسور
 هل يقدر الأعداء أن يمسخيسور
 يا ملكا تنسخ أيايسور
 أسمره الذب عن الدييسور
 يؤيد الرايات والرأيسور
 ان يفتحوا للسلم فاجنيسور
 كم لك في يافا وفي البريسور
 عشرون ألفا غير أتباعيسور
 صهرت بيت القدس من رجيسور
 يا ذا كرا لله يا ناسيسور
 الى محل الأجر والشكريسور

(١) ديوانه من ١٠ - ١٢ وانظر في الكروب ١١٦/٣ - ١١٧ وتاريخ ابن الفرات
 مجلد ٥ ج ١ من ١٢٤ - ١٢٥

قال يهني أبناء الحادل الذين اجتمعوا وطردوا الفرنج من دماط سنة ٦١٨ :

هنيئا فان السعد راج مخلصنا	وقد أنجز الرحمن بالنصر مخلصنا
حيانا اله الخلق فتحا بدا لنا	مينا وانما وتزا دؤيسنا
تهلل وجه الدهر بعد قنوسه	واسيع وجه الشوك بالظلم أسودنا
ولم طش البحر الخضم بأهله	طناة وأنحى بالمراكب مزمننا
أقام لهذا الدين من مل سيفه	حقيد فكما مل الخيام مجمرنا
فلم تر الاكل شلو مجمرنا	ثوى منهم أو من تراه مقيمنا
ونادى لسان الكون في الأرض وأعصا	حقيرته في النافقين وعشمننا
أشهاد عيسى إن عيسى وحزبه	ودوس جميعا ينصران ميمنا * (١)

(١) الذيل على الروضتين ١٢٩-١٣٠ وانظر النجوم الزاهرة ٢٤١/٦

وابن كثير البدايه والنهايه ٩٥/١٣

(٢) نسبها إلتريزي الى هبة الله بن محاسن (الساوك) ج١ ق١ ص ٢٠٩

لبنغي على بدر تقيب في شـ
أبتيت لي يا دهر يند غرقـه
ونهمها :

لولا دفاعك بالصوارم والتـ
وديار صر لو وثت عزلاتـه
ولا صلتا ليضرا الحرائر أسـهـ
ولا شجعت خيل الفرنج مشـهـ
وشتر د موط فكم من بيـهـ
أنقذتها من مخيلة الخسف السـتي
أجليت ليل الكفر ضها فانطـهـ
ولقد شهدتك يوم قيسار يـهـ
والكفر مستهم بسور مشـرف الـهـ
فجملت ما ليها كان أسـهـ
قل لا تطردن أن فقدنا سيـهـ
الناصر الملك الذي أنجـهـ
أعلى الملوك محلة وأسـهـ
داعني النرجة لا يرى في رأـهـ
يقتل يكاد يريه ثائـهـ فـهـ

وتان يمدح بني أيوب بغيرهم ويذم المعجم بقصيدة مظلـها :

أرى شائيت شائيت أنـهـ
ونهمها :

ملو دأبهم شرف وجـهـ
فلولا آل أيوب بن شـهـ
يدافع من محاسن كل فيـهـ
ثم تركوا ضايـهـ الكفر أـهـ
وأرضهم بأصـهـ آنا نـهـ
أولو عدل يحوت الليث منـهـ
بأحـهـ بوتره اذا بـهـ
بنوا في ذروة السـهـ بيتـهـ
فمن سحر الرماح لهم عـهـ

(١) ديوانه ص ٥٩ - ٦٢

(٢) ديوانه ص ٣٦٠ - ٣٤٠

٤٨٢
رمز ويخر من شـهـ
كبداء مفرحة وجفنا أـهـ

عن حوزة الاساتم عاد كـهـ
عن نصرها لتكنك فيها الشـهـ
فيها السبايا والحوالي أـهـ
تجتاب ما بين البقيـهـ إلى كـهـ
عبد السليب بها وكانت مسـهـ
كانت أحلتها الحضيض الأـهـ
وأثرت في عرسانها فـهـ
والشمر قد نسى القتـهـ
وان أحكم بالصـهـ وشـهـ
وألتـهـ لأشـهـ فيها البـهـ
يحمي الذمار غـهـ رزـهـ
مع القدر في كل أـهـ
رأيا وأشـهـ وأطـهـ
يوم الكريهة حائـهـ
في يومه ما سوف ياتـهـ غـهـ (١)

تجنب هـهـ له النـهـ

ودأب سواهم طرب وكـهـ
لكان لمـهـ الـهـ أنـهـ
له في غيرة الموت أنـهـ
يدأب وكان مـهـ
تـهـ لـهـ المطـهـ
طوى وبجنب مأواه الكـهـ
تزعزع يـهـ وهـهـ
لـهـ هم مـهـ أـهـ
ومن بيـهـ الشـهـ لهم أسـهـ (٢)

وقال يمدح الملك الأشرف موسى :

ومن حواه من العجيج الموقر
لسأ على دج الخطيب الأشرف
في ثمر دمياط وعز المصحف (١)

تسبا بمن ضمت أبا طح بك
لو لم يقم موسى بنصر محمد
لولا ما ذل الخليل وأهل

وقال يمدح الملك الأشرف موسى بن المادل بقصيدة أولها :

ريم ربي فأصاب مني مقتدر

جبل السحاب إلى الصدود توصلا

ونظمها :

حال، ولولاه لكان مصطلا
لم يبق في الدنيا فقيرا مريلا
ونجحت للناس الطرق الأمسلا
وأخفت حتى صاحب الذئب الدلسي
فصلا وكنت بنصره متكفلا
مصر وأخل ذكره وتبمسلا
أعلاجه محراب عمرو هيكسلا
أن يستباح حماه أو أن يمسلا
وحمت بالسر اللدان الموصلا
وطريقه لثغائه قد أشكسلا
مر الذائق كربه نار المصطلسي
ونظمت بالسر المقتة الكلبي
ومعطيكتا لبقاء الاطسولا (٢)

ملك غدا جيد الزمان بجوده
يا أيها الملك الذي انعامه
لقد اتقيت الله حق تقا
وعدت حتى لم تجد مثلك
ورفعت للدين الحنيف مناره
لولاك لا نصمت عرى الإسلام فسي
وتحكمت فيها الفرنج وغسار
حاشا لدين أنت فيه بالقدر
أنت الذي أجليت عن حلب العبد
كم هو قف منك فرجت مشيقه
كم يوم هول قد وردت وطعمه
ونشرت بالبيض المهنددة الطلسي
فالله يخرق في بقاك عبادة الدنسي

وقال يمدح الكامل ويذكر وقعة الفرنج على ثمر دمياط سنة ٦١١ :

إذا جهلت آياتنا والقنا اللدنسا
من الروم لا يحصى يقينا ولا ظنسا
ودينا، وإن كانوا قد اختلفوا لسنسا
جمع كان الموح كان لهم سفسسا
ولا يقرن الشعر قد أحكمت ونسسا
الينا سراط بالدياد وأرقنسسا
بأطرافها حتى أستجاروا بنا سنسا
وكيف ينال الليل من عدم الأمسسا

صلوا صهوات الخيل يوم الوغى عنسا
غداة لقينا دون دمياط جهنسا
قد اختلفوا رأيا وعزما وفسسا
تداعوا بأنصار الصليب فأقبلنسسا
عليهم من الماذي كل مفاضنسسا
وأطمعهم غينا غرور نارقلسسا
فما برحت صدر الرماح تنوشهم نسسا
مقيناهم كما نقت عنهم الكسرى

(١) ديوانه ١٤ - ١٥

(٢) ديوانه ٩ - ١١ وانظر مفرج الكروب ٤ / ٢٢٠ وعقد الجمان ج ٨ ق ١ ورقه ٥٨

طوبى لمن لم يجدى دفاع ولا أضلنى
 فالتقوا بأيديهم اليأس فاحسنهم
 نوارثها عن صيد آياتنا الأبنس
 فمأشوا بأعناق مقلدة منس
 ولو طأ وكنا ملكنا فاستجبت
 تعلم غمر التوم منا بها الطينس
 وكم من أمير من شغل الأمر أطلقت
 لها ركبوا قيدا ولا سكنوا سجنس
 بستر وقرط طالبنا له كنس
 ينال وخلو الشر من عره يتجس
 أبى عزيمته أن يستتر به منس
 جهل الحيا كامل الحسن والخصس
 هي الشعر لأدنى مناء ولأدنى نس
 نجيب يرى ورد الموقى المورد الأبنس
 قلوب رجال خالفت بندقها الحزنس
 حمام يرى كسب الثنا المضم الأبنس
 لها نبأ يغنى الزمان ولا يغنى
 مواعظها غيبها غان عادوا تدنس (١)

لقد عبروا عبراً جديلاً ودافعوا
 لتقوا الموت من زرق الأبنس أحسن
 وطبع الاحسان منا سجنس
 منعت بقاياهم حياة جد يسعد
 ولو ملكوا لم ياتلوا في دطنس
 وقد جربونا قبلها في وقائس
 فكم من طيك قد شدنا إسنس
 أسود وغى لولا تراخ سيوفنس
 وكم يوم حرط لقينا هجنس
 غان نسيم الملك نبي شظف المشقس
 يسير بنا من آل أيوب ما جس
 كريم الثنا عار من البار باسنس
 لسمرك ما آيات عيسى مغنيس
 صرى نحو دبراً بكل سجنس
 فأجلى علق الروم عنها وأفرجت
 وظهرها من رجسهم بحساس
 مآثر مجد خلقتها سيوفنس
 وقد عرفت أسيا غنا ورقابهم نس

أرسل الملك الكامل إلى أخيه الأشرف موسى يستحثه على سرعة الخروج:

فأنهم في بنير تلبيك وتوتسك
بتجشم في سيرة رتسك
إلا على باب الملك الأشرف
موقوف لقدومه متسك
عني بحسن توصل وتلطسك
ما بين كل مهنة ومثسك
يوم القيامة في عراس الموقسك (١)

يا مسمدي، إن كنت حقا مسمدي
وأحس قلوصك مرقلا أو موقسك
وأطو المنازن ما استطعت ولا تنس
واقرا السلام عليه من عبد ليه
وأذا وصلت إلى حماة فقل ليه
إن تات عبدك عن فليد ثاقسك
أو تبط عن أنجاده فلقسك أو

كتب الى المزبن عبدالسلام وقد اغارت الفروع على نابلس * :

فلم يقضها ربي لدولى ولا بمسـ
لييب اديب طيب الفروع والاحـ
فما بشرت يوما بانثى ولا فحـ
اصيبت بما اجنت عليهم العـ
تشد الي الشد قميات بالرحـ
ولم ارنى الا سائما ما فيه من خل (١)

الا ليت ابي ايم طول عمرهـ
ويا ليتها لما قضاها لسـ
قضاها من الانثى خلقن عواقـ
ويا ليتها لما غدت بي حـ
ويا ليتني لما ولدت واعـ
لحقت باساذني فكننت ضجيفـ

- (١) الفوائد الجاهية في الفرائد الناعرية ورقة ٩٥ وورقة ١٠٤ - ٢٠٥
(*) ينسبها ابن الوردي للمزبن عبدالسلام وهو خطأ ان القطعة
للناصر داود كتبها الى المزبن عبدالسلام (انظر تاريخ ابن
الوردي ج ٢ ص ١٩٩) .

قال عندما أسر الملك الصالح أيوب بن الكامل بن الناصر وأعتقه بدار فخر الدين بن لقمان وتبديه بتقيد من ذهب وروكل به خادما يسمى عبيحا :

قل للفرنجي إذا جئت	قال صدق من قول عبيح
أجرك اللهم ما مضى	من قتل عباد يسوع المسيح
قد جئت مدرا تبتني أخذت	تحسب أن الزميا طبل ريس
فساك الحين إلى أدهم	خازن بمن ناظر بك الشرس
رحمت وأصحابه أودعهم	يتبع أفعالك بطن الضريس
خمسون ألفا لا يرى منهم	الاقتيل أو أسير جريس
نردك الله إلى مثلهم	لعل عيسى منك يستريس
إن كان بآبائكم هذا راضي	غريب فمن تد أني من نيس
فأخذوه كاهنا أنس	أشبه من شد لكم أو مطيس
وقل لهم أن اضمروا عسود	لاخذ تار أو لقصد صحي
دار ابن لقمان على عهد	والقيد بات والطواشي عبيح (١)

وقال حين استرد الملك الناصر داود القدس الشريف ثانية من الفرنج :

المسجد الأقصى له عسادة	سارت و غصارت مثالا سائرا
إذا عذا للكفر مستوطن	أن يبعث الله له ناصرا
فناصر طهره أو لا	وناصر طهره آخرا (٢)

(١) ديوانه ١٨١ وأنظر المختصر في تاريخ البشر ١٨٢/٣ والالهام ١٢٥/١

(٢) ديوانه ١٨٢ والروشتين ٢٠٦/٢

قال يمدح الأمير أسد الدين أحمد بن عبد الله المهراني ويذكر وقته مع الفرنج على يافا، ويذكر
له أن قوما قد ساء بهم قربه منه ، وذلك سنة ٦٠٨ : مطلعها :

راج يخشى في حبه الرقيب ويسر الخرام والبرح
ويغير الدمع حتى لقد أصب بين الاحباب منه عزاء (١)

مقدمة غزلية فيها بكاء على فراق الأحبة ورحلة في طلب الممدوح ، عدد أبياتها (٢٣) بيتها
ثم يقول :

وإذا ما سألت يافا أجابني بلسان غادرته غائبا
شهدت منك بوقفا عمت من وقد كان أن يهتد البني
فاختلعت النفوس حتى لقد درت دما جموعهم أشم
ظلمت في سراك تحل على الس م من الموت صخرة صم
فرغمت الفداة للدين نيم بطوال المثقبات ليم
وأنت الصالة في ذلك الس ب وقد كانت الصلوة مك
وتلوت القرآن فيها فليل الس وم حتى تخيلوه غم
وبسلت الصليب بنفرا في هم وقد كان عزة قع
النه

وقال يمدح الملك الكامل بن السادل ، ويذكر نزول الفرنج على ديمسطة
وتقاعد الملوك عن النجدة ، وقد كان اتصل بخندمه سنة ٦١٤ سطلعها :

لهم حب قلبي إن تدانوا وإن صددوا وإن قربوا وخال دونهم البس (٢)
وبعد مقدمة غزلية استغرقت أربعة عشر بيتا يتخللها إلى الممدوح فيقول :

وركب تداعوا للسرى تحت أنس ليبني القرى بعد الهدى ، ذ لك الوف
فقلت لهم والليل ملق جران وقد ستر الأفاق من بينه بس
تفوا حيث أنوار الهدى كالملي ونار الوغى والمشركون لها وقم
فسم تروى الأساطير وسفر وجه سرورا ونجم الحق في أنفه يمس
فلولا سمي المصطفى وولي ومس الدين ، بل كادت قوى الحق تنهد

(١) ديوانه : ورقة ٢٠

(١) ديوانه : ورقة ٢

ولا حملت ذاك المطهرة الجسم
ورأيت من بعد ما قد كبا الزنفس
يرى على قصاد مثل ما ينفس
تأمل منها عند الفخر والمجس
وأخلاق داود ومن أحمد الجسم
عن الملك أصحى خضو أجفانه الجسم
عجود هم في بحر احسانه جسم
على حسن ما يأتي لحق له الجسم
شدت بها للدين فوق الذي جسم
صمت بهم الاكلام والحبس الجسم
وفيدا ولم تطب صوارمها الجسم
عن الملك أو سدوا من الامر ما جسم
تصدت فيه للعدى حين ما جسم
مقي عظموا ، فالمرتد منهم ورد
على جيد دما طركما انتظم الجسم
عشا محشايا ملوها الفيت والجسم
بجنب النبي المصطفى ذلك الجسم
منار الهدى حقا ولا جد الجسم
من الناس لولا سيف عزك والجسم
اليه رجاء أن سينفضني الجسم
سواك عسى يرض لنا ذلك الجسم
لديك وعيشي ناعم تنكهم الجسم
يتم بها بين الورى عند الجسم
غدوتك فضلا حال عن جزره الجسم
يد الدهر يرويه لرونقة الجسم
وها مصر لكن النصيب لك الجسم
ملكنا ومن ذا يستطاع له الجسم

فما صافحت بين الصفاح ككفهم
ورى زند ذا الدين الحنيف برأيهم
وجده أثواب المعنى فأنشئ النفسني
تجملن فيه أرى نبويهم
جلال سليمان ، وسهجة يوسف
إذا طمعت أجفان ملك وقادهم
وان وحيوا المعاني طريفا وتالهم
فلو جاز في الدنيا خلود لخالهم
خصائص أيوبية عاد ليهم
فروع زكت في المكرمات وانهم
فلولا هم لم ينبت الحظ للوغسني
فقل لملوك الخائفين اليكهم
ملك الورى : أبين الملوك عن السدى
أيطمخ أقوام بنسمة عيشهم
إلا بالتطادي والفرنج بجمعهم
فو الله ثم الله خليفة صبادي
لما طاب سكنى طيبة ولقد نهم
وأنتم لولا طود بأسك ما عسل
ولا قاهيني نصرة الحق قائمهم
أيا ملكا أجهدت نفسي بجمعهم
تصدت لك لا الورى على الناس كلهم
أو صل أن أبني بقية مدتهم
ولست أرجي غير خد ملك السمتي
تركنت بالدى وأرتحت أريدكمهم
فخذ واستمع بدحا تجد لهم
فها أنا يا ملك الملوك وأنهم
فمن ذا يرضى بعد أن جاء نحوكم

وقال فيه (الكامل) عقيب المهزلة عن دماط ، واختلاف الحساكر ، ووصول المصظم وفيها
يحث الاجناد والامراء على القتال :

فقد جئكم عيسى وهذا مشهم
على دين من قد أشركوا وتمهم
فان تنجدوه من لظى النار تنجدوا

أقيموا عهود الدين لله تسهم
فريق الهدى والله ينلهم دينهم
فله الطاف عليكم خفيهم

(١) ديوانه : ورقة ٢ ص ٧٧

بها الفصال فالافراج فيها تجسّد
 تجمّع الناس عيسى وأحمد
 أرى كبدى شرقا اليه توقّس
 وكل نبي يا الذي قلبت بهم
 فدا الذين للرحمن في نصره
 لهم في الهدى فرج زكي وخير
 متى تركوها أن للناار تخمّر
 لدى الناس الا ذابل ومنهم
 هم النالون الشرك واليهود
 ينالونها اليوم أو يومئذ
 ليقى في نار الجحيم يثلم
 ويرقد في جفن الردى وهو
 وكالنبت يهوى صوبه وهو
 وللجند منها كل وقت مجرّد
 وللعدل والامانة بهك
 يكف طوال الدهر يحطى ويرقى
 جد اول تجرى والسد يك المرح
 أحاديث جود عنقروى وتمنّى
 وينى ولهم سبق رداه التوسّد
 ليشري بذلك الشكر والحمد
 آية مهرور وحلف موكب
 كما بدأ الذين الخفيف
 وقد غاله قطّاع من الكثر
 فاذ هل عن زمان منك
 به فهو سيف في الرزايا
 اليمسى يومى بنما
 فيهم عرف فلي شيشي ويحمّد (١)

أرى الآية الكبرى من النصر قد جرى
 وما يبيد المتركين بأنفسه
 عسى اللعان يأتي بموس فانسى
 ليظن ان الحق حق محمّد
 فلا تجزوا من جادات جاد
 فبينوا الذين الكفر غارات
 وشهوا لهم نار الجهاد فانك
 فدا الذين يا ابرهى قواعد حق
 فحزبكم حزب الالهوانم
 هل الذين ملهوس جهل وشبهة
 وهل فمن نار القتال آخر حجب
 ادلجوا ملكا يشتري السوء بالجهدى
 لم عزوات الدين ان دلم بالعمى
 له دوحه سود بها عاد لينة
 فلحق من غير ركن وملجأ
 اذا جئت تلقى السحاب مجسّد
 وانقرى الساقى اذا أمّ السعد
 لقد صخرت من نصره ونواله
 فيشنى ولهم سبق عطاياه
 ومن وهب الأموال أو قتل المصدى
 وكان عليه أن يحوز مدى السلسل
 أقام عبود الدين حقا محمّد
 فأشرق بدر الحق في أفق الهدى
 نزلت وحاجاتي بباب محمّد
 وقد كان طلي أنى أقطع السردى
 تجاوزت اقربا على أعين
 فلم يك لي في الله ذا غنا
 ثم يختمها بشكوى الزمان وطلب الرعاية بخيمة أبيات

وقال في المعظم ، وقد اجتمع هو واخوه الملك الاشرف ، وجما الحساكر من البلاد كلها
لنصرة الكامل وتخليص دمياط من الفرنج ، فمجل الله لهم اقتتاحها ، وكسر المشركين .
يقول :

الله أكبر ، هذا النصر والظفر
قد كان أنظر فيه نفسه النظم
بما لسان قراستلى بك الخط
من بارح صائح الطير الذي زجج
أغصانه وهو لا تلى ولا شم
نظم الحديث ولا نشر فيبتكر
لهيت من بعد مذنب فيعتش
ملك الطيور يروى سارت بك السير
وامتبشرت مكة والحجر والحجر
من بعده ان سرت في ذكره السير
ورضت صعب الصاني فهي تبشير
والشرك قد حل . الاز والاز
يكاد منه نوء الدهر ينقط
عن فخرها وهو طول الدهر يفتخر
فالشرك مخذل والحق منتصر
زرك الأسته فهي الانبج الزهر
لكنها بظالم النقع تستمر
بنصره ، وصليب الشرك منتصر
كسر مدى الدهر منكم ليس ينجز
ذرها ، فانت لديه بل له جسر
وفي السماقضاء اللها القدر
رووسهم ملك نار الحرب تستمر
وبين سمر القنا ، والجوت مستكر
والسيوف الطلى والهيام والقصر
وما دروا أنه غير به المنبر
وقد رأوا غارة هانت لها الشمس
بأن سيك لا يبقى ولا يمس
ويل طويل وقد واثاهم الشجر
من يوم رياك حصوا ليرينحصر
غيرها لخوفك ، ان قالوا وان ذكر
ان قيل عودا نمد بالسيف نقتصر

ها قد بلغت الذي قد كان ينتظر
قد صبح الخبر منك اليوم عن خبر
أكدت ثلث الاعادي بالذي كملت
فالت ثلثونهم في الفصال وابتدرت
أعدت عود الهدي غضا وقد يمس
هذا هو الفتح فتح لا يقوم
فتح دين وفي من كل موطن
يا يوم دمياط قد راحت مسودة
تملأ الدين والدنيا به فرح
لم تخش يشرب تريبا لقاد حصة
أنقلت خرو الاماني وهي مامنة
أليست أدل الهدي من نصرة حسان
في يوم ذي ربيع لا وصف يدركه
يوم تدن له الايام اذ خرس
في حالة جميع الدين في قسرن
قد عاد صحتهم ليلا تضي به
والخصم طالته فيه وغار حصة
والدين قد تليت آياته فرح
يا دين عيسى ، بعيسى قد خذلت وذا
واغاك في جحش ضاق الفضاء به
أتى بجيشي وفي في الارض عسكره
فالبحر من تحتهم آذيه وعلسى
وزعتهم بين بيض الهند مصلته
فللرماح قلوب منكم أبعد
أنوا السجور الى دمياط تحصنهم
راموا بحيث أطلقهم الامر سلمتهم
لهدلبوا السام الا بعد علمهم
أشحن لروحية الكبرى بما شهدهم
ان لم يكن حوصروا فيها فأنهم
يشون همما وأياما حديثهم
نباهم الرعب عن عود فطقت حصة

يا يوم بدر بأعلى منه أو أحسن
 لا يوم أحسن منه منظرًا ومنه
 جنيت فيه رؤوس القوم يا من
 فلتشكرتك بنو العباد بعد هـ
 البستهم غزقة حصاره في فـ
 كم آية لك يا عيسى ومجـ
 أنت المليك الذي لو عيب في مـ
 أحيت موت النمل والكلمات بمـ
 مناقب حسنت أخبارها وزهـ
 يا مدد الفضل والاحسان هـ
 الله يعلم أني في انتظار كـ
 يكتيك مني أدنى بأشير بـ
 خذها لنا حبيبًا لو يرون لهـ
 ولا تصح لاستماع بجدها أبـ

ولا حنين هـ وإن عدوا وإن شـ
 سمر القنا وسيف الهند تشـ
 لكن ذوت يخذها الاغصان والشـ
 لا بل قرين توعدى الشكر بل مـ
 من بعد ما قد طورا ما كان قد تشـ
 يقل هزمهم فيها وإن كـ
 ما عابه الناصن إلا أنيشـ
 أوليت أن لا يوازي بحد به المطـ
 حتى لقد صار معجورا بها المـ
 ومنزوا في بيتنا كلنا صـ
 قد صبي الشر بين أودى بين الضـ
 إذ لي من عاد في الاكثار والمـ
 وزنا لمحاصرة في بكمرة التـ
 ما كل مختلف الزاوية وشـ (١)

وقال أيضا بجدحه هـ ويحاتبه هـ وكان جماعة قد تكلموا فيه عنده هـ فأجروا لك (فيه) ويذكر فيهم هـ
 وقصة :

ان المزين الذي يحمله الأسـ
 سراد في الجند مشروب على مـ
 رس من الملك بعبور وأفنيـ
 يا حسن دولة روح الله قد كـ
 ذو الحمام المرحى صوب عارـ
 غضب الجزية ما في الوهم حـ
 يمين حوزتهما لشرب فاغـ
 ما حل أرضا ولم يشهد الـ
 صاعروفيه على أعدائه كـ
 يا زايح القلب ان الصيف مـ
 هذا هو الأمد الراي براثـ
 التي على أني الدنيا كان كـ
 الله أكبر جاء الحق يقد مـ
 يا أيها الملك الحرمي بعز مـ

دار المليك وفيها العيشة الرضـ
 لا لاه في عراض العز مقبـ
 بها الجلى والتدنى والبأسـ
 بها السجادة واستطلى له الأصـ
 والصارم المنضى والفارس الثـ
 شواعر الحزم بالآراء تنقـ
 في حين لا تحبقت يشـ ولا زرد
 إلا تعظم روحا ذ لك اليكـ
 والقيس منه يكون الماء والزـ
 على القلوب فكما ما للذي تـ
 عليه من زغب ما ذية البـ
 فالقرب في الشرفمان والبـ
 نصر المليك فاز وان لا جـ
 طود المخافة لما غـ الأود

والدين مهتضم والملك مضطرب
ماء الحية في مئنته مطسب
كانه حية في مئنته ركب
والجد في الروح موجود ومثقب
أضغى بها الموت في حوائه يثقب
بالنصر فهو لها تحت الوغى صرب
والبيضة ضاحكة والموت محثقب
أسافهم للظايا أنها تكسب
رزق منزه من القلب والكسب
من القلوب ما إن لمقربود
وان صبرك لا تحصى له الجسود
نهم يظنون رعبا أنها رصب (١)

ثم يثقبها بحد حه ويطلبه منه ان يمينه على نوايب الدهر (وذك لك في ثلاثة عشر بيتا (٢)

وقال في الاشرف موسى بن المادل عند منصرفه من الجزيرة والشام الى الديار المصرية لنصيرة
الكامل ، ويذكر له وقائع بالفرنج والروم : مطلعها :

أرايت ما صنعت لحاظ القيس
ما بين منخرج اللوى فسرود (٣)

وتبدأ بحقيقة غزاية عدد أبياتها (٦٢) بيتا ثم مدحه بالكرم وحسن السيرة بعشرة أبيات
ثم يقول :

من بعد طول تشرد ونسود
وصف البليغ بشابحة وتصيد
ضمهم مخزوم في الامور رهيب
مؤثر الاثر عددا بنزرد يصب
فأعدته من حنطيل وهيب
شربوا بكاء النصر والتأييب
ما بين مقتول الى مشفود
او نشر رايات وشق بنسود
منه ، ويدرك شأو كل شهيب

وطريدة الاسلام أنت أهدتهم
أيام صاغية تقصرد ونهيب
بددت جحش الكفر وهو نوب
ونهدت إذ شهب الانسا بارعيب
شاروا بن الاسلام عهدا غيب
وحثيتهم كما مر الدنية بعد ميب
والروادوا نصرة فجسدتهم
أغناك بأساء عن تراغ كتيب
علموا بأنك كالدبسي لا ميب

- (١) ديوانه : ورقة ١٦ - ١٧
(٢) ديوانه : ورقة ١٨
(٣) ديوانه : ورقة ١٨

فاستسلموا لآلهة بلادهم بعد ما
والتحت ما انتقروا بزم قاهم
وأنت انت دماط بدل رسم
تلقى جيوش الحركين بمزم
نرعون كنزهم طفى نأناهم
جاشت قواربه بدوى مز
موسى وعيسى ارسلوا لخم
قالله يشكر دنكم المسى الذى
يا ايها الملك الذى اخلاقت
يا كعبة ان كان تقبل حجن
ما بال مثاي خاوان من بعد
ايجوز لي خوض الشنم وأنشني
ان كان قل النيل يحد رسم
كانت كمنى الانس تلك جهه
والاشرف المنصور اشرف
خذ واسم منى نظام فر
حليته منى منى منى
ولئن تأخر سرها فلدا
عذبت على الاغواء حتى اطر
لله انت غريبة وصغيرة
كفل الاله له بطول بقائم

استكنت أكثرهم بطون لخم
تأعدت معدوما الى موج
كفرا عن الايمان والتوحيد
عظمت عن التكييف والتحد
موسى لافراقى ببجر جن
ملاطم آذيه بحد ي
ومحمد بالنصر والتأييد
يرضيه بين إقاعة ونم
رصفت وقد وصفت نظام ع
غلها ركوعي دائما وسج
قد كان في قلل الساء ص
عن مائة دميما بصم
فالمستبول لذك غير ح
لاظل زكسي ولا مس
من أن أراني ليس يورق ع
جاءته بالتعظيم والتعجب
تنشأت بين ترم ونشر
دزقت بدلي جرول ولهم
بحدائها بزل المطايا الق
في مغرب في بأسوال الج
لرضى محب او كبت ح

وقال فيه أيضا بعد فتح دماط وهزيمة الفرنسي :

نصر من الله وأثانا به الشير
فتح ترب ومانه قد خصصت
هذا الرضا الذى كنا نوه
قد صمت لله شكرا ان صمت
أحرزته وسهوف الهند جائ
فما خذل الدهر من يومى
لله بأسك يوم الروح ان شقي
فتحت فتحا عظيم الخطب كم
راج اغتتا حكيمين الورى مش

فلتهنك العزة القساء والط
جوى به قبل تكوين الورى
قد وثيت لك في تيميره الن
واستبرث بالذى حدثته البش
من دونه والتنا البطني مش
جود يسيل لديه أودم
ملك الجماجم بالهندي والق
قد رام إحرازه دهرأ غما
وسيرت لك في تيميره الم

(١) ديوانه : ٢٠-٢١

إِنَّ نَمَّ قَاتِلَ آوَى إِلَى جَبَلٍ
 يَوْمَ الْوَعْدِ بَطْنِ الْهِنْدِيَةِ الْقَصْبِ
 إِلَّا لَتَجْعَلَ رَزَقَ مِنْهُ أَوْ أَجْبَسَ
 فِي الْجُودِ عَاكِفَةً مِنْهُ عَلَى هَبْسِ
 رَوَيْتَ مِنْهَا الْوَرَى بِالْعَلِّ وَالنَّهْسِ
 وَهَاطِلُ الْفَيْثِ حِينَا غَيْرَ مَقْصُوسِ
 فِي جَحْفَلِ شَرِّ بِالْمَنْعِلِ ذِي رُجْسِ
 قَالَ الرَّدَى لِلْحَدَى مَوْتُوا عَلَى عَجْسِ
 ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ مَرْدٌ غَيْرُ مُحْتَفِسِ
 بِالْحَزْمِ مَلْتَحِفٍ بِالْحَزْمِ مُشْتَمِسِ
 بِهَا وَلَمْ يَحْكِدُوا قَوْلًا بِأَلَا عَمْسِ
 بِمَا تَوَهَّمَهُ فِي أَوْعِجِ السَّبْسِ
 وَهَدَتْهَا دَوْلَةٌ تَصْبُو عَلَى السَّبْسِ
 وَأَبْنِ الْمُلُوكِ وَنَجَلِ الدَّسَادَةِ الْأَوَّلِ
 لَا تُنْقَسُ بِصَنُوفِ الْبُكَرِ وَالْحَيْمَسِ
 مَوْفُورَةٌ وَنَوَالٍ غَيْرُ مُنْقَسِ
 وَأَسْرَمُ الدَّارِفِ بَيْنَ النَّمِيلِ وَالْمُسْمُولِ
 مَوْغَرُ الْحَثِّ فِي الْأَفْرَاجِ وَالْبَسْمُولِ
 وَمَنْ عَلُومٍ وَلَا أَرْضٍ مِنَ الْمَهْمُولِ
 يَحْلِي مَحْلِي وَيَدْنِي مَسْرَتَا الْمَهْمُولِ
 مَنْ كَانَ أَضْحَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ مُتَكَلِّسِي
 عَيْنِي وَجَيْتُكَ أَسْمَى جَدًّا مُخْتَلِسِي
 وَاعْتَضَتْ بِالْجَمِّ عَنْ نَزَرٍ مِنَ الْوَشْمِ
 وَلَا تُكْنِ عَنْ قَضَاءِ الْحَقِّ فِي شَنْمِ
 وَخَسَنَ رَأْيُكَ لَا يَوْغِي مِنَ الزَّلْمِ
 لِلْمُشْرِفِيَةِ وَالْتَوَتِيمِ وَالْقَبْسِ
 كَانَا الشَّمْسُ مِنْكَ الدَّهْرُ فِي الْحَمْسِ (١)

طوفان راحته بالجد لا أحسد
 كلاً ولا عاصم من بأسه أبسد
 ما أعمل الفكر في يومئ نسد يوردي
 كأننا من قريش جاهليتنا
 أكذايت غنا السحاب الجون من نعم
 جود يحم البرايا منك مقصدا
 فأنهض إلى نصر دين الله في جسد
 جيش يجيش بأبدال إذا بسرزوا
 من كل أغلب في غرنيصة شمس
 وكل مدرع للصهر مؤتمس
 أبناء حرب غدوا فيها ونشأهم
 فالله جبارك والأغلاك دائمة
 قد مدت كل ملوك الأرض قاطبة
 يا أيها الملك الميمون طائفة
 سحبا لشكواي من دهر حوادث
 ما زلت نند بني أيوب في نعم
 أرض رياض الندى من فيض نعم
 وعشت في غرة قعسها عند هم
 أرض التمسلي وما حصلت ممن أدب
 وكان لي الملك المنصور أعظم
 فخاني الدهر في حلي وأعد مسني
 فكنت لي يومئ عن كل من دلت
 قصدت بآيك والآمال تلعب بسني
 فأسلك مسالك أهليكم الكرام مسني
 فأت جودك يكفي كل حاد شمس
 قد صاع كفيك رب السرى عن قسدر
 وإن بآيك يولي قاصدك فلسسني

وقال لي الملك العزيز عثمان بن الملك الناصر صاحب
 وكان قد اجتمع به في التاسعة سنة ٥٩٤ هـ مطلعها •

إن كان أحمر قلبي منك سلوانسنا
 لا كنت من مشوم صب ولا كائنسا (٢)

(١) ديوانه : ٢٤ - ٢٦

(٢) ديوانه : ٣٨

تبدأ بقعدة غزلية من ١٨ بيتاً ، ثم ينتقل الى مدح العزيز عثمان بالكرم ثمانيه أبيه
ثم يقسمول :

كم موقف لك والخطي مشتج
يرى به الله والاساكن مبته
للمشركين على الايام كمت
شرعت للسيف شرعا في رقابهم
اني واياك والامثال اضرهم
نصر وثبح قريب باجتداعهم

والبيض تكسي نجيع الهام اجنانهم
منه وعاد نبي الله جذ لانهم
كما حطمت انا جيت وصلبانهم
كما لا كبادهم اشرعت شرعانهم
ذكر كما قال رب العرش تبيانهم
نبني من الله رغوانا ونثرانهم (١)

وقال يمدح الملك المسلم كوكبري بن علي بن بكتكين ويذكر وقائع ويحرض بكسر الضم
مطلعها :

اشاقتك من اطلال ليلي مالم
أم القلب إثر الثاقلين عبايسمة

غابت شعوب الدمع ما أنت كاتهم
دعي فاجابته الدمع المواجهم (٢)

تبدأ بقعدة غزلية عدد أبياتها (١٨) بيتاً ، ثم ينتقل الى المدح فيقسمول :

ملك به وجسمه الشلوب مقطع
حسام أمير البوهنين وما
به كسر الاساكن في كل موطن
لئن عزت وظف النوادي بجسمه
فمن مجده حوش المدايح مسترح
ملك له الاقدار تجرى على السورى
تجلبت منها لدهر ثوبا من السلسي
اذا هجز الوصاف من حشر مدحهم
وما انشوهها الصالح ان غسدا
ومن اين يلغى للذافر مشهم
وكم سوى حرب للأهالي أقتسمه
وكم شهدت لله الثرى بواقفهم
دعوت بها بيض السيوف فاذ غنمست
لدى مصرع لم يلف في جنباتهم

وشتر الندى والدين والمدل باسمهم
بذلك الا ردهو للشطب حاسمهم
وخلت باطل الزين منه القواصمهم
لقد شجعت منه البحار والحضامهم
ومن جوده بحر المنايح راسمهم
فليس قضا غير ما هو حاكمهم
ففي عصره كل الزمان مواسمهم
وأوصافه أثنت عليه المكسمهم
عليها ، وقد كانت لديه الدلائمهم
اذا احتدمت بالدارعين الملاحمهم
وموت لهم أيقظهم هو حالهمهم
وبعد المنايا موبه تالطمهمهم
تجيبك في هام الكماة الصمهمهم
اذا الروح الأصار أو ضمهمهم

(١) ديوانه : ٤٠

(٢) ديوانه : ٥٦

وبيش على القتل من الطير حائس
 أجابتكم صيدا وياغا وحسار
 وكم قمت إذ ذاك منها الننائس
 وما نعت فيه الرقى والنزائس (١)

وما زالت في جيشين : جيش مقاتل
 ولو مثلت أرض الفرنج شهادة
 فكم خلست فيها لدى الحرب أنفس
 وكم من صريح من مخافة بأسكم

شبهتكم بالمدح بالكرم ويطلب منه أن يتخذه كاتباً لسه (في ٢١ بيتاً) •

قال يندع السلطان الكامل محمد بن السادر ، ويذكر انتزاعه من ديار طين الفرنج :

بك اهتز عتق الدين في حلل النصر
وردت على أعقابها ملة الكفر

ونبها :

وما فرحت مريدنا الفتح وحدها
ولو لم يقم بالله حق قيامه
وأقسم لولا همة كالمليحة
فمن مبلغ هذا البهاء لكسبه
نقل لرسول الله أن سميه
هو الكامل المولى الذي أن ذكرته
به أرتجعت ديار طين من العسدي
ورد على المحراب منها صلاته
وأقسم أن ذاقته بنو الأفراسي
عجبت لبحر جاء فيه سنيهم
ألا انها من فصلة كبرى
ثلاثة أعوام أقمت وأشهرها
صبرت إلى أن أنزل الله نصره
وأيلة غزو للمد وكانهم
نيا ليلة تد هرب الله تدره
سددت سبيل البر والبحر عنهم
أساطين ليست في أساطير من
وحش كمثل الليل حولاً ونهيبه
وكن جواد لم يكن قاتلاً
وبانت جنود الله فوق ضوامه
فما زلت حتى أيد الله حزبه
فرويت منهم ظاهراً البهاء والقنص
وجاء ملوك الروم نحوكم خضوعاً
أنوا ملكاً فوق السالك محاسنه
فخن عليهم بالامان تكرمهم
كفى الله ديار الخائف أنهم
وما طاب ماء النيل إلا لانسبه
غله يوم الفتح يوم دخولهم
لقد فاق أيام الزمان بأسره

لقد فرحت بغداد أكثر من مصر
لما سلمت دار السلام من الذعر
لخافت رجال بالقيام وبالحجر
ويحرب تنهيه إلى صاحب القبر
حتى بيضا لاسالم من نوب الدهر
فيا طرب الدنيا وبها غير النص
وطهرها بالسيف والملك لطم
وكم بات مشتاقاً إلى الشفق والوتر
فلا حلت إلا بأفامه الصفير
ألسنا نراه عندنا ملك الفهم
سوطب منها غو حلتك واليسير
تجاهد فيهم لا يزيد ولا عسر
لذلك قد أخذت عاقبة الصبر
بكرة من أرد يته ليلة النحر
ولا غرو أن سيئها ليلة القدر
بسابعة دهم وسابحة شمس
بكن غراب راج أثاء من صقر
وأن زانه ما يمين أنجم زهر
لأن زهير لا ولا لني بسدر
بأوضحها ثني السراة عن الفجر
وأشرب وجه الأوس جذلان بالنصر
وأشجعت منهم طاوى الذئب والنسر
تجرر أذيال المهانة والصفير
عن جوده ذاك السحاب الذي يسري
على الرغم من بين السوارم والسمير
لمن قبلة الاسالم من موضع البعير
يحل محل الرقي في ذلك الخسر
وقد طارت الاعلام بغيرها على وكسر
وأنس حديثاً عن حنين وعن بدر (١)

(١) ديوانه ص ١٦١ هـ وانظر مخرج الكروب ١٠٣/٤

وكم سئى أعريت عنها المروية
 كانوا الجند بيد تقي بأى وقي جلس
 كغائب خدمت في كل مملكة
 نكم جيان غفته بأى ذى البهيم
 أما الفرنج فقد أخذت نارهم
 من يد ما جاد أملاك الطوائف
 رجا بنو الاحد الكار عودهم
 نباكروا تقي كثيف الحشد ذى لجنب
 مستشعرون سحب نقح من هذا الحمة
 لما جندت الى سلم على غيب
 أتلفهم رجب صدر ليدى يجر جسمه
 وسابحا سناحت بالانصر عزهم
 وحشد غضب عليهم منه صاعقه
 ورقتهم بشبهى ثل جهمهم
 نسود روا بين مجروح ومشتبه
 ان يجرؤا عنك بالامان الضيق
 صاروا قدائى ان راعوا القذاح للقتيل
 ذى تدع غزوهم تقي بقر دارهم
 وأسلم لك الملك مقبورا على جيتك ولا

يقول أبطالك النرا المناجيد
 فوق الجلايد ترضى بالجلاد
 حتى لقد خلقتها كتيبا بتالييد
 وكم شدا ان كسته توب رعد
 ولم تزل ذات أضرام وتوتيسيد
 حفظ البلاد والأقوا بالمقاليد
 بالفوز عن رب أغلاي وتوتيسيد
 تبويد تقي ما خفيه صاحبة البييد
 ونقبة ذات أيران وترعيب
 ولا تدمت بأى رقاب وتهد
 تقيت المان وقلبا غير
 ما سار تقي الحرب أقدا بتشر
 كنفشة الصور كل عندنا
 بهجر رب وطعن كالاشاد
 ييكى على نالاه منهم ومقتلهم
 قام الميان بتصديق الامانييد
 واطاع البييد تقي مجتبه الوش السود
 صموا الى الزود من نوم وتثنييد
 زال الورى تحت ظل منك سدود (١)

وقال يحد الملك المناظر الثاني (تقي الدين محمود بن الملك المنصور صاحب شطاه) وبنييه
 بسيد النحر بتيدة أولها :

ولولاه ما ساءت عيني بالكنز

ارثت لدايت المالكية اذ سمرى

ومنها :

سوى تلم غضب او وشين تكسيرا
 بواك رتورغام اذ ما تنميرا
 بشيز السجاياء يغضب السرى منكرا (٢)

وكم عاد من كسر الفرنج مسلمينا
 تلقاهم شهم الپنان يمسده
 ندى لك يا محمود كل فامسنا

(١) مقي الكروب ٣٠٣/٤ وانظر عقد الجمان ج ١٨ ق ٣ ورقه ١١٢ .

ديوانه ١٥٦-١٥٨

(٢) ديوانه ١٩٥

وقال يمدح الملك المظفر الثاني وبهنته بقدم من غزاة بقصيدة أولها :

ملكا على كل الطوبى منغشـــــرا
عز المزايم أن يغوز وينصـــــرا
أرباض غرشة القديمة والقصـــــرى
عرضت لبايف أبي غراسمـــــرى
جيش كثرت به العديد الأكثـــــرا
أن المحتوف تحيد عن غشـــــرا
غصنا بها مات الفوارس مضمـــــرا
مجددا " وكل الصيد في جوف الفســـــرا
ومضيت مصاما ، وصلت غشـــــرا
حققت دما كطاته أن تمـــــرا
ولقيته فردا فظنك عكـــــرا
ولو أنه في الحرب أصرح مدبـــــرا
حتى رأى ، فباله ما أبصـــــرا
فأصاب منك الخضر والامكنـــــرا
والأقربين ، وحققا أن تشكـــــرا
كلت من القربات المضمـــــرا
ليبقى بحرا من نجين احمـــــرا
بارت ، ورب نغمة لا تشـــــرا
باد حواك ، صبرت ، أو لم تصبـــــرا
وام الا من يراك كما أرى الخ (١)

وغيرت يدك ، ودمت يا خير الســـــورى
وقد مت أغتم قادم غمت لـــــه
من بعد ما جاشت جيوش الروم غـــــى
وتأشبت بفوارس لو أنـــــرا
أنفك عن فتكات جيشك غيـــــم
غررت حتى ظن أنك موقـــــن
ومززت من أعلاف رمحك بينـــــم
يوم تشمن كل يوم قبا لـــــه
صادقهم بلودا ، ورعتهم ردى
وذا مليك الروم منك لهد نـــــة
تأملت عسكره قتلك واحنـــــدا
ورأت في سلم تأتيل مقبـــــرا
ما زال يسمع منك أبرأ هائـــــلا
أخجلته علما وعزما طامـــــرا
وفضلت مذكور المنازع في العســـــدى
همم يمتت ، فكلفتك عظامـــــرا
تغتار منها كل بحر بما يـــــج
لولا غرامك بالحروب وغوشـــــرا
فصل الوفى ، أو صد عنها ، أنســـــه
وأراك أشجع ذا الانام وليس في الاقـــــ

وقال يمدح الملك المنصور الاول بقصيدة مطلعها :

ان زاد لومي لامي ، أو نقصـــــا ؟

ايروم قلبي من هواك تخلصـــــا

وبنـــــا :

يا بى الملا لكاته أن تنكـــــا
رعب يصد عن الفرار القومـــــا
واذا بدا لنهار حقاك حصـــــا
طمسا كذوبا سامه فتلصـــــا
كلب ، اذا زارت ليوثك بصبـــــا

رعت الفرى بنجفل متماقـــــب
لم تفرهم الا وأكل رائـــــدا
فاذا بدوت ليل باطله صـــــا
تفرزه يند وعيده ، نـــــا
حتى اذا والفاك فزكانـــــه

(١) ديوانه ص ٢١٧ - ٢١٩

دم للملا ء يا خير من نصر الرجاء
واستعملها بكرا نتيجة ليلسة
أحكمت بهدا نسجها ونظامها

٥٠٤
مار له وعلى عذبه نسجها
توصي بناظم سمطها كل الرصصا
ونسجها ومديحها والمخلصا (١)

وقال يمدح الملك المجد بهرام شاه ء ويهنئه بكسر الفرنج بقصيدة مذكورها :

اهلا باقبال محمدى بمد اعمر ارض
وبرجمي بها من بعد امراض
ونظمها :

تجاهل الناس في مصر وجارتهم
حتى غزا الكفر " دمياطا " بدلا غيبة
نكاد يقتضي على الامم جاهلهم
فاسر آبن منز الدين عزمتهم
يكل ضرب ربيط الجاش مشتعل
وكل اجرد مضطرب تصرفهم
وكل اسير عمال يسول من المن
وكل عفراء مران مفضلة
فسلبوا شرد دمياطها عموهم
اجلدهم عن عماها باس ذى ليل
اعاد للدين مط غيظ العدو بيل
شكرا لدهر تلافاني باوتهم
قد كان ينحني داورا ويمنهم

تقدر القروم ء فلم تخفى بأخفاضي
أمد ظهر الهدي منها بانقراض
ما ليس يطمع ء في ابطاله ء قماضي
من بعد احكام تدبير وامضاض
يكل غضب مني في الوغى مضاض
يسار ليث الى الهيجا ركضاض
اذى بحر دم للحقد رجضاض
نيز العروق ء اذا ثارت لانيضاض
وطالما شرد عوا عنه بأعمر ارض
في السلم والحرب رفاع ونقضاض
وعاد ء والله عن افعالهم راض
من التلاف واغنى بمد انقضاض
فاليوم قد نلت منه كل اغراض (٢)

وقال يمدح المظفر الثاني بقصيدة تأولها :

صحت هواكم في امان من المسذل
ومن ذا الذي يلحق على مثلكم مثلي
ونظمها :

ورعت ملوكا المشركين بسلمة
فاكرمهم يوم فيه زاحفت آمسدا
وقد مطرت محب الحجاج صواعقا
وصارتها يوما أند بلياسة
الى أن جهاك النصر حد مهنسدا
غرويت من اوداجهم يا بني الشمسرى
وعدت ء وقد حزنا لفخار بملسة

سقتهم سمام الموت عللا على نهمل
فكل الورى عما تحملت من كسل
من الصخر مزجاة بويل من النبيل
تكايد فيها ما يمر لما يحلسمي
تكفل قدما فتح ما شئت من فمسل
واوضحت من املايهم غامض المسيل
ترغب في الهيجا من ظنها تسلسمي

قرينة ملك غير منقطع الحبس
سوى نجلك المنصور قدس من حبس
غبورا من غرغ و بوركت من أصل (١)

فيا قاتل الاقران ، دامت لك المسال
فانت جواد لا يشق غيبساره
تبارك من انشاء شهباء في المسال

وقال يمدح سيف الدين بن أبي علي الامدي بقصيدة طويلة اولها :

ارء من دمعي الجارى ، ولا غزلي

اتسبت : ط خده الثاني من الخجل

ونهبها :

بجد مستتر بالحزم مشتت
وعاد فيه النحى غالنق كالنفس
رغلت من اجره والشكر في حلس
الله اكبر لولا أنت لم يحس
منهم حليما من الهام والتمس
في قبضة اليتيم والتاتم والتمس
ربعا ، وتامن والالباب في وتمس
ولا شريت دموع الملك بالجدل (٢)

اط الفرغ فقد مزقت شملهم
وجحفل شاب منهم فانهم فرقهم
فكم كشفت خفايا من مكايدهم
وكم اطلت الى دنون اباءهم
وكم شهباء به ام تقي من احسدهم
فنادوا وادرا وعمرنا رد سائلهم
ينز جيشك واليهجاء جائشهم
أنت الفتى لم يره الشئ عن رشدهم

وقال يمدح الملك الامجد بهرام شاه بقصيدة مخلصها :

يهدي اليه من السلوان من لانها

هون ذو البر من سقي به لاسها

ونهبها :

شرو انفسهم من قين ان ساسها
بجحفن يجلس الاعالم اعلمها
عن الشاظم اجازلا واعلمها
بين السبابك والاقادم اقسمها
سيل الدماء ولان قدام ما علمها
غلف القلوب وعنه الهام الهامها
على رؤوس القنا عزا واكرامها
في السلم يدرا وفي الهيجاء عرقها
هدى فاعلمها ظلم واعلمها
قدام حرزا لاهل الدمر ما علمها
عننا بالسام من هنا به الساب (٣)

ورب امة شريك حين امسها
وجحفل جذر الاعالم بئس لاسها
ما ظنوا فاعلمهم قواهم
كانا قسمت لشم شامهم
لللسانها منها ما تباثف عسها
كان ما جهلت من عوفى طاعتها
فأخذه ذل مختر فرفعها
مهاية وجمال يوراه لنسها
أباد أعداءنا سداوا ، وكان لنسها
ما دام الناصر دام الناصر في دعسها
وحى العام نساه وأبلغ مسسها

(١) ديوانه ص ٢٦٦

(٣) ديوانه ص ٤٢٩

(٢) ديوانه ص ٣٩٩ - ٤٠٣

وقال يمدح الملك المظفر الثاني بقعيدة أولهما :

لن المنازل ؟ من لي من عينهما
رغد ضئيت عباية بضئينهما

ومضما :

ومما لك أنزلت عيد ملوكهم
وحماة لو لم يسر ظالب وصلهم
واقدر دلفت لفتح آمد بسد م
زاحتها حميا كأنك يفتحهم
عجز الملوك عن القرار بوهدهم
أمكننت منها ثم عدت مشرفهم
نصرت ودان له الزمان وأسلهم

بالقهر عن صهوات حصن حصونهم
سارت اليك ربوعها بقطينهم
راح الورى ما شاد من تحصينهم
قصد الفزالة آخذا بقرونهم
وعلوت مستويا على عربيتهم
مفنى حماة غزدت في تمكينهم
بسطى مظفوها ابن ناصر دينهم (١)

وقال يمدح سيف الدين بن أبي علي بقعيدة أولهما :

غزال والاسود له رمايهم
وذلك والبلوك له رمايهم

ومضما :

مضى تشنق القرنى تبدد بضئهم
حدوثهم يحد السيف ليمهم
وتفتت عليك يا ابن أبي عليهم
وجودك عم كل الناس لكهم
وان كان الذي أهديت نهم

وان واغوا رددتهم عزايهم
أتوك بأكد الابل البلاء يهم
تناهى بالندايا والسمايهم
لي الريح منه والصفايهم
فان مداعبي أسنى الهدايا (٢)

(١) ديوانه ص ٤٦٢

(٢) ديوانه ص ٥٦٣

قال يمدح السلطان الملك الكامل ، ويذكر أيام دمياط ، وقصد الفرنج لها ، وظفروه بهم :

كم بنة لأبي البالي الكامل السلطان
 أيام قال الشرك بنيا للمهمدي
 وأنى بما هذه البسيطة كسيرة
 جيرة إذا سحت يداه بشيرة
 كالسود إلا أنه لا ينتهي
 وأنى بك الامانة وعداء موثقي
 حتى اذا القتيا طلت عليهم
 فرددت شمس الشرك وهو مرمي
 حكمت بأهله ليهم فكلهم
 ان في عنق الهدى لا تجسد
 دمياط لي ولك الغداة الموعود
 والله ربك فان ما شيسر
 جف الدياه بها ، وذاب الجلس
 والليل الا أنه يتوقد
 ان سوف تهزم جهمهم وتبسد
 يا النصر شقي من تشاء وتسد
 شزيا ، ودين الصوفى مؤيد
 ومجدد ومشرق ومعتد (١)

قال في فتح طرابلس يمدح الملك المنصور قلاوون :

أدركت بالجد أتمى غاية الظلم
أبا المظفر لا زالت مظفـرة
قاله جارك أنى حرت من بسـمك
للمول مرتكب للحق منتصـر
بالسيد الملك المنصور شمسـة
أحرزت ما ثارت قدما من طرأ بـلـسـة
أنحت نفسك في ذات الإله بهـسـة
فتح يديه على كل الفتوح بهـسـة
فكم لها في حيان الأثر من حقـسـة
أغضت على الذل أحيانا وما بهـسـة
حتى إذا ما رأت كفة الخطبتهـسـة
أصدقتها كل تبت القلب ترعد مـسـة
أساد مسرعة هـتفان مـسـة
من كن قنار أحاطوا بـسـة
لو كنت شامدا هم والشعر طالسـة
خلت الأسد شـبـا لحن في غـسـة
قل للملوك التي أعيتهم فـسـة
تهدى الراية من شم الحصون الـسـة
غادرتها بـسـة نصبت لهـسـة
فأصبحت ذات أعصاب وكم جـسـة
أجريت فيها بـسـة من نجيبهـسـة
لم تنل الشعر فيها بـسـة ذاك عـسـة
.....
أذقتهم بـسـة عز فرد لهـسـة
يا راحنا علم الدين الحثيف ومـسـة
تـسـة ما أعزت سيد الملوك بـسـة
فأية السيف كم من آية نسـة
جزاك ربك من كل بـسـة

ونلت بالجد أعلى شتى الرتب
ملك الميوسر على الأعداء بالرعب
وناصرك من ناء وقـسـة
للخزوة محتسب للزجر مـسـة
سائم وأنهد دين الشرك والـسـة
جمن الملوك ذوي الإرعاب والـسـة
غيا لها راحة وافت من التـسـة
عصر غدا منتشي الأعطاف من طـسـة
موت ولم تنج تطليقا على حقـسـة
بالوجه طالبة بسدا من الحـسـة
دعت فلبيتها في جـسـة
أقدامه أسد الأجام من رـسـة
غرسان بلحة اللوت لم تـسـة
كما أعيد على الأحداث بالمـسـة
من شقة النقع يوم الزحف في نقـسـة
والمشرفيات برقاً شيم في سـسـة
عبرا وكل إلهها الذهب رذـسـة
من بات يـسـة بالسمر والقـسـة
ورفع أبراجها خـسـة بـسـة
على مرادك من جار لها جنـسـة
فكل سابعة سبعا إلى اللـسـة
غير الشاديا من القتل ولم تـسـة
.....

وبعد أمن كؤوس الخوف والوصـسـة
أصاب بالخفض دين الرجز والـسـة
أدركت من غنحها الميوسر عن كـسـة
وظلعة الشمس كم أغلت من الشـسـة
وكتفك أكتف الشلق في التـسـة (١)

وقال يطع الأشراف خليل بن قاثون :

بلغت في الملك أقصى غاية الأسـ
وعزت راسي السلي بالجد مجتهدا
ونلت بالحوالي دون الناس منفسدا
فكان بدولتي الميرون طافوا
فكم بلغت مراداً بتأملـ
وكم نلت حصونا طاماً رجعت
أنت الذي لم تدع الكفر من يـ
حررت من علة الفراء ما عجزت
عيلة المدن أصمت من حماة
كم قد دعتها ملوك الأرض راجعة
صدت عن السيد لا تلوي غلم تدل إلا
حتى أموت نأحت وبني طائفة
ما زال غيرك فيها طامعا وعـ
فتح تطاول من شر يحول بسـ
تصدتها نأبيت بعد ما فـ
في جسدك كليب كالليبي أنـ
ضم المهابه من وقرون أكـ
تخالم جوجياد القيد تـ
لا تنظر العين منهم إن لم يسـ
عدها بجيوش لو عدهت بهـ
نأبعت بعد عز الملك خـ
أصت خراباً وأضحى أهلها رمـ
تسلب بزلتها عنها وتـ
وحواثارنا منها وقد خـ
بالأشراف السيد السلطان زان عـ
تدبير ذي عالم في عز منتـ
راحت وقد سلبت أرواحهم لشـ
هدمت ما شهدوا غرقاً ما جمـ
وعند ما أصبحت تنرا بأزديـ
رحلت عنها ولكن كم أمت بهـ
لا زلت ذا رتب في الجد ما يـ

وَفَتَّ شَاوْ مُلُوكِ الْأَعْيَاسِ الْأَوَّلِ
وَجَزَتْ غَايَاتُهَا (جَهْرًا كَلَى مِمَّ سَلِ
مَا لَمْ تَنْلَهُ مُلُوكُ الْأَرْضِ بِالْحَيْسَلِ
فَانْهَارَ غُرَّةُ نَفْسِي أَوْجَهَ الْمَسْـ
بِغْرَتِكَ الْبَاتِرِ الْعَارِي مِنَ الْفَلَسِ
لَا يَأْمُرُ عَنْهَا الْمُلُوكُ الْيَصِيدُ فِي خَجَلِ
يَأْوِي إِلَيْهِ وَلَا لِلدِّينِ مِنْ أَمْسَلِ
عَنْهُ الْمُلُوكُ بِسُوءٍ غَيْرِ مُنْتَهَلِ
وَعَوْنُهَا مِنْ لِيَالِي الدَّهْرِ فِي عَقَلِ
وَعِظْفُهَا عَنْهُمْ بِالْتِيهِ فِي شَمْسَلِ
وَهَامَ بِهَا إِلَى وَعْدٍ وَلَمْ تَصْـ
بَعْدَ الْآبَاءِ لَا مَرَّةً مَتَشَمَلِ
يَدِيكَ قَدْ كَانَ هَذَا الْفَتْحُ عَسَى الْأَزَلِ
وَعَسَى عَنْ نَظْمٍ غَيْرِ مَحْصُولِ
فِي أَدْلَاهَا مِنْ أَسْوَدِ النَّيْلِ بِالْنَيْلِ
تَبْدُو لِرَأْيِهِمْ قُضِبَ وَمِنْ أَسْـ
وَدَيْقِ الْأَرْضِ مِنْ سَهْلٍ وَمِنْ جَبَلِ
لِلْبَاءِ فِي الرُّوحِ آسَادًا عَلَى قَلَمِ
لَا مَاتَ حَرَمُهُمْ يَوْمًا سَوَى الْقَسَلِ
عَمَّا لِي بِهَا أَزَالَتُهَا وَلَمْ تَسْـ
مَنْ ذَلَّ الْمَلِكُ طَوْلَ الدَّهْرِ فِي سَمَلِ
وَسَطَرَتِهَا يَدُ الْآيَامِ فِي الْمَشْـ
أَلَذَّ لِلطَّرَفِ مِنْ حَلِيٍّ وَمِنْ حَلَسَلِ
أَشْبَى إِلَوِ النَّفْسِ مِنْ رَوْضِ الرِّبِيِّ الْخَضَلِ
التَّثْلِيثِ وَأَبْتَهَجَ التَّوْحِيدَ بِالْجَدَلِ
وَعَمْرُ مُقْبِلٍ فِي رَأْيِ مَكْتَهَلِ
الْهِنْدِيِّ أَوَّالُهُمْ مِنْ حَمَلَةِ النَّسَلِ
نَقَضَتْ مَا أَبْرَوهُ غَيْرَ مَحْتَمَلِ
مِنَ السَّوَاحِلِ بَعْدَ الْآهْلِ فِي عَطَلِ
مِنْ خَوْفِ بَأْسِهِ جَيْشًا غَيْرَ مَرْتَحِلِ
وَسُوءُ دُنُوخِي الشَّهْبِ مُتَحِلِ (١)

قال في فتح عكسا :

يا أشرف الدنيا تهتف فأنسى
أشبهت مستعم الخرافة المحسنة
فأريت عكا ما بسوريسنة
فأبكت بلن جيوشه بسوابيسنة
ولأنت من شعب وليل لم تسكن
كم رقتها بسواي ليد اليك
وأعدتها للمسلمين ولم يكسنة
ولئن صانع الدين بكرأ ناله
بالجمعة الشراء كان صبا حنة
لم تمل شنتها وقد دار وابسة
وعدت ومن فيها بما أوليت

فتح سواك بمثله لم يحلب
فالروم منك ديارهم لم تحب
ذات الفزارى بالزمان الاقصد
غرة عليها الريح لم يتقصد
تردى الكماة بأشهب يباد حسد
فصدت قتها ببياعه يوم أيسد
منهم ترى التطهير إلا باليسد
فالكر في التجريب غير الأيسد
وجه الزمان بمثله لم يرقصد
طعننا بخير شظى القنا المتحطس
خبراً يقدر المجد أوتهم * (١)

(١) جواهر السلوك ورثة ٤٨
(*) نسبها محمود سليم الى ابن الصانع (عشر سائطين الممالك ٥٧/٨)

قال في فتح حصن الرقب زمن المنصور قلاوون :

كم لاه فتح غير هذا شبيب
يا نافع الحصن الذي فتحه
حسن عليم القدر في سيرة
إذا بدا والقيم من حول
ولم تلم للمعين أبراجه
أنشبت حرا فيه كم رامها
قد رحت منه شطلي صيرة
أخذت حق الدين من بعد
وذات خطوك لم أوثق
قد سقتها قابا وآساد
كم نصب الأعداء من حول
وكم لها قالوا وقد ركب
كاند الأعناق أمست
وكم نقوب فيه صيرت
أبكارها ما أغتصها
فاهنا بفخره قد حزن
وليس حصن بعد لها ما
وأعلم بأن السعد قد قتل

وقال في فتح حصن عكا سنة ٦٦٩ هـ :

يا نليك الأرض بشي
إن عكا يمين

وقال في انتصار المنصور قلاوون على الفرنج والتتار والارمن سنة ٦٨١ :

أله أعطاك ولا زيد وعم
هذا المقام الذي لو لم
يا عزة ما رأى البراؤون
لما بنى جيش أنقا في
واستحسن الخيل والتكفور

(١) شريف الأيام والمنصور

(٢) تاريخ ابن الوردي ٢٠٧/١ وانظر المختصر في تاريخ البشر ٦/٢

فاستمر فتح الأرض واستوعب
يأتي به شكر من يشرب
أين من قبله لم يكتسب
تقوى نعيم لا في غير
يقال هذا كوكب الكوكب
تبلغ سلطان علم
لم يبت حصن ثم لم يجنس
ضمت سنون وهو لم يطالب
عظيمة المسمى إلى المسرب
تدخلها في شيق الذئب
راوه منها وشي لم تنص
أي حصين به لم يخسب
منابت الأمل والأوطس
صا لكأ تاتيك باللسب
الا أنشت كالحابل المقرب
أخبار من طيبها تنبش
في الأبعد الثاني وفي الأفسر
وقال نصر الله بالوجود

ك فقد نلت الإرادة
هو عكا وزم

هذا البطء وهذا الفتح والنصر
لم يبت وأله ولا شام ولا
ورقة حار في الدنيا لها ذكر
ولن يمد لولا ألقنا جسم
مع الفرنج وبين أروى به الكفر

لأرض حمير فكان البيت والنصب
وأمدت الحرب حتى أذن المصير
والزور تسجد لا عجب ولا كبر
والسجل من أروء من القتل به وعبر
والسمر ناهية ياما تفضل السمير
للسيف والرمح هذا الفطر والنحر (١)

فيما كتب في جواب البشارة عن الولي السلطان الملك الأشرف (بفتح حصن المرتب)

جاءت ثمانون ألفا من بصوثهم
وأي النجسان في يوم الخميس خشي
والسيف يركن والأعظم رافضه
والخيال لا تثقدي إلا على جثيت
والبيز تخدم في الأجفان من مهج
فجاء في رجب عيدان من عجب

يماء من غرب إلى مشرق
لفتح غيرك لم يسبق
من بعد هذا أي شيء بقسمي
لمثل هذا اليوم لم تخلص
في باب عكا بكم يلتقي (٢)

يا ملك الأرض الذي جيشه
دشنت بالحصن العظيم السدي
حصن بما اتقار قالوا تسري
وقال كل منهم ليتسببا
فأهنا به فتحا فكم لثابته

وقال في تلود الفرنج من عكا سنة ٦٩٠ :

نقطة اللعالي لا تنفس
فأبشروا منه بصفح تفضل (٣)

يا بني الأعز قد حل بك
نزل الأشرف في سائرلكم
وقال يرثي الظاهر بيبرس من قصيدة :

يا قبر من فجست به الانس
قد الهدى وتأثر الإسم
ما أصبحت بمصرة تشتببا

تقرا عليك تحية وسلام
الظاهر السلطان من مصاب
قبر الذي لو أنصفته قلوبنا

تد يا رمول وما عليك من
تتم لهم عند الكرى الأحكام
تودهم من رعبه الأوثام (٤)

هذا الذي قال الملوك لرعبه
هذا الذي حزم القطار فأعجبوا
هذا الذي قهر الفرنج فكلهم

وقال يمدح الظاهر بيبرس سنة ٦٦٤ :

وبه الله قد أقر السيوف
أي نصر من رنا قد جزيننا

أي يوم بنصره قد حبيننا
يوم جزنا به بلاد مصر وقلوبنا
ونصنا :

في انتصاركم أعزوا القرون

كم أذلوا القرون نهبا وأمسرا

- (١) عقد الجمان ج ٢٠ : ق ٤ ورقة ٦٧٧
(٢) تشریف الايام والمصور ص ٨٢
(٣) تاريخ ابن القرات مجلد ٨ ص ١١٤ ، والسلوك لمحرفة دول الملوك ج ١ ق ٢ ص ٧٦٦
(٤) تاريخ ابن القرات مجلد ٧ ص ١٤٣

كافريها وسلموا المسلمين
صار حصنا للمسلمين حصين
رخير الملوك دنيا ودين
بالسطى منه أخذ النالين
خائبا خائفا لمينا مهين
قد تولوا من بأسه هازين
أي يوم لشره قد عيين
هازبا لا يكذب الناقلين (١)

فتحوا المدن والحصون وكفوا
بمحق سيد الملوك ومن قس
ركن دين الله بغير الظاهر
أسد الله في الوجود أثار
وتولى ليفون منه حسيرا
وكذاك التارخونا ورعي
آه لو أنهم أثاروا فقا
اندروا بالجيوش أثارا فوالس

يقول في الرد على النصارى واليهود :

خبرونا أهل الكتابين من أي
ما أتى بالعقيدتين كتاب
والدعوى ما لم تقيموا عليه
ليت شمري ذكر الثلاثة وآلوا
كيف وحدتم إلهاً نفسى التو
إله مركباً ما سمعنا
أكثر منهم نصيب من المل
أم هم حللوا بها شركاة الأب
أتراهم لحاجتهم واضطرار
أم جئهم على الحمار لقد جئ
أم أردتم بها الصفات فليسم
أم هو ابن الله ما شارككم
تخلته اليهود فيما زعمتم
إن تولوا أفتقتلوه على الله

من أعاكم تتليكم والبسداء
واعقاد لا نزع فيه ادعاء
بينات أبناؤها ادعاء
عند نفسى عدكم أم نساء
حيد عنه الآباء والأبنساء
بالله لذاته أجبراء
كفهم لا تميز الأنبياء
دنان أم هم لبعضهم كنساء
خلطوها وما بشى الخلطساء
حمار يجمعهم مشساء
ثلاث بوعفه وتفسساء
في معاني النبوة الانبياء
ولأوتاكمهم بالحيمساء
تعالى ذكرنا لقولهم نساء (١)

ويذكر أقوال اليهود وقيلها يصف الاسلابة :

واخو الضلالة قال عيسى رسة
ويقول خالفه أبوه وإن رسة
أبهذه الصورات جاءت كتبهم
فاعن منها ما استقام طلوعه
عجا لهم ما باهلوه وإله أبست
ولقد تحدى بالبيان لقوم رسة

ونبيته فاشو الضلال مذ بسدب
رباً وإنسان ألا فتعجبوا
أم حرقوا منها الصواب ووسوا
فكانها بين النجوم العقبسرب
أخبار يزوان الذين ترهبسوا
واليهم يئزى البيان ويئسب (٢)

وأفق أن الشيخ شرف الدين البوصيرى رأى في منامه قبل أن يخرج الأشرف إلى عكا قائلاً ينة :
ينشد :

قد أخذ المسلمون عكسا
وساق سلطاننا إليهم
واقسم الترك منذ مسمارت

واشبهوا الكافرين صكسا
نميا تدك الجبال دكسا
لا تتركوا للفرنج ملكسا (٣)

(٣) ديوانه ص ٢٣١

(١) ديوانه ص ١٥

(٢) ديوانه ص ٤٦

وقال يمدح أئمة عزة الدين والى القاهرة ويمزيه في سيف الدين :

عين لهم بقيت فيها ولا أنسر
إدراك أسرهم الأتباع والكنسر
مات الفترق بدهاء الخوف والكنسر
فيها شكن من الخوف والمذعير
عن أن يجرد فيها الصارم الذكور (١)

فظهر الأرض من أهل الفساد فلا
ودبر تلك تدبيراً يقتدر عمن
وحين طارت إلى الأعداء سمعته
فما يبالي بأعداء قلوبهم
وكل أرض ذكرناه بها غنيمة

وقال في مدح الملك المنصور قلاوون بمناسبة بنائه المارستان المنصوري الكبير سنة ٦٨٤ هـ :

وغرهم بالمسلمين غمور
وإن كثرت منها البنون نسرور
عن المدو في أرض المدو دجور
من الترك جهم لا يقد غسير
ورجل لهم مثل الجراد طمور
بهاضه برد السحاب تكسور
وبلي وكل بالنداب مطمور
أنا لها تلك البرق قسور
لهم ذلك الحصن الحصين حسير
نقى عنه نوم المقلين صفير
من الخيل سور والصوارم سمور
والأ إلى ضرب الرقاب مسير
عدو إليهم بالردى وتكور
أماناً وجلاب الحياة بقسير
رأى مستميراً غيها ومسير
تطير به من حيث جاء طيسور
غذاك لأحقاد السيوف مشير
لمصر ومحت الفارسين مسير
إذا غصت منهم لينة مسير
وتحفظ منهم أخوة ونسير
ورثت نخور ماءه وسحسور
به من علون كالصجول جسور
فتحسبها صورا وما هيسور
وما راعها من قبل ذاك شمسور
ملك يسير النصر حيث يسير

لقد جهلت دأبه الكفر بأسير
فلا يوركو من أخوة إن أمير
يظنون خيل المسلمين يخذل
أما زلزلت بالساديات وجاء شير
أثوا بغيرات من الجرد سكير
فلم يرتبوا من صبر شامان مرتير
وصب عليهم عارضى من عجار
وساموه كثفاً من نقوب كاشير
غذاقوا به من الحصار فأسير
يصيحون أعلى السور خوفاً كفاير
وماذا يرد السور عنهم وخلفير
وليس لهم إلا إلى الأسر ملجأ
فلما احتوا بأسر قلبهم هير
دعوه وشمل النصر منهم مكير
أغارهم أفرسيك تلك وسير
غدى نغمه بالحل والآن وأنشيني
فلا تذكروا ما كان بالأمير منير
فلو شاء سلطان البسطة سكير
تخير مصر دأباً بقدمه مسير
نسرهم عند القبول بشاعير
ولو شاء بد النيل سيل دماير
بمسيد كسيد النحر يا حسن ما يسير
فولوا وسوء الظن يلوى وجوههم
وقد شغرت منهم حصون أواهير
غله سلطان البسطة إنسير

(١) ديوانه ص ٨٨

ويرهب من هام الملوك غشـــــير
بصاره جمع الهيم غشـــــير
ثناء حكاه غير وعير (١)

ويشمد في هام الملوك حسامـــــه
ويجمع من أشلائهم متفرقـــــه
فأخلفت بأن يبقى ويبقى لمكـــــه

ويقول عن سقصور النصارى : من قصيدة يمدح بها الصاحب شمر الدين بن الصاحب برشان الدين :

لو كان جامعها يكون كنيســـــا
من بأشر الأحياء صار حبيســـــا
ضربوا على أبوابها الناقوســـــا
فأعزفه عنا وأصفع القسيـــــا (٢)

إن النصارى بالحقلة ودـــــه
أخرى النصارى يحكمون بأنـــــه
إن طاد لمحقق إليها ثانيـــــا
عرف الإله سوءه عنك بعزـــــه

وقال قصيدة سماها المخنق والمردود على النصارى واليهود :

فأبى أتلّ اليالمين غشـــــولا
من جهلهم لله فيه حلـــــولا
بالإفك والبهتان فيه التيســـــلا
بالحق تجرحا ولا تعد يســـــلا
ليكدّ بوا النواة والإنجيســـــلا
تنزيهها لإلهها التكيـــــلا
يتناول المشروب والمأكـــــولا
وروم من حرّ الهجير مهيـــــلا
عرفنا له شه ولا تعويـــــلا
من كان بالتدبير عنه كفيـــــلا
من بعده أم أثر التمددـــــلا (٣)

جاء المسيح بن الإله رســـــولا
نوم راوا بشراً كريماً فادعـــــوا
وعصابة ما صدقته وأكثـــــرت
لم يأت فيه مفرد ومفـــــرط
فكانت جاء المسيح إليهمـــــم
فأعجب لآفته التي قد صيـــــرت
أسمعت أن الإله لتأجـــــب
ونام من تسبويد هو رســـــم
ويسته الألم الذي لم يستطـــــع
يأليت شعري حين مات بزعمهمـــــم
هل كان هذا الكون كغير نفســـــه

وله قصيدة أخرى تسمى " ذخر المماد في وزن بانت سعاد " منها :

في طيها للشور المخلّى تمطيـــــل
لها التناوير يوماً والتناثيـــــل
غنا لها من عذاب اللتمجيـــــل
ربّ غدا وهو مطلوب وقتـــــول
وللبصائر كالإبصار تخيـــــل
وجاحد الحق عند النسر مخدول (٤)

فأخسر الناصر من كانت عقيدتـــــه
وأمة تعبد الأوثان قد نصبـــــت
وأمة ذهبت للمجل غابـــــت
وأمة زعمت أن المسيح لهمـــــا
فقتلت واحداً غرداً نوحـــــه
تبارك الله عما قال جاحـــــه

(١) ديوانه ص ٩٦ - ٩٨

(٢) ديوانه ص ١١٤

(٣) ديوانه ص ١٢٧ - ١٣١

(٤) ديوانه ص ١٢٣

قال في فتح عكا سنة ٦٩٠ هـ

الحمد لله زالت دولة المسلمين
هذا الذي كانت الآمان لو طلبت
ما بعد عكا ، وقد هدت قواعد هذا
عقيلة ذهبت أيدي الخطوب بها
لم يبق من بعدها للكفران غرست
كانت تخيلها آيا أنا فسترى
أم الخروب فكم قد أنشأت فتنها
موران : هروبحر دول ما حتمها
مصنع بصفاح ه حولها اكسبهم
مثل النمل ثم تهدى من صواعقها
كانما كن بين حوله فليس لك
غنا جأثها جنود الله يقدمها
ليت أي أن يرد الوجه عن أمهم
كم رامها ورماها قبله فليس لك
لم يلهم ملكه ه بل في أوائلهم
لم تزل دمه إلا التي تسببت
فأصبحت وهي في بحرين ما عسفة
جيت من لفرق ترك الحرب عندهم
تسببوا فلم يترك ثباتهم
أتوا حماها فلم تدفن وقد وثبوا
يا يوم عكا ه لقد أنشئت ما سبقست
لم يبل النطق بعد الشكر فيك ه فمما
كانت تمنى بنت الايام عن أمهم
أغشيت بها دهمي اذ أهدتهم
وأطلع الله جيش النصر فابتهكت
وأحرب المصطفى الهادي البشير على
فقر عينا بهذا النش ه وابتهجست
وسار في الأرض سير الريح سمعتهم
وخاضت البيه في بحر الداء ومما
وقعا زرق القنا في زرق أعينهم
ثوتدت وهي تروى في نحورهم
أجرت إلى البحر بحرا من دماهم

وعز بالترك دين المصطفى المريمي
روياه في النوم لا شحيت من الدلب
في البحر للشرك عند البر من أرب
دعرا وهدت عليها كفا منتصب
في البر والبحر ما ينجي سوى الهرب
أن التفكير فيها أعجب العجب
شباب الوليد بها هولاء ولم تشعب
دارا ه وأدناها أناي من القطب
من الرماح ه وأبراج من الميلسب
بالنيل أضفاف ما تهدى من المسب
من المجانيب يرمي الأرض بالشعب
غضبان لله ه لا للملأ والنشعب
يدعون رب الأوزى ه سبحانه ه يساب
بجم الجيوش فلم يظفر ه ولم يضرب
نال الذي لم يبله الفارس في الحقب
للمجز عنها ملوك النجم والسرب
ط بين مضطرب نار ومضطرب
عار ه وراحتهم سرب من الوصب
في ذلك الاث برجا غير منقلب
عنها مجانيب شيئا ولم تشعب
به الفتى ه وما قد خط في الكتب
عسى يقوم به ذو الشعر والخطب
والحمد لله ه شاهدناك عن كتب
لله أي رضى في ذلك النصب
طالوع الفتح بين السمر والنصب
ما أسلف الأشرف السلطان من قسرب
بنشره الكعبة الشراء في الحجب
فالبر في كبر والبحر في مسرب
أبدت من البيض إلا ما في مشرب
كانها شطن تهوي إلى قلبسب
يزاد ما الري في الأشرار واللهيب
فرا كالراج ه اذ غرقاه كالجبسب

وذاب من حرها عنهم حد يد هـ
 تحكمت فسدت غيهم قواهم هـ
 كم أبرزت بطن كالطود قد بطلت
 كأنه وسان الرمح يطلب هـ
 يشارك يا ملك الدنيا لقد شرفت
 ما بعد عكا وقد لانت عريكتهم هـ
 فانهض إلى الأرض فالديا بأجمعها
 كم قد دعت وهي في أسرا المدى
 ليبتها يا صلاح الدين معتقدا
 أسكت غيها كما سالت دماؤهم هـ
 أنزكت نار صلاح الدين إذ غضبت
 وجنتها بجيوش كالسيول على هـ
 وعظمتها بالمجانيق التي وقفت
 مرفوعة نصبوا أضياها ففسدت
 ورقتها بنقوب ذلت شمها هـ
 وبعد صبحتها بالزحف فاضطربت
 وغيت البيض في الاعناق هـ فأرتقصت
 وخلقت بالدم الأسوار فأبتهجنت
 وأبرزت كل خود كاعب نشرت
 بانت وقد جاورتنا نازرا وغسدت
 ظنوا بروج البيوت الشم تعقلهم هـ
 فأعزتهم ولكن للسيوف لكسبي
 وجالت النار في أرجائها وعلست
 أشعت أبا لهب تلك البرق وقست
 وأغلت البحر منهم من ينجو هـ
 وتمت النعمة المظلي وقد كملت
 اختان في أن كلا منهما جمعت
 لما رأت اختها بالأمس قد خرسنت
 فالله أعطاك ملك البر وأبتعدت
 من كان مهداه عكا وصور مصفا
 فلا بك الملك حتى أن قبست هـ
 فلا برحت عزيز النصر مهتم جفا

٥١٨
 فقيدتهم به ذعرا يد الرهبان
 قتلا هـ وغت لحاوبها عن السلب
 حواسه ففدا كالمنزل الخسرب
 بن هوى وراءه كوكب الذنب
 بك الملاك واستخلت على الركب
 لديك شيء تاذقيه على تمسب
 مدت إليك نواصيها بأذن نصيب
 سيد الملوك فلم تسمح ولم تجيب
 بأن ظن صلاح الدين لم يخسب
 من قبل أجارها بحرا من الذهب
 منه لمر طواه الله في القسب
 أمثالها هـ بين آجام من القسب
 أمام أسوارها في جحفل لجيب
 للجزم والكسر منها كل منتسب
 منها هـ وأبدت حياها بلا نقسب
 رعا وأهوت بخديها إلى السرب
 أبراجها لعبا منها مع اللسب
 طيا ولولا دماء القوم لم تطسب
 لها البرق وقد زفت بلا طسب
 طوع الهوى في يدي جيرانها الجنب
 فاستقلتهم ولم تطلت ولم تهسب
 لا يلتجي أحد منهم إلى هسب
 فاطقات يا بصدق الدين من كسب
 كانت بتخليتها حاملة الحطسب
 يلتاق من قومه بالويل والحسب
 بفتح صور بلا حصر ولا نصيب
 صلبة الكفر هـ لا اختان في النسب
 كان الخراب لها أعدى من الجسب
 لك السادة ملك البحر فارتقسب
 فالصين أدنى إلى كفيه من حسب
 على الشرا غدت مدودة الطنسب
 بكل شئ قريب المنع مرتقسب (١)

(١) جواهر السلوك ورقة ٥٩ - ٦٢ هـ ابن كثير البداية والنهاية ١٣ / ٣١٣
 درة الاسلاك ج ١ ورقة ١٥٤ هـ تاريخ ابن الفرات ٨ / ١١٢ - ١١٨

وقال في فتح حصن الدرقب من قصيدة :

واقف ذكرتك والحياة كرهية
والبيوت من خلل السهام كأنهم
والحصن من شفق الحديد كأنه
ساحل السماء فمن تطاول نحوه
والجنيت كأنه من رميه
والبوت يلعب بالنفوس وخطا طير

وقال في فتح عكا وما معها من الحصون أولها :

الشرك أجلى وأنجلي ظلماته
والنصر أوت بالفرق رياحه

ومنها :

طعن العدو بأن عكا محقق
شموه بالزحف وهو السددة الأولى
وتحكمها السيف الصقل فأحسرت
وندى إلى عور الحديد بهجرهم
فجرت عزيمة من بها وثقروا
وسرت إلى عيدا الجيوش ورهبهم
أسلوا بأزلمهم وكان نحوهم
وأثوا على البترون وبنوهم
فجروهم أسرى وهل ينجو منهم
بأش على بيروت يوم ما ليس
أرداهم ما أضروا من فلمهم
وبحصن عتايه التي كملت ومسيها
وكذلك أنظرهم أشدنا العسدي
وجييل ولي أهلها كرتا وكسها
فذهب الاله لدينه لأتتهم
وتنزلوا أيدي سبا وسجاؤهم

والبوت يرقب تحت حصن الدرقب
برق تألق في غمام صبي
عذراء ترفل في رداء كده
للمسح مسترقا رماه بكوكبه
حيث استدارت دركب في لولبه
يلهو بخبرة ذلك المستنذب (١)

والدين قرأ وشرفت قسما
من بعد ما فتكت بهم نسما

تبلى الدهور ولا تلين قناتهم
فزلزل أرضهم عدا ما تنسهم
بالقتل أسراب الظباء ظلماتهم
اذ خالقت بدما لهم صفحاتهم
عن حصنهم ونفتهم أباها تنسهم
تنجي طارح بدهم طلعاتهم
قد عبرت عن حزنه عبراتهم
ببراكب صفت بها حافاتهم
قد قيدت بسكوسه حركاتهم
تربو على أعوانه ساعاتهم
والدع يتبعه الردى تيماتهم
كانت بنير الوهم تدرك ذاتهم
ومضت تبيل بسنته لفتاتهم
للفراق ترددت حشراتهم
من حيث لم يتوهموا مطاوتهم
جملت برغمهم لنا أشتاتهم (٢)

(١) درة الاسلاك ورقه ١٢٥

(٢) جواهر السلوك ورقه ٦٦ ودرة الاملاء في دولة الأتراك ورقه ١٥٨

الله اكبر ه هذا النير والظفر
هذا الذي كانت الامل ان طمحت
فانهض هوسر وأملك الدنيا فقد نخلت
كم رام قبلك هذا الحصن من ملكتك
وكيف تمنحه الايام ممالك
عز المدى هذا حلم تحته ه
لها ه وابن اشبهت لك النسيم مسرى
أوردتها المرقب السالي وليس هوى
كانه ه وكان البويكف ه
يختال كالعادة المذراء قد نظممت
لها الهلال سوار والسها شمسف
تخلو الرياح اليه كي تحيط به
ويوم البرق يهوى نحوه ليس هوى
وليس يروى بهاء السحب مصعده
فما جاته جنود الله يقدم ه
وأشربت حوله نارا لها لهسب
والجاءت بها المجد ه
وأمرت المجلد التي نشأت
كانها وسجانيق النور له
وكم شكا الحصن ما يلقى فما أكثر شمت
وللقوب دبيت في فاصله
أضحى به مثل صب لا تبين ه
قد زال ه تجلى تواء عن تواعه
وساخ وانكشفت أقباهه وسدا
فبال يهوى اليهم كل ليث وفسي
وقد تقلد من إسرائي ملكك ه
رفعت أعلاه أعلاه مصعده
تبدو بها غرر اللغات نالمة
ان لم يوفى الورى بالشكر ما فتحمت

وقال في فتح طرابلس :

علينا لب أولاك نسمة الشكر
ومنا لك الاخلاص في صالح الدعاء

هذا هو الفتح لا ما تزعم السمر
الى الكواكب ترجوه وتنشيط
شوقا منا برنا وأرتاحت السمر
غطال عنه وما في باعه قصير
كانت لدولتك الشراء تدخس
لا شقر البرق من تحجبلها غسر
معنى المواصف لا تبقي ولا تسذر
ماء البيرة في أرجائها نه
وهي تمثله في طيها الفكسر
منه مكان اللآلي الأنجم الزهر
والقلب قلب ومود الدجى طسر
خبيرا ه وتدنو بها في ضمنها شمس
أدنى رياء ويأتي وهو محتسر
اليه من غيالا وهو مضحكر
من بأسك المذران ه الموث والخضر
من السيوف ومن نيل الوش شسر
غافق له القاتلان ه الحضر والحضر
ولم يكن قبلها يهوى به المطسر
نرا ه الأسد في أظفارها التفسر
يا قلبها ه أريد أنت أم حجبسر
تثير سقا ولا يبدو له أنسر
نار الهوى ه وثي في الامضاء تستعر
وغير أعلاه نحو الأرض يبتسر
لديك من مضمرات النصر ه مسر
له من البيض ناب والقنا ظفسر
به على أنجم الجوزاء يفتخر
ان لا يزال بها الاسلام ينتصر
من كل ناحية في وجهها قمسر
يداك فالحه والاملاك قد شكروا (١)

لائك للاسلام يا سبعة ذخسر
الى من له في أمر نصرتك النصسر

ولله في اعلى ملكك في السورى
 الا هكذا يا وارت الملك غليك
 نهضت الى عليا طرابلس السبي
 وقد ضمها كالطون الابقيسة
 منعة بكر وهى في جميع مسا
 وكانت بدار العلم تعرف قبلها
 ولما عدت لا فخر مثل افتتاحها
 فكم من دهر وما مسها اذى
 وكم ليت غاب رايها في جيوشه
 فاجاتها بالجيش كالقون فانتست
 وثلث لى بحرين انكها لها
 كاني المجانيق التي اوتيت حصى
 تحلق في جو السماء وترتمس
 وابست بحسنا النيران ان بسندت
 لها شرر كالقمر تربي به الحسد
 وبين تحتها تلك الثوب كانها
 غزلتها بالركن فانهد ركنها
 فتمسكهم شدين غير فريدهم

وقال يدعي الاسرف خليل على فتحه قلعة الروم بقصيدة اولها :

لك الراية الشراء يقدمها النسر
 اذا خلقت في الارض هدت بنودها
 وان نشرت مثل الاسائل في وضى
 وان همت زرت الددى سار تحتها
 كان مثار النقى ليل وخفتها
 لها كن يوم اين سار لواؤها
 ونج بدا في انو فتح كانها
 فان رمت حصنا سابقنا كئاس
 ففي كل قنار للمدى وحصونهم
 فاز حصن الا وبنو حصن لا فليسه

 وما قلعة الروم التي حزت فتحها
 طليعة ما يأتي من النج بعدها
 فنبهتها بالبيت كالروى به جنة

(١) درة الاسراف ورقه ١٤٥ والنجوم الزاهرة ٣٢٣/٧ - ٣٢٤

مراد وفي التأييد يوم الوغى سر
 جهاد الصا ما توالى به الدسر
 اقل عنايا ان غنقتها البحر
 كنحروا انت السيف لاج له نسر
 تملكه الا منعة بكسر
 فمن اجل ذا للسيف في نظمها نسر
 ابي الله الا ان يكون لك الفخر
 وكم راج من عسروا راعيا حصر
 وغاب ولم يحرز له ظفرا ظفر
 تديد وقد اربى على بحرها البحر
 واقتله البحر الذي جره مسر
 عليها لها في علم ابراجها وشسر
 اليهم كما ينقض في حلق نسر
 لناظرنا يوما وفي قلبها صسر
 في بن يستضي عليه ولا قصر
 اذا ما تمشت في ضمير النرى سر
 ولم يبق من دون الدنيا لها مسر
 فللسيف شطر والقيود لها شطر (١)

فمن كيتبان ان رانا وكيتشسر
 هوى الشرك واستولى الهدى وانجلى الشر
 جلا النج من لالا طلعتها البسدر
 كتاب خسر تحتها البيش والمسر
 بروق وانت البدر والفلك البحر
 شديقة تأييد يقدمها الدسر
 ساء بدت ترى كواكبها الزسر
 من الرعب او جيش تقدمه النسر
 من الخوف اسياف تجرد او حصر
 ولا شرب الا لارواحهم قهر

وان عظم الا الى غيرها جسسر
 كما لاج قبل الشمس في الافق البحر
 صواره انبارة والنا الزسر

لدى منصر أو تحت مظلة شخص
سحاب ردي لم ينزل من قطره قط
رواعد سخط ولها النار والصخر
.....

وباحت بما أغنته وانتهك السر
رجاءهم لو لم يشب قصدهم
فتوحك غيما قد مضى كله قيس
تحصل منها الفتح
وإن غيب العفور من ذاك والنفس
تطعمك والأصاير أجمعها
ويزني على ماضي المنصور بك المسمى (١)

أداروا بها سورا فأضحت كخاتم
وأرخوا اليها من أكف حارهم
كان المجانيق التي قمن حولها
.....

وشيت بها النيران حتى تمزقت
فأخذوا بذيل المغر منكم فكم تجيب
فأعزتها يا أسيد قهرا وحكما
فيا أدرك الأملاك فزت بشهوة
وشرائك أركبت المسيح وأحمدا
سرحيت ما تختار فالأرض كلها
وكم وأبق للدنيا ليحيا بك الهدي

وتال يرثي المالك المنصور بقصيدة أولها :

في نصرة الاسلام حكم يقتضي
ليب الرقاد الى الجهاد وأوجها
في هل بعد ذاك تالفا
ذهبوا كما حكمت سواربه جفها
من جاعر قد دام خذا عترتها
فندا على نهر المجرة مشرفها
يوم الإباء مسلما مستسلمها
ملك سواه اذا ثبته أو غشها
وندى وجدد رسم مكره عفشها
وأطان ملتجئا وسامع مصرعها
ما أقرضا في طاعة أو أسلفها
باجن ما كان فيه وأشرعها (١)

ملك مضى لسبيله وسبيلها
المالك المنصور أكرم من جفها
سل يوم جدد عن الألوف وقد سلها
وأمنل تجد تسعين ألفا منهم
وغدوا وطاء للورى فلكم تسرى
والمرقب السالي الذي ما في السما
وافى اليه بزيمة جاءت بيسه
وكذا طرا بلس التي لم يرجعها
ولكم أباد عدك وكم أبدى يسدا
وأقال معتذرا وأغنى راجيسها
بلوبي له حازت يداه وتد مضى
نشلت الأملاك تقدم روحها

(١) البداية والنهاية ١٣/ ٣٢٣ غوات الوغيات ١٥٥/ ١

(١) درة الاسلاك ١ ورقه ١٥٠

مع بعض الحليمين أمد الدين :

في يوم يفرنا ونالوا منية الظفر
أبا المظفر بالصمصامة الذكبر
على الخطيم نفوس الممشر الأشر
قواص الكفر في ذل وفي صبر (١)

إن كان آل الفرنج أدركوا فلحسنا
نفى الخطيم حكمت الكفر مناصنا
نالوا بيننا نهابا وانتهبت انسا
واستقودوا الخيل عريا وأعتدت لنا

وسمعنا قولاً يقول قبل فتوحات صلاح الدين الكبرى :

لدين بعد إياسه أن ينصصرا
يطوى الطراز له ويقتل قيصرا (٢)

ملك الصياصي والنواصي ناصرا
وسيفتح البيت المقدس بعد مصرا

وقال آخر بعد هزيمة لويس التاسع عن دمياط :

له من المسلمين شاكبر
بقوده نحونا النساكبر
أمة عيسى من الذخائبر
صدره بالمنون آشكبر
ورابع الشر فهو شامبر
فأشلفت ظنه المقتكبر
تشقى من خوفه النواظبر
قد عميت فهم البصائبر
غلشه كادفن وساحكبر
من أرض دمياط غليبكبر
والسيف طاش والجيش حاضكبر
لمثلها ، أنه لقيكبر
من بعد كسر السليب جابكبر
من كل علي وكل كاغبر (٣)

قال للفرنسي إن كبر
لأنه متعن الإنكبر
ساق إلى مصر ما اتنكبر
وأورد الجحيم بحر حير
أركبهم أدهم شمشكبر
ورام باباهم أممكبر
وأذبل القوم هول حير
لم تنم أبنارهم ولكن
ولم يقد وقت فيلسكبر
فإن بعد طالبا لشكبر
فذل البحر تفرغكبر
أعاده الله عن قريشكبر
بحيث لم يبق للنصكبر
ويستريح السليم منكم

وقال بعضهم في أخذ عكا :

وزند أوار النار في وسطهم
مجوسية الأبرار تسجد للنصار (٤)

مررت بعكا بعد تعليق سورهم
وتأينتها بعد التضرع قد غسدت

(١) الروضتين ٥٨/١ ، عقد الجمان ج ١٢ ق ١ ورقة ١٩٦

(٢) الروضتين ١٠٤/١

(٣) فوات الوفيات ١٥٢/١

(٤) تاريخ ابن القرات ١١٥/٨ وجواهر السلوك ٤٨

- (*) أنابك : وتكتب أطابك ، أيضا ومعناها : الاب الامير ، وأول من لقب بذلك
عماد الدين زنكي صاحب الموصل . (صبح الاعشى ١١ / ١٦٧)
- (*) أيبك : لفظة تركية معناها الامير القصر ، (آي : القصر ، بك الامير ،
(أحمد العبادي ، قيام دولة المماليك الاولى ١٠٩)
- (*) البركوس : جمعها : براكيس : نوع من السفن التي كانت تستعمل في الدروب بين
الشرق والغرب في مياه البحر الابيض المتوسط في الحصور الوسطى
وهي أصغر حجما من البطسة ، وخمولة البركوس الواحد حوالي خمسة
وعشرين رجلا وهي مأخوذة عن الايطاليين Barcoro
(ابن شداد ، النوادر السلطانية ، نشر الشبال ص ١٤٤)
- (*) الباشورة : جمعها بواشير : الدائط الظاهري من الحصن يخفي وراءه الجنود
عند القتال (ابن شداد ، النوادر السلطانية ، نشر الشبال ص ١٥٣)
- (*) البطسة : أو البطسة ، ويقال أحيانا بطشة أو بطشة ، وقد تحرف الى بسطة وسطية
والجمع بطس ويطسات ، ويطشات ويطثر ، مأخوذة عن الإسبانية ومعناها
السفينة الكبيرة ، تستخدم أصلا للحرب ، وقد تستخدم لنقل التجاره ،
تسبح في العادة الى ما بين ٣٠٠ - ٧٠٠ مقاتل (ابن شداد ،
النوادر السلطانية ، نشر الشبال ص ٤٨)
- (*) الهينسه : جمعها البيض ، وهي الخوذة من الحديد تلبس على الرأس لوقايتها
(الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٥٣)
- (*) تركبلي : لفظة يونانية معناها سلة الترك (مفرج الكروب نشر الشبال ج ٢ ص ١٤٨)
- (*) الجرج : مأخوذة عن الفارسية ، والجمع جرج ، وهو نوع من القوس الرامي الذي
ترى عنه الشباب أو النفط ، وهناك أربعة أنواع للقوس الرامي الذي
يشبه المنجنيق ، وهي قوس الزباد ، والقوس العقاد ، والجرج ، وهو
يصنع من القرن ، وقوس الرجل ويقال للذي يرمي عن قوسه السهم
أو النفط (الجرجي) (النوادر السلطانية ص ٤٢ ، الروضتين
ج ١ ق ١ ص ١٣٦)
- (*) الجريدة : الفرقة من المساكر الخيالة لا راجل فيها ، وخرج الجند جريدة أي
مسرعين من غير أثقال (الروضتين ج ١ ق ١ ص ١٧٢)
- (*) الجالبش : في الاصل معناها الراية المظيمة في رأسها خصلة من الشعر ، ثم
أطلق اللفظ على مقدمة القلب في الجيتر أو على الطليعة
(النوادر السلطانية ٦٢)
- (*) الجنائب : في الاصل الخيول التي كانت تسير وراء السلطان أو الامير في الحروب
استعدادا لاحتمال الحاجة (الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٤٥)

(*) الاحداث : جماعات مسلحة من أهل المدن ، عظم شأنهم في بلاد الشام ، وخاصة في دمشق وحلب ، وأصبحوا ذوي الكلمة الأولى في الدفاع عن دمشق في عهد آل طشتكين ، كما أصبح لهم مسئول يدعى رئيس الاحداث أو رئيس البلد ، يقر اختياره حاكم المدينة (عماد الدين خليل - عماد الدين زنكي ص ١٢٨)

(*) الحبال : الجمع : حالات ، وهي نوع من السفن المخصصة لنقل مؤونة الجيوش وأزواده ، والصناع ، والخدم الملحقين بالجيوش والاسطول ، كما تستعمل في نقل الخيول (النوادر السلطانية ١٤٠)

(*) الحركة : الجمع الحركات - لفظ فارسي ، وهي نوع من الخيام تتكون من قطع من الخشب مرفوعة بينهما على شكل قبة ، وتنطشها قطع من اللب (النوادر السلطانية ١٤٠)

(*) دباب : جاء في اللسان : الدبابة : آلة تتخذ من جلود وخشب ، يدخل فيها الرجال ، ويقربونها من الحصن لينقبوه ، وتجهز ما يرمون به من قوس سميت بذلك لانها تدفع فتدب ، ومن حديث عمر ، قال : كيف تصنعون بالحصون ، قالوا : تتخذ دبابات يدخل فيها الرجال ، وبناء غصي وصفها ، بانها آلة سائرة تتخذ من الخشب الشخين المتلزز ، وتغلف باللبود والجلود المنتشة في الخلد لدفع النار ، وتركب على عجل مستدير وتحرك وتحرك فتجبر ، وربما جعلت برجاً من الخشب ، وقد يدعى فيها الرجال فتندفع على البكر (النوادر السلطانية ص ٤٢)

(*) الدبوس : آلة من حديد ذات أضلاع (عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكي ص ٢٠٥)

(*) الرباط : في الأصل مكان تجمع المجاهدين المتطوعين لقتال العدو على الحدود ثم صار في أيام الأيوبيين مكاناً يتخفى فيه للعبادة (الروضتين ج ١ ق ١ ص ٢٢٠)

(*) الزقاق : والجمع زقاقون - وهو الذي يرمي النفط من الزقاق ، وهي أنبوب خاصة يزرى بها النفط ، وتنبعث منها نار النفط بأعداد ودخان شديد فتحرق السفن (النوادر السلطانية ١١٨)

(*) الزنبورك : الجمع زنبوركات - قد تعني نوعاً من القسي التي ترمى عنبراً السهام ، وقد تعني نوعاً من السهام ذاتها ، ويكون في سمك الأبرام ، وهي طول الذراع ، وله أربعة أوجه ، وطرفه من الحديد ، وهو مرسى ليكون في انطلاقه أكثر ثباتاً وحيثما سقط فإنه مؤكدة الإصابة ، وقد يخترق الزنبورك أحياناً - في رمية واحدة - جسمي رجلين اثنين وقتاً واحداً ، خلف الآخر ، وأخترق في الوقت نفسه درج الجندي ومدرسته ، ثم نشد بعد ذلك واستقر في الأرض ، وقد يصيب أحجار الاسوار ... (النوادر السلطانية ص ١٤٨ - ١٤٩)

من أهم المعدات عند المسلمين في التصور الوسطى ، تتخذ من الجلد واللبود المبلولة بالخل ، لوقاية الحصون والقلاع من تساقط النقط (مفرج الكروب ٢/٣٠١)

(*) الستائر :

وقد يرسم في المراجع العربية أصطول أو سطول - والجمع أساطيل - كلمة يونانية الاصل ، وتطلق في المراجع العربية على السفن الحربية أو السفينة الواحدة ، ويقال للجندي الذي يحمل في الاصطول (أسطولي) . (النوادر السلطانية ص ٨٤)

(*) الأسطول :

الاصل فيها تطلق على مجموعة الخيل التي تحفظ البلد ، ولكنها أخذت على رئاسة الشرطة أو الامير المشرب على حرامتها ، ويقال الشحنة والجمع على شحن ، وشحاني . (النوادر السلطانية ص ٧٢)

(*) الشحنة :

أو الشاني أو الشينة أو الشونه . والجمع شواني - السفينة الحربية الكبيرة ، وهي أهم القطع الكبيرة التي كان يتكون منها الاصطول فسي الدولة الاسلامية ، وتتسع لمائة وخمسين جنديا بأسلحتهم ، وتقال أنها تسير بمائة وأربعين مجدا . (النوادر السلطانية ص ٤٨)

(*) الشيني :

ويقال الطراد أو الطراوة أو التطريدة . والجمع طرائد ، وهي سفينة يرسم حمل الخيل ، وأكثرها يحمل فيها أربعون فارسا (النوادر السلطانية ص ٤٨)

(*) الطريدة :

والطارقيات جمع دارقة ، ويوطلق على نوعين من السلاح :

(*) الطوارق :

الاول : نوع من التروس يدخله الجندي لحماية نفسه أثناء القتال الثاني : آلة عربية مكونة من جملة من الألواح الخشبية تستخدم كتراميل يخفي الجنود الرماح والصخور خلفها (النوادر السلطانية ص ١٢٨)

(*) الملقب :

لفظ كردي معناه الامير الذي يقود مائتي فارس في ميدان القتال ، ويطلق كذلك على قائد المائة أو السبعين ، وكان أول ما استعمل اللفظ بمصر والشام أيام صلاح الدين (النوادر السلطانية ص ٢٤ ، ٦٢)

جب اصلاح الدين الايوبي ص ١٦١)

(*) الكبش :

آلة حرب متصلة بالدبابة لها رأس ضخمة وقرنان ، تدفعها الجنود نحو الاسوار لتهدمها ، والجمع كباش ، وكبوش وأكبش (الروضتين ج ١ ص ٢)

(*) الكوسات :

صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير ، يمدى بأعدادها على الاخر بايتاغ مخصوص ، ومن يتولى ذلك يسمى الكوسية ، وكانت تسمى أيضا بالطلبخانة (النوادر السلطانية ص ٢٠)

(*)

القطاريات : نوع من الرماح وهي لفظ من أصل يوناني ، سميت هكذا لأنها تصنع من الخشب الذي يحمل هذا الاسم باليونانية (مفرج الكروب ١/١٨٢)

- (*) القومـصـ: تعريب حرفي للفظـة اللاتينية (Comes) أى الامير ، ومعناها---
الاصلي في اللاتينية (الرفيق) لانه كان في بداية الامر يرافق الملك في
حروبه وتنقلاته ، وتعريبها ، كند ، كد ، وتجمع على كند---
(النوادر السلطانية ٧٧ والباهر ص. ٤١)
- (*) اللاـمـة : الدرع ، وقيل السلاح ، وقيل الدرع الحصينة ، سميت لامة لاحكامها---
وجودة حلقاتها ، وقيل السلاح كله ، ولامة الحرب : أداته وجمعها---
لام ولوم (النوادر السلطانية ص. ٨٨)
- (*) المنجنيق : بفتح الميم وكسر طاء --- أو المنجنوى ، والجمع مجانيق ، صناعية---
ومنجنقات ، لفظ أعجمي محرب ، وهو آلة الحصار في الحصور الوسطى
يقوم مقام المدفع الحالي ، وان كانت قدائفه من الحجارة ، ويضمها---
القلقشندى بأنه : آلة من خشب له دفتان قائمتان ، بينهما سرج طويل
رأسه ثقيل ، وذنبه خفيف ، وفيه تجعل كفة المنجنيق التي يجعل ثوبها---
الحجر ، يجذب حتى ترتفع أسافله على أعاليه ، ثم يرسل فيرتفع ذنبه---
الذى فيه الكفة فيخرج الحجر منه ، فما أصاب شيئا إلا أهلكه---
(صبح الاعشى ١٤٤ / ٢ والنوادر السلطانية ٢٦)
- (*) النبل أو السهام : واحدته نشابة ، والناشبة والنشابة قوم يرمون بالنشاب ، وشترط فيها
ان تكون صديدة الاعتدال والاستدارة والقتل والشتل والخفة ، وأسمها---
طلوله وقصره فحسب مقادير الرامي (النوادر السلطانية ٦٣)
- (*) النـمـجـاء : بالهاء ، خنجر مقوس يشبه السيف القصير ، وهو محرب اللفظ الفارسي
(نهمجه) ، ويقال أيضا : نمجا ، ونمجه ، ونمشا ، ونمشا---
(النوادر السلطانية ص. ٧٩)
- (*) الوطـاق : لفظ محرب عن التركية ومعناه الخيمة ، أو مجموعة الخيام ، أو المعسكر
أو الخفرقة (النوادر السلطانية ١٢٩)
- (*) اليزك : لفظ فارسي معناه طلائع الجيوش (الروضتين ج ١ ق ١ ص. ١٤٢) ، النوادر
السلطانية ص. ١٠)
- (*) الـلـب : الترس ، أو الدرع من الجلود أو جلود يخرز بعضها الى بعض لتلبس
على الرؤوس خاصة (الروضتين ج ١ ق ١ ص. ١٥٢)

ثالث : جدول بتحويل السنوات الهجرية الى ميلادية ٥٢٩

السنة الهجرية	تبدأ يوم	شهر	من السنة الميلادية
٤٥٠	٢٨	٢	١٠٥٨
٤٥١	١٧	٢	١٠٥٩
٤٥٢	٦	٢	١٠٦٠
٤٥٣	٢٦	١	١٠٦١
٤٥٤	١٥	١	١٠٦٢
٤٥٥	٤	١	١٠٦٣
٤٥٦	٢٥	١٢	١٠٦٣
٤٥٧	١٣	١٢	١٠٦٤
٤٥٨	٣	١٢	١٠٦٥
٤٥٩	٢٢	١١	١٠٦٦
٤٦٠	١١	١١	١٠٦٧
٤٦١	٣١	١٠	١٠٦٨
٤٦٢	٢٠	١٠	١٠٦٩
٤٦٣	٩	١٠	١٠٧٠
٤٦٤	٢٩	٩	١٠٧١
٤٦٥	١٧	٩	١٠٧٢
٤٦٦	٦	٩	١٠٧٣
٤٦٧	٢٧	٨	١٠٧٤
٤٦٨	١٦	٨	١٠٧٥
٤٦٩	٥	٨	١٠٧٦
٤٧٠	٢٥	٧	١٠٧٧
٤٧١	١٤	٧	١٠٧٨
٤٧٢	٤	٧	١٠٧٩
٤٧٣	٢٢	٦	١٠٨٠
٤٧٤	١١	٦	١٠٨١
٤٧٥	١	٦	١٠٨٢
٤٧٦	٢١	٥	١٠٨٣
٤٧٧	١٠	٥	١٠٨٤
٤٧٨	٢٩	٤	١٠٨٥
٤٧٩	١٨	٤	١٠٨٦
٤٨٠	٨	٤	١٠٨٧
٤٨١	٢٧	٣	١٠٨٨
٤٨٢	١٦	٣	١٠٨٩

السنة الهجرية	تبدأ يوم	شهر	من السنة الميلادية
٤٨٣	٦	٣	١٠٩٠
٤٨٤	٢٣	٢	١٠٩١
٤٨٥	١٢	٢	١٠٩٢
٤٨٦	١	٢	١٠٩٣
٤٨٧	٢١	١	١٠٩٤
٤٨٨	١١	١	١٠٩٥
٤٨٩	٣١	١٢	١٠٩٥
٤٩٠	١٩	١٢	١٠٩٦
٤٩١	٩	١٢	١٠٩٧
٤٩٢	٢٨	١١	١٠٩٨
٤٩٣	١٧	١١	١٠٩٩
٤٩٤	٦	١١	١١٠٠
٤٩٥	٢٦	١٠	١١٠١
٤٩٦	١٥	١٠	١١٠٢
٤٩٧	٥	١٠	١١٠٣
٤٩٨	٢٣	٩	١١٠٤
٤٩٩	١٣	٩	١١٠٥
٥٠٠	٢	٩	١١٠٦
٥٠١	٢٢	٨	١١٠٧
٥٠٢	١١	٨	١١٠٨
٥٠٣	٣١	٧	١١٠٩
٥٠٤	٢٠	٧	١١١٠
٥٠٥	١٠	٧	١١١١
٥٠٦	٢٨	٦	١١١٢
٥٠٧	١٨	٦	١١١٣
٥٠٨	٧	٦	١١١٤
٥٠٩	٢٧	٥	١١١٥
٥١٠	١٦	٥	١١١٦
٥١١	٥	٥	١١١٧
٥١٢	٢٤	٤	١١١٨
٥١٣	١٤	٤	١١١٩
٥١٤	٢	٤	١١٢٠
٥١٥	٢٢	٣	١١٢١
٥١٦	١٢	٣	١١٢٢
٥١٧	١	٣	١١٢٣

السنة المجرية	تبدأ يوم	شهر	من السنة الميلادية
٥١٨	١٩	٢	١١٢٤
٥١٩	٧	٢	١١٢٥
٥٢٠	٢٧	١	١١٢٦
٥٢١	١٧	١	١١٢٧
٥٢٢	٦	١	١١٢٨
٥٢٣	٢٥	١٢	١١٢٨
٥٢٤	١٥	١٢	١١٢٩
٥٢٥	٤	١٢	١١٣٠
٥٢٦	٢٣	١١	١١٣١
٥٢٧	١٢	١١	١١٣٢
٥٢٨	١	١١	١١٣٣
٥٢٩	٢٢	١٠	١١٣٤
٥٣٠	١١	١٠	١١٣٥
٥٣١	٢٩	٩	١١٣٦
٥٣٢	١٩	٩	١١٣٧
٥٣٣	٨	٩	١١٣٨
٥٣٤	٢٨	٨	١١٣٩
٥٣٥	١٧	٨	١١٤٠
٥٣٦	٦	٨	١١٤١
٥٣٧	٢٧	٧	١١٤٢
٥٣٨	١٦	٧	١١٤٣
٥٣٩	٤	٧	١١٤٤
٥٤٠	٢٤	٦	١١٤٥
٥٤١	١٣	٦	١١٤٦
٥٤٢	٢	٦	١١٤٧
٥٤٣	٢٢	٥	١١٤٨
٥٤٤	١١	٥	١١٤٩
٥٤٥	٣٠	٤	١١٥٠
٥٤٦	٢٠	٤	١١٥١
٥٤٧	٨	٤	١١٥٢
٥٤٨	٢٩	٣	١١٥٣
٥٤٩	١٨	٣	١١٥٤
٥٥٠	٧	٣	١١٥٥
٥٥١	٢٥	٢	١١٥٦
٥٥٢	١٣	٢	١١٥٧

السنة الهجرية	تبدأ يوم	شهر	من السنة الميلادية
٥٥٣	٢	٢	١١٥٨
٥٥٤	٢٣	١	١١٥٩
٥٥٥	١٢	١	١١٦٠
٥٥٦	٣١	١٢	١١٦٠
٥٥٧	٢١	١٢	١١٦١
٥٥٨	١٠	١٢	١١٦٢
٥٥٩	٣٠	١١	١١٦٣
٥٦٠	١٨	١١	١١٦٤
٥٦١	٧	١١	١١٦٥
٥٦٢	٢٨	١٠	١١٦٦
٥٦٣	١٧	١٠	١١٦٧
٥٦٤	٥	١٠	١١٦٨
٥٦٥	٢٥	٩	١١٦٩
٥٦٦	١٤	٩	١١٧٠
٥٦٧	٤	٩	١١٧١
٥٦٨	٢٣	٨	١١٧٢
٥٦٩	١٢	٨	١١٧٣
٥٧٠	٢	٨	١١٧٤
٥٧١	٢٢	٧	١١٧٥
٥٧٢	١٠	٧	١١٧٦
٥٧٣	٣٠	٦	١١٧٧
٥٧٤	١٩	٦	١١٧٨
٥٧٥	٨	٦	١١٧٩
٥٧٦	٢٨	٥	١١٨٠
٥٧٧	١٧	٥	١١٨١
٥٧٨	٧	٥	١١٨٢
٥٧٩	٢٦	٤	١١٨٣
٥٨٠	١٤	٤	١١٨٤
٥٨١	٤	٤	١١٨٥
٥٨٢	٢٤	٣	١١٨٦
٥٨٣	١٣	٣	١١٨٧
٥٨٤	٢	٣	١١٨٨
٥٨٥	١٩	٢	١١٨٩
٥٨٦	٨	٢	١١٩٠
٥٨٧	٢٩	١	١١٩١

السنة المجرية	تبدأ يوم	شهر	من السنة الميلادية
٥٨٨	١٨	١	١١٩٢
٥٨٩	٧	١	١١٩٣
٥٩٠	٢٧	١٢	١١٩٣
٥٩١	١٦	١٢	١١٩٤
٥٩٢	٦	١٢	١١٩٥
٥٩٣	٢٤	١١	١١٩٦
٥٩٤	١٣	١١	١١٩٧
٥٩٥	٣	١١	١١٩٨
٥٩٦	٢٣	١٠	١١٩٩
٥٩٧	١٢	١٠	١٢٠٠
٥٩٨	١	١٠	١٢٠١
٥٩٩	٢٠	٩	١٢٠٢
٦٠٠	١٠	٩	١٢٠٣
٦٠١	٢٩	٨	١٢٠٤
٦٠٢	١٨	٨	١٢٠٥
٦٠٣	٨	٨	١٢٠٦
٦٠٤	٢٨	٧	١٢٠٧
٦٠٥	١٦	٧	١٢٠٨
٦٠٦	٦	٧	١٢٠٩
٦٠٧	٢٥	٦	١٢١٠
٦٠٨	١٥	٦	١٢١١
٦٠٩	٣	٦	١٢١٢
٦١٠	٢٣	٥	١٢١٣
٦١١	١٣	٥	١٢١٤
٦١٢	٢	٥	١٢١٥
٦١٣	٢٠	٤	١٢١٦
٦١٤	١٠	٤	١٢١٧
٦١٥	٣٠	٣	١٢١٨
٦١٦	١٩	٣	١٢١٩
٦١٧	٨	٣	١٢٢٠
٦١٨	٢٥	٢	١٢٢١
٦١٩	١٥	٢	١٢٢٢
٦٢٠	٤	٢	١٢٢٣
٦٢١	٢٤	١	١٢٢٤
٦٢٢	١٣	١	١٢٢٥

السنة الهجرية	تبدأ يوم	شهر	من السنة الميلادية
١٢٢٣	٢	١	١٢٢٦
١٢٢٤	٢٢	١٢	١٢٢٦
١٢٢٥	١٢	١٢	١٢٢٧
١٢٢٦	٣٠	١١	١٢٢٨
١٢٢٧	٢٠	١١	١٢٢٩
١٢٢٨	٩	١١	١٢٣٠
١٢٢٩	٢٩	١٠	١٢٣١
١٢٣٠	١٨	١٠	١٢٣٢
١٢٣١	٧	١٠	١٢٣٣
١٢٣٢	٢٦	٩	١٢٣٤
١٢٣٣	١٦	٩	١٢٣٥
١٢٣٤	٤	٩	١٢٣٦
١٢٣٥	٢٤	٨	١٢٣٧
١٢٣٦	١٤	٨	١٢٣٨
١٢٣٧	٣	٨	١٢٣٩
١٢٣٨	٢٣	٧	١٢٤٠
١٢٣٩	١٢	٧	١٢٤١
١٢٤٠	١	٧	١٢٤٢
١٢٤١	٢١	٦	١٢٤٣
١٢٤٢	٩	٦	١٢٤٤
١٢٤٣	٢٩	٥	١٢٤٥
١٢٤٤	١٩	٥	١٢٤٦
١٢٤٥	٨	٥	١٢٤٧
١٢٤٦	٢٦	٤	١٢٤٨
١٢٤٧	١٦	٤	١٢٤٩
١٢٤٨	٥	٤	١٢٥٠
١٢٤٩	٢٦	٣	١٢٥١
١٢٥٠	١٤	٣	١٢٥٢
١٢٥١	٣	٣	١٢٥٣
١٢٥٢	٢١	٢	١٢٥٤
١٢٥٣	١٠	٢	١٢٥٥
١٢٥٤	٣٠	١	١٢٥٦
١٢٥٥	١٩	١	١٢٥٧
١٢٥٦	٨	١	١٢٥٨
١٢٥٧	٢٦	١٢	١٢٥٨

السنة الهجرية	تبدأ يوم	شهر	من السنة الميلادية
٦٥٨	١٨	١٢	١٢٥٩
٦٥٩	٦	١٢	١٢٦٠
٦٦٠	٢٦	١١	١٢٦١
٦٦١	١٥	١١	١٢٦٢
٦٦٢	٤	١١	١٢٦٣
٦٦٣	٢٤	١٠	١٢٦٤
٦٦٤	١٣	١٠	١٢٦٥
٦٦٥	٢	١٠	١٢٦٦
٦٦٦	٢٢	٩	١٢٦٧
٦٦٧	١٠	٩	١٢٦٨
٦٦٨	٣١	٨	١٢٦٩
٦٦٩	٢٠	٨	١٢٧٠
٦٧٠	٩	٨	١٢٧١
٦٧١	٢٩	٧	١٢٧٢
٦٧٢	١٨	٧	١٢٧٣
٦٧٣	٧	٧	١٢٧٤
٦٧٤	٢٧	٦	١٢٧٥
٦٧٥	١٥	٦	١٢٧٦
٦٧٦	٤	٦	١٢٧٧
٦٧٧	٢٥	٥	١٢٧٨
٦٧٨	١٤	٥	١٢٧٩
٦٧٩	٣	٤	١٢٨٠
٦٨٠	٢٢	٤	١٢٨١
٦٨١	١١	٤	١٢٨٢
٦٨٢	١	٤	١٢٨٣
٦٨٣	٢٠	٣	١٢٨٤
٦٨٤	٩	٣	١٢٨٥
٦٨٥	٢٧	٢	١٢٨٦
٦٨٦	١٦	٢	١٢٨٧
٦٨٧	٦	٢	١٢٨٨
٦٨٨	٢٥	١	١٢٨٩
٦٨٩	١٤	١	١٢٩٠
٦٩٠	٤	١	١٢٩١

١- السلاجقة

(أ) سلاطين السلاجقة العظام

١١٠٤ - ١٠٩٤	بركيارق بن ملكشاه	١٠٦٣ - ١٠٣٧	طغرل بك
١١١٨ - ١١٠٤	محمد بن ملكشاه	١٠٧٢ - ١٠٦٣	ألب أرسلان
١١٥٧ - ١٠٩٦	أحمد سنجر بن ملكشاه	١٠٩٢ - ١٠٧٢	ملكشاه بن ألب أرسلان
		١٠٩٤ - ١٠٩٢	محمود بن ملكشاه

(ب) سلاجقة العظام - راق

١١٥٩ - ١١٥٣	محمد بن محمود	١١٣١ - ١١١٨	محمود بن محمد بن ملكشاه
١١٦١ - ١١٥٩	سليمان شاه بن محمد	١١٣١	أود بن محمود
١١٧٧ - ١١٦١	أرسلان شاه بن طغرل	١١٣٣ - ١١٣٢	طغرل الاول بن محمد
١١٩٤ - ١١٧٧	طغرل الثاني بن أرسلان شاه	١١٥٢ - ١١٣٣	محمود بن محمد
		١١٥٢	ملكشاه بن محمود

(ج) سلاجقة الشام

١١١٤ - ١١١٣	ألب أرسلان بن رضوان (بحلب)	١٠٩٤	تتشر بن ألب أرسلان
١١١٧ - ١١١٤	سلطان شاه بن رضوان (بحلب)	١١١٣ - ١٠٩٥	رضوان بن تتشر (بحلب)
		١١٠٣ - ١٠٩٥	دقاني بن تتشر (بدمشق)

(د) سلاجقة الروم بأسماء الصغرى

١٢١٠ - ١٢٠٤	كيخسرو الاول (مرة ثانية)	١٠٨٦ - ١٠٨١	سليمان بن قتلмыш
١٢١٦ - ١٢١٠	كيكاوس الاول بن كيوخسرو الاول	١١٠٧ - ١٠٩٢	قلج أرسلان الاول
١٢٣٦ - ١٢١٩	كيقباد الاول بن كيوخسرو الاول	١١١٦ - ١١٠٧	ملكشاه الاول بن قلج أرسلان
١٢٤٥ - ١٢٣٦	كيخسرو الثاني بن كيقباد الاول	١١٥٦ - ١١١٦	مسعود الاول بن قلج أرسلان
١٢٥٧ - ١٢٤٥	كيكاوس الثاني بن كيوخسرو الثاني	١١٨٨ - ١١٥٦	قلج أرسلان الثاني
١٢٦٧ - ١٢٥٧	قلج أرسلان الرابع بن كيوخسرو الثاني	١١٩٢ - ١١٨٨	ملكشاه الثاني
١٢٨٣ - ١٢٦٧	كيخسرو الثالث بن قلج أرسلان الرابع	١٢٠٠ - ١١٩٢	كيخسرو الاول
١٢٩٦ - ١٢٨٣	مسعود الثاني بن كيكايوس الثاني	١٢٠٣ - ١٢٠٠	سليمان شاه الثاني بن قلج أرسلان
١٣٠٠ - ١٢٩٦	كيقباد الثالث	١٢٠٤ - ١٢٠٣	قلج أرسلان الثالث بن سليمان شاه

(٢) بنو أرتق

(أ) الأراتقه في حصن كيفا ثم في آمد

١١٨٥ - ١١٧٤	١١٠٤ - ١١٠١ محمد بن قرا أرسلان	سقمان الاول بن أرتق
١٢٠٠ - ١١٨٥	١١٠٨ - ١١٠٤ سقمان الثاني بن محمد	إبراهيم بن سقمان
١٢٢٢ - ١٢٠٠	١١٤٨ - ١١٠٨ محمود بن محمد	داود بن سقمان
١٢٣١ - ١٢٢٢	١١٧٤ - ١١٤٨ مودود بن محمود	قرا أرسلان بن داود

(ب) الأراتقه في مارد

١٢٠٠ - ١١٨٤	١١٢٢ - ١١٠٨ بولق أرسلان بن إيلغازي الثاني	إيلغازي الاول بن أرتق
١٢٣١ - ١٢٠٠	١١٥٢ - ١١٢٢ أرتق أرسلان بن إيلغازي الثاني	تمرتا بن إيلغازي
١٢٥٦ - ١٢٢٦	١١٧٦ - ١١٥٢ غازي الاول بن أرتق أرسلان	ألبی بن تمرتا
١٢٥٩ - ١٢٣١	١١٨٤ - ١١٧٦ قرا أرسلان بن غازي الاول	إيلغازي الثاني بن ألبی

(٣) بنو زنكسي

(أ) أتابكة الموصل

١٢١٠ - ١١٩٣	١١٤٦ - ١١٢٧ نور الدين أرسلان شامه الاول بن محمود	عماد الدين زنكي بن أقيسقر
١٢١٨ - ١٢١٠	١١٤٩ - ١١٤٦ عز الدين محمود الثاني بن أرسلان شاه	سيف الدين غازي الاول بن زنكي
١٢١٦ - ١٢١٨	١١٢٠ - ١١٤٩ نور الدين أرسلان شاه الثاني بن محمود الثاني	تطب الدين مودود بن زنكي
١٢١٦ - ١٢١٦	١١٧٦ - ١١٢٠ ناصر الدين محمود بن عز الدين بن محمود الثاني	سبب الدين غازي الثاني بن مودود
١٢١٦ - ١٢١٦	١١٩٣ - ١١٧٦ عز الدين محمود الاول بن مودود	عز الدين محمود الاول بن مودود
١٢٣٣ - ١٢٥٩	بد الدين لؤلؤ وابن مكرم الدين اسماعيل	

(ب) أتابكة الشام

١١٨١ - ١١٧٤	١١٢٤ - ١١٤٦	الصادق نور الدين محمود بن زنكسي
١١٨٣ - ١١٨١	١١٧٤ - ١١٥٤	في حلب في دمشق
		في حلب في حلب
		ضم حلب الى أتابكة الموصل وسنجار

(٤) بنو ايوب

(أ) الايوبون في مصر

١٢٢٨ - ١٢١٨	الكامل (الاول) محمد	١١٧٤ - ١١٩٣	الناصر صلاح الدين يوسف
١١٤٠ - ١١٣٨	الصادق (الثاني) ابو بكر	١١٩٨ - ١١٩٣	الحزب عماد
١٢٤١ - ١٢٤٠	الصالح ايوب	١١٩٩ - ١١٩٨	المنصور محمد
١٢٥٠ - ١٢٩٠	المسلم توران شاه	١١١٨ - ١١٩٩	الصادق (الاول) احمد

(ب) الايوبون في دمشق

١١٢٨	الكامل الاول محمد	١١٩٣ - ١١٩٦	الافضل نور الدين علي
١١٣٦ - ١١٣٨	الصادق الثاني ابو بكر	١١٩٦	الحامل (الاول) احمد
١١٣٩	الصالح نجم الدين ايوب (المره الاولى)	١١١٨ - ١١٢٧	المسلم عيسى
١١٢٩ - ١١٢٩	الصالح اسماعيل (المره الثاني)	١٢١٧ - ١٢١٩	الناصر دود
١٢٤١ - ١٢٤٥	الصالح نجم الدين ايوب (المره الثانيه)	١١١٩ - ١٢٣٧	الاشرف موسى
١١٤٩ - ١٥٠	المسلم توران شاه (صاحب مصر)	١١٣٧ - ١١٣٧	الصالح اسماعيل (المره الاولى)

(ج) الايوبون في حلب

١١١٦ - ١١١٦	السيز محمد	١١٨٣ - ١١٨٦	الصادق الاول احمد
١١٣٦ - ١١٣٦	الناصر (الثاني) يوسف	١١٨٦ - ١١٨٦	الناصر غازي الاول

(د) الايوبون في حمص

١١٤٠ - ١٢٤٦	المنصور ابراهيم	١١٧٨ - ١١٨٦	الناصر محمد بن شيركوه
١٢٤٦ - ١٢٤٦	الاشرف موسى الثاني	١١٨٦ - ١٢٤٠	الناصر شيركوه الثاني

(هـ) الايوبون في حماه

١٢٢٩ - ١٢٤٤	المظفر الثاني محمود	١١٧٨ - ١١٩١	المظفر الاول عمر
١١٤٤ - ٢٨٤	المنصور الثاني محمد	١١٩١ - ١٢١٠	المنصور الاول محمد
		١٢١٠ - ١٢٢٠	الناصر فلاح ارسلان

١٢٢٠ - ١٢١٠	الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب	١١٨٥	الاشرف الاول موسى
١٢٤٤ - ١٢١١	الحادل سيف الدين أبو بكر	١١٩٤ - ١١٩٩	المظفر شهاب الدين غازي
١٢٦٠ - ١٢٤٤	الواحد نجم الدين أيوب	١١٩٩ - ١٢١٠	الكامل الثاني ناصر الدين محمد

(٥) سلاطين المماليك في مصر

(أ) دولة المماليك البحرية

١٢٧٧	شجرة الدر	١٢٥٠	المعز عز الدين أيك
		١٢٥٠	المصور نور الدين علي بن أيك
١٢٧٩	المظفر سيف الدين قطز	١٢٥٧	الظاهر ركن الدين بيبرس (الاول)
١٢٨٩		١٢٥٩	
١٢١٠		١٢٦٠	

(٦) ملوك مملكة بيت المقدس الصليبية

١١٩٧ - ١١٩٢	جودفري دي بوايون (وصي على الدولة)	١١٠٠ - ١٠٩٩	هنري دي شامبني
١٢٠٥ - ١١٩٧	بلدوين الاول (اول ملك متوج)	١١١٨ - ١١٠٠	عموري الثاني
١٢١٠ - ١٢٠٥	بلدوين الثاني	١١٣١ - ١١١٨	ماري (ابنة كونراد تحت الوصاية)
١٢٢٤ - ١٢١٠	فولك الانجوي	١١٤٤ - ١١٣١	حنادي برين
١٢٥٠ - ١٢٢٥	بلدوين الثالث	١١٦٢ - ١١٤٤	الامبراطور فردريك الثاني
١٢٥٤ - ١٢٥٠	عموري الاول	١١٧٣ - ١١٦٢	كونراد الرابع ملك ألمانيا (ملك أسمي)
١٢٦٨ - ١٢٥٤	بلدوين الرابع	١١٨٥ - ١١٧٣	كونرادين (ملك أسمي)
١٢٨٤ - ١٢٦٩	بلدوين الخامس	١١٨٦ - ١١٨٥	غيو الثالث ملك قبرس (الثاني)
١٢٨٥ - ١٢٨٤	جاي لوزجنان	١١٩٢ - ١١٨٦	حناء الاول ملك بيت المقدس
١٢٨٦ - ١٢٨١	كونراد دي مونتفرا	١١٩٢	هنري الثالث ملك قبرس (الثاني)

(٧) أمراء أنطاكية النورمان

١٢٠١ - ١١٦٣	بوهيموند الاول	١١٠٤ - ١٠٩٨	بوهيموند الثالث
١٢١٦ - ١٢٠١	تنكرد	١١١٢ - ١١٠٤	بوهيموند الرابع
١٢١٩ - ١٢١٦	روجري دي سالرنو	١١١٩ - ١١١٢	ريموند رومان
١٢٢٢ - ١٢١٩	بوهيموند الثاني	١١٣٠ - ١١٢٦	بوهيموند الرابع (مرة ثانية)
١٢٥١ - ١٢٣٤	ريموند دي بواتيه	١١٤٩ - ١١٣٦	بوهيموند الخامس
١٢٦٨ - ١٢٥١	ريجنالد دي شامبون (أرناط)	١١٦٠ - ١١٥٣	بوهيموند السادس

(٨) أمراء طرابلس

١١٠٢-١١٠٥	ريموند الثالث	١١٠٢-١١٠٥	ريموند الاول (الصنجيل)
١١٠٥-١١٠٨	بوهيموند الرابع (+ أنطاكية)	١١٠٨-١١٠٥	وليم جوردان
١١٠٨-١١١٣	بوهيموند الخامس (+ أنطاكية)	١١١٣-١١٠٨	يرتراند
١١١٣-١١٣٧	بوهيموند السادس (+ أنطاكية)	١١٣٧-١١١٣	بونز
١١٣٧-١١٥٢	بوهيموند السابع	١١٥٢-١١٣٧	ريموند الثاني

(٩) أمراء أرمينية الصغرى

١١٧٠-١١٧٥	ملج	١٠٦٠ +	رومان الاول
١١٧٥-١١٨٧	رومان الثالث	١١٠٠ +	قسطنطين الاول
١١٨٧-١٢١١	ليون الثاني	١١٢٩-١١٠٠	ثيودور الاول
	(تزوجت ايزابيل ابنة ليون الثاني من شيشوم أمير رومانيا)	١١٣٦-١١٢٩	ليون الاول
	الذي أصبح ملكا على أرمينية الصغرى)	١١٤٤-١١٦٧	ثيودور الثاني
		١١٧٠ +	رومان الثاني (تحت الوصاية)

(١٠) ملوك أرمينية الصغرى

١٢٦٩-١٢٦٩		١٢٦٩-١٢٦٩	شيشوم الاول
١٢٦٩-١٢٨٩		١٢٨٩-١٢٦٩	ليون الثالث
١٢٨٩-١٢٩٣		١٢٩٣-١٢٨٩	شيشوم الثاني
١٢٩٣-١٢٩٤		١٢٩٤-١٢٩٣	ثيودور الثالث
١٢٩٤-١٢٩٦		١٢٩٦-١٢٩٤	شيشوم الثاني (مرة أخرى)
١٢٩٦-١٢٩٨		١٢٩٨-١٢٩٦	سمباد
١٢٩٨-١٢٩٩		١٢٩٩-١٢٩٨	قسطنطين الاول

(١١) أباطرة الدولة البيزنطية

١٢٠٣-١٢٠٤	اسحق الثاني + الكسيوس الرابع	١١٠٨-١١١٨	الكسيوس الاول كومنين
١٢٠٤-١٢٠٤	الكسيوس الخامس	١١١٨-١١٤٣	حنا الثاني كومنين
١٢٠٤-١٢٢٢	ثيودور الاول لامكارس	١١٤٣-١١٨٠	مانويل الاول كومنين
١٢٢٢-١٢٠٤	حنا الثالث دوقاس	١١٨٠-١١٨٣	الكسيوس الثاني كومنين
١٢٠٤-١٢٥٨	ثيودور الثاني لامكارس	١١٨٣-١١٨٥	اندرونيق الاول كومنين
١٢٥٨-١٢٦١	حنا الرابع لامكارس	١١٨٥-١١٦٥	اسحق الثاني أنجيلوس
١٢٦١-١٢٥٩	ميخائيل الثامن باليولوجس	١١٦٥-١٢٠٣	الكسيوس الثالث أنجيلوس

د • سعيد طاشور : الحركة النبطية ج ٢ : ١٢٩٧-١٣٠٧

المخطوطات :

١. الملك الأجد الحسن بن الناصر داود بن عيسى بن نجم الدين أيوب
النوائد الجلية في الفرائد الناصرية ، مخطوط رقم ٢٢٩٣ أدب ، دار
الكتب المصرية ، القاهرة
٢. ابن الجزري ، محمد بن ابراهيم الجزري ، جواهر السلوك في الخلفاء
والملوك ، مخطوط رقم ٤٧٥٧٥ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة
٣. ابن حبيب ، الحسن بن عمر بن حبيب أبو محمد بدر الدين ،
درة الأسلاك في دولة الاتراك ، ميكرو فلم رقم ٥٣٩ ، الجامعة
الأردنية ، عمان
٤. ابن دنيير ، ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن علي اللخمي القابوسي ،
ديوانه ، مخطوط رقم ٨٧٤٤ ، المكتبة الخالدية ، دمشق
٥. الميني ، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد أبو محمد بدر الدين
الميني ، عقد الجمان من تاريخ أهل الزمان ، مخطوط رقم ١٥٨٤ ،
تاريخ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة
٦. ابن قاضي شهاب ، بدر الدين أبو الفضل محمود بن أبي بكر
الدر الثمين في سيرة نور الدين ، ميكرو فلم من مخطوطات دار الكتب
المصرية رقمها ١٢٢٧ تاريخ
٧. ابن التيسراني ، محمد بن نصر بن صنيبر ، ديوانه ، مخطوط رقم
١٤٨٤ أدب ، دار الكتب المصرية ، القاهرة
٨. ابن نباتة ، محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ، الجذائير النورية
السري جمال الدين بن نباتة ، الفاضل من كلام القاضي الفاضل ،
مخطوط رقم ٢٨٨٢ أدب دار الكتب المصرية ، القاهرة
٩. النويري أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الدائم الترشلي التميمي البكري ،
نهاية الأرب في فنون الأدب ، مخطوط رقم ٥٤٩ ، مخطوطات جامعة
دار الكتب المصرية ، القاهرة

على الآلة الناقية :

١٠. عبد الحفيظ محمد علي ، الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين ،
رسالة ماجستير ، القاهرة ، سنة ١٩٧٥

- ١١ • شادي نهر ، معارك نور الدين في عصر الحروب الصليبية ، رسالة
ماجستير ، جامعة القاهرة رقم ٩٠٧ ، القاهرة

الكتب المطبوعة :

- ١٢ • ابن الاثير ، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ،
الجزري أبو الفتح شيباء الدين ، رسائل ابن الاثير ، تأنيس المقدسي ،
دار العلم للملايين ، بيروت ، سنة ١٩٥٩
- ١٣ • ابن الاثير ، نصر الله بن محمد ، المثل السائر في أدب الكاتب
والشاعر ، القاهرة ، سنة ١٩٢٩
- ١٤ • ابن الاثير ، عز الدين أبو الحسين علي بن أبي الكرم بن محمد
بن عبد الكريم بن عبد الواحد ، الكامل في التاريخ ، دار صادر
و دار بيروت ، ١٩٦٦
- ١٥ • ابن الاثير ، عز الدين أبو الحسين ، التاريخ الباهر في الدولة
الأتاكية ، بالدوسل ، تحت إشراف عبد القادر أحمد المصا ، دار الكتب
الحديثة ، القاهرة ، سنة ١٩٦٢
- ١٦ • أحمد أحمد بدوي ، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر
والشام ، مكتبة النهضة مصر ، مصر ، سنة ١٩٥٤
- ١٧ • أحمد أحمد بدوي ، صلاح الدين الأيوبي بين شعراء عصره وكتابائه ،
دار القلم ، مصر ، سنة ١٩٦٠
- ١٨ • أحمد أحمد بدوي ، مأمون بن أيوب المظفر عيسى ، مكتبة
الأنجلو مصرية ، مصر ، سنة ١٩٥٣
- ١٩ • أحمد بيلي المصري ، حياة صلاح الدين ، ملك السعادة ، مصر ، سنة
١٩٦٢
- ٢٠ • أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، ط ٥ ، مكتبة النهضة المصرية ،
سنة ١٩٥٥
- ٢١ • أحمد عبد المجيد الدومي ، صلاح الدين الأيوبي ، ط ٢ ، المكتبة
العصرية ، بيروت ، صيدا ، سنة ؟
- ٢٢ • أحمد مختار السبادي ، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ،
دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٦٩

- ٢٣ • أسامة بن منقذ • مؤيد الدولة أبو منافر أسامة بن مرشد الكنانسي،
الشيزري، الاعتبار، حرره فليب حتي، مط جامعة برنستون
الولايات المتحدة، سنة ١٩٣٠
- ٢٤ • أسامة بن منقذ، الهدى في نقد الشعر، ت أحمد أحمد بدوي، وعايد
عبد المجيد، مط مطبعتي الهادي الحلبي، مصر، سنة ١٩٦٠
- ٢٥ • أسامة بن منقذ، ديوانه، ت أحمد بدوي، وعايد عبد المجيد، المطبعة
الأميركية، سنة ١٩٥٣
- ٢٦ • ألك، ليلقولة، ت أدلون صالحاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،
سنة ١٩٧٥
- ٢٧ • ابن أياس، محمد بن أحمد ابن أياس الحنفي، بدائع الزهور، وقا
الأمور، المكتبة الشعبية، بيروت، سنة ١٩٧٠
- ٢٨ • بدرى محمد نهد، تاريخ العراق في العصر النبلي الأخير،
مطبعة الارشاد، بغداد، سنة ١٩٧٣
- ٢٩ • ابن داود، محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم،
رحلته، دار صادر ودار بيروت، سنة ١٣٨٤/١٩٦٤
- ٣٠ • الهنداري، الفتح بن علي بن محمد الهنداري الاصفهاني، مقتدر
تاريخ دول آل سلجوق، مطبعة الموسوعات، مصر، سنة ١٣١٧/١٩٠٠
- ٣١ • بهاء الدين زهير بن محمد بن علي المهلب، الفتى، ديوانه،
دار صادر ودار بيروت، بيروت، سنة ١٣٨٣/١٩٦٤
- ٣٢ • البوصيري، محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله بن صنهاج
بن لعل الصنهاجي، ديوانه، ت محمد سيد كواتني، مطبعة
مطبعتي الهادي الحلبي، مصر، سنة ١٣٧٤/١٩٥٥
- ٣٣ • تمارا تالوت راي، السلاجقة، تاريخهم وحضارتهم، ترجمته
لداني الشهري وإبراهيم الداوي، مطبعة الارشاد، بغداد،
سنة ١٩٦٨
- ٣٤ • ابن تيمر، بردى، جمال الدين أبو الحسن يوسف، النجاشي
الزائرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، مطبعة صورة عن دار الكتب،
- ٣٥ • النجاشي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النجاشي
النسابة، يثيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ت محمد
محي الدين عبد الحميد، ط القاهرة سنة ١٩٥٦

- ٠٣٦ جب ، السير حاملتون جب ، صلاح الدين : دراسات في التاريخ الاسلامي ، حررها يوسف أنيس ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، سنة ١٩٧٣
- ٠٣٧ جب ، السير حاملتون جب ، المدخل في الادب العربي ، ترجمة كادام سعد الدين ، العراق ، سنة ١٩٦٩
- ٠٣٨ جوانفيل ، القديس لويس حياته وعملاته على مصر والشام ، ترجمة حسن حبشي ، دار المعارف ، ط. مصر ، سنة ١٩٦٨
- ٠٣٩ ابن جبير ، ابو الحسين محمد بن احمد بن جبير الكتاني الاندلسي الشافعي البلسي ، رحلة ابن جبير ، دار صادر ، دار بيروت ، سنة ١٣٨٤ / ١٩٦٤
- ٠٤٠ جودت الركابي ، الادب العربي من الاندلس الى الازدهار ، ط. ١ ، مطبعة زيد بن ثابت ، نشر دار الفكر ، دمشق ، سنة ١٣٩٤ / ١٩٧٤
- ٠٤١ حامد غيم ، البهجة الاسلامية في عصر الغروب الصليبية ، مكتبة الشباب القاهرة ، سنة ١٩٧١
- ٠٤٢ حسن حبشي ، الحروب الصليبية الاولى ، القاهرة ، سنة ١٩٤٧
- ٠٤٣ حسن حبشي ، نور الدين والصليبيون ، القاهرة ، سنة ١٩٦٧
- ٠٤٤ حسين عدوان ، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، دار المعارف ، مصر ، سنة ١٩٧٠
- ٠٤٥ الحسيني ، صدر الدين ابو الحسن علي بن السيد الامام ابو الفوارس نادر بن علي الحسيني ، اخبار الدولة المملوكية ، ت. محمد اتبال ، لادور ، سنة ١٩٦٦
- ٤٦ الحنبلي ، ابن السمان ابو الفلاح عبد الحفيظ بن احمد بن محمد الحنبلي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، المكتب التجاري ، بيروت ،
- ٤٧ الحنبلي ، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد العلوي المقدسي ، الانساب الجليل بتاريخ القدس والخليل ، دار الجيل بيروت ، سنة ١٩٧٢
- ٠٤٨ ابن خلكان ، احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلكان ، وثبات الاعيان ، ت. احسان عباسي ، دار الثقافة ، بيروت

- ٥٤٩ ابن الخياط ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن دندس ،
التغلبى ، ديوان ابن الخياط ، ت. خليل مردم بك ، مطبعة المجمع
العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٨ / ١٣٧٧
- ٥٥٠ ابن الدعان ، أبو الفرج الموصلي ، ديوان ابن الدعان ، ت. عبد الله
الجبورى ، ١ ، مطبعة المعارف ، بغداد سنة ١٣٨٨ / ١٩٦٨
- ٥٥١ ابن دقاق ، إبراهيم بن محمد ، الانتصار لواسطة عقد الاحصار ،
مطبعة بولاق سنة ١٣١٠ / ١٨٩٣ .
- ٥٥٢ رشيد الجميلي ، دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكسى ،
دار النهضة العربية ، بيروت ، سنة ١٩٧٠ .
- ٥٥٣ رفيع التميمي ، الحروب الصليبية ، مطبعة اللواء ، القدس ، سنة
١٩٤٥
- ٥٥٤ الزركلي ، خير الدين الزركلي ، كتاب الاعلام ، ٣ ، بيروت ، ١٩٦٩
- ٥٥٥ زكي مبارك ، النشر الفني في القرن الرابع الهجري ، ٢ ، مطبعة
المعاصرة ، مصر ، سنة ١٩٥٧
- ٥٥٦ زكي المحاسني ، شعر العرب في أدب العرب ، ٢ ، دار المعارف ،
مصر ، سنة ١٩٧٠
- ٥٥٧ زكي النفاذ ، الصراعات الاجتماعية والثانية والاقتصادية بين العرب
والفرنج ، خلال الحروب الصليبية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،
سنة ١٩٥٨
- ٥٥٨ ابن الساعي ، علي بن أنجب ، الجامع المنصور ، نشر مصطفى جواد
مطبعة السريانية الكاثوليكية ، بغداد ، سنة ١٣٥٣ / ١٩٣٤ .
- ٥٥٩ ابن الساعاتي ، أبو الحسن علي بن رستم ، حدود ، ديوان
الساعاتي ، ت. أنيس المقدسي ، المطبعة الاميركانية ، بيروت ،
سنة ١٩٣٨ والجزء الثاني سنة ١٩٣٩
- ٥٦٠ سيد بن الشاويدي محمد بن عبد الله ، ديوان سيد بن الشاويدي ،
ت. د. س. ، مرجعيات ، مطبعة المقتطف ، مصر ، سنة ١٩٠٣
- ٥٦١ سيد بن الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، مطبعة دائرة المعارف
الشامية ، حيدر أباد ، سنة ١٩٥١
- ٥٦٢ ستيفن رسيمن ، تاريخ الحروب الصليبية ، نقله السيد البار الميرني ،
دار الثانة ، بيروت ، سنة ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ .

- ٠٦٣ سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، مكتبة الانجلو مصرى سنة ، القاهرة ، سنة ١٩٧٥
- ٠٦٤ سعيد عاشور ، مخاضة ونظام أورنا ، دار النهضة العربية ، بيروت ، سنة ١٩٧٦
- ٠٦٥ ابن سناء الملك ، حياة الدين بن جعفر ، ديوان ابن سناء الملك ، ت محمد عبد الحق ، دار دائرة المعارف العثمانية ، عيد أباد الدكة ، الهند ، سنة ١٣٧٧ / ١٩٥٨
- ٠٦٦ سيد قباب ، النقد الأدبي ، بيروت
- ٠٦٧ سهيل زكار ، مدخل الى تاريخ العرب الصليبية ، دار الامانة ، بيروت ط ١ ، سنة ١٣٩١ / ١٩٧٢
- ٠٦٨ السيوطي ، عبد الرحمن بن أبوبكر ، حسن المخاضة في أخبار مصر والقاهرة ، ط ادارة الودان ، مصر ، سنة ١٢٩٩
- ٠٦٩ شاعر أحمد أبوبدر ، العرب الصليبية والاسرة الزنكية ، الطبعة الثانية ، بيروت ، سنة ١٩٧٧
- ٠٧٠ ابن شاعر الكتبي ، محمد بن شاعر الكتبي ، فوات الوفيات ، ت محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، سنة ١٩٥١
- ٠٧١ أبو شامة القدسي ، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل القدسي ، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين : النورية والصلاحيية ، ت محمد حلمي أحمد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ، سنة ١٩٥٦ ، ١٩٦٢
- ٠٧٢ أبو شامة القدسي ، كتاب الروضتين ، مطبعة دار الجيل ، ط ٢ ، بيروت ، سنة ١٩٧٤
- ٠٧٣ أبو شامة القدسي ، كتاب الذيل على الروضتين ، مطبعة دار الجيل ، ط ٢ ، بيروت ، سنة ١٩٧٤
- ٠٧٤ ابن شاعين الظاهري ، غرس الدين خليل ، كتاب زبدة كنف الصالحين ، بيان الارق والمسالكة ، ت بولس راويش ، مطبعة الجمهورية ، باريس ، ١٨٩٤
- ٠٧٥ ابن شامشاه الايوبي ، محمد بن تقي الدين عمر ، مضمار الضائق ، ت الدلائق ، ت حسن حمشي ، دار الهناء ، القاهرة ، سنة ١٩٦٨

- ٠٧٦ ابن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تجمعال الدين النيان ، مطبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، سنة ١٩٦٤
- ٠٧٧ شرف الدين الانصاري ، ديوانه ، ت. عمر موسى باشا ، مطبعة الهاشمية دمشق ، سنة ١٩٦٧/١٣٨٧
- ٠٧٨ شهاب الدين محمود بن سلطان بن فهد بن محمود الخنيلي الخليلي ، حسن التوصل الى صناعة الترسيل ، مطبعة أمين الخندي ، مصر ، ١٣٦٥
- ٠٧٩ شوقي شيف ، الفن ومذاهبه ، د. ٧ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩
- ٠٨٠ صلاح الدين المشجد ، ولادة دمشق في العهد السلجوقي ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، سنة ١٩٧٥
- ٠٨١ ابن رباب ، محمد بن علي بن ربابا المعروف بابن اللغات ، النسخ في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ، سنة ١٩٦٦/١٣٨٦
- ٠٨٢ الملايخ بن رزيق ، ديوانه ، جمع محمد نادي الأتيني ، مطبعة النحطان ، النجف الاشرف ، العراق ، سنة ١٩٦٤/١٣٨٣
- ٠٨٣ ظافر الحداد ، ديوانه ، ت. حسين نصار ، دار مصر للطباعة ، ١٩٦٩
- ٠٨٤ عارف المعارف ، تاريخ القدس ، دار المعارف ، مصر ، سنة ١٩٥١
- ٠٨٥ ابن الظاهر ، عبد الله بن عبد الظاهر بن شوان الجذاهي محيي الدين ، الدر النظيم من ترسل عبد الرحيم ، ت. أحمد بدوي ، مطبعة الرسالة ، مصر ، سنة ١٩٥٩
- ٠٨٦ ابن عبد الزاخر ، تشریف الايام والنفوس في سيرة الملك المنصور ، ت. مراد كامل ، وزارة الثقافة ، مصر ، سنة ١٩٦١
- ٠٨٧ عبد السنزل الانواني ، ابن سناء الملك ومشكلة المقم والابتكار في الشعر ، مكتبة الانجلومصرية ، سنة ١٩٦٢
- ٠٨٨ عبد القادر اليوسفي ، فائحات بين الشرة والارب بين القرنين السادس عشر والخامس عشر ، منشورات المكتبة المصرية ، صيدا ، سنة ١٩٦٩
- ٠٨٩ عبد الكريم توفيق السجود ، الشعر العربي في العراق ، من ستمسوا السابغة حتى سقوط بغداد ، وزارة الاعلام ، بغداد ، سنة ١٩٧٦
- ٠٩٠ عبد اللطيف حمزة ، أدب العرب ، العلمية ، مطبعة الاعتقاد ، نشر دار النكر العربي ، مصر ، سنة ١٩٤٩

٩١. عبداللاديف حمزة ، الأدب المصري ، من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيئ
الحملة الفرنسية ، بكتبة مهندسة مصر
٩٢. عبد المنعم هاجد ، الناصر صانع الدين يوسف ، مكتبة الانجلو مصرية ، مصر ١٩٥٦
٩٣. ابن السبكي ، عمر بن يوسف بن توما التلاي ، تاريخ دمشق من السندون ،
وقف على رايحه أندون صالحاني ، مطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، سنة ١٩٤٨
٩٤. ابن المديني ، عمر بن أحمد ، زبدة العطب من تاريخ حلب ، مطبع
الدخان ، الكاثوليكية ، بيروت ، سنة ١٩٥٤ ، ١٩٦٨
٩٥. عزت القلبي ، ديوانه ، ت احمد الزندقي ، مطبعة دار العيسا
دمشق ، سنة ١٣٩٠ / ١٩٧٠
٩٦. علم الدين أيمن الحموي ، ديوانه ، ت أحمد نسيم ، دار النشر
المصرية ، القاهرة ، سنة ١٣٥٠ / ١٩٣١
٩٧. الصناد الأعفاني ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن محمد
بن شبة الله ، تاريخ دولة آل سلجوقي ، القاهرة ، سنة ١٣١٩
٩٨. الصناد الأعفاني ، خريدة القصر وخريدة الخضر ، قسم شعراء الشام ،
ت. شكري فيصل ، المطبعة الهاشمية ، ج ١ / ١٩٥٥ ، ج ٢ / ١٩٥٩
٩٩. الصناد الأعفاني ، الخريدة قسم شعراء مصر ، ت أحمد أمين وشوقي
شيف واحسان عباس ، لجنة الترجمة والتأليف والنشر القاهرة ١٩٥١
١٠٠. الصناد الأعفاني ، الخريدة القسم العراقي ، محمد بهبهني
الأثرى ، مطبعة النجف العلمي ، العراق ، سنة ١٩٦٤
١٠١. الشام الأعفاني ، النتج التسي في النتج القدسي ، ت محمد
معنود صبح الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٦٥
١٠٢. عمارة الحمي ، النكت المصرية في أخبار الوزراء المصرية ، ت
درويش ، مطبعة مرسو في مدينة شالون ، سنة ١٨٩٧
١٠٣. عمر كمال توفيق ، خدمات المدوان الصليبي ، جامعة الاسكندرية
سنة ١٩٦٦
١٠٤. عمر موسى باشا : الأدب في بلاد الشام عبور الزنكيين والايوبيين
والحماليين ، دار الفكر الحديثة ، دمشق ، سنة ١٩٧١
١٠٥. عمر موسى باشا : أمير براء الشرق ، ابن نباتة المصري ، دار المعارف
القاهرة ، سنة ١٩٦٣

١٠٦. ابن عثيمين ، ديوانه ، ت خليل مردم بك ط ٢ ، دار صادر ، بيروت ،
 ١٠٧. غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، نقل عادل زحيترا ط ٣ ، دار احياء
 الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٦
 ١٠٨. الفارقي ، احمد بن يوسف بن علي بن الازرق الفارقي ، تاريخ الفارقي ،
 ت بدوي عبد اللطيف عوض ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ،
 القاهرة ، سنة ١٣٧٦ / ١٩٥٩
 ١٠٩. ناروق جرار ، محمد بن نصر القيسراني ، حياته وشعره ، المطابع
 التماونية ، عمان ، سنة ١٩٧٤
 ١١٠. فتيان الشافري ، ديوانه ، ت أحمد الجندبي ، مطبوعات مجمع اللغة
 العربية ، دمشق ، سنة ١٩٦٧
 ١١١. ابو الفداء ، اسماعيل بن ظي ، المنتصر في أخبار البشر ، المطبعة
 الحسينية ، مصر
 ١١٢. ابن الفرات ، محمد حسين عبد الرحيم ، تاريخ ابن الفرات ، ت حسن
 الشماح ، مطبعة خداد ، البصرة ، سنة ١٣٨٦ / ١٩٦٧
 ١١٣. ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، مج ٧ ، ت سلطان بن زريق ونجلاء عزالدين
 ط الاميركانية ، بيروت ، سنة ١٩٣٩ / ١٩٤٢
 ١١٤. فهد ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ت لمحمد مصافي زباد ،
 والهاز العربي ط ٥ ، دار المصارف ، مصر ، سنة ١٩٦٩
 ١١٥. القرآن الكريم .
 ١١٦. التزويني ، زكريا بن محمد بن محمود ، آثار البلاد وأخبار العباد ،
 دار صادر ودار بيروت ، سنة ١٣٨٠ / ١٩٦٠
 ١١٧. ابن القلانسي ، أبو يسرى عمرة ، تدير ، تاريخ دمشق ، ط ١ الأبيات
 اليسوعيين ، بيروت ، سنة ١٩٠٨
 ١١٨. القلتشندي ، أبو العباس أحمد ، صبح الاعشى ، مطبوعة عن المطبعة
 الأميرية ، القاهرة
 ١١٩. ابن كثير ، أبو النداء اسماعيل بن عمر ، البداية والنهاية ، مطبعة
 السادة ، مصر ، سنة ١٢٤٨
 ١٢٠. مجهول ، أعمال الفرنجة وعجائب بيت المقدس ، تحقيق حسن حبشي ،
 دار الفكر العربي ، القاهرة ، سنة ١٩٥٨

- ١٢١ • محمد راجب الداخعي الحلبي ، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ،
مراجعة العلمية ، حلب ، سنة ١٣٤٢ / ١٩٢٤
- ١٢٢ • محمد زفلول سلام ، الأدب في العصر الأيوبي ، دار المعارف ، مصر
سنة ١٩٦٨
- ١٢٣ • محمد زفلول سلام ، الأدب في العصر المملوكي ، دار المعارف ، مصر
سنة ١٩٧٠
- ١٢٤ • محمد زفلول سلام ، نبياء الدين بن الاثير ، دار المعارف ، مصر ،
- ١٢٥ • محمد زفلول سلام ، تاريخ النقد العربي من ق ١٠٠٠ هـ ، دار المعارف
مصر ، ؟
- ١٢٦ • محمد سيد كيلاشي ، الحروب الصليبية وأثرها في الادب العربي قسبي
مصر والشام ، دار الكتاب العربي ، مصر ، سنة ١٩٤٩
- ١٢٧ • محمد كامل حسين ، في أدب مصر القارامية ، دار الفكر العربي
مصر ، سنة ١٩٥٠
- ١٢٨ • محمد كامل حسين ، دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين
دار الكتاب العربي ، مصر ، سنة ١٩٥٧
- ١٢٩ • محمود ابراهيم ، صدى الغزو الصليبي في شعر ابن التيسراني
الكتب الاسلامي ، ومكتبة الاقصى ، دمشق ، عمان ، سنة ١٩٧١
- ١٣٠ • محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتجه العلمي والادبي
مراجعة الاداب ، مصر ، سنة ١٩٦٥
- ١٣١ • محمود صدائق ، الأدب العربي في مصر من الفتح الاسلامي الى نهاية
العصر الايوبي ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة ، سنة ١٩٦٧
- ١٣٢ • ابن ماري ، الصاعب جمال الدين ، ديوانه ، ١ ، مراجعة الجوائب
قسطنطينية ، سنة ١٢٩٨ هـ
- ١٣٣ • المقرئ ، أحمد بن محمد المقرئ ، نوح الديب ، احسان عباس ، دار
صادر بيروت ، سنة ١٣٨٨ / ١٩٦٨
- ١٣٤ • المقرئ ، تقي الدين أحمد بن علي ، السلوك لمصرفة دول السلوك ،
ت محمد صدائق زيادة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٣٤
- ١٣٥ • المقرئ ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ١ ، بولاق ، مصر
سنة ١٢٧٠ هـ

- ١٣٦ • مكسيموس مونروند ، من تاريخ الحروب المقدسة في المشرق ، المدعوة
حرب الصليب ، ترجمة مكسيموس ، مالموم ، دار دير الرهبان الفرنسيان
القدس ، سنة ١٨٦٥
- ١٣٧ • ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرنجي المصري ،
لسان العرب ، دار صادر ودار بيروت ، سنة ١٩٥٦
- ١٣٨ • ابن ميسر ، محمد بن علي بن يوسف ، أخبار مصر ، تحقيق حسيني
باسين ، مطبعة المعهد الفرنسي ، القاهرة ، سنة ١٩١٩
- ١٣٩ • المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام ، بيروت ، الدار المتحدة للنشر ،
سنة ١٩٧٤
- ١٤٠ • ناصر شسرو علوي ، سفرنامه ، ترجمة وتعليق يحيى الخشاب ، ط ١ ،
لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٤٥
- ١٤١ • ابن النبيه ، علي بن محمد ، ديوانه ، المطبعة السليمة ، القاهرة ، سنة ١٩١١
- ١٤٢ • النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، المؤسسة المصرية العامة ،
دار الكتب ، القاهرة ، سنة ١٩٢٥ - ١٩٥٥
- ١٤٣ • النويري ، محمد بن تاسم الاسكندري ، الإلهام بالأعظم فيما جمعت به
الاحكام والامور التقنية في وقعة الاسكندرية ، اتين كومب وعزيز ، مطبعة
مابحة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد ، الدكن ، سنة ١٩٦٨
- ١٤٤ • ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل ، مؤرخ الكيمسروب
في أخبار بني ايوب ، جمال الدين الشيال ، الأميريسسة
١٩٥٣/١ ، ١٩٥٧/٢ ، ١٩٦٠/٣
- ١٤٥ • ابن واصل ، فتح الكروب ، حسين محمد ربيع وسعيد عاشور ،
مطبعة الكتب ، سنة ١٩٧٢
- ١٤٦ • ابن الوردي ، ابو حفص زين الدين عمر ، تاريخ ابن الوردي ، المطبعة
الوعبية ، القاهرة ، سنة ١٢٨٥/١٨٦٨
- ١٤٧ • الياضي ، عبد الله بن سادده بن علي بن سليمان ، مرآة الجنسان
وعبرة اليقظان ، مطبعة المعارف النظامية ، حيدر اباد والدكة ، سنة ١٣٣٨
- ١٤٨ • ياقسوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي ، معجم
البلدان ، بيروت ، سنة ١٩٥٥

١ - ٩

..... المقدمة

الباب الاول

تدائمية تاريخية

(١١ - ٥١)

١١ - ٢١

الفصل الاول : الشرق الاسلامي قبيل الغزو الصليبي

٢٢ - ٢٤

الفصل الثاني : الغزو الارمني قبل الغزو الصليبي

٢٥ - ٥١

الفصل الثالث : الصراع ميدانسه وزمانسه

الباب الثاني

(٥٣ - ١٩٨)

٥٣ - ١٦٤

الفصل الاول : القارة الاسلامية الى الصراع

٥٣ - ٧٠

القسم الاول : صراع بين عقيدتين

٧١ - ٩٠

القسم الثاني : صراع بين عقارتين

٩١ - ١٥٠

القسم الثالث : الصراع العسكري

٩١

اول : الجيش الصليبي

١٠٥

ثانيا : الاسلحة والمعدات العسكرية

١١١

ثالثا : التحصينات

١١٩

رابعا : التخيليد العسكري

١٢٣

خامسا : الحرب النفسية

١٢٥

سادسا : الممارك البرية والبحرية

١٥١ - ١٦٤

القسم الرابع : الغطر الصليبي

١٥٢

أولا : على الارض الاسلامية

١٥٨

ثانيا : على المسلمين

١٦٠

ثالثا : على الاسلام والراث الاسلامي



الحروب الصليبية

- أرض مسيحية ٤٨٠ - ١٠٩٩ م
- أرض إسلامية ٤٨٨ - ١٠٩٩ م
- أرض وثنية ٤٨٨ - ١٠٩٩ م
- أرض اقتطعتها المسيحيون قبل ٤٨٨ م (١٠٩٩ م)

تناقض الحملة الصليبية الثالثة





وقال أسير على لسان القدس وأرسلها إلى صلاح الدين :

يا أيها الملك الســـــــذي	لمعالم الصلحان عكســـــــ
جاءت اليك ظلالـــــــة	تسمى من البيت المقدســــ
كل المجاهد طـــــــرث	وأنا على شرفي منجـــــــس (١)

ونحكي أن فقيراً بات بالقدس فسمع قائلاً يقول في الليل :

إن يكن بالشام قل نصـــــــيري	وتهدمت ثم دام هلوكـــــــي
فلقد أصبح الفداة خرابـــــــي	سمة العار في حياة الملوك (٢)

وكتب على أبواب كنيسة في عكا بعد طرد الفرنج عنها سنة ٦٩٠ :

أدى الكنائس أن يكن عبثت بكـــــــم	أيدي الحوادث أو تغيّر حـــــــال
فلطال ما سجدت على أبوابكـــــــم	ثم الأنوف ججاجع أبـــــــال
صبرا على هذا المصاب فإنـــــــه	يوم بيوم والعروب سجـــــــال (٣)

وقال بعض شعراء المشرق في صلاح الدين :

الله أكبر جاء القدس بأرـــــــم	ورام أسهم دين الله رابـــــــم
فكم لمصر على الأضار من شـــــــرف	بيومئذين وهل أرض تدانـــــــم
فبأين يعقوب هزت جيدها طرـــــــم	وبأين أيوب هزت عطفها تـــــــم
قل للملوك تخلي عن ممالكـــــــم	نقد أتى آخذ الدنيا ومصطـــــــم (٤)

وقال بعض شعراء دمشق سنة ٦٥٧ :-

هلك الكفر في الشام جيمـــــــم	واستجدّ الاسلام بعد دحوضـــــــم
بالمليك المظفر الملـــــــك الارـــــــم	وع سيف الاسلام عند نهوضـــــــم
ملك جانا بمزم وحرـــــــم	فاعتززنا بسمره وببيضـــــــم (٥)

-
- (١) الانصر الجليل ٣١٨ وزبدة كشف الممالك ص ٢٠
 - (٢) نهايتا لأرب ج ٢٧ ورقه ٣٩
 - (٣) جواهر السلوك ورقه ٤٨ • درة الاسلاك ورقه ١٦١
 - (٤) مرآة الجنان ج ٣ / ٤٦٥
 - (٥) النجوم الزاهرة ٧٧ / ٧

المجالات :

• ١٤٩ • مجلة الهلال ح ٩ ، السنة الحادية والثلاثون ، سنة ١٩٧٢

• ١٥٠ • مجلة المعرفة ح ١٥٥ ، كانون ثاني ، سنة ١٩٧٥

الكتب الأجنبية :

Matimud Ibrahim, Martial poetry under the . ١٥١

Hamdanide of Aleppo . ph. D., 1965.

Stanley Lane-poole, A History of Egypt in the . ١٥٢

Middle Ages, Frank Cass and Co. L.T.D. , 1968.

The Encyclopediu of Islami, Leiden-London, 1936 . ١٥٣

١٦٥ - ١٩٨

١٦٥	أولا : الحياة الاجتماعية	الفصل الثاني : اضواء على حياة الصليبيين
١٨٧	ثانيا : الحياة الاقتصادية	
١٩٣	الحيد : الحياة السياسية	

الباب الثالث

التقويم الفني

(١٩٩ - ٢٩٢)

٢٠٠ - ٢٤٤

الفصل الاول : الشعير

٢٤٥ - ٢٨٢

الفصل الثاني : النشيد

٢٨٤ - ٢٨٩

موازنة بينهم

٢٩٠ - ٢٩٢

الخاتمة

الملاحق :

٢٩٤ - ٥٢٤

أولا : الملحق الشعري

٥٢٥ - ٥٢٨

ثانيا : معاني المصطلحات

٥٢٩ - ٥٣٥

ثالثا : جدول تحويل السنوات الهجرية الى ميلادية

٥٣٦ - ٥٤٠

رابعا : جداول بأسماء الحكام المسلمين والصليبيين

٥٤١ - ٥٤٤

خامسا : الخرائط

٥٤٥ - ٥٥٥

المصادر والمراجع

٥٥٦ - ٥٥٨

المحتويات

The study I have chosen: "Crusaders' picture in Arabic Literature" is justified on the basis that a more comprehensive study would be a difficult task, due to the fact that the poetry and prose written during the Crusades involve a wide range of variety.

This study contains three chapters. The first is the historical framework which deals with the conditions of the Islamic East in Iraq, Syria and Egypt before the Crusades. A special section about the European status before the war is added to clarify the motives behind the war. Then a survey of the wars from beginning to end, follows.

The second chapter is about the forms of struggle between Muslims and invaders. The most important aspect of this struggle was basically religious. This struggle was mainly characterised by the ruthless treatment Muslims received by Christian Europeans.

In the course of cultural struggle Europeans are to be shown backward in their sciences, administration and law, but progressive in war affairs such as in matters relevant to inventing and developing means of fighting, attacking and defence.

Literature has presented a detailed picture of the military struggle, displaying an accurate description of the Crusades army: regarding its construction, supplies, weapons and plans; and it shed light on the Europeans' castles and forts. Literature has also shown that Europeans got their needs for living from overseas supplies

On the other hand, Arabic literature presented a picture of those invaders during armistices and war breaks describing them as playing, cultivating the land gathering the crops, trading and leading different life altogether, presenting this picture of the crusaders.

The writers intended to arouse the feelings of the rulers against the invaders hoping that they would succeed in putting an end to their presence. Research into the literary texts of this period reveals productive literary achievement.

This phenomena was promoted by some eminent characters in the fields of war, politics, administration and literature such as Hour id-deen Zinki, and Saladin and some of his sons, who faced the challenge with courage and strong conviction.

The third chapter is about technical performance in poetic texts, which was to some degree an extension of its equivalent at the end of the fourth and the beginning of the fifth Hegiran centuries. It combines tradition and innovation. This appears in the form and the content of the poem. Some poems were drawn upon old poetry as seen from the beginning of the poem and their decorative pictures. Meanwhile, some of them were produced in a new method especially in introducing and overdecorating their diction.

It has been noticed that metaphors formed a popular aspect in the poetry of that era, but that was not a new

3

phenomenon in the 5th Hegiran century. The phenomenon existed before that time, particularly during that period when it reached the excess.

As for prose texts, they were also characterized by the decorative aspect especially in literature in the books that combined history and literature, decorative style, however, varied between excess and moderation.

The letters of AL-Qadi AL-Fadil were compared with those of Al-Imad AL-Asfchani and Ibn-AL-Athir, and it was found out that there were no differences between them.

This finding makes one suspect the view of those who said that Al-Qadi had a special literary school characterized by certain techniques.

When prose and poetry relevant to the crusaders' existence in the Islamic East were compared, a difference in the way of expressing the same subject was noticed, regarding the handling, the treatment and the literary style. As for poetry, it seldom committed itself to logical sequence for it recorded plain truth and analysis of details. It described the psychological movement of the poet and his social environment. In portraying this, poetry might use exaggeration to emit certain effects, and to arouse the emotions. It also colours the events in a way that reflects the poet's identity.

As for prose, it presents the factual incidents and uses sequences and details. Whatever motivation there is in prose it depends on the events themselves. However, the

gap between prose and poetry was sometimes so narrow that prose is changed, in some cases, into poetry which lacks musical.

The three chapters are followed by five appendices. The first contains poems related to the crusades; the second an explanation of some war idioms; the third a table transforming.

Hegiran years to Christian years; the Fourth, the names of Muslim and Crusaders' leaders; the fifth, maps showing places of battles. Some of the maps show the districts occupied by crusaders in the first ninety years of the war, and how their property began to decrease year by year, until, at last, the four emirates ended.